تاريخ الاصلاح

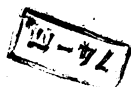
في القرن السادس عشر

للعلامة ميرل دوبينياه

مترجم من اللغة الانكليزية

المجلد الثاني

طُبع في بيروت سنة ١٨٧٨



فهرس الكتاب

الكتاب الاول

من سنة ١٥٢٢ الى سنة ١٥٢٦

فصل — صفحة

الكتاب الثاني

سويسرا وجرمانيا من سنة ١٥٢٣ الى سنة ١٥٢٧

الكتاب الثالث

فرانسا بين سنة ١٥٠٠ وسنة ١٥٢٦

الكتاب الرابع

من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٥٢٩

الكتاب الخامس

القرار في اجسبرج سنة ١٥٣٠

الكتاب السادس

الاصلاح في سويسرا من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٥٣٠

الكتاب السابع

سويسرا . المصيبة الكبرى من سنة ١٥٢٨ الى سنة ١٥٣١

تاريخ الاصلاح

المجلد الثاني

الكتاب الاول

من سنة ١٥٢٢ الى سنة ١٥٢٦

الفصل الاول

مقابلة بين لوثيروس واغناطيوس لويولا

ان الاصلاح الذي كان اول الامر في قلوب اناس قليلين من اهل التقوى دخل بعد ذلك في عبادة الكنيسة وحياتها وطبعًا تقدم خطوة اخرى وتطرق الى الامور السياسية وحياة الشعوب وكان دائمًا تقدمهُ من الداخل الى الخارج وسنرى عن قريب كيف استولت هذه الحركة العظيمة على حياة العالم السياسية

ان اوروبا مدة ثمانية قرون قبل ذلك كانت مملكة كهنوتية واسعة فان الامبراطورين والملوك كانوا تحت حراسة الباباوات وكل ما حدثت مقاومة شديدة على مزعومات رومية الوقاحية وعلى الخصوص في جرمانيا وفرانسا كان لها اليد العليا والامراء الذين كانوا قهارمة مطيعين لاحكامها الهائلة حاربوا لاجل تثبيت حكمها على افراد المؤمنين الطائعين اوامرهم وسفكوا بسخاء لاجلها دم ابناء شعبهم

فلم يمكن ايقاع ضرر بتلك المملكة الكنائسية المتسعة التي البابا راسها من دون تاثير في الامور السياسية وهيج جرمانيا يومئذٍ امران عظيمان احدهما الرغبة

في احياء الايمان والآخر التوق الى حكومة اهلية بها تقوم الولايات الجرمانية بحيث توازن سلطان الامبراطور الخاضع لدعاوي رومية العريضة وكان الملك المنتخب فردريك قد الحّ على هذا الامر الاخير عند انتخاب خليفة مكسيمليان وكرلوس الفتى وافقهُ الى ذلك ومن ثمّ انتظمت حكومة اهلية اعضاؤها مؤلفة من الوكيل الامبراطوري ووكلاء المنتخبين والمقاطعات . وهكذا لوثيروس اصلح الكنيسة وفردريك منتخب سكسونيا اصلح الحكومة

وبينما أُدخِلت التغييرات السياسية عن يد قواد الامة في حين ادخال الاصلاح الديني خُشِيَ من ان العامة ايضًا تتحرك وبواسطة افراطها في السياسة والديانة جميعًا توقع تشويشًا في الاصلاحين كليهما . وهذا التطفل الشديد الوسواسي من قبل الشعب وبعض اصحاب الحركات الذي يظهر انهُ لا بد منهُ حيث تكون الجماعة متحركة وفي حالة الانقلاب حدث في جرمانيا في العصر الذي نحن آخذون في شانهِ

وظروف اخرى ايضًا ساعدت في احداث تلك التشاويش وهي ان الامبراطور والبابا كانا قد اتحدا معًا على مضادة الاصلاح وتراءى انهُ على حافة السقوط تحت ضربات مثل هذين العدوين القويين فان محبة السلطة والطمع والربح اضطرت كرلوس الخامس ولاون العاشر الى مزاولة اتلافهِ الّا ان هذين جنديان مسكينان للمحاربة ضد الحق فان التجند لعمل قد حُسِب مقدسًا لا سبيل للغلبة عليهِ الّا بواسطة تجند نظيرهِ ولكن الرومانيين الخاضعين لاغراض لاون العاشر انشغفوا بالقصائد والانغام وتغافلوا كل التغافل عن ديانة يسوع المسيح واذا عرض لخواطرهم فكر اصلح فعوضًا عن ان يطهروا قلوبهم ويصلحوها حديثًا في ديانة الرسل انهمكوا في الاتحاد مع باقي الشعوب والحروب والعهود التي بواسطتها ربحوا املاكًا جديدة وباستخفاف بارد تركوا الاصلاح ان ينبه من كل جانب غيرة دينية وان يتقدم بظفر الى غلبات اشرف فان العدو الذي قد قُضِي عليهِ بالهلاك في كرسي وُرمس ظهر ثانيةً مملوًّا ثقة وقوة فاقتضى ان يكون القتال قاسيًا

ولم يكن بدٌّ من جريان الدم

الآن بعض الاخطار التي كانت تتهدد الاصلاح قبل تراءت في ذلك الوقت كانها زالت فان كرلوس الفتى كان واقفًا ذات يوم مع معرَّفهِ في طاقةٍ من قصرهِ وذلك قبل اذاعة حكم وُرمس بقليل فوضع يدهُ على قلبهِ وقال اني اقسم لاشنقنَّ على هذه الطاقة نفسها اول من استقر بانهُ لوثيراني بعد اذاعة حكمي ولكن لم يمضِ الاَّ قليل حتى بردت حرارتهُ هذه وقصدهُ في ان يحيي مجد المملكة المقدسة القديم اي ان يزيد في قوتهِ هو كان قد قُبِل ببرودة واذ كان غير مرتضٍ بجرمانيا ترك شطوط الرين وانطلق الى البلاد الواطية واخذ في مدة اقامتهِ هناك ان ينعم على الرهبان بما لم يقدران يعطيهم اياهُ في المملكة فاحرق مباشر الشنق كتب لوثيروس في غنت بكل ما امكن من الاحتفال وحضر ذلك اكثر من خمسين الف ناظر والامبراطور نفسهُ نظر الى ذلك بابتسام يشير الى قبولهِ بهِ ومن هناك تقدم الى اسبانيا حيث الزمتهُ الحروب والاضطرابات الداخلية الى ترك جرمانيا بسلام اول ما يكون الى حين واذ لم تُعطَ لهُ القوة التي كان يدَّعيها ترك الآخرين يجدّون في طرد اراتيكي وتمبرج واما هو فاشغلتهُ افكارٌ اهمُّ

والذي وقع هو ان فرنسيس الاول اذ رغب في ان يمتحن قوتهُ مع خصمهِ كان برز للقتال وتحت الدعوى بانهُ يريد ان يعيد اولاد يوحنا دي البرت ملك ناڤار الى املاكهم الموروثة شرع بقتال دموي مزمع ان يدوم كل حياتهِ وذلك بواسطة هجومهِ على تلك المملكة بجيش تحت قيادة ليسپار الذي لم يوقف غلباتهِ السريعة الاَّ حصن بمبالونا . فعلى تلك الاسوار اضطرمت غيرة كان من شانها ان تقاوم في ما بعد غيرة المصلح وان تنفخ في البابا وية روحًا جديدًا من النشاط والتجند والصولة وكانت بمبالونا كانها عتيدة ان تصير سرير خصم راهب وتمبرج . وروح الحرب الذي طالما حرك العالم المسيحي بقي في اسبانيا وحدها والحروب ضد العرب في تلك البلاد وفي افريقية مع اسفار بعيدة خطيرة الى ما

وراء البحار ربّت في شبان كسنيليا تلك الشجاعة القوية الراسخة التي تشخصت في حكاية اميديس دي غال

وكان من جملة محامي بمبالونا فتى اسمهُ اينيغو لوبز من ريكالدا وهو الاصغر في عائلة لها ثلثة عشر ولدًا وكان ريكالدا المعروف باسم اغناطيوس لويولا قد تربى في دار الملك فرديننـد الكاثوليكي وكان ذا هيئة لطيفة وخبيرًا بحمل السيف والرمح وراغبًا جدًّا في مجد الفروسية وصرف حياتهُ في التقلد بالاسلحة اللامعة والركوب على جياد الخيل وعرض نفسهُ للاخطار الباهظة في السباق وتعاطى الاعمال الخطيرة واشترك في المقاتلات المميتة واظهر نحو القديس بطرس محبة مفرطة . ولما ذهب والي ناڤار الى اسبانيا لاجل طلب النجدة ترك حماية بمبالونا لاينيغو واشراف قليلين واذ راي الاشراف ان جيوش فرانسا اقوى منهم عزموا على التسليم فناشدهم اينيغو ان يثبتوا ضد ليسپار واذ رآهم ثابتين في عزمهم نظر اليهم بغضب وعيرهم بالجبانة والخيانة وهو حينئذٍ القى نفسهُ وحدهُ في القلعة عازمًا على حفظها تحت خطر فقد حياتهِ . والفرنساويون الذين قُبلوا في بمبالونا بفرح عرضوا شروط التسليم على قائد القلعة فقال اينيغو بشراسةٍ لاصحابهِ دعونا نحتمل كل شيء ذلك اولى من التسليم وعند ذلك ابتدا الفرنساويون يضربون الاسوار بآلاتهم القوية ثم هجموا عليها سريعًا وشجاعة اينيغو وتحريضاتهُ قوّت اهل اسبانيا فدفعوا الهاجين بالسهام والسيوف والبلطات وقاتل اينيغو في مقدمتهم وبينما كان هذا الفارس الفتي واقفًا على الاسوار وعيناهُ تشتعلان غضبًا وهو يضرب ويرمي العدو تحت ضرباتهِ اذا بكلة ضربت الحائط الذي كان يدافع عنهُ فخرجت قطعة صغيرة من الحجر وجرحتهُ جرحًا بليغًا في ساقهِ الايمن ثم رجعت الكلة من عزم الضربة وكسرت ساقهُ الايسر فسقط اينيغو مغشيًا عليهِ فسلّم القوم حالاً وحمل الفرنساويون خصمهم الفتي معجبين بشجاعتهِ على عربة الى ابويهِ في قلعة لويولا وهو قد وُلد في ذلك البيت الشريف الذي اخذ اينيغو اسمهُ بعد لوثيروس بثماني سنين وهو من اشرف بيوت تلك المقاطعة

فاقتضى ان يحتمل عملية البتة وبينما كان في اشد الآلام قبض بيد على يد ولكنه لم يئن ولا أنّة واحدة

وبينما كان اينيغو محصورًا في بطالة معيية اضطرهُ الامر الى استعمال تصوراتهِ المنتبهة فعند غيبوبة خزعبلات الفروسية التي كانت الى ذلك الوقت طعامهُ العقلي الوحيد اخذ يقرأُ قصة يسوع المسيح واخبار القديسين وهذا النوع من القراءة في حالة وحدتهِ ومرضهِ احدث تاثيرًا غير اعتيادي في عقلهِ فاخذت سيرة السباق والحروب ذات الضجة التي كانت قد شغلت جميع افكارهِ الى ذلك الوقت تضعف وتذبل وتتلاشى من امام عينيهِ وفي الوقت نفسهِ انفتح طريق جديد امام عينيهِ المنذهلتين فان اعمال القديسين التواضعية واحتمالاتهم الشجاعية ظهرت لديهِ احق بالمديح من جميع الاعمال السامية للسلاح والفروسية وبينما كان مضطجعًا على سريرهِ فريسة للحمى تسلطت عليهِ افكار على غاية المناقضة. فالعالم الذي تركهُ وعالم التقشفات امامهُ ظهرا لهُ معًا الواحد بلذاتهِ والآخر بمشقاتهِ وهذان العالمان تنازعا في صدرهِ نزاعًا شديدًا قال ماذا يكون اذا عملت مثل القديس فرنسيس او القديس دومينيكوس. ثم تصورت في فكرهِ صورة الفتاة التي كان قد رهن عندها قلبهُ فكان يصرخ بعجب غير مصنَّع قائلاً انها ليست اميرة ولا دوكة ولكنها بحالة اسمى من كل منهما. فمثل هذه الافكار ملأتهُ كآبةً وكربًا وقصدهُ ان يقتدي بالقديسين ملأهُ سلامًا وفرحًا. ومن ذلك الوقت اختار نصيبهُ فلما عادت اليهِ صحتهُ عزم على توديع العالم وبعد ان اشترك نظير اوليروس في وليمة اخيرة مع اصحابهِ القدماء في الحرب انصرف وحدهُ خفيةً دون ان يراهُ احد الى المساكن المنفردة التي كان نُسَّاك القديس بنادكتوس قد حفروها في صخور جبل سراط واذ لم يحملهُ على ذلك الشعور بالخطية ولا الشعور باحتياجهِ الى النعمة الالهية بل رغبتهُ في ان يصير فارسًا للعذراء وان ينال الشهرة بواسطة التقشفات والاعمال التقوية مثل جمهور القديسين فاعترف ثلاثة ايام متوالية بطولها واعطى ثيابهُ الفاخرة احد المتسولين ولبس مسحًا وتمنطق

بجبل ثم متذكرًا اسهار اميديس دي غال علق سيفهُ امام ايقونة للعذراء واحيا الليل بالسهر بثوبهِ الجديد الغريب تارةً يركع على ركبتيهِ واخرى ينتصب ولكن دائمًا بالصلاة وبعصا السواح بيدهِ يكرر جميع الاعمال التقوية التي كان اميديس الشهير قد عملهُ قبلهُ . قال كاتب سيرتهِ مفاي اليسوعي انهُ عندما كان الشيطان يسلح لوثيروس لمحاربة جميع الشرائع البشرية والالهية وعندما ظهر ذلك المبتدع الردي في ورمس واشهر بنفاق الحرب ضدًّا للكرسي الرسولي كان المسيح بدعوة من عنايتهِ السموية ينبه هذا الجندي الجديد ويسلحهُ هو والذين كانوا مزمعين ان يقتفوا اثرهُ لخدمة الحبر الروماني ومضادة خلاعة وحدَّة الفساد الارانيكي

ثم ان لويولا مع انهُ لم يزل اعرج جرَّ نفسهُ في طرق منفردة مستوحشة الى منريسا حيث دخل ديرًا دومينيكيًّا لكي يكرس نفسهُ في تلك الارض المنقطعة لاقسى الاماتات ونظير لوثيروس استعطى يوميًّا خبزهُ من باب الى باب فكان يصرف سبع ساعات على ركبتيهِ ويجلد نفسهُ كل يوم ثلاث مرار ويقوم في نصف الليل للصلاة وترك شعرهُ واظافرهُ تنمى من دون قطع حتى لم يكن يمكن من نظر الى وجههِ الرقيق الاصفر وهو في منريسا ان يعرفهُ فارس بمبالونا الشاب الرائق الصورة

الى ذلك الوقت كانت الافكار الدينية عند اينيغو ملاهي فروسية وحينئذٍ اتت الساعة التي فيها صارت تلك الافكار اعمق وجعلتهُ يشعر بقوة لم يزل غريبًا عنها فالفرح الذي شعر بهِ ذهب بغتةً دون تنبيه فكان باطلاً يلتجي الى الصلاة وترتيل المزامير فلم يجد راحةً وتصورهُ لم يعد يذكرهُ باوهام لذيذة بل تُرِكَ وحدهُ مع ضميرهِ وحالة جديدة بهذا المقدار عندهُ كانت تفوق ادراكهُ فسال نفسهُ هل ما زال الله مغضبًا عليهِ بعد كل ما قد صنعهُ والمخاوف المريعة كانت تزعج نفسهُ ليلاً ونهارًا فسكب دموعًا مرة وبصوت عالٍ طلب سلام الضمير الذي كان قد فقدهُ ولكن كل ذلك كان باطلاً وحينئذٍ ابتدا ثانيةً بالاعتراف الطويل الذي كان قد مارسهُ في جبل سراط وقال في نفسهِ لعلي نسيت شيئًا ولكن ذلك

الاعتراف انما زاد كربهُ لانهُ ذكرهُ كل ضلالاتهِ فجال بالكآبة والذل لان ضميرهُ كان يوبخهُ بانهُ لم يفعل شيئًا كل حياتهِ الأَّ ضم خطية الى خطية فهذا الانسان الشقي الذي كان فريسةً للاهوال المزعجة ملأ الدبر من تنهداتهِ

ثم دخلت افكار غريبة في قلبهِ واذ لم يجد سلوانًا في الاعتراف ولا في سنن الكنيسة المتنوعة ابتدا نظير لوثيروس يشك بفاعليتها ولكن عوضًا عن ان يترك اعمال الناس ويطلب عمل المسيح الكافي سأَل نفسهُ أَلا يجب ان يتبع ايضًا لذات الزمان فتاقت نفسهُ بوجد نحو لذات العالم التي كان قد تركها ولكنها حالاً نفرت منها خوفًا

فهل كان في ذلك الوقت فرق بين راهب منريسا وراهب ارفورت. لاشك كان بينهما فرق في قضايا ثانوية ولكن حالة نفسيهما كانت واحدة وكلاهما شعر بكثرة خطاياهُ وكلاهما طالب المصالحة مع الله وتاقا الى حصول الطمانينة في قلوبهما ولو ظهر في دير منريسا رجل مثل ستوبتز والكتاب المقدس في يدهِ لربما صار اينيغو لوثيروس اسبانيا فهذان الرجلان العظيمان اللذان ظهرا في القرن السادس عشر هذان المؤسسان قوتين روحيتين لهما مدة ثلاثة قرون تحارب احداهما الاخرى كانا في تلك الدقيقة اخوين ولو التقى لوثيروس ولوبولا لعل احدهما عانق الآخر ومزجا دموعهما وصلواتهما

ولكن من تلك الدقيقة كان هذان الراهبان عتيدين ان ياخذا في طريقين مختلفين كل الاختلاف . اما اينيغو فعوضًا عن ان يشعر بان توبيخ ضميرهِ قد أُرسِل اليهِ لكي يرفعهُ الى المسيح اقنع نفسهُ بان هذه التوبيخات الداخلية لم تاتِ من الله ولكن من الشيطان وعزم على عدم الافتكار ابدًا بخطاياهُ وان يمحوها من فكرهِ ويدفنها في نسيان ابدي اما لوثيروس فتحول نحو المسيح واما لوبولا فانما رجع ساقطًا على نفسهِ وبعد قليل اتت الاحلام الى اينيغو لكي تثبتهُ في الاقناع الذي قد وصل اليهِ وصارت عزائمهُ نائبة عن نعمة الله وتصوراتهُ سدت مسد كلام الله ونظر الى صوت الله في ضميرهِ كانهُ صوت الشيطان ومن ثمَّ كما يخبر عنهُ باقي

تاريخهِ قد أُسلِم لالهامات روح الظلمة

والتقى لوبولا يومًا بامراة اسبانيولية عجوز كما زار لوثيروس رجلٌ شيخ في ساعة تجربتهِ الّا ان المراة الاسبانيولية عوضًا عن ان تنادي بمغفرة الخطايا لتائب منريسا تنبأَت بافتقادات من المسيح فهذا هو شكل الديانة الذي رجع لوبولا اليهِ كما فعل انبياء زويكاو . اي لم يطلب الحق في الكتب المقدسة بل توهم في مكانها مناجاة مع عالم الارواح راسًا فدخل سريعًا في الاوهام والتخيلات . واذ كان ذات يوم منطلقًا الى كنيسة القديس بولس خارج المدينة مشى على ارياف نهر لوبراغت وجلس متوغلًا في الافكار فاحدق بعينيهِ نحو النهر الذي جرت مياههُ العميقة بهدو امامهُ فغاب عن حواسهِ من شدة الفكر وسقط بغتةً في حالة السهو وراى بعيني جسدهِ ما بصعوبة يقدر الناس ان يفهموهُ بعد قراءة كثيرة وسهر طويل ودروس (مفاي ٣٢) فنهض واذ كان واقفًا على ضفة النهر ظهر لهُ انهُ قد صار انسانًا آخر وحينئذٍ ركع عند قاعدة صليب بالقرب مستعدًا لان يضحي حياتهُ في خدمة ذلك الامر الذي كُشِفت لهُ حينئذٍ اسرارهُ الغامضة

ومن ذلك الوقت كثرت عليهِ الرؤى وذات يوم بينما كان جالسًا على درج كنيسة القديس دومينيكوس في منريسا يرتل نشيدة لمريم العذراء الطاهرة اذا سهوٌ اعتراهُ فاختنق بهِ صوتهُ وبقي لايتحرك مستغرقًا في التامل فان سر الثالوث الاقدس أُعلن لعينيهِ تحت رموز سامية فسكب حينئذٍ الدموع وملأ الكنيسة بانينهِ وبقي النهار بطولهِ يتكلم عن هذه الرؤيا التي لا توصف . وتلك المناظر العديدة ازالت شكوكهُ فآمن ليس مثل لوثيروس اي لان امور الايمان كانت مكتوبة في كلام الله ولكن بسبب المناظر التي رآها . قال المحامي عنهُ انهُ لو لم يكن كتاب مقدس ولو لم يوحَ قط بهذه الاسرار في الكتاب المقدس لآمن لان الله قد استعلن لهُ (مفاي صحيفة ٣٤) ثم ان لوثيروس عند اخذهِ درجة الدكتور حلف بالمحاماة عن الكتب المقدسة وسلطان كلام الله الوحيد المعصوم صار مبدا الاصلاح الاساسي واما لوبولا فقد ربط نفسهُ في ذلك الوقت بالاحلام والمرائي

وصارت المناظر الوهمية مبدأ حياتهِ وايمانهِ

ان سكني لوثيروس في دير ارفورث وسكني لويولا في دير منريسا يوضحان لنا الاول الاصلاح والثاني البابوية الجديدة ثم ان الراهب المزمع ان يحيي نشاط رومية الضعيف ذهب الى اورشليم بعد تركهِ الدير ولا نتبعهُ في ذلك السفر لاننا سوف نلتقي بهِ ايضاً في مساق هذا التاريخ

الفصل الثاني

نصرة البابا . موت لاون العاشر وجلوس ادريانوس السادس

بينما كانت الحوادث المذكورة آنفاً جارية في اسبانيا ظهرت رومية كانها تنبهت نوعاً فان الحامي العظيم عن الموسيقى والصيد والملاهي توارى عن العرش الحبري وخلفهُ راهب تقي رزين . وكان لاون العاشر قد فرح فرحاً عظيماً عندما بلغهُ خبر حكم ورمس واسر لوثيروس وشهادة لغلبتهِ سلّم حالاً تمثال لوثيروس ومؤلفاتهِ للحريق وكانت هذه هي المرة الثانية او الثالثة التي تمتعت فيها رومية بتلك اللذة غير المضرة وفي ذلك الوقت نفسهِ قرن لاون العاشر جيشهُ بجيش كرلوس الخامس وذلك لكي يحقق شكرهُ الجزيل لهُ فاضطر اهل فرانسا ان يخلوا پرما وپياشنزا وميلان وابن عم البابا يوليوس دي ماديشي دخل المدينة الاخيرة وهكذا تقدم البابا نحو قمة السلطة البشرية وكان وقوع تلك الحوادث في ابتداء سنة ١٥٢١ وكان لاون من عادتهِ ان يصرف الخريف في البرية خارج رومية فكان في تلك الاوقات يترك رومية وليس عليهِ حلتهُ البيضاء وما حُسب اكثر تشكيكاً هو انهُ لبس جزمة فمتع نفسهُ في ويتربو بصيد الجوارح وفي كرينتي بصيد الابل وجادت لهُ بحيرة بلسينا بلذة صيد السمك ومن هناك انتقل الى ضيعتهِ المحبوبة في مليانا حيث صرف وقتهُ في وسط الملاهي فان المغنين واصحاب الخلاعة

وجميع ارباب المهن الذين بواسطة مواهبهم يقدرون ان يزيدوا التسلية في ذلك المسكن البهج اجتمعوا حول الحبر وهناك بلغهُ الخبر باستفتاح ميلان فحصل هياج عظيم في الضيعة فان ارباب الديوان والقواد لم يقدروا ان يضبطوا انفسهم من الفرح والسويسيون اطلقوا بنادقهم وكان لاون من شدة الفرح يتمشى في مقصورتهِ الليل كلهُ وينظر حيناً بعد حين من الطاقة الى افراح الجنود والشعب فرجع الى رومية تعباً ولكنهُ سكران من النجاح وحالما وصل الى الفاتيكان شعر بانحراف مزاجهِ فقال لحشمهِ صلوا عني ثم لم يكن لهُ زمان حتى يتناول القربان المقدس فمات في عنفوان عمرهِ بسن خمسٍ واربعين في ساعة الظفر ضمن اصوات الابتهاج

فتبع الجمهور الحبر الى القبر وهم يوسعونهُ احتقاراً فانهم لم يقدروا ان يغفروا لهُ لاجل موتهِ من دون تناول القربان ولاجل تركهِ ديونهُ التي هي نتيجة مصاريفهِ الباهظة من دون وفاء فقال الرومانيون يخاطبونهُ انك قد نلت الحبرية كثعلب وتصرفت بها كاسدٍ وتركتها ككلب . هذا هو الخطاب الجنازي الذي اكرمت بهِ رومية البابا الذي حرم الاصلاح والذي اسمهُ يدل على عقبة عظيمة من التاريخ

وفي تلك الفترة ابتدات في رومية نفسها مضادة ضعيفة لروح لاون وروح رومية فان بعض الناس الاتقياء اقاموا هناك مصلًّى لاجل الافادة العامة وذلك بالقرب من الرقعة التي حسب التقليد كان المسيحيون القدماء معتادين على الاجتماع فيهِ وكان الامام في تلك الاجتماعات كونتاريني الذي سمع لوثيروس في وُرمس وهكذا ابتدا نوع من الاصلاح في رومية وذلك بقرب نفس الزمان الذي ابتدا فيها الاصلاح في وتنبرج وصح القول انهُ حيثما وجد زرع التقوى فهناك ايضاً توجد اصول الاصلاح ولكن تلك المقاصد الصالحة كانت عتيدة عن قليل ان تتلاشى . وذلك انهم لو كانوا في عصر آخر لاختاروا خليفةً للاون العاشر واحداً مثل غريغوريوس السابع او انوسنتيوس الثالث لو وجدوا مثلهما واما حينئذٍ فكان صالح المملكة يفضل على صالح الكنيسة وكان كرلوس الخامس

يطلب بابا من حزبهِ والكردينال دي ماديشي الذي صار في ما بعد اكليمنضس السابع اذ راى انهُ لا ينال التاج حينئذٍ صرخ قائلاً انتخبوا كردينال طرطوسا الذي هو كبير السن وكل واحد يعتبرهُ قديساً فوقع الانتخاب على ذلك الكردينال الذي كان من اهالي أترخت ونبغ من الرتب المتوسطة وتولى تحت اسم ادريانوس السادس وكان معلماً في لوفيان ثم معلماً لكرلوس الخامس وبصولتهِ تسربل بالارجوان الروماني البابا وي سنة ١٥١٧ والكردينال دي فيو ساعد في انتخابهِ فقال ان ادريانوس كانت لهُ يدٌ قوية في شجب لوثيروس من العلماء اللوفيانيين والكرديناليون اذ كانوا معيين ومذهولين انتخبوا هذا الاجنبي ولكن حالما استفاقوا حسب ما اخبرنا بهِ احد المورخين كادوا يموتون فرقاً والزعم بان هذا الهولاندي المتقشف لا يقبل التاج عزاهم قليلاً في اول الامر ولكن هذا الامل لم يكن ليدوم زماناً طويلاً وشخص پسكوين الحبر المنتخب بعلم مدرسة والكردينالين بصبيان تحت القضيب ومن شدة غيظ الاهالي خاف محفل الكردينالين لئلاَّ يلقوهم في النهر واما في هولاندا فبعكس ذلك كان الشعب يظهرون بواسطة فرحهم العمومي انهم مسرورون باعطائهم بابا للكنيسة وكُتِبَت كتابات وعُلّقت على صدور البيوت تقول أُترخت غرسَت ولوفيان سقت والامبراطور انمى فكتب هازلٌ تحت هذه العبارات واما الله فلم تكن لهُ يد في ذلك

ومع قلة الارتضاء الذي ابداهُ اولاً شعب رومية انطلق ادريانوس السادس الى تلك المدينة في شهر آب ١٥٢٢ وقُبِل قبولاً حسناً وشاع ان لهُ اكثر من خمسة آلاف معاش تحت يدهِ فطمع كل انسان بنصيب وكان العرش البابا وي لم يجلس عليهِ منذ سنين كثيرة حبر كهذا واذ كان عادلاً نشيطاً عالماً نقياً مخلصاً ذا آداب لا لوم فيها لم يكن شيءٌ من الانعام او الهوى قادراً على اعمائهِ بل تبع الطريق المتوسط الذي اختطهُ ايراسموس وقال في كتاب طُبِع ثانيةً في رومية في زمان حبريتهِ انهُ محقق ان البابا قد يغلط في قضايا الايمان بمحاماتهِ عن الاراتقة بآرائهِ واحكامهِ وهذا القول بالحقيقة هو امر مستغرب من بابا فاذا كان اهل

العصمة يجيبون ان ادريانوس غلط في هذه القضية فانهم بهذا الامر نفسهِ يثبتون ما ينكرونهُ وهو عدم عصمة الباباوات

فوصل ادريانوس الى الفاتيكان مع قهرمانهِ القديم الذي امرهُ ان يعتني باحتياجاتهِ القليلة بتوفير في ذلك القصر العظيم الذي ملأَهُ لاون العاشر بالتنعم والخلاعة فلم يكن لهُ ذوق يتفق بهِ مع سالفهِ وعند ما أُري صورة لاوكون الباهرة التي كانت قد كُشِفت منذ سنواتٍ قليلة واشتراها بوليوس الثاني بثمن باهظ تحول عنها كرهًا قائلاً انها اصنام الوثنيين ثم قال انهُ احب اليَّ ان اعبد الله في وظيفتي في لوفيان من ان اكون بابا في رومية واذ خاف من الاخطار التي كان الاصلاح يتهدد بها ديانة القرون المتوسطة لا من الاخطار التي كانت رومية ورياستها واقعة تحتها التي خافها الايطاليون كانت رغبتهُ القصوى ان يقاتلها ويدفعها وعلم ان الطريق الاحسن لذلك هو اصلاح الكنيسة اصلاحًا تحدثهُ الكنيسة نفسها فقال ان الكنيسة تحتاج الى اصلاح ولكن يجب ان نسير بالتدريج خطوة فخطوة فقال لوثيروس ان البابا يعني ان يكون بين الخطوة والخطوة قرون . وبالحقيقة بقيت الكنيسة قرونًا تمشي نحو الاصلاح ولكنهُ لم يكن ثمَّ مكان بعد للمماطلة بل الضرورة استدعت العمل

واذ كان ادريانوس امينًا في مقصدهِ شرع في طرد جميع الاشخاص الحائثين والمدنسين والمرابين من المدينة وهذا العمل كان لا محالة شاقًا لان هولاء كانوا جانبًا عظيمًا من الاهالي فاستهزأ بهِ الرومانيون في اول الامر وابتداوا سريعًا يبغضونهُ لان الحكم الكهنوتي والارباح العظيمة التي كانت تنتج منهُ وقوة رومية والملاهي والاعياد والبذخ التي كانت تملأُها لا بد من خسارتها خسارة ابدية اذا صار الرجوع الى السيرة الرسولية

وارجاع التاديب على الخصوص صادف مضادة قوية فان الكردينال الرفيع المتولي للقصاصات قال اننا لكي ننجح في ذلك يجب علينا اولاً ان نحيي غيرة المسيحيين الاولين فان العلاج هو اعظم من ان يحتملهُ المريض فيقتلهُ فاحذروا

لئلاَّ تخسروا ايطاليا باجتهادكم على حفظ جرمانيا وبالحقيقة صار سريعًا لادريانوس سبب اعظم للخوف من الرومانيين مما للخوف من اللوثرانيين انفسهم. واجتهدوا اولاً في ارجاعهِ الى الطريق الذي كان راغبًا في تركهِ والكردينال سودبريني فولترا الشيخ الداهي الذي كان صديقًا مخلصًا لاسكندر السادس ويوليوس الثاني ولاون العاشر كان مرارًا كثيرة ينطق بعبارات مناسبة لاعداد ادريانوس الفاضل لتلك السيرة التي هي غريبة عنهُ جدًّا التي كان يطلب منهُ ان يسيرها قال سودبريني ذات يوم ان الارانقة قد تكلموا في جميع القرون عن عوائد بلاط رومية الفاسدة ومع ذلك فالباباوات لم يغيروها قط ثم قال في وقت آخر ان الارتقات لا تقهر قط بواسطة الاصلاحات ولكن بالحروب المقدسة فاجاب الحبر بتنهد عميق وا اسفاه ما انكد حظ البابا اذ ليست لهُ حرية ولا على عملٍ مستقيم

الفصل الثالث

مجمع نورمبرج . هجوم السلطان سليمان . القاصد يطلب قتل لوثيروس

وفي ٢٣ اذار سنة ١٥٢٢ قبل وصول ادريانوس الى رومية انعقد المجمع في نورمبرج وكان اساقفة مرسبرج ومسنيا قد استاذنوا قبل ذلك الوقت من منتخب سكسونيا في ان يزوروا الاديار والكنائس التي في بلادهِ واذ زعم فردريك بان الحق لهُ قوة كافية لمدافعة الضلال اجاب طلبهم فحصلت الزيارة وكان الاساقفة وعلماؤُهم يعظون بقساوة ضد الاصلاح منذرين ومتهددين ومترجين ولكن براهينهم ظهرت عبثًا بدون جدوى واذ رغبوا في الالتجاء الى اسلحة اشد تاثيرًا طلبوا من الحكام المدنيين ان يجروا احكامهم فاجابهم اعوان الملك المنتخب ان هذه القضية هي ما يقتضي ان تفحص بحسب الكتاب المقدس . والملك المنتخب

في كبر سنهِ لا يقدر ان يشرع بدرس اللاهوت . فلم ترجع اجتهادات الاساقفة هذه احدًا الى حظيرة رومية ومرّ لوثيروس في البلاد بعد ذلك بقليل ونادى بعباراتهِ القوية المعتادة فمحا الآثار الضعيفة التي حدثت في بعض الاشخاص

وخشي لئلاَّ يفعل اخو الامبراطور الدوك فرديننند ما ابى فردريك ان يعملهُ وهذا الامير الشاب الذي تراس في بعض جلسات المجمع وحصل بالتدريج على ثبات اقوى خيف لئلاَّ تقوى غيرتهُ فيجرد بشراسة السيف الذي تركهُ في غمدهِ اخوهُ الذي هو اكثر حكمة وافضل سياسة وبالفعل كان قد شرع في اضطهاد قاسٍ ضد اصحاب الاصلاح في ولايتهِ الوراثية في اوستريا الاَّ ان الله في اوقات كثيرة قد استعمل لاجل نجاة الديانة المسيحية المتجددة نفس الآلة التي استعملها في اخراب الديانة المسيحية الفاسدة فظهر الهلال في مقاطعات هنكاريا المرتعدة لانهُ في ٩ آب بعد حصار ستة اسابيع سقط بلغراد حصن تلك البلاد والمملكة امام هجمات السلطان سليمان فنسي مجمع نورمبرج لوثيروس لكي يفتكر فقط في امر سلطان القسطنطينية ولكن كرلوس الخامس حفظ الامرين في عقلهِ وفي ٢١ تشرين الاول كتب الى البابا من مدينة ڤالادولد يقول يجب ان نطرد هولاء ونقاص عاضدي تعاليم لوثيروس السامة بالسيف

والعاصف الذي تراءى كانهُ زال عن الاصلاح وتحول نحو المشرق اجتمع ايضًا سريعًا فوق راس المصلح فان رجوعهُ الى وتمبرج والغيرة التي ابداها هناك عادا فاضرما البغضة . قال الدوك جرجس الآن اذ نعلم اين نقبض عليهِ دعونا نجري حكم ورمس . وقيل ايضًا في جرمانيا ان كرلوس الخامس وادريانوس السادس يجتمعان في نورمبرج لانهاء مقاصدهما . قال لوثيروس ان الشيطان يشعر بالجراح الذي اثخن بهِ وهذا هو سبب شراستهِ بهذا المقدار الاَّ ان المسيح قد مد يدهُ وهو سوف يدوسهُ تحت قدميهِ رغمًا عن انف ابواب الجحيم

وفي شهر كانون الاول سنة ١٥٢٢ انعقد المجمع ايضًا في نورمبرج ودل كل شيء على ان لوثيروس هو العدو العظيم الذي يشغلهُ في جلسة الشتاء وادريانوس

السادس بسبب تناسلهِ من اصل جرماني وعد نفسهُ بانهُ يكون اكثر قبولاً عند امتهِ من بابا اصلهُ ايطاليٌّ ومن ثم وكّل كياريغاتي الذي كان قد تعرف بهِ في اسبانيا ان ينطلق عنهُ الى نورمبرج . وحالما انفتحت الجلسة تكلم امراء كثيرون كلامًا قويًا ضد لوثيروس وطلب الكردينال رئيس اساقفة سلزبرج الذي كانت لهُ دالة عند الامبراطور ان تستعمل وسائط قوية بالحال ضد لوثيروس قبل وصول ملك سكسونيا المنتخب واخ كلٌّ من يواكيم منتخب برندنبرج الذي كان دائمًا ثابتًا في عزمهِ وكاتب تراويس على اجراء حكم ورمس واما باقي الامراء فكانوا على الاكثر غير عازمين وغير متفقين في آرائهم وحالة الاضطراب التي كانت الكنيسة واقعة فيها ملأت اصدق خدامها كآبة فان اسقف ستراسبرج صرخ في اجتماع حافل قائلاً اني كنت اعطي واحدة من اصابعي لكي لا اكون كاهنًا

اما كياريغاتي مع كردينال سلزبرج فطلب موت لوثيروس فقال باسم البابا قابضًا بيدهِ على منشور الحبر يجب علينا ان نقطع من الجسد هذا العضو المتغنغر. ان آباءكم قد اماتوا يوحنا هس وابرونيموس من براك في قسطنسيا الاَّ انهما عاشا ايضًا في لوثيروس فاقتفوا مثال اجدادكم المجيد واربحوا بمعونة الله ومار بطرس غلبة عظيمة على التنين الجهنمي

ولما قُرِئَ منشور ادريانوس المتصف بالتقوى واللطف وقعت الرعدة على اكثر الامراء . لان كثيرين كانوا قد ابتدأوا يفهمون لوثيروس فهمًا احسن وطمعوا من البابا في امور احسن فقالوا في انفسهم ان رومية اذًا لا تقر تحت حبرٍ كادريانوس بغلطاتها بل لا تزال تطلق صواعقها وولايات جرمانيا عن قريب تخرب وتغوص في الدماء. واذ بقي الامراء في حالة الكآبة والسكوت ضجَّ الاساقفة واعضاء المجمع في مصالح رومية فصرخوا كما يخبرنا السفير السكسوني الذي كان حاضرًا في الجلسة قائلين فليُقتَل

وسُمِع في كنائس نورمبرج كلام يخالف ذلك كل المخالفة فان الشعب كانوا يجتمعون اجواقًا في المعبد الملاصق لمحل المرضى ولكنائس الاوغسطينيين على اسم

مار سبالدوس ومار لورنسوس لكي يسمعوا الوعظ بالانجيل فان اندراوس اوسياندر كان يعظ بقوة في الكنيسة الثانية وكثيرون من الامراء ولا سيما البرت شريف برندنبرج الذي هو رئيس وجاق الفرسان التوتونية ورتبتهُ بعد رؤساء الاساقفة ترددوا مراراً الى هناك وكان الرهبان يتركون الاديار في المدينة وتعلموا الصنائع لكي يحصلوا معاشهم باتعابهم

اما كياريغاني فلم يقدر ان يحتمل هذا المقدار من الجراءة فحرض على القاء الخوارنة والرهبان العصاة في السجن وان المجمع مع مضادة وكلاء ملك سكسونيا القوية والمرغريف كسمير عزم على القاء القبض على الرهبان الاَّ انهُ ارتضى بان يخبر اولاً اوسياندر ورفاقهُ بدعوى القاصد فاقاموا عمدة لذلك كان رئيسها كردينال سالسبرج المترفض فكان الخطر قريباً والمصارعة عتيدة ان تبتدي والذي هيج ذلك هو مجلس الامة . الآن الشعب كانوا متوقعين ذلك واذ كان المجمع يتفاوض عما يجب ان يُصنَع بهولاء الخدام كان مجلس مدينة نورمبرج يتبصر كيف يجب ان يتصرف نظراً الى حكم المجمع فقرَّ رايهم من دون جواز حدود سلطانهم انهُ اذا صارت مزاولات في القاء اليد الاغتصابية على واعظي المدينة يجب اطلاقهم بالقوة وهذا القرار كان ذا معنى عظيم فتحير المجمع واجاب القاصد انهُ لا يجوز القبض على واعظي مدينة نورمبرج المستقلة ما لم يحكم عليهم قبلاً بالارتقة

فاغتاظ جدًّا كياريغاني من هذه الاهانة الجديدة على سلطنة الباباوية الكلية فقال بعنو لفرديناند فاذاً لا تعملوا شيئاً ولكن دعوني اعمل فاني ساقبض باسم البابا على هولاء الواعظين . وحالما بلغ البرت كردينال ورئيس اساقفة منتز والمرغريف كسمير هذا العزم المفرط بادرا الى القاصد طالبين منهُ ان يعدل عن عزمهِ واما هو فكان غير متزعزع مدَّعياً انهُ في حضن العالم المسيحي الطاعة للبابا هي اهم من كل شيء فترك الاميران القاصد قائلين لهُ اذا اصررت على عزمك فاننا نرغب ان تحذرنا لاننا نحن نترك المدينة قبل ان تتجاسر على القاء

القبض على هولاء الواعظين . فحل القاصد عن عزمهِ . واذ يئس من الحصول على مرغوبهِ بواسطة السيف المدني عزم على الاستعانة بوسائط اخرى وبهذا الاعتبار اخبر المجمع بمقاصد البابا واوامرهِ التي كان قد حفظها في السر الى ذلك الوقت

ولكن الفاضل ادريانوس اذ جهل طرق العالم اضرَّ بواسطة حريتهِ الامر الذي رغب من قلبهِ في اتمامهِ فقال في الاحكام التي سلمها الى قاصدهِ اننا نعلم جيدًا انهُ الى مدة سنين كثيرة دخل المدينة المقدسة بعض المساوي والارجاس والمرض قد امتد من الراس الى الاعضاء ونزل من الباباوات الى سائر الاكليروس فرغبتنا هي ان نصلح هذا البلاط الروماني الذي يخرج منهُ شرور هذا مقدارها فان العالم باسرهِ تائق الى ذلك ولاجل اجرائهِ قد قبلنا بالارتقاء الى الكرسي الباباوي

ان احزاب رومية احمرُّوا خجلاً لما سمعوا تلك العبارات غير الاعتيادية وافتكروا ان ذلك الاقرار مفرط الخلوص واما اصدقاء الاصلاح فبعكس ذلك ابتهجوا عند ما راوا رومية تنادي بفساد نفسها ولم يعودوا يشكون بعد باستقامة راي لوثيروس لان البابا نفسهُ قد حكم بذلك . وجواب المجمع بيَّن الى اية درجة كان سلطان الحبر الروماني قد سقط في المملكة كانَّ روح لوثيروس دخل في قلوب وكلاء الامة فكان الوقت مناسبًا وكانت اذنا ادريانوس مفتوحتين وكان الامبراطور غائبًا فقرَّ راي المجمع ان تتضمن في رسالة واحدة كل التعديات التي كانت جرمانيا قد احتملتها مدة قرون من رومية ويرسلوها الى البابا

فخاف القاصد من ذلك العزم فترجى مرةً وتهدد اخرى ولح بان المصلح يخبي تحت رداء ديني مفاسد عظيمة سياسية وزعم كادريانوس ان اولاد الاثم هولاء ليست لهم غاية الآن بلاشوا كل طاعة ويقودوا كل انسان الى ان يفعل كما يشاء فقال هل يحفظ شرائعكم هولاء الناس الذين لا يحتقرون فقط قوانين

البابا بل ايضاً يمزقونها ويحرقونها بشراستهم الشيطانية وهل يوفرون حياتكم وهم لا يخافون من ان ينهبوا ويضربوا ويقتلوا مسيح الرب وهذه المصيبة المخيفة انما تتهدد اشخاصكم وامتكم وبيوتكم وزوجاتكم واولادكم وممالككم وهياكلكم وكل ما تحترمونه

ان جميع تلك الخطب لم تفد شيئاً والمجمع مع انه مدح مواعيد البابا طلب لاجل اتمامها سريعاً انعقاد مجمع مسيحي حر بسرعة على قدر الامكان في ستراسبرج او منتز او كولون او متز بحضرة جماعة من العوام . فتعجب الاكليروس من هذا الطلب . فهل العوام يدخلون مجمعاً ويدبرون مصالح الكنيسة برفقة الخوارنة . ان ذلك فوق ما نراهُ حتى الآن في بلدان كثيرة بروتستانتية . ثم استدلى المجمع قائلاً انهُ يجب ان تكون لكل انسان حرية لان يتكلم واضحاً لاجل مجد الله وخلاص النفوس وخير الجماعة المسيحية ثم تقدم الى رقم قائمة تشكياتهِ فبلغ عددها ثمانين شكاية فان تصنعات وحيل الباباوات والديوان الروماني في سلب المال من جرمانيا واساءات وتدانيس الاكليروس وسيمونيا المحاكم الكنائسية وتعدي الاكليروس على السلطة المدنية لاجل استعباد الضمير كل ذلك دُوِّن بكل حرية وعزم وبيَّن اعضاء الديوان للبابا ان تقليدات الناس هي مصدر كل هذا الفساد وختموا كلامهم بقولهم فاذا كانت هذه الاضرار لا تزال في وقت قصير فاننا نلتمس وسائط اخرى لكي ننجو من مظالم وآلام هذا مقدارها . فلما راى كيار يغاني عزم المجمع ترك نورمبرج حالاً لكي لا يلتزم ان يحمل هذه الرسالة المهينة

ثم ان البعض زعموا في الاول ان المجمع يعوض عن جسارتهِ هذه بتضحيتهِ لوثيروس ولكن روح عدلٍ وحق كان قد حل على تلك الجماعة فانهم طلبوا كما كان لوثيروس قد طلب قبلاً التئام مجمع حر في المملكة وانهُ في تلك الفترة يُوعَظ بالانجيل وحدهُ وان لا يُطبَع شيءٌ الا باذن عدد معين من اناس علماء اتقياء . وهذا القرار يرينا النجاح العظيم الذي كان للاصلاح بعد مجمع وُرمس وليس كذلك فقط بل فارس فيلتسخ السفير السكسوني قاوم برزانة هذا الفحص

الجزئي للمطبوعات المتقدم ذكرهُ وهذا الحكم قد حُسِب اول غلبة للاصلاح تتبعها غلبة اثبت واهل سويسرا في وسط جبالهم ابتهجوا فرحًا وقال زوينكل ان الحبر الروماني قد اضمحل في جرمانيا فليس لنا عمل آخر الآن نجردهُ من سلاحهِ فهذه هي الحرب التي يلزمنا الآن ان نجريها ولا بد انها تكون قوية جدًّا ولكن المسيح منهي الخصام فيها وقال لوثيروس علانية ان الله نفسهُ قد الهم الامراء تدوين هذا الحكم

اما في الفاتيكان فهاج الغضب بين خدام البابا هياجًا عظيمًا جدًّا فقالوا ماذا . أَوليس بكافٍ الحصول على بابا يخيب جميع آمال الرومانيين ولا يوجد في بلاطهِ غناء ولا لعب وفوق ذلك يؤذن للامراء العالميين ان يعضدوا كلاما تكرههُ رومية ويابوا ان يقتلوا الاراتيكي الوتمبرجي وامتلأ ادريانوس نفسهُ حنقًا من الحوادث في جرمانيا وافرغ غضبهُ على راس ملك سكسونيا المنتخب ولم تكن قط احبار رومية قد هتفت بصوت جزع اعلى ولا افزع . فقال ادريانوس التقيُّ في المكتوب الذي كتبهُ الى الملك المنتخب قد صبرنا زمانًا طويلاً ولعلهُ اطول مما ينبغي وكنا تائقين الى ان نرى هل يفتقد الله نفسك وهل لا تهرب اخيرًا من فخاخ الشيطان ولكن عند ما توقعنا ان نجني عنبًا لم نجد سوى الحصرم والنافخ قد نفخ باطلاً فان شرَّك لم يفنَ فافتح اذًا عينيك لكي تنظر عظمة سقوطك

فاذا انتقضت وحدة الكنيسة وتحوَّل البسطاء عن ذلك الايمان الذي كانوا قد ارتضعوهُ من اثداء امهاتهم واخربت الهياكل وكان الشعب بلا خوارنة والكهنة لا ينالون الكرامة الواجبة لهم وكان المسيحيون بلا المسيح فالى من ينسب ذلك الاَّ اليك . واذا زال السلام المسيحي من العالم وكان العالم مملوًّا من الاختلاف والعصيان والخطف والقتل والاحراق وسمع صوت الحرب من الشرق الى الغرب وقرب قتال عمومي فانت نعم انت هو فاعل كل هذه الامور

أَلم ترَ هذا الرجل المنافق (يعني لوثيروس) يمزق بيديهِ الخبيثتين ويدوس تحت قدميهِ النجستين صور القديسين حتى صليب المسيح المقدس اولم ترهُ بغضبهِ

النفاقي يحرك العوام لكي يضرجوا ايديهم بدم الكهنة ويقلبوا كنائس ربنا ثم ماذا يضرُّ ولو كان الكهنة الذين يقاومهم اشرارًا أفلم يقل الرب فكل ما قالوا لكم ان تحفظوهُ فاحفظوهُ وافعلوهُ ولكن حسب اعمالهم لا تعملوا (مت ٢٣: ٣) وبذلك يبين الكرامة الواجبة لهم حتى عند ما تكون سيرتهم تستحق اللوم فيا لهُ من مرتد عاصٍ فانهُ لا يخجل من ان ينجس الآنية المكرسة لله بل يجتذب من المقدس العذارى المكرسات للمسيح ويسلمهنَّ للشيطان وياخذ كهنة الرب ويسلمهم للعواهر الوقحات فما اهول هذا النفاق الذي حتى الوثنيون انفسهم لا يطيقونهُ في كهنة اصنامهم

فاي قصاص واي عذاب تظن اننا نحكم بانك مستوجبها فاشفق على ذاتك واشفق على اهل بلادك السكسونيين الاشقياء لانكم ان لم ترجعوا كلكم الى الصيرة يسكب الله انتقامهُ عليكم

فانا باسم الله القادر على كل شيءٍ وربنا يسوع المسيح الذي انا نائبهُ على الارض احكم بانك ستقاصُّ في هذا العالم وتغرق في النار الابدية في العالم الآتي فتب وارجع فان سيفين مرهفين معلقان فوق راسك سيف المملكة وسيف الكنيسة

اما فردريك التقي فارتعد عند ما قرأ هذا المكتوب التوعدي وكان قد كتب الى الامبراطور قبل ذلك بقليل يخبرهُ بان كبر السن والمرض قد صيراهُ غير قادر على تعاطي هذه الامور مهما كان قليلاً وكان قد اجيب بمكتوب هو اقسى ما كُتِب يومًا لامير متسلط واذ ذاك فمع انهُ كان قد انحنى تحت ثقل السنين ألقى ناظرتيهِ على ذلك السيف الذي تقلدهُ عند القبر المقدس في عنفوان صبائهِ وشرع يفتكر بانهُ قد يضطر الى تجريدهِ محاماةً عن ضمائر رعاياهُ وبانهُ مع كونهِ قد صار على حافة قبرهِ لا يسمح لهُ بالانحدار اليهِ بسلام فكتب حالاً الى وتمبرج لكي يستشير آباء الاصلاح في ذلك

وهناك ايضًا خشوا من القلاقل والاضطرابات فصرخ ملانكثون ماذا

اقول والى ابن التحول فان البغضة تغشانا والعالم قد اشتغل حنقًا علينا . فحصلت المفاوضة بين لوثيروس ولنك وملانكثون وبوغنهاجن وامسدورف في كيفية الجواب الذي ينبغي ان يقدم للملك المنتخب فكان جوابهم بجملتهِ تقريبًا بمعنى واحد والنصيحة التي قدموها لهُ كانت معتبرة جدًّا

قالوا ليس امير يقدر ان يفتح حربًا من دون رضى الشعب الذين قبل سلطانهُ من ايديهم والآن الشعب لا يرغبون في ان يحاربوا لاجل الانجيل لانهم لا يؤمنون ولهذا لا يجب ان الامراء يحملون السلاح فانهم ولاة الشعب ومن ثمَّ هم ولاة غير المؤمنين . وهكذا اشار لوثيروس الجسور على الملك المنتخب ان يرد سيفهُ الى غمدهِ ولم يكن ممكنًا لهُ ان يرد جوابًا احسن لتقريع البابا لهُ بكونهِ يحرك الشعب كي يضرجوا ايديهم بدماء الاكليروس . وقليلة هي الطبائع التي اخطا الناس في فهمها مثلما اخطاوا في فهم طبيعة لوثيروس وكان تاريخ هذه النصيحة ٨ شباط فضبط فردريك نفسهُ

اما غضب البابا فاثمر سريعًا فان الامراء الذين كانوا قد دوَّنوا تشكياتهم على رومية اذ خافوا من جسارتهم في ذلك رغبوا في ان يصلحوا الحال بواسطة مطاوعتهم وكثيرون غيرهم افتكروا بان الغلبة تبقى الى جانب الحبر الروماني اذ ظهر انهُ الحزب الاقوى . فقال لوثيروس الامراء في ايامنا يكتفون بالقول ان الثلاثة في الثلاثة تسعة والسبعة في اثنين اربعة عشر فالحساب صحيح فالعمل ينجح . وحينئذٍ يقوم الرب الهنا ويقول كم تحسبونني ربما تحسبونني صفرًا . ثم يقلب حساباتهم فتظهر فاسدة

الفصل الرابع

اثارة الاضطهاد . اجتهاد الدوك جرجس . الاضطهاد في البلاد الواطئة

ان نهر النار الذي قذفهُ ادريانوس المتواضع الوديع اضرم حريقًا ولهيبهُ

المضطرم احدث هياجًا عظيمًا في كل العالم المسيحي والاضطهاد الذي بقي مدة خامدًا هاج جديدًا فارتعد لوثيروس لاجل جرمانيا واجتهد في تسكين العاصف فقال اذا كان الامراء يضادون الحق تكون النتيجة اضطرابًا يهلك الامراء والولاة والخوارنة والشعب فاني اخاف من ان ارى جرمانيا بعد قليل غارقة بالدم فلنقم كحائط ونحفظ شعبنا من سخط الهنا فان الشعوب ليسوا الآن كما كانوا قبلاً بل سيف الحرب المدني معلق فوق رؤوس ملوكنا فانهم عازمون على اهلاك لوثيروس واما لوثيروس فانهُ عازم على تخليصهم فالمسيح يحيا ويملك وانا سوف احيا واملك معهُ

وهذه الكلمات لم تؤثر لان رومية كانت مسرعة في التقدم نحو المشانق وسفك الدماء. والاصلاح كيسوع المسيح لم يات ليجلب سلامًا بل سيفًا وكان الاضطهاد امرًا ضروريًا في مقاصد الله وكما ان بعض الاشياء تقسو بالنار لاجل حمايتها من تاثير الهواء كذلك الامتحان الناري قد قُصِد بهِ حماية الحق الانجيلي من صولة العالم ولكن النار فعلت اكثر من ذلك ايضًا فانها ساعدت كما في الازمان القديمة للديانة المسيحية ان تضرم في قلوب الناس غيرة عمومية لامر اضطُهِد بهذا المقدار من القساوة لانهُ متى ابتدا الانسان ان يعرف الحق يشعر بحنق مقدس على الظلم والتعدي وغيرة نازلة من السماء تسوقهُ الى جانب المظلومين وفي الوقت نفسهِ برفعهُ ايمان الشهداء وبريحهُ ويقودهُ الى ذلك التعليم الذي يعطي شجاعة وسلامًا مثل ذلك

وكان الدوك جرجس قائدًا في الاضطهاد وراى اجراء ذلك في بلادهِ فقط امرًا زهيدًا فرغب فوق كل شيءٍ في خراب سكسونيا الانتخابية التي هي مقر الارتقة ولم يالُ جهدًا ان يحرك الملك المنتخب فردريك والدوك يوحنا فكتب اليهما من نورمبرج يقول ان تجارًا من سكسونيا يخبرون بامور غريبة عن تلك البلاد ما هو مضاد لكرامة الله والقديسين قالوا انهم ياخذون الخبز في عشية الرب بايديهم وان الخبز والخمر يتقدسان بلغة الشعب ودم المسيح يوضع في

آتية دارجة وأنهُ في بولنبرج دخل الكنيسة رجل راكبٌ حمارًا لكي يهين الخوري وعلى ذلك فما هي النتيجة فان المعادن التي اغنى بها الله سكسونيا قد نفدت منذ وجود خطب لوثيروس المبدعة وايت الذين يفتخرون بانهم قد رفعوا شان الانجيل في تلك الانتخابية كانوا بالحري قد حملوهُ الى القسطنطينية فان نغمة لوثيروس حلوة وسارَّة الَّا ان هناك ذنبًا مسمومًا يلسع كذنب العقرب فلنتاهب الآن للقتال ولنسجن هولاء الرهبان المنافقين والخوارنة الوقحين لان الشيب قد وخطنا ولحانا قد ابيضت وذلك يدلنا على انهُ لم يبقَ لنا الَّا وقت قصير للعمل

هكذا كتب الدوك جرجس الى الملك المنتخب فاجابهُ جوابا قويًّا ولكن بلطافة بقولهِ اذا كان احد يرتكب ذنبًا في بلادهِ فانهُ يعاقب عقابًا واجبا واما ما يتعلق بالضمير فانهُ يجب تركهُ لله

واذ لم يقدر جرجس على اقناع فردريك بادر الى اضطهاد اتباع العمل الذي كرههُ فحبس الرهبان والخوارنة الذين تبعوا لوثيروس وارجع التلاميذ الذين من ولايتهِ من المدارس التي كان الاصلاح قد وصل اليها وامر بدفع جميع نسخ العهد الجديد باللسان الدارج الى الولاة وأُجرِي ذلك بعينهِ في اوستريا ووتمبرج ودوكية برنسويك

اما البلاد الواطئة التي هي راسًا تحت سلطة كرلوس الخامس ففيها برز الاضطهاد بقساوة عظيمة جدًّا . كان دير الاوغسطينيين في انتورين ممتلئًا من رهبان قد ترحبوا بحقوق الانجيل وكثيرٌ من الاخوة كانوا قد صرفوا زمانًا في وتمبرج ومنذ سنة ١٥١٩ اُنودي في كنيستهم بالخلاص بالنعمة بنشاط عظيم فقُبض على الرئيس يعقوب بروبست رجل غيور وللخبور ميرسخ المشهور لاجل مواهبهِ وفطنتهِ وأُخِذا الى بروسلس في اواخر سنة ١٥٢١ فأُحضرا امام الياندر وغلاپيو واساقفة كثيرين غيرهما واذ اخذت بروبست البغتة وارتبك وخاف رجع عن عزمهِ واما للخبور ميرسخ فانهُ وجد وسائط لتسكين ديانيهِ فنجا من الرجوع ومن القتل جميعًا

وتلك الاضطهادات لم تخف الرهبان الذين بقوا في الدير في انتوربن بل استمروا ينادون بالانجيل بقوة وكان الناس يأتون لاستماعهم بازدحام حتى ان كنيسة الاوغسطينيين في تلك المدينة ضاقت عليهم كما صار الحال في كنيسة وتمبرج وفي تشرين الاول سنة ١٥٢٢ دهمهم العاصف الذي كان برعد فوق رؤوسهم فأُغلق الدير وأُلقي الرهبان في السجن وقُضي عليهم بالموت فهرب قليل منهم والبعض من النساء نسينَ ضعف جنسهنَّ وخطفنَ واحدًا منهم اسمهُ هنري زفتن من ايدي الجلّادين ونجا ثلاثة من الرهبان الشبان وهم هنري فوس ويوحنا اسخ ولمبرت ثورن حينًا من تفتيش المفتشين وجميع آنية الهيكل المقدسة بيعت وسُدَّت الابواب ونُقِل القربان المقدس كانهُ من مكان نجس وقبلتهُ مرغريتا حاكمة البلاد الواطئة باحتفال في كنيسة العذراء الطاهرة . وصدرت الاوامر ان لا يبقى من ذلك الدير الاراتيكي حجرٌ على حجر وكثيرون من الرجال والنساء ممن اصغى بفرح للانجيل طُرِحوا في السجن . وعندما بلغ لوثيروس خبر ذلك امتلأ حزنًا وقال ان الامر الذي نحامي عنهُ لا يلبث بعد ان يكون محض لعبة بل لا بد لهُ من دم وهو يطلب حياتنا

وكان ميرسخ وبروبست مزمعين ان يصادفا انصبة مختلفة جدًّا فان ميرسخ الفطن صار عاجلاً الآلة المطيعة لرومية ووكيل الاحكام الملكية ضد اتباع الاصلاح واما بروبست فبالعكس اذ نجا من ايدي المفتشين بكى على انصدادهِ فرجع عن رجوعهِ ونادى بجسارة في بروجس من اعمال فلندرس بالتعاليم التي كان قد نكل عنها واذ قُبِض عليهِ ثانيةً طُرِح في السجن في بروسلس وظهران موتهُ لا بدَّ منهُ فتحنن عليهِ راهب فرنسيسي وساعدهُ على الهرب . قال لوثيروس ان بروبست محفوظ باعجوبة من الله ووصل الى وتمبرج حيث ملأَت نجاتهُ المضاعفة قلوب اصدقاء الاصلاح فرحًا

وكان الخوارنة الرومانيون تحت السلاح من كل جانب . ومدينة ملتنبرج الواقعة على نهر الماين المختصة برئيس اساقفة منتز هي احدى المدن الجرمانية التي

كانت قد قبلت كلمة الله باعظم رغبة وكان الاهالي متعلقين جدًّا براعيهم يوحنا دراكو وهو من اعظم اهل عصرهِ تنورًا فاضطر الى الخروج من المدينة ولكن الاكليروس الرومانيين خافوا وخرجوا في الوقت نفسهِ اختشاء من انتقام الشعب منهم وبقي شماس انجيلي لاجل تعزية قلوبهم وفي الوقت نفسهِ اتت عساكر من منتز الى المدينة وتفرقوا في الاسواق يجدفون ويلعبون بسيوفهم ويطلقون عنان الشراهة لانفسهم . فسقط البعض من المسيحيين الانجيليين تحت ضرباتهم وقُبض على آخرين والقوا في السجون وأُرجعت الطقوس الرومانية ونُهي عن قراءة الكتاب المقدس ومنع الاهالي عن الكلام من جهة الانجيل حتى في الاجتماعات السرية جدًّا وعند دخول العساكر كان الشماس المذكور قد التجأ الى بيت ارملة فأُخبر قوادهم بهِ فارسلوا جنديًّا لكي يقبض عليهِ ولما سمع الشماس المتواضع سرعة خطوات الجندي الذي كان طالبًا حياتهُ انتظرهُ بهدو وحالما فتح بغتةً باب البيت الذي كان فيهِ تقدم الى قدام بوداعة واعتنقهُ بمحبة قلبية وقال لهُ اني اترحب بك ايها الاخ فهانذا ادخل سيفك في احشائي فتحير الجندي عند ذلك ورمى بسيفهِ من يديهِ وحمى الانجيلي التقي من كل اذًى

اما في البلاد الواطئة فكان المفتشون متعطشين الى الدم وطافوا البلاد يفتشون في كل مكان على شبان الرهبان الذين نجوا من الاضطهاد في انتوربن واخيرًا وُجد اسخ وفوس ولمبرت فقيِّدوا وقيدوا الى بروسلس وامرهم اغمندانوس وهوخستراتن وكثيرون غيرهما من المفتشين بالحضور امامهم فسالهم هوخستراتن أَترجعون عن دعواكم بان الخوري ليس لهُ سلطان ان يغفر الخطايا وان ذلك يختص بالله وحدهُ ثم اخذ يعدد تعاليم اخر انجيلية طلب منهم ان ينكلوا عنها فقال اسخ وفوس كلَّا اننا لا نرجع عن شيءٍ ولا ننكر كلمة الله بل احب الينا ان نموت لاجل الايمان

فقال المفتش اقروا بان لوثيروس قد اضلكم

فقالوا كما اضل يسوع المسيح الرسل

فقال نحن نحكم عليكم بانكم ارانقة تستوجبون الاحراق احياء ونحن نسلمكم للحكومة

واما لمبرت فبقي صامتًا فان منظر الموت ارعبهُ والحزن والشك عذبا نفسهُ فقال بصوت ضعيف انا اطلب فرصة اربعة ايام فأُرجع الى السجن ثم خلع عن اسخ وفوس وظيفتهما الكهنوتية ودُفعا الى مجلس والي البلاد الواطئة فسلمهما المجلس مقيدين الى الجلاد ورافقهما هوخستراتن وثلاثة آخرون من المفتشين الى الاوتاد . وعند ما وصل الشهيدان الشابان الى الاوتاد نظرا اليها بهدو وثباتهما ونقواها وسنهما انزلت العبرات حتى من اعين المفتشين انفسهم وعند ما رُبطا تقدم اليهما المعرّفون قائلين اننا نسالكم مرة اخرى هل تقبلان الايمان المسيحي

فاجاب الشاهدان اننا نؤْمن بالكنيسة المسيحية ولكن لا بكنيستكما

وبعد نصف ساعة تردد المفتشون واملوا ان منظر موتة هائلة كهذه قد تضعف عزم هذين الشابّين الّا انهما كانا هاديين في وسط المحفل المضطرب في المكان ورتلا مزامير من حين الى حين وصرّحا بجراءة علانية اننا نموت لاجل اسم يسوع المسيح

فصرخ المفتشون ارجعا ارجعا والّا فتموتا باسم الشيطان فاجاب الشهيدان كلّا بل نموت مسيحيين ولاجل حق الانجيل

فأُضرم الوقود وبينما كان اللهيب يتصاعد ملأت سلامة سموية قلبيهما وقال احدهما كاني اضطجع على فراش من ورد فاتت الساعة المهيبة وكان الموت قريبًا فصرخ الشهيدان بصوت عالٍ يا رب يسوع ابن داود ارحمنا ثم شرعا يتلوان بخشوع قانون الرسل واخيرًا وصل اللهيب اليهما واحرق الرباطات التي قيدتهما بالاوتاد قبل زهوق روحهما فسقط احدهما مغتنمًا الفرصة على ركبتيه في وسط النار وهتف يعبد معلمهُ مصفقًا بيديهِ قائلًا يا رب يسوع ابن داود ارحمنا ثم احدق اللهيب بجسديهما فرتلا هلمّ نمدح الرب ثم اختفى سريعًا صوتهما ولم يبقَ شيء الّا رمادهما . وهذا العمل بقي اربع ساعات وكان اول تموز سنة ١٥٢٣ لما بذل

الشهيدان الاولان للاصلاح حياتهما لاجل الانجيل

ان جميع الناس الصالحين نفروا مشمئزين عند ما بلغهم ذلك ونظر المستقبل ملأهم باشد الاشفاقات . قال ابراسموس ان القتل قد ابتدا وصرخ لوثيروس ان المسيح قد اخذ اخيرًا في جمع بعض الاثمار من وعظنا واقام شهداء حديثين

والفرح الذي خالج قلب لوثيروس من جراء ثبات هذين المسيحيين الشابين كدرهُ الفكر بامر لمبرت لان هذا كان اعلم منهما فانهُ كان قد ارتقى الى رتبة بروبست نظير واعظ في انتوربن واذ اضطرب من سجنهِ وخاف من الموت كان اكثر اضطرابًا بسبب ضميرهِ الذي كان يقرعهُ بالجبانة ويحرضهُ ان يعترف بالانجيل ثم نجا سريعًا من مخاوفهِ وبعد ان نادى بجراءة بالحق مات كما مات اخواهُ . ونبع من دم هولاء الشهداء حصاد غني وافر فتحولت بروسلس نحو الانجيل . قال ابراسموس حيثما اقام الياندر وقودًا يكون كانهُ قد زرع هناك اراتقة فنبتوا . وقال لوثيروس ان وثاقاتكم هي لي وسجونكم ووقودكم المضطرم هي لي . فاننا جميعًا معكم والرب هو راسنا ثم نظم شعرًا لطيفًا تذكارًا لهولاء الرهبان الشبان وتلك الابيات سُمعت سريعًا في جرمانيا وسويسرا في المدن والبر واحدثت في كل جهة غيرة وقادة نحو ايمان هولاء الشهداء

الفصل الخامس

البابا الجديد اكليمنضوس السابع . القاصد كمباجيو . مجمع نورمبرج . حبل رومية . معاهدة راتسبون . الامر الصادر من برغس

لا ريب ان ادريانوس كان قد اصرَّ على تلك الاعمال القاسية فان عدم استفادتهِ من تعبهِ في ايقاف الاصلاح واستقامة ايمانهِ وغيرتهُ وصرامتهُ وحاسياتهِ كانت لا محالة تجعلهُ مضطهدًا قاسيًا ولكن العناية لم تسمح بذلك فتوفي في ١٤

ايلول سنة ١٥٢٣ واذ طار الرومانيون فرحًا بخلاصهم من ذلك الاجنبي الصارم كللوا باب طبيبهِ بالزهور وكتبوا عليهِ هذه العبارة الى منقذ بلادهِ

فخلف جيوليودي ماديشي ابن عم لاون العاشر ادريانوس السادس تحت اسم اكليمنضوس السابع ومن يوم انتخابهِ لم يكن سوال بعد عن اصلاح ديني فان البابا الجديد مثل كثيرين من سلفائهِ لم يهتم الاَّ بحفظ حقوق البابا وية واستعمال دخلها في تعظيم نفسهِ

واذ رغب اكليمنضوس في اصلاح غلطات ادريانوس ارسل الى نورمبرج قاصدًا متخلقًا باخلاقهِ اسمهُ كمپاجبو وهو من احذق اساقفة ديوانهِ وذا خبرة عظيمة في المصالح السياسية وعرف كل امراء جرمانيا تقريبًا وهذا الكردينال بعد ان قُبل قبولاً جليلاً في المدن الايطالية التي مر عليها في طريقهِ ادرك سريعًا التغيير الذي كان قد حدث في المملكة فانهُ عند ما دخل اوجسبرج طالب كجاري العادة ان يعطي بركتهُ للشعب فضحكوا متهكمين وكان ذلك كافيًا فدخل نورمبرج سرًّا من دون انطلاق الى كنيسة القديس سبالدوس حيث كان الاكليروس في انتظارهِ فلم يأتِ كهنة بالملابس الكهنوتية للقائهِ ولا حمل صليب باحتفال امامهُ فكانَّ شخصًا دارجًا مرَّ في ازقة المدينة وكل شيء دل على ان ملك البابا وية هناك قربت نهايتهُ

وتجددت جلسات مجمع نورمبرج في شهر كانون الثاني سنة ١٥٢٤ وكان عاصف يتهدد حكم الامة بجربرة ثبات فردريك فان المعاهدة السوابية واغنى مدن المملكة وعلى الخصوص كرلوس الخامس كانوا قد اقسموا باهلاكهِ وقُرِّف بانهُ حامي عن الارتقة الجديدة ومن ثمَّ عزموا على اصلاح تلك الحكومة من دون ابقاء احدٍ من اعضائها الاولين فاكتأب فردريك كآبة شديدة وترك نورمبرج حالاً

وكان عيد الفصح مقبلاً فضاعف اوسياندر والمبشرون الانجيليون غيرتهم. قال اوسياندر جهارًا في خطاباتهِ ان المسيح الكذاب دخل رومية في نفس اليوم

الذي تركها فيهِ قسطنطين لكي يجعل محل اقامتهِ في القسطنطينية. وتُرِك نقد يس سعف النخل وطقوس اخر كثيرة لذلك العيد واربعة آلاف شخص تناولوا العشاء الرباني بالشكلين وتناولتهُ ملكة دنيمارك اخت الامبراطور جهارًا على هذا المنوال في القلعة فصرخ الدوك الرئيس فردريك بجراءة آه يا ليتك لم تكوني اختي فاجابت الملكة ان بطنًا واحدًا قد حملنا واني اخسر كل شيء لكي ارضيك ما عدا كلمة الله

فارتعش كمباجيو عند ما راى مثل هذه الوقاحة ولكنهُ اذ تظاهر بانهُ لا يلتفت الى ضحك الجمهور وخطابات الواعظين واستند على سلطان الامبراطور والبابا ذكّر المجمع بحكم وُرمس وطلب منهم ان يبطلوا الاصلاح قهرًا وعند هذه العبارات أطلق كثيرٌ من الامراء والوكلاء عنان سخطهم وقالوا لكمباجيو ماذا اصاب قائمة التشكيات التي قدمها شعب جرمانيا للبابا. اما القاصد فسلك بموجب تعاليمهِ واجاب بصوت رزين كانهُ مندهش ان ثلاث نسخ من تلك القائمة قد وصلت الى رومية ولكن لم تاتِنا مخاطبة رسمية في شانها ولم يقدر البابا ولا مجلس الكردينالين يصدقون بان مثل هذه الورقة صدرت من سيادتكم وظننا انها من بعض الاشخاص غير المعروفين قد اذاعوها من جراء بغضهم لديوان رومية ومن ثمَّ ليس معي اوامر بشيء من هذا القبيل

فحنق المجمع من هذا الجواب قائلين في انفسهم اذا كان البابا يقبل معروضاتهم على تلك الكيفية فانهم هم ايضًا يعرفون كيف يصغون لمخاطباتهِ فقال كثيرون من الوكلاء ان الشعب متعطشون الى كلام الله فاخذهُ منهم كما يامر مجمع وُرمس يكون سببًا لجريان سيول الدماء. وفي الحال عمل المجمع استعدادات لمجاوبة البابا واذ لم يقدروا ان يبطلوا حكم وُرمس اضافوا اليهِ عبارة جعلتهُ من دون فاعلية فقالوا ان الشعب يجب ان يسلكوا بموجبهِ على قدر الامكان وكثيرٌ من المقاطعات قالوا انهُ لا يمكن اجراؤهُ وفي الوقت نفسهِ هيج المجمع طيف مجمعي قسطنسيا وباسل المحبَّين بطلب انعقاد مجمع عام مسيحي في جرمانيا

ولم يقتصر اصدقاء الاصلاح نفوسهم على ذالك وحده فقالوا ماذا ينتظرونه من مجمع ربما لا ينعقد ابدًا وعلى كل حال يكون مولفًا من اساقفة من كل امة فهل تخضع جرمانيا كراهتها للرومانيين لاساقفة من فرانسا واسبانيا وايطاليا وانكلترا فان حكومة الامة قد تلاشت واقتضى ان يعوّض عنها بجمعية امية لاجل صيانة حقوق الشعب . وعبثًا تعب هنارث وكيل كرلوس الخامس الاسبانيولي وتعب جميع احزاب رومية والامبراطور في مقاومة هذا الراي فان القسم الاعظم من المجمع لم يتزعزع فقر الراي على ان جمعية مدنية تجتمع في سبيرس في شهر تشرين الثاني لاجل ترتيب جميع المسائل الدينية وان اهل الولايات يطلبون حالاً من لاهوتييهم ان يدوّنوا قائمة للقضايا المختلفة فيها لكي تقدم لتالك الجمعية المعتبرة

فباشرت في الحال كل ولاية عملها وقيدت مفكّرتها ولم تكن قط رومية قد تهددت بصوت اهول من هذا فان فرانكونيا وبرندنبرج وهنابرج ووندسهيم ووارثهيم ونورمبرج تحزبت للانجيل وقاومت الاسرار السبعة ومفاسد القداس وعبادة القديسين ورياسة البابا فقال لوثيروس هنا درهم من صكة صحيحة فان هذه الجمعية العمومية لا تغفل عن قضية من القضايا التي تحرك عقول الجمهور والاكثرية تجري اعمالاً عمومية ووحدة جرمانيا واستقلالها واصلاحها تكون في امان

ولما بلغ البابا ذلك لم يقدر ان يضبط غضبهُ قائلاً في نفسهِ ما هذا. أيتجاسرون ان يقيموا محكمة مدنية لكي تقضي في المسائل الدينية بضادة مستقيمة لسلطانهِ فاذا كان هذا العزم غير المألوف يتم بالفعل فلا شك ان جرمانيا تخلص ورومية تهلك فالتأم حالاً مجمع ومن جزع اربابهِ كان الانسان يفتكر ان الجرمانيين هاجمون على العاصمة فقال الياندر انهُ يجب ان ننزع برنيطة الانتخاب عن راس فردريك وقال كردينال آخر ان ملوك انكلترا واسبانيا يجب ان يتهددوا بقطع كل علاقة متجرية مع المدن المستقلة واخيرًا قرّ قرار المجمع على ان الواسطة

الوحيدة للخلاص هي أن تُحرّك السماء والارض لمنع الاجتماع في سبيرس . وفي الحال كتب البابا الى الامبراطور يقول اذا كنت انا اول من يجب ان يتقي العاصف فليس لاني انا الانسان الوحيد الذي يتهددهُ العاصف ولكن لاني على الدفة فان حقوق المملكة تنتهك اكثر من حرمة ديوان رومية

وبينما ارسل البابا هذا المكتوب الى كستيل اجتهد ايضاً في اجتذاب احزاب اليهِ في جرمانيا وربح عاجلاً لنفسهِ بيتاً من اقوى البيوت في المملكة وهو بيت دوك باڤاريا ولم يكن حكم وُرمس قد أُجري هناك باكثر صرامة من بقية الاماكن وكان التعليم الانجيلي قد نجح كثيرًا ولكنهُ بالقرب من اواخر سنة ١٥٢١ اذ حرك المعلم آك الكاتب في مدرسة انكلستادت امراء تلك البلاد كانوا قد اقتربوا اكثر نحو رومية واذاعوا امرًا يامر جميع رعاياهم بان يبقوا امناء لديانة اجدادهم . واساقفة باڤاريا خافوا من هذا التداخل من قبل السلطة المدنية فتوجه آك الى رومية لكي يطلب من البابا ان يعظم سلطان الامراء فاعطى البابا كل شيء وانعم ايضاً عليهم بخمس الدخل الكنائسي في بلادهم . وهكذا في الوقت الذي فيهِ كان الاصلاح عديم كل نظام التجا البابا وبون الى طرق قوية لحفظ مذهبهم والامراء البابا وبون القوا بمساعدة البابا ايديهم على دخل الكنيسة قبل ان يتجاسر الاصلاح على مسها بزمان طويل فاذا يجب ان نفتكر عن التعبيرات التي عيّر بها البابا وبون اصحاب الاصلاح من هذا القبيل الآ انهُ من جملة انواع افترائهم التي لهم اليد الطولى في انشائها ومن شدة وقاحتهم لا يستحيون من اذاعتها

وساغ لاكليمنضوس السابع ان يعتمد على باڤاريا لاجل منع الجمعية في سبيرس المهولة وبعد قليل رُبح لحزبهِ الرئيس الدوك فردينند واسقف سلزبرج وامراء آخرون كل واحد في دورهِ . اما كمباجيو فاراد ان يتقدم اكثر من ذلك اي ان تصير جرمانيا معسكرين متضادين اي يكون جرمانيون ضدّ جرمانيين . وكان القاصد قبل ذلك بقليل في مدة اقامتهِ في ستوتغرد قد تفاوض مع فردينند في طريقة اعتصاب ضد الاصلاح . قال يخشى كثيرًا من جمعية يُسمَع فيها صوت

الشعب فان جمعية سبيرس ربما تخرب رومية وتنقذ ومبرج فلنتفق على شيء يُفهم بيننا لاجل يوم الخصام وكان الاتفاق ان راتسبون تكون محل الاجتماع

ومع وجود الحسد بين بيت باڤاريا وبيت اوستريا نجح القاصد في اتيانه بامراء باڤاريا ورئيس الامراء فرديننند الى تلك المدينة في آخر حزيران سنة ١٥٢٤ واتحد معهم رئيس اساقفة سالزبرج واساقفة ترنت وراتسبون واما اساقفة سبيرس وبمبرج وستراسبرج وباسل وقسطنسيا وفريسنجن وباسو وبريكسن فحضروا بالوكالة . ففتح القاصد جلساتهم واصفًا بعبارات قوية الاخطار التي تهدد بها الاصلاح الامراء والاكليروس جميعًا فصرخ دعونا نستاصل الارتقة ونخلص الكنيسة فبقيت المفاوضة خمسة عشر يومًا في سراية راتسبون ولاجل تسلية اعضاء تلك الجمعية الكاثوليكية الاولى المنعقدة من البابا وية ضد الاصلاح المشرق أُقيمت مادبة رقص بقيت الى الصباح وبعد ذلك عزموا على استعمال الوسائط للاشاة الارتقة

فافتكر القاصد انهُ لا يجب حفظ العهد مع الارتقة وذلك بحسب قانون قسطنسيا وفي تلك الفترة اجرى هذا المبدى العظيم في ميدان صغير فانهُ في مدة جلسات المجمع في نورمبرج كان كمباجيو قد اخذ كرة وكتابًا من بائع مسكين يبيع آلات فلكية ولم يرد ان يدفع الثمن لان الرجل كان لوثرانيًا والذي اخبر بذلك هو بركهيمر المشهور واحد من ولاة نورمبرج المعتبرين

فجزم الامراء والاساقفة على ان يجروا احكام ورمس ونورمبرج وان لا يسمحوا بوقوع تغيير في العبادة الجمهورية وان لا يحتملوا خوريًا متزوجًا في بلادهم وان يسترجعوا جميع رعاياهم الذين يتعلمون في ومبرج وان يستعملوا كل وسيلة في طاقتهم لاستئصال الارتقة وامروا الواعظين ان يعتمدوا في تفسير الآيات العويصة على آباء الكنيسة اللاتينية امبروسيوس وابرونيموس واوغسطينوس وغريغوريوس واذ لم يتجاسروا بازاء الاصلاح ان يستعينوا بسلطان اللاهوتيين اقتنعوا بوضع الاساس الاول لصحة التعاليم الرومانية . واذ لم يقدروا من الجهة الاخرى ان

يغضوا النظر عن شكوك الخوارنة وآدابهم الفاسدة انفقوا على طريقة من الاصلاح واجتهدوا ان يضمنوها تلك التشكيكات الجرمانية التي كانت اقل تعلقاً بديوان رومية فنهي الخوارنة عن التجارة وعن التردد الى الحوانيت وحضور المراسح وعن الجدال في قوانين الايمان وهم على الشرب

هذه هي نتيجة جمعية راتسبون حتى ان رومية عند ما حملت السلاح على الاصلاح وافقته الى بعض الامور وفي هذه الاوامر نرى الفعل الاول لاصلاح القرن السادس عشر في احداث تجديد داخلي في المذهب الباباوي . واذا اظهر الانجيل قوته فلا بد من اجتهاد اعدائه في تقليده بطريق من الطرق . وكان امسر قد اشهر ترجمة الكتاب المقدس مقابل ترجمة لوثيروس واشهر آك كتاباً عنوانه الاماكن العمومية مقابل كتاب ملانكثون ثم اخذت رومية تقاوم الاصلاح بتلك الامور الاصلاحية التي هي علة المذهب الروماني الحديث ولكن كل هذه الاعمال كانت بالحقيقة وسائط خبيثة للهرب من الخطر المزمع نعم انها اغصان قد قُطِعت من شجرة الاصلاح الّا انها غُرِسَت في ارضٍ اماتتها فانه لم يوجد ولا يمكن ان يوجد حياة في مزاولات كهذه

ومما يحق له الاعتبار ايضاً هو ان الحزب الباباوي الذي تجمع في راتسبون هو الاتفاق الاول الذي اضر بوحدة جرمانيا وعلامة الحرب قد أُعطِيت من معسكر البابا وراتسبون كانت سرير ذلك الانشقاق وذلك الانقسام السياسي الذي تاسفت عليه جرمانيا الى الآن وجمعية الامة في سبيرس بواسطة اثباتها اصلاح الكنيسة وجعلها اياهُ امراً عمومياً كانت قد حصلت وحدة المملكة وجمعية محبي الانفصال التي انعقدت في راتسبون قسمت الامة الى حزبين ومن عادة رومية ان تحكم برمي الانشقاق بين الذين تخافهم

الّا ان تدابير كمباجيو لم تنجح في اول الامر كما كان يومل لان امراء قليلين اجابوا الى تلك الاستغاثة واشد اخصام لوثيروس جرجس دوك سكسونيا ويواكيم منتخب برندنبرج والمنتخبون الكنائسيون والمدن الملكية لم يدخلوا فيها فقد

احسَّ ان قائد البابا كان آخذاً في نظم حزب روماني في جرمانيا ضد الامة نفسها فغلبت المحبة الوطنية المقاومات الدينية وفي زمان قصير صار الاصلاح الرانسبوني اضحوكة للشعب الآن الخطوة الاولى قد حدثت والمثال قد أُعطي وزعموا انهُ تقوية هذا الاتحاد الروماني وتوسيعهُ بطريق العرض لا يكون امراً عسراً وزعموا ان الذين لم يزالوا مترددين يجذبون بالضرورة اليهِ بواسطة جريان الحوادث وللقاصد كمباجيو المجد الحاصل من حفر اللغم الذي كان عتيداً ان يوقع حرية جرمانيا ووجود المملكة والاصلاح في خطر عظيم ومن ثمَّ فصاعداً لم تلبث دعوى لوثيروس ان تكون قضية دينية محضة بل الجدال مع راهب وتبرج صار من حوادث اوروبا السياسية وكان لوثيروس عتيداً عن قريب ان ينكسف وان يكون كرلوس الخامس والبابا والامراء هم الفعلة العظمى في الميدان المزمع ان يحدث فيهِ صراع القرن السادس عشر

ولم يغفلوا عن التئام مجمع سبيرس لعلهُ يصلح الضرر الذي كان كمباجيو قد احدثهُ في رانسبون فبذلت رومية كل جهدها في منعها . قال الوكلاء البابا ويون لكرلوس الخامس ولهنري الثامن ايضاً ولامراء اخرين من المسيحيين يا للعجب ما هذا يدَّعي هولاء الجرمانيون المتشامخون ان يحكموا في قضايا الايمان في مجمع جمهوري فكانَّ الملوك والسلطة الامبراطورية وجميع المسيحيين وسائر العالم يجب ان يخضعوا لاحكامهم

وكانت الساعة مناسبة جداً لاقناع الامبراطور لان الحرب بينهُ وبين فرنسيس الاول كانت في اعظم اشتدادها . وبسكارا ووزير بوربون كانا قد تركا ايطاليا وعند دخولها فرانسا في شهر ايار حاصرا مرسيليا والبابا الذي نظر شزراً الى تلك الهجمة كان يقدر ان يهجم على موخر الجيش الامبراطوري وكرلوس خاف من ان يغيظهُ فضحى حالاً حرية المملكة لكي يرضي رومية وينجح في القتال مع فرانسا

وفي ١٥ تموز اصدر كرلوس الخامس امراً من برغوس في كستيل حكم فيهِ

بصوت تسلط وحقق بان للبابا وحدهُ حقًا في جمع مجمع وللامبراطوران يطلب ذلك وبان الجمعية التي هي عتيدة ان تحصل في سبيرس لا يمكن ولا يجب احتمالها وبانهُ امر غريب ان الشعب الجرماني يباشر عملًا ليس لجميع الشعوب في العالم ولو براي البابا حقٌ في مباشرتهِ وبان يبادروا الى اجراء حكم وُرمس على الهرطقي الجديد

وهكذا انت من اسبانيا وايطاليا الضربة التي اوقفت في جرمانيا انتشار الانجيل وفي سنة ١٥١٩ اراد ان يقرن اختهُ الخانون كاثرينا بيوحنا فردريك ابن الدوك يوحنا اخي الملك المنتخب ووريث المنتخبية ولكن ذلك البيت السكسوني هو الذي عضد في جرمانيا تلك المبادي للحرية الدينية والسياسية التي تركهما كرلوس فعزم على التخلص بالكلية من زعيم الآراء الدينية والسياسية هذا المتعب المجرم فاعطى اختهُ ليوحنا الثالث ملك البرتوكال زوجةً وفردريك الذي في سنة ١٥١٩ اظهر عدم اكتراثهِ بمواعيد ملك اسبانيا حينئذٍ في سنة ١٥٢٤ اضبط غيظهُ من سوء تصرف الامبراطور ولكن الدوك يوحنا اشار بكبرياء الى ان هذا العمل كان قد جرح قلبهُ جرحًا بليغًا . وهكذا المعسكران المنتظران اللذان كانا عتيدين ان يزرقا المملكة الى مدة هذه طولها ازدادا بكل يوم وضوحًا

الفصل السادس

اضطهاد . القساوة في وارتبرج وسلزبرج وبافاريا

ان الحزب الروماني لم يكتفِ بما ذُكِر والاتحاد الذي حصل في راتسبون لم يكن صورةً محضة بل اقتضى ختمهُ بالدم فنزل فرديند وكمباجيو على نهر الدنوب معًا من راتسبون الى فينا وفي مدَّة سفرهما ربطا احدهما الآخر بمواعيد قاسية فابتدأ الاضطهاد حالًا في ولايات اوستريا

كان رجل اسمهُ غسبرد توبر من اهالي ڤينا قد نشر تآليف لوثيروس وكان ايضًا قد كتب ضد شفاعة القديسين والمطهر والاستحالة. فأُلقي في السجن وحينئذٍ طلب منهُ ديانوهُ اللاهوتيون والمشترعون ان يرجع عن غلطاتهِ وظنوا انهُ قد ارتضى بذلك فصار استعداد كامل في ڤينا لابهاج الشعب بهذه الفرجة العظيمة وفي عيد ميلاد مريم أُقيم منبران في مقبرة مار اسطفانوس احدهما لرئيس المرتلين العتيد ان يحمد بالحانهِ توبة الاراتيكي والآخر لتوبر نفسهِ فوُضِعت صورة النكول بيدهِ وكان الشعب والمرتلون ينتظرون بسكوت واما توبر فلانهُ لم يعد بشيءٍ اولانهُ في ساعة النكول تنشَّط ايمانهُ نشاطًا جديدًا فصرخ قائلاً انني غير مقتنع فاستغيث بالملكة الرومانية المقدسة. فوقع الاكليروس والمرتلون والشعب في الحيرة والخوف ولكن توبر ما زال يختار الموت على الكفران بالانجيل فضُرِب عنقهُ وأُحرِق جسدهُ. وتلك الحادثة احدثت تأثيرًا لا يُمحى في سكان ڤينا

وفي بودا من اعمال بلاد المجيار بائع كتب انجيلي اسمهُ يوحنا نشر العهد الجديد ترجمة لوثيروس وغير ذلك من تصانيفهِ في تلك البلاد فرُبِط الى وتد ثم جمع مضطهدوهُ كتبهُ حولهُ كأنهم يحبسونهُ داخل برج ثم اضرموا فيها النار. اما يوحنا فاظهر شجاعة قوية وصرخ من وسط اللهيب قائلاً انهُ مبتهج بالتألُّم لاجل عمل الرب واذ أُخبِر لوثيروس بتلك الشهادة صرخ قائلاً دمٌ يلحق دمًا الآن ذلك الدم الكريم الذي تحبُّ رومية ان تسفكهُ سوف يخنق اخيرًا البابا مع ملوكهِ وممالكهم

وازداد التعصُّب قساوةً كل يوم فطُرِد الرعاة الانجيليون من كنائسهم ونُفِي الولاة وأُجرِي في بعض الاوقات افظع القصاصات وفي وارتمبرج مفتش اسمهُ رنشلار سعى بشنق اللوثرانيين ولا سيما الواعظين على الاشجار وانول بقوم برابرة متوحشين سمروا الرعاة بالسنتهم على خشبة حتى ان هؤُلاءِ الضحايا المساكين اذ حاولوا بعنف ان يتخلصوا من الخشبة التي تسمروا اليها تمزقت السنتهم وبذلك مُنِعوا عن التكلم زمنًا طويلاً وعن المناداة بالانجيل

وحصل اضطهادات كثيرة في باقي الولايات المرتبطة بالرباط البابا وي

فان خادمًا انجيليًا في جوار سازبرج سيق الى السجن حيث قصدوا ان يبقوهُ باقي ايامهِ وبينما كان الشرط المتوكلون على هذا الراعي يشربون في حانة على الطريق تحنن عليهِ فلاحان شابان وبحيلة خلصاهُ فانتقد غضب رئيس الاساقفة على هذين المسكينين ومن دون فحص أُمِر بقطع راسيهما فأُخِذا سرًّا الى خارج المدينة في الغد باكرًا وحينما وصلا الى السهلة التي كانا مزمعين ان يموتا فيها تردَّد الجلاَّد لانهما لم يُحاكَما فاجابهُ وكيل رئيس الاساقفة بجفاء افعل ما آمرك بهِ ودع الجواب على الامير فسقط للوقت راسا هذين المنقذين الشابين تحت السيف

وكان الاضطهاد في ولايات دوك باڤاريا في غاية ما يكون من القساوة فخُلِعَت الخوارنة من وظائفهم وطُرِد الاشراف من قصورهم وملأ الجواسيس البلاد باسرها واستولى على كل قلبٍ الخوف وعدم الاركان واذ كان برنرد فِختل احدُ الولاة منطلقًا الى نورمبرج في شغل الدوك صادف في السكة فرنسيس بركهردت احد معلمي مدرسة انكلستادت ومن جملة اصدقاء آك فحيَّاهُ بركهردت وسارا معًا وبعد العشاء ابتدأ المعلم يتكلم عن الديانة واما فِختل الذي لم يكن غريبًا عن رفيق سفرهِ فاخبرهُ بان الامر الجديد قد نهى عن مثل هذا الحديث فاجاب بركهردت لا خوف من ذلك بيننا فقال فِختل اني لا اظن ان هذا الامر يجرى ابدًا ثم تقدم الى الكلام عن المطهر بطريق مشكك وقال انهُ لامرٌ فظيع ان تعاقب الاختلافات الدينية بالموت وعند ذلك لم يقدر بركهردت ان يتمالك نفسهُ فقال ايُّ شيءٍ اعدل من قطع رؤُوس جميع هؤُلاء اللوثرانيين الاشرار ثم ودَّع فِختل وداعًا ودادياً الاَّ انهُ وشى بهِ حالاً فطُرِح فِختل في السجن وهذا الرجل الشقي الذي لم يفتكر قط بانهُ يصير شهيدًا والذي حاسياتهُ الدينية لم تكن عميقة كثيرًا لم ينجُ من الموت الاَّ بالنكول المعيب . ولم يكن امان في مكان حتى ولا في صدر صديق . وآخرون لاقوا الموت الذي نجا منهُ فِختل فباطلاً كان المصلحون ينادون بالانجيل سرًّا لان الامراء تتبعوا آثارهُ في اعتزالهِ وخفائهِ في البيوت المأهولة وفي الفلوات المقفرة. فقال لوثيروس ان الصليب والاضطهاد يملكان في

بلاقاريا فان هؤلاء الوحوش البرية يطلقون لانفسهم عنان الجنون

ولم يسلم شمال جرمانيا من تلك القساوات البربرية فان بوجسلوس دوك بوميرانيا كان قد توفي وابنهُ الذي تربى في دار الدوك جرجس اضطهد الانجيل حتى ان سوافن ونبستر والتزما بالفرار. وفي هولستين حدثت اغرب حوادث ذلك الترفض الباباوي وذلك ان هنري ڤان زوفتن الذي كان قد هرب من الدبر في انتوارب كما ذكرنا آنفًا كان يبشر بالانجيل في بريمان ونيقولاوس بويا راعي مهلدرف في دتمارش وكثيرون من الانقياء في تلك المقاطعة طلبوا منهُ ان ياتي وينادي بيسوع المسيح بينهم فاجابهم الى ذلك وللوقت تشاور معًا رئيس الدومينيكيين ونائب همبرج فقالا اذا وعظ والناس اصغوا اليهِ خسرنا كل شيء والرئيس بعد ان صرف ليلةً في الاضطراب قام باكرًا وانطلق الى البقعة العقيمة المهجورة حيث كانت عادة الثمانية والاربعين مدبرًا للبلاد ان يعقدوا جمعياتهم فقال لهم ان راهب بريمان قد اتى لكي يخرب دتمارش باسرها واذ اقتنع هؤلاء الثمانية والاربعون الذين كانوا قومًا بسطاء جهالًا انهم يحصّلون صيتًا عظيمًا بواسطة تخليصهم العالم من الراهب الاراتيكي عزموا على قتلهِ من دون ان يروهُ او يسمعوا دعواهُ. وكان ذلك نهار السبت والرئيس اراد ان يمنع هنري من الوعظ في اليوم التالي فوصل الى مسكن الراعي بويا في نصف الليل بمكتوب من الثمانية والاربعين مدبرًا فقال هنري ڤان زوفتن اذا كانت ارادة الله اني اموت في وسط دتمارش فان السماء تكون هناك قريبة مني كما هي في اماكن اخرى فاني اعظ

فتبوأ المنبر ووعظ بحرارة عظيمة وحالما خرج من الكنيسة السامعون الذين تحرّكوا وتحرّضوا بفصاحتهِ المسيحية اعطاهم الرئيس مكتوب الثمانية والاربعين مدبرًا ينهون بهِ الراهب عن الوعظ فارسلوا حالًا وكلاءهم الى المدبرين وبعد محاورة مستطيلة قرّ رايهم على انهم نظرًا الى جهلهم العظيم يصبرون الى عيد الفصح ولكن الرئيس المغتاظ من ذلك صعد الى بعض المدبرين وحرك غيرتهم من

جديد فقالوا اننا سوف نكتب اليهِ فاجاب الرئيس لاحظوا ما انتم عليهِ فانهُ اذا ابتدأ يتكلم فاننا لا نقدر ان نعمل بهِ شيئًا فيجب ان نرمي القبض عليهِ في الليل ونحرقهُ قبل ان يفتح فاهُ. فعزموا على ذلك وعند المساء في اليوم الذي بعد عيد الحبل قُرِع ناقوس البشارة وعند تلك العلامة اجتمع جميع اهل القرى المجاورة الى عدد خمس مئة وقوادهم فتحوا ثلاث بواطٍ من مسكرهم برج الهمتهم شجاعة عظيمة وكان نصف الليل لما وصلوا الى مهلدرف والفلاحون متسلحون والرهبان حاملون مصابيح والجميع يتقدمون من دون ترتيب يجلبون جلبة هائلة ولما دخلوا القرية سكتوا سكوتًا عميقًا خوفًا من ان يسمع هنري فينجو

فكسروا ابواب بيت الخوري بغتةً بعنفٍ ودخل الفلاحون السكارى يضربون كل ما راوهُ فكانت الصحون والمراجل والمشارب والملابس مطروحة مختلطة وقبضوا على جميع ما وجدوهُ من الذهب والفضة وهجموا على الراعي المسكين فضربوهُ صارخين اقتلوهُ ثم طرحوهُ في الوحل الآن الذي كانوا يطلبونهُ انما هو هنري فاختطفوهُ من مضجعهِ وربطوا يديهِ وراء ظهرهِ وجروهُ وراءهم عريانًا في ليلة باردة جدًّا واذ اجاب هنري بلطافة صرخوا اطرحوهُ فاننا ان سمعنا لهُ نصير ارانقة مثلهُ واذ كانوا يسحبونهُ عريانًا على الجليد والثلج والدم يسيل من رجليهِ التمس اليهم ان يركبوهُ فرسًا فاجابوهُ نعم بالحقيقة هازئين بهِ اننا نفتش على افراس للارانقة. امشِ. وما زالوا يستكدونهُ نحو المدبرين وامراة واقفة بباب بيتها لمَّا رأَت خادم الله مجتازًا ابتدأَت تبكي فقال هنري اينها المراة الصالحة لا تبكي عليَّ. فحكم القائد بقتلهِ وعند ذلك ضرب واحد من اولئك المجانين الذين كانوا قد جروهُ الى هناك واعظ يسوع المسيح على راسهِ بسيف واصابهُ آخر بهراوة وبعد ذلك اتوا اليهِ براهب مسكين لكي يقبل اعترافهُ فقال هنري يا اخي هل اسأت اليك قط فاجاب الراهب لا فقال هنري فاذًا ليس عندي شيءٌ اعترف بهِ اليك وانت ليس لك شيءٌ تغفرهُ لي فانصرف الراهب خازيًا فحاولوا مرارًا كثيرة ان يضرموا النار في وقودهِ فلم يشعل الوقود فبقي الشهيد ساعتين هكذا

امام عيون الفلاحين الشرسين وذلك بالسكون رافعًا عينيهِ الى السماء ولما ربطوهُ لكي يلقوهُ في اللهيب ابتدا بالاعتراف بايمانهِ فضربهُ فلاحٌ بلكمتهِ على فمهِ قائلاً احترق اولاً وحينئذٍ تكلم . ثم حاولوا ان يطرحوهُ على الوقود فسقط على جانب واحد ويوحنا هلي اخذ هراوة وضربهُ بها على صدرهِ فسقط ميتًا على الوقود المضطرم فهذه هي القصة الصحيحة لآلام الشهيد الطاهر هنري ڤان زوفتن

الفصل السابع

انقسامات واختلافات . العشاء الرباني . محاورة لوثيروس وكرلستادت

وبينما كان الحزب الروماني يجرّد في كل مكان السيف على الاصلاح نما هذا العمل نموًّا جديدًا وليس في زوريخ ولا في جنيڤا ولكن في وتمبرج مركز الحياة اللوثرانية يجب ان نطلب بداءة تلك الكنيسة المُصلَحة التي صار كلوينوس معلمها الاعظم فان هاتين العائلتين العظيمتين رقدتا في سرير واحد فكان الواجب ان يكونا متحدين في بلوغهما ولكن عند ما فُتِحت مسألة عشية الرب رفض لوثيروس بعنف العنصر المصلح وربط نفسهُ وكنيستهُ داخل مذهب لوثراني ضيّق والحنق الذي شعر بهِ نحو هذا التعليم المضاد خسرهُ كثيرًا من لطافتهِ الطبيعية ومعروفهِ وحرك فيهِ عدم اركان وعدم ارتضاء وغضبًا مستمرًّا مع انهُ كان قبلاً غريبًا عن ذلك

فابتدا الجدال بين الصديقين القديمين والجندين اللذين كانا قد حاربا احدهما الى جانب الآخر في ليپسك ضد رومية اي بين كرلستادت ولوثيروس وميلُ كل واحد منهما الى تعليم يضادُّ الآخر نتج من غريزية تستحق اعتبارنا . وبالواقع للمسائل الدينية طرفان متباعدان احدهما يعتبر كل شيء ماديًّا والآخر يجعل كل شيء روحيًّا فالطرف الاول من هذين هو رومية وتعاليمها والآخر ما للمتصوفين والديانة انما هي كالانسان عينهِ مركَّبة من مادَّة وروح فالروحيون

محضًا والماديون محضًا هم باعتبار الديانة والفلسفة في ضلال على حدٍّ سواء. وهذه هي المسألة العظيمة المخفية تحت البحث عن عشية الرب واذ لا نرى عند النظر الى الظاهر الاَّ جدالاً وكلامًا لا طائل تحتهُ يكشف لنا التعمق فيها اهمَّ المجادلات التي يمكنها ان تشغل العقل البشري

فمن هنا انقسم المصلحون الى حزبين وكل حزب حمل معهُ قسمًا من الحقّ فان لوثيروس واصحابهُ ارادوا ان يضادوا الروحانية المفرطة وكرلستادت والمصلحين قاوموا المادّية المكروهة فكلٌّ من الحزبين يقاتل الغلط الظاهر لنظرهِ بانهُ اكثر ضررًا وفي مقاومتهِ ربما تجاوز حدود الحق الاَّ ان ذلك لا اهتمام بهِ فان كلاًّ منهما صادقٌ في رايهِ العمومي ومع ان هذين المعلمين الفاضلين يختصان بجيشين مختلفين يقفان جميعًا تحت راية واحدة اي راية يسوع المسيح الذي هو وحدهُ الحق على اتساعهِ غير المتناهي

كان فكر كرلستادت انهُ لا شيء اكثر ضررًا بالتقوى الحقيقيَّة من الاستناد على طقوس خارجية وعلى قوةٍ سحرية في الاسرار فان الاشتراك الخارجي بعشية الرب كان بحسب زعم رومية كافيًا للخلاص وهذا المبدا جعل الديانة مادية وكرلستادت لم يرَ لارجاع روحانية الديانة طريقًا احسن من نكران كل حضور لجسد المسيح وعلم ان هذه الوليمة المقدَّسة هي للمؤمنين مجرد عربون لفدائهم

فهل وصل كرلستادت الى هذه الآراء من دون مساعدة. كلاَّ فان جميع الاشياء مربوطة معًا في الكنيسة وارتباط التعليم المُصلَح التاريخي الذي غُفِل عنهُ مدةً طويلةً بهذا المقدار نثبت الآن بطريق صريح ولا شك اننا نرى هذا التعليم يوافق افكار كثيرين من الآباء ولكن اذا فتَّشنا في سلسلة الاجيال الطويلة على الحلقة الموصلة بين تعليم كرلستادت وتعليم مصلحي سويسرا نجدها في يوحنا ويسل اشهر علماء القرن الخامس عشر

ان مشترعًا مسيحيًا من هولندا اسمهُ كرنيليوس هون (هونيوس) صديقًا لابراسموس طُرِح في السجن سنة ١٥٢٣ لاجل تعلقهِ بالانجيل وهذا الرجل وجد

بين اوراق يعقوب هوك ثاني اسقف نلد ويك وصديق عظيم لويسل عدة رسالات كتبها ذلك المعلم الفاضل في عشية الرب واذ كان هون مقتنعاً بالمعنى الروحي الذي نسبهُ ويسل الى هذا السرّ افتكر انهُ يجب عليهِ ان يسلّم للمصلحين تلك الاوراق التي كتبها احد ابناء بلادهِ فارسلها الى اثنين من اصدقائهِ يوحنا روذ بوس رئيس اخوية الحياة المشتركة في اترخت وجرجس ساغاروس اوساغانوس داخل مكتوب في هذا المعنى وطلب منهما ان يعرضا جميع ذلك على لوثيروس

وفي نحو اواخر سنة ١٥٢٠ وصل هذان الهولانديّان الى وتمبرج حيث قبلهما كرلستادت قبولاً حسناً من حين وصولهما الاول واما لوثيروس فحسب عادتهِ دعا هذين الصديقين الغريبين مع بعض الاصحاب الى العشاء فوقع بالطبع الخطاب على الكنز الذي جاء بهِ هذان الهولانديان وعلى الخصوص على كتابات ويسل في عشية الرب فدعا روذ بوس لوثيروس الى قبول التعليم الذي اوضحهُ بصراحة كهذه المعلم العظيم للقرن الخامس عشر وطلب كرلستادت من صديقهِ ان يقرّ بمعنى الافخارستيا السرّي وايضاً ان يكتب ضد اكل جسد الرب اكلاً جسديّاً فهزّ لوثيروس راسهُ وابى وعند ذلك صرخ كرلستادت بحرارة قائلاً فاذا كنت لا تفعل ذلك فاني انا افعلهُ وان كنتُ اقلّ اهليةً جدّاً منك . فهذه بداءة الانقسام الذي حدث بعد ذلك بين هذين الصاحبين واذ رُفِض الهولانديان في سكسونيا عزما على تحويل خطواتهما نحو سويسرا

فاخذ لوثيروس من ذلك الوقت فصاعداً في جهة مضادة لهذه بالاستقامة وهو في اول الامر كما يظهر كان قد حامى عن التعليم الذي اشرنا اليهِ الآن فانهُ في رسالتهِ في القدّاس التي ظهرت سنة ١٥٢٠ قال اني اقدر كل يوم ان اشترك في الاسرار اذا تذكرت فقط كلمات المسيح ومواعيدهُ وان علت وقوّيت ايماني بها . فلا كرلستادت ولا زوينكل ولا كلوينوس استعملوا قط عبارات اقوى من تلك ويظهر ايضاً ان الفكر الذي عرض لهُ مراراً كثيرة في ذلك الوقت هو ان التفسير الرمزي لعشية الرب هو السلاح الاقوى لقلب النظام الباباوي من

الراس الى الاساس لانهُ قال سنة ١٥٢٥ انهُ قبل ذلك بخمس سنوات دخلت عليهِ تجارب كثيرة قاسية لاجل هذا التعليم وان الانسان الذي يقدر ان يبرهن لهُ انهُ لا يوجد سوى خبز وخمر في الافخارستيا يعمل معهُ اعظم معروف اما الظروف الجديدة فالقتهُ في مضادة لتلك الآراء التي كان قد قرب منها بهذا المقدار مضادة مختلطة بشراسة احيانًا ويُعلَّل عن ذلك بترفض بعض مضادي المعمودية في تلك الايام فانهم لم يكتفوا بحطهم قيمة ما سموهُ الكلمة الخارجية اي الكتاب المقدس وبادعائهم اعلاناتٍ خصوصية من الروح القدس بل تجاوزوا حتى ازدروا بسرّ عشية الرب كانهُ شيء خارجيٌّ وتكلموا عن شركة داخلية كانها هي الشركة الحقيقية الوحيدة ومن ذلك الوقت رأى لوثيروس في كل مزاولة لايضاح عشية الرب بطريق رمزي خطر اضعاف سلطان الكتب المقدسة واقامة رموز غير محدودة مقام معناها الحقيقي واحالة كل شيء الى معنى روحي في الديانة وجعلها قائمة لا بعطايا الله بل بتخيلات الناس ووضع تلك الاوهام عوضًا عن الديانة المسيحية الحقيقية الى رموز والهامات وتخيلات تميت الديانة ويجب ان نعترف بانهُ لولا مضادة لوثيروس القوية لربما قويت حينئذٍ تلك الآراء الفاسدة فمنعت مدّ البركات التي كان الاصلاح عتيدًا ان يفيضها على العالم

فحنق كرلستادت بسبب منعهِ عن ايضاح تعليمهِ بحرية في وتمبرج وحثهُ ضميرهُ على مقاتلة طريقة هي في رايهِ تخفض موت المسيح وتهدم برّهُ فعزم على تقديم شهادة جهارية حبًا بالجماعة المسيحية المسكينة المنخدعة بكل قساوة فترك وتمبرج في اوائل سنة ١٥٢٤ من دون اعلام المدرسة ولا المجمع بمقاصدهِ وانطلق الى قرية اورلمند الصغيرة التي كانت كنيستها تحت نظارتهِ فاخرج الخوري الذي كان هناك وسمَّى نفسهُ راعيًا مكانهُ واقرَّ نفسهُ في ذلك المكان الجديد رغمًا عن المدرسة والمجمع والملك المنتخب. ثم ابتدا عاجلًا في اذاعة تعليمهِ فقال انهُ امرٌ غير ممكن ان نجد في الحضرة الحقيقية منفعة لا تصدر عن الايمان فهي اذًا بلا فائدة وفي تفسيرهِ كلام المسيح عند انشائهِ عشيَّة الرب اعتمد على تفسير لا تقبلهُ الكنائس

المصلحة فان لوثيروس في محاورة ليپسك كان قد فسّر هذه الكلمات انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي بواسطة فصلهِ القضيتين وتوجيههِ الاخيرة منهما الى اقنوم مخلصنا . فقال كرلستادت انهُ على هذا المنوال قولهُ خذوا كلوا يتجه الى الخبز واما قولهُ هذا جسدي فانهُ يتجه الى المسيح يسوع الذي اشار حينئذٍ الى نفسهِ ودلَّ بواسطة رمز كسر الخبز على ان جسدهُ كان عتيدًا ان ينكسر عن قريب

ولم يقف كرلستادت على ذلك فانهُ لم يتحرر من حراسة لوثيروس لهُ حتى شعر بانتباه غيرتهِ ضد الايقونات وكان سهلاً عليهِ ان يضرم عقول الناس في تلك الازمان الهائجة بشدة كلامهِ واذ ظنَّ الشعب انهم يسمعون صوت ايليا آخر كسروا اصنام بعل فامتدَّ الهياج عاجلاً الى القرى المحيطة واراد المنتخب ان تعرض لذلك لو لم يجاوب الفلّاحون بانهُ يجب عليهم ان يطيعوا الله اكثر من الانسان وعند ذلك عزم هذا الامير على ارسال لوثيروس الى اورلامند لاجل ترجيع السلام وكان لوثيروس يحسب كرلستادت رجلاً قد اسكرهُ حبُّ الشهرة وموسوساً بفرط بهذا المقدار حتى يحارب المسيح نفسهُ وربما كان فردريك يقدر على انتخاب رجل انسب من لوثيروس لاجراء مقاصدهِ . فانطلق لوثيروس وكان كرلستادت عتيدًا ان يرى هذا الخصم المزعج ياتي مرةً اخرى ويشوّش تدابيرهُ الاصلاحية ويمنع طيرانهُ المتسامى وكانت جينا على الطريق الى اورلامند فوصل لوثيروس الى تلك المدينة في ٢٣ آب وفي ٢٤ منهُ تبوأ المنبر صباحًا قبل الظهر بخمس ساعات فتكلم ساعةً ونصفًا امام جمهور عظيم ضد الوساوس والعصيان وكسر الايقونات واحتقار الحضور الحقيقي موبخًا بنشاط مبتدعات اورلامند وهو لم يذكر كرلستادت باسمهِ الّا ان كل واحد علم مَن اشار اليهِ بكلامهِ

وكان كرلستادت في جينا اما عرَضًا واما قصدًا وحضر بين المصغين الى لوثيروس فلم يتاخر عن طلب ايضاح تلك الخطبة وبينما كان لوثيروس على المائدة مع رئيس وتمبرج ومتصرف البلدة وراعي جينا وكثيرين من اعوان الامبراطور والامير اتاهُ مكتوب من كرلستادت يطلب المواجهة فاوقف الحاضرين

عليهِ واجاب حاملهُ اذا كان الدكتور كرلستادت يريد مواجهتي فلياتِ والاَّ فانا مستغنٍ عنهُ . فاتى كرلستادت وحضورهُ احدث تاثيرًا عظيمًا في كل الجمهور واذ كان الاكثرون تائقين الى ان يروا الاسدين يتقاتلان تركوا الاكل وابتداوا يتفرسون واما الجبناء فاصفرَّت الوانهم فرَقًا

فدعا لوثيروس كرلستادت فجلس مقابلهُ وقال يا دكتور انك في خطابك هذا الصباح قد احصيتني مع العصاة والقتلة وانا اقول ان هذه التهمة هي كاذبة

فقال لوثيروس انا لم اذكر اسمك ولكن ان وافقك الثوب فالبسهُ

فسكت كرلستادت قليلاً ثم اجاب اني اتكفل ان ابرهن انك قد ضاددت نفسك في تعليم عشية الرب وانهُ ليس احدٌ منذ ايام الرسل قد علم بذلك بوضوح نظيري

فقال لوثيروس اكتب وقاوم آرائي

فقال كرلستادت انا اطلبك الى جدال جهاري في وتمبرج او في ارفورت اذا حصَّلتَ لي ورقة امان

فقال لوثيروس لا تخف شيئًا يا دكتور

فقال كرلستادت توثقني يدًا ورجلاً وبعد ما تكون قد جعلتني عاجزًا عن المحاماة عن نفسي تطعنني

فسكت لوثيروس قليلاً ثم قال اكتب ضدي ولكن جهارًا لا سرًّا

فقال كرلستادت اني كنتُ افعل ذلك لو عرفت انك تتكلم الآن بجدٍّ

فقال لوثيروس افعل كذلك وانا اعطيك فلوريني

فقال كرلستادت اعطني اياها وانا اقبل طلب النزال وعند ذلك اخرج لوثيروس فلوريني ذهب من جيبهِ وقال معطيًا اياهُ لكرلستادت هذا هو المال فاضرب الآن بجراءة

فامسك كرلستادت الفلوريني بيدهِ والتفت الى الجماعة وقال ايها الاخوة الاعزاء ان هذا عربوني علامة ان لي اجازة ان اكتب ضد الدكتور لوثيروس

فكونوا جميعكم شهودًا لذلك

ثم لوى الفلوريني لكي يُعرَف ايضًا ووضعهُ في كيسهِ وصافح لوثيروس الذي شرب سرهُ ورد عليهِ كرلستادت ذلك ثم قال لوثيروس كلما شددت الضرب التذُّ اكثر

فقال كرلستادت اذا اخطأتُ عنك فلا يكون اللوم عليَّ

ثم تصافحا ورجع كرلستادت الى منزلهِ

قال المورخ فهكذا كما انهُ من جذوة واحدة يحدث مرارًا كثيرة احراق حرش كامل كذلك من هذه البداءة الصغيرة حدث انقسام عظيم في الكنيسة

فاخذ لوثيروس في طريقهِ الى اورلمند ووصل الى هناك سيّء الاستعداد بسبب ما حدث في جينا فجمع المجلس والكنيسة وقال انهُ لا الملك المنتخب ولا المدرسة يعرفان كرلستادت راعيًا لكم فاجاب خازن مجلس البلدة اذا لم يكن كرلستادت راعيًا لنا فان القديس بولس معلم كذاب وكتبك مملوَّة كذبًا لاننا نحن قد انتخبناهُ

وعند ذلك دخل كرلستادت المحل فاشار اليهِ البعض من الذين بالقرب من لوثيروس ان اقعد اما هو فتقدم باستقامة الى لوثيروس وقال ايها المعلم العزيز اذا اذنت لي فاني اضيفك

قال لوثيروس انت خصمي وقد اعطيتك فلوريني ذهب لاجل هذه الغاية

قال كرلستادت اني ابقى خصمك ما دمتَ عدوَّ الله وعدو حقهِ

قال لوثيروس اخرج من المكان فانني لا اقدر ان اسمح لك بالحضور هنا

قال كرلستادت هذا المجمع عمومي فاذا كانت دعواك حقًّا فلماذا تخافني

قال لوثيروس لخادمهِ اذهب واحضر الخيل . ليس لي شغل مع كرلستادت وبما انهُ لا ينطلق انطلق انا

وعند ذلك قام لوثيروس من مكانهِ وللوقت ترك كرلستادت المكان

وبعد سكوت قليل استتلى لوثيروس قائلاً اثبتوا من الكتب المقدسة انهُ

يجب علينا ان نلاشي الايقونات

ففتح الكتاب المقدس مشيرٌ وقال ايها المعلم انسلم ان موسى عرف وصايا الله فان هذه هي كلماتهُ لا تصنع لك صورةً ولا تمثالاً

قال لوثيروس ان هذه الآية انما تنبه الى الايقونات الوثنية فقط فاذا كان عندي صلبوت معلق في مخدعي ولم اعبدهُ فما هو الضرر الحادث من ذلك

قال اسكافٌ اني كثيرًا ما كشفت عن راسي امام صورة رايتها في بيت او زقاق وذلك عبادة اصنامية تختلس من الله المجد الذي يجب لهُ وحدهُ

قال لوثيروس ايجب اذًا لاجل سوء تصرف البعض بالنساء والخمر ان نقتل نساءنا ونطرح خمرنا في الازقة

فاجاب رجل آخر من اعضاء الكنيسة كلاَّ تلك خليقة الله التي لم نُؤْمَر بابادتها

وبعد ان دام البحث الى مدةٍ فوق ذلك رجع لوثيروس واصدقاؤُهُ الى مركبتهم وهم متحيرون مما راوا دون ان ينجحوا في اقناع الاهالي الذين ادَّعوا لنفوسهم حق تفسير الكتاب المقدس وشرحهِ بحرية فكان الهياج عظيمًا جدًّا في اورلمند واهان الاهالي لوثيروس وصرخ بعضهم قائلاً فليذهب باسم جميع الشياطين يا ليتك تكسر رقبتك قبل ان تخرج من مدينتنا ولم يكن المصلح قد قاسى مثل هذا الذل قط

ثم تقدَّم من هناك الى كالي حيث كان الراعي قد اعتنق ايضًا تعاليم كرلستادت وعزم على الوعظ هناك الاَّ انهُ عندما تبوأ المنبر وجد قطع صلبوت فكان غيظهُ في اول الامر عظيمًا جدًّا الاَّ انهُ ضبط نفسهُ وجمع القطع الى زاوية ووعظ من دون ادنى اشارة الى هذا الامر وقال بعد ذلك انني عزمت على اخذ ثاري من الشيطان بالاستخفاف بهِ

وكلما دنا الملك المنتخب من نهاية ايامهِ ازداد خوفهُ من ان يتجاوزوا الحدود في امر الاصلاح فامر بان يخلع كرلستادت من وظائفهِ وان يخرج لا من

اورلند فقط بل من الولايات التي تحت حكمهِ ايضًا فترجّت فيهِ اهالي اورلند ولكن ذهب ذلك سدًى والتماسهم ان يؤذن لهُ بالبقاء بينهم نظير مدني بسيط مع الاجازة لهُ بالوعظ احيانًا وباطلاً قالوا انهم يعتبرون حق الله اكثر من كل العالم او الف عالم . اما فردريك فلم يتزعزع وزاد على ذلك انهُ ابى ان يعطي كرلستادت المصاريف اللازمة لسفرهِ . اما لوثيروس فلم تكن لهُ يدٌ في اعمال الامير هذه القاسية بل كان ذلك ضد ميلهِ كما بيّن بعد الآن كرلستادت حسبهُ اصل كل مصائبهِ وملأ جرمانيا باسرها من شكاياتهِ وتاسفاتهِ فكتب مكتوب وداع الى اصدقائهِ في اورلند فاجتمع الناس عند قرع الاجراس لقراءتهِ واذ تُلي ذلك المكتوب على الكنيسة المجتمعة هناك اراق الدموع من كل عين وكان امضاؤهُ اندراوس بود نستين المطرود من لوثيروس غير مسموع لهُ ولا محقوق

ولا يمكننا الآن نشعر بالالم عندما نرى الخصام بين هذين الرجلين اللذين كانا مرةً صديقين فاضلين بهذا المقدار والكآبة استحوذت على جميع تلاميذ الاصلاح وقالوا في نفوسهم فماذا يصيبهُ الآن فان اعظم المحامين عنهُ يقاوم احدهما الآخر على هذا المنوال فلاحظ لوثيروس هذه المخاوف واجتهد في تسكينها فقال فلنحارب كاننا نحارب لآخر فان الدعوى لله والعناية لله والعمل لله والغلبة لله وبالله يختص المجد . فهو يحارب ويغلب من دوننا . فليسقط ما يجب ان يسقط وليقف ما يجب ان يقف . فليست الدعوى دعوانا ولا نحن طالبون مجد انفسنا

فالتجأ كرلستادت الى ستراسبرج حيث اشهر كتبًا كثيرة . كان معلمًا محققًا في اللاتيني واليوناني والعبراني ولوثيروس اقرّ بفضلهِ واذ كان محملاً بعقل سني ضحّى صيتهُ ودرجتهُ ووظيفتهُ وخبزهُ ايضًا من اجل ضميرهِ ثم تقدم بعد ذلك الى سويسرا فانهُ هناك كان يجب ان يكون قد ابتدا بتعليمهِ لان حريتهُ احتاجت الى الهواء الخالص الذي تنفّسهُ زوينكل واكولمباذيوس فايقظ سريعًا تعليمهُ كثيرين بمقدار الذين ايقظتهم قضايا لوثيروس اولاً فبان كانّ سويسرا قد رُبحت . وظهر ان بوسر وكابيتو وافقا التعليم ايضًا فحمي غضب لوثيروس الى اعلى

درجاتهِ فاذاع تأليفًا من اقوى واشدّ تآليفهِ الجدلية وهو كتابهُ المعنون ضد الانبياء السمويين

وهكذا الاصلاح الذي قاومهُ البابا والامبراطور والامراء اخذ ايضًا يمزّق احشاء نفسهِ وتراءى انهُ لا بدّ من سقوطهِ تحت ثقل شرور كثيرة بهذا المقدار ولا ريب انهُ كان قد سقط لو كان عمل انسان ولكنهُ نهض سريعًا عن حافّة الهلاك بنشاط جديد

الفصل الثامن

مقاومة معاهدة راتسبون. اجتماع بين فيلبس من هسي وملانكثون. مجيء رئيس طغمة الفرسان الى وتمبرج

ان الاتحاد الباباوي في راتسبون والاضطهادات التي عقبتهُ احدثت حركة قوية بين الشعب الجرماني فلم يريدوا ان تُنزَع منهم كلمة الله التي أُرجِعَت اليهم اخيرًا الاّ انهم اجابوا على اوامر كرلوس الخامس ومناشير البابا وتهديدات ومضطرم وقود فرديننـد وغيرهِ من الامراء الرومانيين الباباويين بقولهم اننا نحتفظ عليهِ اي الانجيل. وحالما ذهب اعضاء الاتحاد من راتسبون اجتمع في سبيرس بالحيرة والغضب وكلاء المدن التي كان اساقفتها قد اشتركوا في ذلك الاتحاد وحكموا بان خوارنتهم يجب ان يعظوا بالانجيل رغمًا عن نهي الاساقفة وان لا يعظوا الاّ بالانجيل طبق تعليم الانبياء والرسل ثم تقدّموا حينئذٍ الى كتابة مفكرة بعبارات قوية صحيحة لاجل تقديمها للمجمع الامة . نعم لاجل اقلاق ضمائرهم اتاهم امر امبراطوري أُعطي من برغس في اسبانيا الاّ انهُ مع ذلك في اواخر السنة اجتمع وكلاء تلك المدن مع اشراف كثيرين في مقدّمتهم وحلفوا بانهم يساعدون بعضهم بعضًا عند اللزوم . وهكذا المدن المستقلّة اقامت حالاً مقابل احزاب اوستريا وباڤاريا والاساقفة حزبًا آخر نُصِبَت فيهِ راية الانجيل ولواء الحرية العمومية

ولما وضعت المدن الحرة انفسها هكذا في مقدمة جيش الاصلاح استميل امراء كثيرون الى جهتهِ وفي اوائل شهر حزيران سنة ١٥٢٤ بينما كان ملانكثون راجعًا من زيارتهِ امهُ ومعهُ كاميراريوس وغيرهُ من اصدقائهِ صادف جماعة زاهرة بالقرب من فرانكفورت وكانت تلك الجماعة مع فيلبس والي هسي الذي من مدة ثلاث سنوات كان قد زار لوثيروس في ورمس وكان حينئذٍ في طريقهِ الى محضر هيدلبرج حيث كان عتيدًا ان يجتمع جميع امراء جرمانيا . وهكذا العناية الالهية يسَّرت لفيلبس ان يقابل المصلحين الواحد بعد الآخر واذ عُلِم ان العالِم الفاضل ملانكثون كان قد مضى الى وطنهِ قال احد اعوان الامير اني اظنهُ فيلبس ملانكثون فنخس الامير الفتى فرسهُ حالاً ولما قرب من العالِم قال أأسمك فيلبس فاجاب العالِم وهو خائف قليلاً ومستعدٌ للنزول عن مطيتهِ نعم يا مولاي فقال لهُ الامير ابقَ راكبًا وعرّج وتعالَ اصرف الليل عندي لاني ارغب ان اتكلم معك قليلاً عن بعض الامور فلا تخف شيئًا فاجاب العالِم ماذا يخيفني من امير نظيرك فقال الامير ضاحكًا لو قبضت عليك ودفعتك الى كمباجيو لما كان ذلك يغيظهُ حسب ظني. فمشى الفيلبسان معًا احدهما الى جانب الآخر فسأل الامير واجاب العالِم فابتهج الامير من الافكار الواضحة الفعّالة التي كان ملانكثون يضعها امامهُ واخيرًا التمس ملانكثون الاذن بالرجوع الى طريق سفرهِ ففارقهُ فيلبس والي هسي كرهًا وقال لهُ بشرط انك عند رجوعك الى بيتك تفحص بتدقيق القضايا التي بحثنا فيها وترسل لي نتيجة ذلك خطًّا فوعدهُ ملانكثون بذلك فقال فيلبس فانطلق اذًا ومُرَّ في ولاياتي

فكتب ملانكثون بحذاقة حسب عادتهِ ملخص تعاليم الديانة المسيحية المقبول فكان من ذلك نبذة قوية موجزة احدثت تأثيرًا قويًا في ضمير الوالي المذكور فان هذا الامير بعد رجوعهِ من المحضر في هيدلبرج بقليل اذاع من دون اتحاد مع المدن المستقلة مرسومًا امر فيهِ ضد جمعية راتسبون ان يُبشَّر بالانجيل بكل نقاوتهِ وهو نفسهُ احتضنهُ بنشاط يناسب طبعهُ فقال احبُّ اليَّ ان ادفع جسدي

وحياتي ورعاياي وولاياتي من ان ادفع كلمة الله فنهض راهبٌ اسمهُ فربر اذ رأى ميل الامير نحو الاصلاح وكتب لهُ مكتوبًا مملوءًا من التوبيخ وبهِ استحلفهُ ان يبقى امينًا لرومية فاجابهُ فيلبس اني سابقى امينًا للتعليم القديم ما كان موجودًا منهُ في الاسفار المقدسة ثم برهن بكل عزم ان الانسان انما يتبرر بالايمان فقط فاسكتت الحيرة الراهب وكان هذا الوالي يُلقَّب في الغالب تلميذ ملانكثون

واقتفى هذه الخطوات امراء آخرون كثيرون فان المنتخب البلاتيني لم يشأ ان يساعد في شيء من الاضطهاد ودوك لونيبرج ابن اخي منتخب سكسونيا ابتدا في اصلاح ولايتهِ وملك دنيمارك امر انهُ في سلاسويك وهولستين يمنح كل انسان حرية ان يعبد الله كما يرشدهُ ضميرهُ. وفاز الاصلاح بغلبة اعظم وذلك ان اميرًا كان رجوعهُ الى الانجيل عتيدًا ان يحدث اعظم تاثير حتى في ايامنا ابتدا في ذلك الوقت يتحول عن رومية فانهُ ذات يوم بالقرب من اواخر حزيران بعد رجوع ملانكثون الى وتمبرج بمدة قصيرة دخل مخدع لوثيروس البرت مرغريف برندنبرج رئيس طغمة الفرسان التوتونية الكبير ورئيس رهبان جرمانيا الجهاريين وهو حينئذٍ صاحب بروسيا وانطلق الى مجمع نورمبرج لكي يطلب النجدة الملكية على بولندا فرجع باشد الغم وذلك انهُ من الجهة الواحدة وعظ اوسياندر وقراءة الكتاب المقدس قد اقنعاهُ بان دعوتهُ الرهبانية مضادة لكلام الله ومن الجهة الاخرى سقوط الحكومة العامة في جرمانيا نزع منهُ كل امل في نيل المساعدة التي ذهب في طلبها فاحتار بامرهِ فاشار اليهِ المشير السكسوني فون بلانتز الذي رافق البرت من نورمبرج ان يقابل المصلح فلما قابلهُ هذا الرئيس الهائج العديم الهدوء قال لهُ ماذا ترى في قوانين طريقتي اما لوثيروس فلم يتردد في ذلك لانهُ رأى ان سيرة مطابقة للانجيل انما هي الطريق الوحيد لانقاذ بروسيا فقال للرئيس اطلب مساعدة الله واطرح قوانين رهبانيتك الجامدة المشوّشة وأنهِ تلك الرياسة المكروهة التي هي خنثى حنيفية لا دينية ولا دنيوية واترك تلك العفة الكاذبة واطلب العفة الحقيقية واتخذ امرأة شرعية وبدلاً من ذلك المسخ العديم الاسم أقم

السلطة الشرعية. وهذه الكلمات صوّرت بصراحة امام عيني الرئيس الكبير حالة للاشياء لم يكن قد رآها الاّ نظرًا غير واضح فانار الابتسام هيئتهُ الاّ انهُ تحذر من اظهار نفسهِ فبقي صامتًا وكان ملانكثون حاضرًا فتكلم كلامًا يطابق كلام لوثيروس فرجع الرئيس الى ولايتهِ تاركًا المصلحين تحت الاقتناع بان الزرع الذي زرعاهُ في قلبهِ سوف ياتي يومًا بثمر

ان كرلوس الخامس والبابا قاوما المجمع العمومي في سبيرس خوفًا من ان كلمة الله تربح جميع الحاضرين وكلمة الله لا تُقيَّد. ابوا ان يسمحوا باستماعها في محل واحد فاخذت ثارها بانتشارها في جميع الولايات فحرَّكت قلوب الشعب ونوَّرت الامراء واظهرت في كل قسم من المملكة تلك القوة الالهية التي لا يمكن للاوامر ولا للمناشير ان تبطلها

الفصل التاسع

اصلاحات . سقوط القداس . تعليم العامة

وبينما كان الشعب وقوادهم مسرعين هكذا نحو النور كان المصلحون يجتهدون في تجديد كل شيء وان يوضحوا كل شيء حسب مبادي الديانة المسيحية واعتنوا اولاً بحالة العبادة الجمهورية والوقت الذي عيَّنهُ المصلح عند رجوعهِ من الوارتبرج كان قد اتى فقال بما ان قلوب الناس قد تقوَّت الآن بنعمة الهية يجب ان نزيل الشكوك التي تدنس ملكوت الرب ونتجاسر باسم يسوع فطلب ان الناس يتناولون من الشكلين اي الخبز والخمر وان يُنزَع كل شيء من طقس الافخارستيا ما يعتبرها ذبيحة وان المسيحيين لا يجتمعون ابدًا معًا من دون ان يوعظ بالانجيل في اجتماعهم وان المؤمنين او اقلها يكون الخوارنة والعلماء يجتمعون كل صباح باكرًا لاجل قراءة العهد العتيق وكذلك مساء لاجل قراءة العهد الجديد وانهُ في كل احد يجب ان تجتمع كل الكنيسة قبل الظهر وبعدهُ وان تكون غاية عبادتهم العظيمة

ان يذيعوا في العالم كلمة الله . وكانت كنيسة جميع القديسين في وتمبرج على الخصوص تهيج غيظ لوثيروس وقد اخبر سكندورف انهُ كان يتلى هناك سنويًا تسعة آلاف وتسع مئة قداس وقداس ويُحرَق كل سنة خمسة آلاف وتسع مئة وثمانية وعشرون رطلاً وثلث رطل من الشمع فسماها لوثيروس هاوية مدنسة قال بقي ثلاثة او اربعة بطون كسلى لا تزال تعبد هذا الصنم الشنيع ولو لم اوقف الشعب لكان بيت جميع القديسين هذا او بالحري بيت جميع الشياطين قد صار عبرة في العالم لم يُسمَع بمثلها . فالجهاد ابتدا حول تلك الكنيسة فكانت تشبه تلك المقادس القديمة التي للوثنيين في مصر وفرانسا وجرمانيا التي قُضِي عليها بالسقوط لكي تقوم الديانة المسيحية

واذ رغب لوثيروس في ابطال القداس من تلك الكنيسة كتب عرضًا الى المجمع بهذا الشان في اذار سنة ١٥٢٣ ثم عرضًا آخر في ١١ تموز واذ التجا القانونيون الى امر الامبراطور اجاب لوثيروس ما لنا ولامر الامبراطور في هذا الشان فان السيف مختصٌ بهِ لا الانذار بالانجيل ثم اوضح لوثيروس جليًا الفرق بين الكنيسة والحكومة وقال ايضًا انهُ لا يوجد الاَّ ذبيحة واحدة ترفع الخطية اي المسيح الذي قدم نفسهُ مرة واحدة عن الجميع وبتلك الذبيحة نحن شركاه لا بالاعمال ولا بالذبائح ولكن بالايمان بكلمة الله فقط . اما الملك المنتخب الذي شعر بقرب اجلهِ فلم يرضَ باصلاحات جديدة . ثم لحقت طلبات جديدة طلبات لوثيروس فقال يونان مدبر كنيسة الكرسي للمنتخب ان زمان العمل قد اتى واظهار الانجيل كما هو الآن لا يدوم في الغالب اكثر من لمحة نور فلنسرع بالعمل

اما مكتوب يونان فلم يغير افكار المنتخب فحنق لوثيروس واذ راى ان وقت العمل قد اتى كتب مكتوبًا متهددًا الى المجمع يقول اني اترجاكم بكل محبة واحثكم بكل وجد ان تزيلوا هذه العبادة الطائفية واذا ابيتم فانكم تنالون بمعونة الله الجزاء الذي تستوجبونهُ وقد ذكرت ذلك لارشادكم واطلب منكم جوابًا قطعيًا حاليًا بالايجاب او السلب قبل الاحد الآتي لكي اعلم ماذا يجب ان اعمل

واسال الله ان ينعم عليكم حتى تسلكوا في نورهِ تحريرًا في ٨ كانون الاول سنة ١٥٢٤ يوم الثلاثاء

مرتينوس لوثيروس
واعظ في وتمبرج

وفي ذلك الوقت عينهِ حضر المدبر ووالبان وعشرة مشيرين امام ثاني الاسقف وطلبوا منهُ باسم المدرسة والشوري وبلدة وتمبرج ان يبطل النفاق العظيم المكروه الذي يرتكبهُ الناس بواسطة القداس ضد جلال الله . فالتزم المجمع ان يسلّم واعلن اعضاؤُهُ انهم بناء على اسنتنارتهم بكلمة الله المقدسة قد اعترفوا بالمساوي المشار اليها واذاعوا ترتيبًا جديدًا لخدمة الكنيسة ابتدا الناس باقامتهِ يوم عيد الميلاد سنة ١٥٢٤

وهكذا سقط القداس في ذلك المقدس الشهير حيث قاوم زمانًا طويلاً بهذا المقدار رشقات المصلحين المكررة واما الملك المنتخب فردريك اذ كان متعذبًا من داء النقرس ويدنو بسرعة من آخرتهِ فلم يستطع مع كل جهدهِ ان يمنع غلبة الاصلاح هذه بل قد راى فيهِ ظهور ارادة الله ولذلك سلّم وسقوط الطقوس الرومانية في كنيسة جميع القديسين عجلت ملاشاتها في كنائس كثيرة من العالم المسيحي قاطبةً فان هذه المقاومة بعينها حصلت في كل مكان وكانت الغلبة في كل مكان متشابهة وعبثًا حاول الخوارنة والامراء ايضًا في اماكن شتى القاء الموانع في الطريق لانهم لم ينجحوا

ولم تكن العبادة الجهارية وحدها هي الامر الذي كان الاصلاح عتيدًا ان يغيرهُ بل جُعلت المدرسة الى جانب الكنيسة وهاتان الآلتان العظيمتان القادرتان بهذا المقدار على تجديد الشعوب انتعشتا كلتاهما فانهُ بواسطة اتحاد وثيق مع العلم دخل الاصلاح الى العالم وهو في ساعة غلبة لم ينسَ هذا الاتحاد

ان الديانة المسيحية ليست هي مجرد نمو الديانة اليهودية وبلوغها وهي خلاف البابا وية لا تقصد ان تحصر الانسان ثانيةً في لفائف ضيقة من سنن خارجية

وتعاليم بشرية بل الديانة المسيحية خليقة جديدة تقبض على الانسان الداخلي وتغيره في اعمق مبادي طبيعتهِ البشرية حتى ان الانسان لا يحتاج ايضا الى اناس غيره لكي يضعوا عليهِ قوانين ولكنهُ بمعونة الله يقدر من نفسهِ وبنفسهِ ان يميز ما هو صحيح ويعمل ما هو مستقيم (عب ٨: ١١) . ولاجل اقتياد الناس الى ملء العمر الذي اشتراهُ المسيح لهم واعتاقهم من تلك العبودية التي امسكتهم رومية بها كل هذا الزمان اقتضى الامر ان الاصلاح يغير الانسان بجملتهِ وان يجدد قلبهُ وارادتهُ بواسطة كلمة الله وينير فهمهُ بواسطة درس العلوم العالمية والعلوم المقدسة

فلوثيروس راى ذلك وراى انهُ لاجل تقوية الاصلاح لابد من تهذيب الفتيان وتحسين المدارس واذاعة المعرفة الضرورية لدرس الكتب المقدسة بتعمق في كل العالم المسيحي ومن ثم صار ذلك من جملة مقاصد حياتهِ وراى ذلك على الخصوص في العصر الذي نحن في صددهِ وكتب الى مشيري كل مدن جرمانيا يطلب منهم ان يقيموا مدارس فقال ايها السادة الاعزاء اننا كل سنة نصرف مقدارًا عظيمًا من المال على الاسلحة والطرقات والترع فلماذا لا نصرف قليلاً على معلم او معلمين لاولادنا المساكين فان الله واقف على الباب يقرع فطوبانا اذا فتحنا لهُ فالآن كلمة الله فائضة فيا اعزائي الجرمانيين اشتروا اشتروا ما دام السوق مفتوحًا امام بيوتكم فان كلمة الله ونعمتهُ هما نظير مطر يسقط وينقطع فكانت كلمة الله بين اليهود وزالت منهم وهم الآن لا يملكونها وحملها بولس الى بلاد اليونان وزالت من تلك البلاد ايضًا وجاءت الى رومية والمملكة اللاتينية وزالت من تلك البلاد ايضًا والآن رومية انما لها البابا فيا ايها الجرمانيون لا تنتظروا ان تكون لكم كلمة الله الى الابد فان الاحتقار الذي يُبدَى نحوها سوف يطردها ولاجل ذلك من اراد ان يملكها فليقبض عليها ويحفظها

ثم استتلى لوثيروس مخاطبًا الولاة ايضًا بقولهِ اشتغلوا في شان الاولاد لان آباء كثيرين مثل النعام ينصلب على صغارهِ واذ يكتفي بالقاء البيضة لا يهتم بها بعد ذلك ونجاح المدينة لا يقوم بمجرد جمع كنوز عظيمة وبناء اسوار قوية وتشييد

منازل فاخرة واقتناء اسلحة لامعة فاذا هجم المجانين عليها يكون خرابها اعظم وغنى المدينة الحقيقي وامانها وقوتها هو ان يكون فيها اهالي كثيرون علماء رزناء افاضل متهذبون جيدًا وعلى من يجب ان نلقي اللوم (لانهُ لا يوجد الآن من هولاء الّا قليلون جدًّا) الا عليكم انتم ايها الولاة الذين سمحوا ان شباننا ينمون كالاشجار في الحرش

وحث لوثيروس الناس بنوع خصوصي على درس العلوم واللغات بقولهِ وربما يُسأَل وما هي الفائدة من تعليم اللاتيني واليوناني والعبراني فاننا نقدر على قراءة الكتاب المقدس جيدًا بالجرماني فيجيب بقولهِ اننا لولا اللغات لما قدرنا على قبول الانجيل فاللغات هي الغلاف الذي يتضمن سيف الروح وهي العلبة التي تحفظ الجواهر والاناء الذي يضبط الخمر وكما يقول الانجيل هي السلال التي تحفظ فيها الارغفة والاسماك لاجل اطعام الجموع فاذا اهملنا اللغات فاننا لا نخسر الانجيل فقط بل ايضًا لا نعود قادرين على ان نتكلم ولا نكتب باللاتيني ولا الجرماني وحالما ابتدا الناس يهملون اللغات انحطّ شان الديانة المسيحية حتى سقطت تحت صولة البابا واما الآن فاذ رجعت الكرامة للغات تراها قد انبعث منها نور يذهل العالم باسرهِ ويلزم كل واحد ان يقر بان انجيلنا خالص مثلما كان انجيل الرسل تقريبًا ففي الازمان القديمة كان الآباء الاطهار يغلطون مرات كثيرة لانهم جهلوا اللغات وفي ايامنا يوجد من يزعم كالولد نسيبين ان اللغات لا فائدة لها فهولاء وان يكن تعليمهم جيدًا لكنهم كثيرًا ما ضلوا في معنى الآيات المقدسة الحقيقي فهم من دون سلاح لدفع الغلط وانا اخاف جدًّا من ان ايمانهم لا يبقى خالصًا ولو لم تكن اللغات قد جعلتني على يقين من جهة معني الكلمة لربما كنت راهبًا تقيًا انادي بالحق بهدو في ظلمة الدير غير اني كنت قد تركت البابا واصحاب السفسطات وممالكتهم المضادة للديانة المسيحية غير متزعزعة

ولم يكتفِ لوثيروس بتهذيب الاكليروس فقط بل رغب في ان المعارف لا تكون محصورة في الكنائسيين وعرض على الناس امتدادها الى العوام الذين

كانوا الى ذلك الوقت خالين منها فطلب اقامة مكاتب تتضمن لا كتب وتفاسير الفلاسفة وآباء الكنيسة فقط بل كتب الخطباء والشعراء ايضًا ولو كانوا وثنيين وكذلك كتبًا تتعلق بالصناعات اللطيفة والفقه والطب والتاريخ فقال ان هذه الاعمال تشهر اعمال الله واعاجيبه

ولا ريب ان اجتهاد لوثيروس هذا هو من اهم اجتهادات الاصلاح فانه اعتق العلوم من ايدي الخوارنة الذين كانوا قد خصصوها بانفسهم نظير كهنة مصر في الازمان القديمة وجعلها في طاقة ايدي الجميع ومن هذه الحركة الصادرة عن الاصلاح نتج اعظم ظواهر الازمان الحديثة والذين يطعنون الآن في الاصلاح سواء كانوا علماء ام تلامذة ينسون انهم هم انفسهم اولاده وانهم لولاه لكانوا باقين نظير اولاد جاهلين تحت قضيب الاكليروس فان الاصلاح راى الرباط الوثيق الذي يقرن جميع العلوم معًا وراى ان المعارف باسرها كما انها مستمدة من الله تقود الانسان راجعة بهِ الى الله فرغب في ان جميع الناس يتعلمون وانهم يتعلمون كل شيء. قال ملانكثون ان الذين يحتقرون الآداب العالمية لا يكونون اكثر اعتبارًا للالهيات فان احتقارهم انما هو محض دعوى يطلبون ان يغطوا بها كسلهم

والاصلاح لم يكتفِ بمجرد احداثهِ حركة قوية نحو العلوم بل احدث ايضًا حركة جديدة نحو الصناعات اللطيفة اي النقش والتصوير . والمذهب البروتستانتي كثيرًا ما قُرّف بكونهِ عدوًّا لتلك الامور وقومٌ من البروتستانت يقبلون باختيار هذا التقريف ونحن لا نبحث هل الاصلاح لهُ ان يفتخر بذلك او لا بل نكتفي ببيان كون التاريخ الخالي من الغرض لا يثبت الامر الذي يُبنَى عليهِ هذا التقريف فدع المذهب الباباوي يفتخر بكونهِ اعضد للصناعات اللطيفة من المذهب البروتستانتي فليكن كذلك فان المذهب الوثني كان اعضد لها من المذهب الباباوي وافتخار المذهب البروتستانتي ومجدهُ مبني على شيء آخر فان بعض الاديان تعتبر حب البديعة في طبيعة الانسان فوق اعتبارها طبيعته

الادبية والديانة المسيحية ممتازة عن تلك الاديان بما ان العنصر الادبي هو جوهرها والغرض المسيحي يظهر لا باعمال الصناعات اللطيفة بل باعمال الحياة المسيحية وكل طائفة تترك هذا الغرض الادبي للديانة المسيحية تنقض بهذا الامر نفسهِ تسميتها باسم مسيحية . ورومية لم تترك ذلك بالتمام الآن المذهب البرونستانتي يربي هذا الوصف الجوهري بخلوص اعظم لانهُ يفتخر في البحث عن كل ما يلاحظ الكائن الادبي وفي الحكم على الاعمال الدينية لا من حيثية جمالها الخارجي وفعلها في التصور بل بحسب استحقاقها الداخلي وتعلقها بالضمير حتى انهُ اذا كانت البابا وية هي على الاكثر ديانة بديعية كما قال بعض المؤلفين المعتبرين يكون المذهب البروتستانتي على الاكثر ديانة ادبية

ان الاصلاح وان خاطب الانسان اولاً نظير مخلوق ادبي خاطبهُ بجملتهِ فقد راينا كيف خاطب عقلهُ وما عمل للآداب . وخاطب ايضًا حاستهُ وتصورهُ وساعد في تقدم الصنائع فلم تكن الكنيسة بعد ذلك مؤلفة من رهبان وخوارنة لا غير بل صارت الكنيسة جماعة المؤمنين فكان الجميع يشتركون في عبادتها الجهارية وترتيل الاكليروس رافقهُ ترتيل الشعب ومن ثم افتكر لوثيروس عند ترجمتهِ المزامير باستعمالها في الترتيل الجمهوري وهكذا انتشرت محبة الموسيقى بين الامة

قال لوثيروس انني اعطي المكان الاول والكرامة العليا للموسيقى بعد اللاهوت . وقال في وقت آخر يجب على معلم المدرسة ان يعرف الترتيل والاَّ فلست التفت اليهِ كثيرًا . وذات يوم كان بعض اصدقائهِ يرتلون ترتيلاً جميلاً جدًّا في بيتهِ فصرخ بحمية قائلاً اذا كان الله ربنا قد نثر مثل هذه العطايا العجيبة على هذه الارض التي انما هي زاوية مظلمة فما الذي لا يوجد في الحياة الابدية التي فيها يكون كل شيء كاملاً . فمنذ ايام لوثيروس رتل الشعب واخذوا روح ترتيلهم من الكتاب المقدس والحركة التي حصلت في عهد الاصلاح احدثت في السنين المتاخرة تلك الاناشيد الشريفة التي بلغت قمة هذه الصناعة

واشترك الشعر في الحركة العمومية فان الناس في ترتيل تسابيح الله لم يستطيعوا ان يقتصروا على مجرد ترجمات التراتيل القديمة فان نفس لوثيروس ونفوس كثيرين من معاصريه اذ ارتفعت بواسطة الايمان الى اسمى الافكار وتحركت الى الغيرة بواسطة الجهادات والاخطار التي كانت على التوالي تتهدد الكنيسة في عهد طفوليتها وأُلهمت بواسطة اسلوب العهد العتيق النظمي وبواسطة ايمان العهد الجديد سكبت سريعًا حاساتها في تراتيل دينية اقترن بها الشعر والموسيقى معًا على اسلوب سموي فائق وهكذا في القرن السادس عشر انتعشت النشائد التي في القرن الاول عزّت الشهداء في عذاباتهم القادحة وفي سنة ١٥٢٣ اكرسها لوثيروس كما تقدم لتذكار شهداء بروسلس والبعض من ابناء الاصلاح اقتدوا بقدوته وتلك النشائد زاد عددها وانتشرت بسرعة بين الشعب وساعدتهم بقوة في ايقاظهم من غفلتهم وفي تلك السنة نفسها نظم هنس سخس ديوانهُ المعنون بلبل وتمبرج . والتعليم الذي غلب في الاربعة القرون الاخيرة في الكنيسة كان كنور القمر به ضلت الناس عن طريقهم في البرية وتلك الاناشيد نادت بقدوم الفجر وارتفعت فوق ضباب الصباح وبشرت ببهاء النهار القادم. وبينما كانت الاشعار القيثارية تتولد هكذا من اسمى الهامات الاصلاح كانت الاشعار الهجائية والمقامات من قلم هوتن ومنوبل تهجو القبائح الشهرى . واعظم شعراء انكلترا وجرمانيا وربما فرانسا انما هم مديونون للاصلاح لاجل اسمى افكارهم

اما صناعة التصوير فهي ما كان للاصلاح اقل التاثير فيها الّا ان تلك الصناعة قد تجددت وتقدست بواسطة الحركة العمومية التي هيجت في ذلك الزمان جميع قوى الانسان فلن لوقا كراناخ المصوّر الشهير لذلك العصر اقام في وتمبرج وكان صديقًا مخلصًا للوثيروس واضحى مصورًا للاصلاح وقد ذكرنا كيف صوّر المقابلة بين المسيح والمسيح الكذاب اي البابا وبذلك صار من اقوى آلات الحركة التي كانت آخذة في احالة الشعوب فانهُ حالما تغيرت افكارهُ كرس قلمهُ لتصوير امور مطابقة للافكار المسيحية . ورُبع البرت دورار ايضًا

بواسطة كلمة الانجيل وحصلت حركة جديدة في حذاقتهِ واحسن اعمالهِ كانت من ذلك الوقت فصاعدًا ونرى من الصور التي صورها من ذلك الوقت فصاعدًا ان الكتاب المقدس قد رُدَّ للشعب وان المصور من هناك اتخذ عمقًا وقوةً وحياةً وسموًّا لم يكن يمكنهُ قط ان يجدها في نفسهِ

ان اصلاح جرمانيا اذ كان على الاكثر يخاطب طبيعة الانسان الادبية احدث حركة للصنائع لم تكن قد نالتها من المذهب الروماني الباباوي . وهكذا اخذ كل شيء في التقدم من الصنائع والآداب وروحانية العبادة وعقول الامراء والشعب ولكن هذا الاتفاق الكريم الذي احدثهُ الانجيل في كل مكان عند انتعاشهِ كان عتيدًا ان يقع في الاضطراب فان الحان اناشيد وتبرج كانت مزمعة ان تنقطع بواسطة عجيج العاصف وزئير الاسود فانهُ في دقيقة من الزمان انتشر ضباب على كل جرمانيا وولي اكثف الظلام ذلك النهار المجيد

الفصل العاشر

الهياج بين الشعب . مقاومة لوثيروس العصيان . قيام الفلاحين . زحف الجيش الملكي وانكسار الفلاحين . قساوة الامراء

كان قد ابتدا قبل ذلك الوقت بين الشعب هياج سياسي مختلف جدًّا عن الهياج الذي احدثهُ الانجيل فان الشعب المذلول بالظلم المدني والكنائسي والمقيد في بلدان كثيرة الى الاملاك يُباعون اذا بيعت ويُشترون اذا اشتريت اخذ يقوم بغضب ليقطع تلك القيود وهذا الهياج كان قد ابرز نفسهُ بعلامات كثيرة قبل الاصلاح بزمان طويل وفي ذلك الوقت ايضًا امتزج العنصر الديني بالعنصر المدني وفي القرن السادس عشر استحال فصل هذين المبدأين المقترنين اقترانًا قويًّا بهذا المقدار في طبائع الشعوب ففي هولندا في آخر القرن السابق

عصى الفلاحون وصوّروا على راياتهم رغيفًا وقطعة جبن البركتين العظيمتين لذلك الشعب المسكين وفي سنة ١٥٠٣ ظهرت اخوية الاحذية في جوار سبيرس وظهرت ايضًا سنة ١٥١٣ في بريسغو اذ عضدها الخوارنة وفي سنة ١٥١٤ قام في وارتمبرج اخوية كونراد المسكين غايتها على قول اعضائها ان تحامي عن حق الله بالعصيان وفي سنة ١٥١٥ صار في كارنثيا والجيار حركات هائلة وتلك الفتن قد أُخمدت بجارٍ من الدماء ولكن لم تحصل راحة للشعب ولهذا لم يكن الاصلاح السياسي اقلّ لزومًا من الاصلاح الديني وكان الشعب مستحقين ذلك ولكن لا بد من الاقرار بانهم لم يكونوا مستعدين الاستعداد الكافي للتمتع بهِ. فمنذ ابتداء الاصلاح لم تتجدد تلك القلاقل العمومية لان عقول الناس تشغلت بافكار اخرى ولوثيروس الذي راى نظرهُ الحاد حالة الشعب كان قد خاطبهم من قمة الوارتبرج بالمواعظ النصوحة من شانها ان تسكن عقولهم المضطربة

قال ان العصيان لا يحدث التحسين الذي نرغبهُ وهو محجوب من الله فما هو العصيان الاّ اخذ الثار لانفسنا فان الشيطان يجتهد في تهييج عصيان اولئك الذين يحتضنون الانجيل لكي يغطيهُ بالاحتقار ولكن الذين فهموا تعليمي بالاستقامة لا يتمردون ابدًا

وكل شيءٍ اشار الى ان هياج العموم لا يمكن ضبطهُ زمانًا طويلاً ايضًا فان الحكومة التي اجتهد فردريك السكسوني بهذا المقدار في ترتيبها ووثقت بها الامة انحلّت والامبراطور الذي نشاطهُ ربما كفى للتعويض عن سطوة تلك الحكومة العمومية كان غائبًا والامراء الذين جمعوا قوة جرمانيا انقسموا والاحكام الجديدة الصادرة من كرلوس الخامس ضد لوثيروس بنزعها كل امل بالاتفاق في المستقبل اعدمت المصلح جانبًا من السطوة الدينية التي بها قد نجح في تسكين العاصف سنة ١٥٢٢ والموانع العظمى التي كانت قد منعت الى ذلك الوقت المياه المنحصرة بها عن الاندفاع زالت فلم يكن شيءٌ بعد ذلك قادرًا على ردع ثورانهِ ان الحركة الدينية لم تلد الحركات السياسية ولكنها في اماكن كثيرة حُملت

بامواجها القوية والحركة الحادثة بين الشعب بواسطة الاصلاح قوّت التذمر الذي ابتدا في الامة وقساوة كتابات لوثيروس وجراءة اعماله والحقائق الغليظة التي تكلم بها ليس مع البابا والاساقفة فقط بل مع الامراء انفسهم ايضاً لا بد انها ساعدت في اضرام العقول الكائنة في حالة الهياج ومن ثمَّ لم يتاخر ايراسموس عن ان يقول له اننا نحن الآن نجني الاثمار التي زرعتها انت . وعدا ذلك ان حقائق الانجيل البهجة التي كُشِفت اخيرًا حرَّكت جميع القلوب وملأَتها املاً ورجاء الاَّ ان نفوسًا كثيرة غير متجددة لم تكن مستعدة بواسطة التوبة للايمان والحرية اللذين للمسيحيين فرغبوا جدًّا في طرح النير الباباوي عنهم ولكنهم لم يشأْوا ان يحملوا نير المسيح . فالمسيحيون الحقيقيون عند ما اجتهد الامراء المتحزبون لرومية ان يخنقوا الاصلاح احتملوا بصبر تلك الاضطهادات القاسية ولكن الجمهور دافع وهيج واذ رأَى آماله تخيب من جهة وجَّهها الى جهة اخرى وقالوا لماذا تستمر العبودية في البلاد والحال ان الكنيسة تدعو جميع الناس الى حرية مجيدة ولماذا لا تتسلط الحكومات الاَّ بالقهر والحال ان الانجيل لا ينادي بشيء الاَّ الرفق واللطف وعند ما قبل الاصلاح الديني بالفرح الامراء والشعب على حدٍّ سواء قاوم لسوء الحظ الجزء الاقوى من الامة الاصلاح السياسي واذ كان الانجيل الدستور والسند للاول لم يكن للثاني مبادئ اخرى غير القساوة والجور ومن ثمَّ اذ كان الواحد محصورًا داخل حدود الحق تجاوز الآخر بسرعة نظير سيل عنيف كل حدود العدل . ولكن التغاضي عن فاعلية الاصلاح عرضيًا في الاضطرابات الحادثة في المملكة يشير الى الغرض فان نارًا كانت قد أُضرمت في جرمانيا بواسطة جدالات دينية لم يكن ممكنًا منع تطاير بعض الشرارات منها من شانها ان تضرم اهواء الشعب . وادّعاء بعض الموسوسين الوحي الالهي زاد الشرا ما الاصلاح فاستغاث على الدوام من سلطان الكنيسة المزعوم بسلطان الكتب المقدسة الحقيقي ولم يكن هولاء الموسوسون يكتفون برذل سلطان الكنيسة بل رذلوا ايضًا سلطان الكتب المقدسة فما كانوا يتكلمون الاَّ عن كلمة داخلية

ووحي داخلي من الله واذ تغافلوا عن فساد قلوبهم الطبيعي اطلقوا العنان للكبريا الروحية وتوهموا انهم قديسون

قال لوثيروس ان الكتب المقدسة لم تكن عند هولاء الاَّ حرفًا ميتًا وهم جميعًا يصرخون الروح الروح ولكني بكل تحقيق لا اسير الى حيث يقود روحهم فاسأَل الله ان يحفظني برحمتهِ من كنيسة ليس فيها الاَّ قديسون فاني ارغب ان اسكن مع المتواضعين والضعفاء والمرضى الذين يعرفون خطاياهم ويشعرون بها ويتنهدون ويصرخون دائمًا الى الله من اعماق قلوبهم لكي ينالوا تعزيتهُ ومعونتهُ . فكلام لوثيروس هذا لهُ معنًى عميق جدًّا وهو يبين التغيير الذي حدث في افكارهِ نظرًا الى ماهية الكنيسة ويبين ايضًا شدَّة مضادة الآراء الدينية عند العصاة لآراء الاصلاح

وكان اشهر هولاء الموسوسين توما منزر وهو رجل فطن على نوع دارس الكتاب المقدس غيور ولو قدر ان يجمع افكارهُ الهائجة ولو وجد سلام القلب لعمل خيرًا كثيرًا ولكن بما انهُ لم يكن يعرف نفسهُ وكان ناقص التواضع الحقيقي استحوذت عليهِ الرغبة في ان يصلح العالم ومثل جميع الموسوسين نسي ان الاصلاح يجب ان يبتدي في نفسهِ وبعض المؤلفات الصوفية التي قراها في صغرهِ حرفت عقلهُ وظهر اولاً في زويكاو وترك وتمبرج بعد رجوع لوثيروس اليها واذ كان غير مرتضٍ بعملهِ الحقير الذي كان لهُ صار راعي مدينة صغيرة يقال لها الستدت في ثورنجيا فلم يستطع ان يستريح مدة طويلة فاخذ يقرف المصلحين بكونهم يبنون بواسطة تمسكهم بالحرف بابوية جديدة وبانهم يرتبون كنائس لم تكن نقية ولا طاهرة . فقال ان لوثيروس انقذ الضمائر من نير البابا الاَّ انهُ تركهم في حرية جسدية ولم يقتدهم بالروح نحو الله وحسب نفسهُ مدعوًّا من الله لكي يعالج هذا الشر العظيم والهامات الروح هي في عينيهِ الواسطة التي كان اصلاحهُ عتيدًا ان يتم بها فقال ان من كان لهُ هذا الروح لهُ الايمان الحقيقي وان لم يرَ الكتب المقدسة مدة عمرهِ وان الوثنيين الكفار هم اكثر اهلية لقبولهِ من كثيرين من

المسيحيين الذين يلقبوننا موسوسين. وكلامهُ هذا اتجه الى لوثيروس وقال في وقت آخر انهُ لكي نقبل هذا الروح يجب ان نميت الجسد ونلبس ثيابًا رثة ونرخي لحانا ونكون بهيئة كئيبة ونبقى صامتين . وننقطع الى الاماكن المقفرة ونتضرع الى الله ان يعطينا علامة رضوانهِ وحينئذٍ ياتي الله ويتكلم معنا كما تكلم قديمًا مع ابرهيم واسحق ويعقوب والَّا فلا يستحق اهتمامنا وقد ارسلني الله لكي اجمع معًا مختاريهِ في جماعة مقدسة ابدية

والهياج والاضطرام في عقول الناس كانا مناسبين غاية المناسبة لزرع هذه الافكار الموسوسة لان الانسان يحب الامور المعجبة وكل ما يملق كبرياءهُ واذ اقنع متزر جماعةً من رعيتهِ بقبول آرائهِ نفى الترتيل الكنائسي وجميع الطقوس الاخر وذهب الى ان طاعة الرؤساء العادمين الفهم هي عبادة الله والبعل معًا ثم خرج في مقدمة رعيتهِ الى معبد في سواد الستدت كان ياتي اليهِ السائحون من كل الجهات فهدمهُ واذ الزمهُ الامر بعد هذا الفعل العظيم الى ترك تلك الجيرة طاف حول جرمانيا حتى وصل الى سويسرا يحث الناس على حركة عمومية ووجد في كل مكان عقول الناس مستعدة فالقى بارودًا على الجمرات الملتهبة وفي الحال سمع صوت تفرقعهِ

واما لوثيروس الذي كان قد رذل اعمال سكينجن الحربية فلم يُغلَب بواسطة حركة الفلاحين الهائجة ولاجل خير الراحة العمومية حفظهُ الانجيل لانهُ ماذا كان قد حدث لو دخل بسطوتهِ العظيمة الى معسكرهم . بل بكل عزمهِ تمسك دائمًا بالفرق بين الاشياء الروحية والعالمية وكرر على الدوام قولهُ ان ما قد اعتقهُ المسيح بكلمتهِ هو نفوس غير مائتة واذ كان باليد الواحدة يقاوم سلطان الكنيسة حامى باليد الاخرى عن سلطان الامراء فقال ان الاولى بالمسيحي ان يموت مئة ميتة من ان يتداخل ادنى تداخل في تمرد الفلاحين وكتب الى الملك المنتخب يقول انني افرح بنوع خصوصي عند ما ارى هولاء الموسوسين انفسهم يفتخرون لدى كل من يصغى اليهم بانهم ليسوا منا فيقولون ان الروح يحركهم

ويحثهم وانا اجيب انهُ روح خبيث لانهُ لا يثمر ثمرًا غير ثلب الاديار والكنائس فان اعظم قطاع الطرقات على الارض يعملون بمقدار ما يعمل هولاء

ثم ان لوثيروس الذي رغب في تمتع الآخرين بالحرية التي تمتع بها هو نفسهُ منع الامير المذكور عن جميع انواع القساوة فقال دعهم ينادون بما يعجبهم وضد من ارادوا لان كلمة الله هي التي تبرز للحرب وتقاتلهم فاذا كان روحهم هو الروح الحقيقي فانهُ لا يخاف قساوتنا واذا كان روحنا هو الروح الحقيقي فانهُ لا يخاف شراستهم فلنترك الارواح تقاتل وتشاجر بعضها بعضًا . فربما يضل بعض الاشخاص . لا حربٌ بلا جراح . ولكن الذي يحارب بنصاحة ينال الاكليل غير انهم اذا ارادوا ان يجردوا السيف فليمنع سموُّك ذلك ومُرهم ان يخلوا البلاد

فابتدات القومة في الحرش الاسود وبالقرب من ينابيع نهر الدونو التي كانت مرارًا كثيرة ميدان الحركات العامية وفي ١٩ تموز سنة ١٥٢٤ قام بعض الفلاحين من ثورنجيا على رئيس ريخينا والذي لم يقدم لهم واعظًا انجيليًا ولم يمض الَّا القليل حتى اجتمع عدة آلاف حول مدينة تجن الصغيرة لكي يطلقوا قسيسًا مسجونًا هناك فامتدت الحركة بسرعة لا تُدرَك من سوابيا الى المقاطعات الرينية وفرانكونيا وثورنجيا وسكسونيا وفي شهر كانون الثاني سنة ١٥٢٥ كانت جميع تلك البلدان في حالة العصيان

وبالقرب من اواخر ذلك الشهر اشهر الفلاحون اثنتي عشرة قضية ادَّعوا بها لنفوسهم حرية انتخاب رعاتهم وابطال العشور والرق والغرمة على الارث وحق الصيد برًّا وبحرًا وقطع الحطب الخ وكانت كل طلبة مقرونة بآية من الكتاب المقدس وختموا كلامهم بقولهم اذا كنا مغشوشين فليصلحنا لوثيروس بالكتب المقدسة فطلب راي لاهوتيي وتمبرج في ذلك فاجاب كلٌّ من لوثيروس وملانكثون على حدة وكلامهما دليل على اختلاف طبيعتيهما فان ملانكثون الذي حسب كل نوع من التشويش ذنبًا تخطا حدود لطفهِ المعتاد ولم يقدر ان يجد عبارات ذات قوة كافية لايضاح غيظهِ . قال ان الفلاحين مذنبون وهو يدعو

ضد هم جميع الشرائع الالهية والبشرية وقال اذا كانت المعاملة اللينة لا تفيد يجب على الولاة ان يلقوا القبض عليهم كانهم لصوص وقتلة ثم قال ولكن فليشفقوا على اليتامى عند ما يصلون الى القتل وهذه العبارة الاخيرة وحدها بين تلك الاقوال القاسية تذكّرنا لطف ملانكثون الاعتيادي

واما لوثيروس فكان رايهُ في العصيان كراي ملانكثون الاّ انهُ شفق على شقاوات الشعب وفي تلك المدة اظهر استقامة جليلة وتكلم بالحق بالحرية مع الحزبين فخاطب اولاً الامراء وبنوع اخص الاساقفة فقال

انكم انتم علة هذا العصيان فان صراخكم ضد الانجيل وظلمكم الاثيم للفقراء هما اللذان اوقعا الشعب في اليأس فليس الفلاحون يا سادتي الاعزاء هم الذين يقومون ضدكم بل الله نفسهُ هو الذي يقاوم جنونكم. وانما الفلاحون آلة بيدهِ لاذلالكم فلا تتوهموا انكم تهربون من العقاب الذي يعدّهُ لكم حتى لو بلغ بكم النجاح الى ان تهلكوا كل هولاء الفلاحين لكان الله قادرًا ان يقيم من الحجارة نفسها آخرين لاجل معاقبة كبريائكم ولو كنت ارغب في الانتقام لكنت اضحك في كمي وانفرج عند ما يكون الفلاحون آخذين في عملهم او كنت ازيد غضبهم ولكني اسأل الله ان يحفظني من مثل هذه الافكار فيا سادتي الاعزاء القوا عنكم غضبكم وعاملوا هولاء المساكين كما يعامل رجل عاقل شعبًا سكران او مجنونًا وسكّنوا هذه الحركات بالرفق لئلاَّ يحدث حريق يحرق كل جرمانيا فانهُ بين هذه الاثنتي عشرة قضية بعض الطلبات العادلة المستقيمة

فهذه المقدمة كانت مناسبة لاجتذاب الفلاحين الى الثقة بلوثيروس ولجعلهم يصغون برفق الى الحقائق التي كان عتيدًا ان يخبرهم بها فانهُ بيّن لهم ان الجانب الاعظم من طلباتهم كان مبنيًا على اساس جيّد سوى ان العصيان هو كاعمال الوثنيين وانهُ يجب على المسيحي ان يكون صبورًا ولا ان يحارب وانهم اذا اصرّوا على العصيان على الانجيل باسم الانجيل فانهُ ينبغي ان ينظر اليهم كاعداء الدّ من البابا فقال ان البابا والامبراطور قد اتفقا ضدي ولكن كلما زأرا زاد الانجيل غلبةً

ولماذا. لانني لم استلّ السيف قط ولا طلبت الانتقام ولانني لم التجئ قط الى الشغب والعصيان بل انما استندت تمامًا على الله ووضعت كل شيء في يديهِ القدير تين فان المسيحيين لا يحاربون بالسيوف والرماح ولكن بالآلام والصليب فان المسيح رئيسهم لم يحمل السيف بل عُلّق على خشبة

اما عبارات لوثيروس هذه المسيحية فلم تجدِ نفعًا لان الشعب تهيج جدًّا بواسطة خطب قواد الشغب الموسوسة حتى لا يصغوا كما في القديم الى كلام المصلح بل قال انهُ انما يستعمل الرياء ويملق الاشراف فانهُ قد اشهر الحرب على البابا ومع ذلك يطلب منا ان نخضع لظالمينا. فعوضًا عن ملاشاة الحركة اشتدت فانهُ في وانسبرج لويس امير هلفنستن والسبعون رجلاً الذين تحت امرهِ حكم عليهم العصاة بالقتل فاصطفت جماعة من الفلاحين برماحهم منكسة وجماعة اخرى ساقت هولاء على تلك الرماح المسددة وزوجة هلفنستن وهي ابنة الامبراطور مكسيمليان حاملة طفلاً ابن سنتين على ذراعيها ركعت امامهم وببكاء شديد سألتهم في حياة زوجها فذهب اجتهادها باطلاً وصبي كان في خدمة هذا الامير فاتحد مع العصاة رقص امامهُ وهو يلعب نغمة الموت على مزمارهِ كما لو كان في زفة فهلك الجميع وجُرح الطفل على ذراعي امهِ واما هي نفسها فوضعوها على عربة زبل وارسلوها الى هايلبرون

وعند ما انتشرت اخبار هذه القساوات سُمع صراخ كراهة من اصدقاء الاصلاح وقاسى قلب لوثيروس الحنون جهادًا هائلاً فانهُ من الجهة الواحدة ازدرى الفلاحون بهِ وادّعوا باعلانات من السماء واستعملوا بنفاق تهديدات العهد القديم ونادوا بمساواة الرتب واشتراك الاملاك وحاموا عن دعواهم بالنار والسيف واستعملوا قساوات بربرية ومن الجهة الاخرى سأل اعداء الاصلاح المصلح بتهكم خبيث ألم يعرف ان اضرام النار اسهل من اطفائها واذ اضطرب لوثيروس من تلك الافراطات وارتعد عند الفكر بانهم ربما يوقفون تقدم الانجيل لم يعد يتردد ايضًا وترك الاعتدال فثار على هولاء العتاة بكل نشاطهِ

الطبيعي وربما تجاوز الحدود العادلة التي كان يجب ان يضبط نفسهُ داخلها . فقال ان الفلاحين يرتكبون ثلاث خطايا فظيعة ضد الله والانسان ومن ثمَّ يستوجبون موت الجسد والنفس فانهم اولاً يتمردون على ولاتهم الذين حلفوا لهم بالامانة ثانيًا يسلبون الاديرة والحصون ثالثًا يسترون ذنوبهم برداء الانجيل فاذا كنت لا تقتل كلبًا مكلبًا فانك تهلك وكل جيرانك معك وايُّ مَن قُتل في الحرب عن الولاة فانهُ يكون شهيدًا حقيقيًا اذا حارب بنية صالحة . ثم وصف لوثيروس وصفًا قويًا شراسة الفلاحين الاثيمة الذين يغصبون الناس الساذجين محبي السلام الى الارتباط معهم وبذلك يجتذبونهم الى نفس القضاء الذي يستوجبونهُ هم ثم قال فلاجل هذا السبب ياسادتي الاعزاء اعينوا وخلّصوا وانقذوا وارحموا هذا الشعب المسكين وكل من لهُ قدرة فليضرب ويطعن ويقتل فاذا متَّ فلا موتة اسعد لانك تموت في خدمة الله ولكي تخلص قريبك من جهنم

ولكن لا اللطافة ولا القساوة قدرت على تسكين شغب الشعب . واجراس الكنائس لم تُقرَع بعد لاجل الخدمة الالهية وحيثما سمعت اصواتها في الفلوات كانت علامة للقتال فيركضون باجمعهم الى السلاح وشعوب الحرش الاسود اجتمعوا حول يوحنا مولار من بلجنباخ قائدًا وهو رجل يلوح النفاق على منظرهِ ولبس رداءً احمر وبرنيطة حمراء فتقدم بجراءة من قرية الى قرية وراءهُ جماعة الفلاحين وراءها على عربة مزينة مرفوعة راية مثلثة الالوان سوداء وحمراء وبيضاء علامة للعصيان ومنادٍ لابس تلك الالوان عينها قرأ الاثنتي عشرة قضية ودعا الشعب الى الاشتراك بالعصيان وكل من ابى نُفي من الجماعة

ولم يكن الاّ قليل حتى صارت هذه القومة التي كانت اولاً سلمية اكثر تخويفًا . قالوا يجب ان نغصب الامراء الى الخضوع لمعاهدتنا ولذلك نهبوا الاهراء وافرغوا السراديب ونشفوا برك السمك المختصة بالامراء واخربوا قلع الاشراف التي قاومتهم واحرقوا الاديرة فان المضادة كانت قد هيجت غضب هولاء الناس الجفاة ولم تكن المساواة تقنعهم بعد بل كانوا متعطشين الى الدم واقسموا بانهم

يقتلون كل من لبس مهماً ا اي كل مَن كان من اصل شريف

وعند اقتراب الفلاحين كانت المدن التي لا تقدر على مقاومتهم تفتح ابوابها وتتحد معهم وحيثما دخلوا مزقوا الصور وكسروا الصلبان ونساء مسلحات كانت تجتمع في الاسواق وتتهدد الرهبان وكانوا اذا كُسِروا في مكان يجتمعون ايضاً في مكان آخر يقاومون اشجع الاجناد فاُقيمت عمدة فلاحين فيها يلبرون واستأسروا امراء لاونستين والبسوهم ثياباً خشنة ووضعوا عصياً بيضاً في ايدي هولاء الامراء والزموهم ان يقسموا بقبول الاثنتي عشرة قضية. فقال نحّاس من اهرنجن لاميرَي هوهنلوهي وكان قد ذهب الى معسكرهما ايها الاخ جرجس وانت يا اخ البرت احلفا بانكما تتصرفان كاخوين لنا لانكما انتما ايضاً الآن فلاحان ولم تلبثا ان تكونا سيدين. اي مساواة الرتبة التي هي اضغاث احلام كثيرين من اصحاب الجمهورية حاولوا اقامتها في جرمانيا

ان اشرافاً كثيرين اتحدوا بعضهم خوفاً وبعضهم طمعاً مع هولاء الخوارج واذ وجد الشهير غوتز ڤان برليكنجن رعاياه يأْبون طاعتهُ ابتغى ان يهرب الى منتخب سكسونيا ولكن زوجتهُ التي كانت نفساء ارادت ان تبقيهُ عندها فاخفت جواب الملك المنتخب فالتزم غوتز لاجل شدة الالحاح ان يضع نفسهُ في راس الجيش المتمرد وفي ٧ ايار دخل الفلاحون وارتزبرج حيث قبلهم الاهالي باصوات الثناء وقوات امراء وفوارس سوابيا وفرنكونيا التي كانت قد اجتمعت في تلك المدينة تركتها لهم واعتزلت بالخزي الى القلعة التي هي الحصن الاخير للشرفاء. وكانت الحركة قد امتدت الى اقسام اخرى من جرمانيا فقبلت سبيرس والپلاتينيات وهي الاثنتي عشرة قضية والفلاحون تهددوا باڤاريا ووستفاليا والتيرول وسكسونيا ولورين. اما مرغريف بادن اذ لم يقبل القضايا فاضطر الى الهرب ومساعد فولدا اتحد معهم بابتسام وقالت المدن الصغيرة انهُ ليس لها حراب تقاوم بها المتمردين وقد حصلت منتز وتراويس وفرانكفورت على الحرية التي كانت قد ادّعتها

فكانت حركة عظيمة منهيئة في كل المملكة فالحقوق الكنائسية والمدنية التي ثقلت بهذا المقدار على الفلاحين قصدوا ملاشاتها واملاك الاكليروس قصدوا بيعها او ضبطها للامراء وسدّ حاجات المملكة والجزية حاولوا ابطالها ما عدا خراجًا يُدفَع كل عشر سنوات واقرّوا بالسلطة الملكية وحدها حسبما هي موضحة في العهد الجديد وبقية الامراء اجمعين قصدوا قطعهم عن الحكومة وان يُقام اربع وستون محكمة مطلقة يجلس فيها اعضاء من كل رتبة وان تعود جميع الرتب الى حالتها الاولى وان يصير الاكليروس مجرد رعاة للكنائس والامراء والفوارس مجرد محامين عن الضعفاء وان يرتّب موازين ومكاييل متساوية ويُصَكّ نوع واحد فقط من المعاملات في كل المملكة

وفي تلك الفترة كان الامراء قد انتبهوا من رقادهم الاول وجاورجيوس ڤان تروكسيس القائد الاول للجيش الملكي اخذ يتقدم على جوانب بحيرة قسطنسيا وفي ٢ ايار كسر فلاحي ببلنجن وهجم على مدينة ونسبرج حيث كان امير هلفنستين التعيس قد هلك واحرقها ونقضها الى الحضيض وامر بان الخرابات تبقى علامة ابدية لعصيان اهلها واتحد في فرفلد مع منتخب الپلاتين ومنتخب تراويس وقام الثلاثة متوجهين نحو فرانكونيا . وكانت فراونبرج قلعة وارتزبرج بيد الامراء واعظم جيش الفلاحين لم يزل مقيمًا امام اسوارها فحالما بلغهم قدوم تروكسيس عزموا على الهجوم وقبل نصف الليل بثلاث ساعات في ١٥ ايار هتفت الابواق ونشرت الراية المثلّثة الالوان وثار الفلاحون للقتال بضوضاء هائلة وكان والي القلعة سباستيان ڤان رونهان وهو من اشد المحامين عن الاصلاح وقد حصّن القلعة بطريقة مهولة فحثّ العسكر على الدفاع بشجاعة فاقسم الجند رافعين ثلاث اصابع بالامتثال لامرهِ فحدث حينئذٍ قتال هائل في الغاية فكانت القلعة من داخل اسوارها وابراجها تجاوب بأْس الخوارج ويأْسهم بالفنابل وسيول الكبريت والزفت الغالي واطلاق المدافع والفلاحون الذين دهشوا من اعدائهم غير المنظورين وقعوا في الخور الى حين ولكن لم يمضِ الاّ قليل حتى استعر غيظهم اشد

مما كان وظل الصدام مع تقدم الليل والقلعة منورة بآلاف من النيران الحربية تراءت في الظلمة نظير جبار شامخ امسى وهو يقذف لهيبًا من فمهِ يحارب وحدهُ في وسط زئير الرعد لاجل انقاذ المملكة من وحشية شجاعة تلك الجماهير الشرسة وبعد نصف الليل بساعتين رجع الفلاحون خائبين في كل ما عملوا. فحاولوا ان يدخلوا في المصالحة اما مع القلعة او مع تروكسيس الذي كان متقدمًا في اوائل جيشهِ الّا ان ذلك كان فائتهم ولم يخلصهم الّا التجلد والغلبة فبعد تردد قليل عزموا على الهجوم على الجنود الملكية ولكن الفوارس والاسلحة اوقعت دمارًا فظيعًا في صفوفهم فانكسر هولاء القوم التعيسون قاطبةً في كونكسهوفن وبعد ذلك في انكلستادت والامراء والاشراف والاساقفة استعملوا قساوات لم يسبقوا الى مثلها فكان الاسرى معلقين على الاشجار الى جانب الطرقات واسقف وارتزبرج الذي كان قد هرب رجع وطاف في ابرشيتهِ ومعهُ سيّافان وسقاها بدماء العصاة واصدقاء كلمة الله السلماء وحكم على غوتزڤان برليكنجن بالسجن مدة حياتهِ وكسمابر مرغريف انسباخ قلع عيون خمسة وثمانين رجلًا من المتمردين الذين كانوا قد اقسموا بان عيونهم لا تنظر ايضًا الى ذلك الامير وطرد العميان هولاء فكانوا يطوفون من مكان الى مكان قابضين على ايدي بعضهم بعض على غير هداية يلتمسون خبزهم والصبي الشقي الذي كان قد لعب على مزمارهِ عند قتل هلفنستين قيّد الى وتد وأُضرِمَت نارٌ حولهُ والفوارس يتفرجون ضاحكين على التوائهِ الما . فأُرجعت العبادة الجمهورية في كل مكان الى حالتها القديمة وكانت اغنى المقاطعات واكثرها سكانًا لا تظهر للذين يطوفون فيها الّا تلالًا من جثث القتلى والخرابات المدخنة فان خمسين الفًا كانت قد هلكت والشعب اضاع في كل مكان تقريبًا الحرية القليلة التي كان قد حصل عليها فهكذا كانت النهاية الهائلة لتلك الثورة في جنوبي جرمانيا

الفصل الحادي عشر

منزر في ملهوسن . استغاثة بالشعب . مسير الامراء . نهاية العصيان

ان الشرور الماضي ذكرها لم تُحصَر في جنوبي جرمانيا وغربيها فان منزر بعد ان طاف قسمًا من سويسرا والساس وسوابيا حوّل ايضًا خطاهُ نحو سكسونيا لان البعض من اهالي ملهوسن في ثورنجيا كانوا قد دعوهُ الى مدينتهم وانتخبوهُ راعيًا لهم واذ قاوم مجمع البلدة ذلك عزلهُ منزر واقام آخر من اصدقائهِ وجعل نفسهُ رئيسهم واذ احتقر ذلك المسيح الذي هو حلوٌ كالعسل الذي كان لوثيروس ينادي بهِ وعزم على استعمال اقوى الموبقات صرخ قائلاً يجب علينا ان نضرب جميع الكنعانيين بالسيف كما فعل يشوع . وقرر ان كل الاموال مشتركة ونهب الاديرة . وكتب لوثيروس الى امسدورف في ١١ نيسان سنة ١٥٢٥ يقول ان منزر ليس هو مجرد راعٍ بل ملك وامبراطور ملهوسن . فلم تكن الفقراء بعد ذلك تكدّ ايضًا بل اذا احتاج احدهم قمحًا او كسوةً ذهب وطلب ذلك من رجل غني فان ابى اخذهُ عنفًا واذا اصرّ على ابائهِ شُنق واذ كانت ملهوسن مدينة مستقلة اقتدر منزر على استعمال سلطانهِ فيها مدة سنة تقريبًا من دون مقاومة والقومة التي حصلت في جنوبي جرمانيا اوهمتهُ بانهُ قد اتى الوقت لامتداد مملكتهِ الجديدة وكانت عندهُ عدة مدافع ثقيلة سُبكت في الدير الفرنسيسي فاجتهد في تحريك الفلاحين والمعدنيين الذين في منسفلدت فقال لهم الى متى تنامون انهضوا وحاربوا حرب الرب . قد اتى الوقت وفرانسا وجرمانيا وايطاليا تحركت فتقدموا ولا تكترثوا بانين الاشرار فانهم سوف يتضرعون اليكم كالاطفال ولكن لا تشفقوا . النار مضطرمة فدعوا سيوفكم ايضًا تكون سخنة بالدماء واعملوا ما دام النهار موجودًا . وامضاه هذا المكتوب منزر خادم الله ضد الاشرار

واذ كان اهالي البلاد متعطشين الى اغتنام الغنائم اجتمعوا حول لوائهِ وقام الفلاحون بالعصيان في جميع مقاطعات منسفلدت وستولبرج وسخورتزبرج في هسى ودوكية برنسويك فأخربت ادبرة ميخلستين والسنبرج ووالكنريد وروسلابن وادبرة اخر كثيرة في جوار الهرتز وفي سهول ثورنجيا ودُنست مدافن الولاة القدماء في رينهرد سبرون التي كان لوثيروس قد زارها وأُعدِمت المكتبة فامتدَّ الخوف طولاً وعرضًا حتى ان اهالي وتمبرج كانوا في حذرٍ والعلماء الذين لم يكونوا قد خافوا الامبراطور ولا البابا ارتعدوا امام هذا الرجل المجنون فكانوا دائمًا يترقبون الاخبار ويرصدون كل خطوة من خطوات العصاة. قال ملانكثون اننا نحن هنا في خطر عظيم فاذا فاز منزر فاننا هالكون ما لم يخلصنا المسيح فان منزر يتقدم بقساوة اشنع من قساوة سكيثي ولا يمكن اعادة تهديداتهِ الفظيعة

اما الملك المنتخب التقي فتردد مدة طويلة في ما ينبغي ان يعمل لان منزر كان قد حثهُ وجميع الامراء ان يتوبوا . قال قد اتت ساعتكم . وامضى تلك المكاتيب بهذه العبارة منزر متقلد سيف جدعون. وكان احبَّ الى الملك المنتخب ان يتلافى هولاء القوم الضالين بالوسائط الرفقية فانهُ في ١٤ نيسان وهو في مرض خطير كتب الى اخيهِ يوحنا يقول لعلنا نحن قد جعلنا اكثر من سبب واحد لعصيان هولاء القوم الاشقياء فوا اسفاهُ ان المساكين يضايقون على انحاء كثيرة من ولاتهم الروحيين والزمنيين وعند ما لاحظ الذل والحركات والاخطار التي لا بد لهُ من ان يعرض نفسهُ لها اذا لم يسكن حالاً الشغب اجاب انني ما زلت حتى الآن منتخبًا قويًا لي مركبات وخيل كثيرة فاذا كانت ارادة الله ان ياخذها مني الآن فانني امشي على قدميَّ

وكان فيلبس الفتى والي هسى اول من حمل السلاح من بين الامراء فحلفت فوارسهُ واجنادهُ ان يعيشوا ويموتوا معهُ وهو بعد ان سكَّن مقاطعاتهِ قام بعساكرهِ نحو سكسونيا وكان الى جانبهم الدوك يوحنا اخو الملك المنتخب وجرجس دوك

سكسونيا وهنري دوك برنسويك فتقدم هولاء وقرنوا عساكرهم بعساكر هسى فخاف الفلاحون عند نظرهم هذه العساكر وهربوا الى تل صغير واقاموا هناك مترسة بمركباتهم وهم بدون ترتيب وبلا سلاح وعلى الاكثر بلا شجاعة ولم يكن منزر قد اعد ذخائر حتى لمدافعهِ الكبيرة فلم يبن منجد فاحدق الجيش بالعصاة فخار عزمهم بالكلية فشفق عليهم الامراء وقدموا لهم شروطًا وظهر انهم يريدون قبولها وعند ذلك التجا منزر الى اقوى الادوات التي يمكن الحمية الدينية ان تحركها فقال اننا اليوم نرى ساعد الرب وكل اعدائنا سوف يهلكون وللوقت ظهر قوس قزح فوق رؤوسهم وهذا الجيش الموسوس الذي كان يحمل قوس قزح على رايتهِ اخذوا ذلك علامة محققة للحماية الالهية فاغتنم منزر الفرصة بذلك وقال للدنيين والفلاحين لا تخشوا شيئًا فاني استقبل جميع كللهم بكمي . وفي ذلك الوقت نفسهِ قتل بقساوة فتى اسمهُ ماترنوس ڤان جيهولفن كان قد أُرسِل سفيرًا من قبل الامراء وذلك لكي يقطع عن المتمردين كل طمع في العفو

فجمع الامير فرسانهُ وقال لهم انا اعلم جيدًا اننا نحن الامراء كثيرًا ما اجرمنا لاننا لسنا سوى اناس ولكن الله يامر جميع الناس ان يطيعوا السلطات الموجودة فدعونا ننقذ زوجاتنا واولادنا من طيش هولاء القتلة فان الله يعطينا الغلبة لانهُ قال من قاوم السلطان فقد قاوم امر الله . وحينئذٍ اعطى فيلبس علامة القتال . وكان ذلك في ١٥ ايار سنة ١٥٢٥ فهاج العسكر ولكن جيش الفلاحين بقي غير متحرك يرتلون هذه النشيدة هلمَّ ايها الروح القدس . ويتوقعون السماء لكي تقضي لهم فهدمت المدافع حالاً مترستهم وحملت خورًا وموتًا الى ما بين العصاة فتركتهم حميتهم وشجاعتهم دفعة واحدة واعتراهم الخوف العظيم وفروا هاربين من دون ترتيب فهلك خمسة آلاف في الهزيمة

وبعد القتال دخل الامراء وجيوشهم المظفرة الى فرانكنهوسن فدخل جنديٌّ بيتًا وارتقى الى الطبقة العليا فوجد رجلاً على فراش فسالهُ من انت العلك واحد من العصاة ثم لاحظ دفترًا صغيرًا فتناولهُ فوجد فيهِ مكاتيب

كثيرة باسم توما منزر فسال الجندي أأنت منزر فاجاب الرجل المريض لا ولكن عند ما تلفظ الجندي بتهديدات فظيعة اقرّ الرجل بانهُ منزر فقال الفارس انت اسيري وعند احضار منزر الى امام الدوك جرجس والوالي اصرّ على قولهِ انهُ مصيب بتاديب الامراء لانهم يضادون الانجيل فاجابهُ يا شقي افتكر بجميع اولئك الذين كنت سبب موتهم واما هو فاجاب بابتسام في وسط كآبتهِ انهم هم ارادوا ذلك ثم تناول الافخارستيا تحت شكل واحد وقُطع راسهُ وراس بفايفر زعيمهِ فأُخذت ملهوسن وأُثقِل الفلاحون بالسلاسل

فراى شريفٌ بين جمهور الاسرى فلاحًا حسن المنظر فتقدم اليهِ وقال لهُ ايها الرجل اي الحكومتين تؤْثر أَحكومة الفلاحين ام حكومة الامراء فاجاب الرجل المسكين بتنهد عميق آه يا سيدي لا سكين نقطع مثل تسلط فلاح على الفلاحين . فأُخمدت بقايا الخيانة بالدم والدوك جرجس على نوع خصوصي تصرف باشد القساوة واما في مقاطعات الملك المنتخب فلم يكن قتل ولا حبس لان كلمة الله المنادى بها هناك بكل نقاوتها كانت قد اظهرت قوتها على ضبط اهواء الشعب الثائرة

ان لوثيروس من الابتدا لم يهدا عن مقاومة العصيان الذي حسبهُ سابقة يوم الدينونة واستعمل النصح والصلوات والتهكم واضاف الى آخر القضايا التي كتبها العصاة في ارفورت تتمة هي هذه . ان القضية الآتية قد نُسيت وهي انهُ من الآن وصاعدًا لا يكون للديوان سلطان فلا يعمل شيئًا بل يجلس كصنم او قطعة خشب والجمهور يجترُّ طعامهُ فيحكم ويداهُ ورجلاهُ مربوطة ومن الآن وصاعدًا تجرّ المركبةُ الخيلَ والخيلُ تضبط الاعنّة ونأخذ نحن في التقدم على نوع عجيب حسب الطريقة الجيدة المعينة في هذه القضايا

ولم يقتصر لوثيروس على الكتابة بل في اعظم الشغب ترك وتمبرج وجال في بعض المقاطعات حيث كان الهياج اعظم فوعظ وكدّ لكي يلين قلوب سامعيهِ ويدهُ التي كان الله قد اعطاها قوةً حولت وسكنت وارجعت السيول القوية

الفائضة الى مجاريها الطبيعية . وعلماء الاصلاح في كل جهة عملوا كما عمل لوثيروس ففي هالى نبه برنتز ارواح الاهالي المتناعسة وذلك بواسطة مواعيد كلمة الله فهرب اربعة آلاف فلاح امام ست مئة مدني وفي اخترهوسن اجتمع جمهور من الفلاحين بقصد ان يهدموا عدة قلع ويقتلوا ساداتها فانطلق فردريك ميكونيوس اليهم وحدهُ وكانت قوة كلامهِ عظيمة بهذا المقدار حتى انهم في الحال عدلوا عن مقصدهم

فهذا ما عملهُ المصلحون والاصلاح في اثناء تلك الحركة فانهم قاوموها بكل قوتهم بسيف الكلمة وبجسارة تمسكوا بتلك المبادي التي تقدر وحدها في كل عصر ان تحفظ الترتيب والخضوع بين الشعوب ومن ثم قال لوثيروس انهُ لو لم تكن قوة التعليم الصحيح قد منعت هياج الشعب لكانت الحركة احدثت خرابًا اعظم جدًّا وقلبت الكنيسة والمملكة جميعًا . وكل الحوادث تؤيد هذا القول . ومقاومة المصلحين الفتنة على هذا المنوال لم يكن من دون مقاساة جراحات مؤلمة فان تلك المقاساة الادبية التي كان لوثيروس قد قاساها اولاً في مخدعهِ في ارفورت صارت اعظم بعد قومة الفلاحين فانهُ لا يحدث تغيير عظيم بين الناس من دون آلام على اولئك الذين هم آلة لهُ فان ولادة الديانة المسيحية حدثت بواسطة اوجاع الصليب واما ذلك الذي عُلّق على الصليب فخاطب كل واحد من تلاميذهِ بهذه الكلمات أتستطيعان ان تشربا الكاس التي اشربها انا وان تصطبغا بالصبغة التي اصطبغ بها انا (مر ١٠ : ٣٨)

قال حزب الامراء دائمًا ان لوثيروس وتعليمهُ هما علة الشغب ومع كذب هذا القول لم يقدر المصلح ان يرى الناس يصدقونهُ من دون ان يشعر باشد الحزن واما احزاب الشعب ومنزر وجميع قواد العصاة فوصفوهُ بكونهِ مرائيًا رديًّا ومتملقًا للعظماء . وهذه التهم صدقها الناس بسهولة والقساوة التي اظهرها لوثيروس على العصاة اغضبت حتى الناس المعتدلين ايضًا ففرح اصدقاء رومية ومن ثم صار الجميع ضدهُ فحمل غضب معاصريهِ الثقيل ولكن حزنهُ الاعظم

كان ان يرى عمل السماء يُجرى هكذا في الحياة ويحصى بين اشد الامور وسوسة فشعر بان ذلك جسمانية . فراى الكاس المرة التي قُدِّمت لهُ ومتنبئًا بانهُ سوف يهمل من الجميع صرخ قائلاً انكم جميعًا تشكون بي في هذه الليلة (مت ٢٦ : ٣١)

الاَّ انهُ في وسط تلك المرارة الشديدة حفظ ايمانهُ فقال ان الذي اعطاني قوة لكي اطا العدو تحت قدمي حين قام عليَّ نظير تنين قاسٍ او اسد ضارٍ لا يسمح لهذا العدو ان يسحقني في هذا الوقت الذي يظهر فيهِ امامي بمنظر الافعى الخبيثة . فاني انتهد عندما اتامل بهذه المصائب وقد سألتُ نفسي مرارًا كثيرة لو كنت قد تركت البابوية تجري على قدمها هل لم يكن ذلك احسن من ان اعاين حدوث مشاقٍّ وحركات كثيرة مثل هذه في العالم. كلاَّ لان خطف انفس قليلة من فكي الشيطان احسن من ترك الجميع بين مخاليبهِ المهلكة . وعند ذلك انتهت الحركة في عقل لوثيروس التي كانت قد ابتدات عند رجوعهِ من الوارتبرج فلم يكن يكتفي بعدُ بالحياة الداخلية بل صارت الكنيسة وترتيباتها اهم في عينيهِ والجسارة التي بها نقض كل شيءٍ توقفت عندما نظر خرابات اكثر تدميرًا فشعر بانهُ يجب عليهِ ان يحفظ ويسوس ويبني فمن وسط الخرابات المضرجة بالدماء التي ملأت بها حرب الفلاحين جرمانيا باسرها ابتدا بناء الكنيسة الجديدة يرتفع شيئًا فشيئًا

وتلك الحركات تركت تاثيرات مستمرة عميقة في عقول الناس فوقعت الامم في الخور والجماهير الذين لم يكونوا قد انتظروا من الاصلاح الاَّ اصلاحًا سياسيًّا رجعوا عنهُ بارادتهم عندما راوهُ يقدم لهم حرية روحانية فقط وبمقاومة لوثيروس للفلاحين رفض تملقات الشعب الوقتية فاستقر حالاً شبه هدو وتبع صوت الوسوسة والعصيان في جميع جرمانيا سكوت صادر عن رعب . وهكذا اهواء الشعب وعلة الحركة واسباب المساواة الاصلية جميع ذلك تلاشي في المملكة الآن الاصلاح لم يقف وهاتان الحركتان اللتان مزجهما كثيرون معًا كانتا متميزتين جليًّا باختلاف نتائجهما فان العصيان كان من اسفل واما الاصلاح فمن

فوق فرسان قليلون ومدافع قليلة كانت كافية للاشاة الحركة الواحدة واما الحركة الاخرى فلم تكف قط عن ان تزداد قوةً ونشاطًا رغمًا عن المملكة والكنيسة البابابوية وهجماتها المتكررة

الفصل الثاني عشر

وفاة الملك المنتخب فردريك . معاهدة باباوية . مقاصد كرلوس الخامس

وبينما جرت الامور المذكورة ترايا ان الاصلاح نفسهُ تلاشى في تلك الهاوية التي ابتلعت حرية الشعب وحدثت حادثة حينئذٍ آلت الى سقوطهِ وهو وفاة المنتخب ملك سكسونيا في الوقت الذي كان الامراء سائرين على منزر وقبل انكسارهِ بعشرة ايام وهو الرجل الذي كان الله قد اقامهُ لاجل وقاية الاصلاح من جميع الاخطار الخارجية . فضعف عزمهُ يومًا فيومًا والفظائع المقرونة بحرب الفلاحين ضهدت قلبهُ الحساس فصرخ بتنهد عميق آه يا ليت ارادة الله كانت ان اموت فرحان فاني لست ارى محبة ولا حقًّا ولا ايمانًا ولا نوعًا من الصلاح باقيًا على الارض. وهذا الامير التقي الذي كان مقيمًا حينئذٍ في قلعة لوكاو وحوّل ناظرتيهِ عن القلاقل المالئة جرمانيا حينئذٍ واعدّ نفسهُ بهدو للانطلاق وفي ٤ ايار طلب خوريهُ الامين سپالاتين وقال لهُ برفق عند دخولهِ اليهِ اصبت في مجيئك لعيادتي لانهُ يجب علينا ان نعود المرضى ثم امر بجر سريرهِ نحو المائدة التي كان سپالاتين جالسًا بالقرب منها واوعز الى اصحابهِ ان يخلوا الغرفة ثم قبض بمحبة على يد صديقهِ وتكلم معهُ بحرية عن لوثيروس والفلاحين وقربهِ من الموت ثم اتى سپالاتين ثانيةً بعد المغرب فرفع الامير المسن اثقال نفسهِ واعترف بخطاياهُ في حضرة الله وفي الغد اي خامس ايار تناول تحت الشكلين ولم يكن احد من رجال بيتهِ قريبًا منهُ لان اخاهُ وابن عمهِ كانا قد ذهبا مع المعسكر واما حشمهُ

فكانوا وقوفًا حولهُ حسب العادة القديمة لتلك الايام واذ تفرسوا في ذلك الامير الموقر الذي خدموهُ بكل حلاوة سالت دموعهم جميعًا فقال لهم برفق يا اولادي الصغار اذا كنت قد اسات الى احد منكم فاغفروا لي حبًا بالله لاننا نحن الامراء مرارًا كثيرة نسيءُ الى الفقراء وذلك حرام . فهكذا اطاع فردريك امر الرسول القائل ليفتخر الغنيُّ باتضاعهِ لانهُ كزهر العشب يزول (يع ١ : ١٠)

فلم يفارقهُ سپالاتين بعد ذلك بل ذكَّرهُ بمواعيد الله الغنية فقبل الملك المنتخب الصالح تعزياتها القوية بسلام لا يوصف ولم يعد تعليم الانجيل عندهُ هو ذلك السيف الذي يقاوم الغلط ويتبعهُ الى حيثما وُجد وبعد قتال شديد يغلب عليهِ اخيرًا بل انما سقط على قلبهِ كالندى او المطر الخفيف وملأَهُ رجاءً وفرحًا فان فردريك كان قد نسي العالم الحاضر ولم يكن يرى شيئًا سوى الله والابدية . واذ شعر بالموت يدنو بسرعة لاشى وصية كان قد عملها قبل ذلك بجملة سنين وكان قد اسلم فيها نفسهُ لوالدة الاله (استغفر الله على كتابة لفظة التجديف) واملى وصية اخرى بها طلب من استحقاقات يسوع المسيح الطاهرة الوحيدة غفران خطاياه واظهر ثقتهُ الوطيدة بكونهِ مفتدًى بدم مخلصهِ المحبوب . قال اني لا اقدر ان اقول شيئًا بعد وفي ذلك المساء الساعة الخامسة مات بدون انزعاج . فقال طبيبهُ انهُ كان ابن سلام وقد انتقل بسلام . قال لوثيروس يا لهُ من موت مرٍ لجميع الذين تركهم وراءهُ

وكان لوثيروس مسافرًا حينئذٍ في ثورنجيا لكي يسكن الشغب ولم يكن قد راى الملك المنتخب قط الاَّ عن بعدٍ في ورمس الى جانب كرلوس الخامس الاَّ ان هذين الرجلين قد اجتمعا بالروح منذ اللحظة التي ظهر فيها المصلح فان فردريك جدَّ لاجل خير الجمهور والحرية ولوثيروس جدَّ لاجل الحق والاصلاح ولا شك ان الاصلاح كان على الاخص عملًا روحيًا ولكن ربما كان ضروريًا لاجل نجاحه الاول ان يُقرَن ببعض الامور الجمهورية ومن ثمَّ حالما قام لوثيروس ضد الغفرانات حصلت المعاهدة بينهُ وبين هذا الامير بالروح معاهدة ادبية محضة من دون

شرط ولا كتابة ولا كلام. ولم يعطِ فيها الرجل القوي يدًا للضعيف بل سمح له ان يباشر العمل ولكن عندما قُطِعت الشجرة القوية التي كان الاصلاح يستظل ناميًا بالتدريج تحتها واعداء الانجيل ابدوا في كل مكان قوة جديدة وبغضة حتى ان عاضديهِ التزموا ان يخبئوا انفسهم او يبقوا ساكتين لم يكن شيء قادرًا على وقايتهم بعد من سيف اولئك الذين لحقوهُ بكل تلك القساوة

واصحاب معاهدة راتسبون الذين استظهروا على الفلاحين في جنوب المملكة وغربها هجموا في كل الاماكن على الاصلاح والعصيان على حدٍ سواء فانهم في وارتزبرج وبمبرج قتلوا كثيرين من اسلم الاهالي حتى البعض من اولئك الذين كانوا قد قاوموا الفلاحين فقالوا جهارًا ماذا يضر. هولاء الناس كانوا متمسكين بالانجيل .وذلك كافٍ لاسقاط رؤوسهم تحت سيف الجلاد . وكان الدوك جرجس يرجو ان يكسب امير هسى والدوك يوحنا حاسياتهِ فقال لهما بعد كسرة الفلاحين مشيرًا الى فلاة القتال انظرا ما هذه الشقاوات التي سببها لوثيروس وظهر ان يوحنا وفيلبس مالوا اليهِ بافكارهِ فقال المصلح ان الدوك جرجس يتوهم انهُ يظفر لان فردريك قد مات ولكن المسيح يملك في وسط اعدائهِ فباطلاً يصرّون اسنانهم لان شهرتهم ستبيد. ولم يتاخر جرجس عن عقد معاهدة في شمالي جرمانيا نظير معاهدة راتسبون فان منتخبي منتز وبراندنبرج والدوك هنري واريك من برنسويك والدوك جرجس اجتمعوا في دسو وجزموا بمعاهدة باباوية في شهر تموز. فالحّ جرجس على المنتخب الجديد وصهرهِ امير هسى ان يتحدا معهُ وحينئذٍ لكي يبين ماذا يُنتظَر من ذلك قطع راسَي رجلين من اهالي ليبسك وُجِد في بيتهما بعض كتب المصلح

وفي ذلك الوقت نفسهِ وصلت الى جرمانيا مكاتيب من كرلوس الخامس محررة في توليدو وطُلِب بها عقد مجمع آخر في اوجسبرج. فان كرلوس اراد ان يسنّ سنّة تكسبهُ سلطة على كل عساكر جرمانيا والاختلافات الدينية قدمت لهُ الوسائط لذلك ولم يكن يحتاج الاّ الى اطلاق البابا ويين على تابعي الانجيل ومتى

فرغ عزمهم فانهُ يتغلب ظافرًا على الفئتين كلتيهما ولهذا صرخ الامبراطور اهلكوا اللوثرانيين. وهكذا اجتمع كل شيءٍ ضد الاصلاح ولم يكن قط روح لوثيروس قد غشيتهُ مخاوف كثيرة بهذا المقدار. والذين يقولون من حزب منتزر اقسموا باعدام حياتهِ ومحاميهِ الوحيد لم يكن بعد في الوجود وبلغهُ ان الدوك جرجس قصد ان يلقي عليهِ القبض في وتمبرج نفسها . والامراء الذين لهم قدرة ان يحموهُ تركوهُ وظهر انهم قد تركوا الانجيل وشُيّع ان المنتخب الجديد نوى ان يبطل المدرسة التي كان عدد تلامذتها قد قلّ بواسطة تلك القلاقل. وكرلوس الذي غلب في پاڤيا جمع مجمعًا جديدًا قاصدًا بهِ ان يضرب الاصلاح ضربة مميتة فاية الاخطار لم يخشَها لوثيروس . وتلك الكآبة وتلك المحاربات الداخلية التي مرارًا كثيرة جعلتهُ يتنهد ويئن هاجت على قلبهِ فكيف يقاوم كل هولاء الاعداء الكثيرين

الفصل الثالث عشر

تفريق راهبات نمشن. زواج لوثيروس

كان في دير نمشن بالقرب من غريما في سكسونيا نحو سنة ١٥٢٣ تسع راهبات كنَّ مجتهدات في قراءة كلام الله واكتشفنَ الفرق بين عيشة مسيحية وعيشة رهبانية واسماؤهنَّ مغدالين ستوبتز واليزا كانتز واڤا غروسن واڤا ومرغريتا سكونفلدث ولانيتا غوليس ومرغريتا وكاثرينا زاسكو وكاثرينا بورا وهذه الفتيات بعد نجاتهنَّ من الخرافات الرهبانية كتبنَ الى آبائهنَّ يقلنَ لهم ان خلاص انفسنا لا يسمح لنا بالبقاء ايضًا في دير واما آباؤهنَّ فلاجل خوفهم من التشويش الذي خافوا حدوثهُ من هذا العمل رذلوا طلباتهنَّ بقساوة فاغتمت الراهبات المسكينات من ذلك الجواب وصرنَ يفتكرنَ كيف يقدرنَ ان يتركنَ الدير وكنَّ خائفات من الاخذ في هذا العمل الجسور واخيرًا النفور من الطقوس الباباوية غلب خوفهنَّ فوعدنَ ان لا يتركنَ بعضهنَّ بعضًا بل يخرجنَ معًا الى مكان لائق وذلك

بالترتيب والحشمة. وان رجلين فاضلين نقيين من اهالي ترغو يقال لهما ليونرد كوبي ووالف تومتزسخ مدّا ايديهما لمساعدتهنّ فقبلنَ ذلك كانهُ من الله نفسهِ وتركنَ دير غمشن من دون معارضة وكأنّ يد الله فتحت الابواب لهنّ فقبلهنّ كوبي وتومتزسخ في مركبتهما وفي ٧ نيسان سنة ١٥٢٣ اذ كانت التسع الراهبات متعجبات من جسارتهنّ وقفنَ بقلق عظيم امام باب الدير الاوغسطيني القديم الذي كان لوثيروس مقيمًا فيهِ

فقال لوثيروس عندما قبلهنّ ان هذا ليس هو عملي فاسال الله ان يقوّيني لكي اخلّص هكذا جميع الضمائر المستأسرة وافرغ جميع الاديرة . قد انفتح الباب. وكثيرون من الاهالي ارادوا ان يقبلوا هولاء الراهبات في بيوتهم وكاثرينا بورا وجدت مكانًا رحيبًا في بيت والي وتمبرج

وفي ذلك الوقت لم يفتكر لوثيروس بالاستعداد لحادث مهمّ غير تعلقهِ على الوتد لا الزواج وبعد ذلك بشهور كثيرة قال للذين كلموهُ في امر الزواج ربما يغيّر الله قلبي اذا كان ذلك مرضاتهُ واما الآن فاقلما يكون لا فكر لي باتخاذ زوجة وليس ذلك لاني لست اشعر بما يجتذبني الى تلك الحالة فاني لست خشبة ولا حجرًا ولكن لاني كل يوم انوقع الموت وقصاص اراتيكي. الّا ان كل شيء في الكنيسة كان آخذًا في التقدم والعيشة الرهبانية التي هي اختراع الانسان ضد ترتيب الله غلبتها في كل جهة العيشة العائلية المرتَّبة من الله ويوم الاحد الواقع في ٩ تشرين الاول سنة ١٥٢٤ قام لوثيروس من رقادهِ كالعادة وطرح ثوب الراهب الاوغسطيني جانبًا ولبس ثوب خوري عاميّ ثم ذهب الى الكنيسة فاحدث هناك ذلك التغيير ارتضاءً حيًّا فان العالم المسيحي المتجدد حيّى بفرح كل ما اشار الى ان الامور القديمة قد مضت

وبعد ذلك بقليل ترك الراهب الاخير الدير واما لوثيروس فبقي مقيمًا هناك ولم يسمع الّا صدأ خطواتهِ وحدها في تلك المماشي الطويلة فجلس صامتًا منفردًا في بيت الاكل الذي كان قبل قليل يرجع في احاديث الرهبان الفارغة

فيا لهُ من سكوت فصيح شاهد على انتصار كلمة الله. فلم يلبث الدير ان يكون موجودًا بعد وفي اواخر كانون الاول سنة ١٥٢٤ ارسل لوثيروس مفاتيح الدير الى الملك المنتخب يخبرهُ بانهُ يجب ان يسأل ابن يرتضي الله ان يعولهُ فاعطى المنتخب الدير للمدرسة وطلب من لوثيروس ان يبقى ساكنًا فيهِ فقُضي على مسكن الرهبان ان يكون بعد قليل مقدس عائلة مسيحية

وكان لوثيروس من الذين يستلذون بالعيشة العائلية وحسب حال الزواج كريمًا ويُحتمَل انهُ كان عندهُ شيء من المحبة لكاثرينا بورا ولكن شكوكهُ والفكر بالتهم التي يحدثها مثل هذا العمل بقيت زمانًا طويلاً تمنعهُ عن الافتكار بها وكان قد عرض اولاً كاثرينا هذه المسكينة على بغرتن الوتمبرجي ثم على المعلم غلاتز الاورلمندي ولكن عندما راى بغرتن لا يريد ان ياخذها وراى انها لا تقبل غلاتز سأل نفسهُ بجدٍّ هل لا يجب ان يفتكر بان يتزوج بها هو نفسهُ

وابوهُ الشيخ الذي اغتمَّ جدًّا عند اعتناقهِ العيشة الرهبانية صار يحثهُ على الزواج على ان فكرًا واحدًا اكثر من الجميع كان دائمًا شاخصًا امام ضمير لوثيروس واثّر فيهِ اكثر من الجميع وهو ان الزواج ترتيب الله والعزوبة ترتيب الانسان وكره كل شيء يصدر من رومية فقال لاصدقائهِ اني ارغب ان لا احفظ شيئًا من عيشتي البابا وية فكان يصلي ليلاً ونهارًا ويطلب من الله ان ينقذهُ من حيرتهِ واخيرًا قطع فكرٌ واحد الحلقات الباقية التي كانت لم تزل مستأسرتهُ فانهُ الى جميع دواعي اللياقة والطاعة الشخصية التي قادتهُ الى ان يوجّه الى نفسهِ قولهُ تعالى لا يحسن ان يكون الانسان وحدهُ أُضيف سبب مبني على مبدأ اسمى واقوى وهو انهُ اذا دُعي الى حالة الزواج من حيث هو انسان فدُعي اليهِ من حيث هو مصلح فهذا الفكر جعلهُ ان يعتمد

قال صديقهُ شورف المشترع اذا تزوج هذا الراهب فانهُ يجعل العالم باسرهِ والشيطان نفسهُ يضحكان عليهِ ويلاشي العمل الذي ابتدأ بهِ . وهذا الكلام فعل في لوثيروس ضد ما كان يظن . لانهُ لم يرغب في شيء الاَّ ان يقاتل العالم

والشيطان واعداءه وان يمنع بواسطة عمل افتكروا انهُ يخرب عمل الاصلاح انتساب نجاحه اليهِ بوجهٍ من الوجوه ومن ثمَّ رفع راسهُ بجسارة واجاب قائلاً اذا انا افعل ذلك واضحك على الشيطان والعالم بهذه الحيلة فاني ارضي ابي واتزوج بكاثرينا. ولوثيروس بواسطة زواجهِ خلع على اكمل منوال ترتيبات رومية واثبت التعليم الذي نادى بهِ بواسطة مثالهِ وشجع الضعفاء على رفض غلطاتهم رفضًا تامًّا فكانت رومية تبين انها تسترجع هنا وهناك ما قد خسرتهُ ووعدت نفسها بالغلبة وعند ذلك انسحقت انسحاقًا عظيمًا وأُلقي رعبةٌ وحيرةٌ في صفوفها وظهر لعينيها على اكمل منوال شجاعة العدو الذي توهمت انها قد سحقتهُ فقال لوثيروس اني اشهد للانجيل لا بكلامي فقط ولكن باعمالي ايضًا وقد عزمت عنفًا عن اعدائي الذين يفتخرون ويقيمون صوت الانتصار على ان اتزوج براهبة لكي يروا ويعلموا انهم لم يغلبوني. اني لست اتخذ زوجة لكي اعيش زمانًا طويلاً معها ولكنني لما رايت الامراء يطلقون عنان غيظهم عليَّ ناظرين ان نهايتي قريبة وانهم بعد موتي يدوسون ايضًا تعليمي تحت اقدامهم فقد عزمت لاجل بنيان الضعفاء على ان احمل شهادة فعَّالة لما اعلمهُ هنا في هذا العالم

وفي ١١ حزيران سنة ١٥٢٥ ذهب لوثيروس الى بيت صديقهِ ورفيقهِ امسدورف وطلب من بوميرانوس الذي كان يدعوهُ بالراعي على سبيل الغلبة ان يبارك اقترانهُ وحضر التكليل المصوَّر المشهور لوقا كراناخ والعالم يوحنا ابلا واما ملانكثون فلم يكن حاضرًا. وحالما تزوج لوثيروس حصل اضطراب في اوروبا باسرها وهطلت عليهِ التشكيات والتهم من كل جهة. قال هنري الثامن انهُ اقتران محرَّم وقالت جماعة راهب تزوج براهبة وقال آخرون ان المسيح الكذَّاب يكون ثمرة هذا الاقتران لان النبوة تعلن انهُ يولد من راهب وراهبة فاجاب ايراسموس على ذلك بابتسام متهكمًا وقال اذا كانت النبوة صحيحة فكم الف من المسحاء الكذبة الآن في العالم. واذ كان لوثيروس يُقرَّف على هذا المنوال حاول اناس كثيرون حكماء معتدلون ممن كانت الكنيسة الرومانية لم تزل

تحسبهم بين اعضائها ان يحاموا عنهُ. قال ابراسموس ان لوثيروس قد اتخذ زوجة من عائلة بورا الشريفة الاَّ انهُ ليس لها مهر. ثم حصل على شهادة عظمى. قال معلم جرمانيا فيلبس ملانكثون الذي كان هذا العمل الجسور قد اخافهُ اولاً يخاطب بذلك الصوت الرزين الذي كان اعداؤهُ انفسهم يصغون اليهِ باحترام انهُ افكٌ وافتراءٌ القول بانهُ يوجد شيءٌ غير لائق في زواج لوثيروس واظن انهُ لا بدَّ من ان يكون قد قهر نفسهُ بالزواج فان عيشة الزواج هي عيشة تواضع بل هي ايضاً حالة مقدَّسة اذا وُجِد مثل ذلك في العالم والكتب المقدسة تصفها في كل مكان بكونها مكرَّمة في عيني الله. اما لوثيروس فاضطرب في اول الامر عندما راى هذا المقدار من الغيظ والاحتقار قد سُكِب عليهِ ولكن صداقة ملانكثون ومعروفهُ نحوهُ صارا اقوى مما كانا ولم يمضِ الاَّ قليل حتى راى علامة ارتضاء الله بمضادة الانسان هذه فقال لو لم اغِظ العالم لخفت من ان ما قد عملتهُ يغيظ الله. وكان قد مضى بين مقاومة لوثيروس للغفرانات وزواجهِ بكاثرينا بورا ثمان سنوات فلا سبيل لانتساب مضادتهِ مساوئَ الكنيسة الى رغبة مفرطة في الزواج فانهُ كان حينئذٍ ابن اثنتين واربعين سنة وكان قد مضى على كاثرينا بورا سنتان وهي في ومبرج

كان لوثيروس مغتبطاً بهذا الاقتران فقال ان احسن عطايا الله زوجة محبوبة تقية تخاف الله وتحب اهل بيتها يقدر الانسان معها ان يعيش بسلامٍ ويركن اليها بطمانينة وبعد زواجهِ ببعض الشهور اخبر احد اصدقائهِ بحبل كاثرينا وبعد زواجها بسنة ولدت لهُ ابناً. فلذَّات العيشة العائلية بددت عاجلاً العواصف التي كان غيظ اعدائهِ قد جمعها اولاً فوق راسهِ وكانت كاثرينا تبدي نحوهُ ارق المحبة وتعزيهِ في اوقات حزنهِ بقراءة آيات من الكتاب المقدس ورفعت عنهُ جميع اهتمامات البيت وكانت تجلس بالقرب منهُ في اوقات بطالتهِ وترسم صورتهُ طرازاً وتذكرهُ الاصدقاء الذين يكون قد نسي ان يكتب اليهم ومراراً كثيرة تسليهِ ببساطة اسئلتها والظاهر انهُ لاح عليها نوع من الجلال حتى

كان لوثيروس يدعوها احيانًا سيدتهُ وقال ذات يوم هازلًا انهُ اذا تزوج ثانيةً ينقر لهُ زوجة مطيعة من صخر لانهُ كما قال لا يمكن ان يجد زوجة مثلها بالحقيقة وكانت مكاتيبهُ تفيض محبة لكاثرينا فكان يلقبها بالعزيزة المحسنة وبالعزيزة المحبوبة وصارت طبيعة لوثيروس اكثر بشاشة وطلاقة بواسطة معاشرة كاثرينا وحالة العقل هذه السعيدة لم تتركهُ ابدًا فيما بعد حتى في وسط اعظم بلاياهُ

وكان فساد الاكليروس العمومي الّا قليلًا قد اوقع الكهنوت في حالة احتقار عامّ لم تستطع فضائل القليلين من عبيد الله الامناء المنفردة ان تنقذهُ منها فان السلام الاهلي والامانة بين الرجل وزوجتهِ اللتين هما اثبت اساسات الغبطة هنا على الارض كانتا مشوَّشتين دائمًا في المدن والضياع بواسطة شهوات الخوارنة والرهبان الجافية ولم يكن احد في امان من تلك المفاسد لانهم استعانوا بالاذن المُعطى لهم للدخول في كل بيت واحيانًا بسرّ الاعتراف في اراقة سم زعاق في نفوس النساء المعترفات عندهم وقضاء شهواتهم الاثيمة فالاصلاح بواسطة ابطالهِ عزوبة الاكليروس ارجع قداسة العيشة الزيجية فكان زواج الاكليروس وسيلة لملاشاة عدد لا يُحصى من الذنوب المستورة وصار المصلحون قدوة رعاياهم في اوثق نسب الحياة واهمها وكان الشعب فرحين بنظرهم ايضًا خدام الديانة ازواجًا وآباءً كما في القديم

الفصل الرابع عشر

والي هسى والملك المنتخب . معاهدة تورغاو . معاهدة مجدبرج . مقاومة المصلحين . زواج الامبراطور

عند اول وهلة ظهر ان زواج لوثيروس بالحقيقة زاد صعوبات الاصلاح فان الاصلاح ما زال مضهودًا من الضربة التي ضربهُ بها المتمردون من الفلّاحين وسيف الامبراطور وسيوف الامراء لم تزل مسلولة وصديقاهُ الوالي فيلبس من

هسي والمنتخب الجديد يوحنا كانا عادمي الامل صامتين

الآن حالة الامور هذه لم تبقَ زمانًا طويلاً فان الوالي الفتى بعد زمان قصير رفع راسهُ بجسارة واذ كان غيورًا وشجاعًا كلوثيروس فازت اخلاق المصلح الكريمة باعتباره لهُ فطرح نفسهُ في الاصلاح بكل حمية الشبيبة والهوس وفي الوقت نفسهِ درسهُ بكل رزانة عقل سامٍ ولم يكن ممكنًا في سكسونيا سدّ مكان فردريك في الحزم ولا في الشوكة ولكن اخاهُ المنتخب يوحنا عوضًا عن ان يقصر نفسهُ على الجزء الانفعالي من المحاماة تداخل باكثر استقامة واعظم شجاعة في المصالح الدينية ولما خرج من وايمر في ١٦ آب سنة ١٥٢٥ قال للاكليروس المجتمعين انِّي ارغب في انكم في المستقبل تعظون بكلمة الله الخالصة من دون زيادات البشر. فاجاب بدون تصنُّع البعض من الاكليروس الشبوخ وقد ارتبكوا في كيفية اطاعة اشارتهِ قائلين ولكن لعلّنا لا نمنع عن القداديس لاجل الموتى وعن بركة الماء والملح فقال المنتخب كل شيء من الطقوس والمواعيظ يجب ان يكون مطابقًا لكلمة الله

ولم يمضِ الاَّ القليل حتى عزم والي هسي فيلبس على تتلمذ ابي زوجتهِ الدوك جرجس فكان تارةً يثبت كفاءة الكتب المقدسة واخرى يقاتل القداس والباباوية والنذور الاضطرارية فكان مكتوب يلحق مكتوبًا وجميع اقوال كلمة الله تضادّ على التناوب ايمان الدوك الشيخ

وهذه الاجتهادات لم تذهب سدًى فان ابن الدوك جرجس انحاز الى التعليم الصحيح ولكن فيلبس لم ينجح في ارجاع الاب الذي اجاب اننا بعد مضي مئة سنة نعلم الحق مع مَن. فقال منتخب سكسونيا يا لهُ من قول فظيع. ماذا يجب ان يكون هذا الايمان الذي يقتضي اختبارًا طويلاً كهذا فيا لهُ من دوك مسكين. انهُ سوف ينتظر مدّة طويلة وانا اخاف من ان يكون الله قد قسّى قلبهُ كفرعون في القديم. اما فيلبس فصار قائدًا للاصلاح جسورًا عاقلاً قادرًا على مدافعة الرشقات الهائلة التي كان العدو عتيدًا ان يرشقهم بها ولكن ألا يتأسّف على ان رئيس الاصلاح من تلك الدقيقة هو رجل السيف لا مجرد تلميذ لكلمة الله فامتد العنصر

البشري في الاصلاح وضعف العنصر الروحي. وهذا اضر العمل لانهُ ينبغي لكل عمل ان ينمو حسب شرائع طبيعتهِ والاصلاح طبيعتهُ روحية في جوهرها. وكان الله يزيد عدد عاضديهِ فان بروسيا تلك الايالة القوية على اطراف جرمانيا كانت قد دخلت بفرح تحت راية الانجيل والروح الفروسي والديني الذي اسس طغمة الفرسان الطوطونية ذبل شيئًا فشيئًا مع تمادي القرون والفوارس الذين لم يكونوا يسالون الاَّ عن صالحهم الذاتي كانوا قد اغاظوا الشعب الذين تحت حكمهم وكانت پولندا قد استعانت بذلك سنة ١٤٦٦ على الزام ذوي تلك الطريقة بالاقرار برياستها فالشعب والفوارس والرئيس العظيم وحكومة پولندا كانت في مضادةٍ دائمة حتى جعلت نجاح المملكة امرًا مستحيلاً . وحينئذٍ اتى الاصلاح وقد رُوِي ان هذا هو الواسطة الوحيدة الباقية لخلاص الشعب التعيس فبشر بالانجيل في بروسيا برسمان وسبيراتوس وبولياندر كاتب المعلم اك في جدال ليپسك وآخرون كثيرون غيرهم

ووصل يومًا الى وتمبرج مستعطٍ من البلاد التي تحت حكم الفوارس الطوطونيين فوقف امام بيت لوثيروس ورتَّل بصوت وقور النشيدة الحسنة من نظم بولياندر التي مطلعها ها قد وافانا الخلاص. ولم يكن المصلح قط قد سمع هذه النغمة المسيحية فاصغى اليها بحيرة وطرب وزادتهُ طربًا لهجة المرتل الغريبة وعندما انتهى من انشادهِ قال لهُ اعِد ذلك ثم سالهُ من اين انت واين تعلمت تلك النشيدة فاخبرهُ المسكين ان صوت النجاة قد امتد من شطوط البلتيك الى وتمبرج . واخذت عبرات لوثيروس تنصبُّ فصفَّق بيديهِ وشكر الله. وبالحقيقة كانت بشائر الخلاص قد ذهبت الى هناك. قال شعب بروسيا للرئيس العظيم البرت اشفق على حالتنا التعيسة واعطِنا واعظين يبشرون بتعليم الانجيل الخالص. فلم يردَّ البرت جوابًا في اول الامر ولكن دخل في المكاتبة مع سجسموند ملك پولندا عمهِ ومولاهُ. فعرفهُ هذا الاخير دوك بروسيا وراثةً ودخل الامير الجديد دخولاً شهيرًا الى قصبتهِ في كونغسبرج بقرع الاجراس ومدائح الشعب وكانت جميع البيوت مزيَّنة بزينة

عظيمة والاسواق منثورة بالازهار. فقال البرت لا يوجد الاَّ طريقة واحدة وهي الديانة المسيحية. فكانت الطرائق الرهبانية تتلاشى وتلك الطريقة الالهية تثبت. فسلَّم الاساقفة حقوقهم المدنية للدوك الجديد وتحوَّلت الاديرة الى مستشفيات ونُودي بالانجيل في احقر القرى وفي السنة التالية تزوج البرت بدوروثيا ابنة ملك دنيمارك التي كان ايمانها بالمخلص الواحد الوحيد مما لا يتزعزع. فطلب البابا من الامبراطوران يستعمل القساوة نحو هذا الراهب الخارج فوضع كرلوسُ البرتَ تحت المنع

وكان حينئذٍ اميرٌ آخر من عائلة براندبرج وهو الكردينال رئيس اساقفة منتز على اثر مثال عمهِ وكانت حروب الفلاحين على الخصوص تهدد الولايات الكنائسية والمنتخب ولوثيروس وكل جرمانيا ظنوا انهم على شفاء حركة عظيمة واذ افتكر رئيس الاساقفة ان الطريقة الوحيدة لحفظ رياستهِ هي ان يجعلها زمنية دعا لوثيروس سرًّا لكي يعدَّ الشعب لهذه الخطوة الجسورة. ففعل لوثيروس ذلك بواسطة مكتوب كتبهُ الى رئيس الاساقفة المذكور بقصد ان يشهرهُ فقال ان الله قد القى يدهُ الثقيلة على الاكليروس فلا بدَّ من سقوطهم ولا يقدر شيءٌ ان يخلصهم. ولكن حرب الفلاحين انتهت قبل الوقت المنتظر فحفظ الكردينال املاكهُ الزمنية وتوارت مخاوفهُ وعدل عن عزمهِ على جعل رياستهِ زمنية

واذ كان يوحنا منتخب سكسونيا وفيلبس والي هسى والبرت والي بروسيا عاملين بهذا المقدار في امر الاصلاح ووُجد عوضًا عن فردريك الحكيم ثلاثة امراءٍ مملوئين عزمًا وشجاعةً اخذ العمل المقدس يتقدم في الكنيسة وبين الشعوب فطلب لوثيروس من المنتخب اقامة خدمة انجيلية مكان الكهنوت الروماني وان يأمر بانتقاد عمومي للكنائس وفي نحو ذلك الوقت كانوا قد ابتدأوا في وتمبرج بممارسة الاعمال الاسقفية ورسم خدامٍ للانجيل فقال ملانكثون لا يقولنَّ البابا والاساقفة والرهبان والخوارنة نحن الكنيسة وكل من انفصل عنا فقد انفصل عن الكنيسة. لانهُ لا توجد كنيسة اخرى الاَّ جماعة اولئك الذين لهم كلمة الله

والذين قد تظاهروا بها . ولا ريب ان كل ذلك لم يكن بمستطاع ان يقال ويعمل
من دون ان يحدث مقاومة قوية فان رومية افتكرت ان الاصلاح قد انطفأ
بدم الفلاحين العصاة الّا ان اللهيب خرج ثانيةً في كل جهة باعظم قوة ولمعان
فعزمت على مباشرة اجتهادات جديدة فكتب البابا والامبراطور مكاتيب تهديد
احدهما من رومية والآخر من اسبانيا والحكومة الامبراطورية اجتهدت في اجراء
الامور حسب القديم وعزموا على سحق الاصلاح بقوة في المجمع العتيد ان يلتئم .
وفي ٧ تشرين الثاني اجتمع معًا ملك سكسونيا المنتخب ووالي هسى بخوف في قلعة
فرايد والت واتفقا على ان وكيليهما في المجمع يفعلان بالاتفاق وهكذا في حرش
سولنجين ابدعت العناصر الاولى للاتحاد الانجيلي مقابل معاهدة راتسبون وديسو
فانفتح المجمع في اوجسبرج في ١١ كانون الاول ولم يكن الامراء الانجيليون
حاضرين باشخاصهم ومن اول الامر تكلم وكلاء سكسونيا وهسى بكل جراءة قالوا
ان عصاوة الفلاحين تسببت عن قساوة جهلية اذ لا بالنار ولا بالسيف يمكن ان
يقتلع حق الله من القلب فاذا كنتم عازمين على مقاومة الاصلاح بالعنف تحدث
لكم بلايا اهول من تلك التي قد هربتم منها حديثًا وبالكد تخلصتم منها . وشعروا
بان نتائج الحكم الذي يبثونهُ مهما كان تكون من اهم الامور فاجتهد كل واحد في
تاخير بثّ الحكم وذلك لكي يكتسب قوة لنفسهِ ولهذا عزموا على الاجتماع ثانيةً
في سبيرس في شهر ايار القادم وفي تلك الفترة بقيت احكام نورمبرج على حكمها
قالوا اننا حينئذٍ ندخل على التمام في البحث عن الايمان المقدس والعدل والصلح .
اما فيلبس من هسي فثبت على رايهِ فحصلت مفاوضة بينهُ وبين الملك المنتخب في
آخر شباط سنة ١٥٢٦ واتفق هذان الاميران على انهُ اذا وقع عليهما قتال بسبب
كلمة الله يقرنان جيوشهما لكي يقاوما اعداءهما وهذه المعاهدة تثبتت في تورغو
وكانت عتيدة ان تاتي بنتائج مهمة

ولم يكتفِ فيلبس بمعاهدة تورغو فانهُ اذ تحقق ان كرلوس الخامس كان
مجتهدًا في عقد معاهدة ضد المسيح وكلمتهِ الطاهرة كتب مكتوبًا بعد مكتوب الى

الملك المنتخب يبيّن له وجوب الاتحاد مع ولايات اخرى وقال اما انا فاحبُّ اليَّ ان اموت وأُطرَد عن كرسيي من ان ارفض كلمة الله . فحصل ارتباك عظيم في دار الملك المنتخب وبالواقع كان مانع قوي في طريق اي اتحاد كان بين الامراء الانجيليين وهذا المانع هو لوثيروس وملانكثون فان لوثيروس اراد ان التعليم الانجيلي يحامي عنهُ الله وحدهُ فافتكر انهُ بالنسبة الى امتناع الناس عن التداخل فيهِ تكون يد الله اوضح وتراءى لهُ انهُ مهما كانت الوسائط التي رغبوا بها لابدَّ من نسبتها الى جبانة مرذولة او عدم الثقة الملوم واما ملانكثون فخشي من ان اتحاد الامراء الانجيليين يعجّل وقوع نفس القتال الذي رغبوا في التخلص منهُ . اما فيلبس فلم يتوقف عند تلك الملاحظات بل اجتهد في ادخال الولايات المجاورة في الاتحاد الاَّ ان اجتهادهُ لم ينجح فان فرانكفورت لم تشإِ الدخول في ذلك ومنتخب تراويس ترك مقاومتهُ وقبل مبلغاً مرتباً من الامبراطور حتى ان المنتخب الپلاتيني الذي كانت محبتهُ نحو الانجيل مشهورة رفض عرض فيلبس . وهكذا خاب امل الامير بجانب الرين واما الملك المنتخب فانهُ ضد آراء لاهوتيي الاصلاح بدا بمراسلة الامراء الذين كانوا دائمًا متحدين مع بيت سكسونيا القوي وفي ٢ حزيران اجتمع في مجدبرج الملك المنتخب وابنهُ والامراء فيلبس وارنست واوثون وفرنسيس من برنسويك ولونيبرج وهنري دوك مكلنبرج والامير وُلف من انهلت والبرت وجبهرد اميرا منسفلدت وعُقِد هناك تحت رياسة الملك المنتخب معاهدة شبيهة بمعاهدة تورغو

قال هولاء الامراء ان الله القادر على كل شيء اذ قد احيا برحمتهِ التي لا تُوصف بين الناس كلمتهُ المقدسة الابدية التي هي قوت نفوسنا وكنزنا الاعظم ههنا على الارض وقد بذل الاكليروس واتباعهم جهدهم في قهرها واستئصالها فاننا نحن اذ قد تحققنا ان الذي ارسلها الى الارض لاجل تمجيد اسمهِ يعرف كيف يحفظها نتعهد بحفظ تلك الكلمة المباركة لشعبنا وباستعمال اموالنا وحياتنا وولاياتنا ورعايانا وكل ما نملكهُ لاجل هذه الغاية متكلين لا على اسلحتنا بل على قدرة الرب

الفائقة فقط الذي نريد ان نكون آلات بيدهِ . هذا هو كلام الامراء . وبعد يومين قبلت مدينة مجدبرج في المعاهدة وقبلها دوك بروسيا الجديد البرت منتخب براندنبرج بمعاهدة مستقلة . فهكذا انعقدت المعاهدة الانجيلية ولكن الاخطار التي قصد دفعها بها كانت تزيد توعدًا فان الاكليروس والامراء اصحاب رومية رأوا الاصلاح الذي ظنوهُ قد اضمحلَّ ينمو بغتةً امامهم بطريق مهول واصحاب الاصلاح اضحوا في القوة نظير اصحاب البابا تقريبًا فاذا صارت لهم الاكثرية في المجمع فالنتائج التي تلتحق بالولايات الاكليروسية واضحة فصار الحبل على الجرار ولم يعد ذلك مسألة نقض ارنقة بل كان لا بد لهُ من مقاومة حزب قوي ولاجل انقاذ العالم المسيحي يحتاج الامر الى غلبات غير غلبات المعلم آك واخذوا الوسائل اللازمة سلفًا فان المجمع الاسقفي للكنيسة في منتزعقد ديوانًا من جميع اعوانها واعتمد على ارسال معتمدين الى الامبراطور والبابا يطلب منهما ان يحفظا الكنيسة

وفي ذلك الوقت بعينهِ جرجس دوك سكسونيا وهنري دوك برنسويك والكردينال المنتخب البرت اجتمعوا في هالي وعزموا على كتابة عرض الى كرلوس الخامس بهِ يقولون لهُ ان تعليم لوثيروس المكروه آخذٌ في التقدم بسرعة وكل يوم يصير اجتهادات لربح الناس حتى ربحنا نحن وبما انهم لا يقدرون ان ينجحوا بوسائط لطيفة يجتهدون في اضرارنا بواسطة حثهم رعايانا على العصيان فنحن نلتمس مساعدة الامبراطور . ثم قام دوك برنسويك بعد هذا الخطاب حالًا وانطلق الى اسبانيا لكي يقنع الامبراطور . ولم يكن ممكنًا ان يكون وصولهُ في وقت انسب من الوقت الذي وصل فيهِ فان الامبراطور كان قد ختم المعاهدة المشهورة بين مدريد وفرانسا فلم يبقَ شيء يخافهُ في تلك الاطراف وكانت عيناهُ اذ ذاك تنظران الى جرمانيا وحدها وكان فرنسيس الاول قد عرض انهُ يقوم بنصف مصاريف حرب ضد الارانقة او ضد الكفَّار . وكان الامبراطور في اشبيلية حيث كان عتيدًا ان يتزوج بامبرة من البرتوكال وكانت شطوط الوادي الكبير ترنُّ من ضجة الافراح فكان موكبٌ لامع من الاشراف وجماهير غفيرة من الناس

يزدحمون في تلك العاصمة القديمة وتباشر تحت قبة كنيستها الفاخرة جميع طقوس الكنيسة الاحتفالية للزواج وباشر الخدمة كردينال من قِبَل البابا ولم تكن بلاد الاندلس قد رأت قط حتى في ايام العرب منظرًا ابهج واجلّ من ذلك

ففي ذلك الوقت وصل دوك برنسويك من جرمانيا وطلب من كرلوس ان ينقذ المملكة والكنيسة من هجمات راهب وتمبرج فحصل الالتفات حالاً الى طلبهِ وعزم الامبراطور على استعمال وسائط قوية. وفي ٢٣ اذار سنة ٥٢٦ : كتب الى كثيرين من الامراء والمدن التي بقيت امينة لرومية وطلب في الوقت نفسهِ من هنري دوك برنسويك ان يخبرهم شفاهًا بانهُ قد انغمّ جدًّا عندما سمع بتقدُّم الارتقة اللوثرانية حتى كاد يملأُ جرمانيا بالنفاق والخراب وسفك الدماء وانهُ بعكس ذلك فرح جدًّا باطلاعهِ على امانة اكثر الولايات وانهُ كان عتيدًا ان يترك جميع المصالح الأُخَر ويترك اسبانيا وينطلق الى رومية لكي يعمل رابطة مع البابا ومن هناك ياتي الى جرمانيا لكي يقاتل وبأَ وتمبرج المكروه وانهُ نظرًا اليهم هم يجب عليهم ان يتمسكوا بايمانهم واذا اراد اللوثرانيون ان يضلوهم بواسطة المكيدة والقوة يجب ان يتحدوا معًا ويقاوموهم بجسارة وانهُ سوف يصل سريعًا ويعضدهم بكل قوّتهِ

ولما رجع دوك برنسويك الى جرمانيا طار الحزب البابوي فرحًا ورفعوا رؤُوسهم بكبرياء ودوك برنسويك وبوميرانا والبرت من مكنبرج وجرجس دوك سكسونيا ودوك باقاريا وجميع امراء الكنيسة حسبوا نفوسهم غالبين لا محالة عندما قراوا المكاتيب المتهددة الآتية من غالب فرنسيس الاول فعزموا على الحضور في المجمع القادم لكي يذللوا الامراء الاراتقة وان لم يخضعوا يلزموهم الى ذلك بالسيف ورُوي عن الدوك جرجس انهُ قال اني اقدر ان اكون ملك سكسونيا المنتخب متى شئت . الاَّ انهُ بعد ذلك اجتهد ان يفسر هذا الكلام على معنى آخر وقال مستشار الدوك ذات يوم في ترغو بصوت الظفر ان دعوى لوثيروس لا تبقى زمانًا طويلاً فليحافظ عليها

وبالحقيقة كان لوثيروس يحافظ عليها ولكن لا بالمعنى الذي فهمهُ المستشار

المذكور فكان يسهر باهتمام على حركات اعداء كلمة الله ونظيره ملانكثون كان يتصوّر الوفًا من السيوف مسلولة ضد الانجيل ولكنهُ طلب قوة اخرى اسمى من قوة الانسان فكتب الى فردريك ميكونيوس يقول ان الشيطان يظهر غيظهُ والاحبار المنافقين يتوامرون ونحن مهدّدون بالحرب فحث الشعب لكي يحاربوا بشجاعة امام عرش الرب بالايمان والصلاة حتى اذا اضمحل اعداؤنا بروح الله يلجئهم الحال الى السلام فان اعظم احتياجاتنا واعظم اتعابنا هي الصلاة فدع الناس يعرفون انهم الآن معرضون لحد السيف وحنق الشيطان ولنحثهم على الصلاة

فهكذا كانت جميع الاشياء تؤدّي نحو جهاد قوي فكان الى جانب الاصلاح صلوات المسيحيين وشفقة الشعب وشوكة متزايدة على عقول الناس لا يمكن لقوةٍ دفعها واما البابا وية فكان الى جانبها الترتيب القديم وقوة العادة القديمة وغيرة وبغضة امراء اشدَّاء وقوة ذلك الامبراطور المقتدر الذي تسلط على عالَمين وكان قبل قليل قد دفع بعزم طمع فرنسيس الاول . فهكذا كانت حالة الامور عند افتتاح مجمع

سبيرس

الكتاب الثاني

سويسرا وجرمانيا من سنة ١٥٢٢ الى سنة ١٥٢٧

الفصل الاول

ليون يهوذا والراهب . قضايا زوينكل . محاورة كانون الثاني

لنلتفت الآن الى اوجه الاصلاح المختلفة لانها من صفاته الجوهرية ان الوحدة مع الاختلاف والاختلاف مع الوحدة من جملة الشرائع الطبيعية والكنائسية ايضًا . لان الحق هو نظير نور الشمس اي ينحدر من السماء واحدًا ويبقى دائمًا هو هو بعينهِ الّا انهُ يتخذ الوانًا مختلفة على الارض بحسب الاشباح التي يقع عليها وكذلك العبارات المختلفة نوعًا قد تدلُّ احيانًا على فكر واحد مسيحي باعتبارهِ من جهات مختلفة . واية درجة كانت الخليقة تخسر بهجتها وجمالها لو انبدلت الالوان والصور المختلفة التي لا تحصى التي تكسبها جمالها وجعلت لونًا واحدًا والى اي درجة كان منظرها محزنًا لو لم تتألّف من جميع المخلوقات وحدةٌ باهرة

وكما ان للوحدة الالهية حقوقها كذا للتنوُّع البشري حقوقهُ فلا ينبغي في الديانة ان نضيق على الله ولا على الانسان فان لم تكن لك وحدة فديانتك ليست من الله وان لم يكن لك تنوُّع فديانتك ليست من الانسان ولا توافق ظروف الانسان ولا عقل الانسان ولا طبيعتهُ على الاطلاق والواجب ان يكون فيها من الطرفين فهل ترغب ان تزيل من الخليقة واحدًا من النواميس التي وضعها الله لها وهو التنوع غير المحدود كما قبل الاشياء العادمة النفوس التي تعطي صوتًا

مزمارٌ او قيثارةٌ ومع ذلك ان لم نعطِ فرقًا للانغمات فكيف يُعرَف ما زُمِّر اوما عُزِف بهِ (١ كو ١٤: ٧) وفي الديانة تنوُّع قائمٌ من اختلاف الشخصية الذي لا بد من وجودهِ في السماء ايضًا وفيها ايضًا تنوُّع ناتج من عصيان الانسان وهذا بالحقيقة مصيبة كبرى

امران يقتادا اننا على حدٍّ سواء الى الضلال احدهما يبالغ في الاختلاف والآخر يبالغ في الوحدة والتعاليم الجوهرية للخلاص هي الوسط بين هذين الطرفين فاذا طلبنا اكثر من تلك التعاليم فاننا نضرُّ بالتنوُّع واذا طلبنا اقل منها فاننا نضرُّ بالوحدة . والتطرُّف الاخير هو من اطوار العقول الخشنة المتمردة الذين لا يكتفون بالمسيح بل يرتبون طرقًا وتعاليم بشرية واما الاول فموجود في عدة طوائف ضيقة ولاسيما الطوائف الرومانية

انهُ يجب على الكنيسة ان ترفض الضلال والاَّ فلا يمكن ضبط الديانة المسيحية ولكن اذا تطرَّف في هذا الفكر الى حد الافراط فالناتج ان الكنيسة يجب ان تحمل السلاح ضد ادنى اساءة وان تتحرك لاجل جدالات لفظية محضة فيُقيَّد الايمان بهذه الطريقة وتستعبد حاسيات المسيحيين وحالة الكنيسة في ازمان كاثوليكيتها الحقيقية اي كاثوليكية القرون الاولى لم تكن هكذا فانها كانت ترفض الطوائف التي تحارب حقوق الانجيل الاساسية ولكنَّ هذه الحقوق متى قُبلَت مرةً تترك للايمان حرية كاملة واما رومية فانها ابتعدت سريعًا عن هذا الطريق الحكمي وبالنسبة الى قيام سلطة وتعليم الناس في الكنيسة قام الى جانبها وحدةٌ انسانية

وبعد ابتداع طريقة بشرية محضة زاد القهر والاغتصاب من عصر الى عصر. فالحرية المسيحية المعتبرة من كاثوليكيي الاعصار الاولى تضيقت اولاً ثم استُعبِدَت واخيرًا خُنِقت والاقناع الذي بالنظر الى شرائع الطبيعة البشرية والى كلام الله يجب ان يكون على حرية في قلب الانسان وفهمهِ وُضع عليهِ من الخارج قهرًا وصوِّر بتمامهِ وترتَّب بطريق توافق علماء البشر فالزموا الكل بقبولهِ طوعًا او كرهًا فالتامل والارادة والشعور وكل قوى الانسان التي متى خضعت لكلام الله

وروحهِ نشتغل وتثمر ثمرًا كثيرًا سلبت حريتها واضطرها الحال لقبول ما ترتب لها من قِبَل آخرين وعقل الانسان صار نظير مرآة تُرَى فيهـا اشباح كثيرة مع انها لا تملك شيئًا في نفسها ولا ريب انهُ بقي حينئذٍ انفس كثيرة قد تعلموا راسًا من الله الاَّ ان اكثر المسيحيين من ذلك الوقت قبلوا آراء الآخرين فقط والايمان الشخصي كان امرًا نادرًا والاصلاح وحدهُ هو الذي ارجع هذا الكنز الى الكنيسة

ومع ذلك كان الى زمان فسحة سُمح للعقل البشري بالحركة فيها اي بعض الآراء أُذِن بقبولها او رفضها حسب الارادة ولكن كما ان العسكر المحاصر الذي يتقدم يومًا فيومًا نحو مدينة محاصرة يلزم المحاصَرين ان يجولوا داخل اسوارها الضيقة فقط واخيرًا يلزمهم بالتسليم كذلك الرياسة من قرن الى قرن ومن سنة الى سنة تضيق الفسحة التي اعطتها موقتًا للعقل البشري حتى ان تلك الفسحة بسبب الهجمات المتوالية لم تلبث ان تكون في الوجود . فان كل ما يجوز للانسان ان يحبهُ او يعتقد بهِ او يعلمهُ قد ترتب وحُكم بهِ في الدواوين الرومانية فاستراح المؤمنون من مشقة الفحص والتامل والجدال ولم يبقَ عليهم الاَّ ان يكرّروا الالفاظ والسنن التي تعلموها . ومن ذلك الوقت اذا ظهر في حضن المذهب الروماني احدٌ قد ورث المذهب الكاثوليكي من الاعصار الرسولية فمثل هذا الانسان شاعرًا بعدم اقتدارهِ على التحرك في تلك القيود التي تقيَّد بها اضطرَّ ان يقطعها وان يظهر ايضًا للعالم المتحير الحرية المطلقة التي للمسيحي الذي لا يقبل شريعة غير شريعة الله . والاصلاح بارجاعهِ الحرية للكنيسة كان عتيدًا ايضًا ان يرجع تنوُّعها الاصلي وان يقيم فيها عيالاً بينها المشابهة العظيمة التي اتخذتها من والديها مع التنوُّع نظرًا الى هيئتها الثانوية وذلك يذكّرنا بالتنوُّعات الغريزية في الطبيعة البشرية وربما كان اوفق لو وُجد هذا التنوُّع في الكنيسة العامَّة من دون ان يقود الى انقسامات طائفية الاَّ ان تلك الطوائف انما هي عبارة عن ذلك التنوع

ان سويسرا وجرمانيا اللتين كانتا الى ذلك الوقت كانهما منفردتين بعضهما عن بعض ابتدأتا تقترنان في السنين التي نحن مزمعون ان نتتبَّع تاريخها ووُجد

فيها التنوُّع الذي سبق ذكرهُ والذي كان عتيدًا ان يكون احد صفات المذهب البروتستانتي فاننا سوف نرى الناس في هذا المذهب يتفقون في جميع تعاليم ايمانهم الجوهرية ويختلفون مع ذلك في القضايا الثانوية ولا ريب ان الانفعالات البشرية دخلت في تلك المباحث ولكن اذ يتاسف المذهب المذكور على مثل هذا الامتزاج المحزن تراهُ فضلاً عن انهُ لا يخفي تنوعاتهِ يذيعهُ وينادي بهِ

كان زوينكل يتقدم في السيرة المسيحية وعند ما اعتنق الانجيل لوثيروس من ذلك الحزن العميق الذي دخلهُ اولاً وهو في دير ارفورث اظهر فيهِ هدوًا اقترب احيانًا الى الزهو وظهر في المصلح فيما بعد حتى في وقت الاخطار العظيمة كانت الديانة المسيحية قد احدثت تأثيرًا مضادًّا لذلك بالتمام في ابن جبال التوكنبرج المائل الى الطرب فانها نشلت زوينكل من حالتهِ العالمية العادمة الاكتراث وطبعت رزانة في اخلاقهِ لم تكن طبيعية لهُ وهذه الرزانة كانت ضرورية لهُ جدًّا وقد راينا كيف انهُ في اواخر سنة ١٥٢٢ اظهر اعداءٌ كثيرون ضد الاصلاح وهطلت على زوينكل توبيخات من كل جهة وكانت الجدالات تحدث مرارًا كثيرة حتى في الكنائس

وكان ليون يهوذا على ما يخبرنا احد المؤرخين قصير القامة ولكنهُ كان كثير المحبة للفقراء وملآن غيرةً ضد المعلمين الكذبة فوصل الى زوريخ في اواخر سنة ١٥٢٢ لكي يكون راعيًا لكنيسة مار بطرس وخلفهُ في انسدلن اوسوالد ميكونيوس وصار ذلك ربحًا ثمينًا لزوينكل وللاصلاح فبعد وصولهِ بمدة وجيزة كان ذات يوم في الكنيسة التي انتخب راعيًا لها فسمع راهبًا اوغسطينيًا يدَّعي بعزم ان الانسان من نفسهِ قادر ان يفي عدل الله فقال لهُ ايها الاب المحترم اصغَ اليَّ قليلاً وانتم ايها الاهالي الاعزاء اهدأُوا فاني اتكلم كما يليق بمسيحي وحينئذٍ برهن للشعب كذب التعليم الذي سمعهُ وعند ذلك قام اضطراب عظيم في الكنيسة وفي الحال هجم كثيرون بحنق على هذا الخوري الصغير من انسدلن فبرز زوينكل امام المجمع الكبير مستأذنًا بان يوضح تعليمهُ بحضور وكلاء الاسقف والمجمع اذ

رغب في انهاء هذه القلاقل عيَّن مجمعًا ينعقد في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٥٢٣ فانتشرت الاخبار بسرعة في سويسرا باسرها فصرخ اعداؤه بغضب قائلين ان مجمعًا من الاوباش سوف ينعقد في زوريخ وجميع المتسوّلين من الشوارع سوف يكونون هناك واذ اراد زوينكل ان يستعد للنزاع اذاع سبعًا وستين قضية وابن التوكنبرج قاوم البابا بجراءة امام كل سويسرا

قال ان كل الذين يزعمون ان الانجيل ليس شيئًا من دون تثبيت الكنيسة لهُ يجدّفون على الله

ان يسوع المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص لجميع الذين كانوا والكائنين والذين سيكونون

ان جميع المسيحيين هم اخوة المسيح واخوة بعضهم لبعض وليس لهم اب على الارض وهكذا الرهبانيات والطوائف والاحزاب يسقطون الى الحضيض

لا يجب ان نقهر الذين لا يقرّون بغلطهم ما لم يشوّشوا راحة الجمهور بواسطة تصرّفهم الملوم. فهذه هي البعض من قضايا زوينكل

واجتمع يوم الخميس في ٢٩ كانون الثاني باكرًا في مجلس المجمع الكبير اكثر من ست مئة شخص فان الوطنيين والغرباء من التلامذة واصحاب الرتب والاكليروس اجابوا دعوة المجمع لهم وكانوا يسالون بعضهم بعضًا قائلين ماذا تكون نهاية كل هذه فلم يجسر احد على الجواب ولكنَّ الاصغاء والحيرة والهياج التي ملأت هذا المجمع بيّن واضحًا انهم توقَّعوا نتيجة غير اعتيادية

والوالي روست الذي كان قد حارب في مارغنان هو رئيس ذلك المجمع والفارس يعقوب دي انويل ورئيس مجمع قسطنسيا الاسقفي وفابر النائب العام وعلماء آخرون كثيرون حضروا هناك كوكلاء للاسقف وكان سبستيان هوفمستر مرسلاً من طرف شافهوسن وهو الوكيل الوحيد من قِبَل المقاطعات الحرة لان الاصلاح لم يزل ضعيفا في سويسرا وكان على مائدة في وسط المجلس نسخة من الكتاب المقدس فجلس زوينكل امامها وكان قد قال انني مزعوج ومعذَّب

من كل جهة ومع ذلك ابقى ثابتًا متكلاً لا على قوتي الذاتية ولكن على المسيح الصخرة الذي بمعونتهِ اقدر ان افعل كل شيءٍ

ثم قام زوينكل وقال اني قد ناديت بان الخلاص هو بيسوع المسيح وحدهُ ولهذا السبب انا مقذوف في كل سويسرا كاراتيكي ومضل للشعب وعاصٍ فالآن باسم الله انا واقف هنا

وعند ذلك تحولت جميع الابصار الى فابر فقام واجاب قائلاً انني لم أُرسَل الى هنا لاجل الجدال بل انما لكي اصغي فاخذ الجمهور يضحكون متعجبين فاستتلى فابر قائلاً ان مجمع نورمبرج قد وعد بانعقاد مجمع بعد سنة فيجب ان ننتظر الى ان ينعقد

فقال زوينكل عجبًا . اليست هذه الجمعية الكبيرة العالمة جيدة كغيرها من الجمعيات . ثم التفت الى روساء المجمع وقال ايها السادة المنعمون حاموا عن كلمة الله

فحصل سكوت عظيم بعد هذا الطلب ثم قال الوالي اذا كان لاحدٍ شيءٌ يقولهُ فليقل . ثم حصل سكوت ايضًا . فقال زوينكل اني اطلب من جميع الذين قد قذفوني وانا اعلم ان كثيرين منهم موجودون هنا ان يتقدموا ويوبخوني حبًّا بالحق . فلم ينطق احد بكلمة فكرر زوينكل طلبهُ ثانيةً وثالثةً ولكن من دون نتيجة اما فابر فلما ضايقهُ زوينكل تلك المضايقة قام وقال انهُ قد اقنع راعي فيلسباخ بغلطهِ ولكنهُ الآن في السجن . ثم عاد الى سكوتهِ الاول فباطلاً كان يطلب منهُ ان يقدّم الاسباب التي بها اقنع ذلك الراعي فانهُ ابى التكلم بكل عناد وسكوت العلماء الرومانيين هذا اوقع المجمع في الضجر فسُمع صوت من اطراف المجلس يقول اين هم الآن اولئك القوم الشجعان الذين يتكلمون بصوت عالٍ جدًّا في الاسواق . تعالوا وتقدَّموا ها هوذا رجلكم . فلم يتحرك احد . وعند ذلك قال الوالي متبسمًا الظاهر ان السيف العظيم الذي ضربت بهِ راعي فيلسباخ لا يخرج من غمدهِ اليوم وحينئذٍ صرف المجمع

ولما اجتمعت الجمعية بعد الظهر حكم المجمع ان المعلم اولريخ زوينكل بما انهُ لم

يُوبَّخ من احد يقدر ان يداوم الوعظ بالانجيل المقدس وان باقي الاكليروس في الايالة لا يجب ان يعلموا شيئًا لا يقدرون على اثباتهِ من الكتب المقدسة

فقال زوينكل الحمد لله الذي منح الغلبة لكلمتهِ في السماء وعلى الارض وعند ذلك امتلأ فابر حنقًا وقال ان قضايا المعلم اولريخ هي مضادة لكرامة الكنيسة وتعاليم المسيح وانا ابرهن ذلك. فاجاب زوينكل وقال افعل ما قلت. الّا ان فابر لم يرد ان يجادلهُ الّا في باريس او كولون او فريبرج. فقال زوينكل انني لا اقبل قاضيًا غير الانجيل فانهُ قبل ان تتزعزع واحدةٌ من كلماتهِ تنشقُّ الارض تحتك. فقال فابر انكم دائمًا تقولون الانجيل الانجيل والحال ان الناس يقدرون ان يعيشوا بالقداسة والسلام والمحبة بلا انجيل

وعند ذلك قام الحاضرون عن مجالسهم بغضب وهكذا انتهى الجدال

الفصل الثاني

تقدم الاصلاح. الصنم في ستادلهوفن. زينة صور القديسين

ظفر الاصلاح في الحوادث المار ذكرها ولم يبقَ الّا ان يسرع بانتصارهِ فبعد الامور المذكورة في زوريخ حين انبكم احذق انصار البابا لم يكن من تجاسر على مضادة التعليم الجديد الّا انهم جرَّبوا اسلحة من نوع آخر فان ثبات زوينكل وحريتهُ اخافا اعداءهُ ومن ثم التجأُوا الى وسائط خصوصية لاجل اذلالهِ وبينما كانت رومية لاحقة لوثيروس بحروماتها حاولت ربح مصلح زوريخ بلطافتها فما انتهى الجدال حتى اتى لزيارة زوينكل رئيس حراس البابا ابن الوالي روست ومعهُ القاصد اينسيوس حاملاً منشورًا باباويًا فيهِ دعا ادريانوس السادس زوينكل ابنهُ الحبيب واكَّد لهُ محبتهُ الخصوصية نحوهُ. وفي الوقت نفسهِ الحَّ البابا على زنك لكي يقنع زوينكل فسالهُ اوسوالد ميكونيوس قائلاً وماذا قال لك البابا ان تقدم لهُ فاجاب زنك كل شيء ما عدا الكرسي الباباوي

ولم يكن يوجد تاج ولا عكازة ولا برنيطة كردينال الاَّ كان البابا يرشي بها مصلح زوريخ . فضلت رومية ضلالاً مستغربًا في هذا الامر وكل ما قدَّمتهُ لم يجدِ لها نفعًا لان زوينكل كان عدوًّا لرومية اقسى من لوثيروس عليها والتفاتهُ اقلُّ جدًّا من التفات مصلح سكسونيا الى الطقوس والافكار القديمة العهد وكفاهُ من جهة عادةٍ مهما كانت برية في نفسها انها مقرونة بنوع من الفساد فهجم عليها بشدة وقال ان كلمة الله وحدها يجب ان نقف

وبما ان رومية لم تفهم ما هو جارٍ في العالم المسيحي لكنها وجدت مشيرين اجتهدوا ان يرشدوها الى الطريق . واذ اغتاظ فابر عندما راى البابا يواضع نفسهُ هكذا امام خصمهِ بادر الى انارتهِ . كان رجلاً ملقًا على شفتيهِ ابتسامٌ دائمٌ وكلمات مثل العسل في فمهِ وظهر من كلامهِ انهُ صديق لكل انسان حتى الذين قرفهم بالارتقة مع ان بغضتهُ كانت قتَّالة ومن ثمَّ اذ كان المصلح يورّي باسمهِ اي فابر يعني حداد كان يقول ان نائب قسطنسيا هو حداد كذاب فليحمل السلاح جهارًا ويرى كيف يحامي عنا المسيح

وهذه الكلمات لم تكن مجرد افتخار باطل لانهُ عندما كان البابا يمدح زوينكل على فضائلهِ السامية وثقتهِ الخصوصية التي يثقها بهِ كانت اعداء المصلح تزداد عددًا في سويسرا باسرها فان الجنود العتاق والعيال العظيمة ورعاة الغنم في الجبال قرنوا بغضتهم معًا ضد هذا التعليم المضاد اطوارهم ففي لوسرن عملوا تمثالاً عظيمًا سموهُ آلام زوينكل واذاعوا اخبارهُ فجرَّ الشعب تمثال المصلح الى الوتد يصرخون انهم كانوا عتيدين ان يقتلوا هذا الاراتيكي وقبضوا على بعض زوريخيين وُجدوا عرضًا في لوسرن والزموهم بالنظر الى هذا العمل السخري فقال زوينكل انهم لا يزعجونني فان المسيح هو دائمًا مع اتباعهِ والمجلس ايضًا نادى بالتهديدات ضدَّهُ . قال مشير موليتان لوكلاء المقاطعات الحرة ايها الاصحاب الاعزاء قاوموا الدعوى اللوثرانية ما دامت الفرصة فانهُ في زوريخ لم يلبث الرجل ان يكون ربًّا في بيتهِ

وهذا الهياج بين الاعداء دل على ما جرى في زوريخ دلالة اوضح من اية مناداة كانت وبالحقيقة ان الغلبة انت بثمر والغالبون كانوا يتملكون البلاد شيئًا فشيئًا بالتدريج والانجيل كل يوم يتقدم تقدمًا جديدًا فان اربعة وعشرين راهبًا وعددًا كبيرًا من الواعظين طلبوا باختيارهم من المجلس ان يصلح قوانينهم فحكم بان يُبدَل هولاء الخوارنة الكسالى باناسٍ اتقياء علماء يؤمرون بان يعلّموا شبان زوريخ تعاليم مسيحية كريمة وان يبدلوا صلواتهم المسائية وقداساتهم اللاتينية بايضاحهم كل يوم اصحاحًا من الكتاب المقدس حسب المتن العبراني والمتن اليوناني اولًا للعلماء ثم للشعب

في كل جيش عدد من الابطال الجسورين الذين يتركون محالهم ويهجمون قبل الوقت على مواضع كان ينبغي ان تُترَك الى حين . فان خوريًا شابًا يقال له لويس هتزر اشهر رسالة في اللغة الجرمانية سماها قضاء الله على الايقونات احدثت حركة عظيمة حتى صارت الايقونات مكروهة جدًّا عند جانب من الناس وكان في مكان يقال له ستادلهوفن خارج ابواب المدينة مركوزًا صليبٌ متقن النقش وغني الزينة واذ كان اصحاب الاصلاح ذوو الغيرة الشديدة يشمئزون من الخرافات الناجمة عن ذلك الصليب لم يقدروا ان يمرّوا من هناك دون ان يطلقوا عنان غيظهم . قال بولنجر ان رجلًا اسمهُ كلاود هوتنجر فاضلًا وخبيرًا بالكتب المقدسة صادف طحّان ستادلهوفن صاحب ذلك الصليب فسالهُ متى تطرح اصنامك فاجابهُ الطحان ليس احد يلزمك الى عبادتها. فقال هوتنجر أما تعلم ان الكتب المقدسة تنهانا عن اتخاذ تماثيل منحوتة. فقال الطحان فاذًا اذا كان لك سلطان بان ترفعها فانا اتركها لك. فظن هوتنجر انهُ سمح لهُ لان يفعل ذلك وبعد قليل في اواخر ايلول رآهُ قوم مجتازًا على ابواب المدينة بجماعة من الاهالي ولما وصلوا الى الصليب حفروا حولهُ بتأنٍّ حتى سقط التمثال الى الارض بانسحاق عظيم

وهذا العمل الجسور احدث خورًا في كل جانب فكنت تظن ان الديانة

نفسها قد سقطت بسقوط صليب ستادلهوفن فصرخ اصحاب رومية انهم اجرموا بتدنيس المقدسات وانهم يستحقون الموت فامر الجمع بالقاء القبض على الذين كسروا التمثال . فصرخ زوينكل واقرانهُ عن منابرهم كلاَّ ان هوتجر واصحابهُ هم غير مذنبين قدام الله ولا مستحقين الموت ولكن يجوز قصاصهم لانهم تعدَّوا وعملوا ذلك بدون اجازة الحكام

وكان مثل هذه الاعمال يحدث دائمًا في تلك الاوقات فان خوريًا لكنيسة على اسم مار بطرس اذ راى ذات يوم امام الكنيسة عدة من الفقراء ياكلون مآكل ردية وهم لابسون ثيابًا رثَّة قال لواحد من اقرانهِ ملتفتًا الى زينة تماثيل القديسين الثمينة اني ارغب في ان انزع زينة هذه الاصنام الخشبية لكي ابتاع ثيابًا لاعضاء يسوع المسيح هولاء المساكين . وبعد ايام قليلة بعد نصف الليل بثلاث ساعات صباحًا اختفى القديسون وجميع زينتهم فالقى المجلس هذا الخوري في السجن مع انهُ صرَّح ببراءتهِ من هذا العمل فصرخ الشعب يا للعجب أهذه القطع من الخشب هي التي امرنا يسوع ان نكسوها ألعلَّهُ لاجل هذه التماثيل سوف يقول للصالحين كنت عريانًا فكسوتموني

وهكذا كلما اشتدت المقاومة تقدَّم الاصلاح وكلما تضايق نما وقوي وتهدد بالانقلاب كل ما قاومهُ

الفصل الثالث

جدال تشرين الاول . راي زوينكل من جهة الكنيسة . ميكونيوس في زوريخ . احياء العلوم

ان الامور المشار اليها آنفًا وان جازت الحدود لم تخلُ من الافادة واستلزم الامر جهادًا جديدًا لاجل الحصول على غلبة جديدة لانهُ في الامور الروحية كما في الامور العالمية لا غلبة من دون جهاد وبما ان اجناد رومية وقفوا غير متحركين

التزم تلامذة الاصلاح ان يشرعوا بالعمل وفي الواقع كان الولاة في ارتباك وهياج وشعروا بضرورة استنارة ضمائرهم ولاجل ذلك عزموا على تعيين جدال آخر عمومي باللسان الجرماني يبحث فيهِ عن قضية الاصنام وذلك بحسب الكتب المقدسة

ومن ثمَّ طلب من اساقفة كوير وقسطنسيا وباسل ومن المدرسة في باسل ومن الاثنتي عشرة مقاطعة ان يرسلوا وكلاء الى زوريخ اما الاساقفة فابوا قبول هذه الدعوة واذ تذكروا الحالة التعيسة التي كان عليها وكلاؤُهم في الجدال السابق قلما مالوا الى تكرار مثل تلك المناظر المذلة قائلين ليتجادل الانجيليون اذا شاءُوا ولكن ليتجادلوا وحدهم ففي المرة الاولى كان الحزب الروماني صامتًا وفي المرة الثانية عزموا على عدم الظهور ولعل رومية ظنت ان الجهاد العظيم يبطل لعدم وجود المجاهدين . ولم يكن الاساقفة وحدهم في عدم قبول الحضور بل اهل مقاطعة انتروالدن اجابوا انهُ لا علماء بينهم بل خوارنة افاضل اتقياء فقط يوضحون الانجيل كما اوضحهُ آباؤُهم وانهم لا يرسلون وكيلاً الى زوينكل واصحابهِ ولكن اذا وقع في ايديهم فانهم يعاملونهُ معاملة تنزع منهُ كل رغبة للسقوط في مثل هذه الذنوب . ولم يرسل وكلاء الاَّ شافهاوسن وسنت غال فقط

وفي ٢٦ تشرين الثاني بعد الوعظ ملأَت دار الحكومة البلدية الكبيرة جماعة اكثر من تسع مئة شخص مؤَلفة من اعضاء المجلس الكبير ومن ثلاث مئة وخمسين خوريًا وكان زوينكل وليون يهوذا جالسين بالقرب من مائدة عليها العهدان العتيق والجديد بلغتيهما الاصليتين فتكلم زوينكل اولاً ونقض بذراع قوية سلطان الرياسة وسلطان مجامعها وثبت حقوق كل كنيسة مسيحية وحقهم بحرية الاعصار التي لم تعرف فيها الكنيسة مجامع مسكونية ولا مجامع اقليمية فقال ان الكنيسة العامة هي ممتدة في جميع العالم حيثما يوجد الايمان بالمسيح في الهند كما في زوريخ واما الكنائس الخصوصية فانها توجد في برن وشافهاوسن وهنا ايضًا ولكن الباباوات مع كردناليهم ومجامعهم ليسوا الكنيسة العامة ولا كنيسة خاصة . ثم استتلى بنشاط

قائلاً ان الجماعة التي انكلم الآن امامها هي كنيسة زوريخ فانها ترغب ان نسمع كلمة الله ولها حق ان تامر بكل ما يبان لها مطابقًا للكتب المقدسة

فهكذا استند زوينكل على الكنيسة ولكن استنادهُ كان على الكنيسة الحقيقية ولم يكن على الاكليروس وحدهم ولكن على جماعة المسيحيين اي على الشعب فكل ما تقولهُ الكتب المقدسة عن الكنيسة بوجه العموم نسبهُ الى الكنائس الخصوصية ولم يكن يفتكر ان احدى الكنائس تغلط اذا اصغت بخضوع لكلمة الله . ورايهُ هو ان المجلس العظيم البلدي ينوب عن الكنيسة سياسيًا وكنائسيًا ففي اول الامر اوضح كل قضية وهو على المنبر وعند ما اقنع عقول سامعيهِ بالحق رفع الدعوى الى المجلس العظيم الذي حكم مع خدام الكنيسة بما يوافق مطلوب الكنيسة

وفي غياب وكلاء الاساقفة قام كونراد هوفمان الرجل الشيخ الذي كان واسطة لانتخاب زوينكل لزوريخ فحاول المحاماة عن البابا وذهب الى ان الكنيسة اي القطيع او الرعية لاحق لها ان تبحث في مثل هذه الامور فقال انني اقمت ثلاث عشرة سنة في هيدلبرج في بيت عالِم عظيم يقال لهُ المعلم يوس رجلاً فاضلاً تقيًا قد آكلتهُ وشاربتهُ زمانًا طويلاً وانا اسحب مطرف اللذات معهُ الاّ انني كنت دائمًا اسمعهُ يقول انهُ لا يليق البحث عن مثل هذه الامور وهكذا ترون — فكان الجميع مستعدين للضحك الاّ ان الوالي منعهم من ذلك فاستتلى هوفمان قائلاً . فلننتظر اذًا مجمعًا فانني لا اجادل الآن ولكن اطيع اوامر الاسقف ولو كان منافقًا

فاجاب زوينكل أَننتظر مجمعًا . فمن تراهُ يحضر مجمعًا . البابا مع بعض الاساقفة الكسالى الجهال الذين لا يعملون شيئًا الاّ ما يوافق شهوتهم . كلاّ فان الكنيسة ليست هناك فان هنغ وكسنخت (هاتان هما قريتان بجوار زوريخ) هما في الحقيقة احق ان تسميا كنيسة من جميع الاساقفة والباباوات معًا

فهكذا عضد زوينكل حقوق الشعب المسيحي الذي كانت رومية قد جردتهُ من حقوقهِ والجماعة التي تكلم في حضرتها لم تكن في حكمهِ كنيسة زوريخ بل نائبها

الاول . فهذا هو ابتداء الطريقة القسيسية في عصر الاصلاح فان زوينكل رفع زوريخ من اسقفية اسقف قسطنسيا وفصلها عن سلطة الرياسة اللاتينية وبنى على ذلك التعليم بان القطيع اي الجماعة المسيحية هي الكنيسة وكانت البلدان الاخر عتيدة ان تتمسك بها فيما بعد

فطال الجدال وقام كثير من الخوارنة للمحاماة عن الايقونات ولكن من دون استشهاد بالكتب المقدسة فدحض زوينكل واخرون من المصلحين آراءهم بواسطة الكتاب المقدس فقال احد الرؤساء ان لم يتقدم احدٌ لاجل المحاماة عن استعمال الايقونات ببراهين ماخوذة من الكتب المقدسة فاننا ندعو البعض من احزابها باسمائهم . ولما لم يقم احد دُعي خوري وادسخويل فاجاب وكيلهُ انه قد ارسلني عوضًا عنهُ ولكني لا اجاوب عنهُ . فاتضح ان كلمة الله اثرت في تلك الجماعة تاثيرًا واصحاب الاصلاح امتلأُوا نشاطًا وحريةً وفرحًا واما اخصامهم فكانوا خرسًا منزعجين حزنًا فدعوا كل واحد منهم بعد الآخر اي خوارنة لوفن وغلانفلدن ووتزكيون ومدبر وخوري بارتسخويل مع الدومينيكيين والرهبان البيض المشهورين لاجل وعظهم بالمحاماة عن الايقونات والعذراء والقديسين والقداس ولكنهم جميعًا اجابوا بانهم لا يقدرون ان يقولوا شيئًا محاماةً عن هذه الامور وبانهم من الآن وصاعدًا يتفرغون لدرس الحق. قال احدهم اني الى الآن قد القيت اتكالي على المعلمين القدماء واما الآن فاني اومن بالمستجدين فصرخ زوينكل لا يجب ان تؤمن بنا ولكن بكلمة الله فان الكتب المقدسة وحدها هي التي لا يمكن ان تغلط ابدًا وكانت الجلسة طويلة والليل مقبلاً فوقف الرئيس هوفمستر من شافهوسن وقال تبارك الله القادر على كل شيء الابدي لانهُ اعطانا الظفر في كل شيء وهو حينئذٍ حرض مشيري زوريخ ان ينزعوا الايقونات كافة

ويوم الثلثاء اجتمع الجمهور ايضًا لاجل البحث في تعليم القداس وكان فاديان صاحب الكرسي فقال زوينكل ايها الاخوة بالمسيح حاشا لنا ان نفتكر بانهُ يوجد غش او كذب في جسد ودم المسيح . ومقصودنا الوحيد هو ان نبين ان القداس

ليس ذبيحة يقدر انسان ان يقدمها لله عن آخر ما لم نسلم ان الانسان يقدر ان ياكل ويشرب عن صديقهِ

وبعد ان سال فاديان مرتين هل حضر من يرغب في ان يعضد بواسطة الكتب المقدسة التعليم المدحوض ولم يجاوب احد صرح رهبان زوريخ والواعظون وكثيرون آخرون من الاكليروس بانهم متفقون مع زوينكل. ولم يغلب المصلحون هكذا احزاب التعاليم القديمة حتى التزموا ان يقاوموا تلك الارواح اللجوجة التي تطلب تجديدات قهرية وحالية لا اصلاحًا حكميًا تدريجيًا فقام كونرد غرابل التعيس وقال انهُ لا يكفي الجدال عن القداس بل يجب ان نبطل مساويهُ . فاجاب زوينكل ان المجلس سوف يصدر حكمًا في هذا المعنى. وعند ذلك صرخ سيمون ستومبف ان روح الله قد حكم فلماذا تحيل المسئلة الى حكم المجلس

فنهض القائد شمدت من كسنخت برصانة وقال بعبارات مملوّة حكمة دعونا نعظ المسيحيين ان يقبلوا المسيح في قلوبهم . فانكم الى هذه الساعة قد سعيتم جميعكم وراء الاصنام فان سكان السهول قد ركضوا الى الجبال وسكان الجبال ذهبوا الى السهول فذهب الفرنساويون الى جرمانيا والجرمانيون الى فرانسا وانتم الآن تعلمون الى اين يجب ان تذهبوا فان الله قد جمع كل الاشياء في المسيح فانتم يا سكان زوريخ الكرماء اذهبوا الى الينبوع الحقيقي فعسى المسيح اخيرًا ان يدخل بلادكم ثانيةً ويملك هناك ملكوتهُ القديم

فهذا الخطاب احدث تاثيرًا عميقًا ولم يقف احد للجواب عليهِ فقام زوينكل بدهشة وقال ايها السادة المحسنون ان الله معنا وهو يحامي عن عملهِ فتقدموا اذًا الآن باسم الله وعند ذلك غلبت عليهِ حاسياتهُ حتى انهُ لم يعد يمكنهُ ان يتقدم في كلامهِ فبكى ومزج كثيرون دموعهم بدموعهِ . وهكذا انتهى الجدال فنهض الرؤساء وشكرهم الوالي واذ التفت الجندي الشيخ نحو الجمع قال برصانة بذلك الصوت الذي سمع مرارًا كثيرة جدًّا في فلاة الحرب فالآن اذًا دعونا نقبض على سيف كلمة الله فعسى الرب ان ينجح عملهُ

وهذا الجدال الذي حدث في شهر تشرين الثاني سنة ١٥٢٣ كان قاطعًا وأكثر الخوارنة الذين حضروا رجعوا مملوئين غيرة الى الاقسام المختلفة من المقاطعة فشعرت كل سويسرا بمفاعيل ذينك اليومين وكنيسة زوريخ التي كان لها دائمًا نوعٌ من الاستقلال نظرًا الى كرسي قسطنسيا انعتقت حينئذٍ انعتاقًا تامًّا وعوضًا عن الاستناد على البابا بواسطة الاسقف استندت من ذلك الاوان فصاعدًا بواسطة الشعب على كلمة الله فاسترجعت زوريخ الحقوق التي كانت رومية قد سلبتها منها فكانت المدينة والقرى تتنافس معًا بلذة لاجل عمل الاصلاح والمجلس الكبير اتبع حركات الشعب وكانت المدينة والقرى في جميع الاوقات المهمة تعلن آراءها . فان لوثيروس كان قد ارجع الكتاب المقدس الى العالم المسيحي واما زوينكل ففات هذا الحد ورد عليهِ حقوقهُ وذلك من اخص صفات الاصلاح في سويسرا وحفظ التعليم الصحيح أُسلِم تحت سلطة الله للشعب وابانت الحوادث الحديثة ان الشعب المسيحي يقدر ان يحافظ على هذه الوديعة الكريمة احسن من الخوارنة والاحبار

ان زوينكل لم يسمح لنفسهِ بالافتخار بالغلبة بل بعكس ذلك كان الاصلاح حسب ارادتهِ جاريًا باعتدال عظيم ولما طلب المجلس رايهُ قال ان الله يعرف قلبي وهو يعلم اني مائل الى البنيان لا الى الهدم وانا عالم بانهُ يوجد بعض اناس ضعفاء تجب ملافاتهم فدعوا القداس يتلى ايضًا مدة من الزمان في جميع الكنائس ايام الآحاد ولنحترز من الافتراء على الخوارنة الذين يقيمونهُ . فاصدر المجلس امرًا بهذه الغاية ونفي هوتنجر وهوخروتينر احد اصدقائهِ من المقاطعة الى مدة سنتين ونُهيا عن الرجوع بلا اذن

ان الاصلاح في زوريخ اتبع طريقًا حكيمًا مسيحيًّا فكان كل يوم ينهض تلك المدينة اكثر فاكثر وكان يكسبها مجدًا في اعين جميع اصدقاء كلمة الله ومن ثم اولئك الذين قد حيوا النور الجديد البازغ على الكنيسة من اهالي سويسرا شعروا بانجذاب قوي نحو زوريخ فان اوسوالد ميكونيوس الذي طُرد من لوسرن اقام

ستة اشهر في انسدلن واذ انهكهُ التعب وحرُّ الشمس وهو راجع ذات يوم من سفرهِ الى غلاريس راى ابنهُ الصغير فيلكس يركض للقائهِ لكي يخبرهُ بانهُ قد دُعي الى زوريخ لكي يناظر على احدى المدارس واذ لم يقدر اوسوالد ان يصدق بمثل تلك البشارة المفرحة تردد بين الخوف والرجاء. واخيرًا كتب الى زوينكل يقول لهُ انا لك . ورآهُ غارولدسك ينطلق بتاسف لان افكارًا مكدرة ملأَت ضميرهُ فقال لهُ وا اسفاهُ ان جميع الذين يقرّون بالمسيح منطلقون الى زوريخ فاني اخشى من اننا سوف نهلك يومًا كلنا هناك . وهذه النبوة المحزنة قد تمت عاجلًا في سهول كابل بموت غارولدسك نفسهِ واخرين كثيرين من اصدقاء الانجيل

واخيرًا وجد ميكونيوس في زوريخ ملجأً امينًا . وسالفهُ الذي لقب في باريس بسبب قامتهِ بالشيطان الكبير اهمل واجباتهِ فكرس ميكونيوس كل قلبهِ وقوتهِ لاتمامها ففسر تصانيف العلماء اللاتينيين واليونانيين وعلم البيان والمنطق وكان شبان المدينة يصغون اليهِ بكل بهجة . فكان ميكونيوس عتيدًا ان يكون للقرن الجديد ما كانهُ زوينكل للقرن العتيق

وخاف ميكونيوس في اول الامر من كبر عمر التلامذة الذين كانوا تحت عنايتهِ الّا انهُ تشجع ايضًا شيئًا فشيئًا ولم يمضِ الّا قليل حتى وجد بين تلاميذهِ شابًا ابن اربع وعشرين سنة تبلج من عينيهِ حب الدرس اسمهُ توما بلاتر وهو من اهالي فالوا . وُلد في ضيعة اسمها غراخن فمن جوار تلك الجبال القرعاء كان عتيدًا ان يخرج اعظم الرجال الذين ظهروا في القرن السادس عشر واذ كان بلاتر ابن تسع سنوات وُضع تحت تدبير خوري من اقاربهِ كان يضربهُ مرارًا كثيرة بقساوة شديدة حتى يصرخ كما يخبرنا هو نفسهُ كجدي تحت السكين ثم اخذهُ احد اعمامهِ الى المدارس الجرمانية وكان قد بلغ من العمر عشرين سنة الّا انهُ بسبب انتقالهِ من مدرسة الى مدرسة كان بالكد يعرف القراءة ولما وصل الى زوريخ عزم على تحصيل المعارف واذ دخل مدرسة اوسوالد قال لنفسهِ هنا سوف تتعلمين او

تموتين فاشرق نور الانجيل في قلبهِ وفي ذات صباح شديد البرد ولم يكن لهُ وقود لوجاق المدرسة الذي كان من واجباتهِ ان يوقدهُ دائمًا فقال في نفسهِ لماذا نحتاج الحطب وفي الكنيسة اصنام كثيرة ولم يكن قد اتى احد الى الكنيسة مع ان زوينكل كان عتيدًا ان يعظ وكانت الاجراس تدعو الناس الى الاجتماع فدخل بلاتر بهدوء وقبض تمثال القديس يوحنا مركوزًا على مذبح وطرحهُ في الوجاق قائلاً انزل فانهُ لا بد من دخولك ولا ريب ان هذا العمل لم يكن زوينكل رضي بهِ

وبالحقيقة ان الشكوك والخرافات كليهما كانا عتيدين ان يقاتلا باسلحة افضل من هذه فان زوينكل واقرانهُ كانوا قد اعطوا يد الشركة لميكونيوس وهو كل يوم فسر العهد الجديد في كنيسة السيدة امام جماعة متعطشة مصغية وحدث جدال آخر مشتهر في ١٣ و١٤ كانون الثاني سنة ١٥٢٤ كان ايضًا قاتلاً لرومية وباطلاً صرخ الراهب كوخ بقولهِ ان الباباوات والكردينالات والاساقفة والمجامع هي كنيستي

فكان كل شيء اخذًا في التقدم في زوريخ وعقول الناس تزداد استنارةً وقلوبهم تزداد ثباتًا والاصلاح يزداد قوةً فكانت زوريخ حصنًا اكتسبهُ التعليم الجديد وكان عتيدًا ان يمتد من اسوارها الى كل الجمهورية

الفصل الرابع

مجمع لوسرن. ازالة الايقونات . الاصلاحات. رفع الدعوى الى الشعب

ان الاخصام عرفوا جيدًا ما هي نتائج تلك التقلبات في زوريخ فشعروا بلزوم ضربة قوية . فكفى بهم السكوت وعزم اجناد سويسرا المدرعون بالحديد على

القيام اخيرًا وكلما قاموا في الماضي تضرجت فلاة الحرب بالدماء

وكان المجمع قد التام في لوسرن واجتهد الاكليروس في استمالة مجلس الامة الكبير اليهم. فسلمت فريبرج والمقاطعات المستوعرة بسهولة وبقيت برن وباسل وسوليور وغلاريس وابنزيل مترددة وشفافهوسن مائلة نحو الانجيل ولكن زوريخ وحدها قامت بجسارة للمحاماة عنهُ والحت احزاب رومية على الجماعة بان تميل الى طلباتهم واغراضهم وقالوا فليمنع الشعب عن الوعظ بتعليم جديد او لوثراني وعن ذكر ذلك سرًّا او جهرًا وعن التكلم او الجدال في مثل هذه الامور في الحوانيت. هذه هي الشريعة الكنائسية التي رغبوا في اثباتها في تلك البلاد المتعاهدة

فكُتِبت تسع عشرة قضية لهذه الغاية قبلها جميع المقاطعات ما عدا زوريخ وذلك في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٥٢٣ وأُرسلت الى جميع الولاة باوامر تطلب منهم ان يناظروا على حفظها بتدقيق. قال بولنجر ان ذلك احدث فرحًا عظيمًا بين الخوارنة وحزنًا شديدًا بين المؤمنين. وكان عتيدًا ان يبتدي اضطهاد رتَّبهُ رؤساء المعاهدة باتقان

ومن جملة الذين قبلوا رسالة المجمع اولاً هنري فلاكنستين من لوسرن والي بادن. وكان هوتنجر لما نفي من زوريخ لاجل نزعهِ صليب ستادلهوفن قد ذهب الى تلك المقاطعة حيث لم يخفِ راياتهِ واذ اتفق ذات يوم انهُ كان على الاكل في حانوت اسمهُ حانوت الملاك في زورزاخ قال ان الخوارنة يفسرون الكتب المقدسة غلطًا وان الانسان يجب ان يتكل على الله وحدهُ. واما صاحب الحانوت فكان دائمًا يدخل ويخرج لاجل جلب الخبز والخمر واصغى لهذه العبارات التي ظهرت لهُ غريبة وذهب هوتنجر في يوم آخر لزيارة صديقهِ يوحنا سخوتز من سخينيسجن وبعد ان اكلا وشربا معًا سالهُ سخوتز ما هو هذا الايمان الجديد الذي ينادي بهِ رعاة زوريخ فاجابهُ هوتنجر انهم ينادون ان المسيح قد ذُبح مرة واحدة لاجل جميع المسيحيين وانهُ بواسطة تلك الذبيحة الواحدة قد طهرهم وافتداهم من جميع خطاياهم ويبينون من الكتب المقدسة ان القداس انما هو اكذوبة

وكان هونجر بعد ذلك في شباط سنة ١٥٢٣ قد ترك سويسرا وذهب في شغل الى والدشات على الجانب الآخر من نهر الرين فصار الاهتمام بالقاء القبض عليهِ وبالقرب من نهاية الشهر نفسهِ بعد ان قطع الزوريخي المسكين غير المتوقع للمكروهِ النهر ثانية حالما وصل الى كوبلنتز قرية على شاطي الرين الى اليسار القي القبض عليهِ فأُخِذ الى كلنجينا وواذ اقر هناك بايمانهِ بجرية قال فلانكستاين المستشيط غضبًا اني آخذك الى مكان تجد فيهِ اناسًا يجاوبونك جوابًا مناسبًا فاخذهُ الى امام قضاة كلنجينا وثم الى امام مجلس بادن الكبير واذ لم يجد من يحكم عليهِ بالذنب اخذهُ الى امام المجمع المنعقد في لوسرن فانهُ كان مصمّا على لقاء قضاة يحكمون على اسيرهِ

فلم يتباطا ذلك المجمع ان حكم حالاً على هونجر بان يُقطَع راسهُ ولما بلغ هونجر ما قضي بهِ عليهِ اعطى المجد لله فقال يعقوب تروجر احد القاضين عليهِ حسبك هذا فاننا لانجلس هنا لكي نسمع مواعظ . انك تقدر ان تتكلم كلامك في وقت آخر وقال الوالي امورت ضاحكًا ينبغي قطع راسهِ هذه المرة فان عاد اليهِ فاننا اجمعين نعتنق ايمانهُ . فقال الاسير اسال الله ان يغفر لجميع الذين قضوا عليَّ . وحينئذٍ تقدم راهب بصليب الى شفتيهِ فابعدهُ قائلاً انما يجب ان نقبل المسيح في قلوبنا

ولما سيق لكي يُضرَب عنقهُ لم يقدر كثيرون من المتفرجين ان يضبطوا دموعهم فالتفت نحوهم وقال اني انا منطلق الى السعادة الابدية وعند وصولهِ الى المكان الذي كان مزمعًا ان يقضي اجلهُ فيهِ رفع يديهِ الى السماء وقال اني بيديك يا فاديَّ اسلم روحي وبعد دقيقة تدحرج راسهُ على المشهد

ولم يبرد دم هونجر حتى اغتنم اعداء الاصلاح الفرصة لكي يزيدوا غضب المعاهدة اضطرامًا ونووا ان يبتوهُ في زوريخ نفسها وزعموا ان المثالة الهائلة السابق ذكرها تكون قد اوقعت زوينكل وحزبهُ في الرعدة وان اجتهادًا آخر قويًّا يكون كافيًا لالحاق موت الاصلاح بموت هونجر فحكم المجمع حالاً بانهُ يجب ارسال

معتمد بن الى زوريخ يطلبون من المجالس والاهالي ان يرفضوا ايمانهم . فقدم المعتمدون دعواهم في ٢١ اذار قالوا ان الوحدة المسيحية القديمة قد نقضت والمرض اخذ في التقدم واكليروس المقاطعات المستوعرة الاربع قالوا انهُ اذا لم يأتِ الولاة الى نجدتهم يلتزمون بترك اعمال وظائفهم فيا معاهدي زوريخ اقرنوا اجتهاداتكم باجتهاداتنا واخنقوا هذا الايمان الجديد واطردوا زوينكل وتلاميذه وحينئذٍ نتحد معًا في معالجة الاذية التي الحقت بالباباوات وارباب دواوينهم. فهكذا تكلم الاخصام وماذا عسى اهل زوريخ يعملون فهل تضعف قلوبهم وهل بردت حميتهم مع دم ابن بلادهم

ان زوريخ لم تترك اصدقاءها ولا اعداءها زمنًا طويلاً متعلقين ريبًا فان المجلس اخبر بهدو وشرف بانهم لا يقدرون ان يتنازلوا في شيء مما يتعلق بكلمة الله ثم تقدموا واجابوا بجواب اشد قوة

منذ سنة ١٣٥١ قد جرت العادة ان محفلاً عظيمًا كل واحد فيهِ يحمل صليبًا ويذهب في اثنين الرماد الى زيارة انسدلن لاجل عبادة العذراء وهذا العيد الذي ترتب تذكارًا لواقعة ناتويل كان يحدث فيهِ شغب عظيم . وكان يجب ان الاحتفال يجري في ٧ ايار فاجابةً لطلب الرعاة الثلثة نهى المجلس عن ممارستهِ وحصل اصلاح في باقي الاحتفالات عند انتيابها

ولم يقفوا على ذلك بل الذخائر التي هي ينبوع خرافات لا تحصى دُفنت باكرام . وحينئذٍ بحسب طلب الرعاة الثلثة اشهر المجلس امرًا مضمونهُ ان الكرامة انما هي واجبة لله وحدهُ فيجب ان ترفع الايقونات من جميع كنائس المقاطعة وان تباع زينتها لاجل فائدة الفقراء فانطلق اثنا عشر مشيرًا من كل نادٍ واحدٌ والرعاة الثلاثة ومهندس المدينة والحدادون والنجارون والبناؤون والقطاعون الى الكنائس المختلفة وبعد ان اغلقوا الابواب انزلوا الصلبان وقشروا الصور المنقوشة على الحيطان وبيضوها وازالوا الايقونات فانسر جدًا بذلك المؤمنون الذين كما يقول بولنجر كانوا يحسبون هذا العمل كانهُ عبادة عظيمة للاله الحقيقي

وفي بعض الكنائس في القرى احرقت حليّ الايقونات اكرامًا لله ومجده. ولم يمضِ الّا قليل حتى انزلت الاراغن بسبب اتصالها باعمال كثيرة خرافية وترتبت خدمة عماد ليس فيها شيء غير مطابق للكتب المقدسة . فحيّا الوالي روست القريب الى الموت مع رفيقهِ فرحين بانتصار الاصلاح فانهما كانا قد عاشا مدة كافية وتوفيا في نفس وقت تجديد العبادة المشتهرة العظيم

ان الاصلاح في سويسرا اظهر نفسهُ تحت منظر يخالف نوعًا عن منظر الاصلاح الجرماني فان لوثيروس كان قد قام لمضادة كسر الايقونات في كنائس وتمبرج واما زوينكل فبحضرتهِ سقطت الاصنام في هياكل زوريخ وهذا الاختلاف يتضح بواسطة الانوار المختلفة التي راى بها المصلحان الموضوع الواحد بعينهِ فان لوثيروس رغب في ان يحفظ في الكنيسة كل ما لم يكن مضادًّا بصراحة للكتب المقدسة واما زوينكل فرغب في ان ينفي كل ما لا يمكن اثباتهُ بها فالمصلح الجرماني اراد ان يبقى متحدًا مع كنيسة الاعصار السابقة وكان قانعًا بان ينقيها من كل ما هو مضاد لكلام الله واما المصلح الزوريخي فتجاوز تلك الاعصار ورجع الى الازمان الرسولية واجتهد في ان يرد الكنيسة الى حالتها الاصلية محدثًا تغييرًا تامًّا فيها . فكان اصلاح زوينكل اكمل والعمل الذي اسلمتهُ العناية للوثيروس اي ترجيع تعليم التبرير بالايمان كان لا محالة عمل الاصلاح العظيم ولكن عند ما تمّ ذلك بقيت امور اخر عملها ضروري وان كانت ثانوية لكنها مهمة واجتهاد زوينكل كان نحو تلك الامور بنوع اخص. وفي الواقع ان عملين قويين أُلقيا على المصلحين فان المذهب المسيحي الكاثوليكي الناشئ في وسط المذهب الفريسي اليهودي والوثني اليوناني تاثر بالتدريج بقوة هاتين الديانتين اللتين حولتاهُ الى المذهب البابوي الروماني والاصلاح الذي طلب تنقية الكنيسة كان عتيدًا ان ينقيها من العنصر الوثني والعنصر اليهودي كليهما

فالعنصر اليهودي تغلب على الخصوص في ذلك الجزء من التعليم المسيحي الذي يتعلق بالانسان فان المذهب البابوي كان قد قبل من المذهب اليهودي

الافكار الفريسية في تبرير الانسان نفسهُ والخلاص بواسطة القوة او الاعمال البشرية

واما العنصر الوثني فتغلب بنوع خصوصي في ذلك الجزء من التعليم المسيحي الذي يتعلق بالله فان المذهب الوثني كان قد افسد في الكنيسة الكاثوليكيـة الفكر بالاله غير متناهٍ ذي قدرة كافية بالتمام لا تزال تعمل في جميع الازمنة والامكنة واثبت في الكنيسة ملك الرموز والايقونات والطقوس وبهِ صار القديسون انصاف آلهة البابوية

فاصلاح لوثيروس اتجه جوهريًّا الى مضادة العنصر اليهودي وضد هذا العنصر اضطر ان يجاهد لما قام راهب وقح من قبل البابا يتجر في خلاص النفوس . واما اصلاح زوينكل فاتجه على الخصوص الى مضادة العنصر الوثني فانهُ ضد هذا العنصر التزم ان يحارب في هيكل سيدة انسدلن عند ما اجتمع معًا جمهور من كل جانب وخرَّ بعمًى قدام صنم مذهَّب كما فُعل في هيكل ارطاميس الافسسيين . فالمصلح الجرماني نادى بالتعليم العظيم للتبرير بالايمان وبهِ انزل ضربة مميتة ببرّ رومية الفريسي ولا شك ان مصلح سويسرا فعل ذلك بعينهِ فان عدم اقتدار الانسان على تخليص نفسهِ هو اساس عمل جميع المصلحين الّا ان زوينكل عمل شيئًا فوق ذلك فانهُ اثبت عمل الله المطلق العمومي الفريد وبذلك اوقع ضربة مهلكة بعبادة رومية الوثنية . فالمذهب البابوي الروماني كان قد رفع الانسان ووطا الله فوطا لوثيروس الانسان ورفع زوينكل الله . وهذان العملان اللذان كانا بنوع اخص لا يحصر اللفظ عليهما كان احدهما تتمة للآخر فلوثيروس وضع اساس البناء واما زوينكل فاقام الغلق ووضعهُ في مكانهِ وبقي لعقل اوسع على شطوط بحيرة ليمان ان يطبع هاتين الصفتين معًا على الاصلاح

واذ كان زوينكل يتقدم هكذا بخطوات مقتدرة الى راس المعاهدة كانت المقاطعات المتعاهدة تزداد كل يومٍ مضادة فالحكومة الزوريخية شعرت بضرورة الاستناد على الشعب ولكن الشعب اي جماعة المؤمنين كانوا حسب مبادي

زوينكل القوة العليا التي يمكن الالتجاء اليها على الارض فقر الراي على امتحان راي الجمهور فطالب من المباشرين ان يسالوا جميع الابرشيات اهي مستعدة ان تحتمل كل شيء لاجل ربنا يسوع المسيح الذي كما قال المجلس بذل حياتهُ ودمهُ لاجلنا نحن الخطاة. وجميع المقاطعة كانت قد تبعت تقدم الانجيل في المدينة وفي اماكن كثيرة صارت بيوت الفلاحين مدارس مسيحية تقرا فيها الاسفار المقدسة. فقُرِئَ اعلان المجلس وقُبل برغبة في كل ابرشية فاجابوا فليبقَ ساداتنا متمسكين من دون خوف بكلمة الله فاننا نعضدهم بالمحاماة عنها واذا طلب احدٌ ان يؤذيهم فاننا ناتي لمساعدتهم نظير رعايا شجعان امناء. فاظهر حينئذٍ فلاحو زوريخ ان قوة الكنيسة هي في الشعب المسيحي

الاَّ ان الشعب لم يكونوا وحدهم فان الرجل الذي كان الله قد وضعهُ راساً لهم اجاب الدعوة اجابة حسنة وازداد زوينكل قوة في خدمة الله وجميع الذين احتملوا الاضطهاد في مقاطعات هلفيتيا لاجل حق الانجيل كانوا يراسلونهُ. ومصالح الجمهور والاهتمام بالكنائس واضطرابات الجهاد المجيد في كل وادٍ من سويسرا كانت ثقيلة على انجيلي زوريخ. واخبار اعمالهِ الشجاعية سمعها اهل وتمبرج بفرح فلوثيروس وزوينكل كانا نورين عظيمين موضوعين في جرمانيا العليا والسفلى وتعليم الخلاص الذي نادى بهِ كلاهما ملأَ الاراضي المتسعة الممتدة من قمة جبال الپا الى شطوط البلتيك وشطوط البحر الشمالي

الفصل الخامس

مضادة جديدة. خطف اكسلين. بيت وبرث وما اصابهم

ولم يكن يمكن ان كلمة الله تغلب كما ذُكِر على بلدان متسعة من دون ان تزعج غلباتها البابا في قصرهِ والخوري في ابرشيتهِ وولاة سويسرا في دواوينهم فزاد

خوفهم يوماً فيوماً لان الشعب كانوا قد تشاوروا والشعب المسيحي صار لهُ اعتبار في الكنيسة فكان الالتجاء الى اشتراكهم وايمانهم لا الى احكام الديوان الروماني وكانت هجمة هائلة كهذه تحتاج الى مقاومة اهول ففي ٨ انيسان انفذ البابا منشوراً الى المقاطعات المتعاهدة. والمجلس الذي اجتمع في زوغ في شهر تموز خضع لالحاح الحبر الشديد فارسل معتمدين الى زوريخ وشافهوسن وابنزل لكي يخبروا تلك المقاطعات بعزم المجلس الثابت على سحق التعليم الجديد ولحق المتمسكين بهِ الى ضبط اموالهم ونزع رتبهم وحياتهم ايضاً فلم تسع زوريخ هذا التحذير من دون حركة الاَّ انها اجابت جواباً ثابتاً بانهُ في قضايا الايمان كلمة الله وحدها يجب ان نُطاع ولما بلغ هذا الجواب لوسرن وشويتز واوري وانتروالدن وفريبرج وزوغ ارتعدت غيظاً واذ تغافلت تلك المقاطعات عن الصيت والسطوة اللتين اكسب المعاهدةَ دخولُ زوريخ اليها في اولها ونسيت التقدم الذي أُعطي لها حال دخولها والاقسام البسيطة الموقرة التي أُقسم بها لها والغلبات والانكسارات الكثيرة التي اشتركت بها معها حكمت بان لا تجالس ايضاً معها في مجلس وهكذا في سويسرا وفي جرمانيا كان احزاب رومية اول من نقض الوحدة التعاهدية. والتهديدات ونقض المعاهدة لم تكن كافية لان حمية المقاطعات طلبت الدم ولم يمضِ الاَّ قليل حتى ظهر باية اسلحة ارادت رومية ان تحارب كلمة الله

ان واحداً من اصدقاء زوينكل وهو اكسلين الفاضل كان راعي قرية برج على نهر الربن في جوار ستابن وكان الوالي امبرج الذي ظهر انهُ يصغي برغبة الى الانجيل اذ رغب في نيل تلك الولاية قد وعد اعيان شويتز باستئصال الايمان الجديد فكان اكسلين وان لم يكن تحت ولايتهِ اول من استعمل قساوتهُ نحوهُ

ففي نصف الليل في ٧ تموز سنة ١٥٢٤ قرع بعض الاشخاص باب الراعي المذكور وهم اجناد الوالي المذكور فدخلوا الى البيت وقبضوا على اكسلين وساقوهُ اسيراً من دون التفات الى صراخهِ واذ ظن بان مرادهم قتلهُ صرخ قائلاً يا للقتل فهبَّ الناس من مضاجعهم بخوف وفي الحال صارت القرية في شغب مخيف

سُمِع من بُعدٍ حتى الى ستابن والحارس في قلعة هوهنكلنجن اطلق مدفع التنبيه وقُرِع الجرس فتحرك حالاً سكان ستابن وستامهيم والاماكن المجاورة واخذوا يسالون بعضهم بعضًا في الظلام ما هو الامر

وفي ستامهيم سكن نائب الوالي واسمهُ ويرث وابناهُ الاكبران ادريانوس ويوحنا خوريان شابَّان مملوئَين تقوى وشجاعة وكانا يناديان بالانجيل بنشاط عظيم وكان يوحنا على الخصوص مملوءًا ايمانًا ومستعدًّا لبذلِ حياتهِ لاجل مخلصهِ وكانت تلك العائلة عائلة موقرة بالحقيقة وكانت حنة امها ولدت لويرث اولادًا كثيرين وربتهم بخوف الرب وهي معتبرة لاجل فضائلها في كل المقاطعة فعندما سمع الاب وابناهُ المذكوران الضوضاء في برج خرجوا كما خرج جيرانهم وغضب الاب لانَّ والي فراونفلد استعمل سلطانهُ بطريقٍ مضاد لشرائع البلاد . وبلغ الولدين بغمٍّ ان اخاهما وصديقهما الذي كانا يقفوان مثالهُ الصالح بمحبة قد سيق كمجرم فاخذ كلٌّ منهما رمحًا واتحد الاب وابناهُ مع جماعة اهالي ستابن من دون التفات الى مخاوف الزوجة والامّ الحنونة عازمين على انقاذ راعيهم . ولاجل التعس ذهب مع القوم جماعة من اصحاب القلاقل الذين يظهرون في كل شغب فاتبعوا اجناد الوالي واذ سمع هؤلاء صوت الجرس والضوضاء اسرعوا يجرُّون فريستهم وراءهم ولم يمضِ الاَّ قليل حتى جعلوا نهر ثور بينهم وبين طاردبهم

ولما وصل اهالي ستابن وستامهيم الى شط النهر ولم يجدوا واسطة للعبور وقفوا وعزموا على ارسال معتمدين الى فراونفلد فقال نائب الوالي ويرث ان راعي ستابن هو عزيز لدينا جدًّا حتى اني لاجلهِ ابذل بارادتي اموالي وحريتي وحياتي . واذ وجد القوم انفسهم بالقرب من دير ايتنجن وظن ان رهبانهُ قد حرضوا الوالي امبرج على عملهِ دخلوا اليهِ واستولوا على بيت الاكل والاشقياء بينهم سكروا حالاً وارتكبوا اعمالاً قبيحة فطلب ويرث منهم ان يخلوا الدير ولكن كان ذلك منهُ باطلاً . بل حاولوا ان يسيئوا اليهِ وكان ابنهُ ادريانوس قد بقي خارج الدير واما يوحنا فدخل ولكنهُ خرج حالاً منغمًّا مما عاينهُ . والفلاحون السكارى اخذوا

ينهبون خوابي الخمر وبيوت المؤونة ويكسرون الاواني ويحرقون الكتب

ولما بلغت اخبار هذه التشاويش الى زوريخ بادر بعض الرسل من المجلس الى الدير وامروا جميع الاشخاص الذين تحت حكم تلك المقاطعة ان يرجعوا الى بيوتهم فرجعوا حالاً ولكن جماعة من الثورغوفيين اذ اتوا الى هناك بسبب الاضطراب تحصنوا في الدير لاجل الاكل والشرب فاضطربت نارٌ بغتةً ولم يعرف احد كيف كان ذلك فاحترق الدير الى الحضيض

وبعد ذلك بخمسة ايام اجتمع معتمدو المقاطعات في زوغ ولم يكن يُسمَع شيء في المجلس الاَّ تهديدات بالانتقام والموت قائلين فلنهجم بالوية على ستاين وستامهيم ونعمل السيف بالاهالي وكان النائب ويرث وابناهُ موضوعًا لكراهة خصوصية منذ زمان طويل بسبب ايمانهم. فقال وكيل زوريخ اذا كان احد مذنبًا تجب مقاصتهُ وذلك حسب شرائع العدل لا بالظلم وعضد هذا الراي ڤاديان وكيل سنت غال وعند ذلك قام المجاهر يوحنا هوغ من لوسرن اذ لم يقدر ان يضبط نفسهُ وصرخ بتحريءات مريعة قائلاً ان الارانيكي زوينكلي هو ابو جميع الحركات وانت ايضًا يا معلم سنت غال تحامي عن دعواهُ القبيحة وتساعدهُ في تحصيل الغلبة لها فلا يجب ان يكون لك ايضًا مكان بيننا. فاجتهد وكيل زوغ ان يرجع السلام وكان اجتهادهُ باطلاً فخرج ڤاديان من الديوان واذ اراد الاهالي قتلهُ ترك المدينة سرًّا ووصل الى دير كابل بعد المرور على تعاريج كثيرة لاجل الاختفاء

واذ كانت زوريخ قاصدة تسكين كل قلق عزمت على القاء القبض وقتيًا على الاشخاص الذين طلبهم غيظ الاهالي وكان ويرث وابناهُ عائشين بهدوٍ في ستامهيم وقال ادريانوس ويرث عن المنبر لا يقدر اعداء الله ابدًا ان يلاشوا اصدقاءهُ فحُذِر الاب من الخطر الذي كان معلقًا فوق راسهِ وطُلِب منهُ ان يهرب مع ابنيهِ فاجاب كلاَّ بل اني انتظر الاجناد ملقيًا اتكالي على الله ولما اتى الاجناد الى بيتهِ قال ان سادتي الزوريخيين كان يمكنهم ان يوفروا على نفوسهم كل هذا التعب

لانهم لو بعثوا صبيًّا فقط لكنت قد اطعت امرهم. فأُخِذ ويرث وابناه الى زوريخ وأُلقوا في السجن وشاركهم رونيمان والي نوسباوم في قضائهم هذا ثم فحصوا بتدقيق ولكنهُ لم يوجد في سيرتهم شيءٌ يوجب اللوم

ولما بلغ وكلاء المقاطعات حبس هولاء الاربعة الاشخاص طلبوا ارسالهم الى بادن وقالوا اذا ابوا فلتهجم العساكر على زوريخ وتاخذهم رغمًا فقال وكلاء زوريخ انهُ انما يختص بزوريخ حق الفحص عن هولاء هل هم مذنبون اولا ونحن لم نجد فيهم ذنبًا. وعند ذلك صرخ وكلاء المقاطعات اتريدون ان تسلمونا اياهم اجيبوا نعم اولا ولا تزيدوا كلمة. فركب وكيلان من وكلاء زوريخ فرسيهما وانصرفا بكل سرعة الى موكليهما

وعند وصولهما صارت المدينة باسرها في حركة فقال البعض اننا اذا لم نسلّم المسجونين ياتي اصحاب المعاهدة وياخذونهم قهرًا وآخرون قالوا اذا سلّمناهم فاننا نسلم بموتهم فانقسمت الآراء في ذلك وحكم زوينكل بعدم تسليمهم وقال ان زوريخ يجب ان تبقى محافظة لتنظيماتها واخيرًا اتفقوا على طريق متوسط فقالوا للمجالس اننا ندفع المسجونين بايديكم ولكن بشرط انكم تفحصونهم عن قضية ايتنجن فقط لا عن ايمانهم فاجاب المجالس الى ذلك ويوم الجمعة قبل عيد القديس برثولماوس اي في ١٨ آب سنة ١٥٢٤ خرج من زوريخ ويرث وابناهُ وصد يقهم مصحوبين باربعة من مشيري الايالة وعدة رجال مسلحين

فحصل حزن شديد في كل المدينة من النظر الى القضاء الذي كان يتوقع الشابين ورفيقيهما الشيخين ولم يكن يُسمع الاّ تنهدات وهم مجتازون وصرخ احد اهالي ذلك العصر آه فيا لهُ من موكب حزين وكانت الكنائس باسرها ممتلئة فصرخ زوينكل ان الله يقاصصنا فلنطلب منهُ اقلما يكون ان يسبغ نعمتهُ على هولاء المسجونين المساكين وان يقويهم في الايمان

وفي مساء يوم الجمعة وصل المقرّفون الى بادن حيث انتظرهم جمهور عظيم فأُخِذوا اولاً الى خان ثم أُخذوا من هناك الى السجن وبالكد قدروا على التقدم

لان الجمهور ازدحم جدًّا حولهم لكي يلمحهم فالتفت الاب الذي كان ماشيًا في مقدمنهم الى ابنيهِ وقال لهما بوداعة انظرا يا ابنيَّ العزيزين اننا كما قال الرسول اناس معيَّنون للموت لاننا صرنا منظرًا للعالم للملائكة والناس (١ كو ٤ : ٩) وحينئذٍ اذ راى بين الجمهور عدوهُ المميت امبرج الذي كان علة كل مصائبهِ صعد اليهِ وقبض على يدهِ مع ان المذكور كان يودُّ لو تحول عنهُ وقال لهُ بهدوء اذ شدَّ على يدهِ ان في السماء الهًا يعرف كل شيء

فابتدا الفحص في اليوم التالي وكان وبرث اول من أُدخل فالقي تحت العذاب من دون التفات الى رتبتهِ ولا الى سنهِ ولكنهُ دام على اثبات براءتهِ من نهب واحراق اينتجن وحينئذٍ قُرِّف بانهُ قد اهلك صورةً للقديسة حنة ولم يمكن اثبات شيء على باقي المسجونين سوى ان ادريانوس وبرث كان متزوجًا وكان يبشر حسب طريقة زوينكل ولوثيروس وان يوحنا وبرث كان قد ناول السر لمريض من دون ناقوس ولا شمعة

وكلما ظهرت براءتهم ازداد حنق اعدائهم عليهم فمن الصباح الى الظهر انزلوا بالرجل الشيخ اشدَّ العذابات ولم تكن دموعهُ تستطيع ان تلين قلوب قضاتهِ وقد عُومِل يوحنا وبرث ببربرية افظع وسالوهُ في وسط عذابهِ قل لنا من اين تعلمت هذا الايمان الاراتيكي أَمن زوينكل ام من شخص آخر فصرخ يا ايها الاله الرحيم الابدي اعنّي وعزّني. فقال لهُ احد الوكلاء اين هو مسيحك الآن. وعندما أُحضِر ادريانوس قال لهُ سپاستيان من ستاين وكيل برن ايها الشاب قل لنا الحق فانك ان لم تفعل ذلك فاني اقسم برتبة فروسيتي التي نلتها في نفس الرقعة التي احتمل فيها الرب الشهادة باننا نفتح عروقك الواحد بعد الآخر وحينئذٍ ربطوا الشاب بحبل وعلّقوهُ بين السماء والارض فقال ستاين بتهكم شيطاني خذ يا معلمي الصغير خذ هبة عرسك . يشير بذلك الى زواج خادم الله هذا الشاب

وعندما انتهى الفحص رجع الوكلاء الى مقاطعاتهم لكي يقدموا تقاريرهم ولم

يجتمعوا حتى بعد اربعة اسابيع فذهبت زوجة وبرث ام الخوريين الى بادن حاملة طفلاً على ذراعيها لكي تترجى القضاة وقد رافقها يوحنا اسخر من زوريخ نظير محامٍ لها فراى بين العصاة ابرونيوس ستوكر (لاندمان زوغ) الذي كان والي فراونفلد مرتين فقال لهُ يا لاندمان انت تعرف نائب الوالي ويرث وانت تعلم انهُ رجل مستقيم فاجاب ستوكر انك تقول الحق يا عزيزي اسخر انهُ لم يؤذِ احدًا قط وكان الاهالي والغرباء دائمًا يُدعَون الى مائدتهِ فكان بيتهُ ديرًا وخانًا ومستشفى. فلو نهب او قتل لكنت قد بذلت كل جهدٍ في نوال الصفح عنهُ ولكن بما انهُ قد احرق القديسة حنة جدة المسيح يجب ان يموت. فصرخ اسخر فليرحمنا الرب

وحينئذٍ أُغلقت الابواب وفي ٢٨ ايلول حكم وكلاء برن ولوسرن واوري وشوريتز وانتروالدن وزوغ وغلاريس وفريبرج وسوليور بعد التبصر معا والابواب مغلقة كما كانت العادة بالموت على نائب الوالي ويرث وعلى ابنهِ يوحنا الذي كان الاثبت في الايمان والذي ظهر انهُ قد قاد الآخرين وعلى الوالي روتيمان واما ادريانوس بن ويرث الثاني فانهُ صفح عنهُ اكرامًا لدموع امهِ

فذهب الشرط الى القلعة لاجل اخراج المسجونين فقال الاب لادريانوس ابنهِ يا ابني لا تاخذ ابدًا ثار موتنا وان كنا لم نستوجب العقاب فابتدا ادريانوس يذرف الدموع فقال يوحنا يا اخي ان صليب المسيح دائمًا يتبع كلمتهُ . وبعد ان تُلي الحكم أُرجع المسيحيون الثلثة الى السجن ومشى يوحنا ويرث اولاً ورفيقاهُ وراءهُ وخوري وراء الجميع وبينما قطعوا جسر القلعة الذي كان عليهِ معبد مكرّس على اسم مار يوسف دعا الخوري الرجلين الشيخين وقال اسجدوا وادعوا القديسين فالتفت يوحنا ويرث الذي كان قدام عندما سمع هذه الكلمات الى ما حولهُ وقال يا ابي كن ثابتًا انت تعلم انهُ لا يوجد سوى وسيط واحد فقط بين الله والانسان الرب يسوع المسيح فاجاب الرجل الشيخ بحق نطقت يا ابني واني بنعمتهِ ابقى امينًا الى الاخير وعند ذلك ابتدا الثلثة يتلون الصلاة الربانية ابانا الذي في السموات وهكذا قطعوا الجسر

وبعد ذلك أُخِذوا الى المشهد وبوحنا وبرث الذي كان قلبهُ يرقُّ نحو ابيهِ ودَّعهُ قائلاً يا ابي الحبيب العزيز انك من الآن وصاعدًا لا تلبث ان تكون ابي ولا انا ابنك ولكننا نحن اخوة بالمسيح ربنا الذي لاجل اسمهِ ينبغي ان نحتمل الموت. فاليوم اذا اراد الله يا اخي المحبوب سوف ننطلق الى ذلك الذي هو ابونا جميعًا فلا تخف شيئًا فاجاب الرجل الشيخ آمين فليباركك الله القادر على كل شيء يا ابني واخي العزيز بالمسيح وهكذا في ساعة الموت ودع كلٌّ من الاب والابن الآخر بحبهما المنازل الجديدة التي فيها اجتمعا برباطات ابدية واكثر الذين كانوا حولهم سكبوا انهرًا من الدموع واما الوالي روتيمان فكان يصلي سرًّا

وحينئذٍ ركع الثلاثة معًا باسم المسيح فتدحرجت رؤُوسهم على المشهد. ولما راى الجمهور علامات العذاب على اجسادهم اظهروا غمهم باصوات عالية وقد خلفا اثنين وعشرين ولدًا وخمسة واربعين حفيدًا والتزمت حنة ان تدفع اثني عشر كرون ذهب الى الجلاد الذي قطع راس زوجها وراس ابنها. وعلى هذه الكيفية سفك الدم الزكي في سويسرا وتعمد اصلاحها بدم الشهداء وقتل هولاء الرجال كان واسطة لاسراع الاصلاح وتقدمهِ

الفصل السادس

ابطال القداس واقامة العشاء الرباني

لم يستحسن ابطال القداس في زوريخ حالاً بعد نفي الايقونات وبعد مدة بان ان الوقت المناسب لذلك قد اتى. وفضلاً عن امتداد نور الانجيل بين الشعب كانت شدة ضربات العدو تستدعي اصحاب الحق ان يقاوموها بواسطة اظهار امانتهم على طريق اوضح وكلما اقامت رومية مشهدًا قطعت الرؤُوس عليهِ رفع الاصلاح شان كلمة الله المقدسة وابطل بعض القبائح البابا وية فعند ما

ضُرِب عنق هو تنجر رفعت زورنغ الايقونات وعند ما قُتِل بيت وبرث اجابت زورنغ بابطال القداس وكلما زادت رومية قساوتها بمقدار ذلك زادت قوة الاصلاح

وفي ١١ نيسان سنة ١٥٢٥ حضر رعاة زورنغ الثلثة مع ماغندر واوسوالد ميكونيوس امام المجلس الكبير وطلبوا ارجاع عشية الرب فكان كلامهم برزانة فغرقت جميع العقول في بحار التامل وكل واحد شعر بعظمة الامر الذي طُلِب من المجلس الحكم فيهِ فان القداس ذلك الطقس الذي هو مدة اكثر من ثلثة قرون كان جوهر الخدمة الدينية في الكنيسة الرومانية طُلب ابطالهُ وحضور المسيح الجسدي كان عتيدًا ان يُحكَم بانهُ خداع والخداع نفسهُ كان مزمعًا ان يزال من عقول الشعب فاقتضت شجاعة للوصول الى مثل هذا الحكم وكان في المجلس مَن اقشعرَّ من هذا الفكر الجسور منهم بواكيم امغروت الكاتب الثاني للمقاطعة اذ خاف من طلب الرعاة الجسور قاومهُ بكل مكنتهِ فقال ان هذه الكلمات هذا هو جسدي تبرهن من دون شك ان الخبز هو جسد المسيح نفسهُ. قال زوينكل ان لفظة هو في الاصل اليوناني ἐστί هي الكلمة المستعملة للدلالة على الاشارة وقد استشهد باماكن كثيرة استعملت فيها تلك الكلمة بمعنى مجازي فاقتنع المجلس الكبير ولم يتردد فان تعاليم الانجيل كانت قد خرقت قلوبهم وعدا ذلك بما انهم اخذوا في الانفصال من كنيسة رومية ارادوا ان يجعلوا ذلك الانفصال كاملاً بقدر الامكان وان يحفروا هاوية بينها وبين الاصلاح ولذلك امر المجلس بابطال القداس وحكم بانهُ في اليوم التالي الذي هو خميس جمعة الآلام يتم احتفال عشية الرب طبق العوائد الرسولية

فكانت هذه الافكار شاغلة عقل زوينكل جدًّا وعند ما غمض عينيهِ ليلاً ما زال يطلب براهين يدحض بها اخصامهُ والموضوعات التي اشغلت عقلهُ بهذا المقدار من القوة نهارًا تراءت لهُ ليلاً في حلم فخيل لهُ انهُ كان يحاور امغروت وانهُ لم يقدر ان يجاوب اعتراضهُ الاصلي فوقف بغتةً شبح امامهُ وقال لماذا

لانستشهد بالعدد الحادي عشر من الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج حيث قيل وناكلونهُ (اي الحمل) بعجلة . هو فصح الرب فهب زوينكل من نومهِ وقام من فراشهِ واخذ الترجمة السبعينية فوجد هناك نفس اللفظة ἐστί اي هو التي اطبق الجميع على انها ترادف هنا لفظ يعني او يشير الى . فوجد في ترتيب العيد الفصحي في العهد العتيق نفس المعنى الذي حامى زوينكل عنهُ فكيف لا يستنتج ان الآيتين بمعنى واحد

وفي اليوم التالي وعظ زوينكل عظة على تلك الآية وتكلم بقوة عظيمة نفت كل شك

فأُزيلت المذابح وجُعِل مكانها موائد بسيطة حاملة الخبز والخمر السريين وجمهور مصغٍ ازدحم حولها وكان في ذلك الجمهور شيء خشوعي مخصوص ففي خميس جمعة الآلام تقدم الاحداث والحدثات ويوم الجمعة جمعة الآلام تقدم البالغون ويوم الاحد اي احد القيامة تقدم الشيوخ وعملوا تذكار موت الرب

فقرا الشمامسة بصوت عالٍ الآيات المتعلقة بهذا الامر ووعظ الخوارنة الشعب بانذارات خاشعة طالبين ان يعتزل من هذه الوليمة المقدسة جميع الذين بواسطة بقائهم في خطاياهم ينجسون جسد المسيح وركع الشعب ووُزّع الخبز عليهم على صواني كبيرة او صحون خشبية وكل واحد كسر منهُ قطعة ثم وُزّع الخمر في كاسات خشبية اذ ظنوا هذه الطريقة اقرب الى بساطة العشاء الاصلي فملا كل قلب حاسيات الانذهال والفرح

فهكذا تقدم الاصلاح في زوريخ وتكميل عشية الرب ببساطة افاض من جديد على الكنيسة محبة الله والاخوة وصارت كلمات يسوع المسيح روحًا وحياة واذ كانت الرتب المختلفة في كنيسة رومية تتجادل بلا انقطاع كان المفعول الاول للانجيل ارجاع المحبة بين الاخوة وأُحييت حينئذٍ في عالم المسيحيين محبة الاجيال القديمة فكنت ترى الاعداء يتركون عداواتهم القديمة الشديدة ويعانق احدهم الآخر بعد اشتراكهم في الخبز السري فابتهج زوينكل بهذه الاظهارات الفعالة

وشكر الله على ان عشية الرب فعلت ايضًا اعاجيب المحبة التي عجزت عنها ذبيحة القداس المزعومة من زمان مديد . فصرخ ان السلامة تسكن في مدينتنا ولا يوجد بيننا خداع ولا انقسام ولا حسد ولا نزاع فمن اين يصدر هذا الاتفاق الاَّ من الرب ومن التعليم الذي ننادي بهِ الذي يميل بنا الى النقاوة والسلامة

فتغلبت حينئذٍ المحبة والاتحاد وان لم تكن وحدة خارجية . وزوينكل في كتابهِ المعنون الديانة الحقيقية والديانة الكاذبة الذي قدمهُ لفرنسيس الاول في اذار سنة ١٥٢٥ وهي سنة وقعة پافيا جمع بعض الحقائق بطريق مناسبة في الغاية لجعلها مقبولة لدى العقل البشري مقتفيًا في ذلك مثال بعض مشاهير اللاهوتيين المعتبرين وفيهِ لقب فسادنا الاصلي مرضًا واطلق لفظة خطية على المخالفة الفعلية للشريعة . وهذه الآراء التي اوجبت بعض الاعتراضات لم تقرض المحبة الاخوية لان زوينكل عندما اصر على تلقيب الخطية الاصلية بمرض قال ان جميع الناس هم هالكون بواسطة هذا المرض وان يسوع المسيح هو العلاج الوحيد ولا ضلال في هذه القضية على هذا المعنى

وبينما عُمِل عشية الرب في زوريخ مقرونًا بالرجوع الى الاخوَّة المسيحية التزم زوينكل واحبابهُ ان يدافعوا مدافعة اشد ضد اعدائهم من الخارج فلم يكن زوينكل مجرَّدًا معلمًا مسيحيًّا فقط انما كان ايضًا وطنيًّا حقيقيًا وقد راينا آنفًا كيف جاهد بغيرة ضد المعاهدات والاجور والاتفاقات الاجنبية فانهُ تحقق ان تلك الاسباب الخارجية تاول لامحالة الى هدم التقوى واعماء العقل وانشاء النزاع في كل مكان ولكن مقاوماتهُ الجسورة كانت واسطة لاحداث التعصب ضد تقدم الاصلاح فانهُ في كل مقاطعة تقريبًا الرؤساء الذين كانت لهم اجور من الاجانب والقواد الذين قادوا شبان هلڤيتيا الى القتال كان منهم احزاب قوية ذوو سلطان مطلق حاربت الاصلاح ولم يكن ذلك محاماة عن الكنيسة بل دفعًا للاضرار الناتجة منهُ ضد مصالحهم الخصوصية وكراماتهم وتقووا في مقاطعة شويتز وتلك المقاطعة التي علم فيها زوينكل وليون يهوذا واوسوالد ميكونيوس

التي ظهرت كانها سوف تقفو اثر خطوات زوريخ تحولت بغتةً الى عهود الخدمة واغلقت ابوابها ضد الاصلاح

حتى انهُ في زوريخ بعض الاشقياء ممن مالت بهم الحيل الاجنبية هجموا على زوينكل ليلاً ورشقوا بيتهُ بالحجارة وكسروا الطاقات وصرخوا باصوات عالية يا اولي ذا الشعر الاحمر يا عقاب غلاريس. حتى ان زوينكل انتبه من نومهِ وركض وقبض على سيفهِ

ولكن هذه الهجمات المنفردة لم تستطع ان تسكن الحركة التي حملت زوريخ وابتدات تزعزع سويسرا باسرها بل هي مثل حصى قد القيت في مجرى نهر لكي تمنع جريهُ ومياههُ في كل مكان طامية فائضة تكاد تحمل اقوى الموانع في طريقها

ولما اخبر اهالي برن شعب زوريخ بان بعض المقاطعات قد ابت ان تجلس معهم في المستقبل في المجلس اجاب شعب زوريخ بهدو رافعين ايديهم نحو السماء كابطال روتلي في القديم وقالوا فاذًا لنا وثيقة ثابتة ان الله الآب والابن والروح القدس الذي انتظمت المعاهدة باسمهِ لا يتركنا وانهُ سوف يجعلنا برحمتهِ العظيمة نجلس عن يمين جلالهِ العظيم . فانرجع الى برن وندرس تقدم الاصلاح في اقوى مقاطعات المعاهدة

الفصل السابع

برن ونجاح الاصلاح فيها . اطلاق الراهبات

لم يكن بد من شدة الجهاد في برن لانهُ كان فيها للانجيل اصدقاء اقوياء واعداء اشداء ففي مقدمة الجماعة المصلحة كان الفارس يوحنا وينغرتين وبرثولماوس ماي من اعضاء الديوان الاصغر وابناؤهُ والغنغ وكلوديوس وابناء ابنيهِ يعقوب وبنادكتوس وفوق الجميع عائلة واينثيل فان الرئيس يعقوب وانثيل الذي منذ

سنة ١٥١٢ اشغل المكان الاول في الجمهورية كان قد قرا باكرًا كتب لوثيروس وزوينكل وتكلم مرارًا عن الانجيل مع يوحنا هلّر راعي انسلتنجن وحماهُ من مضطهديهِ

وابنهُ نيقولاوس وهو حينئذٍ ابن احدى وثلاثين سنة كانت لهُ سنتان وهو رئيس كنيسة برن وبحسب هذه الوظيفة بقوة الاوامر الباباوية تمتع بانعامات كثيرة ولذلك كان برثلد هلّر يدعوهُ اسقفنا

والاساقفة والباباوات لم يقصروا في اجتهادهم ان يربطوهُ بمصالح رومية وبان ان كل شيءٍ آل الى منعهِ عن معرفتهِ الانجيل ولكن طرق الله هي اقوى من تملقات الانسان فرجع وانيثيل من الظلمة الى نور الانجيل اللطيف ونظير صديق لبرثلد هلّر قرأ جميع المكاتيب التي قبلها المذكور من زوينكل ولم يقدر ان يجد عبارات يصف بها فرحهُ وعجبهُ

وترايا ان سطوة الواتيڤلين اللذين كان احدهما رئيس السياسة والآخر رئيس في الكنيسة تجلب اليهما كل الجمهورية الآن الحزب الآخر لم يكن اقل قوة. فانهُ بين قوادهِ كان سيدّة ارلاخ وشريف ويلادين وآخرون كثيرون من الاشراف الذين صوالحهم هي صوالح الاديرة التي تحت تدبيرهم وفي ظهر هولاء الناس اكليروس جاهل فاسد يدعو تعليم الانجيل اختراعًا جهنميًا. قال المشير موليتان امام جمعية حافلة في شهر تموز ايها الاصحاب الاعزاء احذروا من ان ياتي هذا الاصلاح الى هنا فانهُ في زوريخ لا امان للانسان في بيتهِ بل يحتاج الى خفير لاجل حمايتهِ. ثم دعوا الى برن قارئ الدومينيكيين اسمهُ يوحنا هين الذي تبوأ المنبر ونادى ضد الاصلاح بفصاحة القديس توما. فهكذا اصطف الحزبان احدهما تجاه الآخر فترايا ان الجهاد لا بد منهُ والنتيجة لم يكن مشكوكًا فيها وفي الواقع ايمان واحد عمومي ربط قسمًا من الشعب باشهر عيال المقاطعة فصرخ برثلد هلّر مملوًا ثقة بالمستقبل قائلاً ما لم يتحول غضب الله ضدنا لا يمكن لكلمة الله ان تنفى من هذه المدينة لان اهالي برن متعطشون اليها

وبعد ذلك بقليل اصدرت الحكومة امر برن رجحا الامور بالظاهر نحو الاصلاح فان اسقف لوسان اعلن قصدهُ بزيارة الابرشية فاوعز اليهِ المجلس بواسطة القاضي واتيفيل ان الاوفق لهُ الامتناع عن هذا العمل . وفي الوقت نفسهِ مجالس برن اصدرت قانونًا اثبت مبادي التعاليم الجديدة مع انهُ في الظاهر سلم ببعض الامور لاعداء الاصلاح فامرت ان الانجيل وتعليم الله كما هو مرسوم في العهد بن القديم والجديد يجب ان يُبشَّر بهِ وحدهُ بحريةٍ جهارًا وان خَدَمَة الدين يجب ان يبتعدوا من كل تعليم وجدال وكتابة صادرة من لوثيروس او من المعلمين الآخرين

فتعجب اعداء الاصلاح عند ما راوا الواعظين الانجيليين يحتمون بجراءة تحت هذا القانون الذي كان ركنًا لجميع القوانين التي اتت بعدهُ وهو ابتداء الاصلاح الشرعي في برن ومن ذلك الوقت تقدمت تلك المقاطعة اكثر وزوينكل الذي كانت عيناهُ الساهرتان تراقب كل شيء جرى في سويسرا كتب الى القاضي واتيفيل قائلاً ان جميع المسيحيين قد امتلأوا فرحًا بسبب الايمان الذي قبلتهُ حديثًا مدينة برن التقية. فصرخ اصدقاء الانجيل ان العمل هو عمل المسيح. وكرسوا انفسهم لهُ بشجاعة متزايدة

فخاف اعداء الاصلاح من هذه الغلبات الاولى فاصطفوا وعزموا على ان يضربوا ضربة يحصلون بها على الغلبة فاخترعوا طريقة للتخلص من هولاء المبشرين الذين كانت مواعظهم تبطل العوائد القديمة العهد المكرمة ولم يمضِ الاَّ قليل حتى صارت فرصة مناسبة لنوال مرغوبهم وذلك انهُ كان في برن على الرقعة التي عليها الآن المستشفى دير راهبات دومينيكيات على اسم مار ميخائيل وفي ٢٩ ايلول كان في الدير المذكور عيد رئيس الملائكة هذا وكثيرون من الاكليروس حضروا تلك السنة ومن جملتهم ويتنباخ من بيان وسباستيان ماير وبرثلد هلر ولما دخلوا في الحديث مع الراهبات اللواتي كانت بينهنَّ كلارا ابنة كلوديوس ماي احد عاضدي الاصلاح قال لها هلر في حضرة جدتها ان استحقاقات

البتولية هي وهمية مع ان الزواج هو حالة مكرمة مرتب من الله نفسهِ والبعض من الراهبات اللواتي اخبرتهنَّ كلارا بكلام برتلد كرهتهُ جدًّا وشاع في المدينة ان هلّر يذهب الى ان جميع الراهبات هنَّ بنات الشيطان والفرصة التي طلبها اعداء الاصلاح قد وجدت فذهبوا الى امام المجلس الاصغر واستنجدوا بشريعة قديمة تامر بان كل من اخرج راهبة من ديرها يقطع راسهُ الآ انهم طلبوا تخفيض القصاص وان الواعظين الثلثة من دون ان يسمع لهم ينفوا مدة الحياة فاجاب المجلس الاصغر الى التماساتهم فرفعت القضية حالاً الى المجلس الكبير

وهكذا كانت برن عتيدة ان تخسر مصلحيها ونجحت حيل الحزب البابوي ولكن رومية التي تعظمت عند ما التجات الى الرؤساء قد قهرها الشعب او وكلاؤهم وحالما سمعوا باسم هلّر ومايرو وتمباخ الذين كانوا جميعًا معتبرين في سويسرا حصلت مضادة قوية من المجلس الكبير ضد المجلس الاصغر والاكليروس فصرخ تلمان اننا لا نقدر ان نحكم على المشكو عليهِ من دون ان نسمع لهُ وبالحقيقة ان شهادتهم هي ليست دون شهادة بعض النساء فاحضر الواعظون امامهم وكان الامر مرتبكًا واخيرًا قال يوحنا ونغرتن فلنرضِ الطرفين ففعلوا كذلك فاطلق الواعظين بعد ان امروا بان يلازموا منابرهم ولا يتعرضوا للاديرة. وكان المنبر كافيًا لهم واجتهادات اخصامهم صارت علة خزي لانفسهم وتحولت الى نصرة عظيمة للاصلاح ومن ثم صرخ واحد من الاكابر قد انتهى الامر. لا بد من تقدم عمل لوثيروس

وهو تقدم في الحقيقة حتى في نفس الاماكن التي قلما كانوا ينتظرون ذلك فيها وفي كونغسفلدت على الآر بقرب قلعة هبسبرج كان دير مزين بكل جلال القرون المتوسطة قد دُفِن فيهِ كثيرون من اعضاء تلك العائلة الشريفة التي خرج منها امبراطورون كثيرون لجرمانيا وفي ذلك الدير كانت تترهب بنات اعظم عيال سويسرا وسوابيا ولم يكن الدير المذكور بعيدًا من المكان الذي فيهِ في ١ ايار سنة ١٢٠٨ سقط الامبراطور البرت بايدي ابن اخيهِ يوحنا دوك

سوابيا والطاقات الجميلة المدهونة التي لكنيسة كونغسفلدت صورت عليها القصاصات الهائلة التي انزلت باقارب القاتل واعوانهِ وكانت الرئيسة كاثرينا من والدبرج تروخسيس وبين راهباتها بياتريشي لندنبرج اخت اسقف قسطنسيا واغنس مولينين وكاثرينا بونستاتن ومرغريتا واتيثيل اخت الوالي والحرية التي كانت الراهبات تتمتع بها في ذلك الدير التي كانت في الازمان السابقة سببًا للشكوك اذنت حينئذٍ للكتب المقدسة مع كتابات زوينكل واوثيروس بالدخول وفي الحال حياة جديدة غيرت منظرهُ تغييرًا تامًّا وبالقرب منهُ المنزل الذي انفردت فيهِ الملكة اغنس ابنة البرت بعد ان استحمت بمجاري الدماء كانهُ بندا ايار وحيث مزجت العبادة والتطربز بافكار الانتقام هناك

وكان لمرغريتا واتيثيل افكار السلامة فقط فقسمت وقتها بين قراءة الكتب المقدسة وتركيب اجزاء العلاجات وهذه الراهبة الفتاة المنفردة في مخدعها تجاسرت على كتابة الى عالم سويسرا ومكتوبها يوضح لنا احسن من جميع التاملات الروح المسيحي الذي كان في تلك النساء الفاضلات اللواتي يُرشقنَ بلسان الهجو المرحتى في ايامنا

فكتبت راهبة كونغسفلدت الى زوينكل تقول النعمة والسلام بالرب يسوع يعطيان ويكثران لك دائمًا بالله ابينا السموي فيا ايها السيد العلامة الموقر العزيز اترجاك ان تصفح بحلم المكتوب الذي اكتبهُ اليك . ان المحبة التي بيسوع تسوقني الى ان افعل هكذا ولا سيما اذ قد بلغني ان تعليم الخلاص يمتد بواسطة تبشيرك بكلمة الله ولاجل هذا السبب اشكر الاله الابدي لاجل انارتهِ ايانا ثانيةً وارسالهِ لنا بواسطة روحهِ القدوس مبشرين كثيرين بهذا المقدار بكلمتهِ المباركة وفي الوقت نفسهِ اقدم صلواتي الحارة اليهِ ان يسر بلك بقوتهِ مع جميع الذين ينادون ببشائرهِ المفرحة وان يصونك من جميع اعداء الحق ويجعل كلمتهُ الالهية تنمو في جميع الناس . فيا ايها السيد الكلي الاحترام اني اتجاسر ان ارسل لك هذه العلامة الزهيدة لمحبتي فلا تزدرِ بها فانها تقدمة محبة مسيحية فاذا كان هذا العلاج

ينفعك فاترجاك ان تخبرني لاني افرح جدًّا بعمل كل ما يوافقك ولست وحدي افتكر هكذا بل ايضًا جميع من يحب الانجيل في دير نا كونغسفلدت فهنَّ يقرينك السلام ونحن جميعًا نستودعك في كل حين لحمايتهِ القادرة على كل شيء

فهكذا كان المكتوب التقوي الذي كتبتهُ راهبة كونغسفلدت الى عالِم سويسرا

ان الدير الذي دخل فيهِ على هذا المنوال نور الانجيل لم يقدر ان يثبت على سُنن عيشة رهبانية ومرغريتا واينفيل واخواتها اذ تحققنَ بانهنَّ يقدرنَ ان يخدمنَ الله في حضن عيالهنَّ احسن مما في الدير طلبنَ اذنًا ان يتركنهُ واذ خاف مجلس برن اجتهد اولًا ان يرجع هولاء الراهبات الى عقلهنَّ والقاضي والرئيسة استعملا التهديدات مرةً والمواعيد اخرى ولكن الاخوات مرغريتا واغنس وكاثرينا وصاحباتهنَّ لم يتزعزعنَ وعند ذلك خففت تقشفات الدير وعفيت الراهبات من الصوم والسحريات وزيدت علوفاتهنَّ فقلنَ للمجلس ليست حرية الجسد ما نطلبهُ ولكن حرية الروح فاننا نحن اسيراتكم المسكينات البريات نترجاكم ان تحننوا علينا فصرخ الشريف كروختالر اسيراتنا اسيراتنا انهنَّ لا يكنَّ اسيراتي بعد وهذه العبارة الخارجية من اثبت عاضدي الاديرة حملت المجلس على الحكم ففتحت ابواب الدير وبعد ذلك بقليل تزوجت كاثرينا بونستاتن بوليم ديسباخ

ومع ذلك اذ كانت برن بعيدة من ان تحزب جهارًا للاصلاح سلكت طريقًا متوسطًا واجتهدت في ان تستعمل طريق المحاولة ثم اتت سريعًا فرصة لاظهار هذا العمل المتعرج فان سباستيان مايرقاري الفرنسيسيين اشهر دحضًا لغلطاتهِ الرومانية فحدث منهُ حركة عظيمة وقال فيهِ يصف العيشة الرهبانية ان الرهبان في الاديرة يعيشون باكثر دنس ويسقطون مرارًا اكثر ويرجعون الى انفسهم باكثر ابطاء ويسلكون باكثر هوس ويرتاحون تحت اشد خطر ويشفق عليهم اقل ويتنقون باكثر مهلة ويموتون باكثر ياس ويقاصون باكثر

صرامة من الجميع وفي الوقت الذي فيهِ طعن مابر هكذا في الاديرة صرخ يوحنا هايم قاري الدومينيكيين عن المنبر يقول كلّا ان المسيح لم يفِ اباهُ مرةً واحدة عن الجميع كما يعلّم الانجيليون بل يلزم ايضًا ان الله يتصالح مع الانسان كل يوم بذبيحة القداس والاعمال الصالحة. فاعترضهُ اثنان من اهل المدينة اتفق حضورهما هناك قائلين ليس ذلك حقًا فحدث للحال اضطراب عظيم في الكنيسة فبقي هايم ساكتًا فطلب كثيرون منهُ ان يداوم خطابهُ الّا انهُ ترك المنبر من دون ان ينهي عظتهُ وفي الغد ضرب المجلس الكبير رومية والاصلاح معًا بطردهِ المتجادلين العظيمين مابر وهايم من المدينة وقيل عن اهل برن بتلاعب بلفظ لوثيروس الذي معناهُ في الجرماني القديم صافٍ انهم ليسوا موحلين ولا صافين

الّا انهم باطلاً طلبوا خنق الاصلاح في برن فانهُ تقدم من كل جانب واخوات الدير لم ينسينَ زيارة هلّر. فكلارا ماي والبعض من صديقاتها اذ كنّ مرتبكات في امرهنّ غير عالمات ماذا يعملنَ كتبنَ الى العلامة هنري بولنجر فاجابهنّ ان القديس بولس يامر النساء الشابات لا بان ينذرنَ بل بان يتزوجنَ ولا ان يعشنَ بالكسل تحت تظاهر كاذب بالتقوى (انظروا ١تي ٥: ١٣ و١٤) فانبعنَ يسوع المسيح بالتواضع والمحبة والصبر والطهارة والمودة فطلبت كلارا المعونة من العلا وعزمت على اتباع هذه النصيحة وترك عيشة مضادة بهذا المقدار لكلمة الله قد اخترعها الناس عيشة مثقلة بالتجارب والخطية وابوها برثولماوس الذي صرف خمسين سنة في ميادين القتال او في مقصورة المجلس انسر عند ما بلغهُ عزم ابنتهِ فتركت كلارا الدير

والوالي نقولا وايتفيل الذي كان كل صالحهِ بربطهُ بالرياسة الرومانية وكان عتيدًا ان يرتقي الى الاسقفية الاولى الفارغة في سويسرا ترك ايضًا القابهُ ومداخيلهُ وانتظاراتهِ لكي يكون لهُ ضمير غير ملوم واذ قطع جميع الرباطات التي اجتهد الباباوات ان يعرقلوهُ بها دخل في الزواج الذي رتبهُ الله منذ خلق العالم فتزوج نقولا وايتفيل بكلارا ماي وبالقرب من ذلك الوقت اختها مرغريتا راهبة

كونغسفلدت تزوجت بلوكيوس تشارنر من كوير

الفصل الثامن

باسل واكولمباذيوس . اولريخ فان هوتن مقاصدهُ وموتهُ

حسبما تقدم كان كل شيء يبشر بالغلبات التي كان الاصلاح عتيدًا ان يحصل عليها عن قليل في برن واما باسل وهي مدينة ليست باقل اعتبارًا من برن فكانت حينئذٍ اثينا سويسرا وهي ايضًا تقلدت السلاح للقتال العظيم الذي امتاز بهِ القرن السادس عشر

كان لكل مدينة من مدن المعاهدة السويسية صفة خاصة بها فان برن كانت مدينة العيال العظيمة وترايا ان القضية تفعل بواسطة عمل اناس من الاكابر وفي زوريخ خدام الكلمة اعني زوينكل وليون يهوذا وميكونيوس وشمدت جذبوا معهم جماعة قوية من الاهالي ولوسرن كانت مدينة السلاح والمعاهدات الحربية وباسل مدينة العلوم والمطابع ففي تلك المدينة سكن ابراسموس رئيس جمهورية العلماء في القرن السادس عشر الذي اذ فضل الحرية التي لهُ في تلك العاصمة على دعوات الباباوات والملوك المعتبرة صار مركز جمهور كبير من ارباب الآداب

الآن رجلًا متواضعًا وديعًا نقيًا كان مزمعًا بعد قليل ان تكون لهُ في تلك المدينة نفسها سطوة اقوى مما كانت لرئيس المدارس هذا مع انهُ كان دونهُ في العقل فان خرستفورس من اوتنهيم اسقف باسل اتفاقًا مع ابراسموس اجتهد ان يجمع حولهُ اناسًا مناسبين لعمل اصلاح متوسط ولاجل هذه الغاية دعا كابيتو واكولمباذيوس الى ديوانهِ. اما اكولمباذيوس فمخالطتهُ طبيعة رهبانية ازعجت مرارًا ذلك الفيلسوف الفاضل الا انهُ بعد قليل تعلق بهِ اكولمباذيوس تعلقًا قويًا وربما

كان خسر كل استقلاليتهِ في تلك المحبة القوية لو لم تنفصلهُ العناية الالهية عن معشوقهِ وفي سنة ١٥١٧ رجع الى ونسبرج مسقط راسهِ حيث نفرت سريعًا نفسهُ من قبائح الخوارنة وملاعبهم النفاقية وخلف لنا تذكارًا شريفًا للروح الهادي الذي لهُ في رسالتهِ المشهورة عن الملاهي الفصيحة التي كُتبت بالقرب من ذلك الوقت

ثم دُعي الى اوجسبرج بالقرب من اواخر سنة ١٥١٨ الكي يكون واعظ كنيسة الكرسي فوجد تلك المدينة لم تزل مضطربة بواسطة المحاورة المشهورة التي حصلت هناك في شهر ايار بين لوثيروس والقاصد الباباوي فالتزم ان يتحزب مع هذا الحزب او ذاك فلم يتردد بل حكم بان الحق مع المصلح وهذه الحرية احدثت سريعًا مقاومة شديدة ضدهُ واذ ايقن اكولمباذيوس بان جبانتهُ وضعف صوتهِ يضران نجاحهُ في العالم نظر الى ما حولهُ واعتمد على دخول دير لرهبان القديسة بردجيتا بالقرب من اوجسبرج كانوا مشهورين بتقواهم ودرسهم العميق الحر واذ شعر باحتياج الى الراحة والفراغ والدرس والصلاة التفت الى هولاء الرهبان وقال هل اقدر ان اعيش بينكم حسب كلمة الله فاجابوهُ بالايجاب فدخل الدير في ٢٣ نيسان سنة ١٥٢٠ بشرط صريح انهُ يكون حرًّا اذا دعتهُ خدمة كلمة الله الى مكان آخر

وكان حسنًا ان مصلح باسل المستقبل يطّلع نظير لوثيروس على العيشة الرهبانية التي هي اسمى عبارة للمذهب الباباوي الروماني الّا انهُ لم يجد هناك راحة فان اصدقاءهُ لاموهُ على هذا الامر وهو نفسهُ قال جهارًا ان لوثيروس هو اقرب الى الحق من اخصامهِ ومن ثم لحقهُ آك وغيرهُ من العلماء الرومانيين بتعييراتهم حتى الى خلوتهِ الهادية

وفي ذلك الوقت لم يكن اكولمباذيوس مصلحًا ولا تابعًا لرومية بل رغب مذهبًا رومانيًا مما لا ذكر ولا مكان لهُ في التاريخ ولكن الفكر بهِ سهل الطريق لعقول كثيرة فابتدا يصلح قوانين رهبانيتهِ حسب كلمة الله فقال لاخوتهِ اترجاكم

ان لا تضعوا قيمة لفرائضكم اسمى من قيمة شريعة الله. فاجاب الاخوة اننا لا نرغب في شريعة اخرى غير شريعة مخلصنا . فخذ كتبنا واعلم كانك في حضرة المسيح نفسهِ كل ما تجدهُ مضادًا لكلمتهِ فانكب اكولباذيوس على هذا العمل الّا انهُ كاد يعيا من المشقة فصرخ يا الله القادر على كل شيءٍ اية كراهات لم تدخلها رومية في هذه الفرائض

وحالما اشار الى البعض منها حمي غضب الرهبان وصرخوا قائلين يا لهُ من اراتيكي معاند . انك تستوجب ان تطرح في سجن باقي حياتك فمنعوهُ عن الصلاة الجمهورية والخطر من الخارج كان اعظم فان آك وحزبهُ لم يكفوا عن غاياتهم فقيل لهُ انهم في ظرف ثلثة ايام يكونون هنا لاجل القاء القبض عليك فذهب الى الاخوة وقال هل تسلموني الى القتلة . فسكت الرهبان وترددوا اذ لم يريدوا ان يخلصوهُ ولا ان يهلكوهُ وفي تلك الدقيقة وصل البعض من اصحاب اكولباذيوس الى قرب الدير بخيل لكي ياخذوهُ الى مكان امان واذ بلغ الرهبان ذلك سلموا بذهاب اخٍ قد جلب اضطرابًا الى ديرهم فقال استودعكم لله . وصار حرًّا . وكان قد بقي نحو سنتين في دير القديسة بردجيتا . وهو مثل كثيرين الذين زعموا انهم يجدون راحة في الاديرة وعند دخولهم اياها وجدوها مغاير فساد

نجا اكولباذيوس واخيرًا ابتدا يتنفس فكتب الى صديق اني قد ضحيت الراهب واسترجعت المسيحي . ولكن هربهُ من الدير وآراؤهُ الاراتيكية كانت معروفة في كل مكان وكان الشعب في كل مكان يرجعون عنهُ ولم يكن يعلم ماذا يصيبهُ وحينئذٍ في ربيع سنة ١٥٢٢ اعرض عليهِ سكنجن ملجأ فقبلهُ . وعقلهُ الذي تضايق بالعبودية الرهبانية طار طيرانًا جديدًا في وسط ابطال ابرنبرج الكرماء فصرخ ان المسيح هو حريتنا والموت الذي يحسبهُ الناس اعظم تعسهم انما هو ربح حقيقي لنا . واخذ للحال يقرا الاناجيل والرسائل بالجرماني للشعب وقال حالما تصرخ هذه الابواق تسقط اسوار اريحا الى الارض

وهكذا في حرش على شطوط الرين وفي وسط محاربين اميين كان الرجل الاكثر تواضعاً في عصرهِ يستعد لذلك التغيير في العبادة الذي كان عتيداً ان يحدث عن قليل في الديانة المسيحية الآن ابرنبرج ضاقت عليهِ فشعر باحتياجهِ الى عشيرة اخرى غير هولاء القوم المتسلحين . ودعاهُ بائع الكتب كراتندر الى باسل فاذن لهُ سكنجن بالانطلاق ووصل الى المدينة المذكورة في ١٦ تشرين الثاني ١٥٢٢ . وبعد ان عاش هناك زماناً نظير رجل عالم فقط من دون مصلحة انتخب خورياً لكنيسة القديس مرتينوس وربما كانت هذه الدعوة الى عمل غير شهير متواضع هي التي ثبتت اصلاح باسل وكلما تبوأ اكولمباذيوس المنبر كان جمهور عظيم يملأ الكنيسة وفي الوقت نفسهِ الخطب الجهارية التي خطبها هو وباليكان نجحت كل النجاح حتى التزم ايراسموس ان يصرخ قائلاً ان اكولمباذيوس قد انتصر

وفي الواقع هذا الرجل الوديع الثابت كما قال زوينكل نشر حولهُ رائحة المسيح الحلوة وجميع الذين ازدحموا حولهُ نموا في الحق وشاع مراراً الخبر بانهُ يلتزم بان يترك باسل ويبتدي ثانيةً بسياحتهِ الخطرة فخاف اصدقاؤُهُ ولا سيما زوينكل ولكن لم يمضِ الاَّ قليل حتى بددت مخاوفهم وانعشت آمالهم بشائر النصرات الجديدة التي فاز بها اكولمباذيوس وبلغ صيت خطبهِ حتى الى وتمبرج وسر لوثيروس الذي كان يتكلم عنهُ مع ملانكثون كل يوم ولكن مع ذلك لم يكن المصلح السكسوني من دون اضطراب لان ايراسموس كان في باسل وهو صديق اكولمباذيوس فافتكر لوثيروس انهُ ضرب من واجباتهِ ان يحذر الرجل الذي احبهُ فكتب يقول اني اخاف كثيراً ان ايراسموس يموت نظير موسى في ارض موآب ولا يقودنا الى ارض الميعاد

وكان ايراسموس قد التجأَ الى باسل لانها مدينة هادية في مركز الحركة العلمية وهناك بواسطة مطبعة فروبانيوس استطاع ان يشتغل في فرانسا وجرمانيا وسويسرا وايطاليا وانكلترا الاَّ انهُ لم يرد ان الناس يلحقونهُ الى هناك وارتاب من

جهة اكولمباذ بوس وخاف من اولريخ ڤان هوتن الذي تبع اكولمباذ بوس الى باسل وكان قد مضى عليهِ مدة مستطيلة وهو يحارب البابا كما يحارب جندي جندياً آخر فقال ان الفاس قد وضعت على اصل الشجرة فيا ايها الجرمانيون لا تضعفوا في حرارة القتال فانهُ قد وقع الواقع والعمل قد ابتدا فالحرّية الحرية الى الابد . فترك اللاتيني واخذ يكتب بالجرماني لانهُ اراد ان يخاطب الشعب

وكانت آراؤهُ شريفة وكريمة ورايهُ انهُ يجب ان يكون اجتماع سنوي من الاساقفة لاجل تدبير مصالح الكنيسة وان ينبت من جرمانيا ترتيب مسيحي او بالحري روحٌ مسيحيٌّ كما من اليهودية في الازمان القديمة وينتشر في العالم قاطبة وزعم ان كرلوس الخامس عتيد ان يكون البطل الفتى الذي عن يدهِ يدخل العصر الذهبي ولكن لما راى ڤان هوتن تقصير امالهِ في هذه الجهة تحول نحو سكنجن وطلب من الفرسان ما انكرتهُ عليهِ المملكة لان سكنجن في مقدمة الاشراف المتعاهدين كان قد عمل اعمالاً شهيرة في جرمانيا الا ان الامراء كانوا قد حاصروهُ في قلعتهِ لندستين والمدافع المخترعة حديثًا سحقت تلك الاسوار القديمة العهد التي تعودت رشقات غير تلك وافتتاح لندستين هي الكسرة الاخيرة للفروسية وغلبة المدافع على الاتراس والرماح اي انتصار الازمان الحديثة على الاجيال المتوسطة وهكذا كان جهاد الفرسان الاخير لخير الاصلاح واجتهاد هذه الاسلحة الجديدة كانت ضدهُ . والاجناد المدرعة الذين سقطوا تحت سيول الكلل غير المنتظرة تركوا الميدان لاجناد آخرين وقد ازمع ان يبتدي جهاد آخر

وسقوط لندستين والفرسان خيب كل امال ڤان هوتن واذ وقف حذاء جثة سكنجن ودع تلك الايام الزاهرة التي صورتها امامهُ مخيلتهُ واذ اضاع كل ثقة بالانسان طلب فقط الخلوة والراحة وفي طلب ذلك زار ابراسموس في سويسرا وهذان الرجلان كانا صديقين منذ زمان مديد ولكن الفارس العديم اللطف الفظ الاخلاق الذي كان يقاتل آراء الاخرين وكان مستعدًا دائمًا ان يلقي يدهُ على السيف بالكد استطاع ان يعيش بالاتفاق مع الرجل الهولاندي الجبان اللطيف

الخصال مع حسن اطوارهِ وعباراتهِ اللطيفة اللينة ومحبتهِ للمديح الذي كان مستعدًّا لان يخسر كل شيءٍ لاجلهِ ولم يكن يخاف شيئًا في العالم مثل خوفهِ من الجدال . ولما وصل ڤان هوتن الى باسل وهو مسكين مريض وتائه فتش حالاً على صديقهِ القديم ولكن ايراسموس ارتعد من الفكر بقبول شخص على مائدتهِ كان تحت غضب البابا والامبراطور ولم يكن يراعي احدًا زعم انهُ لابد ان يستقرض منهُ دراهم ويجرّ لامحالة وراءهُ جماعة من اولئك الانجيليين الذين خافهم ايراسموس اكثر فاكثر فلم يشا ان يراهُ وبعد ذلك بقليل طلب ولاة باسل من ڤان هوتن ان يخلي المدينة فانجرحت حاسيات ڤان هوتن الى العظم واغتاظ من صديقهِ الجبان وانطلق الى ملهوسن واشهر هناك نبذة قوية ضد ايراسموس فاجاب ايراسموس عليها في ورقة موعبة حذاقة فكان الفارس قد قبض على سيفهِ بيديهِ كلتيهما ووجَّه ضربة مهلكة ضد عدوهِ فحاد العلاَّمة بحذاقة من طريق الضربة ونقد الجندي نقدة مؤلمة مجازاة لهُ

فالتزم ڤان هوتن ان يهرب فوصل الى زوريخ فقبلهُ زوينكل الكريم قبولاً حسنًا ولكن الفتن الزمتهُ ان يترك تلك المدينة ايضًا وبعد ان صرف زمانًا في حمامات بفافرس انصرف من هناك بمكتوب من المصلح السويسي الى الراعي يوحنا شنب القاطن في جزيرة اوفنا والصغيرة في بحيرة زوريخ وهذا الخادم المسكين اضاف الفارس المريض الهارب بمحبة عظيمة وفي ذلك المنفى الامين المجهول توفي اولريخ ڤان هوتن احد مشاهير القرن السادس عشر وفاة لم يعلم بها احد بالقرب من آخر آب سنة ١٥٢٣ وذلك بعدان قضى حياة مضطربة جدًّا مطرودًا من جماعة ومضطهدًا من اخرى ومتروكًا من الجميع تقريبًا وكان دائمًا يضاد الخرافات ولكن الظاهر انهُ فعل ذلك من دون ان يملك الحق . والراعي المسكين الذي كانت لهُ معرفة في صناعة الطب بذل كل جهدهِ نحوهُ فانت الفروسية معهُ ولم يخلف دراهم ولا اثاثًا ولا كتبًا ولا شيئًا آخر الاَّ قلمًا وهكذا انكسر ساعد الحديد الذي حاول ان يسند تابوت الرب

الفصل التاسع

ايراسموس ولوثيروس . تقلبات ايراسموس . رسالتهُ ضد رسالة لوثيروس في حرية الارادة

كان في جرمانيا رجل خاف منهُ ايراسموس اكثر مما خاف من ڤان هوتن المنكود الحظ اي لوثيروس وحان الزمان الذي فيهِ يلتقي بطلا ذلك العصر يدًا ليد فان الاصلاحيين اللذين وصلا اليها كانا مختلفين جدًّا . اما لوثيروس فطلب اصلاحًا تامًّا واما ايراسموس فاراد ان لا يموت الذئب ولا يفنى الغنم فاجتهد في نوال مصالحة الرياسة والشعب وتقلبات ايراسموس ومناقضتهُ لنفسهِ اغاظت لوثيروس فقال انك ترغب ان تمشي على البيض من دون ان تكسرهُ وعلى الزجاج من دون ان تسحقهُ

وفي الوقت نفسهِ قابل تقلبات ايراسموس بعزم وطيد فقال اننا نحن المسيحيين يجب ان نكون ثابتين في تعليمنا ونقول نعم او لا من دون تردد واذا حاولت ان تمنعنا عن اثبات اعتقادنا باقناع كامل فانك تعدمنا الايمان نفسهُ فان الروح القدس ليس مترددًا وهو قد كتب في قلوبنا وثيقة قوية ثابتة تجعلنا نتحقق ايماننا كتحققنا الحياة نفسها

وهذه الكلمات وحدها كافية لكي توضح لنا في اي جانب توجد القوة ولا يخفى انهُ لاجل اجراء تغيير ديني يحتاج الى ايمان وطيد حي والحركة الشافية في الكنيسة لا تصدر مطلقًا عن رايات فلسفية ولا افكار بشرية محضة فلاجل اخصاب الارض بعد قحط طويل يجب ان البرق يشق السحاب وان ميازيب السماء تنفتح فان التحقيق والفلسفة والتاريخ ايضًا قد تعد الطريق للايمان الحقيقي ولكنها لا تغني عنهُ فباطلاً تعزل مجاري المياه وتصلح الآبار ما دام المطر لا ينزل من السماء فكل العلم البشري من دون ايمان انما هو كقناة من دون ماء . ولو كان

بين ايراسموس ولوثيروس فرق جوهري ترجى اصدقاء لوثيروس ولوثيروس نفسهُ منذ زمان مديد بان يتحد ايراسموس معهم ضد رومية واقوال كثيرة قالها من حرارة طبيعية التقطها الناس دلالة على مخالفتهِ اعظم المحامين عن المذهب الروماني ومن امثلة ذلك انهُ ذات يوم وهو في انكلترا حدث جدال حاد بينهُ وبين توما مور عن الاستحالة فقال لهُ المذكور اعتقد بان لك جسد المسيح فانهُ يكون لك بالحقيقة فلم يجبهُ ايراسموس بشيء وبعد ذلك بقليل عند ما خرج من انكلترا اعارهُ مور حصانًا لكي يحملهُ الى شط البحر فاخذهُ ايراسموس الى بلادهِ وحالما بلغ مور ذلك كتب لهُ مكتوبًا قاسيًا . فاجابهُ ايراسموس بهذه الابيات

انك قد قلت عن حضور المسيح الجسدي

اعتقد بانهُ لك فيكون لك

وهكذا جوابي عن الحصان الذي اخذتهُ

اعتقد انهُ عندك فيكون عندك

ولم يكن ايراسموس معروفًا من هذه الجهة في انكلترا فقط فانهُ قيل في باريس ان لوثيروس انما فتح الباب فقط بعد ان نزع ايراسموس القفل

والحالة التي كان ايراسموس عليها لم تكن هينة بالتمام وكتب الى زوينكل يقول اني لا اكون غير امين لعمل المسيح اقلما يكون بمقدار ما يرخص لي بهِ هذا الجيل . وهو لما راى رومية تنهض ضد اصدقاء الاصلاح اعتزل عنهم بفطنة فان السؤالات كانت تاتي اليهِ من جميع الجهات فالبابا والامبراطور والملوك والامراء والتلاميذ حتى اعز اصدقائهِ طلبوا منهُ ان يكتب ضد المصلح فكتب اليهِ البابا يقول انهُ لا يوجد عمل اقبل عند الله ولا اكثر استحقاقًا لك ولحذاقتك من هذا العمل

فبقي ايراسموس زمانًا طويلاً يدفع هذه الطلبات فانهُ لم يقدر ان يخفي عن نفسهِ ان دعوى المصلحين هي دعوى الديانة والعلوم ايضًا وعدا ذلك كان لوثيروس خصمًا خاف كل واحد ان يكافحهُ وشعر ايراسموس سلفًا بضربات

جندي وتمبرج القوية النشيطة واجاب لاهوتيًّا رومانيًّا يقول انهُ سهل جدًّا القول اكتب ضد لوثيروس ولكن في ذلك خطرًا باهظًا . فهكذا اراد ان يفعل وما اراد

وعدم ثبات عزم ايراسموس هذا جلب عليهِ وثبات اشد الناس من الحزبين فان لوثيروس نفسهُ لم يعلم كيف يوفق الاعتبار الذي عندهُ نحو علم ايراسموس مع غيظهِ عليهِ بسبب جبانتهِ واذ عزم على التخلص من مشكل مؤلم كهذا كتب اليهِ مكتوبًا في نيسان سنة ١٥٢٤ سلمهُ بيد كاميراريوس فقال لوثيروس انك الى الآن لم تنل من الرب الشجاعة اللازمة للسلوك معنا ضد البابا ويين . ونحن نحتمل ضعفكم . فاذا نما العلم واذا كان بواسطتهِ تنفتح كنوز الكتب المقدسة للجميع فان تلك عطية قد اسبغها الله علينا بواسطتك ويا لها من عطية كريمة يصعد بسببها شكرنا الى السماء ولكن لا نترك العمل الذي وُضع عليك فتجوز الى معسكرنا ولا ريب ان فصاحتك وعقلك تفيدنا جدًّا ولكن بما انك عديم الشجاعة فابقَ حيث انت . ويا ليت قومنا ياذنون لشيخوختك ان تنام بسلام بالرب وعظمة عملنا قد تجاوزت منذ زمان مديد قوتك ولكن من الجهة الاخرى يا عزيزي ايراسموس امتنع من ان تبذر علينا ذلك الملح الذي تعرف جيدًا كيف تخفيهِ تحت ازهار الفصاحة لان الجرح الصغير من قبل ايراسموس اشد خطرًا من ان نطحن طحنًا بليغًا من البابا ويين باسرهم اذا اجتمعوا معًا فاكتفِ بان تنظر الى صراعنا ولا تشهر كتبًا ضدنا واما انا فاني لا اكتب شيئًا ضدك . فهكذا لوثيروس رجل القتال طلب السلامة وايراسموس رجل السلامة هو الذي ابتدا بالخصام

فحسب ايراسموس هذا الخطاب من المصلح امرَّ الاهانات وان كان الى ذلك الوقت ما عزم على الكتابة ضد لوثيروس فمن المحتمل انهُ عزم حينئذٍ على ذلك فاجاب انهُ لمن الممكن ان ايراسموس بكتابتهِ ضدكم يكون انفع للانجيل من بعض السخفاء الذين يكتبون معكم الذين لا يوذنون لهُ ان يكون مجرد ناظر الى هذا الصراع . غير انهُ كانت لهُ اسباب عدا هذه . ومنها ان هنري الثامن ملك

انكلترا واشراف تلك المملكة الحوا عليهِ ان يشهر نفسهُ ضد الاصلاح وابراسموس في ساعة شجاعتهِ وعدهم بذلك ومركزهُ المضطرب صارعة انزعاج دائم لهُ فانهُ كان يحب الراحة وشعورهُ بالاضطراب على الدوام الى ان يبرر نفسهُ اوقعهُ في قلق . واحب المجد والناس قالوا عنهُ انهُ يخاف لوثيروس وانهُ ضعيف عن مجاوبتهِ . وكان معتادًا على اسمى منزلة وراهب وتمبرج الضعيف كان قد انزل فيلسوف روتردام القدير عن عرشهِ فلا بد لهُ اذًا من استرجاع المنزلة التي خسرها بواسطة عمل جسور وجميع المسيحيين الذين تمسكوا بالعبادة القديمة ترجوهُ ان يفعل ذلك فان عقلاً واسعًا والصيت الاعظم في ذلك العصر كانا لازمين لمقاومة الاصلاح . فاجاب ايراسموس الدعوة

فما هي الاسلحة التي يستعملها فهل يهيج صواعق الفاتيكان وهل يحامي عن القبائح التي تشين البابا وية . ان ايراسموس لا يقدر ان يفعل ذلك . فالحركة العظيمة التي اهاجت عقول الناس بعد نوم تلك الاجيال الكثيرة ملأتهُ فرحًا وخشي ان يسكنها واذ لم يقدر ان يحامي عن رومية في ما قد زادتهُ على الديانة المسيحية حاول ان يحامي عنها في ما قد نزعتهُ منها وايراسموس في مناقشتهِ لوثيروس اختار القضية التي يضيع فيها المذهب الروماني في المذهب الفلسفي اعني تعليم حرية الارداة او قوة الانسان الطبيعية وهكذا اذ حامى عن الكنيسة ارضى اهل العالم واذ ناضل لاجل البابا وات قاتل ايضًا عن الفلاسفة وقيل انهُ قد حصر نفسهُ بحماقة في قضية مجهولة غير نافعة واما لوثيروس والمصلحون وعصرهم فحكموا حكمًا خلاف هذا ونحن نتفق معهم . قال لوثيروس ينبغي لي ان اعترف بانهُ في هذه القضية انت هو الرجل الوحيد الذي بلغ الى اصل المادة وانا اشكرك من اجلها من كل قلبي لانهُ احب اليَّ ان اشتغل في هذا الموضوع اكثر من جميع المباحث الاخر الثانوية المتعلقة بالبابا والمطهر والغفرانات التي ازعجني بها الى الآن اعداء الانجيل

ان اختبار لوثيروس في نفسهِ ودرس الكتب المقدسة وكتب القديس

اوغسطينوس باهتمام اقنعتهُ بان قوى الانسان الطبيعية هي مائلة بهذا المقدار الى الشر حتى انهُ لا يقدر من تلقاء نفسهِ ان يصل الى اكثر من استقامة خارجية غير كافية في عيني الله وعرف ايضًا ان الله هو الذي يعطي برًّا حقيقيًّا بواسطة اجرائهِ مجانًا عمل الايمان في الانسان بواسطة روحهِ القدوس فهذا التعليم صار مصدر ديانتهِ والفكر الغالب في الاهياتهِ والنقطة التي دار عليها الاصلاح باسرهِ. وبينما قال لوثيروس ان كل شيء صالح في الانسان انما هو من الله انحاز ايراسموس الى جانب الذين افتكروا بان هذا الاصلاح يصدر من الانسان نفسهِ. فاشهر ايراسموس رسالتهُ المشهورة التي لقبها خطب في حرية الارادة في خريف سنة ١٥٢٤ وحالما ظهرت كان الفيلسوف يكاد لا يصدق جسارتهُ وباعين متفرسة بالمرسح نظر الى القنبلة التي القاها الى خصمهِ فكتب بكآبة الى هنري الثامن ان السهم قد نفد والكتاب في حرية الارادة قد ظهر فصدقني ان تلك جسارة واني اتوقع ان ارجم لاجلها الَّا انني اعزي نفسي بمثال جلالك الذي لم يوفرهُ غضب هولاء الناس. وبلغ خوفهُ الى درجة هذا مقدارها حتى ندم على العمل الذي اخذ فيهِ فقال لماذا لم يُسمَح لي ان اشيخ في جنة الشعراء فها انني اذ قد بلغت الستين طُرِحت في المرسح وقبضت على منطقة وشبكة المصارع عوضًا عن العود والقانون. وكتب الى اسقف روشستر يقول اني عالم اني بكتابتي عن حرية الارادة قد تجاوزت حدي فانك تهنيني بنصرتي. آه لا اعلم اني قد غلبت فان الانشقاق الى الاصلاح يمتد كل يوم

ولا شك انهُ كان امرًا مهمًّا لايراسموس الجبان قيامهُ على لوثيروس الَّا انهُ كان بمعزل عن اظهار جسارة عظيمة. والبائن انهُ في كتابهِ لا ينسب الَّا قليلًا الى ارادة الانسان بل يترك الجزء الاعظم لنعمة الله ولكنهُ في الوقت نفسهِ يسلك على اسلوب يوهم بان الانسان يفعل كل شيء وان الله لا يفعل شيئًا واذ لم يجسر ان يوضح افكارهُ جهارًا تراهُ يقول شيئًا ويبرهن شيئًا آخر ومن ثمَّ يسوغ لنا ان ننسب لهُ الاعتقاد بما برهنهُ لا بما قالهُ. فذكر ثلاثة اراء ممتازة تضاد تعليم

بيلاجيوس في ثلاث درجات مختلفة . قال ان البعض يظنون ان الانسان لا يقدر ان يفتكر ولا ان يشرع في عمل صالح ولا ان يعمل عملاً صالحًا من دون معونة نعمة الله الخصوصية الدائمة وهذا الراي محتمل . واخرون يعلمون ان ارادة الانسان هي عادمة القوة الاَّ لعمل الشر وان النعمة وحدها هي التي تعمل فينا شيئًا من الصلاح واخيرًا قوم يزعمون ان الارادة الحرة المطلقة لم توجد قط لا في الملائكة ولا في آدم ولا فينا لا قبل النعمة ولا بعدها وان الله هو الذي يعمل في الانسان الخير والشر وان كل ما يحدث فحدوثهُ لازم لا بد منهُ . واذ تظاهر ايراسموس بالتمسك بالراي الاول من هذه الاراء قدم بعض البراهين لنقضهِ مما يقدر اعظم البيلاجيين ان يستعين بهِ وعلى هذا المنوال واستشهد الآيات التي فيها يعرض الله على الانسان ان يختار الخير والشر ويقول يجب اذًا ان تكون للانسان قوة الارادة والاختيار لانهُ امر مضحك ان يقال لانسان اختر وهو عديم القوة على ذلك

ان لوثيروس لم يخف ايراسموس وقال ان الحق اقوى من الفصاحة والنصرة للذي يتكلم بالحق لا للذي يعبّر عن الكذب بكلام بليغ . ولكن عند ما وصلت اليهِ رسالة ايراسموس في تشرين الاول سنة ١٥٢٤ وجدها ضعيفة بهذا المقدار حتى تردد في مجاوبتها فقال كيف ينفق كل هذه الفصاحة بدعوى ردية كهذه . فذلك كانَّ الانسان يضع وحلاً وزبلاً على صحون من فضة وذهب . لا يقدر احد ان يقبض عليك فانت كالحنكليس الذي يزلق من بين الاصابيع او نظير بروتيوس المذكور في الخرافات انهُ غيَّر صورتهُ بين ايدي الذين ارادوا ان يمسكوهُ . وبسبب سكوت لوثيروس ابتدا الرهبان ولاهوتيو المدارس يصرخون باصوات الظفر ويقولون ابن لوثيروسكم ابن القائد الكبير فلينزل الى الميدان فليخرج خارجًا نعمًا نعمًا قد لاقى قرينهُ اخيرًا وقد تعلم الآن ان يبقى مختفيًا وتعلم كيف يضبط لسانهُ

فراى لوثيروس انهُ مضطر الى الجواب ولكن لم يتفرغ لهذا العمل الى اواخر

سنة ١٥٢٥ ولما اخبر ملانكثون ابراسموس بان لوثيروس يكون معتدلاً في كتاباتهِ خاف الفيلسوف كثيرًا وقال اذا كتبت انا باعتدال فذلك من طبيعتي واما لوثيروس فلهُ غضب ابن بيليوس (اي اكيليس) وكيف يمكن ان يكون الحال بخلاف ذلك فمتى لطم السفينة نوءٌ كالذي وقع على لوثيروس فاي مرسى واية صبارة واية دفة تحفظها من الابتعاد عن طريقها فاذا جاوبني بطريقة لا توافق طبيعتهُ يقول هولاء الملقون اننا متفقان . وسوف نرى ان ابراسموس استراح سريعًا من هذا الاحتساب

ان نظر لوثيروس الحاد لاحظ المضادات التي وقع فيها خصمهُ ومن ثمَّ اجتهد في جوابهِ بان يربط الفيلسوف بالشبكة التي عرقل نفسهُ بها فقال اذا كانت الآيات التي تستشهد بها تثبت انهُ يسهل علينا ان نعمل الصلاح فلماذا نتجادل واي احتياج لنا الى المسيح والى الروح القدس ويكون المسيح اذًا قد فعل بحماقةٍ عند ما سفك دمهُ لكي يكسب لنا قوة نحن حاصلون عليها بالطبيعة وبالحقيقة الآيات التي اوردها ابراسموس يجب ان تفهم بمعنى خلاف معناهُ وهذه المسئلة التي وقع فيها جدال كثير بهذا المقدار هي اوضح مما تبان عند اول وهلة فعند ما يقول الكتاب المقدس للانسان اختر يفترض اولاً مساعدة نعمة الله التي بها وحدها يقدر ان يعمل ما يامر بهِ فان الله عند اعطائهِ الوصايا يعطي ايضًا قوة لتكميلها فلما قال المسيح للعازر اخرج خارجًا لا يدل ذلك على انهُ كان للعازر قوة لاحياء نفسهِ بل تدل على ان المسيح بامرهِ اياهُ ان يخرج من القبر اعطاهُ ايضًا القوة على ذلك وقرن كلمتهُ بقوتهِ الابداعية . قال فصار . وعدا ذلك ان الانسان الذي يكلمهُ الله لا بد من ان يريد فانهُ هو الذي يريد لا آخر غيرهُ ولا يقدر ان ينال هذه الارادة الا من الله وحدهُ . ولكن هذه الارادة لا بد من وجودها فيهِ نفسهِ ونفس الامر الذي يوجههُ الله اليهِ الذي حسب زعم ابراسموس يثبت قدرة الانسان تطابق عمل الله فيهِ حتى انهُ بهذه الواسطة نفسها بالتدقيق يتم العمل فبقولهِ تعالى للانسان ارجع برجعهُ

وبعد ان دحض لوثيروس احتجاجات ايراسموس من جهة اثبات حرية الارادة حامى عن احتجاجاتهِ من وثبات خصمهِ فقال بتهكم ايها الخطابة العزيزة والبطالة المقتدرة التي تفتخرين بكونكِ قد نقضتِ كلمات ربنا هذه في انجيل يوحنا بغيري لستم تقدرون ان تعملوا شيئًا وتحسبينها مع ذلك كانها سند احتجاجي وتدعينها اكيليس لوثيروس اصغي اليَّ. وما لم تقدري ان تبرهني ان هذه العبارة ‹‹ لا تقدرون ان تعملوا شيئًا ›› معناها انكم تقدرون ان تعملوا قليلًا فجميع عباراتكِ السامية وامثلتكِ الساطعة ليس لها مفعول اكثر من فعل رجل يحاول ان يطفي نارًا عظيمة بقبضة قش. فما هو لنا قولك هذا يحتمل ان يكون معناهُ كذا او ربما يكون كذا وعليك ان تبين لنا انهُ لا بد ان يكون هكذا وما لم تفعل ذلك ناخذ هذا الكلام بمعناهُ الحرفي ونضحك على جميع امثلتك واستعداداتك العظيمة وانتصاراتك الفخيمة

واخيرًا في خاتمة الكلام بيَّن لوثيروس من الاسفار المقدسة ان نعمة الله تفعل كل شيء. قال اخيرًا وبالاختصار بما ان الكتاب المقدس في كل مكان يقابل بين المسيح وما ليس فيهِ روح المسيح وبما انهُ يصرح بان كل ما ليس هو المسيح ولا بالمسيح هو تحت الغلط والظلمة والشيطان والموت والخطية وغضب الله ينتج ان جميع هذه الآيات الموجودة في الكتاب المقدس التي تتكلم عن المسيح هي مضادة لحرية الارادة ولا يخفى ان مثل هذه الآيات لا تحصى عددًا فان الاسفار المقدسة مملوءة منها

ثم ان لوثيروس بعد ان نقض بجدة الغلط مدح ايراسموس مدحًا عظيمًا وربما كان ذلك مقرونًا بشيء من التهكم. فقال اني اقر بانك رجل عظيم فاين وجدنا قط علمًا وفهمًا واقتدارًا في التكلم والكتابة مثل ما فيك. اما انا فاني لست حاصلًا على شيء من هذا القبيل. عندي شيء واحد فقط اقدر ان احصل منهُ شيئًا من الافتخار وهو كوني مسيحيًا فاسال الله ان يرفعك عليَّ بغير قياس في معرفة الانجيل حتى تفوقني في هذا الامر كما قد فقتني في كل شيء آخر

ولما قرأ ايراسموس جواب لوثيروس طار عقلهُ ولم يقدر ان يرى شيئاً في مديحهِ الأعسل كاس مسمومة او اعتناق افعى عند ما تلسع بحماتها السامة فكتب حالاً الى منتخب سكسونيا يطلب الانصاف واذ اراد لوثيروس ان يسكن غضبهُ حمق وابتدا يسكب تقريعات بصوت شيخ عاجز وشعر شائب

فوقعت الغلبة على ايراسموس فان قوتهُ كانت الى ذلك الوقت اعتدالهُ ثم فقد ذلك والغضب كان سلاحهُ الوحيد ضد نشاط لوثيروس والرجل الحكيم كان عديم الحكمة فجاوب جهاراً في رسالتهِ المعنونة هيبراسبستس بها يقرف المصلح بالبربرية والكذب والتجديف حتى ان الفيلسوف تجاسر على ان يتنبا فقال انني اتنبا بانهُ لا يكون اسم تحت الشمس ملعوناً اكثر من اسم لوثيروس. جواب هذه النبوة يوبيل سنة ١٨١٧

وهكذا اذ كان لوثيروس واقفاً والكتاب المقدس بيدهِ في مقدمة جيلهِ قصد ايراسموس ان يقاومهُ ويفعل فعلهُ بالفلسفة فاي هذين القائدين قد تُبع. لكل منهما اتباع الّا ان صولة لوثيروس على عالم المسيحيين كانت اعظم بغير حد من صولة ايراسموس حتى ان اولئك الذين لم يفهموا اساسات الجدال اذ راوا اقتناع الخصم الواحد وشكوك الآخر لم يقدروا الآن يعتقدوا بان الاول مصيب

الفصل العاشر

الثلاثة اخصام . المحاورة في زوريخ

ان جهاد الاصلاح العظيم الذي جرى في القرن السادس عشر تحت لواء كلمة الله لم يكن مفرداً بل متعدداً فكان للاصلاح اعداء كثيرون التزم ان يقاتلهم دفعة واحدة وبعد ان عارض اولاً احكام البابا ورياستهُ ثم آراء العقليين

والفلاسفة واللاهوتيين الباردة التزم ان يقاتل ايضًا احلام التعصب والاضاليل الصوفية وقاوم هذه الثلاث القوات بترس الوحي وسيف كلام الله

ان بين هذه الاعداء القوية مشابهة واتحادًا ظاهرًا والطرق الكاذبة التي هي في كل جيل الاكثر مضادة للديانة المسيحية الانجيلية تتميز بكونها تعلم بصدور المعرفة الدينية من داخل الانسان نفسهِ فان المذهب العقلي يقول انها تصدر من العقل والمذهب الصوفي يقول انها من بعض الانوار الداخلية والمذهب الباباوي يقول انها من استنارة البابا فهذه الضلالات الثلاث تطلب الحق في الانسان واما الديانة المسيحية فانها تطلبهُ بتمامهِ في الله وحدهُ اما العقليون والصوفية والرومانيون فيسلمون بوجود وحي متصل بالبعض من بني البشر وبذلك يفتحون بابًا للافراط والاختلاف . اما الديانة المسيحية الانجيلية فلا تقر بوجود هذا الوحي الاَّ في كتابات الرسل والانبياء وهي وحدها تظهر تلك الوحدة العظيمة الجميلة الحية التي هي هي بعينها في كل الادوار . وعمل الاصلاح هو ان يرجع فيثبت حقوق كلمة الله رغمًا عن المذهب الروماني والصوفي ايضًا والعقلي

ومذهب الموسوسين المضادي معمودية الاطفال الذي لاشاهُ من جرمانيا رجوع لوثيروس الى وتمبرج ظهر بنشاط تام في سويسرا وتهدد البناء الذي بناهُ زوينكل وهلّر واكولمباذيوس على كلمة الله فان توما متزر اذ طُرِد من سكسونيا سنة ١٥٢١ وصل الى تخوم سويسرا وكونرد غرابل الذي تقدم الكلام عن قلقهِ وحميتهِ اتحد معهُ وايضًا فيلكس متزابن احد القانونيين وآخرون من اهالي زوريخ فاجتهد غرابل حالاً في ان يستظهر على زوينكل ومع ان زوينكل سبق لوثيروس قام هذا الحزب الذي رغب ان يسبقهُ هو ايضًا فقال لهُ غرابل لننظم جماعة من المؤمنين الحقيقيين لان الوعد لهم وحدهم ولنبنِ كنيسة لا يكون فيها خطية فاجابهُ زوينكل اننا لا نقدر ان نعمل سماء على الارض والمسيح قد علمنا بانهُ يجب علينا ان ندع الزوان ينبت مع القمح

واذ خاب امل غرابل من المصلح التجا الى الشعب فقال ان كل جمهور

زوريخ يجب ان يكون لهم الحكم الاخير في قضايا الايمان الّا ان زوينكل خشي من التاثير الذي يكون من هولاء الموسوسين على الجمهور فظن انهُ ما عدا بعض الظروف غير المالوفة يطلب فيها من الشعب اشهار قبولهم يكون الاوفق تسليم مصالح الديانة بيد عدة مختارة للكنيسة ومن ثمَّ مجلس المئتين الذي كانت لهُ في زوريخ السلطة السياسية السامية تسلم ايضًا السلطان الكنائسي بشرط صريح انهُ يتفق في جميع الاشياء مع الاسفار المقدسة ولا ريب انهُ كان احسن لو نُظِمت الكنيسة على التمام وطلب منها ان تقيم وكلاءها الذين تسلم لهم مصالح الشعب الدينية فقط لانهُ ربما يكون الانسان ماهرًا في مباشرة المصالح الدينية ولا تكون لهُ خبرة مطلقًا في امور الكنيسة وبالعكس الّا ان عدم اللياقة لم تكن معتبرة حينئذٍ كما هي في هذه الايام . لان اعضاء المجلس الكبير كانوا قد تداخلوا في الحركة الدينية وكيفما كان ذلك فان زوينكل اذ استغاث بالكنيسة احترز من تجاوز الحد في ذلك وفضل طريقة الوكالة على سيادة الشعب المطلقة

واذ رفض زوينكل الاتحاد مع غرابل تحول الى جهة اخرى وقبلهُ بالترحاب روبلي الذي كان سابقًا راعيًا في باسل وبرد وثاين الراعي في زوليكون ولويس هرزر فعزموا على اقامة كنيسة مستقلة في وسط الجماعة العظيمة اي كنيسة في وسط الكنيسة وذلك بتعميد المومنين البالغين فقط فقالوا ان عماد الاطفال هو رذالة فظيعة ونفاق كريه قد اخترع من الروح الخبيث ومن نيقولاوس الثاني بابا رومية فخاف مجلس زوريخ وامر بقيام جدال جهاري واذ لبثوا مصرين على آرائهم طرحوا البعض من الزوريخيون من حزبهم في السجن ونفي جماعة من الغرباء ولكن الاضطهاد انما زاد غيرتهم اضطرامًا فكانوا يصرخون ليس بالكلام فقط بل بدمنا نحن مستعدون للشهادة بحقانية دعوانا والبعض منهم تمنطقوا بحبال وبقضبان الصفصاف وجالوا في اسواق زوريخ يصرخون بعد ايام قليلة تخرب زوريخ فالويل لكِ يا زوريخ الويل الويل فاضطرب البسطاء والاتقياء من ذلك وخافوا فقُبض على اربعة عشر رجلًا من جملتهم فيلكس منتز وسبع نساء رغمًا عن طلب

زوينكل وأُعيلوا بالماء والخبز في برج المراطقة وبعد ان حُبِسوا مدة اسبوعين احتالوا في فتح بعض الاخشاب ليلاً وساعد بعضهم بعضاً في الهرب وقالوا ان ملاكاً قد فتح السجن واطلقهم . واتحد معهم راهب كان قد هرب من ديرهِ اسمهُ جرجس يعقوب من كوير الملقب ببلوروك اي ابي الجبة الزرقاء (ربما من الثوب الازرق الذي لبسهُ) وبسبب فصاحتهِ لقب بولس الثاني فهذا الراهب الجسور سافر من مكان الى مكان واضطر كثيرون بواسطة حرارتهِ القوية الى قبول معمودية وإذ كان هذا الراهب الوقح في زوليكون يوم الاحد عارض الشماس الواعظ ونادى بصوت مرعد بيتي بيت الصلاة وانتم جعلتموهُ مغارة لصوص ثم رفع عصاهُ وضرب اربع ضربات شديدة وصرخ انا هو الباب كل من دخل بي يجد مرعى انا راعٍ صالح وجسدي اعطي للحبس وحياتي اعطيها للسيف او الوتد او الدولاب انا بداءة المعمودية وخبز الرب

وبينما كان زوينكل يقاوم هذا العاصف في زوريخ فاضت سنت غال سريعاً بهِ فوصل غرابل الى هناك وقبلهُ الاخوة باصوات الطرب وفي احد الشعانين تقدم الى شط نهر سيتر محفوفاً بجمهور عظيم من اتباعهِ فعمدهم هناك . فانتشرت الاخبار عاجلاً في الولايات المجاورة وازدحم جمهور غفير من زوريخ وابنزل واماكن اخر عديدة الى اورشليم الصغيرة هذه . فاختلج قلب زوينكل عند ما راى هذا الاضطراب فانهُ راى عاصفاً يهب على المقاطعات التي فيها ابتدا زرع الانجيل ينبت حديثاً واذ عزم على مقاومة هذه الاراء في المعمودية كتب رسالة في هذا الموضوع فامر مجمع سنت غال الذي كتبت اليهِ ان تقرا في الكنيسة امام كل الشعب

فقال زوينكل ايها الاخوة الاعزاء بالرب ان مياه الانهر التي تخرج من صخورنا تحمل معها كل شيء تصادفهُ في طريقها ففي اول الامر تحمل فقط حصى صغيرة الّا ان هذه تلطم بشدة الحجارة الكبيرة حتى يصير التيار قوياً بهذا المقدار حتى يحمل معهُ كل ما يصادفهُ ويترك في مجراهُ عويلاً وتاسفات باطلة ورياضاً

مخصبة تتحول الى سباخ فروح الخصام وتبربر النفس يفعل على هذا المنوال فانهُ يهيج الاختلاف ويهدم المحبة وحيث كانت كنائس زاهرة نامية لا يترك وراءهُ الأَّ قطعانًا مستغرقة في الحزن والخراب

فهكذا تكلم زوينكل ابن جبال التوكنبرج فصرخ واحد من الحاضرين في الكنيسة اعطونا كلمة الله لا كلام زوينكل وللوقت سمعت اصوات مضطربة وصرخ الجميع ارفعوا هذا الكتاب وبعد ذلك قاموا وخرجوا من الكنيسة صارخين اذا شئتم فاحفظوا تعليم زوينكل واما نحن فاننا نحفظ كلمة الله وتقدم هذا التشويش الى اشنع فان هولاء القوم المنكودي الحظ قالوا الرب قد امرنا ان نكون كالاطفال فابتدأوا يصفقون بايديهم ويقفزون في الاسواق ويرقصون في حلقة ويجلسون على الارض ويرغون بعضهم بعضًا في التراب وبعضهم احرقوا العهد الجديد قائلين ان الحرف يقتل والروح يحيي والبعض كانوا يسقطون مصروعين وادَّعوا بانهم قد حصلوا على وحي من الروح القدس

في بيت منفرد على نهر الموليغ بالقرب من سنت غال سكن فلاح شيخ اسمهُ يوحنا شوكر مع بنيهِ الخمسة وكانوا جميعًا مع الخدام قد قبلوا الديانة الجديدة واثنان من الاولاد وهما توما وليونرد اشتهرا بالترفض وفي الثاثا الذي قبل اربعا الرماد الواقع في ٧ شباط سنة ١٥٢٦ دعوا جمهورًا كبيرًا الى بيتهم وابوهما ذبح عجلاً لاجل الوليمة فاكل اللحوم وشرب الخمر وحضور الجمهور الغفير اضرمت تصوراتهما فصرفوا الليل كلهُ بالمفاوضات والاشارات والمصارعات والمناظر والالهامات الموهومة

وفي الغد اذ كان توما لم يزل هائجًا بواسطة اعمال الليل جن تمامًا فاخذ مثانة العجل ووضع فيها شيئًا من المرارة يريد ان يتقلد بذلك كلام الانبياء الرمزي وتقدم الى اخيهِ ليونرد وقال لهُ بصوت كئيب هكذا هي مرارة الموت الذي انت عتيد ان تكابدهُ ثم استتلى قائلاً يا اخي ليونرد اركع فركع ليونرد على ركبتيهِ وبعد ذلك بقليل قال لهُ يا اخي ليونرد قم فقام ليونرد . اما الاب والاخوة وباقي

الحاضرين فنظروا اليهِ بحيرة يسالون انفسهم ماذا يعمل الله ثم قال توما سريعًا يا ليونرد اركع ايضًا ففعل كذلك واذ كان المتفرجون خائفين من منظر الرجل الشقي الكئيب قالوا لهُ افتكر بما انت في شانهِ واحذر من وقوع الاذى فاجاب توما لاتخافوا انهُ لا يحدث شيء الاَّ ارادة الاب . وفي الوقت نفسهِ قبض بسرعة على سيف وضرب اخاهُ ضربة عنيفة وهو راكع امامهُ كمجرم قطع بها راسهُ وصرخ الآن قد كملت ارادة الاب وجميع الواقفين رجعوا الى الوراء بكراهة من هذا العمل وامتلأَت المزرعة تنهدات وحسرات اما توما الذي لم يكن عليهِ سوى القميص والسروال فخرج حافيًا مكشوف الراس من البيت وركض الى سنت غال بحركات مجنون ودخل بيت الوالي بواكيم ثاديان وقال لهُ بهيئة كئيبة واصوات مستوعرة اني اخبرك بيوم الرب فانتشر عاجلاً الخبر المخيف في سنت غال فقال الشعب انهُ قد قتل اخاهُ كما قتل قايين هابيل فقُبض على المجرم فكان يقول دائمًا نعم اني قد فعلت ذلك ولكن الله هو الذي فعلهُ على يدي وفي ١٦ شباط قُطع راس هذا الرجل التعيس بسيف السياف وكان الوسواس قد افرغ كل جهدهِ وانفتحت عيون الناس وحسب قول مورخ قديم ان تلك الضربة نفسها قطعت راس توما شوكر والوسواس معهُ في سنت غال

ولكنهُ ما زال ممتدًّا في زوريخ فانهُ في ٦ تشرين الثاني من السنة السابقة حصل جدال جهاري عن معمودية الاطفال فقدم زوينكل واصحابهُ القضايا الآتية

ان الاولاد المولودين من ابوين مؤْمنين هم اولاد الله نظير الاولاد الذين ولدوا تحت العهد القديم ويجب ان يعتمدوا

ان المعمودية تحت العهد الجديد هي بمثابة الختان تحت العهد القديم ومن ثمَّ يجب ان يعتمد الآن الاولاد كما خُتنوا في القديم

لا يمكننا ان نثبت عادة تكرار العماد لا من الامثلة ولا من الآيات ولا البراهين الماخوذة من الكتب المقدسة والذين يعتمدون ثانيةً فانهم يصلبون يسوع المسيح ثانيةً

الآن الجدال لم يكن محصورًا في القضايا الدينية فانهم طلبوا ابطال العشور بناءً على انها ليست من ترتيب الهي فاجاب زوينكل ان قيام المدارس والكنائس متوقف على العشور. اراد اصلاحًا دينيًّا كاملاً الاَّ انهُ عزم على ان لا يسمح بوقوع ادنى خلل في نظام الترتيبات السياسية. وعلى هذا المعنى فهم تلك الكلمة الالهية المكتوبة بيد الله حتى الى هنا تجري ولا تعدو (اي ٣٨: ١١) وكان لا بد من الوقوف على حدٍّ وهناك وقف زوينكل والمصلحون رغمًا عن اولئك الرجال العتاة الذين اجتهدوا ان يستكدوهم لكي يتعدوا تلك الحدود ايضًا

وقف المصلحون ولكنهم لم يقدروا ان يوقفوا اصحاب الحمية الذين يجبانتهم كانَّهم ضد حذاقتهم وفطنتهم فلم يكن كافيًا لهم انهم نظموا كنيسة فان تلك الكنيسة في اعينهم هي الحكومة وعند ما صرخوا امام الحاكم قالوا انهم لا يقبلون السلطة المدنية وان هذه السلطة انما هي بقية من الطريقة الوثنية وانهم لا يطيعون سلطانًا آخر غير سلطان الله وكانوا يعلمون انهُ لا يجوز للمسيحيين ان يكونوا في وظائف سياسية ولا يتقلدوا السيف واذ كانوا في هذا الامر مثل بعض اصحاب الحمية الدينية الذين في ايامنا حسبوا اشتراك الاموال كمال الانسانية

وهكذا اخذ الخطر يتزايد وخشي من فقد الهيئة الاجتماعية المدنية فقامت لكي تنفي من حضنها هذه العناصر المأوفة وبادرت الحكومة الى استعمال وسائط مستغربة واذ عزمت على اعطاء عبرة حكمت على منتز بان يغرق وفي ٥ كانون الثاني سنة ١٥٢٧ وُضع في قارب وتبعتهُ امهُ (مساكنة القانوني) المسنة واخوهُ الى جانب الماء فصرخا اثبت الى المنتهى واذ كان الشرطي مستعدًّا لان يطرح منتز في البحيرة اخذ اخوهُ يبكي واما امهُ فاذ كانت صاحية وشديدة الباس شاهدت بعينين ناشفتين محترقتين استشهاد ابنها

وفي اليوم نفسهِ جلد بلوروك بالسياط ولما قادوهُ الى خارج المدينة نفض رداءهُ الازرق والغبار عن رجليهِ ضد حكومة زوريخ والظاهر ان هذا الرجل التعيس بعد سنتين أُحرِق حيًّا بيد البابا وبين الرومانيين من اهالي التيرول

الفصل الحادي عشر

زوينكل ولوثيروس

لم يقع الخلاف في امر العشاد وحدهُ بل حدثت اختلافات اقوى من جهة عشية الرب. فالعقل البشري اذ تحرر من النير الذي ضايقهُ مدة قرون كثيرة استعمل حريتهُ. فالمذهب البابوي الروماني عليهِ خطر من التحويل الى الحكم المطلق . اما المذهب البروتستانتي فعليهِ خطر من عدم الحكومة فالتقدم هو من صفات المذهب البروتستانتي كما ان عدم الحركة هو من صفات المذهب الروماني

المذهب الروماني لهُ في البابوية واسطة لادخال تعاليم جديدة على الدوام ودورًا بعد دور نرى رومية تخترع وتثبت تعاليم حديثة اما نظامها فثابت وبذلك تشبه تلك الابنية التي ترتعد لادنى حركة ولا يمكن ان يؤْخذ منها شيءٌ من دون هدمها بالتمام الى الارض فاسمح للخوارنة الرومانيين ان يتزوجوا او وجه ضربة نحو تعليم الاستحالة فترى كل البناء يتزعزع ويخرب

ليس الامر كذلك في الديانة المسيحية الانجيلية فان مبداها لا يقبل تغييرات في التعليم وهو اكثر مناسبة جدًّا للتقدم والحياة . فمن الجهة الواحدة نقرُّ بالكتب المقدسة فقط مصدر الحق الذي هو واحد بعينهِ من ابتداء الكنيسة الى النهاية فكيف تنقلب كما نقلبت البابوية ومن الجهة الاخرى كل مسيحي يلتزم ان يذهب ويستقي لنفسهِ من هذا الينبوع ومن ثمَّ ينتج العمل والحرية ولهذا الديانة المسيحية الانجيلية مع انها هي هي بعينها في القرن التاسع عشر كما في القرن السادس عشر وكما في القرن الاول تراها في كل قرن مملوءة حرية وحركة وهي الآن مالئة العالم من تفتيشاتها واتعابها وكتبها المقدسة ورسلها ونورها وخلاصها وحياتها

ان عدم التمييز بين الديانة الانجيلية والمذهب الصوفي والمذهب العقلي

غلط ولا يجوزان ينسب اليها تشاويش تلك المذاهب فان الحركة هي غريزية في المذهب المسيحي البروتستانتي وهو مضاد على الخط المستقيم لعدم الحركة والسبات ولكن حركتها انما هي حركة الصحة والحياة لا تيهان الانسان الفاقد العقل ولا اضغاث الهذيان

ان زوينكل ولوثيروس اللذين نميا كل واحد على حدةٍ الواحد في سويسرا والآخر في سكسونيا كانا مع ذلك عتيدين ان يلتقيا وجهًا لوجه فان روحًا واحدًا ومن جهات كثيرة طبيعة واحدة حرّكتهما كليهما وامتلأ كل واحد منهما محبة للحق وبغضة لعدم الاستقامة وكانا كلاهما شرسَي الاخلاق وتلك الشراسة تلطفت في كلٍّ منهما بتقوى خالصة الَّا انهُ كان في طبيعة زوينكل شيءٌ جعلهُ يتقدم الى درجة ابعد مما وصل اليهِ لوثيروس . وهو لم يحب الحرية نظير انسان فقط بل ايضًا نظير جمهوري ونظير واحد من اهالي وطن وليم تل واذ كان متعودًا على حكم مقاطعة حرة لم يدع نفسهُ بوقف بواسطة الملاحظات التي وقف لوثيروس امامها مترددًا وكان ايضًا قد درس اللاهوت المدرسي اقل من لوثيروس ولذلك كان احرمنهُ وتمسَّك كلاهما بعقائدهِ وعزم على المحاماة عنها وكانا غير متعودين على الانقياد الى عقائد الآخرين

في طبيعة زوينكل وفي الاصلاح الذي باشرهُ ميل الى ما يتعلق بالعمل وهذا الميل اتجه الى امرين عظيمين وهما بساطة العبادة وقداسة الحياة واول امر قصدهُ زوينكل هو ان يجعل اتفاقًا بين العبادة وضروريات العقل الذي لا يطلب المجد الخارجي بل الامور غير المنظورة واذ ذاك فالراي بحضور المسيح في عشية الرب حضورًا جسديًا الذي هو اصل هذا المقدار من الطقوس والخرافات في الكنيسة كان لابد من رفضهِ . وساقهُ الى ذلك امر آخر وهو ان التعليم الروماني عن الافخارستيا وتعليم لوثيروس ايضًا يفترض وجود قوة سحرية مؤدية للقداسة وخشي من ان المسيحيين يتوهمون بانهم قد قبلوا يسوع المسيح في الخبز المقدس فلا يعودون فيما بعد يطلبون برغبة ان يتحدوا معهُ بالايمان في القلب فقال ان

الايمان ليس هو المعرفة ولا الراي ولا التصور بل هو حقيقة وهو يقود الى اتحاد حقيقي بالاشياء الالهية. فمها زعم اضداد زوينكل لم يقدهُ الى تعاليمهِ الخصوصية الميل الى المذهب العقلي بل النظر الديني العميق

وفعل في زوينكل تاريخ الكنيسة ايضًا وزعم البعض انهُ اطَّلع على آراء راترام وويكلف وبطرس والدو ولكن الدليل على مصدر آخر لحاسياتهِ وهوان روذبوس وساغاروس من هولاندا كما راينا سابقًا وصلا الى وتمبرج وسببا هناك الاختلاف الاول بين لوثيروس وكرلستادت ثم تحولا الى سويسرا حاملين معهما كتابات ويسل ووصلا الى باسل حيث ارسلها لوثيروس الى اكولمباديوس وهو رجل جبان طبعًا فلما وجدا ان لوثيروس لم يقبل التعاليم التي نشرها الاخوان الهولنديان لم يجسر على اشهار رايهِ بل ارسلها الى زوينكل فوصلا الى زوريخ سنة ١٥٢١ واذ مثلا امام المصلح حوَّلا حالًا الحديث الى تعليم عشية الرب وفي اول الامر لم يشهر روذبوس وصديقهُ آراءهما ولكن بعدما سمعا زوينكل شكرا الله لاجل انقاذهِ اياهما من مثل هذا الغلط العظيم . ثم قدما المكتوب من كرنيليوس هوبن فقراهُ زوينكل واشهرهُ بعد ذلك بقليل

وهذا المكتوب كان لهُ تاثير لا يُقدَّر في امر الاصلاح واذ سند هوبن احتجاجاتهِ على كلام المسيح الموجود في الاصحاح السادس من انجيل يوحنا قال ان المسيح يعطينا نفسهُ بواسطة الخبز ولكن يجب ان نميز بين الخبز الذي نتناولهُ بافواهنا والمسيح الذي نقبلهُ بالايمان وكل من ظن انهُ انما يقبل فقط ما يتناولهُ بفمهِ فانهُ لا يميز جسد الرب وياكل ويشرب دينونة لنفسهِ لانهُ بواسطة الاكل والشرب يشهد بحضور المسيح مع انهُ بعدم ايمانهِ يبقى بعيدًا عنهُ . وفي الوقت نفسهِ بسطا قضايا ويسل امام زوينكل وتلك الكتابات احدثت تاثيرًا عميقًا في عقل المصلح

ونتيجة ابحاث زوينكل وافقت رغبتهُ وهو بواسطة درسهِ الكتب المقدسة درسًا مجملًا كما كانت عادتهُ لا آيات منفردة منها وبالتجائهِ الى تصانيف العلماء

القديمة لاجل حل صعوبات اللغة تحقق عندهُ ان لفظة هو الواردة في قضية ترتيب عشية الرب يجب ان تؤْخذ كما قال هوين بمعنى يعني وسنة ١٥٢٢ اكتب الى صديقهِ وتمباخ ان الخبز والخمر هما في الافخارستيا كما هو الماءُ في المعمودية وقال هو عبث ان نغطس الانسان مئة مرة في الماءِ اذا كان لا يومن فان الايمان هو الشيءُ الواحد المحتاج اليهِ

وعدا ذلك بانَ ان زوينكل كان قد استعد اقلما يكون عرضًا لقبول هذه الافكار بواسطة ايراسموس . قال ملانكثون ان زوينكل اقرَّ لي في مزبرج بانهُ قد اخذ آراءهُ عن عشية الرب من كتابات ايراسموس وفي الواقع كتب ايراسموس سنة ١٥٢٦ يقول . ان آراءَ اكولمباذيوس لا تغيظني لو لم تكن شهادة الكنيسة ضدها فاني لا اقدر ان ارى ماذا يقدر ان يعملهُ جسد عادم الحاسية ولا ما هي الفائدة التي يمكن تحصيلها منهُ حتى لو قدرنا ان نمسهُ . بل يكفي وجود النعمة الروحية في الرموز

اما لوثيروس ففي اول الامر ابتدا بالظاهر بمبادي تشبه مبادي العالِم الزوريخي فقال ليس السر هو الذي يقدّس ولكن الايمان بالسر ولكن افراط اضداد معمودية الاطفال ومذهبهم الصوفي احدث تغيرًا عظيمًا في افكارهِ وعندما راى اصحاب الغيرة الوقّادة الذين كانوا يدّعون بنوع من الوحي يكسرون الايقونات ويرفضون المعمودية وينكرون وجود المسيح في عشية الرب خاف فكان لهُ ضرب من النبوة عن المخاطر التي تقع على الكنيسة اذا غلبت تلك المذاهب ومن ثمَّ القى نفسهُ في الطريق لمقاومتها وذلك نظير النوتي الذي يرى سفينتهُ تميل ميلاً مفرطًا نحو جانب واحد يطرح نفسهُ الى الجانب الآخر لاجل الموازنة

ومن ذلك الوقت علَّق لوثيروس اعتبارًا اسمى على الاسرار فذهب الى انها ليست علامات محضة بها يتميز المسيحيون في الخارج كما قال زوينكل بل شهادات للارادة الالهية من شانها ان تقوّي ايماننا وزاد على ذلك ان المسيح عزم ان يعطي المومنين وثيقة كاملة لخلاصهم ولكي يختم هذا الوعد على اقوى اسلوب اضاف

جسده الحقيقي الى الخبز والخمر واستثلى قائلاً كما ان الحديد والنار مع انهما جوهران ممتازان يختلطان معًا في قطعة حديد حامية حتى انهُ في كل قسم من اقسامها يوجد حديد ونار معًا كذلك وبالاولى جسد المسيح المجيد موجود في كل اجزاء الخبز

وهكذا في ذلك العصر يبين ان لوثيروس رجع نوعًا نحو لاهوت المدرسيين ففي تعليمهِ عن التبرير بالايمان رفض ذلك رفضًا تامًا واما في تعليمهِ عن عشية الرب ترك قضية واحدة فقط وهي الاستحالة وحفظ الاخرى وهي الوجود الجسدي فتورط في ذلك الى ان قال انهُ احب اليهِ ان يتناول الدم فقط مع البابا من ان يتناول الخمر فقط مع زوينكل

كان مبدا لوثيروس العظيم ان لا يترك تعاليم وعوائد الكنيسة الّا متى جعلت عبارات الكتب المقدسة ذلك ضروريًا ولما سأل كرلستادت اين امرنا المسيح ان نرفع القربان ونعلنهُ للشعب اجاب لوثيروس واين نهى المسيح عن ذلك وفي هذا الجواب مبدا الاصلاحين . وكانت التقليدات الكنائسية عزيزة عند المصلح السكسوني واذ ابتعد عنها في بعض القضايا لم يكن ذلك الّا بعد جهاد هائل ولضرورية الخضوع للكتب المقدسة ولكن كلما ظهر حرف كلام الله موافقًا لتقليد وعوائد الكنيسة تمسَّك بها بثبات لا يتزعزع وهذا هو ما حدث في قضية الافخارستيا وهو لم ينكر ان لفظة هو يمكن ان توخذ بالمعنى الذي اوضحهُ زوينكل فانهُ اقر بانها في قولهِ ان تلك الصخرة هي المسيح (١ كو ١٠ : ٤) يجب ان تُفهَم على ذلك المعنى الّا انهُ انكر هذا المعنى لهذه اللفظة في ترتيب عشية الرب

كان تركيب عقل زوينكل على خلاف تركيب عقل لوثيروس ومال اقلّ ميلاً الى حفظ الاتحاد مع الكنيسة العامة والى حفظ اتحادهِ مع تقليدات القرون الماضية وهو نظير لاهوتي نظر الى الكتب المقدسة وحدها ومن هناك فقط قبل ايمانهُ مجانًا وبدون واسطة من دون ان يزعج نفسهُ بما عملهُ الآخرون قبلهُ ونظير جمهوري نظم جمهورية زوريخ وملأ افكارهُ امر الكنيسة الحاضرة لا كنيسة القرون السالفة وتمسك بنوعٍ خصوصي بكلمات بولس هذه لاننا نحن الكثيرين خبز

واحد جسد واحد . ورأى في عشية الرب علامة شركة روحية بين المسيح وجميع المسيحيين فقال كل من فعل بغير استحقاق فانهُ مذنب لجسد المسيح الذي هو عضو لهُ وهذا الفكر كان لهُ تأثير عظيم عملي في عقول الناس والمفاعيل التي احدثها في سلوك كثيرين ثبت زوينكل عليهِ . وهكذا انفصل لوثيروس وزوينكل انفصالاً بعيدًا احدهما عن الآخر ومع هذا ربما بقيت المسالمة بينهما لولا كرلستادت القلوق الذي كان لا يزال يجول من مكان الى مكان بين سويسرا وجرمانيا يضرم هذه الآراء المضادة

ثم شُرع في امر لاجل حفظ السلامة فصار سبب الانشقاق وذلك ان مجلس زوريخ اذ اراد ان يمنع كل جدال نهى عن بيع كتب كرلستادت فاخذ زوينكل يحامي عن تعليمهِ من المنبر وقدام المجلس وبعد ذلك بقليل كتب مكتوبًا الى البرت راعي ريوتلنجن قال فيهِ سواءٌ تكلم المسيح او لم يتكلم عن عشية الرب في الاصحاح السادس من انجيل يوحنا فالامر واضح انهُ هناك يحث على طريقة لاكل جسدهِ وشرب دمهِ لا يوجد فيها شيءٌ جسدي . ثم اخذ يبرهن ان عشية الرب بواسطة تذكيرها المومنين حسب قصد المسيح بجسدهِ الذي كُسِر لاجلهم تكتسب لهم ذلك الاكل الروحي الذي هو وحدهُ نافع

اما زوينكل فكره الانفصال عن لوثيروس وارتعد من الفكر بان هذه الجدالات التعيسة ربما تمزّق اربًا تلك الجماعة الجديدة التي كانت حينئذٍ آخذة في الانتظام في وسط عالم مسيحي ساقط . اما لوثيروس فبخلاف ذلك لم يتاخر عن احصاء زوينكل بين اصحاب الغيرة الوقّادة الذين كان قد قاتلهم مرارًا كثيرة فانهُ لم يكن يحسب بانهُ اذا كانت الايقونات قد أُنزِلت في زوريخ وجرى ذلك شرعيًا وبامر السلطة المدنية واذ كان متعودًا على السلطات المدنية لم يكن يعرف الاَّ قليلاً عن اعمال الجمهوريات السياسية ففرّع اصحاب الهيبة من لاهوتيي هلفيتيا كما كان قد فعل باتباع منتزر وكرلستادت

ولما اشهر لوثيروس رسالتهُ ضد الانبياء السمويين لم يعُد زوينكل يتردد

بل انما في الوقت نفسهِ تقريبًا اشهر مكتوبهُ الى البرت ورسالتهُ في الديانة الصادقة والكاذبة الذي كرسهُ لفرنسيس الاول وقال فيها بما ان المسيح في الاصحاح السادس من انجيل يوحنا ينسب الى الايمان قوة اعطاء الحياة الابدية وقرن المومن بهِ على اقوى منوال فما هو احتياجنا الى اكثر من ذلك ولماذا قيل انهُ نسب فيما بعد هذه القوة لجسدهِ مع انهُ هو نفسهُ يقول ان جسدهُ لا يغني شيئًا فجسد المسيح نظرًا الى كونهِ قد احتمل الموت عنا هو ذو فائدة لا تُجحَد لانهُ خلّصنا من الهلاك واما نظرًا الى كونهِ يُوكَل منا فليس لهُ نفع البتة

وعند ذلك ابتدا النضال و بوميرانوس صديق لوثيروس ثار الى الطعان وطعن انجيلي زوريخ مستخفًّا بهِ استخفافًا مفرطًا على نوع ما واكولمباذيوس ابتدا يخجل من كونهِ قد حارب شكوكهُ مدة مستطيلة بهذا المقدار ولاجل انهُ بشَّر بتعاليم كانت قد ابتدات ترتجُّ في ضميرهِ فتشجع وكتب من باسل الى زوينكل يقول ان تعليم الوجود الحقيقي هو الحصن والحارس لنفاقهم وما داموا حافظين هذا الصنم لا يقدر احد ان يغلبهم. فنزل حينئذٍ الى الميدان باذاعتهِ كتابًا في معنى قول ربنا هذا هو جسدي

ومجرد اتحاد اكولمباذيوس مع مصلح زوريخ هيج هياجًا عظيمًا ليس في باسل فقط بل في جرمانيا باسرها فتاثر لوثيروس تأَثُّرًا عميقًا من ذلك وبرنز وشنفت واثنا عشر راعيًا من سوابيا الذين وجَّه اكولمباذيوس كتابهُ اليهم واكثرهم تلاميذهُ حصل عندهم اشد الحزن فقال برنز اذ اخذ القلم لمجاوبتهِ اني في هذه الدقيقة نفسها التي فيها انفصل عنهُ في قضية عادلة اكرمهُ واعتبرهُ بقدر ما يقدر الانسان ان يعمل ورباطات المحبة ليست مقطوعة بيننا لاجل اننا لسنا براي واحد ثم اشهر حينئذٍ بالاتفاق مع اصدقائهِ السنغراما السوابيَّة المشهورة التي بها ردوا على اكولمباذيوس بثبات ولكن بمحبة واعتبار فقال المؤلفون اذا وهب امبراطور قضيبًا لقاضٍ قائلاً خذ. هذه هي قوة القضاء فان القضيب هو لا محالة علامة محضة ولكن بما ان الكلمات قد قرنت بهِ فيكون للقاضي الرمز والقوة جميعًا.

فقُبلت السنغراما باصوات الطرب وحُسِب الذين الّفوها من انصار الحق وكثيرون من اللاهوتيين والعوام ايضًا اذ رغبوا في ان يشاركوهم في مجدهم ابتداوا يحامون عن التعليم الذي حصلت عليهِ المقاومة وسقطوا على اكولمباذيوس.

ثم تقدمت ستراسبرج لاجل التوسط بين سويسرا وجرمانيا فكابيتو وبوسر احبا السلامة والامر الواقع عليهِ البحث كان في اعتبارهما من الامور الثانوية ومن ثمَّ وضعا انفسهما بين الحزبين وبعثوا واحدًا من اقرانهما وهو جرجس كاسل الى لوثيروس وناشداهُ ان يحترز من ان يقطع رباطات الاخوة التي تقرنهُ بلاهوتيي سويسرا

واخلاق لوثيروس لم تشرق في امرٍ باكثر سطوع مما اشرقت في الجدال عن عشية الرب. فيهِ ظهر ثبات تمسكهِ بما ظنهُ الحق وعنادهُ واستبدادهُ

الفصل الثاني عشر

مجمع الشعب. اصلاح في زوريخ

كان للاصلاح مجاهدات اتت عليهِ من كل جهة وبعد ان قاتل فلسفة ايراسموس العقلية وجنون قوم من اصحاب المعمودية التزم ايضًا ان يكابد حربًا داخلية ولكن جهادهُ العظيم كان دائمًا مع البابوية والقتال الذي ابتدا في مدن السهل انتهى الى ابعد الجبال

ان جبال التوكنبرج كانت قد سمعت صوت الانجيل ووقع هناك الاضطهاد على ثلثة من الاكليروس بامر الاسقف لاجل ميلهم الى الارتقة حسب زعمهِ فقال ميليتوس ودورين وفاربر اقنعونا بكلام الله فنخضع لا للمجمع فقط بل ايضًا لاصغر اخوتنا بالمسيح والاَّ فلا نطيع احدًا حتى ولا الاقوى بين الناس . وهذا في الحقيقة روح زوينكل والاصلاح

حدث امرٌ بعد ذلك بقليل اضرم عقول سكان تلك الجبال الشامخة وهو ان الشعب اجتمع في عيد القديسة كاثرينا وعند اجتماع الاهالي اتى رجلان من شويتز الى توكنبرج لاجل قضاء مصلحة وجلسا على احدى الموائد وخاضا في الحديث وقال احدهما ان اولريخ زوينكل اراتيكي ولص . فاخذ ستيجر كاتب الولاية في المحاماة عن زوينكل وضجتهم نبهت جميع الحاضرين نحوهم وجرجس بروغمان عم زوينكل الذي كان جالساً عند مائدة مجاورة لها وثب بغضب من مكانهِ وصرخ قائلاً حقًّا انهم يتكلمون عن المعلم اولريخ فنهض جميع الضيوف وتبعوهُ خائفين من المقاتلة واذ كان الشعب لا يزال يتزايد جمع الشريف المجلس في الزقاق وطلب من برغمان لاجل حب السلامة ان يكتفي بالقول لهولاء القوم اذا كنتما لا ترجعان عن كلامكما فانتما المجرمان بالكذب والسرقة فاجاب رجلا شويتز اذكروا ماذا قلتم الآن فليكن محققًا عندكم اننا نتذكر ذلك وحينئذٍ ركبا حصانيهما واسرعا في طريقهما الى شويتز

وحينئذٍ كتبت حكومة شويتز مكتوب تهديد الى سكان توكنبرج اوقعهم في الكآبة فكتب زوينكل الى مجلس وطنهِ تشجعوا ولا تخافوا ولا تبالوا بالاكاذيب التي ينطقون بها ضدي فان كل هاذر يقدر ان يدعوني اراتيكيًا ولكن احذروا من الافتراء والاضطرابات والشراهة والحروب لاجل الدراهم . وفرجوا عن المساكين وحاموا عن المظلومين ومهما وقع عليَّ من الاهانة فكونوا على ثقة ثابتة بالله القدير . ونصائح زوينكل هذه احدثت التاثير المطلوب اما المجلس فلم يزل مترددًا واما الشعب فعندما اجتمعوا في ضياعهم الخصوصية حكموا بصوت واحد بان القداس يجب ابطالهُ وبانهم يكونون امناء لكلمة الله

والغلبات لم تكن اقل اعتبارًا في ريتيا التي التزم سلندرونيوس ان يتركها قهرًا ولكن كومندير نادى هناك بالانجيل بجسارة وفي الحقيقة ان مضادي المعمودية بواسطة مناداتهم بالتعاليم الموسوسة في الغريسون كانوا قد اوقعوا في اول الامر ضررًا باهظًا بالاصلاح وانقسم الشعب الى ثلاثة احزاب فمنهم من

تمسكوا بآراء هولاء الانبياء الجدد ومنهم من وقع في الحيرة والارتباك ونظروا الى هذا الانشقاق بعين الاضطراب واخيرًا احزاب رومية كانوا يتباهون باصوات عالية

فحصل اجتماع في ايلنتز لاجل الجدال جهارًا ونائب الاسقف اجتهد في اول الامر في طلب طريقة للتخلص من النضال فقال ان هذه المحاكمات تستلزم مصاريف باهظة فانا مستعد لان اضع عشرة آلاف فلوريني لكي اقيم بها الآ اني اطلب من الحزب المضاد ان يفعل كذلك. واذا بصوت فلاح خشن في الجمهور صرخ قائلاً اذا كان للاسقف عشرة آلاف فلوريني تحت تصرفهِ فانهُ قد اختلسها منا وان نعطي مثل ذلك لهولاء الخوارنة المساكين هو امر ردي في الغاية. وقال كومندر راعي كوبري اننا اناس فقراء باكياس فارغة وبالكد لنا وسائط لشراء الطعام فاين نقدران نجد عشرة آلاف فلوريني . فكان الجميع يضحكون من هذه الحيلة واخذ الشغل في التقدم

ومن جملة الناظرين سباستيان هوفمستر ويعقوب امان من زوريخ ماسكين بايديهما الكتاب المقدس باليوناني والعبراني فطلب نائب الاسقف ان جميع الغرباء يمنعون من الدخول ففهم هوفمستران ذلك متجه ضده فقال اننا قد اتينا مجهزين بالكتاب المقدس باللغة اليونانية واللغة العبرانية لكيلا يحصل اذى بنوع من الانواع على الكتب المقدسة ولكن لكي لا نمنع المحاورة ننصرف . فصرخ خوري دنزتن ناظرًا الى كتابي الزوريخيين وقال آه لو لم يدخل بلادنا قط اليوناني ولا العبراني لقلّت بيننا الارتقات . وقال آخر ان القديس ايرونيموس قد ترجم الكتاب المقدس لنا فلا نحتاج الى كتب اليهود فقال فارس ايلنتز اذا أُخرج الزوريخيان يتعرض لذلك الجمهور فقال اخرون دعهم اذًا يسمعون ولكن لا يتكلمون فبقي الزوريخيان والكتاب المقدس معهما

وبعد ذلك وقف كومندر وقرا القضية الاولى من القضايا التي اذاعها وهي هذه ان الكنيسة المسيحية هي مولودة من كلام الله فيجب عليها ان نتمسك بهذا

الكلام ولا تسمع لصوت آخر. ثم برهن ما قالهُ بآيات كثيرة من الكتب المقدسة. قال واحد من الشهود العيانيين انهُ تمكن من مقامهِ وثبت كل الثبات فقال النائب قد طال بنا الامر فوق الحد فقال هوفمستر عند ما يكون على المائدة مع اصدقائهِ يصغي الى آلات الطرب لا يمل من طول المدة

وحينئذٍ قام رجل من وسط الجمهور يرفرف بيديهِ ويفتل حاجبيهِ ويغمز بعينيهِ وبان كانهُ مجنون وتقدم نحو المصلح وظن كثيرون انهُ قصد ان يضربهُ وهو معلم مدرسة في كوبري وقال لكومندر اني قد كتبت عدة مسائل فجاوب عنها في الحال فقال مصلح الغريسون اني هنا لاجل المحاماة عن تعليمي فقاومهُ وانا احامي عنهُ او ارجع الى مكانك فاجاوبك متى انتهيت من كلامي. فبقي معلم المدرسة لحظةً مترددًا ثم قال حسنًا ورجع الى مكانهِ فاشار البعض ان يتقدموا الى الكلام عن الاسرار فقال رئيس دير مار لوقا انهُ لا يتجاسر على الدنو من هذا الموضوع من دون رعبة ولاجل خوفهِ رسم اشارة الصليب

ومعلم مدرسة كوبري الذي كان قد حاول ان يقاتل كومندر ابتدا يحامي عن تعليم الاسرار حسب هذه الآية هذا هو جسدي وذلك بكلام كثير بلا معني فقال كومندر يا عزيزي كيف تفهم هذه الكلمات يوحنا هو ايليا. فشعر بالمعني وقال اني افهم انهُ كان حقًّا وجوهريًّا ايليا فقال كومندر فلماذا اذًا قال يوحنا للفريسيين انا لست ايليا فسكت معلم المدرسة واخيرًا اجاب ان ذلك صحيح فابتدا الجميع يضحكون حتى الذين الحوا عليهِ بان يتكلم

ثم خطب رئيس دير مار لوقا خطابًا طويلاً في الافخارستيا وهو ختام المحاورة فاعتنق سبعة خوارنة التعليم الانجيلي ونودي بالحرية التامة في الديانة والعبادة الرومانية أُبطلت من كنائس عديدة. قال سلندرونيوس ان المسيح كان ينمو في كل مكان من تلك الجبال نظير نبات الربيع الطري والرعاة نظير ينابيع حية يسقون تلك الوديان الشامخة

وتقدم الاصلاح بسرعة في زوريخ حتى ان الدومينيكيين والاوغسطينيين

والكبوشيين الذين كانوا مدة طويلة بهذا المقدار في حالة العداوة الجاهم الحال الى العيشة معًا وعوضًا عن تلك الاماكن الفاسدة أُنشي مستشفى ومدرسة اللاهوت والعلم والمحبة استئصالا من كل مكان الكسل ومحبة الذات

الفصل الثالث عشر

اوامر برن الصادرة سنة ١٥٢٦ محاماة عن البابا وية . الجدال في برن

ان غلبات الاصلاح لم يكن ممكنًا ان تبقى غير ملحوظة فان الرهبان والخوارنة والاساقفة مرتبكين شعروا بان الارض تزحل في كل مكان من تحت اقدامهم وبان كنيسة رومية صارت على حافة الغرق تحت مخاطر لم يكن لها نظير وحكام المقاطعات الذين حاموا عن الاجور والخدمة الاجنبية راوا انهم لا يقدرون ان يتاخروا ايضًا اذا ارادوا ان يحفظوا انعاماتهم وفي نفس الدقيقة التي فيها ارتعدت الكنيسة واخذت في الغرق مدّ هولاء ايديهم المدرعة لكي ينقذوها فان رجلاً اسمهُ ستيّن مع رجل اسمهُ يوحنا هوغ من لوسرن اتحدا مع يوحنا فابر وثارت السلطة المدنية لاجل سند تلك السلطة الرياسية التي تفتح فاها لكي تجدف وتقيم حربًا على القديسين (رؤ ١٣: ٥ الى ٧) ثم تبلع الحكومة المدنية ايضًا

فاجتهاداتهم الاولى توجهت ضد برن. والسبع المقاطعات البابا وية الرومانية بالاتفاق مع حكام برن ارسلوا معتمدين الى المدينة المذكورة فبسطوا تشكياتهم قدام المجلس في سنة ١٥٢٦ فقال والي لوسرن انهُ قد هدم كل ترتيب الكنيسة ويجدف على الله والاسرار والقديسين وبلايا عظيمة فظيعة تتهدد كل معاهداتها الممدوحة . وفي الوقت نفسهِ اصحاب رومية البرنيون بالاتفاق مع مقاطعات الفرست كانوا قد احضروا الى برن وكلاء المقاطعة المختارين من اولئك الذين تعصبوا للبابا وية فالبعض منهم تشجعوا وتحزبوا على جانب الانجيل

فكانت الجلسة هائجة فقالت مقاطعات الفرست يجب على برن ان ترفض الايمان الانجيلي وتمشي معنا وحكمت مجالس برن انهم يتمسكون بالايمان المسيحي القديم والاسرار المقدسة وام الله والقديسين وزينة الكنائس وهكذا ظفرت رومية واوامر سنة ١٥٢٦ كانت عتيدة ان تبطل اوامر سنة ١٥٢٣ وجميع الخوارنة المتزوجين الذين لم يولدوا في تلك المقاطعة الزموا بالخروج منها وطردوا من تخومهم كل الذين كانت عليهم شبهة في المذهب اللوثراني واوقعوا رسمًا صارمًا على كل كتاب يُباع عند بياعي الكتب وبعض الكتب أُحرقت جهارًا حتى ان يوحنا فابر قال علانيةً بكذب وقح ان هلّر قد عاهد امام المجلس ان يقدس ايضًا وان يعلم تعليم رومية فعزموا على استغنام فرصة مناسبة كهذه لاجل سحق الايمان الجديد

وكان الجمهور منذ زمان طويل يطلب الجدال الجهاري ولم تبقَ غير هذه الواسطة لتسكين الشعب فقال مجلس زوريخ للمجمع اقنعونا بواسطة الكتب المقدسة فنجيبكم الى مرغوبكم. فقيل في كل مكان ان الزوريخيين قد وعدوكم فاذا كنتم قادرين على اقناعهم من الكتاب المقدس فلماذا لا تفعلون ذلك واذا كنتم غير قادرين فلماذا لا تقفون عند حكم الكتاب المقدس . والمحاورات التي جرت في زوريخ احدثت تاثيرًا عظيمًا وشعروا بلزوم مقاومتها بواسطة مفاوضة في مدينة باباوية مع كل ما يلزم من الاحتياطات لاجل حصول الغلبة للحزب الروماني

نعم ان هذه الجدالات قد حكم بعدم جوازها الّا انهُ وُجدت وسائط لاجل التخلص من هذه الصعوبة فقالوا ان المقصود بها انما هو دفع تعاليم زوينكل السامة واذ قر الراي على ذلك طلبوا محاميًا نشيطًا فاعرض المعلم آك نفسهُ فانهُ لم يكن يخاف شيئًا فقال كما يخبرنا هوفمستر ان عدد البقرات التي قد حلبها زوينكل اكثر من عدد الكتب التي قراها

فارسل مجلس زوريخ ورقة امان الى آك لكي يذهب راسًا الى زوريخ فاجاب آك انهُ ينتظر جواب المعاهدة فطلب زوينكل ان يجادل في سنت غال او

شافهوسن ولكن المجلس بناءً على القانون المتفق عليهِ بين المعاهدات الذي يامر بان كل مشكوّ عليهِ يجب ان تقام دعواهُ في مكان سكناهُ امر زوينكل ان يرجع عن ذلك . واخيرًا قر راي المجلس ان المحاورة تكون في بادن في ١٦ ايار سنة ١٥٢٦ وظهر ان هذا الاجتماع يكون مهمًّا لانهُ كان نتيجة وختم الاتحاد الذي انعقد قبل ذلك بقليل بين الاكليروس وحكام المعاهدة فقال زوينكل لقاديان انظر ما تجاسر فابر والولاة على عملهِ

ان حكم المجلس احدث تاثيرًا عظيمًا في سويسرا ولم يشك احدٌ بان محاورة تحت هذه الظروف لا تكون لصالح الاصلاح فقال اهالي زوريخ اليست الخمس المقاطعات هي متعبّدة جدًّا للبابا الذي هو معتبر جدًّا في بادن . ألم يحكموا بان تعليم زوينكل اراتيكي فتتبعوهُ بالنار والسيف الم يُحرَق تمثال زوينكل في لوسرن بكل نوع من الازدراء . وفي فريبرج ألم تُسلَّم كتبهُ الى اللهيب . اما يطلبون في كل مكان قتلهُ . الم تحكم المقاطعات التي تمارس سلطة مطلقة في بادن بانهُ حيثما يظهر زوينكل في ولاياتها يقبض عليهِ . ألم يقل اوبرلنجر احد رؤَسائها ان الشيء الوحيد الذي يشتهيهِ في العالم هو ان يشنق زوينكل ولو دُعي شناقًا باقي حياتهِ كلها ألم يكن المعلم آك نفسهُ يصرخ منذ سنين كثيرة ان الاراتقة يجب ان يقاتلوا بالنار والسيف فماذا تكون اذًا نهاية هذه المحاورة واية نتيجة تكون منها الَّا موت المصلح

فهكذا كانت المخاوف التي هيجت الوكلاء المعيَّنين في زوريخ لاجل فحص الامور . اما زوينكل الذي شاهد بعينيهِ هياجهم فقام وقال انتم تعلمون ماذا حدث في بادن لابطال ستامهيم وكيف صبغ دم الورثيين المصاطب وهم الآن يطلبوننا لكي نقاتلهم في نفس المكان الذي قُتِل هولاء فيهِ فلتنتخب زوريخ او برن او سنت غال او باسل نفسها او قسطنسيا او شافهوسن لاجل المحاورة وليصِر الاتفاق على البحث في القضايا الجوهرية فقط من دون استعمال شيء غير كلمة الله ولا يوضعنَّ قاضٍ فوقها وحينئذٍ انا اكون مستعدًّا للظهور

وفي تلك الفترة هاج الترفض وصرع بعض ضحاياهُ الى الارض وذلك ان

مجمعًا كان المقدم فيهِ فابر نفسهُ الذي طلب زوينكل للجدال في ١٠ ايار سنة ١٥٢٦ وذلك قبل محاورة بادن بنحو اسبوع حكم بان يحرق كاراتيكي قسيس انجيلي اسمهُ يوحنا هوجيل راعي لنداو فذهب الى مكان الحريق يرتل هلمّ فلنسبح الله وفي الوقت نفسهِ قسيس آخر اسمهُ بطرس سبانغلار أُغرق في فريبرج بامر اسقف قسطنسيا. فبلغت زوينكل اخبار ردية من كل جهة وصهرهُ ليونرد ترمب كتب اليهِ من برن يقول اني انضرع اليك بما انك تعتبر حياتك ان لا تتوجه الى بادن فاني اعلم انهم لا يلتفتون الى ورقة الامان التي بيدك

وتحقق انهُ قد تدبَّر تدبير ان يقبضوا عليهِ ويسدوا فاهُ ويضعوهُ في قارب ويذهبوا بهِ الى مكان سرّي. وبناء على هذه النهد بدات امر مجلس زوريخ زوينكل بان لا يتوجه الى بادن

واذ عُيّن اليوم التاسع عشر من ايار للجدال اخذ المجادلون ووكلاء المقاطعات والاساقفة يتقاطرون شيئًا فشيئًا الى بادن فالى جانب البابا وبين الرومانيين كان المتقدم المعلم آك الذي كان يحب الجدال والجد الفارغ والى جانب البروتستانت اكولمباذيوس المحب الانفراد الرقيق الطبع . قال مورخ قديم انهُ بقي في حيرة مدة طويلة وذلك نظير ايل جبان قد انعبتهُ الكلاب الشرسة واخيرًا اعتمد على الذهاب الى بادن بعد ان اقر هذا الاقرار السامي اني لا اقر بقانون آخر غير كلمة الله. فاولًا طلب بلجاجة ان يشاركهُ زوينكل في خطرهِ الَّا انهُ اقتنع سريعًا بانهُ اذا ذهب العالِم البطل الى تلك المدينة المترفضة فان غضب الرومانيين يضطرم عند نظرهِ فيسبب ذلك قتلهما كليهما

فابتدا بترتيب قوانين الجدال فطالب المعلم آك ان وكلاء مقاطعات الفرست يكون لهم السلطان بان يحكموا الحكم الاخير. وكان ذلك في الحقيقة شجب التعاليم المصلحة سلفًا وتوما بلاتر الذي جاء من زوريخ لكي يكون في المحاورة أُرسل من قِبَل اكولمباذيوس لكي يطلب راي زوينكل واذ وصل ليلًا دخل بصعوبة الى بيت المصلح فقال زوينكل لهُ وهو يفرك عينيهِ يا لهُ من مشوّش تعيس اني منذ

ستة اسابيع لم اذهب الى سريري بسبب هذا الجدال فما هي بشارتك فاخبرهُ بلاتر بطلب آك فاجاب زوينكل ومن يقدر ان يفهم هولاء الفلاحين مثل هذه الامور فالاجدر بهم ان يبقوا في بيوتهم ويحلبوا بقراتهم

وفي ٢١ ايار انفتح الجدال فان آك وفابر ومعهم الاساقفة والولاة والعلماء متسربلين بحلل الحرير ومزينين بالخواتم والسلاسل والصلبان توجهوا الى الكنيسة فتبوا آك بكبرياء منبرًا مزينًا بزينة فاخرة واما اكولمباذيوس المسكين الذي كان لابسًا ثيابًا دنية ألزم ان يجلس مقابل خصمهِ على كرسي خشنة. قال المؤرخ بولنجر انهُ في كل مدة البحث كان آك واصحابهُ نازلين في بيت الخوري يعيشون بالبذخ والزهو والشكوك ويشربون كثيرًا من الخمر الذي قدَّمهُ لهُ رئيس ويتنجين. قيل ان آك استحمَّ في بادن مرارًا ولكن في الخمر واما الانجيليون فبالعكس كان لهم منظر محزن وضحك الشعب عليهم كما يضحك على زمرة من المستعطين وطريقة معيشتهم هي عكس عيشة الانصار البابا وبين وصاحب الخان الذي نزل فيهِ اكولمباذيوس اراد ان يعرف ماذا يعمل اكولمباذيوس في غرفتهِ اخبر بانهُ كل مرة كان ينظر اليهِ من خصاص الباب وجدهُ يقرأُ او يصلي فقال يجب ان نقرَّ بانهُ اراتيكي تقي جدًا

فدام الجدال ثمانية عشر يومًا وفي كل المدة تمشَّى الاكليروس كل يوم في موكب زاهر يرتلون طلبات لاجل نوال الغلبة . وآك وحدهُ حامى عن التعاليم الرومانية وحسب عادتهِ جادل بفظاظة عظيمة وطلب ان يوقع اخصامهُ في الارتباك بواسطة الهجو وكان حينًا بعد حين يحلف الآن الرئيس لم يزجرهُ اصلاً واما اكولمباذيوس فبالعكس فانهُ بهيئتهِ الهادئة ونغمتهِ الشريفة وهيبتهِ تكلَّم برقَّة وشجاعة وقدرة هذا مقدارها حتى ان اعداءهُ انفسهم اذ تاثروا وانفعلوا من كلامهِ قالوا بعضهم لبعض آه يا ليت الرجل الطويل الاصفر اللون كان من حزبنا . الَّا انهُ احيانًا احتدَّ عندما راى شراسة سامعيهِ وبغضتهُ فقال ما اقلَّ صبرهم في استماعهم لي. ولكن الله لا يترك مجدهُ وهذا هو كل ما نطلبهُ

وبعد ان نقض اكولمباذ يوس قضية آك الاولى في الوجود الحقيقي قام هلّر الذي جاء الى بادن بعد فتح البحث فدخل في الجدال عن القضية الثانية الاّ انهُ اذ كان غير معتاد الاّ قليلاً على مثل هذه المحاورة وكان جباناً طبعاً ومرتبطاً باوامر الحكومة ومرتبكاً بسبب حضور جسبرد موليبنين عدو شديد للاصلاح لم تكن لهُ جراءة على خصمهِ الوقح ولما فرغ هلّر رجع اكولمباذ يوس الى الميدان وضايق آك جدًّا حتى التزم آك ان يلتجئ الى عوائد الكنيسة فاجابهُ اكولمباذ يوس ان العادة ليس لها قوة في سويسرا ما لم تكن حسب الدستور والآن في قضايا الايمان الكتاب المقدس هو دستورنا . والقضية الثالثة في شفاعة القديسين والرابعة في الصور والخامسة في المطهر حصل فيها البحث على التوالي فلم يقم احد لاجل المحاماة عن الاخيرتين

ان زوينكل اشترك في كل هذه المحاورة والحزب الروماني الذي اقام اربعة كتبة كان قد نهى جميع الاشخاص الآخرين عن تدوين شيء مما قيل وذلك تحت عقاب الموت الاّ ان ابرونيموس والسخ احد تلاميذ فالمس الذي كانت لهُ ذاكرة جيدة طبع على عقلهِ كل ما سمعهُ وعند ما رجع الى بيتهِ كتبهُ كل يوم بيومهِ وتوما بلاتر وزمرمان من ونترنور اخذا هذه الكتابات الى زوينكل كل يوم مع مكاتيب من اكولمباذ يوس ورجعا بجواب من المصلح واقيم جنود حاملين بلطات عند جميع ابواب بادن ولم يكن هذان الرسولان يقدران ان ينجوَا من تفتيش الخفرة الذين لم يقدروا ان يفهموا لماذا كانا يذهبان ويرجعان الى هنا وهناك مرارًا كثيرة بهذا المقدار الاّ بواسطة اختراعهما حججًا مختلفة وهكذا زوينكل مع انهُ كان بعيدًا بالجسد من بادن كان حاضرًا بالروح

فكان ينصح ويقوّي اصدقاءهُ ويفحم اخصامهُ . قال اوسوالد ميكونيوس ان زوينكل قد عمل بواسطة تاملاتهِ وسهرهِ ونصائحهِ التي ارسلها الى بادن اكثر مما كان عملهُ لو جادل بنفسهِ في وسط اعدائهِ

وفي مدة الجدال كان البابا ويون في هياج عظيم يرسلون المكاتيب الى جميع

الجهات ويفتخرون باصوات عالية بغلبتهم فقالوا ان اكولمباذيوس قد افحمهُ المعلم آك فنكس راسهُ في الصراع واشهر رجوعهُ فملك البابا يرجع في كل مكان . فأُذيعت هذه الاقوال في الولايات والشعب المائل الى تصديق كل ما يسمعونهُ صدق قول تمويهات الاحزاب الرومانيين . وعندما انتهى الجدال تقدَّم الراهب مورتر من لوسرن الملقب القط وقرا اربعين شكاية ضد زوينكل فقال اني كنت افتكر ان الجبان ياتي ويجيب عنها الَّا انهُ لم يظهر فاذًا حسب كل شريعة بشرية والهية انا اكرّر اربعين مرة ان ظالم زوريخ وجميع اتباعهِ هم خائنون كذابون حانثون فسقة كفَّار لصوص منافقون طيور نجسة حتى ان كل رجل كريم يخجل من معاشرتهم على اي وجهٍ كان . وهذه الاهانات تشرفت في ذلك الوقت باسم محاورة مسيحية عن يد علماء يجب ان الكنيسة الرومانية نفسها تتبرأ منهم

فحصل هياج عظيم في بادن وشاع ان الانصار الرومانيين قد تكلموا بالصوت الاعلى وبالبراهين الاضعف ولم يعطِ الصوت ضد قضايا آك الَّا اكولمباذيوس وعشرة من اصحابهِ وغانون شخصًا من جملتهم روّساء الجدال وكل رهبان ويتنجين تمسكوا بها واما هلّر فخرج من بادن قبل نهاية الجدال . وحينئذٍ حكم الجانب الاعظم من المجمع انهُ بما ان زوينكل رئيس هذا التعليم السامّ قد ابى الحضور وبما ان الذين جاءُوا الى بادن من حزبهِ قد اصرُّوا على عنادهم فقد طرح الجميع اجمالاً من حضن الكنيسة الكاثوليكية اي البابوية حسب زعمهم

الفصل الرابع عشر

نتائج الجدال في باسل وبرن وسنت غال . المجمع في زوريخ . تهديدات على برن . معارضة اجنبية

ان هذه المحاورة المذكورة بسبب غيرة الوكلاء والاكليروس كانت عتيدة ان تكون موّذية للفريقين فالذين ناضلوا عن الانجيل عند رجوعهم الى اوطانهم

ملأوا اهالي بلادهم بالغيرة الوقادة نحو العمل الذي حاموا عنهُ حتى ان اثنتين من اعظم المقاطعات في معاهدة هاڤيثيا اعني بهما برن وباسل من ذلك الوقت فصاعدًا انفصلا من البابا وية

فالضربات الاولى وقعت على اكولمباذيوس الذي كان غريبًا في سويسرا وهو لم يرجع الى باسل من دون احتساب الآن هذا الاحتساب زال سريعًا فان لطافة كلامهِ كانت قد اعجبت جميع الشهود الخالين الغرض اكثر جدًّا من صراخ المعلم آك حتى ان جميع الانقياء قبلوهُ بكل ترحُّب. نعم ان الاخصّام بذلوا كل جهدهم في طردهِ من المنبر ولكن كل ذلك ذهب عبثًا فكان يعلّم ويبشر باكثر نشاط من السابق ولم يظهر الشعب قط مثل ذلك التعطش الى الكلمة

وحدث مثل هذه النتائج في برن ومعاهدة بادن التي قُصِد بها سحق الاصلاح اكسبتهُ حرية جديدة في تلك المقاطعة التي هي اقوى المعاهدة السويسية وهلّر حالما وصل الى العاصمة استحضرهُ المجلس الصغير امامهُ وامرهُ بعمل القداس فطلب هلّر اذنًا بان يجاوب امام المجلس الكبير والشعب الذي حسبوا المحاماة عن راعيهم ضربًا من واجباتهم اسرعوا الى هناك واذ خاف هلّر قال انهُ احب اليهِ ان يترك المدينة من ان يكون علة لادنى شغب وعند ذلك اذ هدا القوم قال المصلح اذا أُلزِمتُ بان اكمّل هذا الاحتفال فاني استعفي من وظيفتي . لان كرامة الله وصدق كلمتهِ المقدسة هما اعزُّ اليَّ من الاهتمام بما آكل وبما البس ونطق بهذه الكلمات بانزعاج داخلي فتاثر اعضاء المجلس بذلك حتى ان البعض من اخصامهِ اخذوا يذرفون الدموع . ووجد هذه المرة ايضًا ان اللطافة هي اقوى من الشدة ولاجل ارضاء رومية بنوع ما نُزِعت وظيفة هلّر عنهُ الّا انهُ اقيم واعظًا واشد اعدائهِ لويس وانطونيوس ديسباخ وانطونيوس دي ارلاخ حنقوا من هذا القرار وخرجوا حالًا من المجلس ومن المدينة ورفضوا رعويتهم فقال هلّر ان برن قد عثرت الّا انها نهضت ايضًا بقوة اعظم من كل ما سلف. وثبات اهالي برن هذا احدث تاثيرًا عظيمًا في سويسرا

ولكن نتائج المحاورة التي حصلت في بادن لم تكن محصورة في باسل وبرن وبينما جرت هذه الامور في هاتين المدينتين القويتين كانت حركة اكثر او اقلّ مشابهة لها آخذة في التقدم في اقاليم اخر كثيرة من المعاهدة والواعظون من سنت غال عند رجوعهم من بادن نادوا بالانجيل فرُفِعت الايقونات من كنيسة القديس لورنس التي هي كنيسة الابرشية وذلك بعد المحاورة والاهالي باعوا ثيابهم الثمينة وجواهرهم وخواتمهم وسلاسلهم الذهبية لاجل بناء بيوت للفقراء فالاصلاح نهب ولكن كان ذلك لكي يكسو الفقراء والنهب كان من المصلحين انفسهم

وفي مولهوسن نُودي بالانجيل بشجاعة جديدة وثورغوفيا ورانيثال تشبها كل يوم اكثر فاكثر بزوريخ وحالاً بعد المحاورة عزلت زورزاخ الايقونات من كنائسهم وجميع بلاد بادن تقريبًا قبلت الانجيل

ولم يكن دليل اوضح من ذلك لاظهار الحزب الغالب ومن ثمَّ عند ما نظر زوينكل الى ما حولهُ اعطى المجد لله وقال اننا قد قُوتلنا بانحاءٍ شتى ولكن الرب ليس هو فقط اعلى من تهديداتهم بل ايضًا اعلى من الحروب نفسها فانهُ في مدينة زوريخ والمقاطعة اتفاق عجيب في حق الانجيل ونحن نغلب كل الاشياء بواسطة الصلوات المقدَّمة بايمان وبعد ذلك بقليل قال زوينكل مخاطبًا هلّر ان لكل شيءٍ على الارض مجراهُ الخصوصي وريح الشمال الكثيفة يتبعها نسيم لطيف وبعد حرارة الصيف المحرقة يفيض الخريف بكنوزهِ والآن بعد محاورات شديدة خالق جميع الاشياء الذي اياهُ نعبد قد فتح طريقًا لنا الى حقل اخصامنا واخيرًا نقبل بترحب بيننا التعليم المسيحي تلك الحمامة التي طُرِدت كل هذه المدة الطويلة والتي لم تكفَّ عن ان تتوقع ساعة رجوعها فكن انت نوحًا لقبولها ونجاتها

وفي تلك السنة بعينها اكتسب زوينكل امرًا مهمًّا فان كونرد بليكان رئيس رهبان مار فرنسيس في باسل وعلّامة اللاهوت في سن اربع وعشرين قد دُعي بواسطة مساعي زوينكل لكي يكون معلمًا للعبراني في زوريخ فقال عند وصولهِ اني قد رفضت منذ زمان طويل البابا واحببت ان اعيش ليسوع المسيح. وبليكان

هذا بواسطة علومهِ المدققة صار من انفع العاملين في امر الاصلاح

ان زوريخ اذ كانت لم تزل ممنوعة من المداخلة في مجلس المعاهدة بواسطة المقاطعات الرومانية ارادت ان تستفيد من انعطاف بعض المقاطعات اليها فطلبت في اوائل سنة ١٥٢٣ انعقاد مجلس في زوريخ عاصمتها وحضر فيهِ وكلاء برن وباسل وشافهوسن وابنزل وسنت غال فقال وكلاء زوريخ اننا نرغب في ان كلمة الله التي انما تقودنا الى المسيح مصلوبًا ينادى بها ويُعلَّم بها وحدها ويكون لها السلطان الاسمى فاننا نترك جميع التعاليم البشرية مهما كانت عوائد سلفائنا اذ نعلم يقينًا انهُ لو كان لهم نور الكلمة الالهية الذي نحن نتمتع بهِ لكانوا اعتنقوهُ باكثر اعتبار منا نحن ذريتهم الضعيفة. والوكلاء الحاضرون وعدوا بانهم يتبصرون بما طلبتهُ زوريخ. وهكذا اتسعت ثغور اسوار رومية كل يوم وكان المقصود من محاورة بادن ترميمها ومن ذلك الوقت كنت ترى المقاطعات المترددة بعكس ذلك يرغبون في ان يمشوا مع زوريخ واهالي السهل مالوا نحو الاصلاح فاخذ يتسوَّر الجبال ويمتدُّ فيها

والمقاطعات الاصلية التي كانت نظير سرير سويسرا ولم تزل حصنها المحصورة في معاقل جبالها الالبية كانت تتراءى انها وحدها تتمسك بثبات بتعاليم آبائها وهولاء الجبليون الذين هم دائمًا عرضةً لانواء شديدة وهجمات الثلوج وللطوفان والانهر الفائضة يلتزمون كل حياتهم ان يقاتلوا هولاء الاعداء الاشداء وان يخسروا كل شيء لاجل حفظ الرياض التي ترتعي بها قطعانهم والاكواخ التي يستظلون تحتها من الانواء ويحملها اول طوفان ومن ثمَّ ترى مبدا المحافظة ظاهرًا بقوة فيهم ويتناولونهُ خلفًا عن سلف وحكمة تلك الجبال بجملتها تقوم بحفظ ما قد ورثوهُ من آبائهم فهولاء الهلفيتيون الخشنون كانوا حينئذٍ يقاتلون الاصلاح الذي حاول تغيير ايمانهم وعباداتهم كما يقاتلون الى يومنا هذا السيول التي تسقط مثل صواعق من قمم جبالهم المثلجة او كما يقاتلون الافكار السياسية الجديدة التي تثبتت عند ابوابها في المقاطعات المحدقة بهم فيكونون آخر من يلقي سلاحهُ امام تلك القوة

المضاعفة التي رفعت الويتها على جميع الجبال حولهم وتتقدم يومًا فيومًا الى تلك الاقاليم الراسخة على العوائد القديمة

ومن ثمَّ تلك الاقاليم اذ كانت في الوقت الذي نحن في صددهِ لم تزل مغتاظة من برن اكثر من زوينكل ومرتعدة خوفًا من ان تلك المقاطعة القوية تتركها جمعت وكلاءها في برن نفسها بعد اجتماع زوريخ باسبوع وطلبت من المجلس ان يعزل المعلمين المستجدين وان ينفي تعليمهم وان يحفظ الايمان المسيحي القديم الحقيقي كما كان في القرون السالفة وتثبت بدم الشهداء وقالوا اجمعوا اشراف المقاطعة واذا لم تشاءوا فاننا نحن نتكفل بذلك . فاجاب اهالي برن بغيظ ان لنا قوة كافية لان نتكلم مع الذين هم تحت حكمنا

وهذا الجواب زاد غضب مقاطعات الفرست وتلك المقاطعات التي كانت سرير الحرية السياسية لسويسرا اذ خافت من تقدم الحرية الدينية ابتدات تطلب حتى من الاجانب من يتحد معها لاجل هلاكها . فلاجل مقاومة اعداء الخدمة الاجنبية لاق ان يستنجد بالخدمة الاجنبية واذ عجز وكلاء سويسرا عن ذلك ألم يكن امرًا موافقًا الالتجاء الى الامراء المتحدين معها . وفي الواقع اوستريا التي وجدت حفظ سلطانها في المعاهدة امرًا مستحيلاً كانت مستعدة للمساعدة في تقوية سلطان رومية وبلغ برن خبر احزنها وهو ان فرديننند اخا كرلوس الخامس كان آخذًا في التجهز ضد زوريخ وجميع الذين تمسكوا بالاصلاح

فكانت الاحوال تزداد خطرًا والظاهر ان توالي حوادث اكثر او اقل تعاسة وافراطات الموسوسين والجدالات مع لوثيروس عن الافخارستيا وامورًا اخرى غير هذه قد اوقعت الاصلاح السويسري في ارتباك والجدال في بادن كان قد خيب آمال اشياخ رومية والسيف الذي لعبوا بهِ ضد اعدائهم انكسر في ايديهم الَّا ان ذلك انما زادهم غضبًا وحنقًا فاستعدوا لنضال جديد والقوة الامبراطورية نفسها ابتدات تتحرك وعساكر اوستريا التي انكسرت في بواغيز مرغرتن وعلى رؤوس سمباخ كانت مستعدة لان تدخل سويسرا بالويتها المنشورة

لكي يرجعوا سلطان رومية المتمايل فكان الوقت خطرًا فلم يكن بعد التردد بين رابين وان يكون الواحد لا كدرًا ولا صافيًا وبرن والمقاطعات الاخرى التي بقيت زمانًا طويلاً في حالة التردد اعتمدت حينئذٍ فلا بد لها اما ان ترجع حالاً الى البابا وية اوان تقف بشجاعة جديدة تحت الوية المسيح

وان رجلاً فرنساويًا من جبال دوفيني اسمهُ وليم فارل احدث حركة عظيمة في سويسرا واثبت اصلاح هلفيثيا الرومانية التي كانت لم تزل مستغرقة في سبات ثقيل وهكذا رجح الميزان في كل المعاهدة الى جهة التعاليم الجديدة فوصل فارل الى الميدان نظير الجنود الذين عندما تكون النصرة متعلقة يهجمون الى اكثف القتال ويفوزون بالغلبة وهو اعد الطريق في سويسرا لرجل آخر فرنساوي الذي ايمانهُ الوطيد وعقلهُ الثاقب كانا عتيدين ان يتمما الاصلاح ويكملا العمل وبواسطة هذين الرجلين الفاضلين اشتركت فرانسا في الحركة المتسعة التي اهاجت الجماعة المسيحية فينبغي الآن

الالتفات الى تلك

البلاد

الكتاب الثالث

فرانسا بين سنة ١٥٠٠ وسنة ١٥٣٦

الفصل الاول

اعداء الاصلاح في فرانسا . عائلة فارل

ان المناسبة للعموم شخصًا وظرفًا ووقتًا هي من جملة الصفات الجوهرية للديانة المسيحية والحال خلاف الاديان البشرية فانها تناسب بعض الشعوب ودرجة التهذيب التي وصلوا اليها وهي تبقي هولاء الشعوب على حالتهم واذا بلغ الشعب بواسطة غير اعتيادية الى احسن حال تراهم يتركون ديانتهم وراءهم فتصير بلا فائدة لهم . وكانت في السابق ديانة مصرية ويونانية ولاتينية ويهودية ايضًا . اما الديانة المسيحية فهي الديانة الوحيدة للجنس البشري كافةً في كل عصرٍ وفي كل صقعٍ . ومبداها الاول في الانسان هو وجود الخطية وهذه صفة لا تختص بجنس واحد بل هي ارث لكل موجود من الناس ومن ثمَّ الانجيل نظرًا الى كونهِ يسد اسمى احتياجات طبيعتنا العمومية يُقبَل كآتٍ من الله وذلك عند الشعوب الاكثر توحشًا والاكثر تمدنًا فانهُ لا يؤلّهُ نظير اديان القدماء الخصوصيات الجنسية الآ انهُ لا يلاشيها بل يقدسها ويشرفها ويرفعها الى وحدة مقدسة بواسطة المبدا الجديد الحي الذي يكسبها اياهُ

وادخال الديانة المسيحية في العالم قد احدث حركة عظيمة في التاريخ فالى

ذلك الوقت لم يكن الاّ تاريخ شعوب واما بعد ذلك فصار تاريخ الجنس البشري والفكر بتربية عمومية للجنس البشري التي تكمل بواسطة يسوع المسيح صار دليل المورخ سرّ التاريخ ورجاء الشعوب . والديانة المسيحية تفعل ليس فقط في جميع الشعوب بل ايضاً في كل عهد من تاريخهم. فعند ظهورها كان العالم نظير مصباح يكاد ينطفي فاوقدتهُ ايضاً الديانة المسيحية بنار من السماء . ولكن بعد ذلك بعد ان هجمت القبائل البربرية على المملكة الرومانية وسحقت وشوشت كل شيء فالديانة المسيحية اذ حالت بالصليب دون ذلك السيل المهلك اخضعت بواسطتهِ ابناء الشمال المتوحشين واكسبت الهيئة الاجتماعية صورة جديدة

الاّ ان عنصر فسادٍ كان مخفياً في الديانة التي حملها المبشرون الشجعان الى القبائل المتبربرة فصدر ايمانهم من رومية ومن الكتاب المقدس على حدٍّ سواء تقريباً والعنصر الروماني تقوّى سريعاً والانسان في كل موضع اقام نفسهُ مكان الله وهذه هي الصفة الجوهرية للكنيسة الرومانية اي اقامة الانسان موضع الله فصار تجديد الديانة امراً ضرورياً واكملت الديانة المسيحية ذلك في العصر الذي نحن في شانهِ

وتاريخ الاصلاح في البلدان التي بحثنا عنها في ما مضى قد اظهر لنا التعليم الجديد بنفي افراطات المتعصبين والانبياء المستجدين ولكن في البلاد التي نلتفت اليها الآن كان الكفر هو المانع الذي التزم الاصلاح ان يزيلهُ ولم تحصل في مكان البتة مقاومات اجسر للخرافات والفضائح التي دخلت في الكنيسة ولم يظهر في مكان محبة اشد للعلم مجردة عن الديانة المسيحية محبة آخرتها الكفر مراراً كثيرة وحملت فرانسا في حضنها اصلاحين في وقت واحد الواحد من الانسان والآخر من الله فكان في بطنها امتان ونوعان من الشعب كانا عتيدين ان ينفصلا من احشائها (تك ٣٥: ٢٣)

والتزم الاصلاح في فرانسا ان يقاوم لا الكفر والخرافات فقط بل عدوّاً ثالثاً لم يكن قد صادفهُ اقلما يكون بمثل هذا العزم بين الشعوب الذين من اصل

جرماني وهذا العدو هو فساد الآداب فان الشكوك في الكنيسة كانت عظيمة جدًّا والفحشاء جلست على عرش فرنسيس الاول وكاثرينا دي ماديشي وفضائل المصلحين الصارمة اغضبت هولاء الشهوانيين ولا شك ان الاصلاح في كل مكان كان بالضرورة لا تعليميًا كنائسيًّا فقط بل ادبيًّا ايضًا ولا سيما في فرنسا وهولاء الاعداء الاشداء الذين صادفهم الاصلاح في وقت واحد داخل فرنسا اكسبوهُ صفة خاصة بهِ على التمام ولم يلاقِ في بلاد اخرى سجونًا واضطهادًا شبيه اضطهاد ايام الديانة المسيحية الاولى مثل ما لاقى في فرنسا. والاصلاح في البلدان السابق ذكرها قد تمجد بواسطة غلباتهِ اما البلاد التي مرادنا ان نتكلم عنها ففيها تمجد بواسطة انكساراتهِ وفي اماكن اخرى اشار الى عروش ومجالس ملكية وفي تلك البلاد اشار الى اوتاد واجتماعات في الكهوف وكل من عرف ماذا يقوم بهِ المجد الحقيقي للديانة المسيحية على الارض والصفات التي تجعلها تشبه راسها فانهُ يدرس باعظم اعتبار ومحبة التاريخ الذي يتلطخ مرارًا بالدماء كما سيرد بيانهُ

ان اكثر الذين اشتهروا على وجه العالم ولدوا في المقاطعات التي ابتدات فيها اولاً عقولهم تتوسع وباريس هي شجرة تقدم للعين ازهارًا واثمارًا شتى واصولها تمتد الى بعيد في قلب الارض لكي تجتذب منها الخواص المغذية التي تحولها الى نفسها والاصلاح ايضًا قد تبع هذه الشريعة . وجبال الپا التي عاينت اناسًا جسورين مسيحيين يظهرون في كل وادٍ تقريبًا من سويسرا كانت عتيدة في فرانسا ايضًا ان تظلل بظلها المستطيل حداثة البعض من المصلحين الاولين فانها بقيت عدة اجيال تحافظ على الكنوز الخالصة في وديانها الشامخة بين اهالي مقاطعات لوسرن وانغرون ولاپيروس البيدمونت والحق الذي لم تقدر رومية ان تصل اليهِ هناك انتشر من تلك الوديان التي هي الى الجانب الآخر من تلك الجبال وعند حضيضها الى بروفنس ودوفيني

وفي السنة التي بعد ارتقاء كرلوس الثامن ابن لويس الحادي عشر الى تخت السلطنة وهو ولد ضعيف جبان ارتقى اينوسنتيوس الثامن الى كرسي الحبرية

وذلك سنة ١٤٨٤ وكان لهُ سبعة او ثمانية اولاد من امهات مختلفة ومن ثمَّ سماهُ كل اهل رومية باسرها الاب

وكان في تلك الايام على جميع جبال الپا الدوفينية وعلى شطوط نهر دورنس نمو جديد للاراء الولدنسية . قال مورخ قديم ان الاصول كانت دائمًا تفرخ اغصانًا جديدة في كل جهة وهولاء الناس الجسورين سموا الكنيسة الرومانية كنيسة الشياطين وذهبوا الى ان الصلاة في اسطبل هي مفيدة مثل الصلاة في الكنيسة . فالخوارنة والاساقفة والقصاد الرومانيون طرحوا الصوت وفي ٢٧ نيسان سنة ١٤٨٧ كتب انوسنتيوس الثامن ابو الرومانيين منشورًا ضد هولاء المسيحيين المساكين فقال الحبر السلاح السلاح ودوسوا هولاء الاراتقة تحت اقدامكم كحيات سامة

وعند ما قرب القاصد ومعهُ عساكر ثمانية عشر الف مقاتل وجماعة من الذين تقدموا للحرب باختيارهم طامعين بالشركة في غنائم الولدنسيين ترك الولدنسيون بيوتهم وهربوا الى الجبال والمغر وشقوق الصخور كما تهرب الطيور عند هبوب العاصف فلم يكن وادٍ ولا غابة ولا صخرة الاَّ اتى طارد وهم اليها وفي كل مكان من ذلك الجانب من جبال الپا ولا سيما الجانب الايطالي كان تلاميذ المسيح هولاء المساكين يُصطادون كالوحوش البرية واخيرًا كَلَّ اتباع البابا وانحلت همتهم ولم تعد ارجلهم قادرة على الارتقاء الى الوعور التي هرب اليها الاراتقة ولم يقدروا ان يحاربوهم هناك

ففي تلك المقاطعة الالبية التي اضطربت حينئذٍ من القساوة الرومانية بمسافة ثلاثة فراسخ من قرية غاپ القديمة في جهة غرينوبل ليس بعيدًا عن الروضة المزهرة التي على جبل بابرد عند حضيض الايغوبل وبالقرب من مضيق غلابز نحو المكان الذي يخرج منهُ نهر بوزون كان موجودًا ولم يزل يوجد مجمع بيوت قد اختفى نصفهُ بواسطة الاشجار المحدقة بهِ يسمى باسم فارل وبلغة الاهالي فاربل وعلى ظهر من الارض متسع مرتفع على المنازل المجاورة يرى بيت من تلك البيوت

يلقب ببيت الشريف واحاطت بهِ حديقة هي الطريق الى القرية ففي ذلك البيت سكن في ايام الاضطراب عائلة شريفة مشهورة بالتقوى تعرف باسم فارل وسنة ١٤٨٩ وهي السنة التي فيها اجرت البابا وية اقسى اعمالها في دوفيني وُلد في ذلك المنزل الهادي ابن سُمي وليم ونشا معهُ ثلاثة اخوة وهم دانيال ووالتر وكلاود واخت واحدة وكان هولاء يشاركونهُ في ملاعبهِ على شطوط نهر بوزون عند حضيض جبل بايرد . فهناك صرف وليم طفوليتهُ وصباهُ وكان ابوهُ من عبيد البابا وية الاكثر تعبدًا لها وهو نفسهُ يخبرنا قائلاً ان ابي وامي كانا يصدقان كل كل شيء ومن ثمَّ ربيا اولادهما في جميع سنن العبادة الرومانية

واسبغ الله على وليم فارل مواهب نادرة من شانها ان تجعلهُ يفوق اقرانهُ واذ كان ذا عقل ثاقب وتصور نشيط وصادقًا ومستقيمًا وذا نفس كبيرة لم تكن تسمح لهُ تحت اية خسارة كانت ان يضاد اقتناعات قلبهِ كان فريدًا ايضًا في نشاطهِ وحرارتهِ وشجاعتهِ التي لا تقهر وجسارتهِ التي لم يكن يصدها شيء من الموانع الَّا انهُ كان ايضًا حائزًا على جميع النقائص المنسوبة الى هذه الخصال حتى ان والديهِ اضطرا اوقاتًا كثيرة الى ان يعارضا جسارتهُ المفرطة . فالقى وليم نفسهُ بكل عزمهِ في العوائد الخرافية التي كانت في عائلتهِ المترفضة وقال انني اشعر بكراهة عظيمة عندما اتامل بالساعات والصلوات والكرامة الالهية التي قدمتها انا نفسي وجعلت الاخرين يقدمونها للصليب ولمثل هذه الاشياء

ونحو اربعة فراسخ الى جنوبي غاپ بالقرب من تالرد على تل فوق نهر دورنس كان موضع ذو صيت ذائع يقال لهُ سنت كرويكس اي الصليب المقدس وكان وليم ابن سبع او ثمان سنين فقط عندما عزم ابوهُ وامهُ ان ياخذاهُ الى هناك لاجل الزيارة قائلين لهُ ان الصليب في ذلك المكان مصنوع من نفس الخشبة التي صُلِب المسيح عليها . فاخذت العائلة في سفرها الى ان وصلوا الى الصليب الجزيل الاعتبار وهناك خرُّوا امامهُ ساجدين الى الارض وبعد ان تفرس الزائرون زمانًا بالخشبة المقدسة وبنحاس الصليب الذي قال لهم الخوري

انهُ مصنوع من الطست الذي غسل المسيح فيهِ اقدام تلاميذهِ حولوا ابصارهم الى صلبوت صغير معلق بالصليب وحينئذٍ قال لهم الخوري انهُ عند ما يرسل الينا الشياطين بَرَدًا ورعدًا يتحرك هذا الصلبوت بعزم شديد جدًّا حتى يتراءى كانهُ قد انفك من الصليب اشارة الى رغبتهِ في المبادرة الى الشيطان ولا يزال يبعث جذوات من النار على العاصف ولولا هذا الصلبوت لما بقي شيءٌ على الارض . والزائرون الانقياء تحركوا حركة عميقة بواسطة اخبار هذه الاعاجيب المستغربة ثم قال الخوري انهُ لا يقدر احد ان يرى او يعرف هذه الامور الَّا انا وهذا الرجل فالتفت الزائرون وراوا رجلًا ذا هيئة غريبة واقفًا بالقرب منهم . فقال فارل ان النظر اليهِ كان رائعًا . وكانت قشور بيض تغطي حدقتي عينيهِ لا اعلم هل ذلك حقيقي او هل جعلها الشيطان تترائيان هكذا وهذا الرجل الغريب الذي سماهُ غير المصدقين ساحر الخوري اذ سالهُ الخوري اجاب حالًا ان الاعجوبة صحيحة

ثم اكملت الصورة رواية حديثة وهي ان امراة فتاة اتت كانها تقصد عبادة غير عبادة الصليب حاملة طفلها ملفوفًا بلفائف فصعد حينئذٍ الخوري وامسك المراة وابنها واخذهما الى المعبد مثلما يقود رقاص شريكتهُ ولكن كانت عماوتنا قوية بهذا المقدار حتى انهُ لم يظهر لنا منظرهما ولا اشاراتهما ولا تصرفهما بطريق غير لائق الأحسنة ومقدسة وكان امرًا واضحًا ان المراة والخوري فهما الاعجوبة على التمام وجعلاها سترًا لمعاشرتهما

فهذه صورة صحيحة للديانة والاداب في فرانسا عند بداءة الاصلاح فان الاداب والاعتقاد كان قد دب فيها السم فاضطرا الى تجديد قوي وبمقدار ما زالت قيمة الاعمال الخارجية ابتعد الناس اكثر عن تقديس القلب . والسنن المائتة استعيض بها في كل مكان عن الحياة المسيحية وحدث اتحاد غريب بين افظع الدعارة والعبادة الخرافية كما هو العادة فان السرقة كانت ترتكب امام المذبح والمراودة في كرسي الاعتراف والسم مُزج بمواد السر والفسق أُجرِي عند

قاعدة الصليب لان الخرافات بواسطة ملاشاتها الاعتقاد لاشت الآداب

الاّ انهُ وُجد شذوذٌ كثير في ديانة القرون المتوسطة فالايمان بالخرافات قد يكون نصوحًا كما كان حال وليم فارل ونفس الغيرة التي حملتهُ بعد على السفر الى اماكن كثيرة لاجل نشر معرفة يسوع المسيح في ذلك الوقت جذبتهُ الى كل مكان اظهرت الكنيسة فيهِ اعجوبة او طلبت عبادة وكان لدوفيني عجائبها السبع التي بقيت زمانًا طويلاً ذات تاثير في تصور الشعب ولكن جمال المناظر الطبيعية المحدقة بهِ كان لهُ ايضًا قوة في رفع نفسهِ الى الخالق . فسلسلة جبال الپا الجليلة وتلك القمم المغطاة بثلج ابدي اي الصخور العظيمة التي ترفع هناك انوفها الى السماء وهناك تمد رؤوسها العظيمة ذات الاسنان الى ما فوق السحاب كانها جزيرة معلقة في الهواء فجميع عجائب الطبيعة هذه التي كانت في ذلك الوقت ترفع نفس اولريخ زوينكلي في التوكنبرج كانت تخاطب بعبارات صامتة قوية قلب وليم فارل بين جبال دوفيني فكان متعطشًا الى الحياة والمعرفة والنور واشتاق الى الشهرة فطلب ان يدرس

وكان ذلك ضربة عظيمة على ابيهِ الذي افتكر ان الشاب الشريف لا يجب ان يعرف شيئًا الاّ مسبحتهُ وسيفهُ وفي ذلك الوقت شاع صيت شجاعة رجل شاب من اهالي بلاد وليم فارل اي دوفيني اسمهُ دوتيرل الملقب بايرد وهذا الرجل كان قد اظهر في وقعة نهر التار الى الجانب الآخر من جبال الپا شجاعة قوية وقيل ان مثل هولاء الاولاد هم كالسهام في يد رجل قوي فطوبى للرجل الذي تكون جعبتهُ مملوءة منهم ومن ثمَّ ابوهُ فارل قاوم الميل الذي ابداهُ ابنهُ وليم نحو العلوم الاّ ان الشاب لم يتزعزع في عزيمتهِ وكان الله قد اختارهُ لغلبات اكرم من غلبات بايرد فاصر على تضرعاتهِ الى ابيهِ حتى اجابهُ ابوهُ الشيخ الى ذلك

فانصب فارل حالاً على الدرس بنشاط مذهل والمعلمون الذين وجدهم في دوفيني كانوا قليلي المساعدة لهُ فالتزم ان يعارض طرقًا ردية للتعليم وعدم اقتدار معلميهِ معًا وهذه الصعوبات عوضًا عن ان تحل عزمهُ هيجتهُ ولم يمضِ الاّ

قليل حتى استظهر على هذه الموانع واخوتهُ اقتدوا بمثالهِ ودانيال دخل بعد ذلك في طريق السياسة واستخدم في قضايا مهمة تتعلق بالديانة واما ولتر فحصل على دالة تامة عند امير فرستمبرج

اما فارل فاذ رغب في اكتساب المعرفة حصل ما قدر على تحصيلهِ في مقاطعتهِ ثم حول ناظرتيهِ الى مكان آخر وشهرة مدرسة باريس كانت منذ زمان طويل قد ملأَت العالم المسيحي فاشتاق ان يرى تلك المدرسة ام كل العلوم ومصباح الكنيسة الحقيقي الذي لم ينطفي قط ومرآة الايمان الصافية اللطيفة التي لم تظلم بواسطة السحاب ولا اصابها دنس بواسطة المس فحصل على اجازة والديهِ واخذ في طريقهِ الى عاصمة فرانسا

الفصل الثاني

لويس الثاني عشر وجمعية تورس . لافيفر وفارل . اهتداء فارل

في اليوم الاول من سنة ١٥١٠ او بعد ذلك بقليل وصل الدوفيني الشاب الى باريس فان المقاطعة كانت قد صيرتهُ تابعًا غيورًا للباباوية واما العاصمة فكانت عتيدة ان تجعلهُ شيئًا خلاف ذلك ففي فرانسا لم يكن الاصلاح مزمعًا ان يخرج كما في جرمانيا من مدينة صغيرة بل جميع الحركات التي تهيج الشعب تصدر من قصبة البلاد واجتماع ظروف بامر العناية جعل باريس في بداءة القرن السادس عشر محلاً ينبعث منهُ شعاع النور والشاب من جوار غاپ وصل الى هناك متواضعًا وجاهلاً وكان عتيدًا ان تنفذ تلك الشعاع الى قلبهِ والى قلوب كثيرين اخرين معهُ

ان لويس الثاني عشر ابا شعبهِ كان قد طلب وكلاء اكليروس فرانسا لكي يجتمعوا في تورس والظاهر ان هذا الملك سبق فعلم بازمان الاصلاح حتى انهُ لو

حدثت تلك الحركة في مدة حكومتهِ لربما كانت كل فرانسا تبعت المذهب البروتستانتي ومجمع تورس كان قد حكم بان للملك حقًا بان يشهر حربًا ضد البابا وبان يجري احكام مجمع باسل وهذه الامور كانت موضوع حديث عام في المدارس والمدينة والبلاط ولا بد انها احدثت تاثيرًا عميقًا في ضمير الفتى فارل

وكان حينئذٍ في بلاط لويس الثاني عشر ولدان لواحد منهما قامة طويلة ومعانٍ لطيفة مسلّمٌ لاهوائهِ يسير بعماوة الى حيثما اقتادتهُ ارادتهُ حتى قال الملك مرارًا ان هذا الصبي الكبير سوف يعكس كل شيء . واسم هذا الصبي فرنسيس من انجوليم دوك فالوا وابن عم الملك الآن بويزي معلمهُ علمهُ ان يعتبر العلوم . والى جانب فرنسيس كانت اختهُ مرغريتا وهي اكبر منهُ بسنتين قال برنتوم انها اميرة ذات عقل عظيم واقتدار طبعًا واكتسابًا ومن ثمَّ بذل لويس جهدهُ في تهذيبهما واعلم الناس في المملكة بادروا لكي يقروا بانها كبيرتهم

وكانت جماعة من اصحاب الاعتبار قد احدقت بهذين الولدين فان وليم بوديوس رجلًا مطلق العنان لشهواتهِ مغرمًا بالصيد عائشًا لطيورهِ وخيلهِ وكلابهِ فقط غيَّر سيرتهُ بغتةً وهو ابن ثلاث وعشرين سنة فباع آلة الصيد وانكب على الدرس بالغيرة التي ابداها سابقًا في قطع الصحاري والاحراش مع كلابهِ . والطبيب كوب وفرنسيس ڤاتبلي الذي كانت معرفتهُ بالعبراني تعجب اليهود انفسهم ويعقوب لوسان المعلم اليوناني الشهير وآخرون كثيرون اذ قواهم اسطفان بنخار اسقف باريس ولويس روزي الضابط وفرنسيس دي لوينيس وحماهم الامير والاميرة السابق ذكرهما فقاوموا اهل مدرسة الصربون القوية الذين حسبوا درس اليوناني والعبراني اضر الارتقات . وفي باريس كما في جرمانيا وسويسرا سبق احياء العلوم رجوع التعليم الصحيح ولكن في فرانسا الايادي التي اعدت المواد لم تكن عتيدة ان تقيم البناء

وكان بين العلماء الذين زينوا حينئذٍ العاصمة رجل حقير القامة دني المنظر ذليل الاصل عقلهُ وعلمهُ وقوة فصاحتهِ تخلب الباب الذين سمعوهُ اسمهُ لافيفر

ولد نحو سنة ١٤٥٥ في ايتابليس قرية في بيكاردي وكان قد حصل على تربية خشنة او كما يدعوها ثيودوروس بيزا تهذيب بربري الآن عقلهُ جبر نقص المعلمين وتقواهُ وعلمهُ وشرف نفسهِ تلألأت باعظم لمعان فكان قد جال كثيرًا والظاهر ان رغبتهُ في اكتساب المعرفة اقتادتهُ الى اسيا وافريقيا وسنة ١٤٩٣ كان معلم اللاهوت واستاذًا في مدرسة باريس ولم يمضِ الّا قليل حتى ارتقى الى شهرة نادرة وحسبهُ ابراسموس في الرتبة الاولى بين العلماء

فراى لافيڤران عليهِ عملًا هو ملتزم بهِ ومع انهُ كان متمسكًا بعوائد الكنيسة الرومانية عزم على مقاومة التوحش الغالب حينئذٍ في المدرسة فابتدا يعلم فروع الفلسفة المتنوعة بوضوح لم يعرف قبل ذلك واجتهد في احياء درس اللغات والعلوم القديمة وتجاوز ذلك ايضًا واذ راى انهُ نظرًا الى تجديد الحال تكون الفلسفة والعلوم غير كافية ولهذا ترك التعاليم المدرسية المتسلطة في عالم المسيحيين ورجع الى الكتاب المقدس والعلوم الانجيلية فلم يصرف وقتهُ في البحث عن مسائل غير مفيدة بل بلغ الى قلب الكتاب المقدس وفصاحتهُ ولطافتهُ سبت كل قلب وكان رزينًا وحادًّا في المنبر وبشوشًا انيسًا مع تلاميذهِ وكتب غلاريان احد تلاميذهِ الى صديقهِ زوينكل يقول انهُ يحبني محبة شديدة واذ هو مملو خلوصًا ومحبة مرارًا كثيرة يرتل ويصلي ويجادل ويضحك معي على حماقات العالم . ومن ثمَّ جلس عند قدميهِ عدد كبير من التلاميذ من كل مكان

وهذا الرجل مع كل علمهِ خضع بسذاجة ولد لكل عادة من عوائد الكنيسة وكان يصرف من الوقت في الكنائس قدر ما صرفهُ في مكتبتهِ فبان ان اتحادًا قويًّا كان يقرن عالم بيكردي الشيخ مع تلميذ دوفيني الفتى فانهُ عند ما توجد طبيعتان متشابهتان كهاتين ولئن كانتا في فسحة عاصمة متسعة فمن شانهما ان تدنو احداهما من الاخرى . وفارل الفتى في سياحاتهِ التقوية لاحظ سريعا رجلًا شيخًا واخذهُ العجب من ورعهِ اذ خرَّ امام الايقونات وبقي زمانًا طويلًا راكعًا على ركبتيهِ يصلي بحرارة ويكرر بورع فرضهُ . قال فارل انني لم اعاين قط خادمًا

للقداس يخدم باكثر احترام وذلك الرجل هو لافيفر واشتاق وليم فارل في الحال الى ان يتعرف بهِ ولم يقدر ان يتمالك نفسهُ من الفرح عند ما قبلهُ هذا الرجل المشهور بلطافة فنال فارل مطلوبهُ بمجيئهِ الى العاصمة ومن ذلك الوقت كانت لذتهُ العظمى ان يتكلم مع عالمٍ ايتا بليس وان يصغى اليهِ وان يسمع مثالاتهِ العجيبة وان يركع معهُ بورع امام المعابد وكنت ترى مرارًا لافيفر الشيخ وتلميذهُ الفتى يزينان ايقونة العذراء بالزهور واذ كانا منفردين وبعيدين عن باريس وعن تلاميذهما وعلمائها كانا يهمسان معًا الصلوات الحارة التي قدماها لمريم

ولاحظ كثيرون التصاق فارل بلافيفر والاعتبار الذي كان عند الناس نحو العالم الشيخ اشترك بهِ تلميذهُ الفتى وهذه الصداقة الشريفة نشلت الدوفيني من ورطة عدم الشهرة فحصل سريعًا على شهرة لاجل غيرتهِ حتى ان كثيرين من الاغنياء الاتقياء في باريس وكلوهُ على مبالغ من المال لاجل اعالة التلاميذ الاشد احتياجًا

فمضى زمان طويل قبل بلوغ لافيفر وتلميذهُ الى ادراك الحق بالوضوح وما ربط فارل بالبابا لم يكن الطمع بالمداخيل الغنية ولا الميل الى عيشة الخلاعة بل كان البابا عندهُ راس الكنيسة المنظور وضربًا من الآلهة تخلص الانفس بواسطة كلمتهِ وكلما سمع احدًا يتكلم ضد هذا الحبر المعتبر جدًا صار يحرق على اسنانهِ نظير ذئب مفترس ويود لو يدعو نارًا من السماء لكي تهلك الشقي المذنب هلاكًا تامًا. قال اني اعتقد بالصليب وبالسياحات والايقونات والنذور والذخائر وما يمسكهُ الخوري بيدهِ ويضعهُ في العلبة ويحفظهُ فيهِ وياكلهُ ويناولهُ للغير لكي ياكلهُ فهو الهي الوحيد الحقيقي وليس لي اله آخر لا في السماء ولا على الارض. قال في مكان آخر ان الشيطان قد مكَّن البابا والبابوية وكل ما يختص بهِ في قلبي حتى ان البابا نفسهُ لم يبلغ هذه الدرجة من الايمان بنفسهِ

وهكذا كلما طلب فارل الله بالزيادة ضعفت تقواهُ وتمكن سلطان الخرافات في نفسهِ وتقدم الحال من الردي الى الاردا ووصف هو نفسهُ هذه الحالة بعبارات

قوية عند قوله واسفاه كيف اقشعر من نفسي ومن ذنوبي عند ما اتذكر ذلك وكم هو عظيم وعجيب عمل الله في انتشال انسان من مثل تلك الهاوية

ولم يتخلص من تلك الهاوية الّا بالتدريج فانهُ درس اولاً التواريخ العالمية واذ لم تجد تقواهُ طعاماً هناك ابتدا يتامل بسير القديسين وقراءة تلك القصص زادتهُ ضعفاً وهوَساً وحينئذٍ التصق ببعض علماء ذلك العصر ولكنهُ اذ ذهب اليهم شقيّاً تركهم اشقى واخيرًا اخذ في درس الفلاسفة القدماء وتوقّع ان يتعلم من اريسطوطاليس كيف يقدر ان يكون مسيحيّاً وفي تلك ايضاً خابت آمالهُ فان الكتب والايقونات والذخائر واريسطوطاليس ومريم والقديسين باسرها كانت بلا فائدة لان نفسهُ الحارة تاهت من حكمة بشرية الى حكمة من دون ان تجد واسطة لارواء شدة ظمإها

وفي تلك الفترة اذ اذن البابا بان اسفار العهدين القديم والحديث تُدعى الكتاب المقدس ابتدا فارل يقراها كما فعل لوثيروس في دير ارفورث فانذهل عند ما راى ان كل شيء على الارض يختلف عما تعلم بهِ الكتب المقدسة وربما كان على حافة الوصول الى الحق الّا انهُ بغتةً اتت ظلمة اكثف والقتهُ في هاوية اخرى فقال ان الشيطان اتى عليّ بغتةً لكي لا يخسر اكليل غلبة وتصرّف معي حسب عادتهِ فحصل حينئذٍ في قلبهِ قتال هائل بين كلمة الله وكلمة الكنيسة واذا صادف شيئًا من الآيات المقدسة المضادة للعوائد الرومانية اطرق نظرهُ الى الارض وخجل ولم يتجاسر ان يصدق ما قراهُ واذ خاف من التعلق بالكتاب المقدس قال آه انني لا اقدر ان افهم هذه الامور جيدًا فيجب عليّ ان افسر الكتب المقدسة تفسيرًا مختلفًا جدًّا عن المعنى الظاهر ولا بد لي من حفظ تفسير الكنيسة والبابا

واذ كان ذات يوم يقرا الكتاب المقدس اتفق ان احد العلماء دخل ووبخهُ توبيخًا قويًّا وقال انهُ لا يجوز ان يقرا احدٌ الكتب المقدسة قبل ان يتعلم الفلسفة وتعطى لهُ شهادة معلم الفنون. فهذا الاستعداد لم يطلبهُ الرسل الّا ان فارل صدّقهُ وقال اني كنت اشقى الناس مطبقًا عيني لئلّا ابصر ومن ذلك الوقت رجع الفتى

الى حرارتهِ الرومانية وقصص القديسين اضرمت تصورهُ وكلما اشتدت قوانين الرهبانية صرامة زادت محبتهُ لها . وكان في وسط الغابات بالقرب من باريس بعض الرهبان الكارثوسيين في عدة اكواخ مظلمة فزارهم باعتبار وشاركهم في تقشفاتهم وقال اني كنت مشتغلاً على التمام نهارًا وليلاً في خدمة الشيطان حسب طريقة انسان الخطية ذلك اي البابا وكان في قلبي هيكل كل القديسين وجمهور من الوسطاء والمخلصين والآلهة حتى اني كنت كاني سجلٌ باباوي

ولم يكن ممكنًا ان يصير الظلام اكثف ثم قرب طلوع كوكب الصباح وكان مزمعًا ان يظهر على فم لافيفر اذ كان فيهِ بعض اشعة من النور واقناعهُ الداخلي اخبرهُ بان الكنيسة لا يمكن ان تدوم زمانًا طويلاً في حالتها الحاضرة والرجل الشيخ مرارًا كثيرة عند رجوعهِ من القداس او قيامهِ من امام احد الايقونات التفت الى التلميذ الفتى وامسكهُ من يدهِ قائلاً بصوت خاشع يا عزيزي وليم ان الله سوف يجدد العالم وانت سوف ترى ذلك . اما فارل فلم يفهم بالتمام هذه الكلمات الآن لافيفر لم يقتصر على هذا الكلام اللغزي فان التغيير العظيم الذي حصل حينئذٍ فيهِ كان عتيدًا ان يحدث تاثيرًا مثلهُ في تلميذهِ

فكان العالم الشيخ مشتغلاً في عمل شاق اي جمع قصص القديسين والشهداء وترتيبها على اسلوب ترتيبت فيهِ اسماؤهم في السنكسار وقد طبع الاسماء لشهرين من اشهر السنة لما اشرق بغتةً شعاع نور سماوي على نفسهِ فانارها ولم يقدر ان يدفع الكراهة التي لا بد تحدثها دائمًا هذه الخرافات الصبيانية في قلب المسيحي وعظمة كلام الله جعلتهُ يدرك طبيعة هذه الحكايات السخيفة ولم تظهر لهُ حينئذٍ الاّ مثل الكبريت المناسب لاضرام نار العبادة الوثنية فترك عملهُ والقى هذه القصص جانبًا وتحول بنشاط نحو الكتب المقدسة وفي الدقيقة التي فيها ترك لافيفر قصص القديسين العجيبة ووضع يدهُ على كلام الله ابتدات ارخة جديدة في فرانسا وابتدا الاصلاح

ولما انفطم لافيفر عن حكايات السنكسار ابتدا يدرس رسالات مار بولس

فبزغ النور بسرعة في قلبهِ وهو في الحال منح لتلاميذهِ معرفة الحق التي نجدها في تفاسيرهِ وكانت مستغربة عند المدرسة وابناء ذلك العصر تلك التعاليم التي سُمع بها حينئذٍ اولاً في باريس ونُشِرت بواسطة المطبعة في العالم المسيحي ويسهل علينا ادراك اصغاء التلاميذ الشبان اليها اذ انتبهوا من غفلتهم وتأثروا وتغيروا بها وهكذا قبل سنة ١٥١٢ اخذ نور نهار اسطع يشرق على فرانسا

ان تعليم التبرير بالايمان الذي قلب بضربة واحدة جميع مواربات اللاهوتيين وعوائد البابا وية نُودي بهِ بجراءة في وسط مدرسة الصربون. قال ان الله وحدهُ هو الذي بنعمة الايمان يبرر للحياة الابدية. ثم استتلى قائلاً انهُ يوجد بر من الاعمال ويوجد بر من النعمة فالواحد ياتي من الانسان والآخر من الله فاحدهما ارضي يزول والآخر سموي يدوم والواحد هو الظل والعلامة واما الآخر فهو النور والحق فالواحد يكشف الخطية لدينا لكي نهرب من الموت والآخر يظهر النعمة لكي ننال الحياة

فقال المصغون لهُ عندما سمعوا هذا التعليم الذي ضادَّ تعليم اربعة قرون فماذا اذًا هل تبرر قط انسان من دون اعمال. فاجاب لافيفر نعم ان الذين تبرروا كذلك لا يحصون فكم من الناس اصحاب الخلاعة ممن صلوا بحرارة طالبين نعمة المعمودية اذ لم يكن لهم الاَّ الايمان فقط بالمسيح دخلوا حياة المغبوطين من دون اعمال اذ قد ماتوا حالاً بعد ان آمنوا . فاجاب جماعة فاذًا ان كنا لا نتبرر بالاعمال فتكون ممارستنا اياها باطلة فاجاب العالِم الباريسي (والمصلحون الآخرون ربما يقبلون هذا الجواب) كلاَّ لا تكون باطلة فلو امسكت مرآة في الشمس فان صورة الشمس تُرى فيها وكلما اصقلها وانظِّفها تلمع الصورة اكثر ولكن اذا تركناها تتسخ يضعف ضياء الشمس فكذلك التبرير في الذين يسيرون سيرة دنسة. وان لافيفر في هذا الكلام لا يميز تمييزًا كافيًا بين التقديس والتبرير مثل اوغسطينوس في اماكن كثيرة فان الذين يسلكون سلوكًا غير طاهر لم يحصلوا قط على التبرير ولهذا لا يقدرون ان يخسروهُ ولكن ربما كان معنى لافيفر ان

المسيحي حينما يسقط في احدى الخطايا يضيع وثيقة الخلاص لا الخلاص نفسهُ واذا كان الامر كذلك فلا اعتراض على تعليمهِ

وهكذا دخلت حياة جديدة وتعليم جديد الى مدرسة باريس وتعليم الايمان الذي علم بهِ سابقًا في غالا برثينوس وابريناوس سمع ايضًا هناك ومن ذلك الوقت ابتدا يكون حزبان او شعبان في تلك المدرسة العظيمة فان مثالات لافيفر وغيرة تلاميذهِ كانت تضادُّ مضادة قوية تعاليم اكثر العلماء اللاهوتية وعيشة اكثر التلاميذ غير المرتبة ذات الخلاعة . وفي المدارس تشغلوا في تعليم القصائد والهزل والشعوذة اكثر كثيرًا من درس اقوال الله وفي تلك الملاعب مرارًا كثيرة افتروا على كرامة العظماء والامراء والملك نفسهِ فعارضهم الديوان في ذلك بالقرب من ذلك الوقت واستحضر رؤساء عدة مدارس ونهى اولئك المعلمين المتراخين عن قبول اجراء تلك الملاعب في بيوتهم

الآن قوة اعظم من احكام الديوان اتت بغتةً لاجل اصلاح تلك الفضائح وهي التبشير بيسوع المسيح فكانت الضجة عظيمة على مقاعد المدرسة وابتدا الدارسون يتشاغلون بالتعاليم الانجيلية بمقدار ما كانوا يتشاغلون تقريبًا بملاعب المدرسة والقصائد الفارغة الآن كثيرين ممن كانت حياتهم اقل لومًا تمسكوا بتعليم التبرير بالاعمال واذ راوا ان تعليم التبرير بالايمان يشجب الطريقة التي سلكوا بحسبها ادَّعوا بان ماري يعقوب يناقض ماري بولس واما لافيفر فاذ كان عازمًا على المحاماة عن الكنز الذي وجدهُ اظهر اتفاق هذين الرسولين فقال اما يقول يعقوب الرسول في الاصحاح الأول من رسالتهِ ان كل عطية صالحة وكل موهبة تامة انما هي نازلة من فوق فمن ينكر ان التبرير هو العطية الصالحة التامة فاذا راينا انسانًا يتحرك فالحركة التي نراها هي لنا علامة الحياة فهكذا الاعمال هي ضرورية ولكن نظير علامات ايمان حي فقط يكون مصحوبًا بالتبرير فهل الكحل او الشياف يمنح نورًا للعين . كلاَّ بل انما ذلك هو من تاثير الشمس فهذه الكحول وهذه الشيافات هي اعمالنا والشعاع الذي تبعثهُ الشمس من فوق هو التبرير

اما فارل فاصغى بحرص الى هذا التعليم وكلمات الخلاص بالنعمة هذه احدثت فيهِ تاثيرًا لا يوصف فسقط كل اعتراض وكف كل قتال وحالما اظهر لافيفر هذا التعليم احتضنهُ فارل بكل نشاط نفسهِ فانهُ كان قد تعب وجاهد جهادات كافية لتقنعهُ بانهُ لايقدر ان يخلّص نفسهُ ومن ثمَّ حالما راى في كلام الله ان الله يخلص مجانًا آمن وقال ان لافيفر قد نشلني من الراي الكاذب باستحقاقات الانسان وعلمني ان كل شيءٍ ياتي من النعمة وآمنت بذلك حالما نُطق بهِ. وهكذا بواسطة ارتداد فجائي وثابت كارتداد مار بولس انقاد فارل الى الايمان وهو الذي رغمًا عن الصعوبات والتهدد بدات والاخطار واللطمات ربح ليسوع المسيح مونتبليارد ونيوفشاتل ولوسان وايغل واخيرًا خنيفا

الفصل الثالث

فارل والقديسون. فارل ولوثيروس. تاريخ اول الاصلاح في فرانسا

ذكرنا سابقًا كيف علّم لافيفر وكيف اصغى فارل مرتعدًا فرحًا قبل الجميع ووثب بغتةً الى المسلك الجديد الذي انفتح امامهُ الآ ان امرًا واحدًا من ايمانهِ القديم لم يقدر بعد ان يتركهُ على التمام وهو طلب شفاعة القديسين واحسن الناس قد تبقى فيهم مرارًا بقايا الظلمة هذه التي يتمسكون بها بعد استنارتهم فتعجب فارل عندما سمع هذا العالم الفاضل يقول ان المسيح وحدهُ يجب ان تُطلَب شفاعتهُ . قال لافيفر ان الديانة ليس لها الآ اساس واحد وغاية واحدة وراس واحد يسوع المسيح المبارك الى الابد وهو قد داس المعصرة وحدهُ فلا يجب ان نسمي انفسنا من حزب مار بولس او ابلّس او بطرس لان المسيح وحدهُ يفتح ابواب السماءِ ويغلق ابواب الجحيم . فلما سمع فارل هذا الكلام حدثت حرب شديدة في نفسهِ فانهُ من الجهة الواحدة راى جماعة القديسين مع الكنيسة ومن الجهة الاخرى

راى يسوع المسيح وحدهُ مع معلمهِ فمال تارةً الى هذا الجانب واخرى الى ذاك وكان ذلك غلطة الاخير وحربة الاخيرة فبقي مترددًا ومتمسكًا باولئك الرجال والنساء الافاضل الذين عند اقدامهم تخر رومية ساجدة مقدمة لهم اكرامًا الهيًا لا حبًا بهم بل لاجل ترويج بضاعتها وتحصيل اغراضها واخيرًا ضُرِبت الضربة الاخيرة من فوق ووقعت القشور عن عينيهِ وراى يسوع وحدهُ مستحقًا لعبادتهِ وقال حينئذٍ سقطت البابا وية سقوطًا تامًا وابتدات اكرهها كشيطانية وكلمة الله المقدسة حازت الموضع الاول في قلبي

والامور الجارية عجَّلت عمل فارل واصحابهِ فان توما دي ڤيو الذي بعد ذلك جادل لوثيروس في اوجسبرج وليپسك اذ ذهب في احد كتبهِ الى ان البابا هو الرئيس المطلق للكنيسة وضع لويس الثاني عشر ذلك الكتاب امام المدرسة في شهر شباط سنة ١٥١٢ ويعقوب المابن اصغر العلماء في السن وذو عقل ثاقب واجتهاد عظيم قرا امام اللاهوتيين ردًا على زعم الكردينال المذكور فقبلوهُ باعظم المديح

فاي تاثير احدثتهُ تلك المخاطبات في عقول تلاميذ لافيفر الشبان فهل كان ممكنًا ان يترددوا عندما جمحت المدرسة تحت النير الروماني واذ زحف العسكر أنفًا وجب عليهم ان يتقدموا ويعدوا الطريق. قال فارل كان ضروريًا ان تسقط البابا وية شيئًا فشيئًا من قلبي ولم تقع من الهزة الاولى . فتامل بهاوية الخرافات التي كان غائصًا فيها واذ وقف على الحافة نظر عمقها بعين الخوف ورجع الى الوراء متقهقرًا برعدة وجزع وصرخ قائلاً آه ما اعظم الكراهة التي اشعر بها نحو نفسي وخطاياي عندما افتكر بهذه الامور. ثم قال يا رب يا ليت نفسي قد عبدتك بايمان حي كما فعل عبيدك المطيعون فيا ليتني صليت اليك واكرمتك بمثل خضوع قلبي للقداس ولعبادة تلك البرشانة التي يتمم عليها الذين سموا انفسهم كهنة اذ قدمت لها كل كرامة . بهذه العبارات كان الدوفيني الفتى يندب حياتهُ الماضية ويقول بالدموع كما فعل اوغسطينوس قبلهُ انني قد تاخرت في

معرفتك وابطأْت في محبتك

فوجد فارل يسوع المسيح واذ وصل الى الميناء انسرَّ مبتهجًا بالراحة بعد تلك الانواء الهائلة فقال الآن كل شيء يظهر لي بمنظر جديد فان الكتب المقدسة قد توضحت والنبوات انفتحت والرسل بزغوا نورًا قويًّا على نفسي وصوت كان غير معروف الى الآن صوت المسيح راعيَّ ومعلمي واستاذي يكلمني بقوة. فتغير بهذا حتى انهُ كما يخبرنا رجع بهدو نظير حمل وديع غير مؤذٍ بعد ان كان ذا قلب قاتل وكذئب خاطف فابتعد قلبهُ بالكلية عن البابا وأُعطي ليسوع المسيح

واذ نجا من هذا الشر العظيم رجع الى الكتاب المقدس واخذ يدرس اليوناني والعبراني برغبة وافرة فقرا الكتاب المقدس على الدوام بمحبة تتزايد دائمًا وانارهُ الله يومًا فيومًا ولم يزل يتردد على كنائس العبادة الدارجة ولكن ماذا وجد هناك الاَّ اصواتًا عالية وترتيلات لا تنتهي وكلمات ينطق بها من دون فهم معناها ومن ثمَّ عندما وقف في وسط جمهور يمر بالقرب من ايقونة او مذبح كان يصرخ انت وحدك الله انت وحدك صالح. فلا يجب ان ينقص شيءٌ من شريعتك الطاهرة ولا ان يزاد اليها شيءٌ لانك انت وحدك هو الرب وانت وحدك تامر ويحق لك ان تامر

فهكذا سقط في عينيهِ جميع الناس وجميع المعلمين من العلو الذي رفعهم اليهِ تصوُّرهُ ولم يكن يرى شيئًا في العالم الاَّ الله وكلامهُ والعلماء الآخرون الذين في باريس بواسطة اضطهاداتهم التي اوقعوها بلافيفر سقطوا في اعتبارهِ غير انهُ لم يمضِ الاَّ قليل حتى صار لافيفر نفسهُ مرشدهُ المحبوب انسانًا مثلهُ في عينيهِ وما زال يحبهُ ويحترمهُ الاَّ ان الله وحدهُ صار معلمهُ

ولم يكن فارل الشاب الفرنساوي الوحيد الذي اشرق على ضميرهِ حينئذٍ النور الجديد فان التعاليم التي سقطت من شفاه عالِم ايتابليس الفاضل انتشرت بين الجماهير الذين سمعوا خطبهُ وفي مدرستهِ تربي الجنود الابطال الذين في ساعة الاضطهاد احتملوا الموت فكانوا يصغون ويجاهدون ويبحثون ويحتجون بمهارة

في الجانبين ومن جملتهم الفتى بطرس روبرت اوليفيتان الذي وُلِد في نيون بالقرب من اواخر القرن الخامس عشر وترجم فيما بعد الكتاب المقدس من نسخة لافيفر الى اللغة الفرنساوية وهو اول من استمال شابًّا من عائلتهِ من اهالي نيون ايضًا الى الانجيل الذي صار اشهر رؤساء الاصلاح

وهكذا سنة ١٥١٢ حين كان اوثيروس لم يزل غير مشهور في العالم بل كان ذاهبًا الى رومية لاجل قضاء مصلحة رهبانية زهيدة واذ كان زوينكل لم ينكبّ بعد على درس العلوم المقدسة بل كان عابرًا جبال البا مع اصحاب المعاهدة لكي يحارب لاجل البابا كانت باريس وفرانسا تصغى الى تعليم تلك الحقوق الجوهرية التي كان الاصلاح عتيدًا ان يخرج منها والاشخاص الذين تأهَّبوا لاذاعتها كانوا يشربونها بعطش مقدس ومن ثمّ ثيودورس بيزا في كلامهِ عن لافيفر يجيبهِ بانهُ ابتدا بجسارة ان يحيي ديانة يسوع المسيح الخالصة فقال كما انهُ في الازمان القديمة مدرسة سقراط خرج منها احسن الخطباء كذلك من القاعة التي يخطب فيها عالِم ابتابليس قد خرج احسن رجال العصر والكنيسة

ولهذا لم يكن الاصلاح في فرانسا بضاعة اجنبية بل وُلِد على ارض فرنساوية وتاصّل في باريس واخرج فروعهُ الاولى في المدرسة نفسها التي هي السلطة الثانية في الكنيسة الرومانية وزرع الله بزار هذا العمل في القلب البيكاردي والقلب الدوفيني البسيطين قبلما ابتدا بالظهور في مكان آخر على وجه الارض فالاصلاح السويسي كان كما راينا غير متعلق بالاصلاح الجرماني وكذلك الاصلاح الفرنساوي في دورهِ غير متعلق بهذين الاصلاحين والعمل ابتدا في وقت واحد في بلدان مختلفة من دون اتصال احداها بالاخرى كما انهُ في الحرب جميع الاقسام تبتدي بالحركة في خطة واحدة بعينها ولئن كان القسم الواحد لم يامر للآخر بالهجوم لان الامر الواحد بعينهِ الصادر من سلطان اعلى قد بلغ الجميع فحان الوقت والامم كانت مستعدة والله في كل مكان ابتدا باحياء كنيستهِ في وقت واحد وامور كهذه تبين ان حركة القرن السادس عشر كانت عمل الله

واذا حصرنا النظر في التواريخ يلزمنا ان نسلّم بان شرف الابتداء بهذا العمل لا يختص بسويسرا ولا بجرمانيا ولئن كانت الى ذلك الوقت هاتان المملكتان وحدهما قد ناضلتا عنهُ فان هذا الشرف انما يختص بفرانسا وهذا لا يشوبهُ ريب ونرغب ان ننبه عليهِ لانهُ ربما قد غُفِل عنهُ الى الآن فلنغض النظر عن السطوة التي كانت للافيفر راسًا او بواسطةٍ على اشخاص كثيرين وبالخصوص على كلوينوس نفسهِ ولننظر الى السطوة التي كانت لهُ على واحد من تلاميذهِ اي فارل والى النشاط القوي الذي ابداهُ بعد ذلك خادم الله هذا وهل يمكننا بعد ذلك ان ننكر حركة الاصلاح في فرانسا ولو لم يظهر زوينكل ولوثيروس قط ولا ريب انهُ لا يمكن ان نعرف بالتحقيق كم امتدت الحركة ويلزمنا ايضًا ان نسلم بان خبر الامور الحادثة في الجانب الآخر من الرين والجورا قوّى وعجّل تقدم المصلحين الفرنساويين الّا انهم كانوا اول من انتبه لصوت البوق الذي صرخ بهِ من السماء في القرن السادس عشر وكانوا اول من وضع قدمهُ في ميدان الجهاد الادبي وحمل اليهِ سلاحهُ العلمي

ومع ذلك فلوثيروس هو العامل العظيم الذي ظهر في القرن السادس عشر وبالمعنى الاكمل هو المصلح الاول فان لافيفر ليس هو كاملاً مثل كلوينوس وفارل ولوثيروس فهو من وتمبرج وجنيفا الّا انهُ لا يزال فيهِ بعض مزايا مدرسة الصربون فانهُ الكاثوليكي الاول في الحركة الاصلاحية وآخر المصلحين في الحركة الكاثوليكية وهو الى الآخر متوسط ووسيط غير صافٍ الى التمام يذكّرنا بالارتباط الكائن بين الاشياء القديمة والاشياء الحديثة المفصولة الى الابد بواسطة هاوية لا نقطع ومع انهُ كان مرفوضًا ومطرودًا من رومية ما زال مرتبطًا بها بخيط ضعيف لم تكن لهُ ارادة ان يقطعهُ وهو الحلقة التي تربط الازمان القديمة بالحديثة وهو الرجل الذي مثل قنطرة فوق نهر يُعبَر بها من تعاليم القرون المتوسطة الى تعاليم الاصلاح

الفصل الرابع

فرنسيس الاول . مرغريتا من فالواه

كانت المدرسة باسرها في حالة الاضطراب ولكن الاصلاح في فرانسا لم يكن عتيدًا ان يكون عمل العلماء فقط بل كان عتيدًا ان يحل بين عظماء العالم حتى في قصر الملك

ان الفتى فرنسيس الاول من انجوليم خلف حماه وعمه لويس الثاني عشر وجماله وعيافته وشجاعته ومحبته للّذات جعلته الفارس الاول لعصرهِ الّا انه رغب في ان يكون شيئًا اكثر من ذلك فرغب في ان يكون ملكًا عظيمًا صالحًا بشرط ان يخضع كل شيء لارادتهِ الملوكية فالشجاعة ومحبة العلوم ومحبة النساء هي خصال فرنسيس الثلاث وروح عصرهِ وملكان اخران معتبران وهما هنري الرابع ولويس الرابع عشر بنوع خصوصي كانت لهما هذه الصفات بعينها في السنين التالية

وانتقال فرانسا واوروبا من الاعصار المتوسطة الى الاعصار الحديثة كان في ملك فرنسيس الاول فان العالم الجديد الذي كان حينئذٍ على ابتدائهِ نما وتملك وصنفان من الناس احدثا تاثيرها في الحالة الجديدة للهيئة الاجتماعية فمن الجانب الواحد اصحاب الايمان واصحاب الحكمة والقداسة ايضًا والى جانبهم المولفون الملفقون الذين هم محبو العالم والرذيلة الذين بحرية مباديهم ساعدوا في إفساد الآداب بمقدار ما ساعد الاولون في اصلاحها

ولو لم يدارك اوروبا في ايام فرنسيس الاول قيام المصلحين ولو أُسلمت بحكم العناية الصارم الى ايدي اصحاب الاراء الجديدة غير المؤمنين لحل بها وبالديانة المسيحية الدمار لامحالة وكان الخطر باهظًا والى حين اختلاط اعداء البابا واخصام

الانجيل حتى لم يتميز بين هذا وذاك واذ ادّعى كلاهما بالحرية استعملا نوعًا واحدًا من الاسلحة بعينها ضد اعدائهم هم بعينهم والعين غير المتعوّدة لم يمكنها ان تميز بينهما في وسط الغبار وسحاب حومة القتال ولو غلب الآخرون الاولين لفقد كل شيء فان اعداء الرياسة كانوا ذاهبين بسرعة عظيمة الى اشد النفاق وهم يدفعون الجماعة المسيحية الى وهدة مهولة والباباوية نفسها ساعدت في هذه النتيجة الفظيعة وبواسطة طمعها وفضائحها عجلت هلاك بقايا الحق والحياة في الكنيسة الّا ان الله اقام الاصلاح فخلصت بذلك الديانة المسيحية والمصلحون الذين نادوا بالحرية طلبوا عاجلًا الطاعة ونفس القوم الذين طرحوا العرش الذي عنه اصدر الحبر الروماني اوامرهُ خرّوا ساجدين امام كلمة الله وحينئذٍ حدث انفصال واضح معلوم وزد على ذلك ان الحزبين قاما بالحرب احدهما ضد الآخر فالحزب الواحد طلب الحرية لنفسهِ فقط واما الحزب الآخر فطلبها لكلمة الله فالاصلاح صار العدو الاشد لعدم الايمان الذي تميل رومية اليه بهذا المقدار والمصلحون بعد ان ارجعوا الحرية الى الكنيسة ارجعوا الديانة الى العالم وكان الاحتياج الى العطية الاخيرة اشد

ان اصحاب الكفر طمعوا الى زمان بان يحصلوا بين جماعتهم مرغريتا من فالواه دوكة النسون التي احبها فرنسيس محبة مفرطة وسماها دائمًا عزيزتهُ وكان الاخ واختهُ جميعًا على ذوق واحد وتهذيب واحد ومرغريتا اذ كانت مثل اخيها ذات صورة جميلة جمعت من الصفات السامية التي تصيّر الناس عظماء تلك الفضائل اللطيفة التي تجاب المحبة فانها في العالم في الولائم الفاخرة في قصر الملك والامبراطور كانت تتلالا مثل ملكة تسحر وتذهل وتسبي جميع القلوب واذ كانت مغرمة جدًّا بالعلوم وذات عقل نادر كانت تنفرد في مخدعها وهناك تتمتع بحلاوة لذات الفكر والدرس والعلوم ومالت اشد الميل الى عمل الخير ومنع الشر والسفراء بعد حضورهم امام الملك ذهبوا يقدمون واجبات احترامهم لمرغريتا وكان الملك مرارًا كثيرة يستشيرها في الامور المهمة ويتركها بالتمام لحكمها

وهذه الاميرة الفاضلة كانت مشهورة بصرامة ادابها ومع ان كثيرين يحصرون هذه الصرامة في شفاههم ويتراخون في تصرفهم كانت مرغريتا تفعل بعكس ذلك فانها اذ كانت بلا لوم في سيرتها لم تخلُ على التمام من المذمة في كتاباتها وعوضًا عن التعجب من ذلك نتعجب كيف ان امراة ذات خلاعة مثل لويزا من سافواه تكون لها ابنة نقية كمرغريتا واذ دارت في اماكن مختلفة من البلاد كانت تتسلى بوصفها عوائد العصر وعلى الخصوص فضائح الخوارنة والرهبان قال برنتوم قد سمعتها تقص اخبارًا مثل هذه على جدتي التي كانت ترافقها دائمًا في هودجها خادمة لها وموكلة على دواتها

ومرغريتا هذه الجميلة والحاذقة الساكنة في بلاط مفسود كانت من اول الذين تاثروا من الحركة الدينية القائمة حينئذٍ في فرانسا وكيف وصل الاصلاح الى دوكة النسون في وسط بلاط ذي خلاعة بهذا المقدار ووسط الاخبار الرذيلة التي تتسلى بها. ذلك ان نفسها السامية شعرت باحتياجات لا يسدها الاَّ الانجيل وحدهُ فالنعمة تشتغل في كل مكان والديانة المسيحية التي كان لها اتباع في بيت نركيسوس وبلاط نيرون قبل وصول الرسول الى رومية دخلت بسرعة في زمان تجديدها في بلاط فرنسيس الاول ونساء سادات شرفاء كنَّ يخاطبنَ الملوك بلغة الايمان وتلك الشمس التي اشرقت حينئذٍ على فرانسا وقعت ابكر اشعتها على راس مشهور تكسرت عنهُ على دوكة النسون

من اشهر الاشراف في البلاط وليم مونتبرون ابن الكرد ينال بريكونت من سنت مالوا الذي دخل الكنيسة بعد وفاة زوجتهِ فالامير وليم كان مغرمًا بالدرس وارتسم وصار على التوالي اسقف لوديف ومبوكس وأُرسِل مرتين سفيرًا الى رومية ورجع الى باريس غير مغشوش بتملقات لاون العاشر وامجادهِ

وفي وقت رجوعهِ الى فرانسا كانت الحياة الجديدة سارية في البلاد وفارل كان قد نال درجة معلم في العلوم ودرس في مدرسة الكرد ينال ليموين المشهورة التي هي من جملة الاربع المدارس الاولى للاَّهوت في باريس تعدل الصربون في

الرتبة واثنان من اهالي بلاد لافيفر وهما ارنود وجيرارد روسيل مع اخرين كثيرين زادوا عدد العقول الحرة الكريمة وبريكونت اذ جاء حديثًا من ولائم وملاهي رومية الفاخرة تعجب مما حدث في باريس في مدة غيابهِ واذ كان متعطشًا الى الحق جدد علائقهُ القديمة مع لافيفر وصرف ساعات كثيرة ثمينة مع عالِم الصربون وفارل والروسلين واصدقائهم. وهذا الاسقف الجليل المتواضع القلب اراد ان يتعلم من احقر المسيحيين ولاسيما من الرب نفسهِ فانهُ قال اني في الظلمة انتظر نعمة الجود الالهية التي نُفيت منها بعدم استحقاقي . وكانَّ عقلهُ قد انبهر بواسطة سطوع نور الانجيل وسقطت اجفانهُ امام ضيائهِ الذي لانظير لهُ وقال ايضًا ان اعين جميع الناس هي غير كافية لقبول كل نور هذا النيّر العظيم

وكان لافيفر قد اوصى هذا الاسقف بالكتاب المقدس واشار اليهِ بانهُ الدليل الذي يقود الناس راجعًا بهم الى حق الديانة المسيحية الاصلي اي الى ما كان عليهِ هذا الحق قبلما صارت المدارس والطوائف والسنن والتقليدات وبانهُ الواسطة القوية لتجديد ديانة يسوع المسيح فقرا بريكونت الكتاب المقدس وقال ان حلاوة الطعام الالهي هي عظيمة جدًّا حتى انها تجعل العقل غير قابل الشبع فاننا كلما ذقنا ازددنا شوقًا اليها . وحق الخلاص البسيط القوي سحرهُ فانهُ وجد المسيح ووجد الله نفسهُ وقال اي اناء يمكنهُ ان يسع عظم فيضان هذه الحلاوة التي لا تفرغ ولكن المسكن يتسع على قدر رغبتنا في قبول الضيف الصالح فالايمان هو صاحب المنزل الذي وحدهُ يقدر ان يجد لهُ مكانًا او بالاجدر الذي يقدر ان يجعلنا نحل فيهِ لانهُ في الوقت نفسهِ اذ راى هذا الاسقف الصالح تعليم الحياة هذا الذي ارجعهُ الاصلاح للعالم قلما يعتبر في البلاط والمدينة وبين الشعب صرخ قائلاً ما اغرب واثمن هذه الاحدوثة ولكن ما اقل قبولها عند بني جنسي

وبهذه الطريقة دخلت الاراء الانجيلية في وسط بلاط فرنسيس الاول الهازل والمحب الخلاعة والعلوم وكثيرون من اهلهِ الذين كانت لهم دالة تامة عند الملوك كيوحنا دوبالى وبوذيوس وكوب طبيب البلاط وپتيت نفسهُ معرف الملك

مالوا نحو اراء بريكونت ولافيفر وفرنسيس الذي احب العلوم ودعا الى ولايته العلماء المائلين الى المذهب اللوثراني والذي افتكر كما اخبرنا ايراسموس بان يزين ويشرف جيلهُ بذلك على منوال المجد ما كان يقدر ان يفعلهُ بواسطة الاسلحة والاهرام وافخر الابنية قد انقاد هو نفسهُ لاخته وبريكونت ولعلماء بلاطهِ ومدارسهِ فحضر مرارًا في مباحثات العلماء واصغى بابتهاج الى مفاوضاتهم على المائدة ودعاهم اولادهُ وقد اعد الطريق لكلمة الله بواسطة اقامتهِ اماكن لعلماء اللغة اليونانية والعبرانية ومن ثمَّ ثيودوروس بيزا عند ما وضع صورتهُ في اول المصلحين قال ايها الناظر التقي لا تقشعرَّ من نظر هذا الخصم اما يجب ان يكون لهُ حظ في هذا الشرف لانهُ نفى التبربر من العالم وبيد قوية وضع مكانهُ ثلاث لغات وعلومًا صحيحة لكي تكون كانها ابواب للبناء الجديد المزمع ان يُبنَى بعد قليل

وكان في بلاط فرنسيس الاول نفس مستعدة لقبول سطوة عالم ايتا بليس واسقف ميوكس الانجيلية واذ كانت مرغريتا لا تزال تتردد وتتمايل في وسط الجماعة الفاسدة المحدقة بها طلبت المعونة ووجدتها في الانجيل فالتفتت نحو هذه النسمة الطرية المحيية العالم حياةً جديدة واكسبتهُ حبورًا آتية اليهِ من السماء وتعلمت من بعض نساء بلاطها ماذا علم بهِ العلماء الجدد فاعاروها كتابا تهم وكتبهم الصغيرة التي كانت تُدعَى في تلك الايام كراريس وتكلموا معها عن الكنيسة الاولى وعن كلمة الله الخالصة وعن العبادة بالروح والحق وعن الحرية المسيحية التي تنفي نير الخرافات والتقليدات البشرية لكي تربطهم بالله وحدهُ وبعد قليل تكلمت هذه الاميرة مع لافيفر وفارل وروسل وغيرهم وتقواهم وخلوص آدابهم اثرت باجمعها في ضميرها غير ان اسقف ميوكس على الخصوص تمتع زمانًا طويلاً بصداقتها وصار مرشدها في طريق الايمان

وهكذا في وسط بلاط فرنسيس الاول الزاهر وبيت لويزا سافواه محل الرذائل حصل رجوع قلب الى الله وذكرت مرغريتا فيما بعد في اشعارها حركات نفسها المختلفة في ذلك الوقت المهم من حياتها ومن ذلك نتعلم الطريق الذي

سلكت فيهِ فنرى ان الشعور بالخطية قبض عليها بيد قوية وانها بكت على الخفة التي عاملت بها شكوك العالم قبل ذلك فانها صرخت قائلة

هل من وهدة عميقة متسعة تخفي عُشر خطاياي القبيحة

وهذا الفساد الذي بقيت كل هذا الوقت الطويل جاهلتهُ وجدتهُ في كل مكان لان عينيها قد انفتحتا فقالت

اني اشعر بان الاصل داخلي

واما في الخارج فالغصن والورق والزهر والثمر

الاَّ انها في وسط الخوف المسبب عن حالة نفسها شعرت بان السلام قد ظهر لها فقالت

يا الهي قد نزلت الى الارض اليَّ

نعم اليَّ انا الدودة العريانة

ولم يمضِ الاَّ قليل حتى انسكب على قلبها حب الله بالمسيح ووجدت الايمان وامتلأت نفسها فرحًا وسرورًا فقالت

ايها الكلمة الالهي يسوع المخلص

الابن الوحيد للآب الابدي

الاول والآخر ومجدد جميع الاشياء

الاسقف والملك والمظفر القدير

منقذنا من الموت بموتهِ

وبالايمان نصير ابناء الخالق

ومن ذلك الوقت حدث تغيير عظيم في دوكة النسون فقالت

فاني ولئن كنت مسكينة وضعيفة وجاهلة

كم انا غنية وقوية وحكيمة انا بك

الاَّ ان قوة الخطية لم تكن قد ذلت فيها بل انما قاست قتالاً واختلافًا في نفسها اخافاها فقالت

اني بالروح شريفة وبالطبيعة مستعبدة
وغير مائتة ولكن متجهة نحو القبر
ومن جوهر ساوي ولكن من ولادة ارضية
ومسكن الله ولكن كم انا حقيرة

واذ طلبت مرغريتا في الطبيعة رموزًا تدل على احتياجات وعواطف نفسها اختارت رمزًا لها كما قال برنتوم زهر عبّاد الشمس الذي بواسطة اشعته وورقهِ توجد بينهُ وبين الشمس مشابهة اكثر من غيرهِ فيتجه حيث اتجهت . وزادت على ذلك هذه العبارة اني لا اطلب الاشياء السفلية . علامةً لكونها قد وجهت كما يخبرنا المؤرخ المذكور كل اعمالها وافكارها واشواقها وعواطفها نحو ذلك الشمس العظيم الذي هو الله ومن ثمَّ وقعت الشبهة عليها بكونها متمسكة بالمذهب اللوثراني

وفي الواقع قد اختبرت هذه الاميرة بعد ذلك بقليل صدق هذا القول ان جميع الذين يعيشون بالتقوى بيسوع المسيح يضطهدون . فتكلموا في البلاط عن اراء مرغريتا الجديدة وكان العجب عظيمًا . يا للعجب ان اخت الملك ايضًا تتحزب لهولاء القوم وربما ظُنَّ ان هلاك مرغريتا كان لا بد منهُ فوشي بها الى فرنسيس الاول الاَّ ان الملك الذي احب اختهُ محبة شديدة تظاهر بانهُ لا يصدق ذلك عنها واخلاق مرغريتا خففت بالتدريج المضادة قال برنتوم ان كل واحد احبها فانها كثيرة الاحسان ولطيفة وحليمة ومحبة وهنية وكثيرة الصدقات لا تحتقر احدًا وتسبي كل قلب بواسطة صفاتها الفائقة

وفي وسط فساد وخلاعة ذلك العصر يستريح العقل بحبور هذه النفس المختارة التي قبضت عليها نعمة الله تحت مثل هذا الحمل من الاباطيل والعظمة الاَّ ان كونها من الجنس النسائي كان بمنزلة لجام لها ولو شعر فرنسيس الاول باقناعات اختهِ لكان لا محالة تتبعها فقلب الاميرة الجبان ارتعد امام غضب الملك فكانت دائمًا في حالة التردد بين اخيها ومخلصها ولم تقدر ان تعزم على خسارة احدهما ولا يمكننا ان نحسبها مسيحية قد وصلت الى حرية ابناء الله الكاملة فهي رمز صادق

للانفس السامية الكثيرة جدًّا في كل جيل ولا سيما بين النساء اللواتي اذ يجذبنَ بعزم نحو السماء ليست لهنَّ قوة كافية للتخلص بالتمام من الارض

الّا انها على حالتها كانت ذات صفات ممدوحة في ساحة التاريخ ولم يكن لها نظير في جرمانيا ولا في انكلترا فهي كوكب مع انهُ محجوب لامحالة بسحابة رقيقة يعطي نورًا لطيفًا لا يوصف واشعتها في الوقت الذي نحن في شانهِ لمعت باكثر ضياء ولم تخفِ اخت فرنسيس الاول الخائفة ايمانها المقدس عن نور النهار الّا بعد عدة سنين عند ما اظهر الملك بغضة شديدة ضد الاصلاح واما في ذلك الوقت فرفعت راسها في وسط ذلك البلاط الفاسد وظهرت عروسًا للمسيح والاعتبار المقدم لها والصيت الذي لها نظرًا الى فهمها وقلبها حامى عن دعوى الانجيل في بلاط فرانسا على احسن منوال والسطوة اللطيفة التي لهذه المراة كانت وسيلة لدخول التعليم الجديد وربما كان حينئذٍ ابتدا ميل اشراف فرانسا الى قبول المذهب البروتستانتي فلو تبع فرنسيس اختهُ ولو فتحت كل الامة ابوابها للديانة لكان ايمان مرغريتا واسطة لخلاص فرانسا ولكن اذ ترحب الاشراف بالانجيل بقي الملك والشعب تحت تسلط رومية

الفصل الخامس

اعداء الاصلاح في فرانسا

كان الانجيل قد فاز بغلبات عظيمة في فرانسا ولافيفر وبريكونت وفارل ومرغريتا سلموا باختيارهم للحركة التي ابتدات تحرّك العالم وفرنسيس الاول نفسهُ انجذب برونق العلوم اكثر مما اندفع الى الوراء بواسطة قساوة الانجيل واصدقاء كلمة الله توقّعوا ابهج النتائج وظنوا ان التعليم السموي ينتشر من دون مانع في بلادهم وفي الوقت نفسهِ اخذت مقاومة شديدة تنهيا لهُ في البلاط وفي مدرسة

الصربون وفرانسا المزمعة ان تشتهر بين الاقاليم البابا وية الرومانية مدة ثلاثة قرون تقريبًا بواسطة اضطهاداتها قامت بقساوة خالية من الرحمة ضد الاصلاح وكان القرن السابع عشر عصر غلبة دموية وكان السادس عشر عصر قتال شديد وربما لم يوجد مكان آخر صادف فيهِ المسيحيون المصلحون اعداء اقل رحمة في نفس المكان الذي فيهِ رفعوا راية الانجيل ففي جرمانيا كانت اعداؤهم في الاقاليم البابا وية وفي سويسرا في المقاطعات البابا وية واما في فرانسا فكانوا وجهًا لوجه وفي مقدمة جيش اعداء الاصلاح امراة عاهرة ووزير طاع

ان ام الملك ومرغريتا لويزا من ساقواه المشهورة بعهارتها والعنيدة في ارادتها والمحاطة بجماعة من النساء الشريفات التي شرعت دعارتهنَّ في بلاط فرانسا بفضائح وشكوك كثيرة بالطبع ساعدت على مقاومة كلمة الله وخيفت بالاكثر سطوتها على ابنها الاَّ ان الانجيل صادف عدوًّا اقوى وهو صاحب لويزا انطون دوبرات الذي بواسطتها صار وزير المملكة فهذا الرجل الذي يدعوهُ احد المورخين المعاصرين له ارذل جميع الحيوانات فاق طمعهُ عهارة لويزا واذ حصل في اول الامر لنفسهِ ثروة بالرشوات رغب فيما بعد ان يزيد ثروةً بواسطة الديانة فارتسم خوريًا لكي يحصل على اغنى المداخيل والمعاشات

فالشهوة والبخل قد ميزا هذين الشخصين اللذين تمسكا شديدًا بالبابا واجتهدا ان يسترا فضائح سيرتهما بواسطة دم الذين سماهم اراتقة

ومن اول اعمالها انهما اسلما المملكة لحكم البابا الكنائسي والملك بعد حرب مرغنان لقي لاون العاشر في بولونيا وهناك ختمت العهود المشهورة التي بموجبها قسم هذان الملكان غنائم الكنيسة بينهما وابطلا رياسة المجامع لكي يعطوها للبابا واذ نزعا من الكنائس حقها في انتخاب اساقفتها والتصرف بمداخيلها اسلما ذلك الى الملك وبعد ذلك حمل فرنسيس الاول ذيل ثوب البابا وذهبا الى كنيسة بولونيا لكي يثبت فيها هذه الشروط وكان عارفًا بظلم تلك المعاهدة والتفت نحو دوبرات وهمسَ في اذنهِ قائلاً ان ذلك كافٍ لهلاكنا كلينا . ولكن ماذا كان

الخلاص عند مَن لم يطلب الاَّ النقود ومساعدة البابا

واما المجلس الاعلى فقاوم بعزم ذلك الاتفاق فالزم الملك وكلاءهُ ان ينتظروا عدة اسابيع في امبواس ثم استحضرهم امامهُ ذات يوم وقام عن المائدة وقال لهم ان في فرانسا ملكًا فاني لست اريد ان أَدَع مشيخة بندقية تقوم في مملكتي. ثم امرهم بالانصراف قبل المغرب فلم يكن للحرية الانجيلية شيءٌ نترجاهُ من مثل هذا الملك وبعد ذلك بثلاثة ايام جاء الوزير الكبير الى المجلس وامر بتسجيل المعاهدة وعند ذلك هاجت المدرسة وفي ١٨ اذار سنة ١٥١٨ انطلق محفل عظيم حضر فيهِ جميع الطلبة والمعلمين بزيهم الى كنيسة القديسة كاثرينا لكي يطلبوا من الله ان يحفظ حرية الكنيسة والمملكة فاغلقت المدارس وجماعات قوية من الطلبة جالت في المدينة بالسلاح تتهدد واحيانًا تضرب الذين كانوا آخذين في اجراء المعاهدة المذكورة بامر الملك واما المدرسة الكلية فانها اخيرًا احتملت اجراء تلك الاوامر ولكن من دون ابطال الاحكام التي حكمت بها ضدها ومن ذلك الوقت ابتدا الملك يعطي الاسقفيات بيد سخية حسب طلب نساء البلاط وينعم بمداخيل الاديرة على جنودهِ حتى حصل في بلاط فرانسا تجارة في الاسقفيات والرهبانيات كما في فينيسا بالفلفل والكمون

وبينما كانت لويزا ودوبرات يستعدان للاشاة الانجيل بواسطة ملاشاة حرية الكنيسة الفرنساوية قامت جماعة قوية مترفضة ضد الكتاب المقدس. والحق المسيحي في كل حين يلاقي عدوين قويين وهما فساد العالم وتعصب الخوارنة. ومدرسة الصربون والبلاط المفسود جعلا يدًا بيد ضد المعترفين بيسوع المسيح. ففي ايام الكنيسة الاولى اشدُّ اعداء الديانة المسيحية هم الصدوقيون الكفرة والفريسيون المراؤون وهكذا في كل عصر ولم يمضِ الاَّ قليل حتى خرج من ظلام المدارس اعداءٌ للانجيل عادمو الشفقة ورئيسهم نويل بيديار المسمَّى غالبًا بيدا من اهالي بيكاردي وهو من اعوان الصربون ومشهور بانهُ من اشد اهل عصرهِ خصامًا وافسد المفسدين وهذا الرجل الذي تربى في المذاهب اللاهوتية الناشغة ونشأ

في التعاليم الصربونية واعتبر شهرة المدارس اكثر من كلام الله وامتلأ حنقًا على تلك الافواه الجسورة التي تلفظت بتعاليم اخرى واذ كان ذا طبيعة قلقة غير قادر ان يتمتع بشيء من الهدوء طلب دائمًا اعمالاً جديدة فعذّب كل من حوالهُ وعنصرهُ الشغب كانهُ ولد للنزاع وان لم يصادف اعداء اخذ بمشاحنة اصدقائهِ وهذا المتكبر العنيد ملأ المدرسة من المناداة الجاهلة المرة ضد العلوم وضد الاشياء المستجدة في العصر وضد جميع الذين حسب رايهِ لم يجتهدوا بالكفاية في ابطال ذلك وكثيرون عند اصغائهم اليهِ ضحكوا الاَّ ان كثيرين آخرين صدّقوا تمويهات هذا الخطيب المتجرف وشراسة اخلاقهِ اكسبتهُ صولة ظالمة في الصربون فكان لابد لهُ دائمًا من عدو يقاتلهُ وضحية يستاقها الى المحرقة ومن ثمَّ اوجد ارانقة قبل ان يُوجَد اراتيكي وطلب احراق مرلين النائب العام لباريس لاجل اجتهادهِ في تبرئة اوريجانوس ولما راى المعلمين الجدد وثب كوحش برّي يرى بغتةً فريسة هيّنة ميسورة لديهِ. قال ايراسموس الحذور ان في بيدا واحد ثلاثة آلاف راهب الاَّ ان هذه الافراطات كانت اضرت دعواهُ. قال احكم رجال العصر عجبًا أَتركز الكنيسة الرومانية على كتفي اطلس كهذا فمن اين كل هذه القلاقل الاَّ من تمويهات بيدا نفسهِ. والحال ان التمويهات التي اخافت العقول الضعيفة أَنِفَ منها القوم الافاضل. وكان في بلاط فرنسيس الاول رجل من ارتواه اسمهُ لويس دي بركوين. كان حينئذٍ ابن نحو ثلاثين سنة ولم يتزوج قط وطهارة سيرتهِ وجودة معرفتهِ حصَّلت لهُ لقب اعلم الاشراف وسداجتهُ ومحبتـهُ نحو الفقراء وشدة تعلقهِ باصدقائهِ جعلتهُ اشهر اقرانهِ ولم يكن احد اشد حفظًا منهُ لطقوس الكنيسة واصوامها واعيادها وقداساتها وكره جدًا كل ما تسمى ارنقة وكان وجود هذا القدر من الورع في البلاط امرًا عجيبًا. وبان ان لا شيء يقدر ان يميل بمثل هذا الرجل نحو الاصلاح الاَّ انهُ كانت فيهِ مزية او مزيتان يُرجى منهما اقتيادهُ الى الانجيل. اي كره كل نوع من الرياء وبما انهُ لم يرغب قط في ان يؤذي احدًا بنفسهِ لم يطق ان يرى اذى الآخرين وظلم بيدا وغيرهِ من المترفضين وخصوماتهم واضطهاداتهم

ملأت نفسهُ الكريمة غيظًا واذ لم يفعل شيئًا من قفا اليد كان من عادتهِ ان يقاوم بكل نشاط حيثما توجَّه في المدينة او في البلاط حتى وبين اعظم اكابر المملكة ظلم هولاء العلماء ويقاتل تلك العقارب المكروهة التي كانت حينئذٍ ترعب العالم حتى في اوكارها كما يخبرنا ثيودوروس بيزا

وهو لم يقف على ذلك بل مضادة بركوين للظلم قادتهُ الى الفحص عن الحق فرغب في ان يعرف ذلك الكتاب المقدس العزيز لدى القوم الذين عج عليهم بيدا واتباعهُ وحالما ابتدا يقرا هذا الكتاب خلب لبَّهُ فاتحد بركوين في الحال مع مرغريتا ولافيفر وبريكونت وجميع اولئك الذين احبوا الكلمة وذاق في معاشرتهم اخلص الافراح وشعر بان لهُ شيئًا آخر يعملهُ غير مضادة الصربون واحب ان يظهر آراءهُ لجميع فرانسا فابتدا حالاً يكتب ويترجم بعض الكتب المسيحية الى اللسان الفرنساوي وترايا لهُ ان كل انسان يقر بالحق ويقبلهُ بسرعة كما فعل هو نفسهُ والنشاط الذي ابداهُ بيدا في خدمة التقليدات البشرية استعملهُ بركوين في خدمة الله مع انهُ اصغر في السن من معاون الصربون واقل فطنة وحذاقة بل كانت عندهُ محبة الحق الكريمة وكانا مصارعين قويين عنيدين ان يحاول كل واحد صرع الآخر. بل قصد بركوين مقصدًا آخر غير الغلبة على بيدا وهو ان يسكب سيول الحق على جميع اهالي بلادهِ ومن ثمَّ يقول ثيودوروس بيزا ان فرانسا ربما كانت وجدت لوثيروسًا آخر في بركوين لو وجد هو منتخبًا آخر في فرنسيس الاول

وموانع كثيرة صدَّت جهادهُ فان الترفض لهُ تلاميذ في كل مكان وهو نار تنتشر بعيدًا وقريبًا فالرهبان والخوارنة تحزبوا لعون الصربون وروح التعصب ملأ كل الجيش الذي حكم عليهِ قواد قليلون اصحاب حيل واوهام وفي جميع اجتماعاتهم تكلم هولاء الرؤساء فحكموا على حزبهم بواسطة القهر والزموا اصحاب الاعتدال وضعفاء العقول بالصمت واذا صرخ احدٌ براي يقرب العقل صرخ هولاء القواد حالاً قائلين اننا سوف نرى سريعًا من هم البدعة اللوثرانية واذا

نطق احد بشيءٍ صوابي حلّت القشعريرة على بيدا وايكوتوربر ودوشسني وكل الجماعة وكان الجميع يصرخون دفعة واحدة انهُ اردأ من لوثيروس وهذه الحيلة نجحت لان العقول الجبانة التي تفضل السلامة على الجدال واولئك القوم الذين هم مستعدون لان يتركوا آراءهم لاجل منفعتهم الخصوصية والذين لا يفهمون ابسط المسائل واخيرًا الذين تسوقهم دائمًا ضجة الآخرين صاروا باجمعهم انصار بيدا واتباعهُ فالبعض سكتوا والبعض جلبوا والجميع خضعوا لتلك السطوة التي يمارسها عقل متكبر قاسٍ على الاشخاص الساذجين فهكذا كانت حالة تلك الجماعة وكانت في ذلك الوقت اشد عدو للديانة المسيحية الانجيلية

وهكذا المدرسة التي في ايام لويس الثاني عشر مدحت جدًّا ميل المابن الى الحرية غاصت بغتةً في ايام دوبرات واوبزا من ساقوه في الترفض وحالة الرق فاذا استثنينا الجانسنيين ومعلمين آخرين قليلين نرى انهُ لم يوجد قط حرية شريفة حقيقية بين الاكليروس الفرنساوي فانهم لم يفعلوا قط شيئًا اكثر من التردد بين العبودية للبلاط والعبودية للبابا. وفي ايام لويس الثاني عشر او لويس الرابع عشر حصلوا في ظاهر الامر على شيءٍ من الحرية ولكن ذلك انما كان لان معلمهم في باريس كان في خصام مع معلمهم في رومية وهكذا يعالل عن التغيير الذي اشرنا اليهِ فان المدرسة والاساقفة نسوا حقوقهم وواجباتهم حالما تغاضى الملك عن الامر بحفظها

ومضى على بيدا زمان طويل وهو غضبان على لافيفر فان شهرة خطب عالِم بيكاردي اغضبت ابن بلادهِ ونخت كبرياءهُ فرغب جدًّا في ان يسكتهُ وكان بيدا قد قاوم مرةً عالِم ايتابليس واذ لم يقدر على تمييز التعاليم الانجيلية قاوم قرينهُ في قضية كادت ترسل لافيفر الى المحرقة فان هذا العالِم كان قد زعم ان مريم اخت لعازر ومريم المجدلية ومريم الخاطئة هنَّ ثلاثة اشخاص ممتازة والآباء اليونانيون كانوا قد ميزوهنَّ واما الآباء اللاتينيون فزعموهنَّ واحدة فحرك بيدا وكل جندهِ هذه الارتقة الفظيعة بخصوص المجدليات الثلاث فهاج عالم المسيحيين

وفيشر اسقف روشستر الذي كان من اشهر اساقفة ذلك العصر كتب ضد لافيفر وجميع الكنيسة حكمت حينئذٍ ضد راي متفق عليهِ الآن من كل باباوي روماني ولافيفر بعد ان حُكِم عليهِ من الصربون وقضى عليهِ الديوان كارانيكي قام فرنسيس الاول الذي فرح بفرصة لضرب الصربون واذلال الرهبان وانقذهُ من ايدي مضطهديهِ

ولما رأى بيدا غنيمتهُ تفلت من بين يديهِ حنق وعزم على ان يرميهُ بسهمٍ لا يخطي. واسم لوثيروس ابتدا يسمع بهِ في فرنسا فان هذا المصلح بعد جدالهِ مع المعلم آك في ليپسك قبل ان تكون مدرسة ارفورث وباريس قاضيتين في امرهِ. والغيرة التي ابدتها مدرسة باريس ضد المعاهدة بين الملك والبابا جعلتهُ يرجو ان يجد قضاة خالي الغرض بين اعضائها الّا ان الاوقات تغيرت وبالنسبة الى شدة مقاومتهم اختلاسات رومية اجتهدوا ان يثبتوا استقامة ايمانها ومن ثمَّ وجدها بيدا مائلة بالتمام الى الدخول في آرائهِ

وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٥٢٠ اشترى خازن فرانسا عشرين نسخة من المحاورة بين لوثيروس وآك لاجل توزيعها بين اعضاء العمدة العتيدة ان تقدم تقريرًا عن هذه القضية وصُرِف اكثر من سنة في هذا البحث والاصلاح الجرماني ابتدا يحدث حاسية عظيمة في فرانسا وفي المدارس الكبيرة التي كانت حينئذٍ مدارس كاثوليكية على الحقيقة والمسيحيون اتوها من كل جهة من البلاد المسيحية فحصلت جرمانيا وفرانسا وسويسرا وانكلترا على نسبة بعضها الى بعض نظرًا الى اللاهوت والفلسفة اقرب واسرع من الحادثة بين المدارس في هذه الايام والاخبار الشائعة في فرانسا عن نجاح لوثيروس قوَّت ايدي لافيفر وبريكونت وفارل وامثالهم وكل غلبة من غلبتهِ زادتهم قوة وتلاميذ مدرسة الصربون تعجبوا من الحقوق التي وجدوها في مصنفات راهب وتمبرج وكثيرون اقرُّوا بالحق لكنهم لاقوا مقاومة شديدة. قال كرافير ان اوروپا باسرها كانت في انتظار حكم مدرسة باريس واخيرًا غلب بيدا وفي نيسان سنة ١٥٢١ حكمت المدرسة بان كتب

لوثيروس تحرق جهارًا وبان يُغصَب مؤلّفها على الرجوع

ان تلاميذ لوثيروس عبروا نهر الرين قبل كتبهِ. قال مايمبرج اليسوعي انهُ في مدة قصيرة امتلأت المدرسة من الغرباء الذين لاجل معرفتهم قليلاً من العبراني واكثر من ذلك من اليوناني صار لهم صيت ودخلوا في بيوت الاعيان وادَّعوا بجسارة بان لهم حقًّا بتفسير الكتاب المقدس فاقامت مدرسة اللاهوت وكلاء لاجل اعراض آرائهم الى الملك

ان الملك فرنسيس الاول لم يبالِ بنزاع اللاهوتيين وبقي في طريق لذاتهِ وانتقل من قصر الى قصر مع انصارهِ والنساء اللواتي كنَّ في رفقة امهِ واختهِ وتمتع بكل نوع من الخلاعة وهو بعيد عن ملاحظة اهالي العاصمة وهكذا مرَّ في بريتان وانجو وغوينا وانغومويس وبويتو يعيش عيشة متراخية في القرى والاحراش ايضًا كانهُ في باريس في قصرهِ المسمَّى التورنلّس

الَّا انهُ ترك تنعماتهِ حينًا لكي يقابل وكلاء الصربون على انهُ لم يعتبر الذين أُحصوا بين الاراتقة الَّا علماء فهل كان ممكنًا للملك قد اعتنق ملوك فرانسا ان يحني عنقهُ امام بعض العلماء المترفضين فاجاب انني لا اقبل بمعارضة هولاء القوم فان اضطهاد الذين يعلموننا يمنع العلماء الماهرين من الاتيان الى بلادنا

فترك الوكلاء الملك وهم حنقون جدًّا. فماذا تكون النتيجة. المرض يزداد قوة كل يوم وقد لُقّبت الآراء الاراتيكية آراء الرجال العقلاء والنار المبتلعة ابتدات تدخل في اخفى الاماكن ولا يمضي الَّا قليل حتى يمتد الحريق وبناء الايمان في كل فرانسا يسقط سقوطًا هائلاً اي بناء الايمان الباباوي

ان بيدا وحزبهُ اذ لم يقدروا ان ينالوا اذن الملك لاجل نصب المحرقات التجأُوا الى اضطهادات اكثر خباثة ولم يكن نوع من الانزعاج الَّا واصيب المصلحون بهِ والاخبار الجديدة والتهديدات الحديثة كانت تتبع بعضها بعضًا كل يوم ولافيفر الشيخ اذ اتعبهُ هولاء الغيورون الجهال كان يتوق الى الراحة وبريكونت التقي الذي احترم عالم ايتابليس احترامًا دائمًا قدم لهُ ملجأً فترك لافيفر باريس واعتزل

الى ميوكس وهذه هي الغلبة الاولى التي حصلت على الانجيل وظهر حينئذٍ ان الحزب الروماني اذا لم يقدر ان يميل بالسلطة المدنية الى جانبهِ فانهُ يوجد قوة سرية ذات تعصب شديد يقدر بواسطتها ان ينال مرغوبهُ

الفصل السادس

زيارة بريكونت رعيتهُ . مكاتبة بين مرغريتا وبريكونت

حسبما تقدم ذكرهُ اخذت باريس بالقيام ضد الاصلاح وباقامة تلك الاسوار التي منعت دخول العبادة المصلحة مدة ثلاثة قرون. وكانت ارادة الله ان الانوار الاولى تضيء على العاصمة فقام الناس في الحال لاطفائها فان روح الستة عشر وكيلاً اخذ يهيج في قصبة المملكة ومدن اخرى قبلت النور الذي رفضتهُ باريس

وعند رجوع بريكونت الى ابرشيتهِ ابدى غيرة المسيحي والاسقف فانهُ زار كل رعيتهِ وجميع اصحاب الوظائف في الكنيسة واعيان الشعب وفحص عن تعاليم الواعظين وسيرتهم فاخبروهُ بان الفرنسيسيين في ميوكس يتحدثون بجولانهم في وقت الجمع وواعظ واحد يزور اربع او خمس خورنيات في يوم واحد ويعظ دائماً العظة الواحدة بعينها لا لكي يقيت انفس سامعيهِ ولكن لكي يملأ بطنهُ وكيسهُ ودبرهُ واذا امتلأت اخراجهم حصلوا غايتهم وتنتهي المواعظ ولا يعود الرهبان يُرَون ايضاً في الكنائس الى زمان جمع اخر والشغل الوحيد لهولاء الرعاة هو ان يجزوا غنمهم. واكثر الخوارنة كانوا يصرفون مداخيلهم في باريس ولما وجد هذا الاسقف الصالح خورنية من الخورنيات التي ذهب لزيارتها متروكة صرخ قائلاً وااسفاه اما هم خائنون الذين يتركون هكذا خدمة يسوع المسيح. فعزم بريكونت على معالجة هذه الشرور وطلب انعقاد مجمع من جميع اكليروسهِ في ١٣ تشرين الاول سنة ١٥١٩ ولكن هولاء الخوارنة الدنيويين قلما كانوا يعبأُون بما قالهُ اسقفهم لاجل انشغافهم

بالملاهي الكثيرة في باريس فاستعانوا بعادة توذن لهم بان يوكلوا واحدًا او اثنين من الخوارنة لاجل خدمة رعاياهم في غيابهم ومن مئة وعشرين من هولاء الخوارنة لم يكن سوى اربعة عشر اعجبوا بريكونت عند فحصهِ اياهم

فكانت الكنيسة حينئذٍ مركبة من خوارنة دنيويين وقسوس جهلاء ورهبان لم يكونوا يفتكرون الأ ببطونهم فمنع بريكونت الفرنسيسيين من الدخول الى المنبر واشهر منشورًا في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٥٢٠ قال فيهِ ان جميع الرعاة الذين بواسطة تركهم رعاياهم يوضحون جليًّا ان ما يحبونهُ فيهم انما هو جزاتهم وصوفهم فهم خائنون وهاربون واختار آخرين قادرين وسلم لهم الرعية الضعيفة المفتداة بدم يسوع المسيح الاقدس واذ تحقق ان الواسطة الوحيدة لاجل ايجاد خدام مقتدرين لابرشيتهِ هي ان يربيهم هو نفسهُ عزم على اقامة مدرسة للاهوت في ميوكس تحت نظارة علماء اتقياء ماهرين

اما المترفض بيدا وجماعتهُ فلم تخل همتهم واذ تذمروا بمرارة من غض نظر الحكومة اشهروا بانهم يقيمون حربًا على التعاليم الجديدة مع الحكم وبدونهِ وضدهِ فباطلاً ترك لافيفر العاصمة ألم يبقَ فارل واصحابهُ هناك . نعم ان فارل لم يعظ لانهُ لم يكن مرسومًا الأ انهُ كان في المدرسة والمدينة مع المعلمين والخوارنة والطلبة والاهالي يحامي بجسارة عن عمل الاصلاح واذ تحرك آخرون بواسطة مثالهِ كانوا يعظون بالانجيل باكثر مجاهرة وواعظ شهير اسمهُ مرشيال مازورير رئيس مدرسة مار ميخائيل القى جانبًا كل استتار وصوّر فضائح ذلك العصر باعظم واصدق الالوان ومدافعة فصاحتهِ ظهرت امرًا مستحيلاً فاشتد غيظ بيدا واصدقائهِ الى الدرجة القصوى فقال اننا اذا احتملنا هولاء المخترعين فانهم يغلبون على كل هذه الجماعة وتكون نهاية تعاليمنا وتقليداتنا ووظائفنا والاعتبار الذي لنا من اهالي فرانسا ومن كل عالم المسيحيين

وكان علماء اللاهوت في الصربون الحزب الاقوى فان فارل ومازورير وجيرد روسيل واخاهُ ارنولد وجدوا سريعًا ان اجتهاداتهم القوية تقاوم في كل

مكان فطلب اسقف ميوكس من اصحابهِ ان ياتوا ويتحدوا مع لافيفر وهولاء القوم الفاضلون الذين اصطادهم الصربونيون ترجوا ان يكونوا جيشًا مقدسًا لاجل نصرة الحق فاجابوا دعوة الاسقف واتوا الى ميوكس وهكذا نور الانجيل اعتزل بالتدريج عن العاصمة التي فيها اضرمت العناية جذواتهِ الاولى وهذه هي الدينونة ان النور قد جاء الى العالم واحب الناس الظلمة اكثر من النور لان اعمالهم كانت شريرة (يو ٣: ١٩) ولا محل للريب بان باريس جلبت حينئذٍ على نفسها دينونة الله المشار اليها بكلمات يسوع المسيح هذه

ان مرغريتا من فالواه اذ خسرت على التوالي بريكونت ولافيفر واصحابهما اضطربت من وحدتها الموحشة في وسط باريس وبلاط فرنسيس الاول الموعب دعارة . وكانت عندها خالتها اميرة فتاة اسمها فليبرتا من سافوراه .وفليبرتا هذه التي دفعها ملك فرانسا زوجةً ليوليانوس اخي لاون العاشر العظيم اثباتًا للمعاهدة فانطلقت الى رومية بعد عرسها واذ انسرجدًّا البابا بذلك العهد العظيم صرف ١٥٠٠٠٠ دوكات في ولائم مسرفة في ذلك الوقت وبعد مدة يسيرة مات يوليانوس الذي كان حينئذٍ قائدًا للجيوش الباباوية وزوجتهُ في سن الثماني عشرة فقط فتعلقت بمرغريتا التي لاجل معرفتها وفضائلها كانت لها سطوة عظيمة على كل من حولها وكآبة فليبرتا فتحت قلبها لصوت الديانة وسبغت مرغريتا عليها كل ما تقراهُ فابتدات زوجة قائد الكنيسة تذوق لذات تعليم الخلاص الَّا ان عجز فليبرتا قصر عن مساعدة صديقتها فارتعدت مرغريتا مرارًا عند ما افتكرت بشدة ضعفها واذ ساقتها محبتها للملك وخوفها من اغاظتهِ الى شيء يضاد ضميرها اضطربت نفسها حالاً فرجعت بحزن الى الرب ووجدتهُ اخًا ومعلمًا اشفق عليها واعزا الى قلبها من فرنسيس نفسهِ وحينئذٍ قالت ليسوع المسيح

ايها الاخ الحلو الذي عند ما لك حق ان توبخ

اختك الجاهلة تاخذها الى جانبك

وتعطيها نعمة ومحبة جزاء

للتذمرات والاذى والاهانات

فما اعظم ما عملتهُ ايها الاخ العزيز

وما اعظم ما احتملتهُ لاجل هذه الاخت الساقطة

واذ رات مرغريتا جميع اصدقائها يذهبون الى ميوكس نظرت اليهم بحزن من وسط ولائم البلاط وظهر ان الكل تركها ثانيةً وزوجها دوك النسون انطلق الى العسكر وفليبرتا خالتها الفتاة كانت منطلقة الى سافواه فالتفتت هذه الاميرة الى بريكونت فكتبت اليهِ تقول يا اسقف ميوكس اذ انا عارفة بان واحدًا فقط هو ضروري فالتجي اليك طالبة منك ان تصلي لكي يرشد الله حسب ارادتهِ المقدسة الدوك النسون الذي هو بامر الملك منطلق قائدًا عامًا لجيشهِ الذي اخاف من انهُ لا ينفك من دون حرب وانا مفتكرة بانك ما عدا خير المملكة العمومي تهتم جدًا بكل ما يتعلق بخلاصهِ وخلاصي فاطلب مساعدتك الروحية . خالتي من نيمورس منطلقة غدًا الى سافواه وانا مضطرة الى التداخل في امور كثيرة توجب لي خوفًا كثيرًا ولهذا اذا كنت تعلم بان المعلم ميخائيل يقدر ان يسافر الى هنا فان ذلك يكون تعزية لي انما اطلبها لاجل اكرام الله

ان ميخائيل ارندا الذي طلبت مرغريتا مساعدتهُ كان من الجمعية الانجيلية في ميوكس وقدم نفسهُ فيما بعد عرضةً لمخاطر كثيرة في التبشير بالانجيل

وهذه الاميرة التقية رأَت بخوف ان مضادة الحق ازدادت كل يوم قوةً فان دوبرات واصحاب الحكومة وبيدا وتلاميذ الصربون ملأُوها خوفًا فاجاب بريكونت لاجل تشجيعها قائلاً ان المسيح يخبرنا في الانجيل بانهُ انما جاء لكي يلقي حربًا على الارض ونارًا ايضًا اي النار التي تحول الاشياء الارضية الى اشياء سموية فاني ارغب بكل قلبي ان اساعدكِ ايتها السيدة ولكن لا تنتظري شيئًا من حقارتي الا الارادة فان من لهُ ايمان ورجاءُ ومحبة لهُ كل ما يطلبهُ ولا يحتاج الى مساعدة او نجدة فان الله هو الكل في الكل ولا يمكن وجود شيءٍ بدونهِ فاذا اردتِ ان

تحاربي فخذي معكِ ذلك الجبار العظيم اي المحبة التي لا توصف فان الحرب تجري بواسطة الحب ويسوع المسيح يطلب حضور القلب والذي يبتعد عنهُ فهو الشقي فمن حارب بنفسهِ فانهُ يوقن بالغلبة والذي يحارب بواسطة الآخرين فانهُ مراراً كثيرة يقصر

ان اسقف ميوكس ابتدا يعرف من اختبارهِ الشخصي ما هي الحرب لاجل كلمة الله اما اللاهوتيون والرهبان اذ حنقوا من اعطائهِ ملجأً لاصدقاء الاصلاح فاشتكوا عليهِ بشدة حتى ان اخاهُ اسقف سنت مالو اتى الى باريس لاجل الفحص عن هذه القضية ومن ثمَّ تاثرت مرغريتا من التعزيات التي خاطبها بها بريكونت واجابتهُ بالاستعداد لمساعدتهِ

فانها كتبت اليهِ تقول اذا كنت تفتكر اني اقدر ان اساعدك او اساعد من يختص بك فاترجاك ان تصدق بان كل تعبٍ يأول الى تعزيتي فاسال الله ان تكون لك السلامة الابدية بعد هذه الحروب المستطيلة التي تحارب بها لاجل الايمان وترغب ان تموت فيها ابنتك بجملتها

مرغريتا

وهو امر يرثى لهُ ان بريكونت لم يمت في هذه المجاهدة الاَّ انهُ كان حينئذٍ مملوءًا ايمانًا . وفليبرتا نيمورس التي كانت معتبرة من الجميع لاجل خلوص تقواها وكرمها على الفقراء وطهارة حياتها قرات برغبة شديدة الكتابات الانجيلية التي أُرسلت اليها من اسقف ميوكس فكتبت مرغريتا الى بريكونت تقول ان عندي جميع الكراريس التي ارسلتها لي وقد حصلت خالتي فليبرتا على نصيبها منها وسوف ارسل لها باقيها لانها في سافواه في عرس اخيها وذلك لي خسارة ليست زهيدة ومن ثم اترجاك ان تشفق على وحدتي . الاَّ ان فليبرتا لم تعِش زمانًا طويلاً كافيًا لاظهار نفسها علانيةً الى جانب الاصلاح فانها توفيت سنة ١٥٢٤ في قلعة فيريولاغرند في بوجي ولها من العمر ست وعشرون سنة وكان ذلك ضربة شديدة لمرغريتا فان صديقتها واختها التي كانت تعرفها معرفة تامة أُخذت

منها ولربما وُجد شخص واحد فقط اي اخوها كان موتهُ سبب لها حزنًا اعظم من موت فليبرتا فقالت

ما اعظم ينابيع الدموع الجارية من عيني

فانها تغطي عن النظر الارض والسماء

واذ شعرت مرغريتا بعدم اقتدارها على دفع كابتها واخاديع البلاط الملوكي ترجت بريكونت ان يحثها على محبة الله فاجاب الاسقف المتواضع بقولهِ

اسال يسوع الوديع اللطيف الذي يريد وهو وحدهُ يقدر ان يتم ما يريدهُ بقوة ان يفتقد برحمتهِ غير المتناهية قلبكِ ويحثكِ على محبتهِ بكل قلبكِ وليس احد غيرهُ ايتها السيدة يقدر ان يفعل هذا فلا يجب ان تطلبي النور من الظلمة ولا الحرارة من البرد فانهُ بواسطة الجذب يضرم وبواسطة الاضرام يجذب الى اتباعهِ اذ يوسع القلب فياسيدة انكِ تكتبين اليَّ ان اشفق عليكِ بما انكِ وحدكِ فاني لا اقدر ان افهم هذه الكلمة فان من يعيش في العالم وقلبهُ في العالم هو وحدهُ لان الكثرة والشر يسيران معًا ولكن تلك التي قلبها قد مات عن العالم وهو منتبه ليسوع الوديع اللطيف عريسها الحقيقي الشرعي تكون حقًا وحدها لانها تعيش على الشيء الوحيد المحتاج اليهِ الّا انها مع ذلك ليست وحدها لانها لا تُترك من ذلك الذي يملأ جميع الاشياء ويحفظها فلا اقدر ولا يجب ان اشفق على مثل هذه الوحدة التي يجب ان تعتبر اكثر من العالم باسرهِ الذي اوثق ان الله بمحبتهِ قد انقذكِ منهُ ولستِ تلبثين ان تكوني ابنتهُ فابقي يا سيدة وحدكِ في الواحد الوحيد الذي لكِ وقد ارتضى ان يحتمل موتًا وآلامًا موجعة مبرحة من اجلكِ

فاترجاكِ ياسيدة ان لا تعودي تستعملين كلمات كالتي استعملتها في مكاتيبكِ الماضية فانتِ ابنة وعروس الله وحدهُ فلا يجب ان تطلبي ابًا آخر فاحثكِ وانذركِ ان تكوني لهُ ابنة جيدة كما انهُ هو اب صالح لكِ وبما انكِ لا تقدرين ان تدركي هذا لان المحدود لا يقدر ان يقايس غير المحدود اصلّي اليهِ ان يتنازل

ويزيدك قوة لكي تحبيهِ وتعبديهِ بكل قلبك

ومع كل هذه المواعظ لم تتعزَّ مرغريتا فانها تاسفت بمرارة على فقد رعاتها والرعاة الجدد الذين وُضِعوا عليها لكي يرجعوها لم تكن تثق بهم ومع كل ما قالهُ الاسقف رأت نفسها وحدها في وسط البلاط وكل ما حولها مظلمًا مقفرًا فكتبت الى بريكونت انني التزم ان اطلب احسانك كنعجة في بلاد غريبة تجول من مكان الى مكان لا تعلم اين تجد مرعاها لسبب عدم معرفتها لرعاتها الجدد فترفع راسها بالطبع لتستمد النسيم من تلك الجهة التي كان الراعي العظيم معتادًا ان يعطيها منها قوتًا حلوًا فانحدر من الجبل العالي ولاحظ بالشفقة بين هذا الشعب المظلم النعجة الاكثر عماوة في حظيرتك

فاخذ اسقف ميوكس في جوابهِ كتابة مرغريتا النعجة الضالة التي شبهت مرغريتا نفسها بها وطفق يصف اسرار الخلاص تحت صورة حرش فقال ان النعجة التي تدخل الحرش يقودها الروح القدس فتسحر حالاً بجودة وجمال واستقامة وطول وعرض وعمق وعلو هذا الحرش وبحلاوة وذكاء رائحتهِ وعندما التفتت الى ما حولها رأتهُ وحدهُ في الجميع والجميع فيهِ واذ تجري بسرعة في اعماقهِ تجدهُ عذبًا جدًا حتى ترى الطريق حياةً وفرحًا . ثم يظهر لها الاسقف النعجة تفتش باطلاً على حدود الحرش (وذلك مثال للنفس التي تريد ان تقيس اسرار الله) وتصادف جبالاً عالية تجتهد في ان تصعد عليها فتجدها في كل مكان عالية لا ترام ثم يعلمها ما هي الطريق التي بواسطتها تغلب النفس التي تفتش على الله جميع هذه الصعوبات ويبين كيف ان النعجة في وسط الرعاة الأجرى تجد مخدع الراعي العظيم وتدخلهُ على اجنحة التامل بالايمان فان كل شيء يكون سهلاً وكل شيء يتضح ثم تبتدي ترتل قائلة اني قد وجدت ذلك الذي تحبهُ نفسي

فهكذا كتب اسقف ميوكس وكان في ذلك الوقت مضطرمًا بالغيرة وود ان يرى فرانسا باسرها تتجدد بالانجيل واشتغل عقلهُ مرارًا بالتامل على الخصوص باولئك الثلاثة الاشخاص الذين كانوا مرآة شعبها اعني الملك وامهُ

واخته فافتكر انهُ اذا كانت العائلة الملوكية تستنير فان جميع الشعب يستنير ايضًا والخوارنة تنتهض غيرتهم فيستفيقون اخيرًا من نعاسهم فكتب الى مرغريتا يقول يا سيدة اني اطلب بتواضع من الله القادر على كل شيء ان يرتضي بجودتهِ باضرام نار في قلب الملك وامهِ وقلبكِ لكي ينبعث منكم نور يضرم وينير باقي الامة ولا سيما تلك الجماعة التي ببردها يتجلد الباقون

ولكن مرغريتا لم تشاركهُ في هذه الآمال فانها لا تتكلم عن اخيها ولا عن امها لانها من الامور التي لم تكن تتجاسر ان تتعرض لها وفي جوابها الاسقف في كانون الثاني سنة ١٥٢٢ بقلب منكسر من جرى عدم اكتراث الذين حولها وميلهم الى الدنيا قالت ان الازمان هي باردة جدًّا وقلبي مجلد جدًّا وهي تمضي مكتوبها ابنتك المجلدة العطشانة الجائعة مرغريتا

وهذا المكتوب لم يضعف بريكونت الّا انهُ جعلهُ يفتكر واذ شعر بعظم احتياجهِ الى من يحركهُ مع رغبتهِ في ان يحرك الآخرين طلب من مرغريتا وفليبرتا ان تصليا من اجلهِ وكتب ببساطة عظيمة يقول يا سيدة اترجاكِ ان تنبهي المتناعس المسكين بصلواتكِ

فهكذا كانت سنة ١٥٢١ الافكار المتبادلة في بلاط فرانسا وهذه المكاتبة امرٌ غريب لا محالة قد حفظتها لنا اكثر من ثلاثة اجيال نسخة خط وُجدت في المكتبة الملكية فهل كانت سطوة الاصلاح هذه في مثل تلك الاماكن السامية منفعة لهُ او ضررًا فان حُمة الحق لسعت البلاط الّا انها ربما هيجت فقط الوحش المتناعس وبواسطة تهييجها غضبهُ جعلتهُ يثب بحنق اشد على اودع القطيع

الفصل السابع

الكنيسة في ميوكس. سقوط بريكونت الاول. الاضطهاد. فرنسيس لامبرت

حان حلول العاصف بالاصلاح بعد بذارهِ بذارًا آخر وجمع بعض اغمار

اخرى ومدينة ميوكس التي اشتهرت بعد قرن ونصف بواسطة المحامي السامي عن حقوق كنيسة فرانسا ضد تمويهات رومية الظالمة كانت عتيدة ان تكون البلدة الاولى في فرانسا حيث تشيد الديانة المتجددة سلطانها وكانت حينئذٍ الحقل الذي فيهِ بذل الفعلة اجتهادهم وزرعهم وصارت السنابل تتساقط امام الحصادين وبريكونت شدد الجميع وشجعهم وارشدهم ونجاحهُ كان بالنسبة الى غيرتهِ ولم يكرس قط انسان ثروتهُ لمقاصد افضل ولا وعد قط تفرُّغ شريف مثل هذا في اول الامر بحمل اثمار مجيدة كهذهِ وانقى المعلمين الذين انتقلوا من باريس الى ميوكس شرعوا من ذلك الوقت يفعلون باكثر حرية وكان للكلام حرية وخطا حينئذٍ الاصلاح في فرانسا خطوة كبيرة ولافيفر فسر بنشاط ذلك الانجيل الذي رغب ان يملأ العالم منهُ فصرخ قائلاً ان الملوك والامراء والاشراف والشعب وكل الامم يجب ان يفتكروا بالمسيح وحدهُ ويتوقوا اليهِ وحدهُ ويجب على كل خوري ان يماثل ذلك الملاك الذي رآهُ يوحنا في جليانهِ يطير في الهواء ماسكًا الانجيل الابدي بيدهِ وحاملاً اياهُ لكل شعب وامة ولسان وملك فاقتربوا ايها الاحبار وتعالوا ايها الملوك وهلمَّ يا كرماء القلوب وانتبهوا ايها الشعوب لنور الانجيل واقبلوا الحياة السموية فان كلمة الله هي كلية الكفاية

وكانت قاعدة تلك المدرسة ان كلمة الله كافية على التمام. وفي هذه العبارة كل الاصلاح موجود قال لافيفر وهوسيل وفارل ان معرفة المسيح وكلامهُ هي اللاهوت الوحيد الحي العمومي ومن عرف ذلك عرف كل شيء

فاحدث الحق تاثيرًا عميقًا في ميوكس واجتمعت اجتماعات خصوصية في اول الامر ثم محاورات واخيرًا ابتدأوا يعظون بالانجيل في الكنائس الآن اجتهادًا جديدًا اوقع برومية ضربة اشد

واراد لافيفر ان يمكّن مسيحيي فرانسا من قراءة الكتب المقدسة وفي ٣٠ تشرين الاول سنة ١٥٢٢ اشهر ترجمة فرنساوية للاربعة اناجيل وفي ٦ تشرين الثاني اشهر ترجمة الكتب الباقية من العهد الجديد. وفي ١٢ تشرين الاول سنة

١٥٢٤ اشهر جميع تلك الكتب معًا في بيت كولين في ميوكس وفي سنة ١٥٢٥ اشهر ترجمة المزامير الى الفرنساوي وهكذا ابتدا في فرانسا طبع وتوزيع الكتب المقدسة في اللسان الدارج الذي كان عتيدًا ان يُنشَر بنوع عجيب في كل العالم بعد ثلاثة قرون في نفس الزمان تقريبًا الذي ابتدا فيهِ ذلك في جرمانيا . ففي فرانسا كما في الجانب الآخر من الرين كان للكتاب المقدس سلطان عظيم والاختبار علَّم رجالاً كثيرين من اهالي فرانسا انهم عندما طلبوا معرفة الامور الالهية احدق بهم الشك والارتباك من كل جانب . وكم من مرة كادوا يحسبون اصدق الحقوق اوهامًا محضة . واننا نحتاج الى نور من السماء لكي ينير ظلمتنا . وهكذا صرخت انفس كثيرة في عهد الاصلاح . وباشتياقات كهذه قبل كثيرون الاسفار المقدسة من يدي لافيفر وقرأُوها على عيالهم سرًّا وصارت المفاوضات عن الكتب المقدسة كثيرة وتلك الانفس التي مضى عليها كل ذلك الزمان وهي في حالة الطغيان ظهر لها المسيح شمس كل وحي ومركزهُ ولم يعودوا يحتاجون الى براهين لاثبات كون الكتب المقدسة من الله . بل عرفوا ذلك لانهم بها قد انتقلوا من الظلمة الى النور

فهذه هي الطريقة التي بها وصل كثيرون من معتبري فرانسا الى معرفة الله . ووُجدت طرق ابسط (اذا كان وجود ابسط منها ممكنًا) افتيد بها كثيرون من عامة الناس الى معرفة الحق فان مدينة ميوكس كان اهلها بجملتهم تقريبًا من اصحاب المهن والتجارة بالصوف . قال مورخ للقرن السادس عشر ان رغبة معرفة طريق الخلاص الحارة كانت مغروسة في كثيرين حتى ان ارباب المهن والصباغين ومنقّي الصوف لم يكونوا يصرفون وقتهم وهم مشغولون بايديهم الاَّ بالكلام عن كلمة الله وتعزية انفسهم بها وايام الآحاد والبطالة على الخصوص كانت تُكرَّس لقراءة الكتاب المقدس والفحص عن ارادة الرب

ففرح بريكونت عندما راى التقوى تاخذ مكان الخرافة في ابرشيتهِ . قال احد المورخين ان لافيفر ساعدتهُ عظمة شهرة علمهِ فاخذ يملق بريكونت ويختال

عليهِ بكلامهِ الملتي حتى الجاهُ الى الزيغان بطريق موجع حتى انهُ لم يكن ممكنًا الى هذا الوقت اعتاق مدينة وابرشية ميوكس من ذلك التعليم السام الذي نما فيهما بنوع عجيب جدًّا وضلال ذلك الاسقف الصالح كان اذية عظيمة لانهُ الى ذلك الوقت كان لم يزل متعبدًا لله ولمريم العذراء. انتهى

الاَّ ان الجميع لم يزوغوا هكذا بنوع موجع كما قال الراهب الفرنسيسي الذي اوردنا عبارتهُ بل انقسمت المدينة حزبين. من الجانب الواحد رهبان مار فرنسيس واصدقاء التعليم الروماني ومن الجانب الآخر بريكونت ولافيفر وفارل وجميع الذين احبوا التعليم الجديد . ورجل من اصحاب الفاقة كان من اعظم المتمسكين بالرهبان واما زوجتهُ وابناهُ بطرس ويوحنا فقبلوا الانجيل برغبة ويوحنا الذي كانت مهنتهُ تمشيط الصوف ظهر سريعًا بغيرة بين المسيحيين الجدد ويعقوب باوبني العالم البيكاردي الشاب الذي كان على جانب عظيم من الخلوص والاستقامة وكان قد دعاهُ بريكونت الى ميوكس ابدى غيرة حارة نحو الاصلاح فصارت ميوكس مركز شعاع نور والاشخاص الذين ساقتهم الى هناك المصالح سمعوا الانجيل وحملوهُ وهم راجعون الى بيوتهم ولم يكن الناس في المدينة فقط يفتشون الكتب المقدسة بل كما اخبرنا احد المورخين كثيرون في القرى فعلوا ذلك حتى انهُ في تلك الابرشية ظهرت صورة الكنيسة المتجددة تلمع متلألئة

والبلاد المجاورة ميوكس امتلأت حصادًا وافرًا وفي زمان الحصاد اجتمع فعلة كثيرون الى هناك من اماكن مجاورة ولما اخذوا راحتهم قليلاً في وسط النهار كانوا يخاطبون اهالي المكان الذين كلموهم عن زمن آخر وحصاد آخر وكثيرون من الفلاحين من ثياراخي ولا سيما من لندوزي ثبتوا عند رجوعهم الى اوطانهم في التعاليم التي سمعوها ولم يمضِ الاَّ قليل حتى قامت كنيسة انجيلية في تلك المقاطعة وهي اقدم الكنائس في المملكة وخبر هذه البركة العظيمة انتشر في فرانسا كما يخبرنا احد المورخين وبريكونت نفسهُ كان ينادي بالانجيل عن المنبر واجتهد بان يرسل حولهُ ذلك النور غير المحدود الحلو اللطيف الحقيقي الوحيد الذي يبهر

وينير كل من قبلهُ ولم ينر قابلهُ فقط بل رفعهُ بالتبني الى شرف ابن الله وطلب من رعيتهِ ان لا يميلوا آذانهم للذين ارادوا ان يحولوهم عن كلمة الله وقال حتى اذا بشركم ملاك من السماء بانجيل آخر فلا تصغوا لهُ واحيانًا اغشتهُ افكار مظلمة فانهُ لم يكن مركنًا الى نفسهِ بل ارتعد فرقًا عند ما تامل بالعواقب المهلكة التي تصدر من عدم امانتهِ فكان يحذر سامعيهِ قائلاً حتى اذا كنت انا اسقفكم اغير كلامي وتعليمي فاحذروا من ان تغيروا انتم مثلي ولم يكن شيءٌ في ذلك الوقت يدل على امكانية وقوع مصيبة مثل هذه. قال المورخ المشار اليهِ آنفًا لم يكن كلام الله يبشر بهِ قط بل تُبِع ايضًا وتمارست هناك جميع اعمال الصدقة والمحبة واصطلحت الآداب وأُذِلَّت الخرافات

واذ كان الاسقف يطمع باقناع الملك وامهِ ارسل الى مرغريتا رسائل مار بولس مترجمة وموضحة جيدًا طالبًا منها بكل تواضع ان تقدمها للملك قائلاً لا بدَّ انها تكون مرضية لهُ جدًّا من يديكِ ثم قال انها طعام ملوكي تسمن من دون فساد وتبري كل انواع المرض وكلما ذقنا منها يزداد جوعنا اليها برغبة لا تشبع ولا تتقزز الى الابد

واي رسالة تقبلها مرغريتا باكثر ترحب من تلك والظاهر ان الوقت كان مناسبًا فان ميخائيل ارندا كان في باريس باقيًا هناك بامر ام الملك التي كان يترجم لها اجزاء من الكتب المقدسة الا ان مرغريتا ارادت ان يقدم بريكونت بنفسهِ هذا الكتاب لامها فكتبت اليهِ انك تعمل حسنًا اذا جئت الى هنا لانك تعلم الثقة التي لسيدتي الوالدة وللملك بك

فمن المحتمل ان كلمة الله قد وُضِعت في ذلك الوقت سنة ١٥٢٢ وسنة ١٥٢٣ امام عيني فرنسيس الاول وعيني لويزا من سافواه فالتقيا بذلك الانجيل الذي كانا عتيدين ان يضطهداهُ بعد. ولا نرى ان تلك الكلمة احدثت فيهما تاثيرًا شافيًا بل ارادا ان يسمعا ذلك الكتاب الذي كان يحدث ضجة عظيمة بهذا المقدار ثم اطبقاهُ حالمًا فتحاهُ لانهُ قاوم اعمالهما

اما مرغريتا فعسر عليها مقاومة محبة الدنيا التي احاطتها في كل مكان وشدة محبتها نحو اخيها وطاعتها الواجبة لامها والتمليقات التي كانت تُسكَب عليها من اعوان البلاط كانت باسرها قد قامت على المحبة التي نذرتها للمسيح فان المسيح كان وحدهُ ضد كثيرين ونفس مرغريتا تحولت احيانًا عن معلمها اذ قاتلها اعداء كثيرون بهذا المقدار وصارت صمّاء بواسطة ضجة العالم ثم اذ شعرت بزلاتها كانت تحبس نفسها في مخدعها وتطلق العنان لحزنها وتبكي بكاء مرًّا قالت

اني قد تركتك لكي اتبع صوت اللذات

اني قد تركتك وذالك لاجل امر شرير

اني قد تركتك والى اين قد انتهيتُ

ثم تلتفت نحو ميوكس وتصرخ بكآبة قائلة اني التفت اليك الى فابري (اي لافيفر) وجميع معتبريك اترجاكم ان انال بواسطة صلواتكم من الرحمة التي لا توصف تنبيهًا للمسكينة الضعيفة المتناعسة فتوقظها من نعاسها الثقيل المميت

وهكذا صارت ميوكس كوكبًا قد انبعث منهُ نور الانجيل واصدقاء الاصلاح تمتعوا برجاء لم يكمل فقالوا من يقدر ان يقاوم الانجيل اذا كانت قوة فرنسيس تسهّل الطريق فان سطوة البلاط المفسدة تتحول حينئذٍ الى سطوة مقدسة وتحصل فرانسا على قوة ادبية تجعلها محسنة العالم

اما اصدقاء رومية فانتبهوا الى جانبهم ومن جملة الذين في ميوكس راهب يعقوبيني اسمهُ روما . وذات يوم تكلم معهُ لافيفر وفارل واصدقاؤهما ومع جماعة من اشياع البابا ولم يقدر لافيفر ان يضبط آمالهُ فقال ان الانجيل قد اخذ في ربح قلوب العظماء والشعب والانتشار في زمان قصير في فرانسا قاطبةً سوف يهدم في كل مكان اختراعات البشر . فاخذ العالِم الشيخ يقدم الشكر للرب لان عينيهِ قد رأتا خلاصهُ واصدقاء لافيفر شاركوهُ في حركتهِ واما اخصامهم المتحيرون فوقعوا في الخرس . واما روما فانتبه بغتةً وصرخ بنغمة قائد جيش وقال فاذًا انا وباقي المتدينين ننادي بحرب مقدسة وننهض الشعب واذا اذن الملك لكم

باذاعة انجيلكم فاننا نطردهُ من المملكة بواسطة رعاياهُ

وهكذا تجاسر راهب على القيام ضد الملك ورهبان مار فرنسيس مدحوا كلامهُ ولم يدَّعوا نبوتهُ تسقط وكان الاخوة كل يوم يرجعون بهدايا اقل من العادة واذ خاف رهبان مار فرنسيس جالوا بين العيال الخصوصية يقولون ان هولاء المعلمين الجدد هم اراتقة فانهم يضادون اقدس العوائد وينكرون اقدس الاسرار واذ ازدادت جسارة البعض منهم خرجوا من اديرتهم وذهبوا الى منزل الاسقف ولما مثلوا بين يديهِ قالوا لهُ اسحق هذه الاراتقة والاَّ فان الوباَ الآخذ في اخراب مدينة ميوكس ينتشر على المملكة باسرها فتاثر بريكونت وانزعج الى حين من هذا الطعن ولكنهُ تمالك نفسهُ وشعر باحتقار مفرط نحو اولئك الرهبان الجهال وصراخهم المفعم اغراضًا فتبوأ المنبر وبرَّر لافيفر ودعا الرهبان فريسيين ومرائين الاَّ ان هذه المقاومة هيجت في نفسهِ اضطرابًا وقتالاً واراد ان يشجع نفسهُ بهذا الفكر ان الحروب الروحية هي امر ضروري فقال بعبارات لغزية حسب عادتهِ اننا نصل الى موت محيي وبواسطة اماتتنا الحياة على الدوام نموت ونحن احياءٌ ونحيا ونحن موتى ولابد كان اصلح لو طرح نفسهُ على المخلص كما فعل الرسل عندما لطمتهم الامواج والارياح وصرخ قائلاً يا رب اعتني والاَّ فاهلك

فحنق رهبان ميوكس من عدم قبول الاسقف اياهم كما شاءوا وعزموا على رفع الدعوى الى محكمة اعلى ولهم باب للاستغاثة. وان لم يسلم الاسقف يذللونهُ الى الطاعة فانطلق قوادهم الى باريس وعملوا تدابير مع بيدا ودوشسني وبادروا الى الديوان وتهددوا الاسقف والمعلمين الاراتقة وقالوا ان المدينة وكل جوارها قد اعتراهم داء الارتقة ومياهها النجسة تفيض من القصر الاسقفي

وهكذا قامت في فرانسا المناداة بالاضطهاد الذي اقيم على الانجيل وسلطة الاكليروس والسلطة المدنية والصربون والمجلس قاموا الى اسلحتهم العتيدة ان تنضرج بالدم والديانة المسيحية قد علمت الجنس البشري بواجبات وحقوق فائقة كل الحقوق المدنية واعتقت العقل الديني ومنحت حرية الضمير واحدثت تغييرًا

عظيمًا في الجمهور. وقبل ذلك اعتبر الانسان رعية لا انسانًا والديانة المسيحية علّمت كل واحد ان يعتبر نفسهُ انسانًا قبل ان يعتبر نفسهُ رعية في كل مكان وهذه الافكار افسدتها البابا وية غير انها عوضًا عن رياسة الملك اقامت رياسة الخوري ومرارًا كثيرة اقامت الملك والخوري ضد الشعب المسيحي فاحتاج الامر الى اعتاق جديد وحدث ذلك في القرن السادس عشر. وحيثما توطدت اركان الاصلاح انكسر نير رومية وانعتق العقل

ولم تكن لبريكونت شجاعة كافية للمدافعة فانهُ لم يسلّم بكل شيء ولكنهُ سلّم بما ارضى رومية. قال نستغني عن كتب لوثيروس اذا حفظنا الانجيل ونقدر بسهولة ان نسلم بالصلاة الى مريم العذراء اذا اضفنا الى ذلك ان سلطانها انما هو متوقف على واسطة يسوع المسيح فقط. فاذا وضعنا بجانب الحق سلطان الغلط ترضى رومية. الّا ان الخسارة التي احزنت بريكونت اكثر والتي كان لا بد لهُ منها هي فقد اصدقائهِ واذ اراد الاسقف المذكور ان ينجو فلا بد لهُ من تضحية اخوتهِ واذ كان جبانًا وقليل الاستعداد لبذل غناهُ ودرجتهِ لاجل المسيح واذ كان خائفًا ومتزعزعًا وذليلاً ضل بواسطة مشير بن ماكرين. قال البعض اذا ترك المعلمون الانجيليون ميوكس يحملون الاصلاح الى اماكن اخرى. وتمزّق قلبهُ بقتال موجع واخيرًا غلبت حكمة هذا العالم فسلم وفي ١٥ تشرين الاول سنة ١٥٢٣ اشهر ثلثة مناشير فالاول يامر بالصلاة لاجل الموتى والتشفع بمريم العذراء والقديسين والثاني ينهى الجميع عن شراء او استعارة او قراءة او امتلاك او حمل كتب لوثيروس ويامر بتمزيقها اربًا واذرائها في الهواء او احراقها والثالث يثبت بعبارات صريحة تعليم المطهر. ثم في ١٣ تشرين الثاني تلك السنة نهى بريكونت خوارنة الابرشيات ووكلاءهم عن الاجازة للوثرانيين بالوعظ وهذا لم يكن كل ما عملهُ. لان الرئيس الاول لديوان باريس واندراوس وآريوس مشير الديوان المذكور الذين كان بريكونت عنيدًا بعد قليل ان يحضر امامهم وصلوا الى ميوكس في مدة الصوم سنة ١٥٢٤ وذلك لكي يطّلعوا على اعمال بريكونت بانفسهم فاجتهد

الاسقف المسكين في عمل كل ما امكنهُ لكي يرضيهم وكان قد اخذ في ٢٩ كانون الثاني ايقونات القديسين تحت حمايتهِ الخصوصية ثم ابتدا يزور كنائسهُ ويعظ ويجتهد جدًّا امام الرئيس الاول والمشير وآريوس بقلع الارتقات الآخذة بالنمو هناك فرجع المعتمدون الى باريس بالرضى التام وهذا كان اول سقوط بريكونت

وعادى لافيفر على نوع اخص لان تفسيرهُ للاناجيل الاربعة ولا سيما رسالتهُ الى القارئين المسيحيين مقدمة ذلك التفسير اضرم غيظ بيدا واصحابهِ فاخبروا مدرسة اللاهوت بهذه الكتابات فقال المقدم بغضب اما يقول فيها ان كل من لا يحب كلمة المسيح ليس بمسيحي وان كلمة الله هي كافية للاقتياد الى الحياة الابدية

اما فرنسيس الاول فنظر الى هذه الشكوى نظير خصام لاهوتي فاقام عمدة ولافيفر برَّر نفسهُ امام تلك العمدة فخرج من ذلك النضال منتصرًا

واما فارل الذي لم يكن لهُ هذا المقدار من الحامين في البلاط فالتزم بترك ميوكس والظاهر انهُ انطلق اولًا الى باريس وانهُ قاتل هناك غلطات رومية فلم يقدر ان يبقى هناك فالتزم بالذهاب الى دوفيني حيث رغب في ان ياتي بالانجيل

وفي زمن تبدُّد المسيحيين من ميوكس رجل آخر فرنساوي ترك بلادهُ ووطنهُ ودخل دير الاوغسطينيين في وتمبرج حيث كان لوثيروس مقيمًا وذلك في كانون الثاني سنة ١٥٢٢

لم يكن فارل الرجل الوحيد في جنوبي فرانسا الذي اعدهُ الله لهذا العمل فانهُ الى جنوبي غاب على شطوط الرون في مدينة افيغنيون التي سماها بيترارخوس بابل الثالثة لاتزال جدران القصر الرسولي الذي ملأهُ البابوات والكردينااليون زمانًا طويلًا بتنعماتهم وبذخهم وسكنهُ يومئذٍ قاصد روماني في حالة الانفراد والوحشة في وسط تلك المدينة المهجورة التي قلما داس ازقتها الضيقة القذرة غير ارجل الرهبان والخوارنة

وكان يتردد في دار القاصد صبي جميل الصورة محبوب ضحوك كان يلعب فيهِ اسمهُ فرنسيس لمبرت ابن كاتب القصر الرسولي. وُلد سنة ١٤٨٧ وذلك قبل

ولادة فارل بسنتين وكان الولد المذكور بحيراً ولاً من عدم ديانة هولاء الاكليروس ورذائلهم حتى انهُ قال ان تلك الرذائل كانت كثيرة وفظيعة جدًّا حتى انني لا اقدر ان اصفها الاّ انهُ تعوّد عليها بالتدريج والظاهر انهُ هو نفسهُ تاثر من المثال الردي ولكن الله غرس في قلبهِ محبة للقداسة وبما ان اباهُ كان قد توفي كانت امهُ متسلمة زمام تربيتهِ وهي حسب عادة تلك الايام سلمتهُ لعناية الفرنسيسيين. وتظاهُر هولاء الرهبان بالقداسة غش الولد واذ رآهم لابسين ثيابًا خشنة وحفاة لابسين سيورة يجولون من مكان الى آخر يتسولون في المدينة ويزورون بيت امهِ واذ رآهم احيانًا يضحكون لهُ كان يتراءى لهُ كما يخبرنا كانهُ وصل الى السماء تقريبًا فاخذ الرهبان يجتهدون في اجتذاب فرنسيس نحو طريقتهم واخيرًا لبس الاسكيم وهو ابن خمس عشرة سنة. قال في السنين التابعة قد كانت هذه ارادة الله لكي اقدر ان اظهر للعالم نجاسة تلك القبور المكلسة

وفي السنة التي كان فيها مبتدئًا سار كل شيء برفق وبقي في الظلمة ولكنهُ حالما نذر نذورهُ اظهر الرهبان انفسهم بكل ما بهم من الفساد واكليل القداسة الذي كان قد راهُ حول روؤسهم اضمحل فاصبح حنقًا خائفًا كارهًا فابتدا فرنسيس سريعًا يشعر بقوة سرية داخلهُ كانت تدفعهُ بعزم نحو الكتب المقدسة وتضطرهُ الى الايمان بكلمة الله والتبشير بها وسنة ١٥١٧ اختير واعطاًا رسوليًّا للدير وعوضًا من ان يجول من مكان الى مكان نظير اقرانهِ طالبًا الهدايا السمينة والموائد الفاخرة مارس السفر ماشيًا في البلاد المقفرة ويدعو الى التوبة اولئك الشعوب الجهال الذين كانت حرارة وخلوص عباراتهِ تجتذبهم اليهِ اجواقًا ولكن بعد ان صرف عدة اشهر في الجولان في كومتات ڤاينسين والبلدان المجاورة رجع الى ديرهِ معييًا راكبًا على بغل قد أُعطي لهُ لكي يحمل جسمهُ الضعيف وذهب طالبًا راحة قصيرة في مخدعهِ الحقير. فالبعض من الرهبان قبلوهُ ببرودة ومنهم من قبلهُ بالتعيير وآخرون قبلوهُ بالحنق وبادروا الى بيع البغل متفقين على انهُ الربح الوحيد لاسفارهِ الانجيلية

واذ كان الاخ فرنسيس ذات يوم يعظ في بلدة برزانة برسولية ونشاط عظيم صرخ قائلاً اوقدوا نارًا امام هذا الرواق المقدس واحرقوا هناك غنائم تنعماتكم ودعارتكم وفي الحال صار كل الجمهور في حركة فالبعض اوقدوا نارًا والبعض ركضوا الى بيوتهم ورجعوا بالمياسر والورق والصور المشككة وحينئذٍ طرحوها جميعًا نظير ما فعل اهل افسس عندما وعظهم بولس الرسول واجتمع جمع غفير حول النار ومن جملتهم البعض من رهبان مار فرنسيس وهولاء اذ رأوا صورة امراة قد رُسمت بطريق فاضح رفعوها بخباثة من وسط اللهيب وخبأوها تحت احد اردبتهم وذلك لكي يزيدوا وقودًا على لهيبهم كما قال لمبرت وان ذلك لم يخفَ عن ناظرتي فرنسيس فاضطرم لبهُ بغضب مقدس وخاطب الرهبان بجسارة وذم دعارتهم وسرقتهم فخجلوا من انكشاف امرهم واحنوا اعناقهم وسلموا الصورة الّا انهم اقسموا باخذ الثار

واذ كان لمبرت محاطًا بالدعارة وموضوعًا لبغضة الرهبان شعر حينًا بعد حين برغبة في الرجوع الى العالم الذي ظهر اطهر جدًا من الدير الّا انهُ وجد شيئًا احسن من ذلك ايضًا فان كتب لوثيروس التي حملت الى اسواق ليون نزلت عن الرون ووصلت الى مخدعهِ غير انها أُخِذَت سريعًا منهُ وأُحرقت ولكن كان ذلك بعد فعلها لان الروح الذي حرّك راهب وتمبرج الاوغسطيني انتقل الى راهب افيغنون الفرنسيسي فخاص وراى اتكالهُ قبل ذلك على الصوم باطلاً وباطلاً نومهُ وهو جالس على الكرسي وباطلاً احترازهُ من النظر الى امراة ولبسهُ المسح على جلدهِ وجَلدهُ نفسهُ واضعافهُ جسدهُ حتى بالكد يقدر على الوقوف منتصبًا وكان احيانًا يُغشى عليهِ في الكنائس والحقول وهو يعظ الشعب وقد اخبرنا ان ذلك باسرهِ لم يقدر ان يروي ظماهُ ويبدد الافكار التي خامرتهُ ولم يجد الطهارة والسلامة الّا في الايمان بنعمة الله المجانية وقداسة عيشة الزواج وهذا واحد من الامثلة الكثيرة التي تبرهن ان الزواج الذي هو ترتيب من الله هو واسطة للنعمة والقداسة وان بتولية الاكليروس التي هي اختراع الانسان هي من

اقوى الوسائط للفساد وتشويش الفكر واتعاب العيال واملاء الجمهور من مساوئ لا تحصى

واخيرًا عزم الراهب على ترك الدير والباباوية وفرانسا بجملتها والذهاب الى حيث تجري ينابيع الانجيل بفيضان ونقاوة والدخول هناك فيها واطفاء النيران التي تحرقهُ وبما ان جميع اجتهاداتهِ ذهبت سدًى اراد ان يتوجه الى خادم الله الذي مجرد اسمهِ يخيف الشيطان ويزعجهُ وذلك لكي يجد سلامًا فاستغنم فرصة بعض مكاتيب كانت عتيدة ان تُرسَل الى احد روساء رهبانيتهِ واذ تسربل برداءِ ترك دير اقيغنون احد اديرة رهبان مار فرنسيس في ربيع سنة ١٥٢٢ بعد جهاد ٢٠ سنة فصعد على الرون ومرَّ على ليون وقطع الاحراش التي تكسو اسافل سطح الجورا وهذا الراهب الطويل الرقيق الرث الاخلاق كان لم يزل لابسًا ثياب رهبانيتهِ وركب على حمار وكانت رجلاهُ الحافيتان تكاد تلمس الارض وقد رايناهُ سابقًا يجتاز في جنيفا ولوسرن وبرن وزوريخ وفي بداءة سنة ١٥٢٣ كان في وتمبرج وصافح لوثيروس هناك . فلنرجع الآن الى فرانسا والى كنيسة ميوكس

الفصل الثامن

الكنيسة في ميوكس . اثارة الاضطهاد على لافيفر وفارل وبركوين . لمبرت في وتمبرج وزواجهُ . تعذيب لاكلرك . استشهاد شتلان

ان امر الكهنوت العمومي الذي كان مبدأً حيًا بين المسيحيين الاولين احياهُ لوثيروس وثبتهُ ثانيةً في القرن السادس عشر الآن هذا الراي كان حينئذٍ في الكنيسة اللوثرانية امرًا نظريًا لا عمليًا ولم يكن لهُ تاثير الا بين المسيحيين المصلحين واما الكنائس اللوثرانية التي تتفق في هذا الامر مع الكنائس الانكليكانية فربما اخذت طريقًا متوسطًا بين الكنائس الرومانية والكنائس المصلحة فانهُ بين

اللوثرانيين صدر كل شيء من الراعي او الخوري ولم يكن يحسب شيء صحيحًا في الكنيسة اذا لم ينتج على الترتيب من روسائها واما الكنائس المصلحة فاذ اعتقدت بان وظيفة الرعاة هي من ترتيب الهي (الامر الذي ينكرهُ بعض الطوائف) كانت اقرب الى الحالة الاصلية التي عليها الجماعات الرسولية ومن الزمان الذي نحن في صدد ذكرهِ ابتداوا يعترفون وينادون بان الشعب المسيحي لا ينحصر في ما يعطيهِ اياهُ الرعاة بل بيد اعضاء الكنيسة وروسائها مفتاح الكنز الذي منهُ يستمد الروساء تعليمهم لان الكتاب المقدس هو في يد الجميع وان نِعَم الله وروح الايمان والحكمة والتعزية والنور لا تسبغ على الرعاة وحدهم وانهُ يجب على كل انسان استعمال الموهبة التي نالها لاجل خير الجميع وان العطية اللازمة لبنيان الكنيسة قد تُمنَع عن الراعي وتُعطَى لاحد رعاياهُ وهكذا حالة الكنيسة الميتة قد تغيرت حينئذٍ الى حالة نشاط عام وهكذا حدث الانقلاب على الخصوص في فرانسا واما في البلدان الاخرى فان المصلحين كانوا هم الرعاة والمعلمين واما في فرانسا فمن بداءة الامر كان لاصحاب العلوم اناس اتقياء من الشعب نظراء لهم واختار الله في تلك البلاد عاملاً اولاً لهُ عالمًا صربونيًا وماشط صوف

ان ماشط الصوف لاكلرك اخذ يزور الناس من بيت الى آخر مثبتًا التلاميذ ولم يقف عند هذه الاهتمامات الاعتيادية بل رغب ان يرى انقلاب بناء البابا وية ورجوع فرانسا من وسط خراباتهِ بصوت الفرح نحو الانجيل وغيرتهُ الشديدة تذكرنا بغيرة هوتنجر في زوريخ وكرلستادت في وتمبرج فكتب نداء على ضد المسيح الكذاب اي رومية مبشرًا بان الرب عن قريب يبيدهُ بروح فيهِ ثم علق اوراقهُ بجسارة على ابواب كنيسة الكرسي وفي الحال حدثت حركة في كل ما يحيط بذلك البناء القديم فتحير المؤمنون وحنق الخوارنة قائلين يا عجبًا كيف ان ماشط صوف يتجاسر على ان يقايس نفسهُ بالبابا واغتاظ جدًّا رهبان مار فرنسيس وطلبوا انهُ اقلها يكون هذه المرة تكون عبرة هائلة فالقي لاكلرك في السجن

فانتهى امتحانهُ في ايام قليلة تحت نظر بريكونت نفسهُ الذي صار ملتزمًا

ان يشاهد ويحتمل كل ما فُعِل فحُكِم على كاتب تلك الاوراق بان يُجلَد ثلاثة ايام متوالية وهو يساق في شوارع المدينة وان يُكوَى في اليوم الثالث على جبهتهِ فابتدا هذا المنظر المحزن عاجلاً فاقتادوا لاكلرك في الاسواق مربوط اليدين وعريان الظهر والجلادون يترلون بهِ الضربات التي اوجبها على نفسهِ بواسطة قيامهِ على اسقف رومية وجمع غفير مشى في المسلك الذي خطهُ دم الشهيد وكان البعض يدمدمون بحنق على الاراتيكي والآخرون بواسطة صمتهم لم يعطوهُ علامة لشفقتهم عليهِ اما امراةٌ فشجعت هذا الرجل المسكين بواسطة نظرها وكلامها وهي امهُ

واخيرًا في اليوم الثالث عند ما انتهى الاحتفال الدموي عرجوا بلاكلرك الى محل القتل الاعتيادي والشنّاق اعد النار وحمى الحديد المزمع ان يطبع وسمهُ على الانجيلي ودنا منهُ وكواهُ على جبهتهِ كاراتيكي فسُمِع عويل الّا انهُ لم يصدر من الشهيد بل امهُ لما رات ذلك المنظر الهائل امتلأت كآبة ومرارة فان محبة الايمان زاحمت في قلبها محبة الوالدة واخيرًا غلب الايمان وصرخت بصوت جعلت الاعداء يرتعدون وقالت المجد ليسوع ولشهدائهِ وهكذا اكملت تلك المراة الفرنساوية وصية ابن الله بقولهِ من احب ابنهُ اكثر مني فلا يستحقني فجسارة كهذه في مثل تلك الساعة استوجبت عند الاضداد قصاصًا عظيمًا غير ان تلك الام المسيحية اخافت قلوب الخوارنة والجنود جميعًا وضبطت شراستهم يد اقوى من ايديهم والجمع فتح طريقًا باحترام واذن لام الشهيد ان ترجع برفق الى مسكنها الحقير فكان الرهبان وقهارمة الملك انفسهم يتفرسون فيها من دون حركة قال ثيودوروس بيزا انهُ لم يجسر احد من اعدائها ان يلقي عليها يدًا وبعد هذا العمل اطلق لاكلرك فذهب الى روساي في براي وهي قرية صغيرة تبعد نحو ستة فراسخ من ميوكس ثم الى متز حيث نلقاهُ بعد

فاعتز الاخصام واذ استخلص رهبان مار فرنسيس المنابر اخذوا ينشرون اكاذيبهم وخرافاتهم كالعادة واما اصحاب الصنائع الفقراء في المدينة فاذ مُنِعوا من استماع كلمة الله في اجتماعات قانونية ابتداوا يجتمعون سرًّا كما قال مورّخنا حسب

عادة ابناء الانبياء في ايام اخآب وعادة المسيحيين في الكنيسة الاولى فكانوا كما تسنح الفرصة يجتمعون تارة في بيت واخرى في مغارة واحيانًا ايضًا في كرم او حرش واخبرهم في الكتب المقدسة يجلس بينهم ويعظهم وبعد ذلك كانوا جميعًا يصلون بشجاعة عظيمة ويعضدون بعضهم بعضًا بالرجاء ان الانجيل يحيا في فرانسا وان ظلم المسيح الدجال يتلاشى . فلا قوة تقدر ان تمنع تقدم الحق

الآن ضحية واحدة لم تكفهم واذا كان اول من ثار عليهِ الاضطهاد ماشط صوف كان الثاني من اشراف البلاط لانهُ اقتضى اخافة الاشراف والشعب جميعًا فان قسوس باريس الصربونيين لم يطيقوا ان يسبقهم رهبان مار فرنسيس في ميوكس . فان بركوين اعلم الاشراف استفاد شجاعة حديثة من الكتب المقدسة وبعد ان قاتل زنابير الصربون في بعض الاشعار شكاهم جهارًا بكونهم منافقين

اما بيدا ودوشسني اللذان لم يجسرا ان يجاوبا بطريقتهما المعتادة على حكم قهرمان الملك غيّرا فكرهما حالما اطّلعا على اقناعات صحيحة هي وراء تلك الرشقات فان بركوين كان قد صار مسيحيًّا بالحق فعُزِم على هلاكهِ واذ القى بيدا ودوشسني ايديهما على بعض تصانيفهِ وجدا بها مادة لاحراق اكثر من اراتيكي واحد فقالا انهُ برتئي عدم جواز طلب شفاعة مريم العذراء عوضًا عن الروح القدس ولا ان نسمي مصدر كل نعمة ويقاوم العادة ان نسميها رجاءنا وحياتنا ويقول ان هذه الالقاب انما تختص بابن الله وكان فيها مواد غير هذه . وسموا مكتبة بركوين دكان بائع كتب توزعت منهُ تصانيف فاسدة في كل المملكة وكتاب الاماكن العمومية الذي ألّفهُ ملانكثون ساعد على الخصوص بسبب حسن اساليبهِ على زعزعة ايمان العلماء في فرانسا واذ كان هذا الشريف التقي عائشًا في وسط اوراقهِ وكراريسهِ صار بسبب المحبة المسيحية مترجمًا ومصححًا وطابعًا وبائع كتب فكان ضروريًا قطع هذا النبع القوي عند نفس مخرجهِ

واذ كان بركوين جالسًا بهدو يدرس بين كتبهِ المحبوبة احدق ببيتهِ بغتة شرط مسلحون قرعوا قرعًا عنيفًا على الباب وهم الصربونيون ووكلاؤهم الذين

فازوا باذن من المجلس فاتوا لكي يفتشوا بيتهُ وفي مقدمتهم بيدا السليط الجبار ولم يكمل قط احد المفتشين واجباتهِ على احسن منوال فدخل مع انصارهِ مكتبة بركوبن واخبرهُ بمصلحتهِ وامر بحراستهِ جيدًا واخذ يفتش ولم ينجُ كتاب من نظرهِ الحاد وامر ان يكتب قائمتها جميعًا فكنت ترى هناك رسالة من تاليف ملانكثون وهنا كتابًا من تصانيف كرلستادت ثم كتابًا من تاليف لوثيروس وهناك كتب اراتيكية ترجمها بركوبن نفسهُ من اللاتيني الى الفرنساوي وايضًا كتب من تاليفهِ وجميع التاليفات التي قبض عليها بيدا ما عدا كتابين كانت مشحونة غلطات لوثرانية فخرج من البيت حاملاً غنيمتهُ مفتخرًا اكثر من قائد قد اثقل بغنائم شعوب

فرأى بركوبن ان عاصفًا قويًا قد ثار عليهِ الآن شجاعتهُ لم تتزعزع فازدرى باعدائهِ بهذا المقدار حتى انهُ لم يكن يخافهم واما بيدا فلم يكن يضيع شيئًا من الوقت وفي ١٣ ايار سنة ١٥٢٣ اصدر المجلس امرًا بان جميع الكتب الموجودة في بيت بركوبن توضع امام علماء اللاهوت فنطقت جماعة الصربون سريعًا برايها وفي ٢٥ حزيران شجبت جميع التصانيف المشار اليها ما عدا التاليفين السابق ذكرهما وحكمت باحراقها كاراتيكية وامرت ان بركوين ينكل عن غلطاتهِ فاثبت المجلس هذا الحكم

فحضر الاشراف امام هذا الرجل الشجاع وهو عالم بان الخطوة الثانية تكون الى الاوتاد الآ انهُ ثبت كما ثبت لوثيروس في وُرمس وباطلاً امرهُ المجلس بالرجوع لم يكن من جملة الذين يسقطون بعد ان قبلوا شركة الروح القدس فان من كان مولودًا من الله يحفظ نفسهُ ولا يمسهُ الشرير (عب٦:٤ و ١يو ٥:١٨). والسقوط يبرهن ان التوبة السابقة هي ظاهرة فقط او جزئية واما توبة بركوبن فحقيقية فاجاب المجلس الذي اقام امامهُ بثبات واما المجلس الذي كان اقسى من ديوان وُرمس فامر جنديهُ ان يقبض على المشكو عليهِ ويأخذهُ الى السجن وذلك في ١ آب سنة ١٥٢٣ وفي ٥ آب أُسلم الرجل الاراتيكي لاسقف

باريس لكي ينظر ذلك الاسقف الى دعواهُ وبمساعدة العلماء والمشيرين يقضي عليهِ فنقِل الى السجن الاسقفي

وهكذا انتقل بركوين من ديوان الى ديوان ومن سجن الى آخر. اما بيدا ودوشسني وجماعتهما فقبضوا على غنيمتهم الآن المجلس لم يزل مغتاظًا من الصربونيين فكان فرنسيس اقوى من بيدا وهذا العمل احدث غيظًا عظيمًا بين الاشراف فقالوا لفرنسيس الاول اما يعلم الرهبان والخوارنة قيمة سيف الاشراف. بماذا يشكون عليهِ الا بكونهِ قد قذف عادة طلب شفاعة مريم العذراء عوضًا عن الروح القدس والحال ان ابراسموس وآخرين كثيرين يفعلون كذلك. أيسوغ لهم ان يلقوا في السجن خادم الملك لاجل هذه الامور الزهيدة. وهذه الرشقة تتجه نحو الآداب والديانة الحقيقية والاشراف والفروسية نعم ونحو التاج الملكي نفسهِ فسر الملك بحصولهِ على فرصة اخرى لاغاظة تلك الجماعة باسرها فاصدر اوامر باحالة الدعوى الى المشورة الملكية وفي ٨ آب جاء جندي الى سجن الاسقف وابرز امرًا من الملك باطلاق بركوين

فصارت المسئلة هل يسلّم الرهبان بذلك. اما فرنسيس الاول الذي كان احتسب بعض المقاومة قال للمعتمد الذي ارسلهُ لاجراء اوامرهِ اذا قاومك احد فاكسر الابواب وهذا الكلام كان واضحًا صريحًا فخضع الرهبان والصربونيون لهذا التعدي واذ أُطلق بركوين حضر امام ديوان الملك فاخلي سبيلهُ واطلقهُ ذلك الديوان

وهكذا اذل فرنسيس الاول الكنيسة فظن بركوين ان فرانسا تحت ولايتهِ تعتق نفسها من البابابوية وافتكر بتجديد الخصام ولاجل هذه الغاية دخل في البحث مع ابراسموس فاعتبرهُ ابراسموس بمنزلة رجل ذي قيمة عظيمة ولكن هذا الفيلسوف الذي كان دائمًا معتدلًا وجبانًا قال لهُ احذر من ان تدوس وكر الافعى وداوم درسك بهدو. وعلى الخصوص لا تدخلني معك في مصلحتك لان ذلك لا يفيدك ولا يفيدني

وهذا الدفع لم يضعف عزم بركوبن وان رجع اقوى عقول العصر الى الوراء فانهُ هو يتكل على الله الذي لا يخيب ابدًا وعمل الله لا بد من اكمالهِ سواء كان ذلك بمساعدة الانسان او بدون مساعدتهِ. قال ايراسموس ان بركوبن قريب الشبه من شجرة البلح فانهُ قد نهض ايضًا وصار متكبرًا ومعتزًا على الذين طلبوا اخافتهُ

ولم يكن جميع الذين قبلوا التعليم الانجيلي على هذه الصفة. كان مرشيال مازوربر من اعظم الواعظين غيرة وعُرِف بانهُ على تعاليم فاسدة جدًّا وبانهُ ايضًا ارتكب بعض المظالم وهو في ميوكس . قال مورخ تلك المدينة قد سبق ذكرهُ ان مرشيال مازوربر اذ كان منطلقًا وهو في ميوكس الى كنيسة الرهبان البيض راى صورة مار فرنسيس بخمسة جراحات خارج باب الدير حيث الآن صورة مار روك فالقاها الى الارض وكسرها قطعًا فأُلقي القبض عليهِ وارسل الى السجن حيث وقع بغتةً في فكرة عميقة وكآبة شديدة والذي اجتذبهُ الى صف المصلحين انما كان محبة الآداب لا تعليم الانجيل فتركتهُ الآداب من دون قوة واذ ازعجهُ انتظار الوتد وتحقق ان الغلبة في فرانسا تبقى الى جانب رومية اقنع نفسهُ بسهولة بانهُ يحصل على اكثر سطوة وكرامة اذا رجع الى البابوية ومن ثم نكل عما كان قد علَّم بهِ وامر ان ينادى في ابرشيتهِ بتعاليم مضادة بالاستقامة لما كان قد تمسك بهِ واخيرًا انحاز الى المعلمين الاكثر اوهامًا وعلى الخصوص اغناطيوس لويولا وصار من ذلك الوقت اكبر العاضدين للمذهب البابوي ومنذ ايام الامبراطور يوليانوس كان دائمًا المرتدون بعد كفرهم اشد المضطهدين للتعاليم التي نادوا بها قبل

اما مازوربر المذكور فوجد سريعًا فرصة لاظهار غيرتهِ . فان الشاب يعقوب پاڤاني كان ايضًا قد أُلقي في السجن فظن مرشيال انهُ باسقاطهِ اياهُ نظيرهُ ربما يقدر على ستر عارهِ وشبيبة پاڤاني ولطافتهُ وعلمهُ واستقامتهُ امالت الكل اليهِ فظن مازوربر انهُ هو نفسهُ يكون اقل ذنبًا اذا امكنهُ اقناع المعلم يعقوب باقتفاء اثرهِ فافتقدهُ وهو في السجن واخذ يحتال عليهِ بدعواهُ انهُ قد سبقهُ في معرفة الحق

وقال لهُ تكرارًا انك غلطان يا يعقوب لانك لا تذهب الى اعماق البحر بل انما تعرف فقط سطح الماء ولم يترك واسطة من الوسائط لاقناعهِ بالرجوع فكان يخاتلهُ مرة ويعيرهُ اخرى ويتهددهُ تارةً واذ خدع هذا الفتى المنكود الحظ وهاج وتزعزع غرق اخيرًا تحت تلك الرشقات الخبيثة ونكل جهارًا عن غلطاتهِ الموهومة في صباح عيد الميلاد سنة ١٥٢٤ ومن تلك الساعة ارسل الله القدير اليهِ روح تقريع ونخسهُ فاستحوذت عليهِ كآبة شديدة فكان يتنهد دائمًا ويقول وا اسفاه انهُ لا يوجد لي في هذه الحياة الاَّ مرارة فيا لها من اجرة محزنة لعدم الايمان

وكان بين الرجال الذين قبلوا كلام الله في فرانسا قوم ذوو شهامة وشجاعة اكثر من مازوربر وپاڤاني وفي اواخر سنة ١٥٢٣ كان لاكلرك قد انطلق الى متز في لورين وتبع هناك كما قال ثيودوروس بيزا مثال ماربولس في كورنثوس الذي اذ كان يشتغل في صناعتهِ نظير عامل خيام اقنع اليهود والامم (اع ١٨: ٣و٤) فان لاكلرك اذ كان لم يزل يشتغل في صناعتهِ اي مشط الصوف علَّم الناس الذين في رتبتهِ فارتد كثيرون منهم ارتدادًا حقيقيًّا وهكذا هذا الصناعي المتواضع وضع اساس كنيسة صارت لها شهرة في ما بعد

ولم يكن لاكلرك اول من اجتهد في افاضة نور الانجيل الجديد على متز فان تلميذًا مشهورًا في ذلك العصر لاجل حذاقتهِ في العلوم العقلية اسمهُ اغريفا من نتسهيم كان معلمًا عجيبًا ذا قامة قصيرة وقد صرف زمانًا كثيرًا في السفر وكان يتكلم بكل لغة ودرس كل علم فجعل اقامتهُ في متز وصار ايضًا قهرمان المدينة . واغريفا هذا اشترى تصانيف لوثيروس ووزعها على اصدقائهِ ومن الجملة على المعلم يوحنا خوري سنت كروكس الذي كان معلمًا عظيمًا وصديقًا مقربًا لاغريفا وكثيرون من الاكليروس والاشراف والاهالي اذ تحركوا بواسطة الشجاعة التي ابداها لوثيروس في وُرمس استمالوا اليهِ حتى انهُ في اذار سنة ١٥٢٣ علّق ورقة انجيلية تمدح ما عملهُ لوثيروس على زاوية من القصر الاسقفي وهي مكتوبة باحرف غليظة فاحدثت حركة عظيمة في الجمهور وعندما وصل لاكلرك كنت

ترى اللهيب الذي كان خامدًا الى حين خرج بقوة جديدة . والحديث في محل الديوان وفي المجلس وفي بيوت الاهالي تحول على الدوام الى القضية اللوثرانية فكان كل يوم كثيرون من عظماء الكتّاب والعلماء يسالون ويجادلون ويتحاورون في هذا الامر وكانوا على الاكثر يتحزبون للوثيروس وينادون ويبشرون بتلك الطائفة الملعونة . انتهى

ولم يمضِ الاّ قليل حتى حصلت دعوى الانجيل على نجدة جديدة قوية. قال المخبر انهُ بالقرب من ذلك الوقت اي سنة ١٥٢٤ اتى الى متز راهب اوغسطيني اسمهُ يوحنا كاستاالين او كاتاالين وهو رجل مسن ذو اخلاق رضية وواعظ عظيم وفصيح جدًّا ومعزٍّ عجيب للفقراء وبهذه الواسطة ربح محبة اكثر الشعب الاّ الجانب الاكثر من الخوارنة وعظماء المعلمين الذين كان يوحنا المذكور يعظ ضدهم كل يوم ويكشف رذائلهم وخطاياهم ويقول انهم يحتقرون الفقراء ومن جرى ذلك كانوا يبغضونهُ بغضة شديدة

ان يوحنا كاتاالين الراهب الاوغسطيني من تورني ومعلم الالهيات المشار اليهِ انقاد الى معرفة الله بواسطة معاشرتهِ رهبان مار اوغسطينوس في انتوارب وتعليم المسيح الذي نادى بهِ وهو لابس حلة كهنوتية ظهر اقل غرابة لسكان متز منهُ عندما سقط من شفتي صناعي فقير ترك المشط الذي كان يمشط بهِ الصوف لكي يفسر الانجيل في الفرنساوي

وكان كل شيء مختمرًا في متز في مدة الصوم الكبير سنة ١٥٢٤ وعند ذلك ظهر في الميدان انسان جديد وهو كاهن وعالم وراهب سابقًا ولكنهُ قد تزوج الامر الذي لم يُرَ قط مثلهُ في فرانسا ولا في لورابن وهو لمبرت من افيغنون فعند وصول لمبرت الى وتمبرج وذلك غاية سفرهِ لما ترك الدير قبلهُ لوثيروس قبولاً حسنًا وبادر المصلح فاوصى سپالاتين والملك المنتخب بهذا الاخ الذي بسبب الاضطهاد اختار الفقر والمنفى فقال لوثيروس انهُ يعجبني من كل وجه . فابتدا لمبرت يخطب على نبوة هوشع في المدرسة الكبيرة امام جماعة لم تقدر ان

تخفي تحيرها عند سماعها مثل هذه الامور من فم رجل فرنساوي ثم ابتدا بعين متجهة دائمًا نحو وطنهِ يترجم الى اللغة الفرنساوية والايطالية بعض الكراريس الانجيلية تاليف لوثيروس وآخرين من العلماء وهو لم يكن الفرنساوي الوحيد في وتمبرج بل صادف امراء وفرسانًا واشرافًا وآخرين كانوا قد جاءوا من فرانسا لكي يروا الملك المنتخب ويتكلموا مع لوثيروس ناظر العمل الجاري حينئذٍ في العالم وهولاء الفرنساويون شجعوا بعضهم بعضًا وحسب جاري العادة بين الغرباء بالغلو في الامور متوهمين ان الحركة السريعة تنتهي الى ظفر الامر الذي رغبوهُ في بلادهم وكتب لمبرت الى منتخب سكسونيا يقول ان جميع غالا تقريبًا متحركة ومع ان الحق في فرانسا ليس لهُ قائد ولا معلم ترى لهُ اصدقاء كثيرين جدًّا

ولم يوقّف هولاء القوم الفرنساويين في وتمبرج الّا امر واحد وهو طبع الكراريس المقصود بها فائدة اهالي بلادهم . قال لمبرت ليتني اجد من يقدر ان يطبع ليس باللاتينية فقط بل بالفرنساوية ايضًا حتى والايطالية والحالة هذه اذا ببعض الغرباء جاءوا من هيمبرج فقالوا للمبرت اننا قد اتينا لكي نسال عن بعض الرسالات الفرنساوية لانّ عندنا جماعة في هيمبرج يطبعونها بتدقيق . والظاهر انهُ كان ايضًا جماعة من الغرباء الفرنساوية في هيمبرج ومن جملتهم طباع . فلم يقدر لمبرت ان يضبط فرحهُ وكانت ايضًا صعوبة اخرى في طريقهِ فقال وكيف يمكنكم ان توصلوا هذه الكتب الى فرانسا من شطوط نهر الالب فاجاب الهمبرجيون بحرًا في المراكب التي تسافر الى هنا وهناك . فقد تدبر كل تدبير لازم . وهكذا حالما رجع الانجيل الى الكنيسة صار البحر واسطةً لاذاعتهِ . فجعل الرب طريقًا في البحر (اش ٤٣: ١٦) . ولم يستكفِ بذلك بل كل فرنساوي راجع الى فرانسا حمل بعض الكتب معهُ ولئن كان القتل جزاء عملهِ . في ايامنا كثر الكلام وحينئذٍ كثر الفعل . وشاب شريف فرنساوي يقال لهُ قلودي من توريبو خرج من وتمبرج في ايار سنة ١٥٢٣ واخذ معهُ رسالات فرنساوية كثيرة ومكاتيب كتبها لمبرت الى كثيرين من مشاهير فرانسا وساقواه

وفي ٣ تموز ١٥٢٣ اعزم لمبرت وهو حينئذٍ ابن ثلاثين سنة على الهرب من طرق الفساد كذابهِ دائمًا فدخل في رباط الزواج الطاهر قبل لوثيروس بسنتين وهو اول من فعل ذلك من الرهبان او الخوارنة الفرنساويين ولما تزوج لم يفتكر كيف يرضي زوجتهُ بل كيف يرضي الرب . فشاركتهُ في آلامهِ خريستينا ابنة رجل معتبر من هرزبرج فاخبر لمبرت اصدقاءهُ في وتمبرج بانهُ قد عزم على الرجوع الى فرانسا

فارتعد لوثيروس وملانكثون من هذا الفكر قال لوثيروس ان التوجه من فرانسا الى جرمانيا احرى من التوجه من جرمانيا الى فرانسا . اما لمبرت الذي كانت كل افكارهِ في فرانسا فلم يلتفت الى نصيحة المصلح على ان راي لوثيروس لم يكن بلا تاثير في ضميرهِ فوقع في ارتباك عظيم هل يتوجه الى زوريخ كما حث عليهِ لوثيروس او الى فرانسا او لورين حيث دعاهُ فارل وحيث المسيح امرهُ ان يتوجه كما زعم فانهُ في زوريخ يجد سلامة وامنًا واما في فرانسا فخطرًا وموتًا فاضطرب ولم يقدر ان يجد راحة وكان يجول في ازقة وتمبرج بنظر مطرق في الارض ولم تقدر زوجتهُ ان تسليهُ واخيرًا سقط على ركبتيهِ وطلب من الله ان ينهي انزعاجهُ باشهارهِ ارادتهُ بالقرعة فاخذ قطعتين من الورق وكتب على احداهما فرانسا وعلى الاخرى سويسرا واغمض عينيهِ وسحب فوقعت القرعة على فرانسا ثم خرَّ على ركبتيهِ وقال اللهمَّ اذا كنت لا تريد ان تطبق هاتين الشفتين اللتين ترغبان في ان تنطقا بمجدك فتنازل واكشف لي ارادتك . ثم اعاد سحب القرعة فوقعت ايضًا على فرانسا وبعد ساعات قليلة اذ تذكر كما يخبرنا ان جدعون عند ما دعي لكي يقاتل المديانيين طلب ثلث مرات علامة من السماء بقرب بلوطة عفرة (قض ٦: ٣٠ الى ٤٠) صلَّى الى الله ثالثةً فاجابت القرعة المرة الثالثة فرانسا ومن تلك الساعة لم يعد يتباطا . ولوثيروس الذي لم يكن يركن بهذا المقدار الى القرعة كف لاجل السلامة عن منعهِ فانطلق لمبرت في شهر شباط او اذار سنة ١٥٢٤ وزوجتهُ معهُ الى ستراسبرج ومن هناك الى متز

فتعرف سريعًا بكاتالين ودعاهُ يوناثانهُ. واذ مثل امام جماعة اقيمت لاجل فحص تعاليمهِ قال اسمحوا لي بان اعظ جهارًا فاشهر مئة وست عشر قضية توضح تعليمي وانا احامي عنها ضد ايٍّ كان

اما مجمع الثلاثة عشر والكتبة والقضاة الذين أُحضر لمبرت امامهم فخافوا من هذا الطلب وابوا ان ياذنوا لهُ وبعد ذلك بقليل صارت جميع جيوش المسيح الدجال في هياج كما اخبرنا لمبرت فان الرهبان والمتعبدين واصحاب ديوان التفتيش وخوارنة الاساقفة وجميع احزابهم اجتهدوا في القبض عليهِ والقائهِ في سجن احد الاديرة واما الولاة فحاموا عن لمبرت الآن انهم اوعزوا اليهِ ان يترك المدينة فاطاع لمبرت وقال لمعلمهِ اني اهرب الآن انني لا اكف عن ان اعترف باسمك ومتى شئت اكابد الموت فاني في يدك. اني اهرب ولست اهرب. هذا الهرب يليق بجميع الذين قد كملوا. ولم يكن قد مضى اسبوعان على لمبرت في متز. وقد تعلم ان الله يشهر ارادتهُ بوسائط اخرى غير سحب القرع فان هذا الراهب من شطوط الرون لم يُرسَل الى فرانسا وسوف نراهُ مفيدًا جدًّا في جرمانيا نظير مصلح في هسي فرجع الى ستراسبرج تاركًا كاتالين ولاكلرك في متز وبسبب غيرة هذين الرجلين انتشر نور الانجيل اكثر فاكثر في المدينة باسرها. وكانت هناك امراة متورعة جدًّا اسمها توسنت من الرتبة المتوسطة كان لها ابن اسمهُ بطرس كانت في وسط ملاعبهِ تتكلم معهُ مرارًا بامور مهمة سامية وفي كل مكان حتى وفي بيوت الاهالي كان الناس ينتظرون امرًا غريبًا وذات يوم اذ كان الولد المذكور يلعب بما يوافق سنهُ بركبهِ على عصا في خدر امهِ قالت امهُ في خطابها مع اصدقائها عن الامور الالهية وذلك بصوت مضطرب ان المسيح الدجال سوف ياتي بقوة عظيمة ويلاشي الذين ارتدوا بوعظ ايليا. وهذه الكلمات التي كررتها مرارًا كثيرة اثرت في عقل الولد وتذكرها مدة طويلة بعد ذلك. وبطرس توسنت لم يلبث ان يكون ولدًا عند ما كان عالم اللاهوت وماشط الصوف يناديان بالانجيل في متز فان اقاربهُ واصدقاءهُ اذ تعجبوا من جودة عقلهِ مع صبائهِ طمعوا في ان يروهُ

احدَ الايام في منزلة سامية في الكنيسة . وكان احد اعمامهِ اخوة ابيهِ وكيل الاسقف في متز وذلك اسمي رتبة في المجمع والكردينال يوحنا لورين ابن الدوك ريني الذي كانت لهُ حشم كثيرة اظهر اعتبارًا كثيرًا للوكيل المومأْ اليهِ ولابن اخيهِ الذي مع صغر سنهِ كان قد حصل على علوفة . فصار يصغى الى الانجيل وقال في نفسهِ أليس وعظ كاتالين ولاكارك كوعظ ايليا وفي الحقيقة ان المسيح الدجال يتسلح ضد ذلك في كل مكان ولكن لا باس . فلنرفع رؤُوسنا الى الرب لانهُ هو ياتي ولا يتاخر

فدخل التعليم الانجيلي الى العيال الاولى في متز . والفارس دي اسك رجل معتبر جدًّا وصديق مخلص الوكيل الاسقفي قبل التعليم الانجيلي ففرح اصدقاء الانجيل بذلك فقال بطرس ان الفارس هو معلمنا الفاضل اذا ساغ ان يكون لنا معلم على الارض

وهكذا كانت متز قريبة ان تصير منبت نور ولكن غيرة لاكارك العادمة الفطنة اوقفت بغتةً هذا التقدم البطيء الراهن وهيجت عاصفًا تهدد بالخراب التام الكنيسة الجديدة فان عامة اهالي متز كانوا لم يزالوا منعكفين على خرافاتهم القديمة وقلب لاكلرك امتلأ حنقًا عندما راى تلك المدينة العظيمة غارقة في عبادة الاصنام . ثم قرب احد اعيادهم العظيمة . وكان بمسافة نحو فرسخ من المدينة معبد فيهِ تماثيل لمريم العذراء ولاشهر قديسي البلاد وكان اهالي متز جميعًا من عادتهم ان يزوروا ذلك المعبد في يوم معيَّن من السنة لكي يعبدوا التماثيل وينالوا غفران خطاياهم كما زعموا

ولما اتى مساء العيد تحركت نفس لاكلرك التقية الشجاعة وقال في نفسهِ أَلم يقل الله لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كاعمالهم . بل تبيدهم وتكسر انصابهم (خر ٢٠ : ٤ و ٢٣ : ٢٤) فظن لاكلرك ان هذه الوصية تتجه اليهِ ومن دون ان يستشير كاتالين او اسك او احدًا ممن ظن انهم يمنعونهُ خرج من المدينة مساءً وسار حتى وصل الى المعبد فجلس هناك امام التماثيل حينًا يتامل . ولم تزل لهُ قدرة على الانصراف

الّا انهُ قال في نفسهِ غدًا بعد ساعات قليلة المدينة باسرها التي يجب ان تعبد الله وحدهُ تسجد امام هذه القطع من الخشب والحجر فحدث اضطراب في قلب ماشط الصوف نظير الاضطراب الذي حدث للمسيحيين الاولين فماذا يعنيهِ كون تلك تماثيل آلهة او الهات اصنامية أليست العبادة التي يقدمها الشعب لهذه التماثيل مختصة بالله وحدهُ فاقشعر قلبهُ وتشددت همتهُ نظير بوليوكتي امام الاصنام في الهيكل

فنهض لاكلرك وتقدم الى التماثيل وانزلها وكسرها وبدد بحنق بقاياها امام المذبح ولم يكن يشك بان روح الله قد حركهُ لهذا العمل وهكذا يفتكر ثيودوروس بيزا ايضًا وبعد ذلك رجع لاكلرك الى متز فدخلها عند الفجر من دون ان يراهُ الّا قليلون راوهُ وهو داخل في الابواب

وفي تلك الفترة كان كل شيء في حركة داخل المدينة القديمة فكانت الاجراس تقرع والاخويات تجتمع وخرج جميع اهالي متز بموكب عظيم يتقدمهم العباد والرهبان والخوارنة وهم يتلون الصلوات او يرتلون النشائد للقديسين الذين هم ذاهبون لاجل عبادتهم وكانت الصلبان والرايات تتقدم بترتيب واجب والآلات الموسيقى تتفق مع اصوات المؤمنين واخيرًا بعد سير ساعة وصل الموكب الى محل الزيارة ولكن كم تعجب الخوارنة عند ما تقدموا بالمباخر بايديهم وراوا التماثيل التي اتوا لاجل عبادتها قد كسرت وغطت الارض كسرها فرجعوا الى الوراء كارهين واخبروا الجميع بهذا العمل النفاقي وفي الحال بطل الترتيل وسكتت الآلات ونكست الرايات وكان الجمع باسرهِ في اضطراب لا يوصف فاجتهد العباد والخوارنة والرهبان بتهييجهم وحركوا الشعب على التفتيش على المذنب وطلب موتهِ والجميع صرخوا بصوت واحد فليُقتَل الشقي المنافق فرجعوا الى متز بسرعة ومن دون ترتيب

كان لاكلرك معروفًا عند الجميع ومرارًا كثيرة دعا التماثيل اصنامًا وعدا ذلك أَلم يُرَ عند الفجر راجعًا من جهة المعبد فقُبِض عليهِ واقر حالًا بعملهِ وناشد

الشعب ان يعبدوا الله وحدهُ الآن هذا الكلام انما زاد حنق الشعب الذين ارادوا قتلهُ حالاً وعند ما اقتادوهُ الى امام قضاتهِ قال بجراءة ان يسوع المسيح الاله الذي ظهر في الجسد يجب ان يُعبَد وحدهُ فحُكم عليهِ ان يُحرَق حيًّا فسيق الى محل القتل.

وتوقعهُ هناك منظر هائل فان قساوة مضطهديهِ اخترعت كل ما يجعل قصاصهُ افظع فكان الناس بالقرب من الوتد يحمون مباسم لكي يستعملوها آلات لغضبهم فكان لاكلرك بثبات وهدو يسمع عويل الرهبان والشعب الوحشي ولم يتزعزع فابتدأوا بقطع يدهِ اليمنى ثم اخذوا المياسم الحامية وكشطوا بها انفهُ وبعد ذلك قطعوا ساعديهِ وبعد ان قطعوها في اماكن عديدة ختموا علىم بكي ثدييهِ واذ كان اعداء لاكلرك يسكبون هكذا نقمتهم على جسمهِ كان ضميرهُ في راحة فتلا بخشوع وبصوت عالٍ كلمات داود هذه . اصنامهم فضة وذهب عمل ايدي الناس . لها افواه ولا تتكلم . لها اعين ولا تبصر . لها آذان ولا تسمع . لها مناخر ولا تشم . لها ايدٍ ولا تلمس . لها ارجل ولا تمشي ولا تنطق بحناجرها . مثلها يكون صانعوها بل كل مَن يتكل عليها . يا اسرائيل اتكل على الرب . هو معينهم ومجنهم (مز ١١٥ : ٤ الى ٩) ونظر هذه الشجاعة اخزى الاعداء وقوّى المؤمنين . والشعب الذين اظهروا قبل كل هذا المقدار من الغيظ تحيروا واخذتهم الشفقة وبعد هذه العذابات أُحرِق لاكلرك بنار بطيئة حسب الحكم الذي خرج عليهِ وهكذا كان موت الشهيد الاول للانجيل في فرانسا

الآن خوارنة متزلم يكتفوا فباطلاً اجتهدوا في ان يزعزعوا ثبات كاتالين فقالوا انهُ اصم كافعى ويابى ان يسمع الحق فقبض عليهِ اعوان كرد ينال لورين واخذوهُ الى قلعة نوميني . فحطهُ حينئذٍ اعوان الاسقف عن رتبتهِ وخلعوا عنهُ ثيابهُ الكهنوتية ومروا على اصابعهِ بقطعة زجاج قائلين اننا بهذا العمل ننزع عنك سلطان الذبيحة والتقديس والبركة التي قبلتها بوضع الايدي . ثم القوا عليهِ ثياب العوام وسلموهُ الى السلطة المدنية التي حكمت عليهِ بان يُحرَق حيًّا فجمع الوقود سريعًا وافنى

اللهيب خادم المسيح . اما المذهب اللوثراني فلم يقل امتدادهُ في كل اقليم متز كما اخبرنا اصحاب تاريخ الكنيسة الغاليّة الذين من جهة اخرى مدحوا هذه القساوة كل المدح

وحالما ابتدا هذا العاصف يلطم الكنيسة في متز دخلت البلية في عائلة توسنت . وعمهُ الوكيل الاسقفي من دون ان يشترك في الاعمال التي اتجهت نحو لاكلرك وكانا الين اقشعر من الفكر بان ابن اخيهِ من حزبهما وكان خوف امهِ اعظم ايضًا . والوقت دهمهم فان حرية وحياة جميع الذين امالوا اذانهم الى الانجيل كانتا في خطر والدم الذي سفكهُ اصحاب التفتيش انما زاد عطشهم ولا بد انهُ عن قليل يزيد عدد الاوتاد فقام بطرس توسنت والفارس اسك وآخرون كثيرون وتركوا بسرعة متز وطلبوا ملجأً من باسل

الفصل التاسع

فارل واخوتهُ. ذهاب فارل من فرانسا

كما ذُكِر في الفصل السابق اشتدت عواصف الاضطهاد في ميوكس وفي متز ورفض شمالي فرانسا الانجيل والانجيل تأخر الى حين والاصلاح انما غيّر مكانهُ فصارت اقاليم الجنوب الشرقي موقع العمل

ان فارل الذي التجا الى حضيض جبال الپا اشتغل هناك بنشاط عظيم وكان امرًا زهيدًا عندهُ التمتع بلذات العيشة الاهلية في حضن عائلتهِ واخبار ما حدث في ميوكس وفي باريس ملأَ اخوتهُ خوفًا على نوعٍ الاَّ ان قوة غير معروفة كانت تجتذبهم نحو الاشياء الجديدة العجيبة التي كلمهم اخوهم وليم عنها فان وليم هذا ترجاهم بغيرة عظيمة ان يرجعوا الى الانجيل ودانيال ووالتر وقلودي رجعوا اخيرًا لذلك الاله الذي بشّرهم اخوهم بهِ . ولم يتركوا في اول الامر عبادة آبائهم ولكن عندما

قام الاضطهاد ضحوا بشجاعة اصدقاءهم واملاكهم وبلادهم لاجل عبادة يسوع المسيح بالحرية

ولم يقتصر فارل على مواعظهِ على اخوتهِ بل نادى بالحق لاقاربهِ واصدقائهِ في غاب وجوارها والظاهر ايضًا من بعض المؤلفات انهُ صادق بعض الخوارنة وابتدا ينادي بالانجيل في عدة كنائس الَّا ان البعض يقطعون بانهُ لم يتبوأ المنبر في ذلك الوقت وكيفما كان ذلك التعليم الذي علَّم بهِ احدث هياجًا عظيمًا . فالجمهور والاكليروس ارادوا ان يسكتوهُ قائلين ما هي هذه الهرطقة الجديدة الغريبة . هل تعدُّ جميع اعمال التقوى باطلة . ليس هو راهبًا ولا خوريًا فليس لهُ حق ان يعظ

ولم يمضِ الَّا قليل حتى اجتمع على فارل السلطة الزمنية والسلطة الكنائسية في غاب وحسبوهُ من تلك الطائفة التي كانت تضادها كل البلاد فقالوا دعونا نطرح بعيدًا عنا علة الاختلاف هذا . فدُعي فارل الى الوقوف امام الحكام وعُومل بشراسة وطُرِد بقساوة من المدينة . ولكنهُ لم يترك وطنهُ . قال الم يكن في الحقول والقرى على شطوط نهر دورنس وغويسان وابسيرى انفس كثيرة في احتياج الى الانجيل . واذا وقع في خطر افما يجد ملجا في تلك الاحراش والكهوف والصخور التي جزعها مرارًا كثيرة في صبائهِ . ولهذا ابتدا يسير في البلاد ينادي في بيوت الاهالي والحقول المنفردة ويطلب ملجا في الاحراش وعلى شطوط الانهار وكانت تلك مدرسة اعدهُ الله فيها لاعمال اخرى فقال ان صلبان واضطهادات وحيل الشيطان التي حُذِرتُ منها لاقيتها وهي اقسى مما كنت احتملهُ من نفسي ولكن الله هو ابي وهو قد اعدَّ ويعدُّ لي دائمًا القوة التي احتاجها . وعدد كبير من اهالي تلك الاقاليم المتفرقة قبلوا الحق من شفتيهِ وهكذا الاضطهاد الذي طرد فارل من باريس ومن ميوكس ساعد في انتشار الاصلاح في اقاليم ساقواه والرون وجبال الپا . وكل قرن قد شاهد تمام ما قالتهُ الكتب المقدسة وهوان اولئك الذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة (اع ٨ : ٤)

ومن جملة الفرنساويين الذين رُبحوا في ذلك الوقت للانجيل رجل معتبر من دوفيني وهو الفارس انيموند دي كوكت اصغر بني محاسب كوكت مولى شايتامرد . كان نشيطًا حارًا نبيهًا تقيًا خالصًا وعدوًا للذخائر والاحتفالات والاكليروس وقبل التعليم الانجيلي بكل سرور وتفرَّغ سريعًا لهُ تفرغًا تامًّا ولم يكن يطيق الطقوس في الديانة ورغب في ان ينفي جميع الاحتفالات من الكنيسة. وكانت عندهُ ديانة القلب والعبادة الداخلية وحدها حقيقيتين فقال ان روحي لم تجد قط راحة في الامور الخارجية . بل خلاصة الديانة المسيحية هي في هذه الكلمات يوحنا عمَّد بالماء واما انتم فستتعمَّدون بالروح القدس. يجب ان تلبسوا الانسان الجديد

وكان كوكت متصفًا بكل صفات رجل فرنساوي وكان يتكلم ويكتب تارةً باللغة اللاتينية واخرى باللغة الفرنساوية وقرأ دوناتوس وتوما اكوينا ويوفينال والكتاب المقدس واستشهد بها وكان اسلوب كلامهِ متقطعًا ينتقل بغتةً من فكر الى آخر واذ لم يهدأ كان يحضر الى حيثما ظهر باب مفتوح للانجيل او وعظ احد المعلمين المشاهير وبواسطة خلوصهِ ربح قلوب جميع معارفهِ قال زوينكل فيما بعد انهُ ممتاز في الرتبة والعلم الاَّ انهُ اكثر امتيازًا في التقوى واللطف. وهذا الرجل انما هو رمز كثيرين من الفرنساويين المصلحين فان النشاط وبساطة القلب والغيرة التي بلغت احيانًا حدود الجسارة هي الصفات التي وُجدت مرارًا في ابناء بلادهِ الذين احتضنوا الانجيل الاَّ اننا في الطرف الآخر من الطبع الفرنساوي نجد اخلاق كلوينوس الرزينة تقابل خفة كوكت مقابلة تامة . فان كلوينوس وانيموند هما القطبان اللذان تدور بينهما كل ديانة فرانسا

وحالما قبل انيموند معرفة يسوع المسيح من فارل طلب ان يردَّ الناس الى تعليم الروح والحياة هذا . وكان ابوهُ قد توفي واخوهُ الاكبر كان غليظ الاخلاق متكبرًا فقاومهُ مستخفًا بهِ واما لورنس اصغر العائلة فاحبهُ محبة خالصة ولكنهُ لم يفهمهُ فهمًا كاملاً واذ وجد انيموند نفسهُ مرذولاً من اقاربهِ حوَّل جهادهُ الى جهة اخرى

والى ذلك الوقت كان الانتباه في دوفيني محصرًا في العوام وفارل وانيموند
واصدقاؤُهما رغبوا في ان يروا خوريًا في مقدمة تلك الحركة التي بانت انها
مزمعة ان تزعزع كل اقاليم جبال الپا وكان ساكنًا في غرينوبل خوري فرنسيسي
اسمهُ بطرس سيڤيل وهو واعظ على جانب عظيم من الفصاحة ذو قلب سليم
صالح لا يستشير اللحم والدم جذبهُ الله بتدريج الى الحق وهو عرف سريعًا انهُ
لا يوجد معلم معصوم الاَّ كلمة الله فترك التعاليم المستندة على شهادة البشر فقط
وعزم في نفسهِ ان ينادي بالكلمة بطهارة ووضوح وقداسة ففي هذه الثلاث الكلمات
يتضمن الاصلاح بجملتهِ. ففرح كوكت وفارل عند ما سمعا واعظ النعمة هذا الجديد
يرفع صوتهُ بفصاحة في اقليمهم وافتكرا ان وجودهما يكون من ذلك الوقت
فصاعدًا اقل لزومًا

فكلما امتد الانتباه ازدادت المضادة واذ رغب انيموند في ان يتعرف
بلوثيروس وزوينكل وبزور تلك البلدان التي خرج منها الاصلاح في اول امرهِ
وحنق من اهالي بلادهِ لاجل رفضهم الانجيل عزم على توديع وطنهِ وعائلتهِ فعمل
وصيتهُ ووضع املاكهُ في ذلك الوقت في يد اخيهِ الاكبر مولى شاتلارد تاركًا
اياها لاخيهِ لورنس ثم ترك دوفيني وفرانسا وجعل طريقهُ بكل حمية ابناء الجنوب
في بلدان لم يكن جزعها امرًا هينًا في تلك الايام ومر على سويسرا ولم يقف الاَّ
قليلاً جدًّا في باسل حتى وصل الى وتنبرج حيث سكن لوثيروس وكان ذلك
بعد مجمع نورمبرج بقليل فتقدم الرجل الفرنساوي الى العالم السكسوني بنشاطهِ
المعتاد وتكلم معهُ بحميَّة عن الانجيل واخبرهُ بالطريق الذي دبَّرهُ لاجل انتشار
الحق . فتبسم السكسوني الرزين من تخيلات الفارس الجنوبية ومع ان لوثيروس
مال طبعًا عن طبيعة اهالي فرانسا خلب لبهُ وسباهُ انيموند واثر فيهِ الفكر ان
هذا الرجل قد اتى من فرانسا الى وتنبرج محبةً بالانجيل فقال المصلح لاصدقائهِ
حقًّا ان هذا الفارس الفرنساوي رجل فاضل عالم تقي وهكذا كان فكر زوينكل
عن هذا الشاب الشريف

واذ راى انيموند ما فعلهُ لوثيروس وزوينكلي ظن انهُ اذا حوّلا افكارها نحو فرانسا وساڤواه لايقدر شيء على مقاومتها ومن ثمَّ اذ لم يقدر على اقناعها بالتوجه الى هناك ترجاها ان يكتبا وعلى الخصوص طلب من لوثيروس ان يكتب مكتوبًا الى كرلوس دوك ساڤواه اخي لويزا وفيليبرتا وعم فرنسيس الاول ومرغريتا . قال ان هذا الامير يشعر بميل عظيم نحو التقوى والديانة الحقيقية ويحب ان يتكلم عن الاصلاح مع البعض من اهالي بلاطهِ وهو الرجل الذي يفهم كلامك لانهُ يقول دائمًا ان الذين يتقون الله لا يعوزهم شيء وهذا قولك ايضًا واذ يتاذى تارةً من الامبراطورية واخرى من فرانسا ويُذَل ويُغضَب وهو دائمًا في خطر ترى قلبهُ في احتياج الى الله والى نعمتهِ ولا تلزمهُ الاَّ دفعة فاذا انقاد الى الانجيل تكون لهُ سطوة عظيمة على سويسرا وساڤواه وفرانسا فاترجاك ان تكتب اليهِ

كان لوثيروس جرمانيًا تامًا في طبيعتهِ ولم يكن لهُ ان يرتاح خارج جرمانيا الاَّ انهُ اذ كان مستقيمًا في ايمانهِ مد يدهُ حالما وجد اخوةً وحيثما وجدهم واذا وجد محلاًّ لكلام الانذار لم يتاخر واحيانًا كتب في يوم واحد الى اقصى بلاد اوروپا الى البلاد الواطئة وساڤواه وليڤونيا

فاجاب انيموند قائلاً حقًّا ان محبة الانجيل هي عطية نادرة وجوهرة لا ثمن لها اذا وُجدت في امير. فكتب مكتوبًا الى الدوك ومن المحتمل ان انيموند اوصلهُ الى بلاد سويسرا وارسلهُ من هناك وهذه صورة مكتوب لوثيروس الى الدوك

ارجوك ان يسامحني سموُّك اذا كنت انا الرجل الضعيف الحقير اتجاسر على الكتابة اليك او بالحري انسب هذه الجسارة الى مجد الانجيل لانهُ لا يمكنني ان ارى ذلك النور المجيد مشرقًا ولامعًا في جهة من دون ابتهاج بالنور المفرح ورغبتي هي ان ربي يسوع المسيح يربح انفسًا كثيرة بواسطة نموذج سعادتك ولاجل هذا السبب ارغب في ان ابسط تعليمنا امامك . نعتقد ان ابتداء الخلاص وشمس الديانة المسيحية هو الايمان بالمسيح الذي بدمهِ فقط لا باعمالنا قد كفَّر عن الخطية

وابطل سلطان الموت ونومن ان هذا الايمان هو عطية من الله وانهُ يُخلَق بواسطة الروح القدس في قلوبنا ولا يوجد بواسطة اجتهاداتنا لان الايمان هو شيء حي يلد الانسان بنوع روحي ويجعلهُ خليقة جديدة

ثم اخذ لوثيروس يبين نتائج الايمان ويوضح كيف انهُ لا يمكن الحصول عليهِ من دون ازالة كل ابنية التعاليم الكاذبة والاعمال البشرية التي رفعتها الكنيسة بهذا المقدار من الجهاد فقال اذا كانت النعمة تُنال بدم المسيح فلا يكون ذلك باعمالنا وهذا هو السبب لكون جميع اعمال الادبرة باسرها لا تفيد ولوجوب ابطال هذه الترتيبات لانها مضادة لدم يسوع المسيح وتقود الناس الى الاتكال على اعمالهم الصالحة. فاننا اذا تطعَّمنا بالمسيح لا يبقى علينا شيء الاَّ ان نعمل الصلاح لاننا متى صرنا اشجارًا جيدة ناتي باثمار جيدة لا محالة

ثم ختم لوثيروس مكتوبهُ بقولهِ ايها الامير والسيد المنعم اسال سعادتك بما انك قد شرعت في هذه البداءة السعيدة ان تساعد في انتشار الانجيل لا بقوة السيف التي توذي الانجيل بل بجلبك الى ولايتك رجالاً علماء يقدرون على الانذار بالكلمة. ان المسيح انما يهلك المسيح الدجال بروح فيهِ كما قال دانيال (٨ : ٢٥) لكي ينكسر بلا يدٍ ولهذا السبب اترجى سعادتك ان تضرم الجمرة التي اشتعلت في قلبك وليخرج لهيب من بيت ساڤوا كما خرج في الازمان السالفة من بيت يوسف. ولتحترق كل فرانسا كالقش امام تلك النار فلتحترق وتلتهب وتنقى لكي تدعى تلك المملكة المغبوطة مملكة مسيحية بالحق اللقب الذي الى هذه الساعة لا تستحقهُ الاَّ بسبب مجاري الدماء المسفوكة في خدمة المسيح الكذاب

فهكذا اجتهد لوثيروس في انتشار الانجيل في فرانسا ولا نعلم التاثير الذي حصل للامير من هذا المكتوب الاَّ اننا نعلم انهُ لم يظهر قط رغبة في الانفصال عن رومية وفي سنة ١٥٢٢ طلب من ادريانوس السادس ان يقف شبينًا لابنهِ الاكبر وبعد ذلك بقليل وعدهُ البابا ببرنيطة كردينال لابنهِ الثاني . اما انيموند فبعد اجتهادهِ في ان يرى قصر منتخب سكسونيا اخذ مكتوبًا من لوثيروس

لاجل هذه الغاية ثم رجع الى باسل باشد عزم على بذل حياتهِ لاجل الانجيل وكان يتوق توقًا مفرطًا الى الحصول على قوة لانهاض فرانسا قاطبةً فقال اني عازمٌ على تكريس نفسي بجملتها وكل ما لي الآن وفيما ياتي لمجد الله

فوجد انيموند ابن وطنهِ فارل في باسل. لان مكاتيب انيموند كانت قد اهاجت فيهِ رغبة في ان يرى مصلحي سويسرا وجرمانيا وعدا ذلك كان فارل يطلب محل كد يقدر فيهِ ان يستعمل نشاطهُ باكثر حرية ومن ثمَّ ترك فرانسا التي لم تقدم شيئًا الاَّ الاوتاد والمقاطر لواعظي الانجيل الخالص واذ كان يسير في الطرقات المنقطعة ويخفي نفسهُ في الاحراش نجا بصعوبة من ايدي اعدائهِ وكثيرًا ما اضاع طريقهُ واخيرًا وصل الى سويسرا في بداءة سنة ١٥٢٤ وقد قُضي عليهِ بان يصرف حياتهُ هناك في خدمة الانجيل وفي ذلك الوقت ابتدات فرانسا ترسل الى هلڤيتيا اولئك الانجيليين الكرماء المزمعين ان يقيموا الاصلاح في سويسرا وان يكسبوهُ حركة جديدة قوية في اماكن اخرى من المعاهدة وفي كل العالم

الفصل العاشر

كاثوليكية الاصلاح . الصداقة بين فارل واكولمباذيوس . فارل وايراسموس

ان كاثوليكية الاصلاح هي من اشرف صفاتهِ فان الجرمانيين جازوا الى فرانسا والفرنساويين الى جرمانيا وفي الازمنة التي بعد تلك جاز اناس من انكلترا وسكوتلاندا الى القارة واناس جازوا من القارة الى بريطانيا والمصلحون قاموا في البلدان المختلفة مستقلين احدهم عن الآخر الاَّ انهم حالما قاموا مدُّوا يد الشركة بعضهم الى بعض لانهُ كان بينهم ايمان واحد وروح واحد ورب واحد وفي راينا كتابة تاريخ الاصلاح لبلاد واحدة خطاء لان العمل واحد وكنائس البروتستانت هي منذ بداءتها جسد كامل مركب معًا بحسن النظام

ان ملتجئين كثيرين من فرانسا ولورين نظموا في باسل بقرب ذلك الوقت كنيسة فرنساوية قد نجا اعضاؤها من الحريق وتكلموا هناك عن فارل ولافيفر وعن حوادث ميوكس وعند ما وصل فارل الى سويسرا كان معروفًا قبل ذلك بانهُ من اكبر عاضدي الانجيل

فأخذ حالاً الى اكولمباذ بوس الذي رجع الى باسل قبل ذلك بمدة وبالكد يتفق ان رجلين اكثر تفاوتًا في اخلاقهما يجتمعان معًا فان اكولمباذبوس كان يسبي الناس بلطافتهِ وفارل كان يجلب الباهم بواسطة نشاطهِ الَّا انهُ من الدقيقة الاولى شعر هذان الرجلان بانفسهما انهما متحدان معًا الى الابد وكان ذلك مثل اجتماع لوثيروس وملانكثون فقبل اكولمباذبوس فارل في بيتهِ واعطاهُ خدرًا وشاركهُ على مائدتهِ الحقيرة وعرف اصدقاءهُ بهِ ولم يمضِ الَّا قليل حتى انَّ علم الشاب الفرنساوي وتقواهُ وشجاعتهُ خلبت كل قلب . وپايكان وايميلي ووالفهرد وخدامًا آخرين للانجيل من باسل شعروا بانهم قد تقووا في الايمان بواسطة كلامهِ النشيط وكان اكولمباذبوس في ذلك الوقت متضايقًا كثيرًا في روحهِ فقال لزوينكلي وا اسفاه اني اتكلم باطلاً ولا ارى اصغر باب للامل ولربما اجد بين البرابرة نجاحًا اعظم . ثم قال بتنهد عميق اواه اني لا الوم الَّا نفسي فقط . ولكن كل ما زادت معرفتهُ بفارل انتعش قلبهُ انتعاشًا والنشاط الذي استفادهُ من العالِم الدوفيني صار اساسًا لمحبة بينهما مؤبدة فقال يا عزيزي فارل اني ارجوان الرب يجعل صداقتنا غير مائتة وان لم نقدر ان نعيش معًا هنا على الارض يكون فرحنا اعظم عند ما نتحد عن يمين المسيح في السماء . فيا لها من افكار نقية مؤثرة . وكان وصول فارل الى سويسرا نجدة من السماء لا محالة

وبينما كان هذا الرجل الفرنساوي مبتهجًا باكولمباذبوس نفر ببرودة وكبرياء كريهة من رجل قد سقطت جميع قبائل المسيحيين خارَّة عند قدميهِ فان امير المدارس ذلك الذي كان يشتهي الجميع ان يسمعوا كلامهُ او يروا وجههُ معلم العصر ابراسموس تحول عنهُ فارل وابى الدوفيني الشاب ان يذهب

ويتذلل امام عالِم روتردام الشيخ وازدرى باولئك القوم الذين لا يتمسكون تمسكًا تمامًا بالحق ومع معرفتهم جيدًا بنتائج الضلال يحتملون احتمالاً كاملاً الذين ينشرونهُ وهكذا نرى في فارل ذلك العزم الذي صار الصفة المميزة للاصلاح في فرانسا وسويسرا التي يدعوها البعض قساوة وصرامة وترفضًا وكان قد ابتدا بين علماء العصر العظيمين جدال من جهة تفاسير عالِم ايتابليس فكنت ترى في كل وليمة الضيوف يتحزبون لايراسموس ضد لافيڤر ولافيڤر ضد ايراسموس. ولم يتاخر فارل عن التحزب لمعلمهِ والذي ازعجهُ على الخصوص هو جبانة فيلسوف روتردام نظرًا الى المسيحيين الانجيليين فان ايراسموس اغلق بابهُ عنهم ولم يكن من فارل ان يذهب ويطالب الدخول وكان ذلك خسارة جزئية عندهُ اذ شعر بان ايراسموس لم تكن لهُ تلك التقوى القلبية التي هي اساس اللاهوت الحقيقي بجملتهِ وقال فارل ان زوجة فروبينيوس تعرف اكثر منهُ في اللاهوت. واذ كان حنقًا من تصرف ايراسموس الذي كان قد كتب الى البابا ينصحهُ كيف يطفي الحريق اللوثراني قال بجسارة ان ايراسموس يرغب ان يخنق الانجيل

وهذه الحرية من فارل الفتى اغضبت العالِم الشهير فان الامراء والملوك والعلماء والاساقفة والباباوات والمصلحين والخوارنة واهل العالم كانوا يقدمون لهُ الاكرام حتى ان لوثيروس نفسهُ عاملهُ بشيء من الرفق وهذا الدوفيني الغريب عن الشهرة والمنفي تجاسر على احتقارهِ وهذه الحرية الوقحة ازعجت ايراسموس ازعاجًا لم يوازهِ اعتبار كل العالم ومن ثم كان يحاول بقدر مكنتهِ ان ينزل غضبهُ بفارل وعدا ذلك بواسطة مقاومتهِ اراتيكيًا مشهورًا مثل هذا يبرر نفسهُ في اعين الرومانيين من كل شبهة ارتقة. فقال اني لم اصادف قط شيئًا اكثر كذبًا وشراسة ونزاعًا من هذا الرجل فان قلبهُ مملوٌّ عجبًا ولسانهُ يفيض خباثة. ولم ينحصر غضب ايراسموس في اتجاهه نحو فارل وحدهُ بل اتجه نحو جميع الفرنساويين الذين التجأوا الى باسل الذين اغاظوهُ بحريتهم وعزمهم فانهم قلما كانوا يحابون ولم يبالوا بالانسان مهما كان عقلهُ ساميًا ان لم يعترف بالحق جهارًا ولربما قلت

فيهم لطائفة الانجيل غير ان امانتهم تذكرنا بنشاط الانبياء القدماء . والاجتماع بقوم لا يحنون اعناقهم امام ما يعبدهُ العالم امر لذيذ واذ حنق عليهم ايراسموس من هذا الافتراء العظيم اشتكى لكل احد وكتب الى ملانكثون يقول ليت شعري هل نرفض الاحبار والاساقفة لكي يكون لنا عوضهم رجال اكثر قساوة ودناءة وشراسة لان هكذا هم الذين ارسلتهم فرانسا الينا . وكتب الى كاتب البابا في مكتوب عن حرية الارادة يقول ان البعض من الفرنساويين قد اضاعوا عقولهم اكثر من الجرمانيين وعلى افواههم دائمًا خمس كلمات وهي الانجيل وكلمة الله والايمان والمسيح والروح القدس ومع ذلك اشك بكونهم لم يتلقنوا من روح الشيطان. ولما كتب اسم فارل باللاتيني فعوضًا عن فاريلوس كان مرارًا يكتب فاليكوس وهكذا وصف اشد اهل عصرهِ حرية ونصاحة بالقاب الغش والخداع

وبلغ غضب ايراسموس اعلى درجاتهِ عند ما بلغهُ ان فارل دعاهُ بلعام فان فارل زعم بان ايراسموس ربما بدون شعور عمل مثل بلعام وسمح لنفسهِ ان يلعن شعب الله لاجل العطايا والهبات فلم يستطع ايراسموس على ضبط نفسهِ فعزم على مقاصة الدوفيني الجسور واذ كان فارل ذات يومٍ يتكلم مع بعض اصحابهِ عن تعاليم الديانة المسيحية وذلك بحضور ايراسموس عارضهُ ايراسموس بوقاحة وقال لماذا تدعوني بلعام . فاجاب فارل متحيرًا من هذا السوال الفجائي وقال انهُ ليس هو الذي لقبهُ هذا اللقب واذ الح عليهِ ان يسمي المفتري قال انهُ دوبليت من ليون الذي كان ملتجئًا الى باسل نظيرهُ . فاجاب ايراسموس ربما يكون هو الذي استعمل هذه الكلمة الَّا انك انت قد علمتهُ ثم حول سريعًا الحديث الى موضوع آخر خجلاً من حنقهِ . وقال لفارل لماذا تزعم انهُ لا يسوغ لنا ان نستغيث بالقديسين العل ذلك لانهُ لم يُؤْمَر بهِ في الكتب المقدسة . فاجاب فارل نعم. فاستتلى ايراسموس قائلاً فاني اذًا اطلب منك ان تبرهن من الكتب المقدسة انهُ يجب علينا ان نستغيث بالروح القدس. فاجاب فارل ان كان هو الله يجب ان نستغيث بهِ. قال ايراسموس فتركت الحديث لان الليل قد دنا

ومن تلك الساعة كلما كتب اسم فارل بقلمهِ كان يقول انهُ رجل مبغوض يجب على كل واحد ان يحذر منهُ واما مكاتيب المصلح فكانت بعكس ذلك مملوَّة لطفًا من جهة ابراسموس فان الانجيل الطف من الفلسفة حتى في اشد النضال

فصار للتعليم الانجيلي اصدقاء كثيرون في باسل في اهل المجلس وبين الشعب واما علماء المدرسة الكبيرة فانهم ضادوهُ بكل قوتهم . وكان اكولمباذ بوس وستور خوري ليستال قد حاميا عن بعض القضايا ضدهم وفارل حسب انهُ يجب عليهِ ايضًا ان يقر في سويسرا بالمبدا العظيم الذي للمدرسة الانجيلية في باريس وميوكس وهو ان كلمة الله هي كافية بالتمام . فاستاذن المدرسة ان يحامي عن بعض القضايا وقال لكي أُوبَّخ اذا كنت في غلط وليس لكي اعلم الآخرين . اما المدرسة فلم تقبل

وعند ذلك خاطب فارل المجلس فاصدر المجلس اعلانًا جهاريًّا بان مسيحيًّا اسمهُ وليم فارل قد كتب بوحي من الروح القدس بعض القضايا المطابقة للانجيل وقد أُذِنَ لهُ ان يذيعها في اللاتيني فنهت المدرسة جميع الخوارنة والتلاميذ عن الحضور في الجدال واما المجلس فاصدر اوامر ضد تلك

وهذه بعض الثلاث عشرة قضية التي كتبها فارل

ان المسيح قد اعطانا اكمل قانون للحياة وليس لاحد سلطان ان ينقص منهُ شيئًا ولا ان يزيد عليهِ شيئًا

ان السلوك حسب وصايا اخرى غير وصايا المسيح يقودنا راسًا الى الشر

ان وظيفة الخوارنة الحقيقية هي ان يمارسوا خدمة الكلمة ولا توجد لهم درجة اسمى

ان نزع اليقينية عن بشائر المسيح المفرحة هو ملاشاة تلك البشائر

ان الذي يرجو ان يتبرر بواسطة قوة نفسهِ او بواسطة استحقاقهِ وليس بالايمان يجعل نفسهُ مثل الله

ان يسوع المسيح الذي تطيعهُ جميع الاشياء هو هادينا والمرشد الوحيد

الذي يجب ان نتبعهُ

فهكذا قام في باسل هذا الرجل الفرنساوي والذي اعلن بجسارة بحضور ايراسموس في مدرسة سويسرا تلك الشهيرة مبادي الاصلاح العظيمة وهو واحد من بني جبال دوفيني الذي تربي في باريس عند قدمي لافيفر. وفي قضايا فارل مبدآن. المبدا الواحد هو الرجوع الى الكتب المقدسة والآخر هو الرجوع الى الايمان وهذان الامران حرمتها البابا وية في بداءة القرن الثامن عشر بانهما اراتيكيان ونفاقيان وهما اذا قُرِنا معًا يقلبان كل الترتيب البابا وي لانهُ اذا كان الايمان بالمسيح هو بداءة ونهاية الديانة المسيحية ينتج انهُ يجب علينا ان نتمسك بكلمة المسيح لا بصوت الكنيسة ومعناهم بصوت الكنيسة صوت الاكليروس وزد على ذلك انهُ اذا كان الايمان بالمسيح هو الذي يقرن النفوس معًا فابن الاحتياج الى رباط خارجي. فهل نقوم وحدتهم المقدسة بالعكاكيز والمناشير والتيجان. فان الايمان يقرن بوحدة روحية حقيقية جميع الذين يتخذ لهُ مسكنًا في قلوبهم وبذلك يلاشي بضربة واحدة الخداع المثلث الناتج من الاعمال الاستحقاقية والتقليدات البشرية والوحدة الكاذبة التي هي خلاصة المذهب البابا وي الروماني

ثم ابتدا الجدال في اللغة اللاتينية . فتقدم فارل واكولمباذبوس وبرهنا قضاياهما وطلبا على التوالي من اخصامهما ان يجيبوا . ولكن لم يبرز احدٌ منهم وهولاء السفسطيون كما يدعوهم اكولمباذبوس كانوا يفتخرون ولكن في الشقوق والزوايا المظلمة . ومن ثمَّ ابتدا الشعب يحتقرون جبانة الخوارنة ويكرهون ظلمهم

وهكذا قام فارل بين المحامين عن الاصلاح ففرحوا جدًّا لما راوا رجلاً فرنساويًّا لهُ هذا المقدار من العلم والتقوى وابتدا وا ينتظرون اشرف الغلبات فقال انهُ كافٍ لكي يهلك جميع الحزب الصربوني وحدهُ . وصدقهُ وخلوصهُ وبساطتهُ كانت تسبي كل قلب الاَّ انهُ مع كل نشاطهِ لم ينسَ ان كل رسالة يجب ان تبتدي في انفسنا واكولمباذبوس اللطيف عمل شرطًا مع فارل النشيط بان يستعملا التواضع والوداعة في مخاطباتهما الانيسة بعضهما مع بعض وهذان

الرجلان الجسوران كانا يعدّان انفسهما حتى في ميدان القتال لواجبات السلام ولا يخفى ان جسارة لوثيروس وفارل كانت فضيلة ضرورية لانهُ لا بد من الاجتهاد عند تحريك العالم وتجديد الكنيسة وفي ايامنا هذه كثيرًا ما ننسى هذا الحق الذي اقرَّ بهِ حينئذٍ اودع الناس وكتب اكولمباذيوس الى لوثيروس يعرفهُ بفارل يقول موجود قوم يريدون ان نكون غيرتهُ ضد اعداء الحق قليلة لكنني لا ارى في هذه الغيرة عينها الاَّ فضيلة عجيبة واذا مارسناها كما يجب فليست هي اقل لزومًا من الوداعة نفسها . والاجيال التابعة قد ثبتت حكم اكولمباذيوس

وفي شهر ايار سنة ١٥٢٤ نهض فارل مع بعض الاصدقاء من ليون وزاروا شافهوسن وزوريخ وقسطنسيا . فترحب زوينكل وميكونيوس بفرح بهذا المنفي من فرانسا وتذكر فارل معروفهما كل حياتهِ وعند رجوعهِ الى باسل وجد ايراسموس واعداءهُ الآخرين في الاشتغال ضدهُ فاتتهُ اوامر بان يترك المدينة فصرخ اصدقاؤهُ صراخًا شديدًا مظهرين غيظهم من ذلك وذهب ذلك باطلاً فالتزم ان يخرج من بلاد سويسرا التي في ذلك الوقت الباكر صارت مهربًا وملجأً للمضطهدين فقال اكولمباذيوس بغضب اننا هكذا نمارس الضيافة نحن اولاد سدوم الحقيقيين

وبينما كان فارل في باسل دخل في صداقة قلبية مع الفارس اسك الذي عزم على مصاحبتهِ فخرج الاثنان بمكاتيب من اكولمباذيوس الى لوثيروس وكاپيتو اللذين اوصاهما عالِم باسل بفارل قائلاً هو وليم ذلك الذي تعب بهذا المقدار في عمل الله . واذ كان فارل في ستراسبرج صادف كاپيتو وبوسر وهيديو ولا بيان انهُ وصل الى وتمبرج

الفصل الحادي عشر

دعوة فارل الى القسوسية. الوعظ في ليون. خوف مرغريتا

ان الله في الغالب انما يرفع احباءهُ من ميدان القتال لكي يرجعهم اليهِ اقوى واحسن تسلحًا فان فارل واصدقاءهُ من ميبوكس ومتز وليون ودوفيني اذ طُرِدوا من فرانسا بالاضطهاد شُحِذوا ثانيةً في سويسرا وجرمانيا بين اكبر المصلحين ثم نظير عسكر قد تبدد اولاً من العدو ثم تجمع حالاً اخذوا في الرجوع والهجوم باسم الرب واصدقاء الانجيل هولاء لم يجتمعوا فقط في اطراف البلاد بل ازدادوا قوة في فرانسا ايضًا واستعدوا لتجديد العمل

وكانت مونتبليارد حينئذٍ تطلب عاملاً في الانجيل واولرك الفتى دوك ومبرج الذي كان اميرًا قاسيًا ظالمًا اذ سلبهُ مجمع سوابيا املاكهُ وذلك في سنة ١٥١٩ التجا الى تلك المقاطعة التي هي الملك الوحيد الباقي لهُ ولما كان في سويسرا تعرَّف بالمصلحين فكانت مصائبهُ نافعة لهُ فابتهج بالانجيل فاوعز اكولمباذيوس الى فارل انهُ قد انفتح باب في مونتبليارد فتوجَّه فارل سرًّا الى باسل

ان فارل لم يكن قد دخل رسميًا في خدمة الكلمة ولكنهُ كان على كل ما لزم من الاستعداد لخادم الرب فلم يدخل في خدمة الكلمة باستخفاف ولا بموجب طلب منهُ . قال اني لو لاحظت ضعفي لم اكن اتجاسر على الوعظ اذ كنت انتظر الرب لكي يرسل اشخاصًا اصلح مني. الاَّ ان الله في ذلك الوقت دعاهُ دعوةً مثلثة. فانهُ حالما وصل الى باسل طلب منهُ اكولمباذيوس الذي شعر باحتياج فرانسا ان يكرس نفسهُ لها بقولهِ انظر كم هي قليلة معرفة يسوع المسيح عند جميع الذين يتكلمون باللسان الفرنساوي أَما تعلمهم بعض الامور بلغتهم لكي يفهموا على احسن منوال الكتب المقدسة. وفي الوقت نفسهِ دعاهُ اهالي مونتبليارد اليهم فارتضى

الامير بدعوتهم . ألم تكن هذه الدعوة مثلثة من الله . قال لم افتكر انهُ يجوز لي ان امانع فاني اطعت باسم الله. واذ كان فارل مخفيًا في بيت اكولمباذيوس يقاتل في نفسهِ الواجبات التي تقدمت لهُ ومع ذلك شعر بانهُ يجب عليهِ ان يخضع لدلائل واضحة دالة على ارادة الله قبل هذه الدعوة فافرزهُ اكولمباذيوس داعيًا باسم الرب ومخاطبًا اياهُ بعبارات مملوءة حكمة فقال بمقدار ما تكون مائلًا الى الشراسة يجب عليك ان تمارس اللطافة فاصلح شجاعة اسدك بوداعة الحمامة . فاجاب فارل هذه الدعوة بكل نفسهِ

وهكذا فارل الذي كان تابعًا غيورًا للكنيسة القديمة كان مزمعًا ان يصير خادم الله في الجديدة واذ كانت كنيسة رومية تطلب في الرسامة الصحيحة وضع يدي اسقف متسلسل من الرسل سلسلة غير منقطعة فانها انما تفعل ذلك لانها تجعل التقليدات البشرية فوق كلمة الله. وفي كل كنيسة لا تكون فيها سلطة كلمة الله مطلقة لا بد من طلب سلطة اخرى. فانصرف فارل برفقة اسلك قاصدًا مونتبليارد

ان فارل وجد نفسهُ في مقدم الجيش فوراءهُ كانت باسل وستراسبرج تعضدهُ بنصائحها ومطابعها وامامهُ كانت اقاليم كومتي وبرغندي ولورين وليون وباقي فرانسا حيث ابتدا رجال الله يقاومون الضلال في وسط ظلمة مدلهمة فاخذ حالًا يبشر بيسوع المسيح وينذر المومنين محذرًا اياهم من التحول عن الكتب المقدسة بسبب التهديدات او العذابات . فابتدا فارل قبل كلوينوس بزمان طويل بالعمل الذي كان هذا المصلح عتيدًا ان يتممهُ على نوع اكمل وكان في مونتبليارد نظير قائد على راس جبل تنظر عيناهُ الحادقتان نحو ميدان القتال ويقوي الذين قد دخلوا في حومة النضال من العدو ويجمع تلك الصفوف التي كسرتها جراءة الاعداء ويشدد بواسطة شجاعتهِ الذين تقهقروا راجعين الى الوراء فكتب ابراسموس حالًا الى اصدقائهِ الباباويين يقول ان رجلًا فرنساويًا قد هرب من فرانسا وهو يحدث شغبًا عظيمًا في تلك الاطراف

ولم تكن اتعاب فارل بلا ثمر وكتب الى احد ابناء وطنهِ بانهُ من كل جهة

يقوم اناس يكرسون كل قواهم وكل حياتهم لامتداد ملكوت المسيح على قدر الامكان واصدقاء الانجيل شكروا الله لان كلمتهُ المباركة اشرقت باكثر لمعان كل يوم في جميع اقسام فرانسا حتى انذهلت الاعداء وكتب ايراسموس الى اسقف روشستر يقول ان البدعة تمتد كل يوم وتدب في سافواه ولورين وفرانسا

وبقيت ليون زمانًا طويلاً مركز العمل الانجيلي داخل المملكة كما كانت باسل خارجها وفرنسيس الاول اذ سار نحو الجنوب بهمة ضد كرلوس الخامس وصل الى تلك المدينة مع امهِ واختهِ واعوانهِ فجلبت مرغريتا معها رجالاً كثيرين من اصحاب الانجيل وقد ذُكِر في مكتوب كُتِب بالقرب من ذلك الوقت انها كانت قد نبذت عنها جميع القوم الآخرين واذ كان فرنسيس الاول يسوق في ليون عسكرًا اربعة عشر الفًا من سويسرا وستين الفًا من فرانسا والفًا وخمس مئة من الاشراف لكي يدافع عن بروفنس وكانت تلك المدينة العظيمة ترنُّ باصوات الاسلحة وصهيل الخيل وصوت البوق كان اصدقاء الانجيل يتقدمون نحو غلبات اسلم فارادوا ان يعملوا في ليون ما لم يقدروا عليهِ في باريس لعل كلمة الله تحصل على مدخل اسهل اذا كانت بعيدة عن مدرسة الصربون وعن الديوان ولعل المدينة الثانية في المملكة تكون المدينة الاولى للانجيل . الم يكن هذا المكان الذي ابتدا فيهِ بطرس والدو الفاضل منذ نحو اربعة قرون ينادي بالكلمة الالهية فانهُ في ذلك الوقت ايضًا قد زعزع فرانسا قاطبةً وحينئذٍ اذ اعد الله كل شيء لاعتاق كنيستهِ امًا يُؤمَل بنجاح اوسع واثبت . وهكذا اهالي ليون الذين لم يكونوا بوجه العموم قومًا فقراء كما في القرن الثاني عشر ابتداوا يقبضون باكثر شجاعة على سيف الروح الذي هو كلام الله

ومن جملة الذين كانوا مع مرغريتا موزع صدقاتها ميخائيل دي ارندي وهذه الاميرة سعت في ان ينادى بالانجيل جهارًا في ليون والمعلم ميخائيل كان ينادي بكلمة الله بشجاعة ونقاوة امام جمهور عظيم من المصغين جذبتهم الى ذلك من الجانب الواحد اللذة المقرونة ببشائر الانجيل حيثما اُذيعت ومن الجانب

الآخر القبول الذي كان للوعظ والواعظ لدى اخت الملك العزيزة

ثم ان انطونيوس پاپلون ذا العقل المهذب جدًّا والخبير باللاتينية وصديق ابراسموس الذي كان الاول في فرانسا في معرفة الانجيل رافق الاميرة ايضًا وهو اجابةً الى طلب مرغريتا ترجم مصنَّف لوثيروس في النذور الرهبانية ومن جرى ذلك حصل عليهِ تعب كثير من قبل هولاء الجرذان الكسالى الّا ان مرغريتا حمتهُ من هجمات الصربونيين وحصَّلت لهُ وظيفة معلم لابن الملك ومقامًا في الديوان الكبير ولم يكن اقل منفعة للانجيل بواسطة ورعهِ مما كان بواسطة فطنتهِ. ورجل تاجر اسمهُ ڤوغريس ورجل آخر اسمهُ انطونيوس دوبليت احد اصدقاء فارل كانا اولًا في الاصلاح في ليون وانطونيوس الذي كان ذا نشاط عظيم كان بمنزلة رباط وحدة بين المسيحيين المتفرقين في تلك البلدان واوصل بينهم وبين مسيحيي باسل وعند ما جازت جنود فرنسيس الاول المسلحة في وسط ليون وصل الى هناك جنود يسوع المسيح الروحيون مع مرغريتا واذ تركوا اولئك يذهبون الى بروفنس وسهول ايطاليا لاجل القتال ابتداوا هم بحرب الانجيل في ليون نفسها

الّا انهم لم يقتصروا في انعابهم على المدينة بل كانوا ينظرون الى كل جهة حولهم فان الميدان انفتح في قضايا كثيرة في وقت واحد ومسيحيو ليون شجعوا بواسطة اجتهاداتهم وانعابهم جميع اولئك الذين اعترفوا بالمسيح في الاقاليم المجاورة وفعلوا اكثر من ذلك ايضًا فانهم انطلقوا ونادوا بهِ في اماكن لم يكن معروفًا فيها بعد فصعد التعليم الجديد نهر ساوون وجاز احد الانجيليين ازقة ماكون الضيقة العادمة النظام وميخائيل دي ارندي نفسهُ زار ذلك المكان سنة ١٥٢٤ وبمساعدة اسم مرغريتا حصل على اذن للوعظ في تلك المدينة التي قُضي عليها في زمن متاخر بان تمتلئ دمًا وتصير الى الابد مشهورة لاجل قساوة الاضطهاد فيها

فبعد ان جال مسيحيو ليون اقاليم ساوون انتشروا بفتوحاتهم الى جهات الپا وهم دائمًا على حذر. وكان في ليون رجل دومينيكي اسمهُ ميغريت اضطرهُ الحال الى ترك دوفيني حيث كان قد نادى بجراءة بالتعليم الجديد وطلب برغبة ان واحدًا

ينطلق ويشجع اخوتهُ اهالي غرينوبل وغاب فانطلق يابلون ودوبليت الى هناك وكان قد هاج هناك عاصف شديد ضد سبقيل وتبشيرهِ فان الدومينيكيين حركوا السماء والارض واذ جنوا عندما راوا هذا العدد من الانجيليين كفارل وانيموند وميغريت يفلتون من ايديهم ارادوا ان يسحقوا اولئك الذين بقوا في طاقتهم ولذلك طلبوا القاء القبض على سبقيل

فخاف اصدقاء الانجيل في غرينوبل. هل يوخذ منهم سبقيل ايضًا فترجت مرغريتا اخاها وكثيرون من مشاهير غرينوبل ومن جملتهم قهرمان الملك واصدقاء الانجيل سرًّا او جهرًا اجتهدوا في انقاذ الاخ الشيخ واخيرًا اجتهادهم جميعًا انقذهُ من غيظ اعدائهِ

فنجت حياة سبقيل ولكن فمهُ انسد فانهم قالوا لهُ ابقَ صامتًا والاَّ فانك تساق الى الوتد فكتب الى انيموند دي كوكت انهم قد امروني بالصمت تحت طائلة الموت وهذه التهديدات اخافت ايضًا اولئك الذين كان فيهم احسن الآمال الى قهرمان الملك وغيرهِ من اصدقاء الانجيل لم يبدوا حينئذٍ الاَّ برودة وكثيرون رجعوا الى العبادة الرومانية زاعمين انهم يعبدون الله في قلوبهم ويجعلون معنى روحيًا للعوائد الخارجية التي للمذهب البابأوي ويا لهُ من خداع كئيب يقود من الكفر الى الكفر فانهُ لا يوجد رياء الاَّ ويمكن الاعتذار عنهُ على هذا المنوال وغير المومن بواسطة خزعبلاتهِ ورموزهِ ينادي بالمسيح عن المنبر المسيحي والفيلسوف يقدر بواسطة حذاقة قليلة ان يجد في الخرافات المكروهة بين الوثنيين رمزًا الى شيء سامٍ خالص فالشيء الاول في الديانة انما هو الحق والبعض من مسيحيي غرينوبل من جملتهم امادبوس غلبرت وواحد من بني عم انيموند لم يزالوا متمسكين جيدًا بايمانهم وهولاء القوم الانقياء كانوا يجتمعون سرًّا مع سبقيل بعضهم في بيوت بعض ويتكلمون معًا عن الانجيل فانفردوا معًا الى محلٍّ خلوة وكانوا يزورون بعض الاخوة ليلاً ويجتمعون معًا لكي يصلّوا الى المسيح نظير لصوص يطلبون امرًا قبيحًا وكان مرارًا كثيرة التفزيعات تزعج هذا المحفل المتواضع

فارتضى الاخصام ان يتغاضوا عن هذه الاجتماعات السرية الاَّ انهم اقسموا بان الوتد يكون نصيب كل من يتجاسر على التكلم بكلمة الله جهارًا

فهكذا كان حال الامور عندما وصل دوبليت وپاپلون الى غرينوبل واذ وجدا ان سبفيل قد أُسكت انذراهُ بان يذهب وينادي بالانجيل في ليون وصوم السنة التابعة يفتح فرصة مناسبة للمناداة بالانجيل لجمهور غفير فان ميخائيل دي ارندي وميغريت وسبفيل عزموا على ان يكونوا في مقدمة جيش الانجيل فكان كل شيءٍ مستعدًّا لاظهار الحق الانجيلي بنوع واضح في المدينة الثانية في فرانسا وامتدت اخبار هذا الصوم حتى وصلت الى سويسرا وكتب انيموند الى فارل يقول ان سبفيل مطلوق وسوف يعظ مواعظ الصوم في كنيسة مار بولس في ليون الاَّ ان مصيبة عظيمة اوقعت فرانسا باسرها في اضطراب عارضت ذلك ومنعت عن النضال الروحي فان حصول غلبات الانجيل انما يكون في اوقات الامان. وانكسار پاڤيا الذي حدث في شهر شباط اعاق مقصد المصلحين الجسور

وفي تلك الفترة ابتدا ميغريت ينادي بالخلاص بيسوع المسيح وحدهُ باكرًا في الشتاء من دون ان ينتظر سبفيل وذلك رغمًا عن خوارنة ورهبان ليون الذين قاوموهُ بكل عزم وفي تلك المواعظ لم تكن كلمة عن الخليقة ولا عن القديسين ولا عن العذراء ولا عن سلطان الكهنوت والامر الذي نادى بهِ انما هو سر التقوى العظيم الله ظهر في الجسد فقيل ان ارتقات اهالي ليون المساكين القديمة ابتدات في الظهور ايضًا وذلك على نوع اكثر خطرًا مما تقدمهُ الاَّ ان ميغريت بقي آخذًا في عملهِ مع وجود هذه المضادة والايمان الذي حرَّك نفسهُ وجد سبيلاً في كلمات القوة ومن شان الحق ان يقوّي عزم الذين يقبلونهُ غير انهُ كان مقضيًا لرومية بالغلبة في ليون كما في غرينوبل فقُبِض على ميغريت مع وجود حماية مرغريتا وجُرَّ في الازقة ثم أُلقي في السجن والتاجر ڤوغريس الذي خرج حينئذٍ من المدينة واخذ في طريقهِ الى سويسرا نشر الاخبار في كل مكان من طريقهِ فكان الجميع

في حيرة وضيقة نفس الاَّ ان فكرًا واحدًا فتح باب الامل لاصدقاء الاصلاح فكانوا يقولون ان ميغريت قد أُخذ الآن السيدة دي النكون هي هناك والحمد لله ولم يمضِ الاَّ قليل حتى التزموا ان يرفضوا هذا الرجاء ايضًا فان مدرسة الصربون شجبت كثيرًا من قضايا هذا الخادم الامين ومرغريتا التي ازدادت صعوباتها كل يوم وجدت جسارة المحامين عن الاصلاح وبغضة الاقوياء تزدادان معًا فان فرنسيس الاول ابتدا يتضجر من غيرة اولئك الانجيليين وحسبهم موسوسين وظن ان الانسب ملاشاتهم . اما مرغريتا فاذ ترددت بين الرغبة في ان تخدم اخوتها وعدم اقتدارها على حمايتهم ارسلت اليهم تخبرهم بان يحترزوا من اقتحام مخاطر جديدة لانهُ لم يعد يمكنها ان تتوسط لهم لدى الملك واصدقاء الانجيل افتكروا ان هذا العزم لم يكن ابطالهُ غير ممكن فقالوا ان الله قد اعطاها نعمة ان تكتب وتقول فقط ما هو ضروري للانفس المسكينة ولكن اذا انتزع هذا العون البشري لا يزال المسيح موجودًا وهو جيد ان تتجرد النفس من كل حماية اخرى لكي تستند على الله وحدهُ

الفصل الثاني عشر

الفرنساويون في باسل . تشجيع اهل سويسرا . الترجمات والطبع في باسل . توزيع الكتاب المقدس في فرانسا

ان همة اصدقاء الانجيل في فرانسا ضعفت واصحاب الصولة شرعوا في اظهار عداوتهم للديانة المسيحية وابتدات مرغريتا تخاف واخبار هائلة عن قريب قطعت جبال الپا واوقعت الامة في الكآبة وملأتها فكرًا واحدًا فقط وهو انقاذ الملك وانقاذ فرانسا ومع ان مسيحيي ليون قد صُدُّوا عن اعمالهم بقي جنود في باسل وهم مستعدون للعمل ايضًا والذين نفوا من فرانسا لم ينسوها قط واذ طُرِدوا من

بلادهم مدة ثلثة قرون تقريبًا بواسطة وساوس رومية كنت ترى المتأخرين من ذريتهم يحملون الى صحاري اجدادهم ومدنهم تلك الكنوز التي لم يزل البابا يحرمهم اياها وفي نفس الدقيقة التي فيها طرح جنود المسيح في فرانسا اسلحتهم بتجيب استعد ملتجئو باسل للطعان واذ راوا مملكة مار لويس وكرلوس الكبير تسقط من يدي فرنسيس الاول حركهم ذلك الى ان يقبضوا على مملكة لا تزول (عب ١٢: ٢٨)

ان انيموند وفارل واسك وتوسنت واصدقاءهم انشأوا جمعية انجيلية في سويسرا قاصدين ان ينقذوا بلادهم من عماها الروحي فبلغهم الخبر من كل جهة ان في فرانسا عطشًا متزايدًا نحو كلام الله وكان مناسبًا انتهاز تلك الفرصة والسقي والزرع ما دامت لذلك فرصة واكولمباذيوس وزوينكل واوسوالد ميكونيوس كانوا على الدوام يلحون عليهم ان يفعلوا ذلك اذ قدموا لهم يد الشركة واكسبوهم قسمًا من ايمانهم وفي كانون الثاني سنة ١٥٢٥ كتب المعلم السويسري الى الفارس الفرنساوي يقول انك منفي من بلادك بواسطة ظلم المسيح الكذاب ومجرد حضورك بيننا يبرهن على انك قد فعلت بجراءة في حق الانجيل فان ظلم الاساقفة يحرك الشعب اخيرًا الى ان يحسبوهم غشاشين فقف بثبات لان الوقت ليس ببعيد حين ندخل مينا الراحة سواء صُرِعنا من ظالمينا او صُرِعوا هم انفسهم وكل شيء يكون لخيرنا اذا كنا امناء للمسيح يسوع

وهذه التشجيعات كانت لها قيمة عظيمة عند الفرنساويين المنفيين الآن ضربة اوقعها مسيحيو سويسرا وجرمانيا هولاء انفسهم في الذين طلبوا ان يعزّوهم المّت قلوبهم فانهم اذ نجوا حديثًا من الاوتاد والحريق راوا بحزن المسيحيين الانجيليين في الجانب الآخر من الرين يشوشون الراحة التي حصلوا عليها بواسطة اختلافاتهم المحزنة فان الجدال على عشية الرب كان قد ابتدا والفرنساويون تكدروا من ذلك واضطربوا اذ شعروا شعورًا قويًا بلزوم الوحدة الاخوية وارادوا ان يخسروا احب شيء اليهم لكي يوفقوا بين تلك الآراء المتشعبة فكان ذلك الامر الاهم عندهم وفي مدة الاصلاح لم يكن شيء الزم لهم من الوحدة المسيحية

وكان كلوبنوس برهانًا لذلك في ما بعد . قال بطرس توسنت يا ليتني اقدر ان اشتري السلامة والاتفاق والاتحاد بيسوع المسيح بحياتي التي هي في الحقيقة قليلة القيمة . والفرنساويون الذين هم اصحاب تمييز راوا سريعًا ان تلك الانشقاقات تعيق عمل الاصلاح فقالوا ان جميع الاشياء تسير بنجاح اكثر ما يتصورهُ كثيرون اذا كنا في اتفاق بين انفسنا وكثيرون يأتون بفرح الى النور ولكن عند ما يرون هذه الانشقاقات بين العلماء يقفون في حالة التردد والارتباك

وكان الفرنساويون اول من قدم رأيًا في عمل طريقة للاتفاق فكتبوا من ستراسبرج يقولون لماذا لا يُرسَل بوسر او واحد آخر من العلماء الى لوثيروس لانهُ ما دمنا منتظرين تعظم هذه الانقسامات . وازداد خوفهم يومًا فيومًا واخيرًا اذ راى هولاء المسيحيون ان جميع اجتهاداتهم ذهبت سدى حولوا اعينهم بنوح عن جرمانيا ووجهوها نحو فرانسا فقط

ومن ذلك الوقت فصاعدًا اشغل ترجيع فرانسا الى الايمان قلوب هولاء القوم الكرماء الذين نصَّت عنهم التواريخ كل هذه القرون مع انهُ قد دوَّن في صفحاتهِ اسماء كثيرين يفتخرون باطلاً بمجد انفسهم واذ أُلقوا في ارض غريبة سقطوا على ركبهم وكانوا كل يوم بالسكوت والخفا يصلون الى الله من اجل بلاد آبائهم والصلاة هي القوة التي بواسطتها امتد الانجيل في المملكة وهي الآلة العظيمة التي حصل الاصلاح بها على الغلبة

ولكن هولاء القوم الفرنساويين لم يكتفوا بالصلاة وحدها والجيش الانجيلي لم يحصل قط على جنود اكثر استعدادًا من هولاء لبذل حياتهم . وشعروا بلزوم نشر الكتب المقدسة والكتب الروحية في بلادهم التي كانت لم تزل تحت ظلام الخرافات وامتد روح التفتيش في كل المملكة ومن جميع الجهات بانت ضرورية نشرِ القلوع للرياح فنهض انيموند الذي كان دائمًا مستعدًا للعمل وميخائيل بنتن الذي كان ملتهبًا نظيرهُ وعزما على ان يقرنا معًا غيرتهما ووزناتهما ومداخيلها واتعابهما فاراد بنتن ان يقيم مطبعة في باسل والفارس قصد ان يستخدم معرفتهُ

القليلة باللغة الجرمانية في ترجمة احسن مصنفات المصلحين الى الفرنساوي فقالا فرحين بتدبيرها يا ليت فرانسا تمتلي كتبًا انجيلية حتى انهُ في كل مكان في منازل المساكين وفي قصور الاشراف في الاديرة وبيوت الخوارنة نعم وفي اعمق اقداس القلب تحمل شهادة قوية لنعمة يسوع المسيح

ولهذا العمل احتاجوا الى الدراهم والملتجئون لم يكن عندهم منها وكان فوغريس حينئذٍ في باسل وعند انصرافهِ منها اعطاهُ انيموند مكتوبًا الى الاخوة في ليون الذين كان كثيرون منهم اصحاب ثروة ومع انهم كانوا تحت الضيق كانوا امنا للانجيل وطلب منهم ان يرسلوا لهُ شيئًا من الاسعاف الّا ان ذلك لم يكن كافيًا فان الفرنساويين ارادوا ان يقيموا مطابع كثيرة في باسل تشتغل الليل والنهار لكي تملأ فرانسا كلامَ الله وفي ميوكس ومتز واماكن اخر كان اناس اغنياء وذوو قوة كافية لاسعاف هذا العمل ولم يكن احد يقدران يخاطب قومًا فرنساويين بسلطان نظير فارل نفسهِ وهو الذي طلب انيموند اسعافهُ في ذلك العمل

والظاهر ان الفارس لم يحصل على مرغوبهِ بل تم العمل عن يد قوم آخرين ومطابع باسل كانت دائمة مشتغلة في طبع تصانيف فرنساوية ثم أُرسلت الى فارل وهو ادخلها الى فرانسا بنشاط لا يكل ومن جملة الكتب الاولى التي ارسلتها هذه الجمعية تفسير لوثيروس للصلاة الربانية

واما انيموند فارسل الى فارل من باسل جميع الكتب المفيدة التي طُبعت في جرمانيا او وصلت اليهم فارسل لهُ تارةً كتابًا في قيام خدام الانجيل واخرى رسالة في تربية الاولاد وكان فارل يفحص هذه الكتب وألف او كلف آخرين ان يترجموا الى اللغة الفرنساوية وكان متفرغًا في الوقت بعينهِ لاعمال الخدمة واتعاب الدرس وكان انيموند يستكد ويناظر على المطبعة وتلك الرسالات والصلوات والكتب والاوراق كانت واسطة لتجديد العصر واذ حلت الخلاعة على العرش والظلمة من درجات المذبح فتلك الكتابات وحدها غير المحوظة ارسلت بين الامة باسرها اشعة النور وبزور القداسة

والامر الاخص الذي طلبهُ تاجر ليون الانجيلي باسم ابناء بلادهِ انما هو كلام الله وشعوب القرن السادس عشر هولاء الذين كانوا جائعين بهذا المقدار نحو الطعام العقلي كانوا مزمعين ان يقبلوا في لغتهم تلك الآثار القديمة التي اتت من ادوار العالم الاولى والتي تهبُّ فيها نسمات الانسانية الاصلية واقوال ازمان الانجيل المقدسة التي يتلألأ فيها كمال وحي المسيح . وكتب ڤوغريس الى فارل يقول انني اترجاك ان تسعى اذا امكن بترجمة العهد الجديد على يد شخص فيهِ الكفاءة لذلك فانهُ يكون بركة عظيمة لفرانسا وبرغندي وساڤواه واذا اردت حروفًا مناسبة فاني استحضرها من باريس او ليون ولكن اذا وجدت حروفًا جديدة في باسل يكون ذلك احسن

وكان لافيڤر قد اذاع في فرانسا قطعًا من اسفار العهد الجديد في اللغة الفرنساوية وطلب ڤوغريس رجلًا يراجعها جيدًا ويناظر على نسخة كاملة فباشر لافيڤر هذا العمل واشهرهُ كما راينا في ١٢ من تشرين الاول سنة ١٥٢٤ وعم ڤوغريس اسمهُ كونراد الذي كان ايضًا ملتجئًا في باسل اشترى حالًا نسخة واذ اتفق وجود الفارس كوكت في بيت صديق لهُ في ١٨ تشرين الثاني نظر هناك الكتاب وامتلأ فرحًا وقال لا تتاخروا عن طبعهِ ثانية لاني لست اشك بانهُ يُطلَب منهُ عدد كبير

وهكذا قُدّم كلام الله لفرانسا عوضًا عن تقليدات الكنيسة التي لا تزال رومية تقدمها لها فقال المصلحون كيف نقدر ان نميز تقاليدكم التي هي من الانسان والتي هي من الله الا بواسطة كتب الله فان تعاليم الآباء واحكام الباباوات لا يمكن ان تكون دستورًا لايماننا فانها تبين لنا ماذا كانت اراء اولئك العلماء القدماء ولكن الكتب المقدسة وحدها تعلمنا ما هو حكم الله فيجب علينا ان نخضع كل شيء لقانون الكتاب المقدس

وهذه هي الوسائط العظمى التي بها اذيعت تلك الكتب فان فارل واصدقاءهُ كانوا يسلمون الكتب لبعض العنافيش او موزعي كتب من الساذجين الاتقياء

الذين طافوا من بلدة الى بلدة ومن قرية الى قرية ومن بيت الى بيت في فرانسا كومتي ولورين والبلدان المجاورة حاملين احمالهم الثمينة ويقرعون كل باب . فكانوا يشترون الكتب بثمن قليل لكي يكونوا اكثر رغبة في بيعها وهكذا في اوائل سنة ١٥٢٤ وُجِدَت في باسل جمعية للكتاب المقدس وجمعية للكتب الروحية وجماعة من موزعي الكتب لاجل فائدة فرانسا والزعم بان هذه الاعمال انما ابتدات في عصرنا خطا لانها ترجع في الجوهر ليس فقط الى ازمان الاصلاح بل الى ابعد من ذلك اي الى اعصار الكنيسة الاولى

الفصل الثالث عشر

التقدم في مونتبليارد . صورة ماري انطانيوس . وفاة انيموند . رسالة لمبرت الى فرنسيس الاول

ان استمالة فارل نحو فرانسا لم تحول ميلهُ عن المكان الذي كان قاطنًا فيهِ ولما وصل الى مونتبليارد في اواخر تموز سنة ١٥٢٤ حالما فرغ من زرع البزر ابتدات اوائل اثمار الحصاد تظهر كما اخبرنا اكولمباديوس فكتب فارل الى صديقهِ بافتخار عظيم فاجاب عالِم باسل وقال انهُ امر سهل ان نلقي بعض التعاليم في اذان المصغين الينا واما تغيير قلوبهم فذلك متوقف على قوة الله وحدهُ

اما الفارس دي كوكت ففرح جدًّا بهذا الخبر وركض بنشاطهِ المعتاد الى بطرس توسنت وقال بعجلة انني اتوجه غدًا لاجل زيارة فارل واما توسنت الذي كان اكثر هدوًّا فكان مشتغلاً في الكتابة الى انجيليي مونتبليارد فقال لفارل كن على حذر فانك آخذ في امر مهم فلا يجب تنجيسهُ بمشورات الناس فان الاقوياء يعدونك بانعامهم ومساعداتهم وجبال من الذهب فاذا القيت اتكالك على هذه الاشياء فانك بذلك تترك المسيح وتسير في الظلمة فكان توسنت آخذًا

في تكميل هذا المكتوب عند ما دخل الفارس المذكور فاخذهُ وتوجه الى مونتبليارد

فوجد المدينة في هياج عظيم فخاف كثيرون من الاشراف وقالوا ناظرين بازدراء الى فارل ماذا يريد منا هذا الرجل الحقير فيا ليتهُ لم ياتِ قط الى هنا وهو لا يقدر على الاقامة هنا . لانهُ يهلكنا ويهلك نفسهُ . والسادة الذين التجاوا الى الدوك في مونتبليارد اخشوا من ان القلق الذي في كل مكان رافق الاصلاح يصل خبرهُ الى فرديننـد وكرلوس الخامس فيطردون من ملجاهم الاخير والذين قاوموا فارل على الخصوص انما هم الاكليروس فان رئيس رهبان مار فرنسيس في بيسنسون بادر الى مونتبليارد وعمل طريقًا للمدافعة مع جماعة اكليروس المكان وفي الاحد التالي حالما ابتدا فارل يعظ عارضوهُ ودعوهُ كذابًا واراتيكيًا وفي الحال حدث اضطرابًا عظيم بين الجمهور وقام المصغون وطلبوا السكوت فاسرع الدوك الى المكان وقبض على فارل والرئيس وامر الرئيس اما ان يبرهن تهمتهُ او يرجع عنها فرجع الرئيس عن تهمتهِ واذيع خبر رسمي عن هذه القضية بجملتها

وهذه المقاومة انما زادت فارل هياجًا فراى انهُ يجب عليهِ ان يفضح غايات اولئك الخوارنة ومراماتهم من دون خوف فاستل سيف الكلمة واستعملهُ بنشاط وقصد الاقتداء بيسوع عند ما طرد الصيارفة من الهيكل وقلب موائدهم اكثر من الاقتداء بهِ عند ما قيل عنهُ بروح النبوة لا يخاصم ولا يُسمَع صوتهُ في الشوارع . فخاف اكولمباذيوس وهذان الرجلان كانا رمزًا كاملاً لطبيعتين متضادتين كل المضادة الّا انهما كلتيهما تستحقان الاعتبار فكتب اكولمباذيوس الى فارل يقول انك قد أُرسِلت لكي تقود الناس بلطافة الى الحق لا لكي تجرهم بعنف ولكي تنشر الانجيل لا لكي تلعنهم . ان الجراحين يلتجئون الى القطع عند ما تعجز الوسائط الاخرى فاعمل عمل الطبيب لا عمل السياف فانهُ لا يكفي حسب رايي ان نكون لطفاء نحو اصدقاء الانجيل بل يجب عليك ان تربح ايضًا الاعداء واذا طردت

الذئاب من الحظيرة فدع الخراف افلما يكون تسمع صوت الراعي فصب زيتًا وخمرًا على الجراح وتصرّف كانجيلي لا كفاضٍ وعاتٍ

وانتشرت اخبار هذه الاعمال في فرانسا ولورين والصربونيون والكردينال غيز ابتدأوا يخافون من اجتماع الملتجئين هذا في باسل ومونتبليارد وارادوا ان ينقضوا ذلك الاتحاد المزعجهم لان الضلال لا يعرف غلبة اعظم من اجتذاب بعض المرتدين الى حزبهِ وارتداد مرشيال مازورير وآخرين جعلوا للحزب الباباوي في فرانسا فرصة للفرح ولكنهم اذا نجحوا في خداع احد هولاء المعترفين بالمسيح الذين التجأوا الى شطوط الرين واحتملوا هذا المقدار لاجل حق المسيح فكم تكون غلبة الرياسة الرومانية عظيمة فهيأُوا نبالهم وكان هدف سهامهم اصغر هولاء الملتجئين عمرًا

ان الرئيس العام والكردينال لورين وجميع الذين حضروا الاجتماعات المزدحمة التي حصلت في قصر هذا الاسقف تاسفوا على ما عملهُ بطرس توسنت الذي كان لهم فيهِ رجاء عظيم قبل فقالوا انهُ في باسل في بيت اكولمباديوس يسكن مع واحد من قواد هذه الارتقة فكتبوا اليهِ بحرارة كانهم يريدون ان ينشلوهُ من الدينونة الابدية وتالم الشاب من هذه المكاتيب اكثر لانهُ راى فيها علامات المحبة الصادقة وواحد من اقاربهِ وربما الرئيس نفسهُ الح عليهِ بالانتقال الى باريس او متز او مكان آخر في العالم ايًا كان بشرط ان يكون بعيدًا عن اللوثرانيين وهذا القريب اذ تذكر كم كان توسنت مديونًا لهُ لم يشك بانهُ يجيبهُ حالاً الى مرغوبهِ ولما وجد ان اجتهاداتهِ ذهبت سدًى تحولت محبتهُ الى بغضة شديدة واصرارهُ هذا حوّل العائلة كلها وجميع اصدقائهِ ضدهُ فذهبوا الى امهِ التي كانت تحت سلطة الرهبان واجتمع الخوارنة حولها واخذوا يخوفونها ويقنعونها بان ابنها قد ارتكب ذنوبًا لا يقدرون ان يذكروها من دون نفور وعند ذلك كتبت الام الحزينة مكتوبًا موثرًا الى ابنها الذي يقول انهُ كلهُ دموع وقد وصفت فيهِ شقاوتها بعبارات تكسر القلب فقالت يا لها من ام شقية ويا لهُ من ابن غير طبيعي

ملعونان الثديان اللذان ارضعاك والركبتان اللتان حملتاك

فارتبك توسنت المسكين وتحير فانهُ لم يقدران يرجع الى فرنسا واذا ترك باسل وتوجه الى زوريخ او ونبرج بمعزل عن عائلتهِ فانما يزيدهم حزنًا فاشار عليهِ اكولمباذ بوس بطريق متوسط قائلاً اترك بيتي فقبل رايهُ بقلب كئيب وذهب وسكن مع خوري جاهل مجهول مناسب جيدًا لتطمين اقاربهِ فما اعظم هذا التغيير لتوسنت فانهُ لم يقابل مضيفهُ الّا في اوقات الاكل التي كانوا يصرفونها دائمًا بالبحث عن قضايا الايمان وحالما انتهوا من الاكل كان توسنت ينفرد في مخدعهِ وهناك وحدهُ وبعيد عن الضجة والجدال درس بكل دقة كلام الله وقال شاهدٌ لي الله بانهُ ليس لي في وادي الدموع هذا الّا رغبة واحدة وهي ان ارى ملكوت المسيح يمتد لكي يمجد الله الجميع بصوت واحد

وحدث امر تعزّى توسنت بهِ . ولما قوي اعداء الانجيل كل يوم في متز فاجابةً لطلبهِ انطلق الفارس دي اسك في شهر كانون الثاني سنة ١٥٢٥ لكي يشجع المسيحيين الانجيليين في تلك المدينة فجزع احراش فوسجيش ووصل الى الموضع الذي بذل فيهِ لاكلرك حياتهُ حاملاً معهُ بعض الكتب التي كان فارل قد اعطاهُ اياها

وهولاء الفرنساويون لم يحولوا ابصارهم الى لورين وحدها . لان الفارس دي كوكت وصلت لهُ مكاتيب من احد اخوة فارل تخبرهُ عن حال دوفيني المظلمة فاجتهد في كتمها لئلاً يخيف ضعفاء القلوب واكتفى بالطلب من الله بحرارة عون يدهِ القادرة على كل شيءٍ وفي كانون الاول سنة ١٥٢٤ وصل بطرس فاريز مُرسلاً الى مونتبليارد برسالة الى انيموند وفارل وهذا الفارس عزم بنشاطهِ المعتاد على الرجوع حالاً الى فرنسا فكتب الى فارل يقول اذا كان بطرس قد اتى ببعض الدراهم فابقها لك واذا كان قد اتى بمكاتيب فافتحها وانسخها ثم ارسلها اليّ ولكن لا تبع الحصان بل اهتم بهِ لعلي احتاجهُ وقصدي ان ادخل فرنسا سرًّا وانطلق الى لافيفر وارنديوس فاكتب واخبرني ماذا تفتكر في ذلك

في رغبة الفارس المذكور في ان يدخل ايضاً فرانسا غيرة بلا حكمة وكان لا بد له من الوقوع في خطر الموت ولا ريب ان فارل اوضح له ذلك فترك باسل وانصرف الى بلدة صغيرة حيث كانت له امال عظيمة في تحصيل اللسان الجرماني ان شاء الله

فلازم فارل الوعظ بالانجيل في مونتبليارد واغتاظ عند ما راى اكثر الناس في تلك المدينة منهمكين في عبادة الايقونات وكان ذلك حسب زعمهِ احياء العبادة الاصنامية القديمة ونصائح اكولمباديوس والخوف من ايقاع الحق في خطر كانت ضبطتهُ زماناً اطول لولا امر غير منتظر الوقوع. فذات يوم بالقرب من آخر شباط في يوم عيد مار انطانيوس كان فارل ماشياً على شطوط نهر صغير جارٍ في المدينة تحت صخرة عظيمة قد بُني عليها الحصن وعند ما وصل الى الجسر التقى بموكب يقطع الجسر ويتلو بعض الصلوات لمار انطانيوس وفي مقدمتهِ خوريان يحملان ايقونة هذا القديس فوجد فارل نفسهُ بغتةً وجهاً بوجه مع هذه الخرافات من دون ان يفتش عليها فحصل اضطراب عظيم في نفسهِ هل يحيد عن الطريق وهل يخبي نفسهُ اما يكون ذلك جبانة وعدم ايمان فان تلك الايقونات العادمة الحياة المحمولة على اكتاف الخوارنة الجاهلين جعلت دمهُ يغلي فتقدم فارل بجسارة وخطف صورة القديس من يد الخوري الحاملها وطرحها عن الجسر الى النهر ثم التفت الى الجمع المرتعد من هذا الامر وصرخ قائلاً ايها الاصناميون المساكين ألا تتركون ابداً عبادتكم الاصنامية

فوقف الشعب والخوارنة من دون حركة متحيرين الا انهم استفاقوا سريعاً من غفلتهم فصرخ واحد من الجمهور ان الايقونة تغرق فتبع ذلك السكوت العظيم صراخ واصوات الغضب وكان الجمهور يريدون ان يهجموا على الشقي المنافق الذي طرح معبودهم في الماء الا ان فارل نجا من ايديهم ولا نعلم كيف كان ذلك

وعلم فارل بانهُ بهذا العمل طرح نفسهُ في ذات الخطر الذي اصاب لاكلرك

ولكن ضميرهُ شهد بانهُ رغب فقط في ان يسدي المجد لله وذلك جعلهُ يعلو كل خوف

وبعد حادثة الجسر التزم هذا المصلح ان يخفي نفسهُ وترك البلدة سريعًا بعد ذلك فالتجأ الى باسل في بيت اكولمباذيوس الّا انهُ بقي دائمًا حافظًا محبتهُ نحو مونتبليارد تلك المحبة التي لا يزال خادم الله يحافظ عليها نحو اثمار خدمتهِ الاولى وفي باسل بلغت فارل اخبار محزنة . كان هو نفسهُ هاربًا واما صديقهُ انيموند فمرض مرضًا عضالًا فارسل لهُ فارل حالًا اربع ليرات ذهب الآن مكتوبًا كتبهُ اوسوالد ميكونيوس في ٢٥ اذار اخبر بموت هذا الفارس . قال اوسوالد فلنعش هكذا لكي ندخل تلك الراحة التي نترجى ان نفس انيموند قد دخلت اليها

وقبل ذلك بقليل توفي في جوار زوريخ فارس اخر اي اولريخ فان هوتن وبين الفارس الجرماني والفارس الفرنساوي مشابهة ولكن تقوى الدوفيني وفضائلهُ المسيحية تجعلهُ ارفع من عدو البابا والرهبان الحاذق الشجاع

وبعد وفاة انيموند بقليل اذ لم يقدر فارل على البقاء في باسل التي قد نفي مرة منها فذهب الى صديقيهِ كابيتو وبوسر في ستراسبرج . وكانت ستراسبرج مدينة ملكية رئيسها ستورم وهو اشهر رجال جرمانيا وداخل اسوارها كثيرون من مشاهير العلماء فكانها مقام للاصلاح متقدم في عبر الرين والتجا اليها المسيحيون المضطهدون من فرانسا ولورين متاملين انهم من هناك يربحون تلك البلدان لانجيل يسوع المسيح وكان لمبرت يطمع في ان يكون لفرانسا ما كان لوثيروس لجرمانيا ومن ثم حالما وصل الى ستراسبرج بعد تركهِ متز اخذ في الاستعداد وانتظار الفرصة لحمل سيف الانجيل الى قلب تلك البلاد التي احبها محبة مفرطة

فالتجأ اولًا الى فرنسيس الاول وقال ان البابا لو تُرِك الامر لهُ يجعل كل ملك شحاذًا فأمِل اذنيك ايها الملك الجليل الى الحق فيجعلك الله عظيمًا بين ملوك الارض فالويل لجميع القبائل الذين معلمهم البابا آه يا افيغنون مدينة مولدي ألستِ انتِ ابنة بابل الشقية . قد دُفِعتِ لقاصد ليس هو قاصد

الطهارة بل قاصد النفاق والارتقة فانكِ تشاهدين ملاعب دنسة ورقصاً مغايراً للآداب والفسق تكثر داخل اسوارِك وكل ما حول حقولكِ قد خرب من الجماعات الذين يذهبون الى الصيد كل يوم وفعلتكِ المساكين مظلومون واي ظلم

فيا ايها الملك الورع ان شعبك عطشان الى كلام الله . وفي الوقت نفسهِ خاطب البابا بقولهِ انهُ بعد قليل فرانسا القوية التي من عادتك ان تدعوها ذراعك تنفصل عنك . فهكذا كانت اوهام لمبرت

واذ راى ان رسالتهُ لم تحدث تاثيراً كتب رسالة اخرى بعبارات اقوى فقال عجباً ان العرب والسريان واليونان واليهود لهم كلام الله في لغاتهم والفرنساويون والجرمانيون والايطاليون واهل اسبانيا لا يقدرون ان يحصلوا عليهِ في لغاتهم فدع الله يكلم الامم بلسانهم الدارج فترى مملكة الكبريا تنسحق وتصير هباءً

وهذه الآمال لم تتم فانهُ في مونتبليارد وباسل وليون حصل اتعاب على جماعات المصلحين والبعض من اكبر المجاهدين أُخذوا بواسطة الموت والبعض بواسطة الاضطهاد والنفي وباطلاً نهض جنود الانجيل في كل مكان العمل فانهم في كل مكان انكسروا ورجعوا الى الوراء ولكن اذا كانت القوات التي جمعوها اولاً في ميوكس ثم في ليون وبعد ذلك في باسل قد تبددت على التوالي كان لم يزل بعض الرجال هنا وهناك جاهدوا في لورين وميوكس وباريس نفسها باكثر او اقل مجاهدة لاجل حفظ كلمة الله في فرانسا ومع ان الاصلاح راى اعمدتهُ منكسرة كان لم يزل لهُ انصارهُ المتفردون وكانت مدرسة الصربون والديوان عتيدين ان يوجهوا غضبهم ضد هولاء الافاضل

الفصل الرابع عشر

اسر فرنسيس في بافيا. اضطهاد بريكونيه وسقوطهُ. الحكم على لافيفر وهربهُ. اضطهاد ايراسموس ورفعهُ دعواهُ الى الملك والامبراطور. استشهاد شوخ. استشهاد بافاني. الناسك المسيحي

انهُ في المدة الاخيرة من سكنى فارل في مونتبليارد حدثت امور عظيمة في العالم فان لانوي وبسكارا قائدي كرلوس قطعا من فرانسا عند اقتراب فرنسيس الاول وفرنسيس نفسهُ قطع جبال الپا وحاصر پاڤيا وفي ٢٤ شباط سنة ١٥٢٥ هجم عليهِ بسكارا وقُتل بونيويه ولاتريمويل وباليسي واسكوري وهم يحاربون حول ملكهم والدوك النكون زوج مرغريتا الامير الاول من الدم هرب مع الساقة وذهب لكي يموت من الخجل والكآبة في ليون وفرنسيس طُرح عن ظهر جوادهِ فأُخذ اسيرًا وسلَّم سيفهُ لكرلوس لانوي عامل ناپلي فقبلهُ منهُ راكعًا فاصبح ملك فرانسا اسيرًا للامبراطور وعدَّ اسرهُ اعظم المصائب فكتب الى امهِ يقول انهُ لم يبقَ لي سوى الشرف والحياة ولم يكن احد اشد حزنًا من مرغريتا فان مجد فرانسا زال رونقهُ واضحت فرانسا من دون ملك وعرضة لاعظم الاخطار واخوها الحبيب صار اسيرًا بيد عدوهِ المتكبر وزوجها وقع تحت العار ومات فما امرَّ تلك الافكار الَّا انهُ كان لها معزٍ واذ كان اخوها يقول لاجل تسلية نفسهِ قد ضاع كل شيء الَّا الشرف قالت هي ما عدا المسيح وحدهُ ابن الله يا اخي العزيز

ظنت مرغريتا ان فرنسيس ربما يقبل كلمة الله في مصيبتهِ فانهُ منذ اشهر قليلة كان قد اظهر افكارًا دينية عند وفاة ابنتهِ السيدة كرلوتا واختهُ مرغريتا اخفت مرض الابنة عن فرنسيس واما هو فظن انهُ قد اصابها شيء فحلم ثلاث مرات مختلفة ان ابنتهُ قالت لهُ استودعك الله يا ملكي فاني منطلقة الى الفردوس فافتكر انها ماتت واطلق العنان لكآبة عظيمة وكتب الى اختهِ يقول انهُ احب

اليهِ ان يموت من ان يرغب في بقائها في هذا العالم ضد ارادة الله ليكن اسمهُ مباركًا

فظنت مرغريتا ان مصيبة پاڤيا الهائلة تتم ما ابتدات بهِ الضربة الاولى واذ كانت لها رغبة كلية في ان كلمة الله تكون مع فرنسيس في حبسهِ كتبت مكتوبًا فعّالًا جدًّا يستحق الحفظ الى مرشيال مونتمورنسي الذي أُخذ اسيرًا ايضًا مع الملك ومن المحتمل انها اشارت الى نفسها والى الاسقف بريكونيه في التشبيهات اللطيفة التي فتحت بها مطلوبها وهذه صورة المكتوب

يا ابن عمي العزيز موجود ناسك متورع جدًّا بقي كل هذه الثلاث السنوات الماضية يلحّ على رجل اعرفهُ بان يصلي الى الله من اجل الملك ففعل ذلك وقال بتاكيد انهُ اذا شاء الملك ان يقرا على سبيل العبادة كل يوم في مخدعهِ رسالات مار بولس ينجو لمجد الله لانهُ وعد في انجيلهِ ان كل من احب الحق الحق يصيّرهُ حرًّا واذ علمتُ ان الرسالات المذكورة لا توجد عندهُ ارسلت اليك نسختي على الامل بانك تترجاهُ عني ان يقراها وانا اعتقد اعتقادًا راهنًا ان الروح القدس الذي يحل في الحرف يفعل بواسطتهِ اعمالًا عظيمة كالتي فعلها بواسطة كاتبيها لان الله ليس باقل جودة ولا قوة مما كان ومواعيدهُ لا تغش ابدًا فهو قد اذلّك بواسطة الاسر الّا انهُ لم يتركك اذ اعطاك صبرًا ورجاء في جودتهِ التي هي دائمًا مصحوبة بالتعزية وبمعرفتهِ على اكمل منوال وذلك احسن ما يعرفهُ الملك لان عقلهُ على اقل حرية بسبب حبس جسدهِ

فبهذه العبارات خاطبت مرغريتا الملك وهي شديدة الرغبة في خلاص نفس اخيها بعد وقعة پاڤيا وهو امر محزن ان مكتوبها ورسالات القديس بولس لم ترسل راسًا الى فرنسيس ولم يكن ممكنًا لها ان تختار واسطة اردا من مونتمورنسي

والمكاتيب التي كتبها الملك من قلعة بيزيغيتوني حيث كان محبوسًا عزّت اختهُ نوعًا فكتبت لهُ في بداءة نيسان تقول بعد حزن جمعة الآلام صار هذا الاسبوع مثل عيد الخمسين بالنعمة التي اظهرها الرب نحوك. ولكن المحبوس لسوءِ حظهِ لم يجد في كلمة الله ذلك الحق الذي يصيّرهُ حرًّا الذي كانت مرغريتا

ترغب جدًّا في ان يحصل عليهِ

فجميع فرانسا من الامراء وارباب الديوان والشعب كانت مملوءة حيرة وذهولاً ولم يمضِ الاَّ قليل حتى نُسِبت البلايا التي اصابت البلاد الى المسيحيين كما كان في الثلاثة القرون الاولى للكنيسة وكنت تسمع اصحاب اهل الوساوس من كل جهة تطلب الدم كانهُ واسطة لرفع بلايا اعظم فوقعت الفرصة المناسبة ولم يكن كافيًا طرد المسيحيين الانجيليين من الاماكن الثلاثة القوية التي كانت لهم بل كان ضروريًّا اغتنام فرصة الخوف العمومي والضرب ما دام الحديد حاميًا وتنظيف المملكة قاطبةً من تلك المضادة للباباوية التي قويت بهذا المقدار

وكان في مقدمة تلك المؤامرة وذلك الصراخ بيدا ودوشسني ولاكوتوربر واعداء الانجيل هولاء العنيدون وعدوا انفسهم بانهم بواسطة الرعدة العامة يحصلون بسهولة على الضحايا التي أُنكرت عليهم قبل . فاستعملوا حالاً كل حيلة من المخاطبات والخطب الموسوسة والمراثي والتهديدات والكتابات التشنيعية لكي يهيجوا غضب الامة ولاسيما ولاتهم فتقيأُوا نارًا ولهيبًا على اعدائهم واغشوهم اهانات وشتائم . وحسنت كل الوسائط في اعينهم مهما كانت . واستفردوا بعض الكلمات من هنا وهناك تاركين القرائن التي توضح معنى العبارة وادخلوا بعض العبارات من كلامهم مكان كلام العلماء الذين اوجبوا الذنب عليهم وحذفوا واضافوا حسب الاقتضاء لاجل تسويد اسم اخصامهم وذلك يشهد بهِ ايراسموس نفسهُ

ولم يغظهم شيءٌ مثل تعليم الديانة المسيحية الاساسي اي تعليم الاصلاح وهو الخلاص بالنعمة . قال بيدا انني عندما ارى هولاء الثلاثة الرجال لافيفر وايراسموس ولوثيروس المزينين من جهة اخرى بعقول ثاقبة بهذا المقدار يتحدون ويتوامرون على مضادة الاعمال الاستحقاقية ويلقون كل ثقل الخلاص على الايمان وحدهُ لا اعود اتعجب من ان الوفًا كثيرة بهذا المقدار من انخدعوا بهذه التعاليم يتعلمون ان يقولوا لماذا اصوم واميت جسدي . فدعونا ننفي من فرانسا تعليم النعمة هذا

المكروه وترك الاعمال الصالحة هذا هو خداع مهلك من الشرير

فبهذا الكلام كان المحامي عن المذهب الصربوني يجتهد في محاربة الايمان ووجد اعوانًا في بلاط فاسد وبين اناس اشرف حسبًا ولكنهم ليسوا اقل مضادة للانجيل اعني اولئك الرجال الرزينون والآدابيون الصارمون المتفرغون لدرس الشرائع واصول الحكمة ولا يعتبرون الديانة المسيحية الأ ضربًا من طرائق الحكومة والكنيسة نظير سياسة ادبية والذين لا يقدرون ان يوفقوا بين مبادي الحكمة المالئة كل افكارهم والتعاليم التي ترشد الى عدم قدرة الانسان الروحية والميلاد الثاني والتبرير بالايمان فيعتبرونها احلامًا وهمية خطرة على آداب الجمهور وعلى نجاح البلاد الزمني وهذه العداوة نحو تعليم النعمة ظهرت في القرن السادس عشر بواسطة تعليمين مختلفين جدًّا ففي ايطاليا وبولونيا بواسطة تعليم سوشينوس الذي هو من نسل عائلة معتبرة جدًّا من المشترعين في مدينة سيانا وفي فرانسا بواسطة الاحكام المضطهدة والوقود المضطرمة التي حكم بها المجلس الاعلى

واذ كان الديوان في الواقع يزدري بحقوق الانجيل العظيمة التي بشر بها المصلحون وحسب اربابه انفسهم ملتزمين بان يعملوا شيئًا في تلك الصعوبة الموقعة في الارتباك قدّموا خطابًا الى الملكة لويزا من سافوا مملوءًا من الدعاوي القوية على تصرّف الحكومة نظرًا الى التعليم الحديث فقالوا ان الارتقة رفعت راسها بيننا والملك بواسطة تغاضيه عن جالب الارانقة الى الاوتاد جالب غضب السماء على الامة

وفي الوقت نفسه رنّت المنابر بالتحسرات والتهديدات واللعنات فطُلِب القصاص الحالي المخيف باصوات عالية وامتاز على الخصوص مرشيال مازوريير بين واعظي باريس واجتهد في ان يمحو بواسطة شراسته ذكر التصاقه الاول باصحاب الاصلاح ونادى ضد تلاميذ لوثيروس السريين فصرخ اتعلمون فعل هذا السم السريع وهل تعرفون قدرته فيحق لنا ان نرتعد خوفًا على فرانسا بما انه يشتغل بنشاط لا يدرك وربما في زمان قصير يهلك الوفًا كثيرة من النفوس

ولم يكن تهييج الملكة ضد اصحاب الاصلاح امرًا صعبًا لان بعض المترفضين

اتهموا ابنتها مرغريتا الشخص الاول في البلاط واتهموا لويزا نفسها التي كانت دائمًا محبة للحبر الروماني بانها وافقتا لافيفر وبريكونيه وباقي المبتدعين. ألم نقرا رسالاتهم وترجماتهم للكتاب المقدس وارادت ام الملك ان تبرئ نفسها من هذه التهمة المغضبة وكانت قد ارسلت معرِّفها الى الصربون لكي تستشيرهُ في ما هي الوسائط لاستئصال هذه الارتقة فقالت للمجمع المذكوران تعليم لوثيروس المرذول بربح كل يوم اتباعًا جدًّا فتبسم المجمع عند ما بلغهُ هذا الكلام فالى ذلك الوقت لم يكن رايهُ يُسمَع في هذه القضية واما حينئذٍ فطُلِب برغبة واخيرًا وقعت في قبضة ايديهم تلك الارتقة التي رغبوا منذ زمان طويل في ان يخنقوها فارسلوا نويل بيدا لكي يردَّ جوابًا للملكة حالاً فقالوا اننا اذ راينا ان الخطب والمباحثات والكتب التي قاومنا بها مرارًا كثيرة جدًّا هذه الارتقة قصرت عن ملاشاتها نرى انهُ لابد من النهي عن كتابات الاراتقة بامر ملكي واذا كانت هذه الواسطة لاتكفي يجب ان نستعمل السيف والغصب ضد هولاء المعلمين الكاذبين لان الذين يقاومون النور يجب اخضاعهم بواسطة العذاب والخوف

اما لويزا فلم تنتظر الجواب بل حالما وقع فرنسيس في يدي الامبراطور كتبت الى البابا لكي تعرف ارادتهُ نظرًا الى الاراتقة وكان امرًا مهمًّا جدًّا لتبرير لويزا ان تستميل الى نفسها الحبر القادر ان ينهض ايطاليا باسرها ضد المنتصر في پاڤيا وكانت مستعدة لان تصالحهُ بواسطة دم فرنساوي قلَّ او كثر واذ ابتهج البابا عند ما راى انهُ يقدر ان يجري نقمتهُ في المملكة الاكثر تمسكًا بالديانة المسيحية ضد الارتقة التي لم يقدر على ملاشاتها في سويسرا ولا في جرمانيا امر في الحال بادخال ديوان التفتيش في فرانسا وكتب منشورًا الى ارباب المجلس الكبير وفي الوقت نفسهِ اجتهد دوبرات الذي اقامهُ البابا كردينالاً واعطاهُ اسقفية سنس ورياسة غنية في ان يكافي انعامات بلاط رومية باظهار بغضة شديدة ضد الاراتقة وهكذا البابا والمملكة وعلماء الصربون والمجلس والصدر مع القسم الاجهل والاكثر اوهامًا في الامة اتحدوا معًا على اتلاف الانجيل وقتل المعترفين بهِ

والمجلس شرع بالعمل ولم يكفِ للشروع في محاربة هذا التعليم الّا المجلس الاول في المملكة وعدا ذالك لم يكن هذا شغلهم الخصوصي لان سلامة الجمهور وقعت في خطر ومن ثمَّ تحرَّك المجلس بغيرة مقدسة وحرارة ضد هذه الامور الجديدة فاصدر امرًا مضمونهُ ان اسقف باريس وغيرهُ من الاساقفة يلتزمون بان يقيموا فيلبس بورت رئيس الاعراضات واندراوس وارجوس المشير ووليم دوشسني ونقولا لاكلرك عالمي اللاهوت لكي يرتبوا ويجروا الحكم على الذين قد التطخوا بالتعليم اللوثراني

ثم لكي يبين ان هولاء المعتمدين يمارسون اعمالهم بالحري تحت سلطان الكنيسة لا تحت امر المجلس ارتضى قداستهُ ان يرسل منشورهُ رقم ٢٠ ايارسنة ١٥٢٥ مثبتًا انتخاب المعتمدين المذكورين

ومن ثمَّ أُسلِم جميع الذين أُخبر هولاء الوكلاء عن يد الاسقف او القضاة الكنائسيين بانهم لوثرانيون الى يد الحكم اعني للمجلس السابق ذكرهُ وهذا المجلس حكم عليهم بناء على ذلك بان يحرقوا احياء. فهذه هي العبارات الموجودة في كتاب كُتِب في ذلك العصر

وهذه هي عمدة الفحص الهائلة المقامة في مدة اسر فرنسيس الاول ضد مسيحيي فرانسا الانجيليين بناء على الاعتناء في امان الجمهور وهي مؤلفة من رجلين عاميين ورجلين اكليريكيين واحد الاكليريكيين دوشسني وهو اشد اهل الصربون ترفضًا ما عدا بيدا فجعلوا ان يعينوهُ رئيسهم الآن صولتهُ كانت اقوى لذلك السبب

وهكذا تدورت الآلة وكانت زنبركاتها معدة جيدًا والموت في كل ضربة من ضرباتها فصار السؤال من يوجهون اليهِ ضربتهم الاولى فاجتمع بيدا ودوشسني ولاكلرك لاجل المحاورة في هذا الامر المهم بمساعدة فيلبس بوت الرئيس واندراوس وارجوس المشير. ألم يكن هناك الكونتي مونتبرون الصديق القديم للويس الثاني عشر الذي كان سابقًا سفيرًا في رومية وبريكونيه اسقف ميوكس. فعمدة

الامان العمومي التي اجتمعت في باريس سنة ١٥٢٥ افتكرت انها اذا استفتحت برجل ذي مقام سامٍ بهذا المقدار لا بد انها توقع الهيبة في المملكة وحسبوا ذلك سببًا كافيًا فقُرّف الاسقف الفاضل

نعم ان بريكونيه قدَّم كفالة الخضوع لرومية وللمجامع وللخرافات الشائعة الَّا انهُ ظن ظنًا قويًّا بانهُ انما فعل ذلك لكي يدفع عن نفسهِ الضربة المزمعة ان تسقط عليهِ وبانهُ لم يزل يحامي عن الارانقة سرًّا والظاهر انهُ بعد تسليمهِ رجع اليهِ جانب من شجاعتهِ وذلك يتفق كثيرًا مع الاشخاص العادمي الثبات الذين يتمايلون ويندفعون الى هنا وهناك كما تفعل امواج البحر عند هبوب الريح ونُسِبت اليهِ اعمال كثيرة في اماكن مختلفة التي تُحسَب اعظم النكول عن احكامهِ التعيسة التي اصدرها سنة ١٥٢٣ وسنة ١٥٢٤ وبالنسبة الى سمو مقامهِ في الكنيسة والحكومة يكون مثالهُ اضر والحصول منهُ على رجوع ظاهر عن غلطهِ الزم او ان ينزل بهِ قصاص اشر فجمعت عمدة الفحص برغبة بيِّنات عليهِ منها قبول الاسقف للارانقة قبولًا حسنًا وانهُ عقيب وعظ رئيس الفرنسيسيين في كنيسة مار مرتينوس في ميوكس اسبوعًا حسب تعليم الصربونيين لاجل ارجاع التعليم الصحيح تبوأ بريكونيه نفسهُ المنبر ونقض جهارًا كلام الخطيب ودعاهُ مع باقي رهبان مار فرنسيس ارفاضًا ومرائين وانبياء كذبة وانهُ لم يكتفِ بهذا الافتراء الجهاري بل استحضر بواسطة وكيلهِ الرئيسَ المذكور امامهُ بشخصهِ والظاهر من مكتوب كُتِب في ذلك العصر ان الاسقف المذكور تجاوز ذلك ايضًا وانهُ في خريف سنة ١٥٢٤ صرف مع لافيفر من ايتابليس ثلاثة شهور بالجولان في ابرشيتهِ واحرق جميع الايقونات ما عدا الصليب فقط فهذا العمل الجسور الذي يبرهن ان بريكونيه كان ذا جسارة عظيمة مقرونة بجبانة كثيرة لا يمكنهُ اذا كان صحيحًا ان يلحق بهِ اللوم الذي يلحق باقي كاسري الايقونات لانهُ كان رئيسًا لتلك الكنيسة التي اخذ في اصلاح خرافاتها واشتغل داخل دائرة حقوقهِ وواجباتهِ

ولكن كيفما كان ذلك لم يكن بريكونيه بريًّا من الذنب في اعين اعداء الانجيل

فانهُ لم يقاوم فقط الكنيسة بوجه العموم بل صارع الصربون نفسها التي هي جماعة شريعتها السامية مجدها وحصنها ومن ثمَّ فرحت عندما بلغها الفحص الذي ترتب على عدوها ويوحنا بوخرت الذي عضد الدعوى ضد بريكونيه امام المجلس كان من اشهر مشترعي ذلك العصر فصرخ بصوت عالٍ قائلاً لايجوز لاسقف ميوكس ولا لشخص آخر ان يرفع راسهُ ولا يفتح فاهُ ضد جماعة اللاهوت ولاضد اشخاص مخصوصين ولا تلتزم جماعة اللاهوت ان تدخل في البحث ولا ان تقدم ولا توضح اسبابها امام الاسقف المذكور الذي يجب عليهِ ان لايقاوم حكمة تلك الجمعية المقدسة بل يجب ان يعتبرها كانها معضودة من الله

وبمقتضى هذا الطالب اصدر المجلس حكماً في ٣ تشرين الاول سنة ١٥٢٥ بهِ يامر بان يعقوب ماناجر واندراوس وارجوس مشيرَي الديوان يستنطقان الاسقف عن القضايا التي قُرِّف بها وامر ايضاً بالقبض على جميع الذين أُخبر ضدهم

وحكم المجلس هذا حيَّر الاسقف فهل يلتزم بريكونيه الذي هو سفير ملكين واسقف وامير وصديق لويس الثاني عشر وفرنسيس الاول ان يخضع للفحص من فقيهَين للبلاط وذلك الذي كان يرجو ان الله يضرم في قلب الملك وامهِ واختهِ ناراً تمتد الى جميع الامة راى الامة تحولت ضدهُ لكي تطفي النار التي قبلها من السماء فان الملك محبوس وامهُ راس اعداء الانجيل ومرغريتا خائفة من الشقاوات التي اصابت فرانسا فلم تجسر ان تدفع الضربات المزمعة ان تسقط على اعز اصدقائها الموجهة اولاً نحو ذلك الاب الروحي الذي عزاها مراراً كثيرة واذا تجاسرت فلا تقدر ولم يمضِ الاَّ قليل منذ كتبت الى بريكونيه مكتوباً موعباً عواطف تقوية ومما قالتهُ آه يا ليت قلبي المسكين العديم الحياة يستطيع ان يشعر بشرارة من المحبة التي ارغب ان يحترق بها فيصير رماداً. فصار السوال عن احتراق حرفي وهذه العبارات السرية لم تعد تناسب الوقت وكل من اراد ان يقر بايمانهِ عليهِ ان يُربَط بالمحرقة والاسقف المسكين الذي رغب بكل حرارة ان يرى اصلاحاً انجيلياً يفتح لهُ طريقاً الى كل قلب بالتدريج وبكل لطف خاف

وارتعد عند ما تكلف الى شرائهِ بحياتهِ وربما لم يخطر ببالهِ هذا الفكر قبل فتقاعد عنهُ بحزن وخوف

بقي لبريكونيه رجاءٌ واحد . فاذا سُمح لهُ ان يقف امام المجلس كما يليق بشخص من رتبتهِ في ذلك الديوان المهيب الكثير العدد لا بد انهُ يجد رجالاً كرماء يوافقونهُ ويحامون عنهُ ولذلك طلب من الديوان ان ينعموا عليهِ بهذا الاذن الاَّ ان اعداءهُ عرفوا ماذا تكون نتيجة ذلك أَلم يروا ان لوثيروس وقف امام المجمع الجرماني وزعزع اثبت القلوب واذ كانوا يجتهدون في ان لا تعطى لهُ فرصة للنجاة بذلوا كل جهدهم حتى ان الديوان ابى ان ينعم على بريكونيه بهذا الاذن بموجب حكم اصدرهُ في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٥٢٥ اثباتًا للحكم الذي قبلهُ

فاحيلت دعوى اسقف ميوكس نظير احقر الخوارنة الى حكم يعقوب ماناجر واندراوس وارجوس وهذان المشترعان اللذان كانا آلتين مطيعتين بيدي مدرسة الصربون لم يكونا يتاثران بتلك الملاحظات الاسمى التي ربما كان اعضاء الديوان جميعهم يتاثرون بها بل انما كانا ممن يسال عن الواقع فقط اي هل خالف الاسقف تلك الجماعة ام لا فهذا هو كل ما ارادا ان يعرفاهُ وبذلك كان الحكم على بريكونيه امرًا محققًا

وبينما رفع المجلس السيف فوق راس الاسقف لم يتكاسل الرهبان والخوارنة والعلماء فانهم راوا ان رجوع بريكونيه يفيدهم اكثر من قصاصهِ فان قتلهُ انما يزيد غيرة جميع الذين كانوا متحدين معهُ في الايمان ولكن ارتدادهُ يغرقهم في اعمق الضعف ولهذا اخذوا في مباشرة ذلك فزاروهُ وترجوهُ ولا سيما مرشيال مازوريير فانهُ اجتهد باسقاطهِ كما سقط هو نفسهُ فلم يقصروا في تقديم البراهين التي ظنوا انها تناسب بريكونيه فهل يريد ان يخسر وظيفتهُ أَوما يقدر بواسطة بقائهِ في الكنيسة ان يستعمل صولتهُ مع الملك والديوان ويفعل ما لا يقاس من الخير وماذا يصيب اصدقاءهُ القدماء اذا نُزِع من يدهِ السلطان أَلا يمنع ثباتهُ

اصلاحًا يتم بواسطة سلطان الاكليروس الشرعي وكم نفسًا يوقع في الشكوك بغفاومة الكنيسة وكم نفسًا يجتذب اليها اذا سلّم فانهم نظيرهُ رغبوا في اصلاح فكل شيء آخذ في التقدم من دون شغب فانهُ في الديوان والمدينة والمقاطعة كان كل شيء آخذًا في التقدم فهل يُفسِد عملًا لطيفًا مثل هذا ولم يطلبوا منهُ ان يترك ارادتهُ بل ان يخضع فقط لترتيب الكنيسة الجاري فهل لاق بهِ عند ما كانت فرانسا واقعة تحت انقلابات هذا مقدارها ان يهيج اضطرابات جديدة فقالوا لهُ باسم الديانة وباسم بلادك واصدقائك والاصلاح نفسهِ اقنع . وبمثل هذه التمويهات يتلف افضل الامور

وكل واحدة من هذه الملاحظات اخذت مفعولًا في ضمير هذا الاسقف والمجرب الذي اراد ان يسقط مخلصنا في البرية تراءى هكذا لبريكونيه تحت الوان مختلفة واما هو فعوضًا عن ان يقول مثل معلمهِ اذهب ورائي يا شيطان أصغى لتلك الاوهام وترحب بها وتامل فيها ومن ذلك الوقت وصلت امانتهُ الى نهايتها

ان بريكونيه لم يدخل قط بكل قلبهِ كما فعل لوثيروس وفارل في الحركة التي كانت حينئذٍ تجدد الكنيسة بل كان فيهِ اوهام من شانها اضعاف عقول الناس وان ينزع منها ذلك الثبات والشجاعة اللذين يصدران من الايمان وحدهُ المؤسس على كلام الله . والصليب الذي طُلب منهُ حملهُ ثقل عليهِ فخاف وتزعزع واضطرب وعثر بالحجر الذي وُضع بخبثٍ في طريقهِ فسقط وعوضًا عن القاء نفسهِ على ذراعي يسوع القى نفسهُ على ذراعي مازوربر وبواسطة نكولهِ المعيب خسر مجدَ امانةٍ شريفةٍ

وهكذا سقط بريكونيه صديق لافيفر ومرغريتا والحامي الاول في فرانسا عن الانجيل انكر بشائر النعمة بالفكر الملوم بانهُ اذا بقي امينًا يخسر سطوتهُ على الكنيسة والديوان وفرانسا . وكل ما تصور عندهُ انهُ خلاص بلادهِ صار علة خرابها فاذا كانت النتيجة لو كانت لبريكونيه شجاعة لوثيروس ولو أُسلِم الى الحريق

واحد من رؤساء اساقفة فرانسا الذي كان محبوبًا من الملك والشعب ونظير اصاغر العالم ختم حق الانجيل باقرار جسور وموت مسيحي . أفما كانت فرانسا نفسها تحركت وصار دم الاسقف نظير دم بوليكربوس وكبريانوس زرع الكنيسة . اما كنا راينا تلك البلاد الفاضلة جدًّا من اوجه شتى تتخلص من القرن السادس عشر من ذلك الظلام الروحي الذي لا يزال مسبلاً عليها

ان بريكونيه فُحِص فحصًا قانونيًا امام يعقوب ماناجر واندراوس وارجوس اللذين حكما بانهُ قد برر نفسهُ بالكفاية من الذنوب المنسوبة اليهِ فترتب عليهِ اعمال وفائية وعقد مجمعًا رذل فيهِ كتب لوثيروس ورجع عن كل ما كان قد علَّم بهِ ضد تعليم الكنيسة وارجع الاستشفاع بالقديسين واجتهد في ارجاع الذين تركوا المذهب الروماني واذ رغب في ازالة كل شك في مصالحتهِ للبابا وجماعة الصربون حفظ صومًا احتفاليًا في مساء عيد الجسد وامر باحتفالات مجيدة ظهر فيها بنفسهِ شاهدًا ايضًا لايمانهِ بواسطة زينتهِ وبكل نوع من العوائد الورعية وفي وصيتهِ الاخيرة اسلم نفسهُ بيد مريم العذراء وبيد جمهور الفردوس السماوية وطلب انهُ بعد وفاتهِ التي كانت سنة ١٥٣٣ يُقدَّس عنهُ الف ومئتا قداس لاجل راحة نفسهِ

وربما كان سقوط بريكونيه اشهر سقوط حدث في تاريخ الاصلاح فاننا لا نجد في مكان آخر رجلًا تقيًا بهذا المقدار ومشتغلاً الى هذا الحد في الاصلاح تحول بغتةً هكذا ضدهُ ولكن يجب ان نفهم جليًا طبيعتهُ وسقوطهُ . كان بريكونيه باعتبار رومية مثل لافيفر باعتبار الاصلاح فكانا كلاهما متوسطين بين الحزبين لا يختصان باحدهما وعالم ايتابليس مال نحو الكلمة واما اسقف ميوكس فمال نحو الرياسة واذ طُلب من هذين الرجلين اللذين يلامس احدهما الآخر ان يحكما جعل احدهما نفسهُ تحت لواء رومية والآخر تحت لواء يسوع المسيح ولكن لا يمكننا ان نحكم بان بريكونيه رفض اقناعات ايمانهِ وعلماء رومية بعد رجوعهِ لم يركنوا اليهِ اركانًا تامًّا الا انهُ ربما تصرف كما تصرَّف فيما بعد رئيس اساقفة كمبراي الذي

اشبههُ في قضايا كثيرة . زعم انهُ يقدر ان يخضع في الظاهر للبابا ويبقى في الباطن خاضعًا لاقناعاتهِ القديمة وكان بريكونيه من جملة رؤساء المذهب السري الذي من مباديهِ الاساسية ان توافق الكنيسة التي تختص بها مهما كانت تلك الكنيسة وهو مثل مبدا الدروز اي اتبعوا اية ملة قويت واحفظوني في قلوبكم

وسقوط بريكونيه الملوم جرح قلوب اصدقائهِ القدماء وكانت سابقة محزنة لتلك الارتدادات التي يرثي لها التي حصل عليها روح العالم مرارًا كثيرة في فرانسا في عصر آخر . والرجل الذي كان كانهُ يمسك زمام الاصلاح بيدهِ طُرِح بغتةً من مكانهِ فاضطر الاصلاح بعد ذلك الى السلوك في طريقهِ داخل فرانسا من دون قائد بشري ومن دون رئيس وذلك بالتواضع والذل ولكن تلاميذ الانجيل رفعوا رؤوسهم ونظروا من ذلك الوقت بايمان اثبت نحو ذلك المرشد السماوي الذي علموا بان صدقهُ لا يتزعزع

فاعتزت مدرسة الصربون وتلك خطوة عظيمة نحو خراب الاصلاح في فرانسا وكان استحصال غلبة اخرى من دون ابطاء امرًا مهمًا وبعد بريكونيه لافيفر رتبةً ومن ثم اتجه بيدا حالاً بالقاء النبال نحوهُ بواسطة اذاعتهِ كتابًا ضد ذلك العالِم الفاضل مملوءًا من القذف المرجدًا حتى ان ايراسموس قال ان الذي هيج حنقهُ على الخصوص هو تعليم التبرير بالايمان الذي كان لافيفر اول من نادى بهِ للمسيحيين في القرن السادس عشر فالتفت بيدا على الدوام نحو هذا الامر نظير امرٍ في زعمهِ يخرب الكنيسة فقال عجبًا ان لافيفر يثبت ان كل من وضع خلاصهُ في نفسهِ فيهلك لا محالة واما الانسان الذي يلقي جانبًا كل قوتهِ ويلقي نفسهُ على التمام بين يدي يسوع المسيح فانهُ يخلص فيالها من ارتقة عظيمة لانها تعلم عدم فاعلية الاعمال الاستحقاقية فيا لهُ من ضلال جهني وفخ شيطاني غاشّ فلنقاومهُ بكل قوتنا

وتلك الآلة للاضطهاد التي تحدث اما نكولاً او موتًا اتجهت حالاً ضد عالِم ايتابليس واملوا ان لافيفر يشارك ماشط الصوف المسكين او بريكونيه الفاضل

في نصيبها فكُتِبت حالاً شكواهُ وشجب الديوان بموجب مضبطة مورخة في ٢٨ آب سنة ١٥٢٥ انسعَ قضايا ماخوذة من تفسيرهِ للانجيل ووُضع تفسيرهُ للكتب المقدسة بين الكتب الممنوعة

وكان ذلك المقدمة فقط والعالِم العلامة عرف ذلك وفي اول ظهور علامات الاضطهاد شعر بانهُ في غيبة فرنسيس الاول يسقط تحت هجات اعدائهِ وبانهُ قد انت الساعة لطاعة وصية الرب ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا الى الاخرى (مت ١٠: ٢٣) فترك ميوكس حيث بعد نكول الاسقف لم يشرب شيئاً الاَّ كاس المرارة ورأى ان كل نشاطهِ ضعف . وعندما انصرف عن مضطهديهِ نفض غبار رجليهِ عليهم لالكي يطلب نزول الشر بهم ولكن علامة للشرور التي كانت محفوظة لهم لانهُ كما يقول في مكان كما ان الغبار ينفض عن ارجلنا يطرحون هم من امام وجه الرب

فلتت من ايدي المضطهدين غنيمتهم الاَّ انهم تسلوا بالفكر بان فرانسا نجت اقلها يكون من ابي الارانقة. فوصل لافيفر الهارب الى ستراسبرج تحت اسمٍ غير اسمهِ واتحد هناك حالاً مع اصدقاء الاصلاح وماذا كان فرحهُ عندما سمع ذلك الانجيل يعلَّم بهِ جهارًا وهو الذي اتى بهِ اولاً الى الكنيسة. هذا هو ايمانهُ وهذا هو بالتدقيق ما اراد ان يعلم بهِ وتراءى انهُ قد وُلِد ثانية للحياة المسيحية وجيرارد روسيل احد الجماعة الانجيلية الذي نظير عالِم ايتابليس لم يحصل على انعتاق تام التزم ايضًا ان يترك فرانسا فتبعا معًا تعليم كابيتو وبوسر وصارت مخاطبات سرية كثيرة بينهما وبين هذين العالمين الامينين وشاع ايضًا انهما قد أُرسلا لهذا العمل من قبل مرغريتا اخت الملك الآن لافيفر تشغل في التامل بطرق الله اكثر مما تشغل بالمحاورة واذ القى نظرهُ على العالم المسيحي وامتلا عجبًا عند نظرهِ الحوادث العظيمة الجارية وتحرك الى الشكر وامتلأ قلبهُ انتظارًا ركع على ركبتيهِ وصلى الى الرب ان يكمل ما رآهُ حينئذٍ مبتدئًا

ومن جملة افراحهِ في ستراسبرج ان فارل تلميذهُ وابنهُ الذي انفصل عنهُ

مدة نحو ثلاث سنين بواسطة الطرد وصل الى هناك قبلهُ وعالِم الصربون الشيخ وجد التلميذ الشاب رجلاً في نشاط عمرهِ ومسيحيًا حاصلاً على كل نشاط الايمان وفارل قبَّل بمحبة تلك اليد الجعدة التي ارشدت خطواتهِ الاولى وحصل على فرح لا يوصف بسبب اجتماعهِ ايضًا بابيهِ في مدينة انجيلية ونظرهُ اياهُ محفوفًا باناس امناء فانهما اصغيا معًا الى تعاليم المعلمين الفاضلين الخالصة واشتركا معًا في عشية الرب حسب وصية المسيح وقبلا معًا براهين مؤثرة لاثبات محبة اخوتهم فقال فارل اتذكر ماذا قلت لي مرةً اذ كنا كلانا غائصين في الظلمة يا وليم ان الله سوف يجدد العالم وانت سوف ترى ذلك فهذه بداءة ما قلتهُ لي حينئذٍ فاجاب الرجل التقي الشيخ نعم يا ابني العزيز فواظب على المناداة بانجيل يسوع المسيح المقدس بجسارة

ان لافيفر من فرط حذرهِ اراد ان يعيش مستورًا في ستراسبرج فسمى نفسهُ انطانيوس السائح واما روسل فسمى نفسهُ سلنين الآن العالِم الفاضل لم يقدر ان يبقى مستورًا بل انما بعد زمان قصير كانت كل المدينة حتى والاولاد انفسهم يسلمون على الفرنساوي الشيخ بالاعتبار فلم يسكن وحدهُ بل اقام في بيت كابيتو مع فارل وروسيل وفداستوس الذي مُدِح لاجل حشمتهِ ومع رجل اسمهُ سمعان من اليهود المؤمنين وبيوت كابيتو واكولمباذيوس وزوينكل ولوثيروس كانت حينئذٍ نظير خانات فهكذا كانت في ذلك الزمان قوة المحبة الاخوية وفرنسا وبون آخرون كثيرون كانوا ساكنين في تلك المدينة على شطوط الرين وبنوا كنيسة نادى فيها فارل مرارًا كثيرة بتعليم الخلاص وهذه الجماعة المسيحية لطفت اوجاع النفي

واذ كان هولاء الاخوة يتمتعون هكذا بالملجا الذي قد منحتهُ لهم المحبة الاخوية كان الاخوة الذين في باريس واماكن اخرى عرضة لمخاطر عظيمة فان بريكونيه كان قد نكل ولافيفر ترك فرانسا وذلك لا محالة امر كلي عند جماعة الصربون الأ انها لم تحصل بعد على القصاصات التي اشارت بها فان بيدا وحزبهُ لم يجدوا لهم

ضحايا . ورجلٌ واحدٌ ازعجهم اكثر من بريكونيه وفارل وهو لويس بركوين وهذا الرجل من ارنواه كان اشد عزمًا من معلميهِ فلم يترك فرصة تذهب من دون تعذيب الرهبان واللاهوتيين وفضح اوهامهم واذ سكن على التوالي مرة في باريس واخرى في الاقاليم جمع وترجم كتابات لوثيروس وابراسموس وهو نفسهُ ألف كتبًا جدلية وحامى بغيرة مؤمن جديد عن التعليم الجديد ونشرهُ فوشى بهِ اسقف اميئس واثنى بيدا الشكوى فامر الديوان بالقائهِ في الحبس وقالوا ان هذا لا ينجو منا كما فعل بريكونيه ولافيفر وفي الواقع ابقوهُ تحت الحفظ باحتراز وباطلاً كان رئيس الكرثوسيين وغيرهُ يطلبون منهُ ان يعتذر بل قال انهُ لا يسلم ولا في قضية واحدة قال احد الرواة انهُ لم يبقَ طريق الّا اخذهُ الى الوتد والحريق

ان مرغريتا اذ اندهشت مما عرض لبريكونيه خافت من ان ترى بركوين يجر الى الوتد الذي نجا منهُ الاسقف بهذا المقدار من العيب واذ لم تكن تجسر ان تزورهُ في السجن اجتهدت ان ترسل اليهِ بعض كلمات التعزية وربما لاجلهِ نظمت تشكي المسجون هذا الموجع الذي يخاطب بهِ الرب ويقول

ولكن اينما كان حبسي
لا يمكن ابوابهُ ان تصدك عني
لانني حيثما كنت فانت هناك معي

ولم تكتفِ مرغريتا بذلك بل كتبت حالاً الى اخيها تترجاهُ بالصفح عن هذا المحبوس وانها هي تكون مغبوطة اذا امكنها ان تنقذهُ في وقت مناسب من بغضة اعدائهِ

ان بيدا بينما هو منتظر هذه الفريسة اجتهد في ان يضعف اعداء الصربون والرهبان بواسطة سحقهِ اشهرهم فان ابراسموس كان قد امسك القلم ضد لوثيروس . ولكن لا اعتبار لذلك . فاذا قدروا على اهلاك ابراسموس فلا بد انهم بالاولى يقدرون ان يهلكوا فارل ولوثيروس واتباعهما والطريق الآمن لادراك الغرض انما هو القصد الى ما وراءهُ ومتى وضعت رومية مرةً رجلها على

رقبة فيلسوف روتردام فابن العالم الارانيكي الذي ينجو من نقمتها ولاكتوربر المعروف غالبًا باسمهِ اللاتيني سوترا اي اسكاف كان قد اخذ في العمل بواسطة اذاعتهِ من مخدعهِ الكرثوسي رسالة مملوَّة شراسة دعا فيها اخصامهُ لاهوتيين هاذرين وحميرًا وقرفهم بذنوب مشككة وبالارتقة والتجديف واذ كتب عن امور لم يكن يفهمها ذكَّر قارئيهِ بالمثل القديم وهو دع السكاف يتمسك بخرزهِ . فبادر بيدا الى مساعدة اخيهِ فامر ابراسموس ان لا يكتب بعد واذ تناول القلم الذي امر اعظم علماء العصر بتركهِ عمل مجموعًا لجميع المثالب التي اخترعها الرهبان ضد ذلك الفيلسوف الشهير وترجم ذلك الى الفرنساوي والف كتابًا وزعهُ في المدينة وفي البلاط واجتهد في انهاض فرانسا باسرها ضدهُ . وهذا المؤَلف كان علامة القتال فقُذِف ابراسموس من كل جهة وراهب كرملي شيخ من لوفيان اسمهُ نيقولاوس اكوند كلما تبوأ المنبر صرخ قائلاً انهُ لا يوجد فرق بين ابراسموس ولوثيروس الّا ان ابراسموس هو ارانيكي اعظم وحيثما كان الكرملي المذكور سواءٌ كان في المدينة او في المركبة او القارب سمّى ابراسموس مبتدعًا ومزورًا وجمعية اللاهوت في باريس اذ هيجتها هذه المناداة هيأت شجبًا ضد ذلك المؤَلف الشهير

فلما بلغ ابراسموس ما صار تحير ورأى عملهم هذا مجازاتهم لهُ لاجل كل تجلدهِ وكل مقاومتهِ للوثيروس . وكان قد تجلد في الخصام بشجاعة اكثر من غيرهِ واما هم فحاولوا ان يجعلوهُ مداسًا ويدوسوهُ تحت اقدامهم لكي يقاتلوا باكثر طمانينة العدو العمومي فهذا الفكر ازعجهُ فدار حالاً ورضي ان يكف عن مقاتلتهِ لوثيروس وسقط على هؤلاء العلماء الموسوسين الذين هجموا عليهِ من ورائهِ ولم تكن قط كتاباتهُ اقوى مما كانت حينئذٍ فانهُ لاحظ كل ما حولهُ ورات عينهُ الحادة سريعًا بيدا من قضاتهِ فلم يتاخر بل اعتمد ان يعرض شكاويهُ ودعاويهُ للصربون والديوان والملك والامبراطور نفسهِ فكتب الى لاهوتيي الصربون الذين كان لا يزال ينتظر منهم شيئًا من عدم المحاباة يقول ما هو الذي اضرم هذا الحريق اللوثراني العظيم وماذا الهبهُ الّا شراسة بيدا واتباعهِ . في الحرب الجنديُّ الذي

يتم واجباتهِ ينال الجزاء من فائدهِ وكل الجزاء الذي انالهُ منكم انتم القائدين في هذه الحرب هو ان أُدفع لمثالب بيدا ولاكتوربر ومن اشبهها

وكتب الى الديوان قائلاً يا للعجب اني عند ما كنت اقاتل هؤلاء اللوثرانيين وعند ما كنت اخذًا في حرب شديدة بامر الامبراطور والبابا وغيرهما من الامراء حتى تحت خطر فقد حياتي قاتلني بيدا ولاكتوربر من خلفي بواسطة كتبها النجسة آه لو لم يعدمنا الزمان فرنسيس الملك لكنت ادعو ذلك المنتقم للشعراء ضد هجمة هؤلاء البرابرة الجدد واما الآن فانهُ يجب عليكم ان تلاشوا هذه المظالم

وحالما وجد فرصة لمكاتبة الملك ارسل لهُ مكتوبًا فان عينيهِ الحادتين ابصرتا في علماء الصربون هؤلاء الموسوسين جراثيم المعاهدة وسلفاء اولئك الخوارنة الثلاثة العتيدين بعد حين ان يقيموا السنة عشر ضد آخر عائلة فالواه وعقلهُ الثاقب حذر الملك من الذنوب والمصائب التي كانت ذريتهُ عتيدة ان تعرفها جيدًا فقال انهم يعملون عملهم تحت رداء غيرة الدين غير انهم يطلبون التعدي حتى على الامراء وهم يسيرون بخطوات راهنة ولئن كان طريقهم تحت الارض فان لم يشا الملك ان يخضع لهم في كل شيء يحكمون بوجوب خلعهِ من قبل الكنيسة اعني من قبل رهبان ولاهوتيين قليلين كاذبين يتوامرون على سلامة الجمهور. وايراسموس بكتابتهِ الى فرنسيس الاول لم يكن قادرًا على مس موضع اشد حساسة مما مسهُ بقولهِ هذا . واخيرًا لكي يثق ايراسموس اكثر بالنجاة من اعدائهِ طلب حماية كرلوس الخامس فقال ايها الامبراطور الذي لا يُقهَر ان بعض الاشخاص ممن تحت دعوى الديانة يريدون ان يثبتوا شراهتهم وسلطانهم يهيجون حركة هائلة ضدي. فانا احارب تحت لوائك ولواء يسوع المسيح والامل ان حكمتك وسلطتك تردان السلامة الى العالم المسيحي

على هذا النسق امير القلم خاطب اكابر العصر فرُفع الخطر عنهُ وتداخلت سلاطين العالم والتزم هؤلاء العقبان ان يتركوا فريسةً توهموا انها في مخالبهم وعند ذلك تحولوا الى جهة اخرى يطلبون فرائس جديدة فوجدوا ذلك سريعًا

وكانت لورين المكان الاول المزمع ان يُسفك فيهِ الدم ايضًا فانهُ منذ ايام الاصلاح الاولى كان اتحاد ترفض بين باريس وبلاد عائلة غيز فعند ما سكنت باريس اخذت لورين في العمل ثم عادت باريس الى عملها عند ما سكنت متز ونانسي لاخذ الراحة وتجدد نشاطها وفي حزيران سنة ١٥٢٥ ارجع بطرس توسنت الى متز صحبة فارل فطلبا ان يعظا امام الاسياد الثلاثة عشر واذ لم يؤذن لهما بذلك رفعا الطلب الى المجلس وكانوا قد عملوا تدبيرًا لالقائهما في السجن وهما خوفًا من الخطر تركا سريعًا المدينة ومشيا الليل كلهُ لئلاَّ يدركهما العدو

والضربات الاولى كانت مزمعة في الظاهر ان تسقط على رجل فاضل من ملتجئي باسل صديق فارل وتوسنت اي الفارس دي اسك الذي لم يستطع ان ينجو من ظنون خوارنة متز فانهم وجدوا انهُ كان يراسل المسيحيين الانجيليين فحُبس في بونتاموسون نحو خمسة اميال من متز على شطوط نهر موسل وهذه الاخبار اوقعت الملتجئين الفرنساويين واهالي سويسرا انفسهم في الحزن فصرخ اكولمباذيوس يا للقلب المملو نقاوة . اني اثق بالرب انهُ يحفظ هذا الرجل لنا اما في الحياة نظير واعظ بالبر لكي يبشر باسمهِ او في الموت نظير شهيد يعترف بهِ . الاَّ ان اكولمباذيوس كان يذم الجسارة والحمية والغيرة غير المرتبة التي كان الملتجئون الفرنساويون يمتازون بها فقال يا ليت سادتي الفرنساويين انفسهم لا يسرعون بهذا المقدار في الرجوع الى بلادهم قبل ان يفحصوا فحصًا مدققًا جميع الظروف لان الشيطان آخذ في نصب فخاخهِ في كل جهة ومع ذلك دعهم يطيعون روح المسيح واسال الله ان هذا الروح لا يتركهم ابدًا

وكان بالحقيقة سبب للخوف على الفارس المذكور فان غيظ العدو ظهر في لورين بقوة مضاعفة ورئيس رهبان مار فرنسيس بونا ونتورا رانل معرّف الدوك انطونيوس الصالح رجل عديم الحيا وغير ممدوح في امر الآداب اعطى ذلك الامير الضعيف الذي حكم من سنة ١٥٠٨ الى سنة ١٥٤٤ رخصة عظيمة في تنعماتهِ واقنعهُ بان يهلك اصحاب الاصلاح لكي يكتسب بذلك مغفرة خطاياهُ

وهذا الدوك الذي تعلم جيدًا من رانل كان يقول انهُ يكفي كل انسان ان يعرف الصلاة الربانية والسلام المريمي وكلما زاد العلم زاد التشويش

وفي اواخر سنة ١٥٢٤ بلغ ديوان الدوك ان راعيًا اسمهُ شوخ يعلم تعليمًا جديدًا في قرية سنت هيبوليت عند حضيض جبال الفوسجس فقال انطونيوس الصالح فليرجعوا الى واجباتهم والاَّ فاني اهجم على المدينة واهلكها بالنار والسيف

وعند ذلك عزم الراعي الصالح ان يبذل نفسهُ عن خرافهِ وانطلق الى نانسي حيث كان الامير مقيمًا وحالما وصل الى هناك أُلقي في سجن قذر تحت حراسة قوم قساة متوحشين والاخ بوناونتورا اخيرًا راى الاراتيكي في قبضة يدهِ وهو كان رئيس الديوان عند محاكمتهِ فصرخ تنبأ لهُ من اراتيكي يهوذا شيطان . واذ كان شوخ هاديًا وضابطًا نفسهُ لم يجب لهذا الافتراء الاَّ انهُ كان ماسكًا بيدهِ نسخة من الكتاب المقدس محشوة بالحواشي فاقر بوداعة وبعزم بالمسيح مصلوبًا ثم تحرك بغتةً ووقف بجسارة ورفع صوتهُ وكان كانهُ مملو روحًا من العلا فنظر الى قضاتهِ وهددهم باحكام الله الهائلة

اما الاخ بوناونتورا واصحابهُ فتحيروا وامتلأُوا حنقًا وهجموا عليهِ بصراخ شديد وخطفوا من يدهِ الكتاب المقدس الذي قرا منهُ تلك العبارات الشديدة وكما يخبر الراوي نظير كلاب كلبة احرقوا الكتاب في دبرهم اذ لم يقدروا ان يعضّوا تعليمهُ

فرنَّ ديوان لورين باسرهِ بخبر عناد خادم سنت هيبوليت وجسارتهِ واذ رغب الامير ان يسمع الاراتيكي طلب الحضور سرًّا في فحصهِ الاخير ومن دون ان يراهُ احد وبما ان الفحص كان باللاتينية لم يقدر ان يفهم شيئًا الاَّ انهُ تعجب من ثبات الخادم الذي لم يظهر عليهِ شيء من الافحام ولا الارتباك واذ غضب انطونيوس الصالح من اصرارهِ نهض وقال وهو منصرف لماذا تتجادلون ايضًا فانهُ ينكر سر القداس فليتقدموا الى اجراء الحكم عليهِ . فحُكم حالاً على شوخ بان يحرَق حيًا واذ أُخبر بالحكم عليهِ رفع عينيهِ نحو السماء وقال بوداعة فرحتُ بالقائلين لي

الى بيت الرب نذهب (مز ١٢٢ : ١)

وفي ٩ آب سنة ١٥٢٥ كانت مدينة نانسي باسرها في حركة والاجراس تقرع داعيةً الى قتل اراتيكي فخرج الموكب الهائل وكان لا بد من المرور امام دير رهبان مار فرنسيس الذين كانوا قد اجتمعوا بفرح وانتظار قدام الباب وحالما طل شوخ صرخ الاب بوناونتورا واشار الى التماثيل المحفورة على ابواب الدير يا ايها الاراتيكي اعطِ الكرامة لله ولامهِ وللقديسين فاجاب شوخ وهو منتصب امام تلك القطع من الخشب والحجر وقال ايها المراؤون ان الله سوف يهلككم ويظهر اخاديعكم

وعند ما وصل الشهيد الى مكان القتل أُحرقت كتبهُ امام عينيهِ ثم طُلب منهُ ان يرجع عن غيهِ فابى قائلاً اناك انت يا الله قد دعوتني وانت تقوّيني الى النهاية وبعد ذلك ابتدا يتلو بصوت عالٍ المزمور الحادي والخمسين ارحمني يا الله كعظيم رحمتك واذ رُبط بالوتد لبث يتلو المزمور حتى اخفى الدخان واللهيب صوتهُ

وهكذا مضطهدو فرانسا ولورين نظروا تجديد غلباتهم واخيرًا التفت الناس الى نصيحتهم فان رماد اراتيكي قد أُذري الى الرياح في نانسي وكان ذلك مثل دعاء عاصمة فرانسا الى القتال فهل يكون بيدا ولاكتوربر متاخرين في اظهار غيرتهما نحو البابا فليجاوب لهيب لهيبًا وتكتنس الاراتقة من اراضي المملكة وتطرد سريعًا بالتمام وترجع الى ما وراء الرين

ولكن قبل ان يقدر على النجاح التزم ان يخاصم خصامًا نصفهُ جد ونصفهُ هزل ضد واحد من الرجال الذين عندهم محاربة البابابوية انما هو مجرد تقطيع وقت وتسلية عقلية لا مقصد جدّ قلبي. فمن جملة التلاميذ الذين اجتذبهم بريكونيه الى ابرشيتهِ عالِم صربوني اسمهُ بطرس كارولى رجل معجب بنفسهِ خفيف ولم يكن دون بيدا نفسهِ في حب الخصام والنزاع وراى كارولى في التعليم الجديد واسطة لاغاظة بيدا الذي لم يكن يطيق صولتهُ ومن ثمَّ عند رجوعهِ من ميوكس الى

باريس احدث تاثيرًا عظيمًا بواسطة ادخالهِ الى المنبر ما سماهُ طريق الوعظ الجديدة وعند ذلك ابتدا نزاع لا يكل بين العالمين ضربة بضربة وحيلة بحيلة فطالب بيدا كارولي الى امام جماعة الصربون وكارولي طالب بيدا الى امام ديوان الاسقف على سبيل المكافاة وجماعة الصربون لم تفك الفحص فاخبر كارولي برفع الدعوى الى المجلس فنُهي موقتًا عن الدخول الى المنبر ولكنهُ وعظ في جميع كنائس باريس واذ نُهي نهيًا جازمًا عن الوعظ مطلقًا خطب جهارًا على المزامير في مدرسة كمبراي فنهتهُ مدرسة اللاهوت عن مداومة عملهِ فاستاذن ان يكمل تفسير المزمور الثاني والعشرين الذي كان قد ابتدا بهِ واخيرًا اذ خُيّب طلبهُ علّق الورقة الآتية على ابواب المدرسة. ان بطرس كارولي لاجل رغبتهِ في اطاعة اوامر الجماعة المقدسة قد كف عن الخطاب وهو سوف يرجع الى خطابهِ متى اراد الله مبتدئًا من العدد الذي وقف عندهُ وهو ثقبوا يديَّ ورجليَّ وهكذا وجد بيدا اخيرًا قرينًا لهُ ولو حامى كارولي بجدٍ عن الحق لكان الحريق حالاً جزاءهُ الّا ان روحهُ كان مائلاً جدًّا الى الهزل وذلك نجّاهُ من الموت فكيف يقدر القضاة ان يحكموا بالقتل على رجل اعدمهم رزانتهم فلم يكن ديوان الاسقف ولا المجلس الكبير ولا الشورى يقدرون على الوصول الى حكم معيَّن في امرهِ ولو وجد رجلان مثل كارولي لكانا اعجزا بيدا نفسهُ الّا ان الاصلاح لم يوجد لهُ نظيرًا

وحالما انتهى هذا النزاع شرع بيدا بامور اهم ولاجل سعد قاضي الصربون وُجد اناس مكّنوا الاضطهاد من انفسهم اكثر من كارولي. اما بريكونيه وابراسموس ولافيفر وفارل فنجوا منهُ ولكنهُ ان لم يقدر على هولاء يرتضي بفريسة ادنى

ان الشاب المسكين يعقوب پاڤاني بعد نكولهِ في عيد الميلاد سنة ١٥٢٤ لم يعمل شيئًا الّا البكاء والتنهد فكنت تراهُ متكئًا وعيناهُ مطرقتان في الارض يتنهد داخلاً ويونّب نفسهُ بصرامة على نكرانهِ مخلصهُ والههُ

ولا ريب ان پاڤاني كان اشد الناس حياءً واقلهم ضررًا ولكن ما هو ذلك. كان في ميوكس وفي تلك الايام كان ذلك كافيًا فهاج الصراخ ان پاڤاني قد

ارتد والكلب رجع الى قيئهِ والخنزيرة المغتسلة رجعت الى الحماة فقُبض عليهِ حالاً وأُلقي في السجن وأُخذ الى امام قضاتهِ وهذا ما طلبهُ ذلك الشاب فشعر بعزاء حالما وُضع في القيود ونال قوة كافية للاعتراف بيسوع المسيح بجسارة والمضطهدون القساة ابتسموا لما راوا انهُ هذه المرة لاشيء يخلص فريستهم فلم يكن نكول ولا هرب ولا حماية قوية. ولطافة الشاب ونصاحتهُ وشجاعتهُ لم تكفِ لتليين قلوب اخصامهِ فاعتبرهم بالمحبة لانهم بواسطة القائهم اياهُ في السجن ارجعوا اليهِ سكينتهُ وفرحهُ الاَّ ان منظرهُ اللطيف انما كان وسيلة لتقسية قلوبهم فانتهت سريعًا محاكمتهُ واقيمت كومة على محل اسمهُ الكراف وهناك توفي پاڤاني فرحًا وشجَّع بواسطة مثالهِ جميع الذين في تلك المدينة آمنوا جهارًا اوسرًّا بانجيل المسيح

لم يكتفِ الصربون بذلك. والتزموا ان يضحُّوا اناسًا من الرتبة الدنيا فقصدوا ان يعوّضوا عن ذلك بالكثرة وان يبرهنوا للعال والدون ان لويزا من ساڤواه والصربون والمجالس قد اعتمدوا على تسليم كل الهراطقة الى آخرهم الى حرومات رومية

في حرش ليڤري بمسافة ثلاثة فراسخ من باريس بقرب خرب دير الاوغسطينيين القديم سكن ناسك وهذا الناسك صادف بعض الرجال من ميوكس وقبل التعليم الانجيلي في قلبهِ. واذ راى نفسهُ غنيًا في انفرادهِ رجع ذات يوم بالطعام القليل الذي اعطتهُ اياهُ صدقة الجمهور ومعهُ يسوع المسيح ونعمتهُ في قلبهِ ومن ذلك الوقت ظهر لهُ العطاء خيرٌ من الاخذ فطاف من بيت الى بيت في القرى المجاورة وحالما فتح ابواب الفلاحين الذين زارهم في منازلهم الحقيرة كلمهم عن الانجيل وعن الغفران الكامل الذي يقدّمهُ للانفس المثقلة والذي هو احسن جدًّا من الحلاَّت ولم يمضِ الاَّ قليل حتى عُرف الناسك الصالح في جوار باريس فذهب الناس الى زيارتهِ في صومعتهِ الدنية فصار رسولاً وديعًا حارًّا لانفس اهالي المكان الساذجين

واخبار اعمال هذا الانجيلي الجديد لم تقصر عن الوصول الى اذان جماعة

الصربون وولاة باريس فقُبض عليهِ وخُطف من صومعتهِ وحرشهِ وتلك الصحاري التي طاف فيها كل يوم وأُلقي في سجن في تلك المدينة العظيمة التي كان دائمًا يحترز منها وقُضي عليهِ بان يحتمل قصاص النار البطيئة عبرةً لمن يعتبر. ولكي يكون هذا المثال اشد تاثيرًا قُضِي باحراقهِ حيًّا قدام كنيسة نوتردام امام تلك الكنيسة الزاهرة ذلك الرمز الجليل للمذهب الروماني فدُعي جميع الاكليروس واقيم احتفال مثل احتفالات اعظم الاعياد وارادوا لو امكن ان يجعلوا باريس باسرها حولهُ ويخبرنا احد المورخين ان جرس كنيسة نوتردام الكبير قُرِع لاجل تهييج الاهالي فتقاطر الناس افواجًا في جميع الازقة التي تاخذ الى تلك الرقعة وصوت الاجراس العميق اجتذب الفعلة من اتعابهم والدارسين من كتبهم والتجار من بضاعتهم والجنود من كسلهم وزاحم الفسحة المتسعة جمهور كان لا يزال آخذًا في التزايد واما الناسك فالبسوهُ الثياب المعينة للارانقة العنيدين وحافي الرجلين ومكشوف الراس ساقوهُ الى امام باب كنيسة الكرسي واذ كان هادئًا ثابتًا ضابطًا نفسهُ لم يجب بشيء على مواعظ المعرّفين الذين قدموا لهُ صلبوتًا الاّ بقولهِ ان رجاءهُ الوحيد هو في غفران الله . وعلماء الصربون الذين كانوا بين الصفوف الاولى من المتفرجين اذ راوا ثباتهُ والتاثير الحاصل في الشعب صرخوا بصوت عالٍ انهُ ملعون وها هم يسوقونهُ الى جهنم النار وكان الجرس الكبير لا يزال يقرع وصوتهُ الشديد يصمُّ اذان الجمهور وذلك زاد روع المنظر المحزن واخيرًا سكت الجرس واجاب الشهيد اسئلة اعدائهِ الاخيرة بانهُ عازم على الموت في ايمان ربهِ يسوع المسيح ثم أُحرق بنار بطيئة حسب منطوق الحكم عليهِ وهناك امام نوتردام في وسط ضجة وهياج شعب كامل تحت ظل الابراج التي اقامتها تقوى لويس الاصغر مات بسلام رجل لم ينقل التاريخ الينا اسمهُ الاّ لقبهُ اي ناسك ليفري

الفصل الخامس عشر

كلفينوس . الخوف والاضطهاد . الشهداء للحق . مقصد مرغريتا . ذهابها الى اسبانيا

بينما كان الناس يميتون المعترفين بالمسيح الاولين في فرنسا كما تقدم ذكرهُ كان الله يعدُّ رجالاً اقوى لكي يقوموا مقامهم فان بيدا ساق الى الحريق تلميذًا وديعًا وناسكًا متواضعًا وظن انهُ يجرُّ الاصلاح باجمعهِ معهما الاَّ ان للعناية طرقًا غير معروفة لدى العالم والانجيل نظير السمندل يتضمن مبدا حياة في داخلهِ لا يقدر اللهيب على افنائهِ بل انما ينهض ثانيةً من رمادهِ وقد يحدث مرارًا انهُ في الساعة التي يكون فيها العاصف على اشدّهِ عندما يبين ان الصاعقة قد اصابت الحق وحين يخفيهِ الظلام الكثيف عن ابصارنا يظهر نور بغتةً وتعقبهُ نجاة عظيمة. وفي ذلك الوقت عندما كانت جميع القوات البشرية في فرنسا تتسلح لاجل مضادة الانجيل لكي يلاشوا الاصلاح ملاشاة تامة اعدَّ الله آلة ضعيفة في ظاهرها لكي تعضد حقوقهُ وتحامي عن امرهِ بشجاعة فائقة ففي وسط الاضطهادات والكروم الملتهبة التي كانت تتبع بعضها بعضًا على التوالي بعد ان صار فرنسيس اسير كرلوس دعنا نحدق باعتناء الى شاب عتيد ان يصير راس جيش في حرب اسرائيل المقدسة

بين اهالي مدينة باريس ومدارسها الذين سمعوا صوت الجرس الكبير كما ذُكِر في الفصل السابق كان تلميذ ابن ست عشرة سنة من اهالي نوبون في پيكردي معتدل القامة اصفر اللون عيناهُ حادتان ومنظرهُ المنتبه دالٌّ على عقل فريد. ولباسهُ كان على غاية اللياقة وكامل البساطة دالٌّ على حسن الترتيب والاعتدال واسم هذا الفتى يوحنا كوفين او كلفينوس وكان حينئذٍ يدرس في مدرسة لامارش تحت يد ماثورين كوردير وهو خوري مشهور لاجل استقامتهِ وعلمهِ واهليتهِ الخاصة

لتعليم الفتيان وهذا التلميذ تربى في خرافات الباباوية وخضع بعماوة للكنيسة اي للاكليروس وتمم بفرح جميع سننها مقتنعًا بان الارائقة استوجبوا بالتمام كل ما حل بهم والدم الذي كان حينئذٍ جاريًا في باريس عظم ذنب الارائقة في عينيهِ ومع انهُ كان طبعًا جبانًا الى درجة زائدة كان ايضًا على استقامة قلب كريم الذي يعدّ الانسان الى خسارة كل شيءٍ لاجل ضميرهِ ومن ثمَّ باطلاً تخوّفت فتوتهُ بتلك المناظر المريعة وباطلاً كان اللهيب المهلك يفني تلاميذ الانجيل الامناء على الكراف وامام نوتردام . وتذكُّر هذه الخطوب لم تقدر ان تصدّهُ عن الدخول في الطريق الجديد الذي ادّى الى الحبس او المقطرة . وفضلاً عن ذلك كان في طبيعة كالفينوس بعض العلامات الدالة على ما سيكون منهُ وشدّة الآداب فيهِ اقتادتهُ الى التدقيق في التعليم وهذا التلميذ ابن ست عشرة سنة عُرِف بانهُ يكون رجلاً يتصرف برزانة في كل مبدا مقبول عندهُ ويطلب من الآخرين بثبات ما وجدهُ في نفسهِ سهل المراس واذ كان هادئًا ورزينًا في مثالاتهِ لا يشترك في ملاهي ارفاقهِ في وقت التنزه ويبتعد عنهم وكره الخطية كان مرارًا يونبهم بصرامة واحيانًا بمرارة لاجل هفواتهم ومن ثمَّ كما يخبرنا راهب من نويون لقّبهُ ارفاقهُ بالشاكي وقام بينهم مقام الضمير والواجبات وكان بعيدًا جدًّا من الطبيعة التي يقذفهُ طاعنوهُ بها وهيئة هذا التلميذ الصفراء وعيناهُ الحادتان جعلت ارفاقهُ يعتبرونهُ اكثر مما اعتبروا ملابس معلميهم السود وهذا الشاب البيكردي الجبان الذي جلس كل يوم على المقاعد في مدرسة لامارش كان ايضًا حينئذٍ بواسطة رزانة مخاطباتهِ وحياتهِ خادم الانجيل ومصلحًا وهو لم يشعر بذلك

وهذا الفتى لم يفق ارفاقهُ في هذه الخصوصيات فقط فان جبانتهُ العظيمة كانت احيانًا تمنعهُ من ان يظهر كل الكراهة التي عندهُ نحو الاباطيل والرذيلة الّا انهُ كرّس كل قوة عقلهِ وارادتهِ للدرس حتى ظهر لمن يراهُ انهُ قادر على صرف كل حياتهِ في التعب وادرك كل شيءٍ بسهولة لا توصف وركض في درسهِ اذ كان ارفاقهُ يدبون بكسل وطُبِع بتعمق على عقلهِ العميق ما كان الآخرون يصرفون

زمانًا طويلاً في تعلمهِ من دون تعمق فيهِ ومن ثم اضطر معلمهُ ان يخرجهُ من الصفوف ويدخلهُ وحدهُ في دروس جديدة

وكان من جملة ارفاقهِ في الدرس اولاد دي مومور وهم من اوجه اشراف پيكردي وكان يوحنا كلڤينوس صديقا مخلصًا لهم ولاسيما مع كلاود الذي صار فيما بعد رئيس دير مار الياس والذي كرس لهُ شرحهُ على مؤلفات سينكا وبرفقة هولاء الشبان الاشراف اتى كلڤينوس الى باريس وابوهُ جيرارد كلڤينوس الكاتب الرسولي وخزين مقاطعة نويون وكاتب الابرشية ونائب المجمع كان رجلاً ذا عقلٍ واقتدار قد رقتهُ مواهبهُ الى وظائف طالبها احسن العيال وصار لهُ اعتبار لدى جميع الآباء في الايالة وعلى الخصوص لدى عائلة مومور الشريفة وسكن جيرارد في نويون وتزوج بفتاة من كمبراي ذات جمال بارع وتقوى خالصة اسمها حنة ليفرنك وولدت لهُ ابنًا اسمهُ كرلوس ثمَّ في ١٠ تموز سنة ١٥٠٩ ولدت ابنًا ثانيًا سُمي يوحنا وتعمَّد في كنيسة مار غود يبرتي ثم ولدت لهُ ابنًا ثالثًا اسمهُ انطونيوس توفي صغيرًا وابنتين وهذه هي عائلة خزين نويون

واذ كان جيرارد كلڤينوس يعاشر روساء الاكليروس واكابر المقاطعة رغب في ان اولادهُ يتربون نظير تربية احسن العيال فتربى يوحنا مع اولاد عائلة مومور فعاش في بينهم كواحد منهم وتعلم مبادي العلوم والآداب وفي تلك العائلة تلطفت اخلاقهُ اكثر ما كان لولا تلك الفرصة ثم ذهب الى مدرسة الكابتيين التي اقيمت في مدينة نويون ولم يتنزه هذا الولد الاَّ قليلاً والتدقيق الذي كان من طبيعة الابن وُجد ايضًا في طبيعة الاب فرباهُ جيرارد بكل تدقيق فالتزم يوحنا منذ نعومة اظفارهِ ان يخضع للواجبات الصارمة حتى صارت سريعًا طبيعية وسطوة الاب كانت تضادُّ طبيعة عائلة مومور وكلڤينوس الذي كان جبانًا وخشن الاخلاق كما يقول عن نفسهِ صار اكثر جبانة من جرى قساوة ابيهِ وكان ينفر من قاعات محاميهِ الزاهرة ويحب ان يبقى وحدهُ وغير معروف وهكذا في حالة الوحدة كان عقل الفتى يتاهب لافكار عظيمة والظاهر انهُ كان احيانًا يتردد الى قرية

بونت لافيك بقرب نيون حيث اقام جدهُ في منزل حقير وحيث اقاربهُ ايضًا الذين فيما بعد غيَّروا اسماءهم لاجل كراهتهم للهرطوقي وقبلوا بمحبة ابن الحزين الاَّ ان كالڤينوس تفرَّغ على الخصوص للدرس واوثيروس الذي كان مزمعًا ان يغير الشعب تربى نظير ابن الشعب واما كلڤينوس الذي كان عتيدًا ان يتصرف على الخصوص كلاهوتي ومحاجّ متعمق وان يصير مشترع الكنيسة المتجددة فقد حصل في صبائهِ على تربية احسن

وروح التقوى ظهرت باكرًا في قلب الولد وقد اخبر احد المورخين بانهُ كان معتادًا وهو صغير جدًا ان يصلي في الصحراء تحت قبة الفلك وهذه العادة نبهت في قلبهِ الشعور بحضور الله في كل مكان ومع ان كالڤينوس ربما سمع في حداثتهِ صوت الله في قلبهِ لم يكن احد في كل نويون صارمًا مثلهُ في حفظ السنن الكنائسية ومن ثمَّ اذ لاحظ جيرارد هذه الطبيعة في ابنهِ عزم ان يكرسهُ للاَّهوت وهذا الامر طبع في نفسهِ تلك الرزانة وذلك الوسم اللاهوتي الذي اشتهر بهِ فيما بعد وكانت روحهُ من شانها ان تقبل تاثيرًا قويًا في السنين الباكرة من حياتهِ وان تطلع منذ طفوليتها على اسمى الافكار والخبر بانهُ كان في ذلك الوقت رئيس مرتلين ليس لهُ اساس كما يسلم ايضًا اخصامهُ

وكان جيرارد فقيرًا وتعليم ابنهِ كلفهُ كثيرًا واراد ان يعلقهُ بالكنيسة من دون استرجاع. وكردينال لورين كان مساعدًا لاسقف متز وهو ابن اربع سنين وكان حينئذٍ عادة عمومية اعطاء الوظائف والمداخيل الكنائسية للاولاد فان الفونسس من برتوغال صيرهُ لاون العاشر كردينالاً وهو ابن ثمان سنين واودبت من كاتيلون صيرهُ اكليمنضس السابع كردينالاً وهو ابن احدى عشرة سنة وبعد ايام كلڤينوس الرئيسة الشهيرة انجاليك من بورت رويال جُعِلت نائبة لتلك الرهبنة وهي بنت سبع سنين وجيرارد الذي توفي في حضن المذهب الكاثوليكي كان معتبرًا لدى السيد كرلوس دي هنفست اسقف نويون ولدى نوابهِ ومن ثم عندما تنزل واعظ لاغاسين عن وظيفتهِ اعطى الاسقف المذكور في ٢١ ايار

سنة ١٥٢١ هذه الوظيفة ليوحنا كلڤينوس الذي كان حينئذٍ ابن اثنتي عشرة سنة واخبر المجمع باقامتهِ لهذه الوظيفة بعد ذلك باثني عشر يومًا وفي مساء عيد الجسد قص الاسقف باحتفال شعر الولد وبواسطة هذا الطقس صار يوحنا من جماعة الاكليروس وقادرًا على الدخول في الدرجات المقدسة وان يستولي على علوفة مكان من دون اقامتهِ فيهِ

وهكذا دُعي كلڤينوس لكي يمتحن بنفسهِ قبائح الكنيسة الرومانية وبين جميع الذين قبلوا قص الشعر في فرانسا لم يكن احد اكثر ورعًا وتقوى من واعظ لاغاسين والولد المتورع ربما تعجب من عمل الاسقف ونوابهِ الّا انهُ لاجل بساطتهِ وعظم احترامهِ لهولاء الاشخاص لم يشأ ان يسمح بدخول ادنى شك في ضميرهِ من جهة شرعية رسامتهِ وبعد ان مضى عليهِ سنتان بعد رسامتهِ حدث وبأٌ عظيم في نويون وكثيرون من الرهبان ترجوا المجمع ان يؤْذن لهم بترك المدينة والوبا كان قد قتل كثيرين فخاف جيرارد من ان ابنهُ رجاء حياتهِ يختطف بغتةً بسوط الله من بين يديهِ واولاد مومور كانوا منطلقين الى باريس لكي يرجعوا الى درسهم وهذا ما كان الحزين دائمًا يرغبهُ لابنهِ فلماذا يفصل يوحنا ابنهُ عن ارفاقهِ التلاميذ وفي ٥ آب سنة ١٥٢٣ ترجى المجمع ان ياذن للواعظ الحدث ان يتوجه حيثما شاء في مدة الوبأ وذلك من دون خسارة علوفتهِ فاذن لهُ بذلك الى عيد مار رامي فترك يوحنا كلڤينوس بيت ابيهِ وهو ابن اربع عشرة سنة

وبعد ان ترك يوحنا كلڤينوس نويون بعدة سنين وصل الى تلك المدينة شخص آخر بهذا الاسم نفسهِ ذو مبادي فاسدة ولكن بما انهُ جاء من قسم آخر من فرانسا وكان غريبًا او غير معروف في نويون قبل بين الخوارنة الذين كانوا يرتلون في الخورس وبعد زمان قصير أُعطيت لهُ كنيسةٌ كما جرى الحال مع كلڤينوس الاول وبما ان ذلك حدث في نفس الوقت الذي فيهِ صار كلڤينوس انجيليًّا حسب الرهبان وصول الآخر ضربًا من التعويض والتعزية ولكن لم يمضِ الّا قليل حتى احدثت عيشة هذا الرجل الشقي غير المرتبة خوفًا بين محاميهِ

فوُبخ وأُدب وخلع من وظيفتهِ . الاَّ انهُ لم يبالِ بذلك بل سقط دائمًا في الدعارة قال الراهب المؤرخ ومن ثم اذ راى الرهبان صلابة قلب يوحنا كوڤين التي جعلتهُ يهمل النصائح اخذوا منهُ كنيستهُ وطردوهُ من الخورس . قال يعقوب داسي وهو خوري ومعلم اللاهوت ودرس في نويون كل ما يتعلق بتلك الكنيسة انهُ جُلِد سرًّا سنة ١٥٥٢ ثم طُرِد من البلدة ولا ريب ان هذه آخرة مهينة لخوري واما الراهب لاواسور فينكر امر الجلد ويسلم بكل ما سواهُ

وفي السنة التالية حدث مثل تلك الامور بعينها لان تاريخ البابابوية مشحون من هذه الفظائع فان رجلاً اسمهُ بلدوين الاصغر كان ايضًا واعظًا في نويون اخذ الى منزلهِ نساء ذوات صيت ردي لكي يعشنَ معهُ بالدعارة فحُكم عليهِ بالحضور في كل خدمة في الكنيسة مدة شهر وبالجلد . واذ يتفق هذان المورخان الرومانيان في ذكر التشاويش والقصاصات المنزلة بهذين الاكليريكيين يتفقان ايضًا في انهما لم يجدا شيئًا في نويون ولا في سجلاتها ضد آداب المصلح الفرنساوي فاكتفيا بلعن غلطهِ لان تسمية الواحد اراتيكيًا بمثابة تسميتهِ باشنع الاسماء

ورئيس نويون يتجاوز ذلك ايضًا في غيرتهِ على البابابوية فيذكر ان يوحنا كوڤين الذي طُرِد سنة ١٥٥٢ لاجل دعارتهِ توفي على مذهبهِ الكاثوليكي ثم يستتلي قائلاً الشكر لله على انهُ لم يقلب قط رداهُ ولا غير قط ديانتهُ مع ان حياتهُ ذات الخلاعة ومثال سميهِ كلڤينوس كانا يميلان بهِ الى ذلك والرئيس يختم روايتهُ الغريبة التي لها قيمة سامية لتاريخ الاصلاح بقولهِ وقد رايت انهُ ضرب من واجباتي ان ازيد هذا الفصل على تاريخ كلڤينوس الاول المصلح احترازًا من تشابه الاسماء لئلاَّ يوخذ الواحد بدل الاخر اي الكاثوليكي بدل الاراتيكي

ولم يكن قط للخوف سبب اكفى من هذا ونحن نعلم ما هي عادة المورخين البابابويين ان يعملوهُ فانهم يستعينون بفظائع اعمال يوحنا كوڤين في نويون وينسبونها الى المصلح وهم يقولون بوقاحة لقارئيهم انهُ طُرِد من بلدتهِ لاجل سوء سيرتهِ بعد ان قُضي عليهِ بالجلد وبالكي بالمياسم ومع كل اهتمام رئيس نويون في

ان يزيد فصلاً احترازًا من ان يوخذ الواحد بدل الاخراي الكاثوليكي بدل الاراتيكي ترى المحامين عن رومية لا يقصرون عن ان ينسبوا الى المصلح فظائع سميهِ والذي كان يشغف افكار رئيس نوبون هو مجد يوحنا كوڤين الذي توفي على المذهب البابا وي فكان يخشى من ان ارتقة كاڤينوس تُنسَب اليهِ ومن ثم ينسب واضحًا الدعارة للواحد والارتقة للآخر فلنرجع الى كاڤينوس وهو في باريس

ان عالمًا جديدًا انفتح امام الشاب في عاصمة العلوم فاستفاد من ذلك وانصب على درسهِ وتقدم تقدمًا عظيمًا في الآداب اللاتينية وطالع شيشرون وتعلم من هذا المعلم العظيم التكلم بلغة الرومانيين بسهولة وخلوص وراحة كانت تذهل عقول اعدائهِ ايضًا الاَّ انهُ وجد ايضًا غنى في تلك اللغة نقلهُ فيما بعد الى لغتهِ

والى ذلك الوقت كانت اللغة اللاتينية هي اللغة الوحيدة للعلماء وبقيت الى ايامنا لغة الكنيسة الرومانية فالاصلاح خلق او بالحري اعتق اللسان الدارج وبطلت وظيفة الخوري الحصرية وطُلِب من الشعب ان يتعلموا ويعرفوا لانفسهم وفي هذا الامر الواحد ضمّن خراب لغة الخوري وترقية لغة الشعب والافكار الجديدة لا يخاطب بها علماء الصربون وبعض الرهبان والخوارنة والادباء فقط ولكن الشرفاء والاهالي والفعلة ايضًا فجميع الناس الآن يجب ان يُوعَظوا نعم والجميع يجب ان يصيروا واعظين ماشطو الصوف والفرسان كالعلماء وخوارنة الرعية وصار الاحتياج الى لغة واحدة او اقل ما يكون لغة الشعب اقتضى ان يصير فيها تغيير عظيم واعتاق واذ تُجذَب من استعمالات الحياة الدارجة وتقبل حق شرفها من الديانة المسيحية المتجددة فان الانجيل الذي بقي زمانًا طويلاً متناعسًا انتبه وهو يتكلم ويخاطب شعوبًا باسرها اذ يضرم في كل مكان عواطف كريمة ويفتح كنوز السماء لجيل كان يهتم في الاشياء الدنية على الارض فقط وتزعزع الجماعات وتكلمهم عن الله وعن الانسان وعن الخير والشر وعن البابا والكتاب المقدس وعن اكاليل في السماء وربما عن محرقة على الارض ولسان العامة الذي كان

فيما مضى لسان القصاصين والمغنين فقط طلب منهُ الاصلاح ان يمارس عملاً جديدًا وبالتالي ان يتقدم تقدمًا جديدًا فان عالمًا جديدًا ابتدا ينفتح للهيئة الاجتماعية ولا بد للعالم الجديد من لغة جديدة والاصلاح نقل اللغة الفرنساوية من لفائفها التي كانت الى ذلك الوقت مربوطة بها ورفعها الى سن الحداثة ومن ذلك الوقت امتلكت اللغة امتلاكًا تامًّا تلك الانعامات المختصة باعمال العقل وكنوز السماء التي نُزِعت منها عندما كانت تحت حراسة رومية ولا شك ان اللغة تنتظم بواسطة العامة انفسهم فانهم يخترعون تلك الكلمات المناسبة والعبارات القوية المجازية التي تكسب اللغة زينة وحياة الآن بعض الامور لا يمكنهم الوصول اليها بل انما تصدر من اصحاب العقول الثاقبة فقط فان كالڤينوس عند ما تكلف بالجدال والبرهان اغنى لغة امهِ بانواع من التاليف والاسناد والرموز والالتفاتات وطرق التعبير لم تكن حاصلة عليها قبل

وهذه العناصر كانت قد ابتدات تتحرك في راس الدارس الشاب وهو في مدرسة لامارش وهذا الشاب الذي كان مزمعًا ان يمارس رياسة قوية على القلب البشري بهذا المقدار التزم ايضًا ان يخضع اللغة التي التزم باستعمالها سلاحًا لهُ وفرانسا البروتستانتية تعودت اخيرًا على لغة كلڤينوس الفرنساوية وفرانسا البروتستانتية تحتوي على الجزء الانور من الامة . فانهُ منها خرج تلك الطوائف من العلماء والقضاة الافاضل الذين كان لهم تاثير عظيم في تمدن الشعب فمنها خرج البرت رويال وهو من اعظم الوسائط لمساعدة فرانسا في سجعها وشعرها وبعد ان اجتهد في ان ينقل الى المذهب الكاثوليكي الغالي تعليم الاصلاح ولغتهُ قصر في واحد من مقاصدهِ الآ انهُ فاز بالاخر لان فرانسا الكاثوليكية الرومانية التزمت بان تذهب وتتعلم من جنسانييها واخصامها المصلحين كيف ينبغي ان تستعمل سلاح اللغة الذي بدونهِ لا يمكنها ان تقاتلهم

واذ كان المصلح المستقبل للديانة واللغة يتقدم هكذا نحو البلوغ في مدرسة لامارش كان كل شيء في اضطراب حول الدارس الفتى الرزين الذي لم يكن

قد اشترك بعد في الحركات العظيمة التي كانت تهيج الجماعات فان النيران التي افنت النساك وپاڤاني كانت قد ملأت باريس رعدة ولكن المضطهدين لم يكتفوا وهيجوا الخوف في فرانسا باسرها واصدقاء الاصلاح لم يعد يمكنهم ايضًا ان يكاتبوا بعضهم بعضًا خوفًا من ان مكاتيبهم اذا وقعت بايدي اعدائهم توقع تحت غضب الحاكم الذين كتبوها والذين كُتبت اليهم جميعًا الآ ان رجلًا تجاسر على ان يحمل مكتوبًا من دون امضاء من باريس وفرانسا الى الملتجئين في باسل اذ خاطهُ تحت ردائهِ فنجا من صفوف الرماحة وخفراء مقاطعات كثيرة ووصل الى باسل من دون ان يكشف المكتوب السري واخبارهُ ملأت توسنت اندهاشًا فقال انهُ امر هائل استماع اخبار القساوات الواقعة هناك . وقبل ذلك بقليل كان راهبان فرنسيسيان قد وصلا الى باسل وفي طردهما وعلى اثرهما اثنان من الشرط لان احدهما وهو يوحنا بريفوست كان قد وعظ في ميوكس وطُرِح بعد ذلك في السجن في باريس. وكل ما قالاهُ عن باريس وليون اللتين مرَّا بهما حرك شفقة هولاء الملتجئين فكتب توسنت الى فارل يقول اسال ربنا ان يرسل نعمتهُ الى هناك فاني اوكد لكم اني احصل احيانًا في اضطراب عظيم والم

وهولاء القوم الافاضل ما زالوا يحافظون على شجاعتهم فباطلًا سهر جميع الدواوين وباطلًا كانت جواسيس مدرسة الصربون والرهبان يدخلون الكنائس والمدارس والعيال ايضًا لكي يسمعوا كلمة من التعليم الانجيلي يتلفظ بها هناك وباطلًا كانت جنود الملك يقبضون في الطرقات على كل ما بان عليهِ رسم الاصلاح فان اولئك القوم الفرنساويين الذين اصطادتهم رومية واعوانها ووطأتهم تحت اقدامها كان لهم ايمان بمجيء ايام احسن وراوا عن بعد نهاية ذلك السبي البابلي كما كانوا يدعونها فقالوا ان السنة السبعين سنة النجاة سوف تاتي اخيرًا وحينئذٍ تنال حرية الروح والضمير . الآ ان السبعين سنة كانت عتيدة ان تبقى ثلاثة قرون تقريبًا ولم تكن هذه الآمال مزمعة ان تكمل من دون مصائب لا نظير لها الآ ان الملتجئين لم يلقوا رجاءهم على الانسان وقال توسنت ان الذين

ابتدأوا يرقصون لا يقفون في الطريق ولكنهم اعتقدوا بان الرب قد عرف خاصتهُ وانهُ ينجي شعبهُ بيد قوية

اما الفارس دي اسك فنجا وهرب من سجن بنط اموسون وانطلق مسرعًا الى ستراسبرج الاَّ انهُ لم يبقَ هناك زمانًا طويلاً لان توسنت كتب حالاً الى فارل يقول اكرامًا لله اجتهد في اقناع الفارس معلمنا الفاضل ان يرجع بقدر ما يمكن من السرعة لان اخوتنا في احتياج عظيم الى مثل هذا القائد وفي الحقيقة كان للملتجئين الفرنساويين سبب جديد للخوف. خافوا من ان الجدال عن عشية الرب الذي ضايقهم بهذا المقدار في جرمانيا يتجاوز الرين ويسبب لهم قلاقل في فرنسا وفرنسيس لمبرت راهب اڤيغنون بعد ان زار زوريخ وونبرج كان في متز الاَّ انهم لم يركنوا اليهِ اركانًا تامًّا وخافوا من انهُ يكون قد تمسك باراء لوثيروس وانهُ بواسطة المماحكات العديمة النفع والخبيثة كما يدعوها توسنت يمنع تقدم الاصلاح ولذلك رجع اسك الى لورين وكان رجوعهُ عتيدًا ان يوقعهُ تحت اخطار عظيمة هو وجميع الذين طلبوا مجد يسوع المسيح

ولم يكن من توسنت ارسال الآخرين الى القتال من دون ان يشترك فيهِ هو نفسهُ فانهُ اذ مُنع عن معاشرة اكولمباذيوس والتزم بان يعاشر خوريًا جاهلاً اقترب الى المسيح وشعر بازدياد شجاعتهِ واذ لم يكن قادرًا على الرجوع الى متز انما كان قادرًا على الانطلاق الى باريس على الاقل. نعم ان رماد پاڤاني وناسك ليڤري ونارهما كانت لا تزال تدخن كانها تطرد من العاصفة جميع الذين تمسكوا بالايمان نفسهِ ولكن اذ كانت مدارس باريس واسواقها قد اعتراها الرعدة حتى لم يعد احد يتجاسر على ذكر اسم الانجيل والاصلاح افما كان ذلك سببًا يحملهُ على الانطلاق الى هناك . فترك توسنت باسل ودخل تلك الاسوار حيث تسلط الترفض في مكان الشغب والدعارة واذ تقدم في درس العلوم المسيحية اجتهد في الاتصال مع اولئك الاخوة الذين كانوا في المدارس ولاسيما في مدرسة الكردينال ليموني حيث كان قد علم لافيڤر وفارل الاَّ انهُ لم يقدر ان يفعل ذلك بالحرية

مدة طويلة فان ظلم معتمدي الدواوين واللاهوتيين كان مستوليًا استيلاء فائقًا في العاصمة وكل من اغاظهم أنهم بالارثقة. وقام دوك ورئيس دير لا نعرف اسميهما ووشيا على توسنت بالارثقة وذات يوم القى جنود الملك القبض على الشاب من لوربن وطرحوهُ في السجن واذ كان توسنت منفصلاً عن جميع اصدقائهِ ومعاملاً نظير مجرم شعر بشدة مصيبتهِ فصرخ يا رب لا تنزع روحك مني لانني بدونهِ لست سوى لحم ومجرى اثم . واذ كان جسمهُ مقيدًا بالاغلال التفت بقلبهِ نحو الذين كانوا لا يزالون يحاربون مجانًا لاجل الانجيل . منهم اكولمباذيوس ابوهُ الروحي الذي قال عنهُ اني عملهُ بالرب ولاكلرك الذي ظنهُ غير قادر بسبب عجزهِ ان يحمل ثقل الانجيل وفوغربوس الذي ابدى كل غيرة اخ ودود للغاية لكي ينقذهُ من ايدي اعدائهِ وروسيل الذي كان يرجو ان الرب يجري اعمالاً عظيمة على يدهِ واخيرًا فارل الذي كتب هو اليهِ يقول اني اوصيك ان تصلي عني لكي لا اسقط في هذه المعركة . وكم لطفت اسماء هولاء القوم مرارة سجنهِ لانهُ لم يظهر علامات سقوط وهو عالم ان الموت معلق فوقهُ في تلك المدينة حيث كان دم كثيرين من اخوتهِ عتيدًا ان يراق كماء واصدقاء امهِ وعمهِ شريف متز وكردينال لوربن عرضوا عليهِ الفخر المجازاة فاجاب اني ازدري بها واعلم انها تجربة من الشيطان واحب اليَّ ان احتمل الجوع واكون عبدًا في بيت الرب من ان اسكن مع الغني في قصور الاشرار وفي ذلك الوقت بعينهِ اعترف اعترافًا جسورًا بايمانهِ وصرخ قائلاً انهُ فخر لي ان يدعوني اراتيكيًا اولئك الذين سيرتهم وتعاليمهم ضد يسوع المسيح . وهذا الشاب العجيب الجسور كان يمضي مكاتيبهُ بطرس توسنت الذي لا يستحق ان يدعى مسيحيًا

وهكذا في غياب الملك كانت توجه دائمًا ضربات جديدة نحو الاصلاح فان بركوين وتوسنت وآخرين كثيرين كانوا في السجن وشوخ وباقاني وناسك ليقري قُتِلوا وفارل ولافيفر وروسيل وآخرين كثيرين محامين عن التعليم المقدس كانوا في المنفى فابكمت افواه المقتدرين ونور نهار الانجيل اخذ في الضعف والنوء ازداد

من دون انقطاع لعلهُ يستاصل الشجرة الصغيرة التي غرسها حديثًا يد الله في فرانسا

ولم يكن ذلك الكل فان الضحايا المتواضعة التي سقطت كان عتيدًا ان يتبعها شهداء اكثر فضلاً فان اعداء الاصلاح في فرانسا بعد ان قصروا عندما ابتداوا مع اشخاص ذوي رتبة ارتضوا ان يبتدئوا من الدون مؤملين ان يرتقوا بالتدريج الى ان يحصلوا على شجب وموت اكبر الناس ونجحوا في تقدمهم المنعكس وحالما بددت الارياح الرماد الذي غطت بهِ الكراف وازقة نوتردام ابتداوا برشقات جديدة فان انطونيوس دوبلات ذلك الرجل الفاضل تاجر ليون غرق تحت اضطهادات اعدا الحق هولاء برفقة تلميذ آخر اسمهُ فرنسيس مولين ولم ينتهِ الينا تفصيل ما اصابهما وتجاوزوا ذلك ايضًا ووجهوا رشقاتهم الى رتبة اعلى. فان لم يقدروا ان يطالوا شخص مرغريتا دي النكون قصدوا عذابها بواسطة الاعزاء لديها الذين قدروا عليهم فان ميخائيل دي ارندي واعظ اخت الملك الذي لاجلهِ اطلقت مرغريتا واعظيها الآخرين والذي نادى بتعليم الانجيل الخالص قدامها صار موضوع الرشقات وهُدِّد بالسجن والموت . وبالقرب من ذلك الوقت توفي فجاةً انطونيوس بابلون الذي حصلت لهُ الدوكة وظيفة رئيس اول للاعتراضات الى دوفين وشاع حتى بين الاعداء انهُ مات مسمومًا

وهكذا انتشر الاضطهاد في المملكة وزاد كل يوم تقدمًا نحو شخص مرغريتا فانهُ بعد ان تبددت قوات الاصلاح المتجمعة في ميوكس وليون وباسل اتوا بواحد بعد الآخر من اولئك المجاهدين المنفردين الذين قاموا هنا وهناك لاجلهِ ولم يكن يلزم بعد الاَّ اجتهاد قليل لتحرير ارض فرانسا من الارتقة فان الحيل الخفية والاعمال السرية اخذت مكان الضجة والاوتاد فانهم اقاموا الحرب في رابعة النهار الاَّ انهم اجروا ذلك ايضًا في الظلمة فاذا كان الترفض يستعين بالمحاكم والمقاطر ضد العامة فان السم والسيف للاكابر واجاز علماء جمعية مشهورة استعمال هذه الوسائط ومدحوها حتى ان الملوك انفسهم قد وقعوا تحت سيوف القتلة

واضيف الى هذا التدبير المؤذي والاضطهاد الشديد من داخل المصائب المألوفة من خارج وثوب الحزن كسا الامة باسرها ولم تكن عائلة ولاسيما بين الاشراف لم تُذرِف دموعها لاجل فقداب او زوج او ابن مات في حقول ايطاليا اوارتعد قلبها خوفًا على حرية او حياة واحد من اعضائها والمقاومات العظيمة التي وقعت على الامة نشرت خمير بغضة الارانقة فان الشعب وارباب الدواوين والكنيسة والتخت اتحدوا يدًا بيد

الم يكن كافيًا لدوكة النكون ان كسرة پاڤيا خسرتها زوجها وجعلت اخاها اسيرًا وهل يجب ان مصباح الانجيل الذي ابتهجت بهذا المقدار بنورهِ اللطيف ينطفي ربما الى الابد . وفي ايار سنة ١٥٢٥ شعرت بزيادة حزن فان كرلوس لانوي أمر ان ياخذ اسيرهُ الى اسپانيا فالتجات مرغريتا الى تعزيات الايمان وحالما وجدتها قدمتها حالاً لاخيها فكتبت يا سيدي بمقدار ما تزداد بعدًا عنا يكون رجائي بنجاتك اقوى لانهُ عند ما يضطرب عقل الانسان ويقصر حينئذٍ يجري الرب اعمالهُ القديرة والآن اذا جعلك شريكًا للآلام التي كابدها من اجلك فاترجاك يا سيدي ان تعتقد ان ذلك انما هو لكي يعلم كم تحبهُ ولكي يعطيك فرصة تتعلم فيها كيف يحبك لانهُ يريد كل قلبك كما انهُ بمحبة اعطى كل قلبهِ وبعد ان يقرنك بنفسهِ بواسطة البلايا ينقذك لاجل مجدهِ ولاجل تعزيتك بواسطة استحقاقات قيامتهِ المظفرة لكي يُعرَف اسمهُ ويُقدَّس بواسطتك ليس في ممالكتك فقط بل في جميع عالم المسيحيين ايضًا الى ان يرجع غير المؤمنين فكم يكون سعيدًا سبيك القصير الذي بهِ يخلص الله انفسًا كثيرة بهذا المقدار من عدم الايمان والدينونة الابدية . ولكن فرنسيس الاول خيب امال اختهِ التقية

الاخبار الواردة من اسپانيا زادت الحزن العمومي والذل والمرض اوقعت حياة فرنسيس المتكبر في خطر فاذا بقي الملك محبوسًا واذا مات واذا دامت وكالة امهِ سنين كثيرة أفما ينسحق الاصلاح الى الابد ونكون عند ما يبين انهُ قد عدم كل شيءٍ كما يقول تلميذ نويون الشاب بعد ذلك بمدة ترى الله يخلص كنيستهُ

بنوع عجيب . (كاڤينوس في الرسالة الى رومية ١١ :٣٢) وكنيسة فرانسا التي كانها في مخاض الولادة كانت عتيدة ان تحصل على فترة من الراحة قبل رجوع اوجاعها ولاجل نوال هذه الغاية استعمل الله امراة ضعيفة لم تتظاهر قط في المحاماة عن الاصلاح فانها في ذلك الوقت كانت اكثر اهتماماً في انقاذ المملكة مما في انقاذ مسيحيين مجهولين كانوا مع ذلك يلقون امالاً عظيمة عليها . ولكن تحت رونق المصالح العالمية قد يخفي الله الطريق السرية التي بها يسوس شعبهُ فقام مقصد شريف في عقل دوكة النكون وقطع البحر اوجبال برنات لانقاذ فرنسيس من سلطان كرلوس الخامس صار مقصد حياتها

فاشهرت مرغريتا قصدها الذي ارشدتها امها اليهِ فقبلتهُ فرانسا باسرها باصوات الشكر فان عقلها العظيم والصيت الذي حصلتهُ ومحبتها لاخيها ومحبة فرنسيس لها عوضت في اعين لويزا ودوبرات عن تمسكها بالتعليم الجديد فكانت جميع الاعين متجهة نحوها كانها الشخص الوحيد الذي يقدر على انتشال المملكة من حالتها الخطرة فلتذهب مرغريتا الى اسپانيا وتخاطب الامبراطور القدير واعوانهُ وتستعمل ذلك العقل العجيب الذي اسبغتهُ العناية عليها لاجل انقاذ اخيها وملكها

الّا ان افكاراً تختلف جدًّا عن هذه ملأَت قلوب الاشراف والشعب عندما راوا دوكة النكون ذاهبة الى وسط دواوين العدو وبين جنود الملك الكاثوليكي الشرسين والكل مدحوا شجاعة وغيرة هذه المراة الفتاة الّا انهم لم يشتركوا في ذلك فان اصدقاء الاميرة خافوا عليها من اخطار كانت قريبة الوقوع جدًّا والمسيحيون الانجيليون امتلأُوا رجاء فان اسر فرنسيس الاول جلب قساوات لم يُسمَع بها على اصدقاء الاصلاح فظنوا ان اعتاقهُ يجعل لها نهاية وان فتح ابواب اسپانيا للملك يعقبهُ فتح ابواب السجون التي طُرِح فيها خدام كلمة الله وكانت مرغريتا تشجع نفسها في امر شعرت بان كل نفسها متعلقة بهِ بعلائق مختلفة بهذا المقدار

ان علو السماء لا يمكنهُ ان يوقف طريقي

ولا قوات الجحيم تقدر ان تسد سبيلي
فان مخلصي قابض مفاتيحها جميعًا

وتقوّى قلبها النسائي بذلك الايمان الذي يغلب العالم وعزمها لم يكن دفعةً وحصل كل استعداد لذلك السفر المهم الخطر

ان رئيس اساقفة امبرون الذي صار فيما بعد كردينال طورون والرئيس سلويس كانا في مدريد يتعاطيان امر تخليص الملك وكانا تحت امر مرغريتا كما كان ايضًا اسقف تربيس الذي صار فيما بعد كردينال غرامونت والسلطان المطلق أُعطي للاميرة فقط وفي الوقت نفسهِ مونتمورنسي الذي كان فيما بعد مقاومًا بهذا المقدار للاصلاح أُرسِل بكل سرعة الى اسپانيا لاجل اخراج ورقة امان لاخت الملك والامبراطور ابى في اول الامر وقال انهُ من واجبات وزرائهِ ان ينهوا هذه الدعوى فقال سلويس ان مفاوضة ساعة واحدة بين جلالك ومولاي الملك ودوكة النكون تجعل تقدمًا في الشروط اكثر من جدال شهر بين السفراء

واذ كانت مرغريتا ملحّة على الوصول بسبب مرض الملك خرجت من دون ورقة امان مصحوبة بانصار معتبرين فتركت البلاط متجهة نحو بحر الروم ولكنها عند ما كانت في الطريق رجع مونتمورنسي بمكاتيب من كرلوس تعطيها الحرية الى ثلاثة اشهر فقط ولكن لا يُعبأ بذلك فانها لا تتوقف فان توقفها الى هذا السفر كان عظيمًا جدًّا حتى اضطرت الى ان تسال الملك عمن يرافقها فكتبت الى اخيها تقول ان خدمك الصالحين يرغبون رغبة عظيمة في ان يروك حتى ان كلاًّ منهم يطلب الاذن بالتوجه معي

وحالما وصلت مرغريتا الى شطوط بحر الروم مخاوف الذين حولها من جرى عدم كفاءة ورقة الامان ولاسيما رداءة الهواء والعواصف جعلتها تتردد وكتبت الى مونتمورنسي تقول ان النوتية انفسهم خائفون . وفي ٢٧ آب ثبتت عزمها فكتبت الى الملك في ذلك اليوم بعينهِ تقول ان حاملهُ يخبرك كيف ان

السماوات والبحر وراي الناس اعاقتني ولكن ذلك الذي تخضع له جميع الاشياء هو الذي اعطانا هواء معتدلاً حتى انحلت كل صعوبة فاني لا ابطئ بسبب امني ولا بسبب البحر الذي هو غير هادي في هذا الفصل عن المبادرة الى المكان الذي اقدر ان اراك فيهِ لان خوف الموت والسجن وكل صنف من الشر هي مالوفة عندي بهذا المقدار حتى اني ازدري بحياتي وصحتي ومجدي وكرامتي مفتكرة بهذه الواسطة ان اشاركك في نصيبك الذي اريد ان احتملهُ وحدي . فلم يكن اذًا شيء قادرًا على ضبط هذه الاميرة في ايغويس وفي تلك الميناء دخلت مرغريتا المركب المعد لها واذ اقتادتها العناية الربانية الى اسپانيا لاجل انقاذ المسيحيين الحقيرين المنضافين اكثر من اعناق ملك فرانسا القدير

من اسرهِ اسلمت نفسها لامواج ذلك البحر الذي

حمل اخاها اسيرًا بعد

حرب پاڤيا

الهائلة

الكتاب الرابع

من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٥٢٩

الفصل الاول

مجمع سبيرس الاول

ذكرنا في الفصول السابقة بداءة الاصلاح ومضايقهُ ومعضلاتهِ ونقدمهُ ولكن النضال الذي سبق ذكرهُ ليس هو الأَ جزئيًا وندخل الآن في عصر جديد ذي حروب عمومية فان سپيرس (١٥٢٩) واوجسبرج (١٥٣٠) هما اسمان يلمعان بمجد اثبت من ماراثون او پاڤيا او مرانغو والقوى التي بقيت الى ذلك الوقت منفصلة اخذت حينئذٍ تتحد وتصير جمهورًا نشيطًا وقوة الله اخذت في العمل في تلك الاعمال الساطعة التي تفتح ارخة جديدة في تاريخ الامم وتكسب الجنس البشري حركة لا تدفع وهي الانتقال من الاعصار المتوسطة الى الاعصار الحديثة

حان حينئذٍ اجراء اعتراض عظيم ومع انهُ قد وُجد بروتستانت في الكنيسة منذ ابتداء الديانة المسيحية بما ان الحرية والحق لا يمكن حفظهما هنا على الارض الأَ بمقاومة السلطة والغلط على الدوام كان المذهب البروتستانتي مزمعًا ان يخطو خطوة جديدة وكان عتيدًا ان يصير جمهورًا وجمهور يقاوم بنشاط اقوى سر الاثم ذلك الذي اتخذ مدة قرون صورة جسدية في رومية في نفس هيكل الله (٢ تس ٢)

ولكن وإن التزمنا ان نذكر الاعتراضات لا يجب ان يتوهم ان الاصلاح هو عمل سلبي. لان كل شيءٍ يتضمن خطبًا عظيمًا سواء كان ذلك في الطبيعة او الهيئة الاجتماعية فيهِ مبدا حياة فعّال وبزرة ينميها الله فان الاصلاح عندما ظهر في القرن السادس عشر لم يكمل عملاً جديدًا لان الاصلاح ليس هو ايجادًا بل انما هو التوجه نحو بداءة الديانة المسيحية فعانقها واحتضنها بمحبة الا انهُ لم يكتفِ بالرجوع الى الازمان الاولى وهو اذ كان حاملاً حملهُ الكريم قطع ايضًا ما توسط من القرون وارجع الى العالم المسيحي الساقط العادم الحياة النار المقدسة العتيدة ان ترجّع اليهِ النور والحياة وفي هذه الحركة المضاعفة عملهُ وقوتهُ ولا ريب انهُ فيما بعد رفض الصور العاجزة والضلال الواقع عليهِ القتال الآن ذلك كان اقل اعمالهِ وحركتهُ الثالثة حتى ان الاعتراض الذي مرادنا الكلام عنهُ غايتهُ ومقصدهُ اعادة الحق والحياة وكان في جوهرهِ عملاً ايجابيًا

وهذا العمل المضاعف القوي السريع من الاصلاح الذي أُعيدت بواسطتهِ ازمان الرسل في افتتاح التاريخ الجديد لم يصدر من الانسان ولا يحدث اصلاح كما يُحدَث خطٌّ سامٍ او انقلاب في بعض البلدان فان الاصلاح الحقيقي المعد في مدة قرون كثيرة هو عمل روح الله . ولا يقدر احسن العقول حتى ولا اعظم خدام الله على اجرائهِ قبل الوقت المعيّن ولكن عند مجيء زمان الاصلاح حين يريد الله ان يجدد امور العالم يجب ان الحياة الالهية تهيّئ الطريق وهي قادرة من نفسها ان تخلق الآلات الذليلة التي بواسطتها تمنح هذه الحياة للجنس البشري وحينئذٍ اذا سكت الناس فالحجارة نفسها تصرخ (لو ١٩ : ٤٠)

ومرادنا الآن ان ننظر الى اعتراض سپيرس (١٥٢٩) ولكن الطريق الى هذا الاعتراض قد أُعدّت بواسطة سني سلامة وتبعها محاولات للاتفاق لا بد لنا من ان نصفها على ان تشييد اركان المذهب البروتستانتي الخارجي لا يزال الامر العظيم المتغلب في تاريخ الاصلاح من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٥٢٩

ان دوك برنسويك احضر الى جرمانيا تهديدات كرلوس الخامس وكان

الامبراطور عتيدًا ان ينطلق من اسپانيا الى رومية لاجل المشورة مع البابا وان يرجع من هناك الى جرمانيا لاجل قطع الارانقة وكان الخطاب الاخير مزمعًا ان يُقدَّم لهم من مجمع سَپِيْرْس سنة ١٥٢٦ فكانت الساعة المعينة للاصلاح قريبة

ففي ٢٥ حزيران سنة ١٥٢٦ انفتح المجمع وفي التعليمات المورخة في اشبيلية في ٢٣ اذار امر الامبراطور بوجوب حفظ عوائد الكنيسة على التمام وطلب من المجمع ان يقاصَّ الذين يأْبون ان يجروا احكام مجمع ورمس وكان فرديننـد نفسهُ حاضرًا في سَپِيْرْس وجعل حضورهُ هذه الاوامر اقوى ولم تظهر قط عداوة اشياع رومية للامراء الانجيليين ظهورًا كهذا قال سپالاتين ان الفريسيين هم مصرُّون على بغضهم ليسوع المسيح

ولم يظهر قط الامراء الانجيليون هذا المقدار من الرجاء وعوضًا عن ان يتقدموا بالخوف والرعدة كقوم مجرمين كنت تراهم يتقدمون برؤُوس مرتفعة ومناظر بشوشة وخدام الكلمة محدقون بهم واول اعمالهم هو انهم طلبوا مكانًا للعبادة واذ لم يقبل اسقف سَپِيْرْس وپلاتين امير الرين هذا الالتماس الغريب شكا الامراء من ذلك كامر ظالم وامروا خدامهم ان يعظوا كل يوم في قصورهم التي امتلأَت حالاً من جمهور غفير من المدينة والبلاد يبلغ الوفًا كثيرة فكان فرديننـد وامراء ما وراء الجبال والاساقفة في ايام الاعياد يتساعدون باطلاً في احتفالات العبادة الرومانية في كنيسة الكرسي الجميلة في سَپِيْرْس اما كلمة الله غير المزينة المنادى بها في المنازل البروتستانتيَّة كانت تسلب جميع السامعين فكان القداس يُتلى في كنيسة فارغة

ولم يكن الذين اشهروا كلمة الرب في كل مكان القسوس فقط بل الفرسان والخدام حتى والبله الذين لم يقدروا على ضبط غيرتهم وجميع تابعي الامراء الانجيليين كانوا يطرزون هذه الحروف على اكمامهم اليمنى وهي ك ر ت د وهي مقطوعة من هذه العبارة كلمة الرب تدوم الى الابد وهذه الكتابة عينها كانت تُقرا على اعلام الامراء التي عُلِّقت على منازلهم وصارت كلمة الله من تلك الدقيقة ترس

الاصلاح . وليس هذا فقط فان البروتستانت عرفوا ان العبادة المحضة لا تكفي ومن ثمَّ طلب امير هسي من المنتخب ان يبطل بعض عوائد البلاط التي اوجبت العار على الانجيل وهذان الاميران رتَّبا فيما بعد طريقة للعيشة تمنع عن السكر والدعارة وعوائد اخرى رذيلة كانت غالبة في مدة اجتماع مجمع باباوي

ان امراء البروتستانت ربما تجاوزوا احيانًا في مخالفتهم الآخرين حدود ما تقتضيهِ الفطنة فانهم لم يكتفوا بعدم الذهاب الى القداس وعدم حفظ الاصوام المفروضة بل كنت ترى في ايام الصوم اتباعهم يحملون جهارًا صحون لحم أُعِدَّت لموائد ساداتهم ويمرون كما يخبرنا كوكلاوس امام كل الجمهور في الاماكن التي تكون العبادة جارية فيها وقال المورخ الباباوي المذكور كان ذلك بقصد ان يجذبوا الكاثوليكيين بواسطة دسم اللحوم والخمر

وكان للمنتخب في الواقع حشم ذو عدد غفير اي نحو سبع مئة نفس وذات يوم عمل وليمة حضرها ستة وعشرون اميرًا مع اكابرهم ومشيريهم ولم يزالوا يلعبون الى قرب نصف الليل وكل صفات الدوك يوحنا دلَّت على انهُ الامير الاقوى في المملكة وامير هسي الفتى الذي كان مملوءًا غيرةً ومعرفةً ومشتملاً على نشاط محبة مسيحية أُولى احدث تاثيرًا اعمق في الذين دنوا منهُ فكان مرارًا يجادل الاساقفة ولاجل معرفتهِ بالكتب المقدسة افحمهم بسهولة. وثبات اصدقاء الاصلاح هذا احدث نتائج فاقت ما كانوا يتوقعونهُ فلم يعد ممكنًا الانخداع والروح الذي ظهر في هولاء الرجال هو روح الكتاب المقدس وفي كل مكان سقط الصولجان من ايدي الرومانيين وقال باباوي غيور ان خمير لوثيروس يهيج جميع شعب جرمانيا والشعوب الاجانب ايضًا يتحركون حركاتٍ قوية

فظهر حالاً ما اعظم قوة الاقتناعات العميقة فان الاقاليم التي كانت حسنة الاستمالة نحو الاصلاح والى ذلك الوقت لم تجسر على اظهار ذلك جهارًا صارت قوية والاقاليم الخالية الغرض اذ طلبت راحة المملكة عزمت على مقاومة حكم ورمس الذي يسبب اجراؤهُ اضطرابًا وقلقًا في جرمانيا باسرها واما الاقاليم

البابا وية فانها اضاعت عزمها وقد كُسِّرت قوس القوي (١صم ٢: ٤)
ان فرديننــد لم يستحسن في وقت مهم كهذا ان يخبر المجمع بالاوامر الشديدة التي اتت من كرلوس بل استعوض بقضية من شانها ارضاء الفريقين فاسترجع العوام في الحال القوة التي اختلستها الاكليروس منهم وجماعة الاكليروس قاوموا رايًا قدَّمتهُ الامراء وهو ان المجمع يشتغل في فسادات الكنيسة الّا ان اجتهادهم في ذلك ذهب سدى ولا ريب ان جمعية غير سياسية تفضل على المجمع الّا انهُ كان قد صار الاتفاق على ان القضايا الدينية لا يجب ان يسلم فيما بعد تحديدها لمعشر الخوارنة وحدهم وذلك خطوة كبيرة الى الاصلاح

وحالما بلغ وكلاء المدن هذا القرار طلبوا حالاً نفي كل عادة تضاد الايمان بيسوع المسيح وكان صراخ الاساقفة باطلاً انهُ عوضًا عن ابطال الفسادات الموهومة يكون الاوفق احراق جميع الكتب التي امتلأت منها جرمانيا في الثمان السنين الاخيرة فكان الجواب انكم ترغبون في ان تدفنوا كل حكمة وكل معرفة. فقرَّ الراي على اجابة طلب المدن . وقُسِم المجمع الى عمد لاجل نزع الفسادات .

وحينئذٍ ظهر النفور العميق المسبب من خوارنة رومية فقال الوكيل من قبل فرانكفورت ان الاكليروس يجعلون صالح الجمهور اضحوكة ولا ينظرون الّا الى صالحهم الخصوصي وقال الوكيل المرسل من الدوك جرجس ان العوام يلتفتون الى خلاص المسيحيين اكثر من الاكليروس. فعمل المعتمدون تقريرًا وتعجب الناس منهُ لانهُ لم يتكلم الناس قط ضد البابا والاساقفة بهذا المقدار من الحرية. وجمعية الامراء التي كان فيها عدد الكنائسيين والعوام متساويًا ارتأوا اتحاد البابا وية والاصلاح فقالوا ان الاوفق للخوارنة ان يتزوجوا ولا يحفظوا نساء ذوات اسم رديء في بيوتهم وانهُ يجب ان تكون لكل انسان حرية بان يتناول تحت شكل او شكلين كما اراد وان اللسان الجرماني واللاتيني يمكن استعمالهما جميعًا على حدٍ سواء في عشية الرب والمعمودية واما الاسرار فلتحفظ ولكن يجب توزيعها مجانًا واخيرًا دعوا كلمة الله ينادى بها حسب تفسير الكنيسة (ذلك طلب رومية)

ولكن يجب دائمًا تفسير الكتاب المقدس بالكتاب المقدس (ذلك مبدأ الاصلاح)
وهكذا صارت الخطوة الاولى نحو الاتحاد العمومي وزعم البعض انهُ اذا حصل
جهاد قليل ايضًا يصير كل الجنس الجرماني يسرع متقدمًا نحو الانجيل

ان المسيحيين الانجيليين عند ما نظروا الى هذه الآمال الجيدة ضاعفوا اجتهادهم
فقال منتخب سكسونيا لمشيريهِ اثبتوا على التعليم الانجيلي . وفي ذلك الوقت دار
بائعو الكتب يبيعون في كل جهة من المدينة كراريس مسيحية قصيرة وهينة القراءة
مكتوبة باللاتيني والجرماني ومزينة بصور توضحت بها فواحش رومية بنشاط
ومن هذه الكتب كتاب عنوانهُ البابا وية واعضاؤها مرسومة وموصوفة من الدكتور
لوثيروس رُسم فيهِ البابا والكردينااليون وجميع الرتب الدينية الى ما ينوف عن
الستين رتبة كل واحد وعوائدهُ ووصفهُ في بيت وتحت صورة احدى هذه الرتب كُتِب

انظروا الخوارنة الشرهين ملتفّين بالذهب

ناسين يسوع المتواضع

وتحت اخرى

اننا نمنعكم من النظر

الى الكتاب المقدس لئَلاَّ يضلكم

وتحت صورة ثالثة

اننا نقدر ان نصوم ونصلي اكثر

اذا كان كرارنا فائضًا باللحوم

قال لوثيروس للقاري ليست رتبة من هذه الرتب تفتكر بالايمان ولا بالمحبة
فان هذا يرضى الاكليل وذا يلبس الاسكيمة وآخر الرداء وآخر الثوب وواحدٌ
ابيض وآخر اسود وآخر اشقر وآخر ازرق وهنا واحد ماسك مرآة وهناك واحد
ماسك مقصًّا ومع كل واحد ملاعبهُ آه ان هولاء هم الجراد والجنادب والصدأ
الذين كما يقول يوئيل النبي قد اكلوا جميع الارض (يؤ ١ : ٤)

واستعمل لوثيروس صوت الهجو ولكنهُ نفخ ايضًا في بوق الانبياء وفعل ذلك

في تأليفهِ المعنون خراب اورشليم فانهُ اذ سكب دموعًا نظير ارميا تنبا للشعب الجرماني بخراب يشبه خراب المدينة المقدسة اذا رفضوا الانجيل نظيرها فصرخ ان الله قد اعطانا جميع كنوزهِ وصار انسانًا وخَدَمنا ومات عنا وقام ايضًا وهكذا فتح ابواب السماء لكي يدخل الجميع فساعة النعمة قد اتت والبشائر المفرحة نودي بها ولكن اين هي المدينة واين هو الملك الذي قبلها فانهم يهيئون ويسحبون السيف وكانهم يمسكون الله على لحيتهِ ولكن اصبروا فانهُ سوف يدور عليهم وبضربة واحدة يسحق فكوكهم وتصير جرمانيا باسرها خربة متسعة

وكانت تلك الكتب تباع بكثرة وقراها ليس الفلاحون واهالي القرى فقط بل الاشراف والامراء ايضًا فتركوا الخوارنة وحدهم عند درج المذبح والقوا انفسهم بين يدي الانجيل وفي اول آب نادت عمدة خصوصية بلزوم اصلاح انواع فساد الكنيسة

وحينئذٍ استيقظت رومية التي تظاهرت متناعسة فاجتمع حول فرديننذ الخوارنة المترفضون والرهبان والامراء فاستعملوا الحيل والرشوة. وقالوا ألم يكن عند فرديننذ اوامر من اشبيلية والامتناع عن اذاعتها يحدث خراب الكنيسة والمملكة وقالوا دع صوت كرلوس يقاوم بمنعهِ الدوار الذي يسوق جرمانيا وبذلك يكون الخلاص للمملكة فعزم فرديننذ واخيرًا في ٣ آب اذاع الامر الذي صدر منذ اكثر من اربعة اشهر اثباتًا لاوامر ورمس

وكان الاضطهاد مزمعًا ان يبتدي والمصلحون يُطرَحون في السجون والسيف المسلول على شطوط الوادي الكبير يطعن اخيرًا قلب الاصلاح

حدث من اوامر الامبراطور شغب عظيم فالملك والامير هسى اخبرا بانهما عتيدان ان يتركا المجمع وامرا اعوانهما ان يتجهزوا للانصراف وفي الوقت نفسهِ وكلاء المدن تقدموا نحو هذين الاميرين وظهر الاصلاح كانهُ سوف يدخل حالاً في القتال مع البابا وكرلوس الخامس. الاَّ انهُ لم يكن قد تاهب لقتال عمومي فان الشجرة كانت عتيدة ان تمدّ اصولها الى اعمق من ذلك قبل ان يفلك القادر على

كل شيء اغلال الرياح لمصاد منهـا . وروح عماوة يشبه الروح الذي ارسل في القديم على شاول وهيرودس استولى على عدو الانجيل العظيم (١ صم ١٦ : ١٤ و٢٣ ومت ٢) وبهذه الطريقة خلصت العناية الالهية الاصلاح في سريرهِ

وعند نهاية الاضطراب الاول ابتدا اصدقاء الانجيل يعتبرون تاريخ الاوامر الامبراطورية ويزنون الظروف السياسية الجديدة التي بشرت العالم بحوادث غير منتظرة فقالت مدن جرمانيا العليا انهُ عندما كتب الامبراطور هذه المكاتيب كان على اتحاد مع البابا واما الآن فان كل شيء قد تغيّر. وقيل ايضًا انهُ قال لمرغريتا وكيلتهُ في البلاد الواطئة ان تتقدم برفق نظرًا الى الانجيل فلنرسل اليهِ معتمدين. ولم يكن ذلك ضروريًا فان كرلوس لم ينتظر الى ذلك الوقت لكي يغيّر رايهُ . بل مجرى المهمات المدنية اذ تحوّلت بغتةً دخلت في طريق جديد بالتمام وكان الاصلاح عتيدًا ان يحصل على السلامة مدة سنين بعد

كان كرلوس عتيدًا ان يزور البابا اكليمنضوس السابع حسب اوامر اشبيلية لكي يقبل التاج الامبراطوري في رومية نفسها من يديهِ المقدستين وان يسلّم لهُ عوضًا عن ذلك الانجيل والاصلاح وتحوّل البابا بغتةً ضد ذلك الملك القهار واذ كان الامبراطور لا يريد ان ينيلهُ مرغوبهُ في كل شيء قاوم دعاويهُ في اقاليم دوك فرارا فاغتاظ اكليمنضوس حالاً وصرخ ان كرلوس يريد ان يستعبد ايطاليا وان الوقت قد حان لاعطاء ايطاليا الحرية وهذا الفكر العظيم باستقلال ايطاليا الذي تمسك بهِ في ذلك العصر بعض الادباء لم يكن كما هو في ايامنا قد دخل بين الجمهور ولهذا بادر اكليمنضوس ملتجئًا الى المعاهدات السياسية فالبابا واهالي الجمهورية البندقية وملك فرانسا الذي كان بالكد قد حصل على حريتهِ عملوا ارتباطًا مقدسًا جُعل ملك انكلترا بموجب براءة حافظهُ وحاميهُ وفي حزيران سنة ١٥٢٦ امر الامبراطور بتقديم احسن الشروط للبابا ولكن اعمالهُ لم يكن لها مفعول ودوك سسًا سفير كرلوس في رومية اذ رجع راكبًا جوادهُ من مواجهتهِ الاخيرة ركّب وراءهُ رجلاً مهرجًا افهم اهل رومية بحركاتهِ ما اقل مبالاتهم بالبابا

ومقاصده. واما اكليمنضوس فجاوب بمنشور تهدد بهِ الامبراطور بالحرم ومن دون تأخرهم بعساكرهِ الى لمبارديا اذ كانت ميلان وفيورنسا وبيدمونت يشهرون انفسهم من حزب الارتباط المقدس وهكذا كانت اوروبا تستعد للانتقام من نصرة پاڤيا

واما كرلوس فلم يتاخر فاسرع الى اليمين كما اسرع البابا الى اليسار والتفت حالاً نحو الامراء الانجيليين فكتب الى اخيهِ يقول دعنا نوقف حكم ورمس ولنرجع احزاب لوثيروس بواسطة الرقة وبالمشورة الصالحة تحصّل الغلبة للحق الانجيلي. وطلب في الوقت نفسهِ ان الملك المنتخب واميرهسى واحزابهما يقومون معهُ ضد ايطاليا لاجل خير المسيحيين العمومي

فتاخر فرديننند فانهُ لكي يربح صداقة اللوثرانيين كان يلزمهُ ان يخسر صداقة الامراء الآخرين وابتدأوا ينطقون بالتهديدات الشديدة والبروتستانت انفسهم لم يكونوا مجتهدين جدًّا في الاخذ بيد الامبراطور فانهم قالوا ان الله نفسهُ هو الذي يخلص كنيستهُ. فماذا يُعمَل لان حكم ورمس لم يمكن نقضهُ ولا اجراؤهُ

وهذه الحالة الغريبة قادت الى الحلة المرغوبة وهي الحرية الدينية والفكر الاول من هذا القبيل عرض لوكلاء المدن فقالوا انهُ في بعض الاماكن حُفِظت الطقوس القديمة وفي البعض الآخر أُبطلت والفريقان يفتكران بانهما على الهدى فلنترك كل انسان يعمل كما يظن انهُ لائق الى ان يثبت مجمع الوحدة المرغوبة بواسطة كلمة الله. فوجد هذا الفكر حظًّا وصدر حكم ٢٧ آب بانعقاد مجمع مسكوني او اقلما يكون جنسي في ظرف سنة وبانهُ يطلب من الامبراطور ان يرجع سريعًا الى جرمانيا وبانهُ الى ذالك الوقت كل امير يتصرف في بلادهِ بطريق يقدر بهِ ان يعطي حسابًا لله وللامبراطور

وهكذا تخلصوا من صعوبتهم بواسطة طريق متوسط كان بالحقيقة في ذالك الوقت الطريق الحقيقي وكل واحد تمسك بحقوقهِ واعتبر حقوق غيرهِ ومجمع سنة ١٥٢٦ لهُ اعتبار عظيم في التاريخ فان قوة قديمة اي قوة القرون المتوسطة

تزعزعت وقوة جديدة اعني قوة الازمان الحديثة اخذت في التقدم والحرية الدينية تقدمت على العبودية الرومانية وروح العوام غلب روح الاكليروس وفي تلك الخطوة الواحدة غلبة كاملة وحصل الاصلاح على مرغوبهِ. وذلك بدون ان يشعر بهِ اصحابهُ . وكتب لوثيروس في صباح اليوم الذي أُذيع فيهِ الحكم الى صديق لهُ يقول ان المجمع جالس في سپيرْس حسب العادة الجرمانية فانهم يشربون ويقامرون ولا يُعمَل شيء غير ذلك. ان اعمالاً عظيمة تجرى مرارًا كثيرة تحت صورة خفية والله يكمل مقاصدهُ من دون ان تُعرَف حتى من الذين يستخدمهم نظير آلات بيدهِ. ففي ذلك المجمع ظهرت الرزانة والمحبة لحرية الضمير اللتان هما اثمار الديانة المسيحية واللتان في القرن السادس عشر ظهرتا اولاً بين شعوب جرمانيا

اما فردينند فلم يزل يتردد والله بعنايتهِ فكَّ المشكل فان لويس ملك المجار وبوهيميا اذ غرق في موهانش في ٢٩ آب سنة ١٥٢٦ وهو هارب من وجه السلطان سليمان الثاني خلف اكليل هاتين المملكتين لفردينند الاَّ ان دوك باڤاريا ووالي ترنسلفانيا والسلطان سليمان المهيب نازعوهُ في ذلك وكان ذلك كافيًا لاشغال اخي كرلوس فترك لوثيروس وبادر الى المنازعة على تخثين

الفصل الثاني

حرب ايطاليَّة والهجوم على رومية . تمرد العسكر . نهب رومية . تسليم البابا اكليمنضوس السابع

ان الامبراطور حصد سريعًا اثمار طريقتهِ الجديدة واذ لم تكن يداهُ مربوطتين بعد من جهة جرمانيا حولها ضد رومية فكان الاصلاح عنيدًا ان يرتفع والباباوية تذل والضربات المتجهة نحو عدوهِ العادم الشفقة كانت قريبة ان تفتح ارخة جديدة للعمل الانجيلي

ان فرديننـد الذي اعاقتهُ مصالحهُ في بلاد المجيار سلم مهمات القيام على ايطاليا لفرندسبرج وهو القائد الذي بحبة ضرب لوثيروس بزفق على كتفهِ عند ما كان مزمعًا ان يمثل امام مجمع وُرمس كما ذُكِر انفًا . وهذا الرجل الشهم الذي كان كما يخبرنا احد المعاصرين حاملاً في قلبهِ الشجاع انجيل الله الطاهر محصنًا جيدًا ومحاطًا بسور متين ارهن صيغة زوجتهِ وارسل جماعات يلقون النفير في جميع بلدان جرمانيا العليا ولاجل استغراب امر الحرب ضد البابا راى سريعًا جماهير من الجنود يسرعون الى رايتهِ . وهكذا كرلوس البطل عوضًا عن القيام مع البابا ضد الاصلاح كما تهدد في اشبيلية قام مع الاصلاح ضد البابا وايام قليلة احدثت هذا التغيير وقلما ظهرت في ماجريات التاريخ يد الله باكثر وضوح فاظهر كرلوس حالاً جميع صفات مصلح وفي ١٧ ايلول انفذ كتابةً الى البابا بوبخهُ فيهِ لاجل تصرفهِ لا نظير اب المؤمنين بل نظير مفترٍ متكبر واظهر تحيرهُ من انهُ وهو نائب المسيح يجسر على سفك الدماء لاجل اكتساب الاموال الزمنية الامر الذي هو مضاد للتعليم الانجيلي . ولم يكن لوثيروس قادرًا على التكلم بكلامٍ احق من ذلك . ثم قال كرلوس الخامس فارجع قداسنك سيف بطرس الى غمدهِ واعقد مجمعًا مقدسًا مسكونيًّا . الآن السيف كان اكثر موافقة لذوق الحبر من المجمع . اليست البابا وية على مذهب العلماء الرومانيين مصدر القوانين اما تقدر ان تعزل الملوك وبالتالي تحاربهم . فاستعد كرلوس حتى يجازي عينًا بعين وسنًّا بسن (خر ٢١:٢٤)

فابتدا حينئذٍ ذلك الطعان الهائل الذي فيهِ هب على رومية والبابا وية العاصف الذي كان عتيدًا ان يسقط على جرمانيا والانجيل . وبواسطة شدة الضربات التي وقعت على المدينة الحبرية نتصور قساوة الضربات التي كانت سحقت الكنائس المصلحة لو اصابتها واذ نتتبع مثل هذه المناظر الفظيعة نتذكر ان قصاص المدينة ذات السبعة الجبال تُنبِّئ بهِ في الكتب المقدسة (رؤ ص ١٨) وفي شهر تشرين الثاني صار القائد فرندسبرج في مقدمة خمسة عشر الف

رجل عند حضيض جبال الپا وهذا القائد الخبير لم يزحف في الدروب العسكرية التي كانت محصنة جيدًا من قبل العدو بل دخل في طريق ضيق على شواهق مخيفة لو ضُرِبت ضربات قليلة بالمعول لصار عبورها غير ممكن فنهى الجنود عن النظر الى ما وراءهم الآن رؤوسهم دارت وزلقت ارجلهم وكان الفارس والمشاة يتدحرجون حينًا بعد حين الى الهاوية وفي اصعب المسالك وقف اقوى المشاة ونكسوا رماحهم الطويلة الى يمين ويسار قائدهم المسن نظير حاجز وكان فرندسبرج يمشي مستندًا على الماشي الذي قدامهُ ويدفعهُ الذي وراءهُ من خلفهِ وفي ثلاثة ايام قطع جبال الپا وفي ١٩ تشرين الثاني وصل الجيش الى بلاد براشيا

اما الرئيس بوربون الذي صار قائدًا اول للجيش الامبراطوري بعد وفاة بسكارا كان قد ملك دوكية ميلان واذ كان الامبراطور قد وعدهُ بتلك البلاد جزاءً لهُ التزم بالبقاء هناك مدة من الزمان لاجل توطيد سلطانهِ واخيرًا في ١٢ شباط اتحد هو وجيشهُ الاسبانيولي مع جيش فرندسبرج الذي ضجر من تاخرهِ وكان لهذا الرئيس رجال كثيرون ومال قليل فعزم على اتباع راي دوك فرارا العدو الالد لامراء الكنيسة اي ان ينطلق باستقامة الى رومية فقبل جميع الجيش هذا الخبر باصوات الطرب وكان اهالي اسپانيا موعبين رغبةً في الانتقام لكرلوس الخامس والجرمانيون مفعمون بغضة الباپا فكان الجميع يفتخرون بنوال اجرتهم وبحسن المجازاة اخيرًا لاتعابهم بواسطة غنى العالم المسيحي الذي جمعتهُ رومية مدة قرون وجلبتهم عبرت جبال الپا وكل انسان في جرمانيا ظن ان ساعة الباباوية الاخيرة قد انت واستعد للتامل بسقوطها وكتب لوثيروس ان جيوش الامبراطور يعتزون في ايطاليا والبابا يزأر في كل جانب وخرابهُ قد دنا وساعتهُ واخرتهُ قد انت

وبعض الغلبات التي فاز بها جنود البابا في مملكة نابلي ادّت الى هدنة عرضت الى البابا والامبراطور لاجل اثباتها وحالما عُرِف ذلك حدثت ضجة عظيمة في جنود الرئيس فخان جنود اسپانيا والزموهُ بالفرار ونهبوا خيمتهُ ثم عند ما

دنوا من المشاة ابتدأوا يصرخون بقدر استطاعتهم بالكلمات الجرمانية الوحيدة التي عرفوها اي الحراب الحراب الدراهم الدراهم وهذا الصراخ وافق ما في قلوب اصحاب الامبراطور فهاجوا وابتدأوا يصرخون بكل قدرتهم الحراب الحراب الدراهم الدراهم كما فعل اولئك . اما فرندسبرج فجمع العسكر حوله مع رؤساء القواد وسأل بهدوء هل تركهم قط . فكل ذلك لم يجدِ نفعًا والمحبة القديمة التي كانت عند هولاء الاجناد نحو قائدهم بانت كانها انطفأت وفكر واحد غلب في قلوبهم وهو ان ينالوا الاجرة وحربًا ومن ثم نكسوا رماحهم وعرضوها كانهم يريدون ان يقتلوا رؤساءهم وابتدأوا يجلبون قائلين الرماح الرماح الدراهم الدراهم . اما فرندسبرج الذي لم يخفهُ قط عسكر مهما كان كبيرًا وكان من عادتهِ ان يقول كلما كثرت الاعداء زاد شرف هولاء الجنود الذين شاب في قيادتهم فلما رآهم يوجهون فولاذهم القتَّال ضدهُ اضاع الحاسية والنطق وسقط مغشيًّا عليهِ على طبل كانهُ قد ضُرِب بصاعقة . وقوة القائد القديم انكسرت الى الابد . ومنظر قائدهم يموت احدثت فيهم تاثيرًا لا يحدثهُ خطاب فنصبت جميع الرماح وانصرف الجنود باعين مطرقة الى الارض وبعد سبعة ايام عادت الى فرندسبرج قوة النطق فقال للرئيس الى قدام فان الله نفسهُ يوصلنا الى الغرض فقال الجنود الى ما قدام الى ما قدام ولم يكن لبوربون خيار وعدا ذلك لم يكن كرلوس ولا آكليمنضوس يقبلان بشيء من شروط الصلح فحمل فرندسبرج الى فرارا ثم فيما بعد الى قلعتهِ مندلهيم حيث توفي بعد ان بقي ١٨ شهرًا مريضًا وفي ١٨ نيسان اخذ بوربون في تلك السكة الى رومية التي كان قد داسها في الازمنة السابقة جيوش كثيرة قوية جدًّا آتية من الشمال

واذ كان العاصف المنحدر من جبال الپا آخذًا في التقدم نحو المدينة الابدية اضاع البابا عقلهُ واطلق جيوشهُ ولم يبقِ الَّا خفرتهُ . واكثر من ثلاثين الف روماني قادر على نقل السلاح اظهروا شجاعتهم في الازقة يجرُّون سيوفهم الطويلة وراءهم وهم يخاصمون ويقاتلون الآن هولاء القوم المتعطشين الى الربح فلما افتكروا

بالمحاماة عن البابا واذ املوا ان يحصلوا على ربح عظيم من اقامة كرلوس عندهم رغبوا في ان ياتي ويقيم في رومية

وفي مساء ٥ ايار وصل بوبون الى تحت اسوار العاصمة ولو كان عندهُ سلالم لكان ابتدا بالهجوم في تلك الساعة بعينها وفي صباح ٦ ايار الجيش الذي كان مستورًا بغمام كثيف اخفى حركاتهِ تحرك فهجم الاسبانيوليون الى محطهم فوق باب الروح القدس والجرمانيون الى اسفل والرئيس اذ اراد ان يشجع جنودهُ اخذ سلمًا وركب الحائط ودعاهم الى اتباعهِ وفي تلك الدقيقة اصابتهُ كلة فسقط وتوفي بعد ساعة فهكذا كانت نهاية هذا المنكود الحظ الخائن ملكهُ وبلادهُ والواقع تحت الشبهة من اصدقائهِ الجدد

ووفاتهُ عوضًا عن ان تضعف العسكر هيجتهُ واقلوديوس سيد نستوكار قابضًا على سيفهِ قطع السور وتبعهُ ميخائيل هرتمان وهذان الجرمانيان المصلحان صرخا ان الله نفسهُ يتقدمهم في الغمام فانفتحت الابواب ودخل العسكر وأُخذ ما حول المدينة والبابا هرب مع ثلاثة عشر كردينالاً الى قلعة سنت انجلو واصحاب الامبراطور الذين كان رئيسهم حينئذٍ امير أُورانج اعرض عليهِ الصلح بشرط ان يدفع لهُ ثلاث مئة الف ريال ولكن اكليمنضوس الذي ظن ان المعاهدة المقدسة عتيدة ان تخلصهُ وتوهم انهُ يرى مقدمة خيالتها رفض كل شرط للصلح وبعد راحة اربع ساعات تجدد القتال وعند غروب الشمس استولى الجيش على المدينة باسرها وبقي تحت السلاح وفي نظام حسن الى نصف الليل فكان اهالي اسبانيا في بيازا نافونا واهالي جرمانيا في كمبوفيوري واخيرًا اذ لم يرَ الجنود علامات للحرب ولا علامات للصلح تفرقوا وبادروا للنهب . وحينئذٍ ابتدا نهب رومية المشهور . كانت البابا وية قد وضعت المسيحيين مدة قرون كثيرة في المعصرة وجمعت الاموال بواسطة المعاليم والسنويات والغفرانات والزيارات والانعامات الكنائسية وهولاء الجيوش الطاعون الذين عاشوا مدة اشهر في حالة الشقاوة عزموا نزع ذلك منها ولم يميزوا حزبًا من حزب والكنائس والقصور والاديرة

والبيوت والمنازل والبنوكة والمدافن انتهب منها كل شيءٍ حتى الخاتم الذهبي من اصبع جثة يوليوس الثاني وابدا اهالي اسپانيا حذاقة فائقة اذ كانوا يتجسسون ويكشفون الكنوز المكنونة في الاماكن الخفية جدًّا الّا ان اهالي نابلي كانوا الاكثر حنقًا وقال جويشيارديني كنت تسمع في كل مكان عويل النساء والراهبات الرومانيات اللواتي استاقهنَّ الجنود افواجًا لاجل اشباع شهوتهم

وفي اول الامر التذ اهالي جرمانيا نوعًا بجعل الباباويين يشعرون بثقل سيوفهم ولكن لم يمضِ الّا قليل حتى صاروا اكثر صلحًا من اصحاب عهدهم اذ ارتضوا بالحصول على المطاعم والمشارب . واظهروا غضبهم بالاكثر ضد تلك الاشياء التي سماها الرومانيون مقدسة فاخذوا الكؤوس وبيوت الجسد والاواني الفضية والبسوا خدمهم وغلمانهم ملابس الاكليروس والكمبوفيوري تحوَّل الى بيت مقامرة واتى الجنود الى هناك باواني الذهب وباكياس مملوَّة ريالات ولعبوا بها بالميسر وعندما خسروها رجعوا يفتشون على غيرها . ورجلٌ اسمهُ سمعان بينسنا كان قد تنبا بنهب المدينة فالقاهُ البابا في السجن فاعتقهُ الجرمانيون وجعلوهُ يشرب معهم ولكنهُ نظير ارميا تنبا ضد الجميع وقال لمنقذيهِ انهبوا واسلبوا الّا انكم سوف ترجعون الجميع فان دراهم الجنود وذهب الخوارنة تلحق طريقًا واحدًا

ولم يكن شيءٌ يسر اهالي جرمانيا اكثر من السخرية بالبلاط الباباوي قال جويشيارديني ان اساقفة كثيرين زفوا على حمير في كل مدينة رومية . وبعد هذا الاحتفال دفع الاساقفة فداء انفسهم الّا انهم سقطوا بايدي اهالي اسپانيا وهولاء الزموهم بدفعهِ ثانيةً

وذات يوم واحد من الرماحة اسمهُ غويلومي دي سنت سيلي لبس ثياب البابا ووضع التاج المثلث على راسهِ فاجتمع جمهور حولهُ لابسين برنيطات الكرديناليين الحمراء وحللهم الطويلة واذ ذهبوا باحتفال على حمير في ازقة المدينة وصلوا اخيرًا الى امام قلعة سنت انجلو التي هرب اليها اكليمنضوس السابع

فحول هناك الجنود الكرد ينالبين ورفعوا مقدم اردينهم وقبلوا قدمي الحبر المتقلد الحبرية فشُرب صحة آكليمنضوس السابع وهكذا فعل الكرد ينالبون وهم راكعون وقالوا انهُ من الآن وصاعداً يكونون باباوات انتيا وكرد ينالبون صالحون وحينئذٍ عملوا حلقة واذ اخبر البابا جوستهُ بان مرادهُ ان يتنزل عن البابا وية رفعت جميع الايدي للانتخاب وصرخوا لوثيروس هو باباً لوثيروس هو بابا . ولم ينادَ قط ببابا بهذا المقدار من الاتحاد فهكذا كانت ملاعب الجرمانيين

واهالي اسپانيا لم يتركوا الرومانيين بهذا المقدار من السهولة فان آكليمنضوس السابع كان قد دعاهم عربًا واعطى غفرانا كاملاً لكل من قتل واحدًا منهم ولهذا لم يقدر شيءٌ على ضبط حنقهم وهولاء الكاثوليكيون الامناء قتلوا الاساقفة بقساوات فظيعة وغايتهم في ذلك الزامهم بالخبر عن مخابي كنوزهم فانهم لم يراعوا الرتب ولا الجنس ولا السن ولم يرجع الهدو والراحة نوعًا الاَّ بعد ان دام النهب عشرة ايام وجمعت غنيمة تبلغ عشرة ملايين ريالات ذهبية وهلك بين الخمسة والثمانية آلاف نفس

وهكذا سقطت المدينة الحبرية في وسط نهب طويل قاسٍ وذلك الرونق الذي بهِ ملأت مدينة رومية العالم منذ بداءة القرن السادس اضمحل في ساعات قليلة ولم يقدر شيءٌ ان يحفظ تلك العاصمة المتجرفة من القصاص حتى ولا صلوات اعدائها وكان لوثيروس قد صرّح اني لا اريد ان رومية تُحرَق فان ذلك يكون عملاً فظيعًا ومخاوف ملانكثون كانت اشد . قال اني ارتعد خوفًا على المكاتب فاننا نعلم كم هي مبغوضة الكتب لدى إلاه الحرب ولكن رغمًا عن ارادة هذين المصلحين سقطت مدينة لاون العاشر تحت حكم الله

واذ كان آكليمنضوس السابع تحت الحصار في قلعة سنت انجلو وخاف ان العدو يذري ملجاهُ الى الجو باللغوم سلم اخيرًا ورفض كل اتحاد ضد كرلوس الخامس وتعهد بانهُ يبقى اسيرًا الى ان يدفع الى الجيش اربع مئة الف دوكات . والمسيحيون الانجيليون نظروا بتحير الى قضاء الرب هذا وقالوا هكذا مملكة يسوع

المسيح حتى ان الامبراطور اذ كان يضطهد لوثيروس لاجل البابا التزم ان يهلك البابا عوضًا عن لوثيروس فان جميع الاشياء تنقاد الى الرب وتحول ضد اعدائهِ

الفصل الثالث

فيلبس اميرهسى. راهب ماربرج. الجدال في همبرج. نظام الكنيسة. تقدم الاصلاح. اليصابات من برندنبرج

ان الاصلاح احتاج الى عدة سنين من الراحة لكي ينمو ويتقوى ولم يمكنهُ ان يتمتع بالسلامة الَّا اذا كان اعداؤُهُ في حرب بعضهم مع بعض وجنون اكليمنضوس السابع كان للاصلاح مثل موصل برق للبيت وخرائب رومية بُني منها بناء الانجيل فلم يُربح بذلك بعض الاشهر فقط بل من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٥٢٩ حصل هدوٌّ في بلاد جرمانيا استفادت بهِ الكنيسة في بنيانها وامتدادها والكنيسة المتجددة صارت عتيدة ان تحصل على نظام جديد

وبما ان النير البابوي قد انكسر احتاج الامر الى نظام كنائسي وارجاع الابرشيات للاساقفة صار امرًا غير ممكن لان الاساقفة الاقليميين ذهبوا الى انهم بنوع خصوصي عبيد البابا ومن ثمَّ اقتضى ايجاد حالة جديدة لئلَّا تصير الكنيسة بلا نظام فصار الاهتمام بذلك وفي ذلك الوقت انفصلت الشعوب الانجيلية انفصالًا واضحًا من تلك الرياسة الصارمة التي ابقت الغرب باسرهِ تحت رقّ العبودية مدة قرون عديدة

ان المجمع على مرَّتين حاول ان يجعل اصلاح الكنيسة عملًا عموميًّا فكان الامبراطور والبابا وبعض الامراء ضد ذلك ومن ثمَّ مجمع سپيرْس سلم لكل اقليم العمل الذي لم يقدر هو على اكمالهِ. وارتابوا في اي نظام يجعلونهُ مكان الرياسة البابوية . وكان ممكنًا لهم مع انزالهم البابا ان يبقوا الاسقفية وذلك هو الاقرب الى الصورة العتيدة ان تتلاشى وجرى ذلك في انكلترا حيث توجد كنيسة اسقفية

ولكن كما سبقت الاشارة لم يمكن اجراءُ ذلك في القارة فانهُ لم يكن مثل لانيمار ولا كرانمار بين اساقفة قارة اوروبا. وكان ممكنًا لهم بالعكس ان يقيموا النظام الكنائسي بواسطة الالتجاء الى سلطان كلمة الله المطلق وبواسطة اعادة حقوق الشعب المسيحي وهذه الصورة هي ابعد صورة عن الرياسة الرومانية وبين هذين الطرفين طرق عديدة متوسطة

والترتيب الاخير هو ترتيب زوينكل الَّا ان مصلح زوريخ لم يكن قد اجراهُ بالتمام فلم يطلب من الشعب المسيحي ان يمارسوا رياستهم وكان قد وقف عند مجمع موَّلف من مئتي وكيلٍ للكنيسة. والخطوة التي وقف عندها زوينكل كانت ممكنة واميرٍ من الامراء لم يتقاعد عما اخاف اهل الجمهورية انفسهم وجرمانيا الانجيلية عندما شرعت في مناظرة التنظيمات الكنائسية ابتدات في تلك التي هي الاعمق والالزم في الرياسة البابا وية

ولم يكن صدور هذه الطريقة من جرمانيا ممكنًا فاذا كانت انكلترا المعولة على اشرافها عتيدة ان تتمسك بطريقة اسقفية فان جرمانيا اللينة كانت عتيدة بالاحرى ان تقف على امرٍ اوسط في امور السياسة اما الطرف الجمهوري فخرج من سويسرا وفرانسا وواحد من اسلاف كالڤينوس رفع ذلك اللواء الذي كانت ساعد المصلح الجنيڤي القوية عتيدة ان ترفعهُ في السنين التالية وتقيمهُ في فرانسا وسويسرا وهولندا وسكوتلاندا حتى في انكلترا وكان عتيدًا بعد ذلك بقرن ان يقطع بحر الاتلانتيك ويدعو اميركا الشمالية ان تحصي بين الشعوب

ان فيلبس من هسي الذي شُبِّه بفيلبس المكدوني في الدهاء وبابنهِ اسكندر في الشجاعة كان اجسر جميع الامراء الانجيليين وهو علم ان الديانة حصلت اخيرًا على ما يحق لها من الاعتبار واذ كان بمعزل عن مضادة الامور المهيجة الشعب جعل نفسهُ في اتفاق مع الآراء الجديدة. واشرق كوكب الصبح لهسي في نفس الزمان الذي اشرق فيهِ لسكسونيا وسنة ١٥١٧ عندما كان لوثيروس ينادي في وتمبرج بالغفران المجاني للخطايا كنت ترى الرجال والنساء في ماربرج يذهبون سرًّا الى

احدى حفائر المدينة ويجتمعون هناك حول كوة منفردة يصغون برغبة الى كلمات التعزية التي كانت تخرج من داخل وهو صوت راهب فرنسيسي اسمهُ يعقوب لمبرج الذي لاجل قولهِ انهُ في مدة خمسة عشر قرنًا قد حرّف الخوارنة انجيل المسيح طُرح في ذلك السجن المظلم وتلك الجمعيات السرية دامت اسبوعين وسكت ذلك الصوت بغتةً فان تلك الاجتماعات المنعزلة كُشِفت والرجل الفرنسيسي أُخرج من كهفهِ وخُطِف سريعًا وأُرسِل الى حيث لم يعلم احدٌ وبالقرب من الزيجنبرج لحقهُ بعض اهل ماربرج باكين وكشفوا بعجلة الغشاء المغطي المركبة وسالوهُ قائلين الى اين تذهب فاجاب الاخ بهدوءٍ الى حيثما شاء الله. فلم يُسمَع خبرهُ بعد ولم يُعلَم ماذا اصابهُ والاختفاء على هذا المنوال كثير الوقوع عند البابا وية

وحالما نجح فيلبس في مجمع سَپِيرْس عزم على تكريس نفسهِ لاصلاح املاكهِ الموروثة. وثبات عزمهِ استمال بهِ نحو الاصلاح السويسي ولم يطلب اصلاحًا متوسطًا وكان قد عاشر في سَپِيرْس يعقوب ستورم وكيل ستراسبرج الذي اخبرهُ عن فرنسيس لمبرت من افينون وهو حينئذٍ في ستراسبرج واذ كان لمبرت ذا اخلاق رضية وعزمٍ وطيد جمع مع حرارة الجنوب كل تجلد الشمال وهو اول راهب في فرانسا طرح القلنسوة ولم يكف قط من ذلك الوقت عن طلب اصلاح كامل في الكنيسة فقال انني في القديم عندما كنت مرائيًا كنت عائشًا في الرخاء والآن آكل بالتوفير خبزي اليومي مع عائلتي الصغيرة ولكن احب اليّ ان اكون مسكينًا في ملكوت المسيح من ان املك كثرة الذهب في مساكن البابا ذات البذخ والخلاعة فراى الاميران لمبرت هو الرجل المطلوب فدعاهُ الى بلاطهِ

ورغب لمبرت في تمهيد الطريق للاصلاح في هسى فالف مئة وثمانيا وخمسين قضية سماها مصادرات وعلقها حسب عادة تلك الايام على ابواب الكنيسة. فاجتمع حالاً حولها الاصدقاء والاعداء والبعض من الكاثوليكيين الرومانيين ارادوا ان يمزقوها ولكن اهالي البلدة المصلحون حرسوها وعقدوا مجمعًا في ديوان البلدة وبحثوا في تلك القضايا وبيّنوها وبرهنوها ضاحكين على غيظ البابا وبين منها

وخوري شاب اسمهُ بونيفاسيوس درتيمان كثير العجب وقد مدحهُ الاسقف يوم رسامتهِ مفضلاً اياهُ على بولس لاجل علمهِ وعلى العذراء لاجل عفتهِ ولم يقدر من قصر قامتهِ ان يطال ورقة لمبرت فاستعار كرسيًا صغيرًا ووقف عليهِ وابتدا يقراها بصوتٍ عالٍ محاطًا بجمهور غفير يصغون اليهِ قال

ان كل ما هو فاسد يجب اصلاحهُ فان كلمة الله وحدها تعلمنا ماذا يجب ان يكون. وكل اصلاح على غير هذا المنوال هو باطل. هذه هي القضية الاولى

فقال الخوري الشاب حسنٌ اني لا اقاوم ذلك ثم استتلى

للكنيسة ان تقضي في قضايا الايمان والكنيسة انما هي جماعة الذين يتحدون بروح واحد وايمان واحد واله واحد ووسيط واحد وكلمة واحدة بها وحدها يساسون وبها وحدها لهم الحياة

فقال الخوري اني لا اقدر ان اضادَّ هذه القضية ثم جعل يقرا وهو واقف على كرسيهِ

ان الكلمة هي المفتاح الحقيقي وملكوت السماء مفتوحٌ للذي يؤمن بالكلمة ومغلق على الذي لا يقبلها ومن ثمَّ كل من لهُ كلمة الله لهُ قوة المفاتيح فجميع المفاتيح الأُخَر وجميع احكام المجامع والباباوات وجميع قوانين الرهبان لا قيمة لها

فهز الخوري بونيفاسيوس راسهُ واستتلى

بما ان كهنوت الناموس قد أُبطِل فالمسيح هو الكاهن الوحيد غير المائت الابدي وهو لا يحتاج نظير الناس خليفةً فلا اسقف رومية ولا شخص آخر في العالم هو نائبهُ في هذه الدنيا ولكن جميع المسيحيين منذ ابتداء الكنيسة كانوا ولا يزالون مشتركين في كهنوتهِ

في تلك القضية رائحة الاراتقة الاَّ ان درتيمان لم يبطل القراءة بل انهُ انما لضعف عقلهِ او لاجل اشراق النور عند كل قضية لم يتهيج كثيرًا تعصبهُ قال انني في الحقيقة لست اضادُّ هذه القضية والشعب اصغى بتحير وواحد منهم ولا اعلم هل كان رومانيًا مترفضًا او مصلحًا غيورًا او هازلاً خبيثًا اذ ضجر من تلك المراجعات

المتواترة صرخ انزل ايها الخائن الذي لا يقدر ان يجد كلمة تضادها ثم خطف بعنف الكرسي من تحت رجليهِ فسقط الخوري التعيس منطرحًا في وسط الحماة

وفي ٢١ تشرين الاول قبل الظهر بخمس ساعات انفتحت ابواب الكنيسة الاولى في همبرج فدخل بها على التوالي اساقفة ورؤساء اديرة وخوارنة وامراء وفرسان ووكلاء مدن ومن جملتهم فيلبس نظير عضو اول للكنيسة

فبعد ان اوضح لمبرت قضاياهُ واثبتها قال فليتقدم مَن عندهُ شيء يقولهُ ضدها . وفي اول الامر كان سكوت عميق ثم اخيرًا نيقولاوس فربر رئيس رهبان مار فرنسيس في مربرج الذي سنة ١٥٢٤ استخدم برهان رومية المحبوب لديها وهو السيف فترجى الامير ان يعمل السيف في الاراتقة . فابتدا يتكلم براس منخفض وعينين مطرقتين في الارض واذ دعا اوغسطينوس وبطرس لمبرد وغيرهما من العلماء الى مساعدتهِ قال لهُ الامير لا تقدم آراء الناس الواهنة ولكن كلمة الله التي هي وحدها تقوّي وتشجّع قلوبنا . فجلس الفرنسيسي بالخزي قائلاً هذا ليس هو المكان للجواب . الّا ان الجدال ابتدا ايضًا واظهر لمبرت قوة الحق فاذهل خصمهُ بهذا المقدار حتى ان الرئيس خاف مما دعاهُ رعود التجديف وبروق النفاق وجلس ايضًا وقال ثانيةً ان هذا ليس هو المكان للجواب وباطلاً قال لهُ الكاتب فينبغي ان لكل انسان حقًّا ان يتمسك برايهِ بحرية تامة وباطلاً قال الامير نفسهُ ان الكنيسة تتنهد في طلب الحق فصار السكوت ملجأً رومية وكان قد قال خوري قبل ذلك اني احامي عن تعليم المطهر وقال آخر اني اقاوم القضايا التي في الراس السادس (عن الكهنوت الحقيقي) وقال آخر اني انقض القضايا التي في الراس العاشر (عن الصُوَر) واما عند الامتحان فانهم باجمعهم خرسوا

وعند ذلك صفق لمبرت بيديهِ وصرخ قائلاً بكلام زكريا مبارك الرب اله اسرائيل لانهُ افتقد وصنع فداء لشعبهِ (لو ١ : ٦٨)

وبعد ان بقوا ثلاثة ايام في الجدال وكانت فيها الغلبة دائمًا لجانب التعليم الانجيلي صار انتخاب اناس وتفويضهم بنظم كنائس هسي حسب كلمة الله فبقوا اكثر

من ثلاثة ايام مشتغلين في هذا العمل واذيع حينئذٍ نظامهم الجديد باسم المجمع . فالنظام الكنائسي الاول الناتج من الاصلاح يجب ان يكون لهُ موقع في التاريخ ولا سيما بما انهُ كان حينئذٍ نظير رسم للكنائس الجديدة المسيحية

ولا ريب ان سياسة الكنيسة نفسها هو مبداها الاساسي لانهُ من الكنيسة ومن وكلائها المجتمعين باسم الرب صدرت هذه الشرائع ولا في مقدمتها ذكر الاحكام ولا الاشراف واذ كان فيلبس مرتضيًا بكسرهِ عن نفسهِ وعن شعبهِ نير الخوري الاجنبي اي البابا لم تكن لهُ رغبة في ان يضع نفسهُ مكانهُ بل اقتنع بتلك النظارة الخارجية التي هي ضرورية لحفظ الترتيب

ومن جملة مزايا هذا النظام المميزة لهُ هو بساطتهُ في السياسة والعبادة فان اعضاء المجمع يناشدون جميع المجامع المستقبلة ان لا تحمل الكنائس سننًا كثيرة اذ راوا انهُ حيثما كثرت الترتيبات تكثر القلاقل حتى انهم لم يريدوا ان يبقوا الارغن في الكنائس اذ قالوا ان الناس يجب ان يفهموا ما يسمعونهُ . وبمقدار ما يزداد ميل العقل الانساني نحو جهة واحدة بمقدار ذلك رد الفعل عند رجوعهِ فان الكنيسة انتقلت في تلك الايام من التطرف في الرموز الى التطرف في البساطة

اما مبادي هذا النظام الاصلية فهي هذه

ان الكنيسة لا يمكن تعليمها وسياستها الاَّ من كلام راعيها السامي فكل من ذهب الى كلام آخر يجب عزلهُ وحرمهُ

كل انسان تقي عالم في كلام الله مهما كانت حالهُ يمكن انتخابهُ اسقفًا اذا رغب في ذلك لانهُ مدعوٌّ داخليًا من الله

لا يزعم احدٌ ان الاسقف شيءٌ غير خادم بسيط لكلمة الله

ان القسوس هم خدام ولهذا لا يجب ان يكونوا سادةً ولا امراء ولا حكامًا فليجتمع المومنون ويختاروا اساقفتهم وشمامستهم ولتنتخب كل كنيسة راعيها

ان الذين يختارون للاسقفية يجب ان يكرسوا لوظيفتهم بواسطة وضع ايدي ثلاثة اساقفة واما الشمامسة فاذا لم يوجد قسوس فليقبلوا وضع الايدي

من شرائع الكنيسة

اذا اوجب احد الاساقفة شكًّا في الكنيسة بواسطة ترفهِ او بواسطة ملابسهِ الفاخرة او بواسطة دناءة سيرتهِ واصرَّ على ذلك عند انذارهِ فليُعزَل من قِبَل الكنيسة

فلتجعل كل كنيسة اسقفها في حالة يقدر فيها ان يعيش مع عائلتهِ ويكون مضيفًا كما يامر مار بولس ولكن لا يجب ان الاساقفة ياخذون شيئًا اجرةً عن واجباتهم العرضية

في كل يوم احد يجب ان يجتمع في مكان مناسب جميع الناس الذين هم في عدد القديسين لكي يرتبوا مع الاسقف حسب كلام الله كل مصالح الكنيسة ويقطعوا كل من اوجب سببًا للشك في الكنيسة لان كنيسة المسيح لم توجد قط من دون مباشرة سلطان القطع

كما ان اجتماعًا اسبوعيًّا ضروري لاجل ارشاد الكنائس الخصوصية كذلك اجتماع عمومي يجب ان يُعقَد سنويًّا لاجل ارشاد جميع الكنائس في البلاد

ان جميع الرعاة هم اعضاء المجمع طبعًا ولكن كل كنيسة يجب ان تنتخب ايضًا من جمهورها رجالًا مملوءًا من روح الايمان تسلمهُ سلطانها في كل ما هو تحت سلطان المجمع

يجب انتخاب ثلاثة فاحصين كل سنة لكي يطوفوا بين جميع الكنائس لاجل فحص الذين اختيروا اساقفةً وتثبيت الذين قبلوا ولاجل الاهتمام باجراء اوامر المجمع

لا شك ان القاري يرى هذا النظام الاول الانجيلي قد وصل في بعض القضايا الى طرف الحكم الكنائسي الجمهوري الَّا انهُ دخل فيهِ بعض المبادي التي من شانها النموُّ وتغيير طبيعتهِ وفيما بعد تعيَّن ستة مناظرين مدة حياتهم عوضًا عن الثلاثة الفاحصين السنويين الذين كان ممكنًا لهم حسب ترتيب الكنيسة الاول ان يكونوا من اعضاء الكنيسة البسيطين وكما سبق القول تعديات هولاء الفاحصين والحكومة اضعفت بالتدريج نشاط واستقلال كنائس هسى واصاب

هذا النظام ما اصاب نظام الرئيس سياس في السنة الثامنة (اي سنة ١٧٩٩ مسيحية) الذي مع انهُ قصد ان يكون جمهوريًّا استُخدِم بواسطة صولة نابوليون بونابارته لاجل اثبات الحكم الملكي المطلق

وذلك لم يقلل اعتبار هذا النظام البسيط فالعلماء الرومانيون عيّروا الاصلاح لاجل جعلهِ الكنيسة نظامًا داخليًا الى درجة مفرطة وفي الواقع الاصلاح والباباوية يقرّان بوجود عنصرين في الكنيسة احدهما داخلي والآخر خارجي واذ تفضل الباباوية العنصر الخارجي ترى الاصلاح يفضل الداخلي ولكن اذا اوجب العار على الاصلاح لاجل حصولهِ على كنيسة داخلية فقط ولاجل عدم خلقهِ كنيسة خارجية فان النظام الغريب الذي ذكرنا الآن شيئًا من مزاياهُ يوفر علينا مشقة الجواب فالترتيب الكنائسي الخارجي الذي نتج حينئذٍ من ذات قلب الاصلاح هو اكمل جدًّا من النظام الباباوي الخارجي

وصارت المسألة حينئذٍ هل تقبل جميع كنائس الاصلاح هذه المبادي. وكل شيء دل على انها تقبلها واتفق الناس في ذلك اعتقدوا بان السلطان الكنائسي صادر من اعضاء الكنيسة وتركوا الطرف الرياسي وتمسكوا بالطرف الجمهوري ولوثيروس نفسهُ اقر بهذا التعليم سنة ١٥٢٣ ووجد الكالكستيون من بوهيميا ان اساقفة بلادهم لم يشاءوا ان يعطوهم قسوسًا فذهبوا واخذوا لهم اول خوري من المطوفين صادفوهُ فكتب اليهم لوثيروس يقول ان لم تكن لكم طريقة اخرى للحصول على رعاة فالأولى ان تستغنوا عنهم ويقرأ كل كبير عائلة الانجيل في بيتهِ ويعمد اولادهُ تائقين الى سر المذبح كما تاق يهود بابل الى اورشليم فان تقديس البابا يوجد خوارنة لا من الله بل من الشيطان لانهم يقامون فقط لكي يدوسوا يسوع المسيح تحت اقدامهم ويبطلوا ذبيحتهُ ويبيعوا للعالم باسمهِ ذبائح وهمية فان الناس انما يصيرون خدامًا للكلمة بواسطة الانتخاب والدعوة ويجب اتمام ذلك على الاسلوب الآتي

اولاً اطلبوا الله بالصلاة ثم اجتمعوا معًا مع جميع الذين قد مس الله قلوبهم ثم

اختاروا باسم الرب ذلك الشخص او اولئك الاشخاص الذين تحسبونهم اهلاً للخدمة ثم دعوا المعتبرين بينكم يضعون ايديهم عليهم ويوصوا بهم الشعب والكنيسة

ان لوثيروس بطلبهِ هكذا من الشعب وحدهُ ان يسموا رعاتهم خضع لضرورة الوقت في بوهيميا فانهُ كان امرًا ضروريًا اقامة خدمة واذ لم يكن الخدمة موجودين لم يكن ممكنًا للكنائس الحصول على الحق الشرعي المختص بها في انتخاب خدام الانجيل . وضرورة اخرى ناتجة كذلك من الحالة الكائنة استمالت بلوثيروس الى ان يحيد في سكسونيا عن المبادي التي كان قد وضعها

ولا يسوغ القول ان الاصلاح الجرماني ابتدا بين الناس من الرتب الدون كما في سويسرا وفرانسا وبالكد وجد لوثيروس ذلك الشعب المسيحي الذي لهُ حق الاختلاط في ترتيبهِ الجديد فان الناس الجهال واهالي القرى اصحاب المجب الذين لم يريدوا ان يعولوا خدامهم هم كانوا اعضاء الكنيسة وماذا يمكن عملهُ بعناصر مثل هذه

ولكن اذا كان عامة الشعب لا يكترثون بذلك فان الامراء لم يكونوا كذلك فانهم وقفوا في المكان الاول من حرب الاصلاح العظيمة وجلسوا في المجالس الاولى في المجمع ولهذا التزم النظام الجمهوري بالتسليم لنظام يطابق السياسة المدنية فان الكنيسة مؤلفة من المسيحيين وهولاء يوخذون حيثما وُجدوا سواء كانوا من الرتبة العليا او الدنيا ووجدهم لوثيروس في رتب سامية على الاكثر فانهُ جعل الامراء كما فعل زوينكل بمجمع المئتين وكلاء الشعب ومن ثم فصاعدًا صارت صولة الحكام من جملة العناصر الاولى في نظام الكنيسة الانجيلية في جرمانيا

وهكذا شرع لوثيروس في المبدا الجمهوري وانتهى بالواقع الى الطرف الاراسطي وربما لم يوجد قط مسافة عظيمة مثل هذه بين المقدمات الموضوعة من انسان والسيرة التي تصرَّف بها وكان لوثيروس قد قطع تلك المسافة المتسعة من دون تردد ولكن ذلك لم ينتج من مجرد عدم ركزهِ على راي بل انما خضع لضروريات العصر. لان قواعد سياسة الكنيسة ليست نظير تعاليم الانجيل مطلقة بل توجيهها

يتوقف نوعًا على ظروف الكنيسة ومع ذلك كان بعض التناقض في اوثيروس فانهُ مرارًا كثيرة ضادَّ نفسهُ نظرًا الى ما اوجبهُ على الامراء وما سلبهُ منهم في الكنيسة وذلك امر لم يكن للمصلح ولا لابناء زمانهِ راي اكيد فيهِ بل تشغلوا بمسائل اخرى اضطروا الى حلّها. وكانت حماية الامراء في عقل اوثيروس وقتية فقط لان المومنين اذ لم يزالوا في طفوليتهم احتاجوا الى حارس ولكن لا بد من مجيء وقت بلوغ الكنيسة وحينئذٍ ياتي وقت عتقها

وكما قلنا في مكان آخر اننا لا نجزم في هذا البحث العظيم عن الكنيسة والحكومة الّا ان بعض الافكار لا يجوز التغاضي عنها فان الله هو المبدا الذي يصدر منهُ كل موجود والذي يجب ان يسوس العالم باسرهِ الجماعات والافراد والحكومة والكنيسة على حدٍّ سواء ولا بد ان لله شغلاً مع الاحكام كما ان للاحكام واجبات لهُ عزَّ وجل والحقوق العظيمة المستودعة بيد الكنيسة تُعطى من العلاء لكي توُّثر في الامة باسرها في الجالس على العرش وفي الفلاح في كوخهِ والملك لا يشترك بهذا النور السماوي نظير فرد فقط بل نظير حاكم لشعبهِ يقبل حكمة الهية فلا بد من وجود الله في الحكومة ولا ريب ان وضع الامم والاحكام والحياة المعشرية والمدنية في الجانب الواحد والله وكلمتهُ وكنيستهُ في الجانب الآخر كانهُ بين الفريقين هوتة عظيمة والحكم بوجوب عدم اجتماع هذه الاشياء معًا هو لا محالة تعدٍّ عظيم على الانسان وعلى الله

واذا اقتضى ان يكون اتحاد عظيم بين هذين الامرين اعني الكنيسة والحكومة فيلزمنا ان نطلب الوسائط الاكثر مناسبة لنوال ذلك فاذا استودع ارشاد الكنيسة بيد الحكم المدني كما كان الحال في سكسونيا فانهُ يوجب سببًا عظيمًا للخوف لئلاَّ تقع حقانيَّة هذا الاتحاد في الارتباك ويمنع نفوذ النعمة الالهية في الامة فان الكنيسة التي تخدمها جماعة مدنية تضحى مرارًا كثيرة لمقاصد سياسية واذ تصير بالتدريج زمنية تخسر نشاطها الاول وهذا حدث في جرمانيا حيث الديانة في بعض الاماكن غاصت في السياسة الزمنية. ولكي يمارس احد الخلائق كل السطوة

التي لهُ لا بد من ان يكون حرًّا مطلقًا في اظهارها فاذا تركت شجرة تنبت من دون حصر في الصحراء تنمو وتثمر اكثر مما تنمو وتثمر لو غرستها في وعاء ووضعتها داخل مخدعك فمثل هذه الشجرة كنيسة المسيح

والالتجاء الى السلطة الزمنية الذي ربما كان في ذلك الوقت ضروريًّا في جرمانيا كانت لهُ نتيجة اخرى ايضًا فانهُ عندما صار المذهب البروتستانتي مصلحة الحكام لم يلبث ان يكون عامًّا فان الروح الجديد كانت لهُ قدرة على ابداع ارض جديدة ولكن عوضًا عن فتح طرق جديدة والعزم على تجديد كل عالم المسيحيين وارجاع العالم باسرهِ تاخر المذهب البروتستانتي وطلب البروتستانت ان يقيموا بقدر ما يمكنهم من الراحة في بعض المقاطعات الجرمانية وهذه الجبانة التي دُعيت فطنة احدثت ضررًا عظيمًا للاصلاح

واذ كُشِفَت القوة الناظمة مرةً في دواوين الامراء افتكر المصلحون بالانتظام واخذ لوثيروس في هذا العمل لانهُ مع كونهِ بنوع خصوصي مقاتلاً وكون كالفينوس ناظمًا لم تكن هاتان الصفتان الضروريتان لمصلحي الكنيسة ومؤسسي الممالك جميعًا مفقودتين في احد خادمي الله هذين العظيمين. وكان ترتيب خدمة جديدة ضروريًّا لان اكثر الخوارنة الذين تركوا البابوية اكتفوا بقبول الاصلاح من دون ان يختبروا بانفسهم قوة الحق المقدسة حتى انهُ في ابرشية واحدة كان الخوري ينادي بالانجيل في كنيسة ويتلو القداس في اخرى . ولزم امرٌ آخر وهو ايجاد شعب مسيحي . قال لوثيروس لبعض اصحاب الاصلاح واأسفاه انهم قد تركوا تعاليمهم وطقوسهم الرومانية وهم يهزأون بما لنا

ان لوثيروس لم يتقاعد امام هذه الضرورة المضاعفة بل اهتم بما يسدها واذ اقتنع بان زيارة عمومية للكنائس هي ضرورية كتب الى الملك المنتخب في هذا المعنى وذلك في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٥٢٦ فقال ان سعادتك نظير حارس للشبان ولجميع الذين لا يعرفون كيف يهتمون بانفسهم يجب عليك ان تلزم الاهالي الذين لا يريدون رعاة ولا مدارس الى قبول وسائط النعمة هذه كما يلزمون

بالشغل في الطرقات والجسورة وما اشبه ذلك واذ قد أُبطِل الترتيب الباباوي يجب عليك ان ترتّب هذه الاشياء . ولا يوجد شخص آخر يكترث بها او يقدر على ذلك او يجب عليهِ ذلك فارسل اذًا اربعة اشخاص لاجل زيارة كل البلاد ودع اثنين منهم يفحصان عن احوال العشور والاملاك الكنائسية ودع الاثنين الباقيين يهتمان في امر التعليم والمدارس والكنائس والرعاة

وربما سُئِل عند قراءة هذه العبارات اذا كانت الكنيسة قد انتظمت في القرن الاول بدون مساعدة الاشراف افما تصلح في القرن السادس عشر بدون مساعدتهم

ان لوثيروس لم يكتفِ بطلبهِ بالكتابة تداخل الامير بل اغتاظ عندما نظر اهل البلاط الذين في ايام الملك المنتخب فردريك اظهروا انفسهم الاعداء الاشداء للاصلاح يهجمون حينئذٍ كما قال على غنائم الكنيسة بالهزل والضحك والقفز طربًا ومن ثم في آخر تلك السنة بعد ان جاء المنتخب الى ومبرج انطلق المصلح حالاً الى البلاط وقدم شكواهُ لابن الملك المنتخب الذي صادفهُ في الباب ثم من دون التفات الى الذين ارادوا منعهُ دخل الى مقصورة الملك المنتخب وخاطب هذا الامير الذي تعجب من هذه الزيارة غير المعهودة فترجاهُ ان يعالج شرور الكنيسة فقر الراي على زيارة الكنائس وأُقيم ملانكثون عمدة لاجل كتابة الارشادات اللازمة

وفي ١٥٢٦ اذاع لوثيروس قداسة الجرماني الذي بهِ اعلن ترتيب خدمة الكنيسة بوجه العموم فقال ان اجتماعات الانجيليين الحقيقيين لا تحدث كيفما كان من دون ترتيب فتقبل الناس من كل صنف بل انما تتالف من مسيحيين صاحين ممن يقرّون بالانجيل بكلامهم واعمالهم ونقدر في وسطهم ان نوبخ ونحرم الذين لا يحيون حسب قاعدة يسوع المسيح فلا يمكني ان انظم مثل هذه الجماعات لانهُ ليس لي من اضعهُ فيهم ولكن اذا صار هذا الشيء ممكنًا فاني لا اقصر في هذا الضرب من الواجبات . والذي حمل ملانكثون على الاجتهاد نظير لوثيروس

في تعليمهِ انما هو اقناعهُ بانهُ يجب ان يعطي الكنيسة لا الترتيب الاحسن على الاطلاق بل الاحسن الممكن للعبادة باعتبار الاحوال والظروف . والاصلاح الجرماني في ذلك الوقت كان كانهُ غيَّر مسلكهُ فانهُ اذا كان لبرت في هسي قد ذهب الى طرف الطريقة الجمهورية كان ملانكثون في سكسونيا يقرب الى الطرف المضاد اعني طرف المبادي التقليدية ووضع مبدا حافظ مكان مبدا مصلح فكتب ملانكثون الى احد الفاحصين ان جميع الطقوس القديمة التي تقدر ان تحفظها اترجاك ان تحفظها ولا تجدد كثيرًا لان كل تجديد هو مضر للشعب

فلذلك ابقوا كتاب الطقس اللاتيني ومزجوا معهُ بعض الترنيمات الجرمانية والشركة بشكل واحد للذين توسوسوا من عادة تناولها تحت الشكلين والاعتراف للخوري من دون التزام بوجه من الوجوه واياماً كثيرة للقديسين والملابس المقدسة وطقوساً اخرى لا ضرر فيها كما قال ملانكثون ولو قال زوينكل بخلاف ذلك وفي الوقت نفسهِ اذاعوا بغير جسارة تعاليم الاصلاح . ويحق لنا ان نقر بفعل الحوادث والظروف بهذه الانتظامات الكنائسية . غير ان سلطان كلمة الله اعلى

وربما عمل ملانكثون كل ما امكن عملهُ في ذلك الوقت ولم يكن بد من تجديد العمل في احد الايام وتوطيدهِ على اركانهِ الاولى وبذلك اشتهر كالفينوس فسُمع صراخ التحيُّر من معسكر رومية ومعسكر الاصلاح فصرخ واحد من المسيحيين الانجيليين قائلاً ان دعوانا قد أُسلمت وسُلبت الحرية التي اعطانا اياها يسوع المسيح

اما البابويون المتطرفون ففرحوا باعتدال ملانكثون وسموهُ رجوعًا واستخدموهُ للافتراء على الاصلاح فاشهر كوكلاوس صورة هائلة كما وصفها هو نفسهُ فيها صورة مسخ ذي سبعة رؤُوس خارج من تحت قلنسوة واحدة كناية عن لوثيروس ولكل راس من تلك الرؤُوس هيئة مختلفة وجميعها تتلفظ معًا بكلمات مخيفة ومتضادة جدًّا وتجادل دائمًا بعضها بعضًا وتمزق وتبتلع بعضها بعضًا

فتحير الملك المنتخب واراد ان يرسل ورقة ملانكثون الى لوثيروس ولكن لم يظهر قط اعتبار المصلح لصديقهِ بطريق اوضح فانهُ لم يزد سوى شيءٍ واحد او شيئين زهيدين على هذه الطريقة وارجعها مصحوبة باعظم المديح . فقال الرومانيون ان النمر قد وقع في شرك فصار يلحس الايدي التي قطعت مخالبهُ ولكن لم يكن الامر هكذا لان لوثيروس علم ان قصد اتعاب ملانكثون هو ان يقوي نفس الاصلاح في جميع كنائس سكسونيا وكان ذلك كافياً لهُ وظن ايضاً انهُ يجب ان يكون في كل شيءٍ تغير بالتدريج واذ كان مقتنعاً بحقٍ ان صديقهُ اعدل منهُ قبل آراءَهُ بكل رضى

فابتدات الزيارة العمومية فان لوثيروس في سكسونيا وسپالاتين في مقاطعات الثنبرج وزيكاو وملانكثون في ثورنجيا وثورين في فرنكونيا مع وكلاء كنائسيين ومساعدين كثيرين من العوام ابتداوا في العمل في تشرين الاول وتشرين الثاني سنة ١٥٢٨

فانهم نفوا الاكليروس بواسطة عزلهم كل خوري ذي عيشة مشككة وعينوا قسماً من اوقاف الكنيسة لاجل العبادة الجمهورية ووضعوا ما بقي بمعزل عن النهب وواظبوا على الغاء الاديرة واوجدوا في كل مكان وحدة التعليم وكتاب التعليم المسيحي الكبير والصغير للوثيروس اللذين ظهرا سنة ١٥٢٩ ساعدا ربما اكثر من اي كتاب آخر على انتشار ايمان الرسل القديم في الكنائس الحديثة والزائرون اوصوا رعاة المدن الكبيرة تحت لقب نظار لكي يحافظوا على الكنائس والمدارس وتمسكوا ببطلان البتولية واذ صار خدام الكلمة ازواجاً وآباء صاروا جرثومة رتبة ثالثة انبعث منها في السنين التابعة بين جميع الرتب العلم والنشاط والنور وذلك من جملة اسباب الفضل العقلي والادبي الذي هو من دون شك يميز الامم الانجيلية عما سواها

ان نظام الكنائس في سكسونيا مع نقائصهِ احدث اقل ما يكون الى حين اهم النتائج وذلك لان كلمة الله غلبت ولانهُ حيثما مارست هذه الكلمة قوتها ابطلت

الضلالات والقبائح الثانوية ونفس التمييز الذي صارت بهِ ممارستهُ كان حقًّا اصالةً من مبدا صالح والمصلحون اذ اختلفوا جدًّا عن الموسوسين ولم يرفضوا بالتمام ترتيبًا بناءً على كونهِ قد فسد فلم يقولوا مثلاً ان الاسرار قد افسدت فلنتركها اوان القسيسية فاسدة فلنرفضها ولكنهم رفضوا الفاسد وارجعوا الصحيح وهذه الفطنة هي علامة عمل من الله واذا سمح لوثيروس احيانًا ان يبقى التبن مع القمح فان كالفينوس قد ظهر بعدهُ ونقى على اكمل منوال البيدر المسيحي

والنظام الذي جرى في ذلك الوقت في سكسونيا احدث مفعولاً قويًّا في المملكة الجرمانية باسرها فتقدم تعليم الانجيل بقوة وعزم شديد وقصد الله في تحويلهِ عن الاقاليم المصلحة الجرمانية الصاعقة التي اوقعها على المدينة ذات السبعة الجبال ظهر بوضوح ولم تمر قط سنون صُرِفت على اكثر فائدة من تلك والاصلاح لم يتفرغ لترتيب نظام فقط بل لاجل نشر تعاليمهِ

ان دوكية لوينبرج وبرنسويك وكثير من المدن الملوكية الاكثر اعتبارًا مثل نورمبرج واوجسبرج واولم وستراسبرج وغوتنجن وغوسلار ونرد هوسن ولوبك وبريمان وهمبرج نزعت الشموع من المعابد ووضعت مكانها مصباحًا انور اي كلمة الله. فباطلاً استعان الرهبان الخائفون بسلطان الكنيسة فاجاب كمبي وزاغنهاجن مصلح همبرج ان سلطان الكنيسة لا يمكن التسليم بهِ ما لم تطع الكنيسة نفسها راعيها يسوع المسيح فزار بوميرانوس عدة اماكن لكي يكمل الاصلاح فيها

وفي فرنكونيا الوالي جرجس من برندنبرج بعد ان اصلح انسباخ وبايروث كتب الى محاميهِ القديم فرديننند من اوستريا الذي جعد حاجبيهِ عند ما بلغتهُ اخبار هذه الاعمال يقول اني قد فعلت هكذا بامر الله لانهُ يامر الولاة ان يهتموا لا باجساد رعاياهم فقط بل ايضًا بانفسهم

وفي شرقي فرسيلند في اول يوم من سنة ١٥٢٧ راهب دومينيكي يقال لهُ ريسيوس بعد ان لبس قلنسوتهُ تبوأ المنبر في نوردين وقال انهُ مستعد لان يحامي عن بعض القضايا بحسب نص الانجيل وبعد ان اسكت ريسيوس رئيس نوردين

بصحة احتجاجاتهِ خلع ثوبهُ الرهباني وتركهُ على المنبر وقبل في الخورس بتهاليل المؤمنين ولم يمضِ الاَّ قليل حتى طرحت فرسيلند باسرها زي البابا وية كما فعل ريسيوس

وفي برلين اليصابات منتخبة برندنبرج بعد ان قرأَت تآليف لوثيروس شعرت برغبة في ان نتناول عشية الرب حسب ترتيب المسيح وناولها قسيس سرًّا في عيد الفصح سنة ١٥٢٨ الاَّ ان واحدًا من اولادها اخبر الملك المنتخب بذلك فاغتاظ يواقيم جدًّا وامر زوجتهُ ان تبقى في مخدعها اياماً عديدة وشاع ايضاً انهُ قصد ان يحبسها وهذه الاميرة لما فقدت كل عاضد ديني واذ لم تركن الى الخوارنة الرومانيين عزمت على النجاة بواسطة الهرب حتى تطلب مساعدة اخيها خريستيان الثاني من دنيمارك الذي كان مقيماً حينئذٍ في تورغو وفي ليلة مظلمة خرجت من القصر بثياب فلاحة ودخلت في عربانة خشنة كانت في انتظارها عند باب المدينة واذ كانت اليصابات تستكد السائق على طريق ردي انكسرت العربانة فحلت المنتخبة سريعاً منديلاً كانت تعصبت بهِ والقتهُ الى الرجل فاستعملهُ في اصلاح العطل ولم يمضِ الاَّ قليل حتى وصلت اليصابات الى تورغو فقالت لخالها منتخب سكسونيا اذا كنت نقع في شيء من الخطر بسببي فانا مستعدة لان اذهب الى حيثما ذهبت بي العناية الالهية ولكن يوحنا عيَّن لها منزلاً في قصر لختنبرج على نهر الالب بالقرب من وتنبرج . ومن دون ان نمدح هرب اليصابات فلنقر بالخير الذي حصلتهُ العناية الالهية بواسطتهِ فان هذه السيدة المحبوبة عاشت في لختنبرج في درس كلامهِ عزَّ وجل . وقل ما كانت تُرَى في البلاط وكانت مرارًا كثيرة تذهب لكي تسمع مواعظ لوثيروس واستعملت صولتها على اولادها لاجل صالحهم الروحي عندما أُذِن لهم احياناً برؤيتها وكانت الاولى بين تلك الاميرات الفاضلات اللواتي احصاهنَّ بيت برندنبرج ولا يزال يحصيهنَّ بين اعضائهِ

وفي الوقت نفسهِ انحازت مع الاصلاح هلستين وسلاسويك وسيليسيا واما

بلاد المجيار وبوهيميا ففيهما زاد عدد اصحابهِ . وفي كل مكان عوضًا عن رياسة تطلب برها في الاعمال ومجدها في الفخر الخارجي وقوتها في قوة مادية ظهرت ثانيةً كنيسة الرسل متواضعة كما في القديم ومنتظرة كالمسيحيين الاولين برها ومجدها وقوتها من دم الحمل وكلمة الله فقط

الفصل الرابع

الاضطهاد . تزوير باك . معاهدة امراء الاصلاح . نشاط الاصلاح

ان انتصارات الانجيل المذكورة لم تستتر ومن قبل رد الفعل الاقوى الحاصل لم تسمح الظروف السياسية بمقاومة الاصلاح في نفس البلاد التي قام فيها ولا بالحرب ضدهُ بواسطة المجامع ولا بالاجناد فاخذ الاخصام يضطهدونهُ هنا وهناك في البلدان الرومانية بالعذابات والقتل

وفي ٢٠ آب سنة ١٥٢٧ الملك فرديننـد بواسطة حكم اصدرهُ في اوفن من بلاد المجيار اشهر قائمة الذنوب والقصاصات واوجب القتل بالسيف او بالنار او بالماء (روٌ ١٢ : ١١) على كل من قال ان مريم هي كباقي النساء او يشترك في الافخارستيا بطريق اراتيكي او يقدس الخبز والخمر وهو ليس خوريًا رومانيًا والبيت الذي يتناول فيهِ السر يضبط او يهدم الى الارض

اما شريعة لوثيروس فلم تكن مثل تلك فانهُ اذ سالهُ لنك هل يجوز للولاة ان يقتلوا الانبياء الكذبة يريد بذلك السريين الذين قاوم لوثيروس تعاليمهم بنشاط هذا مقدارهُ اجابهُ اني لا ارغب قتل احد ولو كان مذنبًا فلا يمكن ان نسلم بان المعلمين الكاذبين يقتلون بل يكفي عزلهم . وكان قد مضى على رومية عدة قرون وهي تستحم بالدم ولوثيروس هو اول من اقر بمبادي الانسانية العظيمة وبالحرية الدينية .

ثم التجأ البابا ويبون الى وسائط اسرع من قطع الراس فان جرجس ونكلار راعي ها لى أُحضِر امام رئيس الاساقفة البرت في ربيع سنة ١٥٢٧ بسبب مناولتهِ عشية الرب تحت الشكلين ثم أُطلِق اخيرًا وبينما كان هذا القسيس راجعًا الى بيتهِ في طريق غير مطروقة في وسط الاحراش هجم عليهِ بغتةً جماعة من الخيالة فقتلوهُ وهربوا حالاً في الغابات من دون ان ياخذوا شيئًا ما عندهُ . وقال لوثيروس ان العالم هو مغارة قتلة تحت امر الشرير وحانةٌ صاحبها لص وعليها هذه العلامة الاكاذيب والقتل ولا يقتل احد فيها باوفر سهولة من الذين ينادون بيسوع المسيح

وفي مونيخ جرجس كربنتار سيق الى القتل لاجل انكارهِ ان معمودية الماء قادرة من نفسها ان تخلص الانسان فقال البعض من اخوتهِ عند ما تُطرَح في النار اعطِنا علامة نعرف بها انك ثابت في الايمان فاجاب ما دمت قادرًا على فتح فمي اعترف باسم الرب يسوع فبسطهُ السياف على سلم وربط كيس بارود حول عنقهِ وحينئذٍ القاهُ في النار فصرخ كربنتار في الحال يا يسوع يا يسوع واذ كان السياف يقلبهُ تكرارًا بواسطة صنارتهِ قال الشهيد مرارًا يا يسوع وتوفي

وفي لندسبرج حُرِق تسعة اشخاص وفي مونيخ تسعة وعشرون شخصًا طُرِحوا في الماء وفي سخارد بن ليونرد كيسار تلميذ لوثيروس وصديقهُ بعد ان حكم عليهِ الاسقف حُلِق راسهُ ثم البسوهُ قميصًا واركبوهُ على حصان وكان السيافون يلعنون ويحلفون لانهم لم يقدروا على فك الحبال التي كانوا عنيدين ان يربطوهُ بها فقال لهم بوداعة ايها الاحباء الاعزاء ان رُبُطكم غير لازمة فان ربي يسوع قد ربطني وعند ما دنا من المحرقة نظر الى الجميع وصرخ قائلاً هوذا الحصاد يا سيد فارسل الفعلة ثم صعد على المشهد وقال يا يسوع خلصني فاني الك وهي كلماته الاخيرة . وعند ما بلغ لوثيروس خبر موتهِ قال من انا . لستُ الاّ واعظًا هاذرًا بالنظر الى هذا العامل العظيم . وهكذا اظهر الاصلاح بواسطة اعمال عظيمة كهذه الحق الذي جاء لاجل اثباتهِ يعني ان الايمان ليس كما تزعم رومية معرفة تاريخية

باكلة ميتة بل هو ايمان حي عمل الروح القدس والقناة التي بها يملأ يسوع القلب رغبة جديدة وعواطف جديدة وعبادة الله الحي الحقيقية

وهذه الاستشهادات ملأت جرمانيا رعبة وحلّت اخواف محزنة على كل رتبة من رتب الناس وحول المواقد في ليالي الشتاء الطويلة كان الحديث يتّجه نحو السجون والعذابات والمشاهد والشهداء واخف صوت اخاف النساء والاولاد وهذه الاخبار كانت تزداد قوة في نقلها من فم الى فم واخبار اتحاد عمومي ضد الاصلاح انبثّت في المملكة باسرها واعداء الانجيل انتهزوا الفرصة في تلك الاهوال واشاعوا بطريقة سرية بانهُ في تلك السنة (١٥٢٨) لابد من اعمال فعالة لمضادة الاصلاح . ورجل من رعاع الناس اسمهُ پاك قصد ان يستفيد من تلك الحالة لاجل تحصيل المال

ان اوتو پاك نائب الكاتب عند جرجس دوك سكسونيا كان رجلاً محتالاً وصاحب خلاعة واستعان بوظيفتهِ واستعمل جميع انواع الحيَل لتحصيل المال ولما ارسلهُ الدوك الى نورمبرج نائبًا عنهُ استامنهُ اسقف مرسيبرج على الاموال التي كانت متوجبة عليهِ لجانب الحكومة الامبراطورية واذ طُلِب المال فيما بعد من الاسقف الموما اليهِ قال پاك انهُ دفعهُ لرجل من اهالي نورمبرج واظهر امضاءهُ وختمهُ وكانت تلك الورقة مزوَّرة وزورها پاك نفسهُ فاوقح الشقي وجههُ ونجا بذلك من اثبات الذنب عليهِ وبقي عند مولاهُ على ما كان عليهِ من الاركان اليهِ ولم يمضِ الاّ قليل حتى حصلت لهُ فرصة لاستعمال نفاقهِ في امر اعظم

ولم يكن عند احد شكوك في الباباويين اكثر مما عند امير هسى وكان صغير السن ونبيهًا ونشيطًا متيقظًا ففي شهر شباط سنة ١٥٢٨ كان پاك في كاسل لاجل مساعدة فيلبس في مصلحة صعبة فاظهر لهُ الامير مخاوفهُ . واذا كان احد خبيرًا في مقاصد الباباويين فلا بد ان ذلك الشخص هو نائب كاتب الرجل الاشد عداوة للاصلاح . اما پاك المحتال فتنفس الصعداء واطرق بنظرهِ وبقي صامتًا فاضطرب فيلبس حالاً وترجاهُ ووعد بانهُ لا يعمل شيئًا يكون منهُ

ضرر للدوك وحينئذٍ پاك كانهُ يتاسف على استخلاص سر عظيم منهُ اقرَّ بانهُ قد صار اتحاد ضد اللوثرانيين في بريسلو يوم الاربعاء الواقع بعد احد البوبيل في ١٢ ايار سنة ١٥٢٧ ووعد بانهُ يحصّل اصل هذا الاتفاق للامير الذي وعدهُ بعشرة آلاف فلوريني جزاء لهذه الخدمة وهذا كان اعظم الاعمال التي مارسها هذا الرجل الشقي في مدة حياتهِ ولو تم لآل الى خراب المملكة خرابًا تامًّا

فتعجب الامير الاَّ انهُ ضبط نفسهُ اذ اراد ان يرى بعينيهِ ذلك الاتحاد قبل ان يخبر اصحاب عهدهِ بهِ ومن ثم انطلق الى درسدن فقال پاك انني لااقدر ان احصّل لك الاصل فان الدوك يحملهُ دائمًا معهُ لكي يقراهُ للامراء الآخرين الذين يريد ان يستجلبهم اليهِ وقد اراهُ حديثًا في ليپسك لهنري دوك برنسويك ولكن هذه صورتهُ قد نُسِخَت بامر سعادتهِ فتناول الشريف الصورة التي كانت عليها كل علامات الصحة التامة وكانت مصلبة بشريطة من حرير اسود ومختومة من الطرفين بختم ديوان الدوك ومن اعلاهُ رسم ختم الدوك جرجس الذي كان دائمًا يلبسهُ في اصبعهِ ذي الثلاث تربيعات التي راها فيلبس مرارًا كثيرة وفي اعلاها التاج الصغير وفي اسفلها الاسدان فلم يبقَ عندهُ شك في صحتها . ومَن يصف غضبهُ عندما قرا هذه الورقة المملوءة خيانة فان الملك فرديناند ومنتخبي منتز وبرندنبرج والدوك جرجس السكسوني وامراء باڤاريا واساقفة سلزبرج واورتزبرج وبمبرج دخلوا في اتفاق على ان يطلبوا من منتخب سكسونيا ان يسلم رئيس الاراتقة لوثيروس وجميع الخوارنة والرهبان والراهبات المتمردين وان يرجعوا العبادة القديمة. وان لم يجب الى ذلك توخذ منهُ مقاطعتهُ وهو وكل ذريتهِ يخلعون من الحكم الى الابد . وهذا العمل نفسهُ يجري بعد على الامير غير ان مقاطعاتهِ ترجع لهُ نظرًا الى صغر سنهِ اذا تصالح تمامًا مع الكنيسة المقدسة. وعند ذلك قال پاك لفيلبس ان عمك هو الذي زاد هذه العبارة الاخيرة وذُكِر ايضًا في تلك الورقة عدة الرجال وكمية الدراهم التي يقدمها كل واحد من المتعاهدين والنصيب الذي يكون لكل واحد منهم من غنيمة الاميرين الاراتيكيين

ان ظروفًا كثيرة دلت على صحة تلك الورقة فان فرديننـد ويواقيم من برندنبرج وجرجس من سكسونيا كانوا قد اجتمعوا في بريسلو في اليوم المذكور واميرِ انجيلي اي الامير جرجس راى يواقيم وهو خارج من منزل فرديننـد وفي يدهِ درج كبير عليهِ عدة ختومة . فامر الامير المضطرب من ذلك ان توخذ نسخة ذلك الدرج ووعد بحفظ السر الى حين ودفع اياك اربعة آلاف فلوريني ووعد بتكميل المبلغ الواقع عليهِ الرضى اذا حصَّل لهُ الاصل وحينئذٍ طلبًا لمنع الهياج بادر الى ويمر لكي يخبر المنتخب بهذا الانفاق الذي لم يسبق لهُ نظير

فقال ليوحنا وابنهِ اني قد رايت لا بل كان بيدي صورة هذا الاتفاق الهائل ولم ينقصها شيء من الامضاوات والختومة وهذه هي صورتهُ وانا واعدك بان اضع امام عينيك الاصل فان افظع الاخطار يتهددنا نحن ورعايانا الامناء وكلمة الله

ولم يكن للمنتخب سبب يشككهُ في الخبر الذي اخبرهُ الامير بهِ فاندهل وارتبك وتحيَّر . وراى ان لا شيء يصد هذه المصائب التي لم يسبق مثلها الَّا المبادرة حالاً الى استعمال وسائط منعها وايقاع كل شيء تحت الخطر لاجل تخليصهم من الهلاك . وفيلبس الجسور تنفس نارًا ولهيبًا واعتمد على طريقة للمحاماة فاعرض ذلك وفي الدقيقة الاولى من الاضطراب وافقهُ قرينهُ وفي ٩ اذار سنة ١٥٢٨ اطبق راي الاميرين على استعمال كل قواتهما للمدافعة عن انفسهما وايضًا على ان يبتدئا في النضال ويضحيا الحياة والشرف والرتبة والرعايا والاملاك لكي يحفظا كلمة الله وامراء بروسيا ومكلنبرج ولونيبرج وبوميرانيا وملكا دنيمارك وبولند ومرغريف وبرندنبرج كانوا عتيدين ان يدعوا الى الدخول في ذلك الاتفاق وتعيَّن ست مئة الف فلوريني لاجل مصاريف الحرب ولاجل جمع ذلك عزموا على دفع اجورهم وارهان مدنهم وبيع التقدمات في الكنائس وكانا قد ابتدآ في تجميع جيوش قوية فذهب الامير بنفسهِ الى نورمبرج وانسباخ وكانت المناداة عمومية في تلك البلدان وشعرت جرمانيا باسرها بهذه الحركة حتى اتصلت الى خارجها ويوحنا زابوليا ملك المجيار الذي كان في ذلك الوقت ملتجئًا في كراكو

وعد بمئة الف فلوريني لاجل تجهيز عسكر وعشرين الفًا كل شهر لاجل اعالتهِ وهكذا روح ضلال اضل الامراء ولو حمل هذا الروح المصلحين ايضًا لكان دمار الاصلاح قريبًا

الّا ان الله كان ساهرًا عليهم واذ استند لوثيروس وملانكثون على الصخرة اجابا بقولهما مكتوب لا تجرب الرب الهك . وهذان الرجلان اللذان عليهما الخطر وهما اللذان طُلِب تسليمها لسلطان البابا لما رايا الامير الفتى قد سحب سيفهُ والمنتخب الشيخ قد وضع يدهُ على الفرند صرخا وصراخهما الذي سُمِع في السماء انقذ الاصلاح

فارسل حالاً لوثيروس وبوميرانيوس وملانكثون النصيحة الآتية الى الملك المنتخب وهي على كل حال لا تدع القتال يبتدئ من جهتنا ولا تدع الدم يسفك بسببنا بل دعنا ننتظر العدو ونطلب السلامة وارسل سفيرًا الى الامبراطور يخبرهُ بهذا المقصد المكروه

وهكذا ترى ان ايمان ابناء الله الذي يحتقرهُ جدًّا اصحاب السياسة قادهم الى طريق مستقيم عندما ضل فيها اصحاب الحكومة . قال المنتخب وابنهُ للامير انهما لا يبتدئان فوقع فيلبس في الحيرة وسال قائلاً اليست استعدادات البابا وبين مستحقة المدافعة فهل نتوعد بالحرب ولا نحارب وهل نضرم بغضة اعدائنا ونعطيهم فرصة لتجهيز عساكرهم . كلّا كلّا بل لنتقدم فاننا بذلك فقط نحصل على صلح شريف . فاجاب المصلح اذا كان الامير يرغب في ان يبتدئ بالحرب فان المنتخب لا يلتزم بحفظ العهد لانهُ يجب علينا ان نطيع الله اكثر من الناس فان الله والاستقامة هما فوق كل اتفاق فلنحترز من ان ننقش صورة الشيطان على ابوابنا وندعوهُ الينا شبينًا لنا . ولكن اذا حورب الامير فان المنتخب يجب ان يذهب الى مساعدتهِ لان ارادة الله هي ان نحفظ عهدنا . وهذه النصيحة التي قدمها المصلحون كانت غالية عليهم فانهُ لم يكابد قط انسان قضي عليهِ بالعذاب العقاب الذي كابدوهُ والمخاوف التي هيجها الامير لحقتها الاهوال التي احدثتها الامراء البابا وبون

وهذه التجربة الشاقة تركتهم في ضيق عظيم فصرخ ملانكثون انني قد ذُبتُ حزنًا وهذه الكآبة توقعني في اشد العذاب ثم قال والنهاية نلاقيها على ركبنا امام الله

واذ انجذب الملك المنتخب الى جهات مختلفة بواسطة اللاهوتيين واصحاب السياسة سلك اخيرًا في طريق متوسط فعزم على جمع عسكر ولكن لاجل نوال الصلح فقط كما قال اما فيلبس والي هسي فسلم اخيرًا وفي الحال ارسل نسخًا من العهد المشهور الى الدوك جرجس والى امراء باڤاريا والى وكلاء الامبراطور طالبًا منهم ان يرفضوا مثل تلك المقاصد القاسية وقال لعمهِ احب اليَّ ان يقطع احد اعضائي من ان اعرف انك عضو لمثل هذه المعاهدة

فتعجب ارباب دواوين جرمانيا عند ما قراوا هذه الورقة تعجبًا يفوق الوصف فجاوب الدوك جرجس الامير حالاً بانهُ قد سلم نفسهُ للغش بواسطة اكاذيب لا معنى لها وان الذي ادَّعى بانهُ قد راى اصل هذا العمل هو كذاب مشهور ومنافق مصرٌّ على النفاق وطلب من الامير ان يسلمهُ لئلاَّ يظن بهِ انهُ هو نفسهُ مخترع ذلك التزوير الجسور والملك فردينند ومنتخب برندنبرج وجميع المتفقين الموهومين اجابوا باجوبة كهذا الجواب

فراى فيلبس انهُ قد انخدع ولم يكن شيءٌ يفوق خزيهُ الاَّ شدة رجزهِ وهو في هذه القضية اثبت تعريفات اعدائهِ الذين وصفوهُ بكونهِ شابًا ذا حرارة واوقع في ارتباك عظيم دعوى الاصلاح ودعاوي شعبهِ وقال فيما بعد ان هذا العمل حدث ولكنهُ لا يمكن ان يحدث الآن ولم يكن شيءٌ مما فعلتهُ في كل حياتي قد اغاظني اكثر من هذا الامر

فهرب پاك بخوف الى الامير فامر الامير بالقاء القبض عليهِ فاجتمع في كاسيل وكلاء من قبل الامراء الذين اوقعهم هذا المحتال في الصعوبات وبادروا الى فحصهِ فادَّعى ان الصورة الاصلية لهذا الاتفاق قد وُجدت حقًّا في سجلات درسدن وفي السنة التالية نفاهُ الامير من هسي مبرهنًا بذلك انهُ لا يخافهُ ثم ظهر پاك بعد ذلك في بلجيوم و بطالب من الدوك جرجس الذي لم يبدِ قط شيئًا من

الشفقة نحوهُ قُبض عليهِ وعذِّب واخيرًا ضُرِب عنقهُ

ان الامير لم يرضَ بالتجائهِ الى السلاح من دون غاية فهجم على اسقف ومنتخب متز والزمهُ في ١١ تموز سنة ١٥٢٨ بعد وقعة هرزكرخن ان يرفض كل سياسة روحية في سكسونيا وفي هسى وذلك لم يكن امرًا قليل الفائدة

وحالما أُلقي السلاح جانبًا اخذ لوثيروس قلمهُ وابتدا بحرب من نوع آخر فكتب الى لِنك يقول ان الامراء المنافقين ولئن يقوا مصرين على انكار هذه القضية ما شاءوا فاني انا متيقن ان ذلك ليس هو امرًا وهميًا وهولاء لا يشبعون ولا يستريحون حتى يروا جرمانيا باسرها تفيض بالدماء. وفكر لوثيروس هذا كان فكر الجمهور وقيل ان الورقة التي قدِّمت للامير ربما كانت تزوير پاك الّا ان كل هذا البناء لا بد انهُ مبني على اساس ذلك الاتفاق وان لم يتم فانهُ قد شُرِع بهِ

وكانت عواقب هذا الامر محزنة فانها احدثت انقسامًا في حضن الاصلاح وهيجت البغضة بين الحزبين والشرار الخارجة من حريق كيسار وونكلر وكرينتر وشهداء اخرين متعددين زادت قوة النار التي كادت تضرم المملكة فتحت هذه الظروف الخطرة وهذه التهديدات انفتح مجمع سپيرس في اذار سنة ١٥٢٩ فاستعدت المملكة والباباوية في الحقيقة لاهلاك الاصلاح ولئن كان ذلك بطريق يختلف عما ادَّعى بهِ پاك وصارت المسئلة هل في الكنيسة المحيية قوة حية اكثر مما وُجدت في طوائف كثيرة جدًّا قد سحقتها رومية ولاجل الحظ السعيد كان الايمان قد نما والنظام الذي أُعطي للكنيسة كان قد اكسب المتمسكين بهِ اعظم قوة فعزم الجميع على المحاماة عن تعليم خالص مثل ذلك وعن سياسة كنائسية افضل جدًّا مما للباباوية وفي مدة ثلاث سنوات مقرونة بالهدو مدَّت شجرة الانجيل اصولها الى العمق حتى اذا هب العاصف لا يمكنهُ ان يقتلعها

الفصل الخامس

الاتحاد بين كرلوس واكليمنضوس السابع . خطر الاصلاح . ثبات الامراء . غضب فردينند . الانفصال عن رومية تماماً

ان نهب رومية بتهييجه المتمسكين بالبابا وية انهض جميع اعداء كرلوس الخامس والجيش الفرنساوي تحت قيادة لوتريك الزم الجيش الملكي الذي اضعفتهُ لذات كابوا الجديدة ان يخبي نفسهُ داخل اسوار نابلي ودوريا في مقدمة سفنهِ الجنويسيَّة كان قد اهلك المراكب الاسبانيولية وظهرت القوة الملكية كانها قريبة النهاية في ايطاليا الَّا ان دوريا انحاز بغتةً مع الامبراطور والوبا اهلك لوتريك ونصف جيشهِ وكرلوس الذي لم يكن عليهِ شيء الَّا الخوف عانق ايضاً السلطة بعزم ثابت على الاتحاد من ثم وصاعداً اتحاداً قويًّا مع الحبر الذي كاد اذلالهُ يكلفهُ كلفة باهظة واكليمنضوس السابع اذ سمع اهالي ايطاليا يفترون عليهِ وانكروا عليهِ اسم بابا بسبب ولادتهِ غير الشرعية قال بصوت عالٍ انهُ احب اليهِ ان يكون سائس الامبراطور ولا يكون سخرية شعبهِ وفي ٢٩ تموز سنة ١٥٢٨ ختمت شروط الصلح بين روساء المملكة والكنيسة في برسلونا وبُني على اهلاك الاراتقة وفي تشرين الثاني طلب انعقاد مجمع في سپيرس في ٢١ شباط ١٥٢٩ وكان كرلوس عازماً على الاجتهاد اولاً في ملاشاة الاصلاح بصوت اتفاقي وان لم تكفِ تلك الواسطة كان مستعداً لاستعمال كل قوتهِ ضدهِ وبعد تعيين الطريق على هذا المنوال اخذوا يسيرون فيهِ

ان جرمانيا شعرت بعظمة هذا الامر فملأت الاوهام المحزنة كل عقل وفي اواسط كانون الثاني ظهر نور في الجو بدَّد بغتةً ظلام الليل . فقال لوثيروس على ماذا يدل ذلك لا يعلم احد الَّا الله . وفي اوائل نيسان شاع خبر زلزلة

ابتلعت قلعًا ومدنًا ومقاطعات كاملة في كارنثيا واوستريا وشقت برج كنيسة مار مرقس في فينيسيا الى اربعة اقسام. فقال المصلح اذا كان ذلك صحيحًا فان هذه العلامات هي مقدمات يوم يسوع المسيح . وقال المنجمون ان منظر المشتري وعطارد في التربيع ووضع النجوم بوجه العموم مخيف ومياه نهر الألب انعكرت وقويت والحجارة سقطت عن اسطحة الكنائس . فصرخ ملانكثون الخائف ان جميع هذه الاشياء تخيفني خوفًا ليس بقليل. والمكاتيب الداعية الى المجمع الصادرة عن امر الحكومة الامبراطورية اتفقت اتفاقًا جيدًا مع هذه العلامات والامبراطور كتب من توليدو الى الملك المنتخب يفرقهُ بانهُ مهيج الفتنة والعصاوة وكانت عبارات الخوف تنتقل من فم الى فم همسًا وهذه الامور كانت كافية لاسقاط الضعفاء وهنري دوك مكلنبرج والمنتخب البلاتيني رجعا بسرعة الى جانب البابا وية . وحزب الاكليروس لم يظهر قط في المجمع بمثل ذلك العدد وبتلك القوة والعزم وفي ٥ اذار فرد يننـد رئيس المجمع وبعدهُ امراء باڤاريا وبعدهم منتخبا متز وتراويس دخلوا ابواب سپيرْس محفوفين بزمرة غفيرة مسلحة . وفي ١٣ اذار وصل منتخب سكسونيا ومعهُ ملانكثون واغريكولا لا غير واما فيلبس امير هسى فحسب طبيعتهِ دخل المدينة في ١٨ اذار بصوت الابواق مصحوبًا بمئتي فارس

وظهر سريعًا اختلاف عقول الناس فلم يكن باباوي يصادف انجيليًا في الاسواق من دون ان ينظر اليهِ شزرًا ويتهددهُ سرًا بمقاصد موذية. اما المنتخب البلاتيني فمر باهالي سكسونيا كانهُ لم يعرفهم ومع ان يوحنا منتخب سكسونيا كان اعظم المنتخبين لم يات احد من روساء بقية الاحزاب المضادة لزيارتهِ والامراء الرومانيون الباباويون وهم جالسون حول موائدهم بانوا كانهم منهمكون في امور خطرة

ولم يمضِ الاَّ قليل حتى اظهروا عداوتهم فمُنع المنتخب والامير من ان ينادى بالانجيل في منازلها وقيل ايضًا في ذلك الوقت الباكر ان يوحنا سوف يُطرَد من سپيرْس ويخلع من وظيفتهِ. فقال ملانكثون اننا نفاية ورذالة العالم الآن

المسيح سوف ينظر الى شعبهِ المسكين ويحفظهُ وفي الحقيقة كان الله مع شهود كلمتهِ واهالي سپيرس كانوا متعطشين الى الانجيل وكتب المنتخب الى ابنهِ في احد الشعانين يقول نحو ثمانية آلاف شخص كانوا حاضرين اليوم في كنيستي في صلاة الصباح وصلوة المساء

اما الحزب الروماني فاسرع في تدابيرهِ وكانت بسيطة ونشيطة اي ابطال الحرية الدينية التي كانت قد مكثت اكثر من ثلاث سنين ولاجل هذه الغاية لزم ابطال حكم سنة ١٥٢٦ واحياءُ حكم سنة ١٥٢١

وفي ١٥ اذار اخبر وكلاء الامبراطور المجمع بان الحكم الاخير الصادر من مجمع سپيرس الذي اعطى جميع المقاطعات الحرية في ان يتصرفوا حسب ضمائرهم قد احدث اضطرابات كثيرة ولذلك ابطلهُ الامبراطور بسلطانهِ المطلق . وهذا العمل المطلق الذي لم يسبق لهُ مثل في المملكة وكذلك الكلام القاسي الذي اشهرهُ بهِ ملأ المسيحيين غيظًا واحتسابًا فصرخ ستورم ان المسيح قد وقع ايضًا في ايدي قيافا وبيلاطس

فاقيمت عمدة لفحص الحكم الامبراطوري المذكور وبين اعضاء تلك العمدة رئيس اساقفة سلزبرج وفابر وأك اعني اشد اعداء الاصلاح فقال فابر ان البرابرة هم احسن من اللوثرانيين لانهم يحفظون ايام الصوم واما اللوثرانيون فانهم يتعدونها قال ملانكثون ان فابر كل يوم امام محفل تام يرمينا نحن الانجيليين بحجر جديد ثم قال لو اردت ان اخبر بكل هذه التجاديف فما كان احزن القصص التي اذكرها

فطلب الخوارنة اجراء حكم ورمس سنة ١٥٢١ واما اعضاء العمدة الانجيليون الذين من جملتهم منتخب سكسونيا وستورم فطلبوا بعكس ذلك ابقاء حكم سپيرس سنة ١٥٢٦ وهكذا بقي الانجيليون داخل حدود الاصول مع ان اخصامهم ارادوا الاغتصاب وفي الواقع اذ كان قد حصل ترتيب جديد في المملكة لم يكن لاحد سلطان على نقضهِ واذا اراد المجمع ان يبطل عنفًا ما قد ثبت رسميًّا

منذ ثلاث سنوات فكان للايالات الانجيلية حتى في مضادتهِ واكثر اعضاء العمدة شعروا بان ارجاع الترتيب القديم بكون منهُ انقلاب ليس باقل من الاصلاح نفسهِ فكيف يمكنهم ان يخضعوا ثانيةً لرومية واكليروسها اولئك الشعوب الذين فاضت في قلوبهم كلمة الله بغنى عظيم هكذا ولاجل هذا السبب رفض الجانب الكبير من العمدة طلب الخوارنة والانجيليين وحكموا في ٢٤ اذار بان كل تجديد ديني يجب ان يمنع في الاماكن التي قد اجري فيها حكم ورمس وانهُ في الاماكن التي فيها زاغ الشعب عنهُ ولم يقدروا ان يطيعوهُ من دون خطر الحركة يجب ان يمتنعوا اقلما يكون عن احداث اصلاح جديد وعن الاخذ في قضايا خلافية وعن ان يضادوا عمل القداس وان لا يسمحوا للروماني باباوي بقبول المذهب اللوثراني وان لا يابوا من قبول الرياسة الاسقفية ولا يحتملوا الذين يمنعون عماد الاطفال او يناوءون الاسرار. اي ابقاء كل شيء على حالهِ ولا نصير تلمذة فهذه هي خلاصة ذلك الحكم

فلم يعطِ الاكثرون صوتهم كما في سنة ١٥٢٦ لان الريح قد تحولت ضد الانجيل ومن ثم هذه القضية بعد ان تاخرت بعض الايام بواسطة عيد الفصح طُرِحت امام المجمع في ٦ نيسان وتثبتت في ٧ منهُ

فان صار ذلك الحكم شريعة لا يعود يمكن للاصلاح ان يمتد الى الاماكن التي لم يبلغ اليها الى ذلك الوقت ولا ان يثبت على اساس راهن في الاماكن التي وُجد بها وارجاع الرياسة الرومانية المتفق عليها في الحكم المذكور لا بد ان يرجع انواع الفساد القديمة واقل الزيغان عن هذا الامر المغيظ بهذا المقدار يفتح بسهولة للباباويين سبيلاً وعذرًا لتتميم خراب عمل قد تزعزع بهذا المقدار.

ثم ان الملك المنتخب والامير ومرغريف برندنبرج وامير انهلت وكاتب لونيبرج من الجانب الواحد ووكلاء المدن من الجانب الآخر تشاوروا معًا. كان عتيد ان يخرج من هذا المحفل امر جديد بالتمام. فلو ملكتهم محبة الذات لربما قبلوا ذلك الحكم. بالظاهر تُرِكوا لحريتهم اقلما يكون في ظاهر الامر من جهة الاقرار

بايمانهم فهل يجب ان يطلبوا اكثر من ذلك وهل يقدروا على ذلك وهل كانوا ملتزمين ان يقيموا انفسهم محامين عن حرية الضمير في العالم باسره. وربما لم يكن قط حالة اصعب من حالتهم هذه. وهولاء القوم الكرماء خرجوا من تلك التجربة غالبين . فهل يجعلون المشنقة والمحرقة امرًا شرعيًّا سلفًا وهل يضادون الروح القدس في عمله عند ارجاعه الانفس الى المسيح وهل ينسون وصية معلمهم انطلقوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها واذا اراد احد اقاليم المملكة ان يقتدي بهم ويقبل الاصلاح فهل ينزعون منهُ اقتدارهُ على اجراء ذلك واذ قد دخلوا هم الى ملكوت السموات فهل يغلقون الباب وراءهم . كلاَّ بل بالحري يجب ان يحتملوا كل شيء ويضحوا كل شيء حتى املاكهم وتيجانهم وحياتهم

فقال الامراء لنرفضنَّ هذا الحكم فانهُ في قضايا الضمير ليس للاكثرية سلطان وقال وكلاء المدن اننا في امر السلامة الموجودة في المملكة مديونون لحكم سنة ١٥٢٦ ولا ريب ان ابطال ذلك الحكم يملأُ جرمانيا من الاضطرابات والانقسامات والجمع لا يقدران يعمل اكثر من ان يحفظ الحرية في الديانة حتى يلتئم مجمع ديني . فهذه هي في الواقع صفةُ الحكومةِ العظيمةُ واذا كانت في ايامنا ملوك البروتستانت يرغبون في ان تكون لهم صولة على الحكام الرومانيين يجب ان يجتهدوا فقط في ان يمنحوا رعايا هولاء تلك الحرية الدينية التي يضبطها البابا لغاياتهِ حيثما ملك وحدهُ ويستفيد منها كثيرًا في كل اقليم انجيلي . والبعض من الوكلاء ارتأَوا بعدم المساعدة ضد محاربي المملكة مؤمّلين ان يلزموا بذلك الامبراطور بان يتعرَّض لهذه القضية الدينية الاَّ ان ستورم طلب منهم ان لا يمزجوا الامور السياسية بخلاص النفوس ولذلك عزموا على رفض القضية من دون اظهار شيء من التهديدات وذلك العزم الكريم هو الذي حصل لهذه الايام حرية الفكر وحرية الايمان

اما فرديننند والخوارنة الذين لم يكونوا اقل عزمًا منهُ فعزموا على ملاشاة ما سموهُ عنادًا جسورًا وابتدأُوا في الاقاليم الاضعف فاخذوا يخيفون ويقسمون

المدن التي سلكت الى ذلك الوقت في طريق واحد وفي ١٢ نيسان أُحضِروا امام الديوان وباطلاً كانوا يحتجون بغياب البعض منهم ويطلبون التاخير فان ذلك أُنكِر عليهم وأُلح عليهم بالقبول . واحدى وعشرون مدينة من المدن المستقلة قبلت راي الديوان واربع عشرة مدينة رفضتهُ وكان عمل هولاء عملاً جسورًا وأُكمِل في وسط اشد الآلام . قال بفارير الوكيل الثاني لستراسبرج . هذه التجربة الاولى والآن تاتي الثانية . علينا اما ان ننكر كلام الله او نُحرَق

وحينئذٍ عمل فرديننند عملاً عنيفًا فتح بهِ حالاً باب الذل المذخور للمدن الانجيلية فحسب حكم ورمس كان حقًّا لوكيل ستراسبرج ان يكون عضوًا من الحكومة الامبراطورية منذ بداءة نيسان فحكم بمنعهِ عن حقوقهِ الى ان يعاد القدّاس في ستراسبرج وجميع المدن اتحدت في معارضة هذا العمل الخارج عن الاصول

وفي الوقت نفسهِ المنتخب البلاتيني والملك فرديننند نفسهُ طلبا من الامراء ان يقبلوا الحكم واكد لهم ان الامبراطور يكون مسرورًا منهم فاجابوا بهدوء اننا نطيع الامبراطور في كل ما يساعد على حفظ الصلح ومجد الله

وحان الوقت لانهاء ذلك النزاع وفي ١٨ نيسان قضي بان الاقاليم الانجيلية لا يجب ان يسمع لها ايضًا وكان فرديننند مستعدًّا لان يوقع في الغد الضربة القاطعة . وفي الصباح جاء الملك الى الديوان وصحبتهُ باقي معتمدي المملكة وجمهور من الاساقفة فشكر الكاثوليكيين الرومانيين على امانتهم وقال بما ان الحكم قد صار الاتفاق فيهِ كان عتيدًا ان يسجل بصورة امر امبراطوري ثم اخبر المنتخب واصحابهُ انهُ لم يبقَ لهم سبيل الَّا الخضوع للاكثرية

اما الامراء الانجيليون الذين لم يكونوا منتظرين كلامًا قاطعًا بهذا المقدار اضطربوا عند سماعهِ وانتقلوا حسب العادة الى مقصورة مجاورة لاجل المفاوضة . اما فرديننند فلم يكن لهُ صبر لانتظار جوابهم فنهض ومعتمدو الامبراطور نهضوا معهُ وكل الاجتهادات في ايقافهِ كانت باطلة لانهُ اجاب انني قد قبلت امرًا من

جلالهِ الملكي واجريتهُ فانتهى كل شيء

وهكذا اخو كرلوس اخبر الامراء المسيحيين بامر ثم انصرف من دون مبالاة هل لهُ جواب ام لا فارسلوا معتمد بن اليهِ ولكن ذهب ذلك سدًى لانهُ قال ان الامر قد انتهى ولم يبقَ شيء الّا الخضوع وعدم قبولهِ هذا اكمل الانشقاق وفصل بين رومية والانجيل ولو وجد عند المملكة والباباوية عدالة اكثر لربما كانت منعت الانفصال الذي شق منذ ذلك الوقت الكنيسة الغربية

الفصل السادس

الاعتراض . رفض فرديننداياهُ . الاخطار على البروتستانت وذهابهم من سبيرس

ان اظهار الاهانات المذكورة من قبل احزاب الامبراطور لم تكن من دون سبب لانهم عرفوا ان جانب الاصلاح ضعيف وجانب كرلوس والبابا قوي الّا ان للضعفاء ايضًا قوة خصوصية وشعر الامراء الانجيليون بذلك وبما ان فرديننػد لم يلتفت الى تشكياتهم صار لهم حق ان لا يلتفتوا الى غيابهِ وان يلتجئوا من تقرير الديوان الى كلمة الله ومن الامبراطور كرلوس الى يسوع المسيح ملك الملوك ورب الارباب . فعزموا على الاخذ في هذا الامر وكتبوا قرارًا بهذا المعنى وهذا هو الاعتراض الشهير او البروتستو الذي منهُ لُقِبت الكنيسة المتجددة بالبروتستانت ولما رجع المنتخب واصحابهُ الى المقصورة التي كان فيها ارباب المجمع خاطبوا القوم المجتمعين هكذا

ايها السادة والاعمام واولاد العم والاصدقاء الاعزاء اننا اذ قد حضرنا الى هذا الديوان حسب امر جلالهِ ولاجل خير المملكة والمسيحيين قد سمعنا وفهمنا ان احكام المجمع الاخير نظرًا الى ايماننا المسيحي المقدس قد نُوِي ابطالها وان تُبدَل ببعض الاحكام الثقيلة العنيفة

ان الملك فرديننػد وباقي معتمدي الامبراطور اذ قد علّقوا ختمهم على حكم

سَپِيْرُس الاخير وعدوا بذلك باسم الامبراطور بان يجروا بنصاحة ومن دون تغيير كل ما تضمّنهُ وان لا يأْذنوا بوقوع شيءٍ مغاير لهُ وكذلك ايضًا انتم ونحن معشر المنتخبين والامراء والاساقفة والسادات ووكلاء المملكة قد الزمنا انفسنا ان نحفظ دائمًا وبكل قوتنا كل قضية من ذلك الحكم. فلا يمكننا ان نسلّم بابطالهِ

اولاً لاننا نعتقد بان جلالة الملكي (ونحن وانتم ايضًا) ينبغي لهُ ان يحفظ بثبات ما قد حُكم بهِ باتفاق تام وبكل وقار

ثانيًا لان ذلك يتعلق بمجد الله وخلاص نفوسنا ولانهُ في مثل هذه القضية يلزمنا ان نلاحظ اكثر من كل شيءٍ وصية الله الذي هو ملك الملوك ورب الارباب اذ يعطيهِ كل واحد منا جوابًا عن نفسهِ من دون ادنى التفات الى الاكثرية او الاقلية

اننا لا نحكم في ما يتعلق بكم ايها السادات الاعزاء بل نحن مكتفون بان نصلي يوميًّا الى الله لكي ياتي بنا جميعًا الى وحدة الايمان بالحق والمحبة والقداسة بيسوع المسيح الذي هو عرش نعمتنا ووسيطنا الوحيد

واما ما يتعلق بنا فان الامتثال لكم يكون ضد ضميرنا (وكما هو ظاهر لكل انسان خالي الغرض) اذ نشجب تعليمًا نعتقد بانهُ مسيحي ونحكم بانهُ يجب نفيهُ من بلادنا اذا امكنا عمل ذلك من دون تعب

فاننا اذا فعلنا ذلك ننكر ربنا يسوع المسيح ونرفض كلامهُ وهكذا نعطيهِ سببًا عادلاً لان ينكرنا قدام ابيهِ كما توعد بذلك

كيف. هل نثبت نحن هذا الحكم. هل نصرح بانهُ عندما يدعو الله القدير انسانًا الى معرفتهِ لا يجوز لذلك ولا يسمح لهُ بان يقبل معرفتهُ تعالى. فيا للعجب. فاي ارتداد مميت لا نصير شركاء فيهِ ليس بين رعايانا فقط بل بين رعاياكم ايضًا

ولاجل هذا السبب نرفض النير الذي يوضع على رقابنا والامر معروفٌ لدى الجميع ان السر المقدس سر جسد ربنا ودمهِ يناوَل كما يليق في بلادنا ولا نقدر ان نسلّم بما ترتئي بهِ الضبطة ضد الاسرار بين اذ نرى ان الامر الامبراطوري

لا يتكلم عنهم وانهم لم يُستمعوا وانهُ لا يمكنا ان نحكم في مثل هذه القضايا المهمة قبل المجموع القادم

وعدا ذلك (وهذا هو الجزء الجوهري من الاعتراض) ان المضبطة الجديدة تحكم بان القسوس يبشرون بالانجيل ويفسرونهُ حسب التصانيف المقبولة من الكنيسة المسيحية المقدسة ونحن نظن انهُ لكي يكون لهذا الحكم قيمة يجب ان نتفق اولاً في ماذا يُراد بالكنيسة المقدسة الحقيقية واذ يوجد اختلاف عظيم في هذا الامر ولا يوجد تعليم اكيد الاَّ ما هو مطابق لكلام الله وان الله ينهى عن التصريح بتعليم آخر سواهُ وان كل آية من الكتب المقدسة يجب تفسيرها بآية اخرى اوضح منها وان هذا الكتاب المقدس هو في جميع الاشياء ضروري للمسيحي وسهل الفهم ومن شانهِ تبديد الظلام نعزم بنعمة الله على التمسك بالانذار الخالص بكلمتهِ تعالى فقط التي هي موجودة في اسفار العهدين القديم والحديث من دون ان نزيد عليها شيئًا مغايرًا لها فان هذه الكلمة هي الحق الوحيد وهي دستور وطيد لكل تعليم وسيرة ولا تخوننا ابدًا ولا تغشنا ومن بنى على هذا الاساس فانهُ يقف ضد قوات الجحيم باسرها وجميع الاباطيل البشرية المقامة ضدهُ تسقط امام وجه الله

فلاجل هذه الاسباب ايها السادات والاعمام واولاد العم والاحباء نترجاكم برغبة ان تزنوا بتدقيق تشكياتنا ونوايانا . فاذا كنتم لا تجيبون الى سؤالنا فاننا نصرّح (نقدم بروتستو) بمكتوبنا هذا امام الله خالقنا وحافظنا وفادينا ومخلصنا الذي يكون في احد الايام ديّاننا وامام جميع الناس وكل الخلائق باننا نحن بالاصالة عن انفسنا وبالنيابة عن شعبنا لا نقبل ولا نسلّم بوجه من الوجوه للحكم المشار اليهِ في شيء ضد الله وضد كلامهِ المقدس وضد ضميرنا المستقيم وضد خلاص نفوسنا وضد حكم سپيرس الاخير

وفي الوقت نفسهِ ننتظر ان جلالة الملكي يتصرف نحونا نظير ملك مسيحي يحب الله فوق كل شيء ونحن نقرُّ باننا مستعدون لان نقدم لهُ ولكم ايها السادات المنعمون كل المحبة والطاعة اللتين هما من واجباتنا العادلة الشرعية . انتهى

هكذا في حضرة الديوان تكلم اولئك الناس الشجعان الذين لقّبهم المسيحيون من ذلك الوقت وصاعدًا بالبروتستانت

وحالما انتهوا من ذلك اخبروا بانهم قاصدون الانطلاق من سپيرْس في الغد وهذا الاعتراض والاقرار احدث تاثيرًا عظيمًا فتشوّش الديوان وانقسم الى قسمين متضادّين موعزًا بذلك الى حرب عنيدة فصارت الاكثرية فريسة لاشدّ المخاوف واما جماعة البروتستانت فاذ كانوا مستندين بشريًا على حكم سپيرْس السابق والهيًّا على الكتاب المقدس كانوا موعبين شجاعةً وثباتًا

ان المبادي المتضمنة في هذا الاعتراض المؤرَّخ في ١٩ نيسان سنة ١٥٢٩ هي خلاصة المذهب البروتستانتي وهو يقاوم فسادين احدثهما الانسان في قضايا الايمان الاول تعرُّض الولاة المدنيين والثاني سلطان الكنيسة المطلق وعوضًا عن هذين الفسادين المذهب البروتستانتي يجعل سلطان الضمير فوق الولاة وسلطان كلام الله فوق الكنيسة المنظورة وهو اولاً يرفض السلطة المدنية في الاشياء الالهية ويقول مع الانبياء والرسل يجب ان نطيع الله لا الانسان ويعتبر اكليل يسوع المسيح على اكاليل كرلوس الخامس وان جميع التعاليم البشرية يجب ان تكون خاضعة لكلام الله حتى ان الكنيسة الاولى بواسطة تسليمها لكتابات الرسل خضعت لهذا السلطان السامي ولم تسلط نفسها كما تدَّعي رومية واقامة محكمة لاجل تفسير الكتاب المقدس انما انتهت باخضاع انسان لانسان اخضاع رقيق في الامور التي يجب ان تكون للناس فيها الحرية التامة وهي الضمير والايمان وفي حكم سپيرْس هذا المشهور لا يظهر احد من العلماء بل تملكت كلمة الله وحدها ولم يرفع قط انسان نفسهُ كما فعل البابا ولم يؤخر قط اناس انفسهم كما اخَّر المصلحون انفسهم

ان مورخًا رومانيًا ذهب الى ان لفظة بروتستانت معناها عدو الامبراطور والبابا فاذا كان مرادهُ ان المذهب البروتستانتي في قضايا الايمان يمنع تعرُّض المملكة والباباوية فقد احسن في تاويلهِ ولكن هذا التفسير نفسهُ لا يفرغ معنى

الكلمة لان المذهب البروتستانتي انما يطرح سلطان الناس لكي يضع يسوع المسيح على عرش الكنيسة وكلمتهُ في المنبر ولم يصدر قط امر اثبت ولا افعل مما عملهُ البروتستانت في سَپِيرْس وبواسطة تمسكهم بان ايمانهم فقط هو قادر على انقاذ العالم حاموا بشجاعة قوية عن حقوق التلمذة المسيحية وقالوا اننا لا نقدر ان نترك هذه التلمذة من غير ان نترك المبدا البروتستانتي

ان بروتستانت سَپِيرْس لم يكتفوا بتعظيم الحق بل حاموا عن المحبة فان فابر وباقي اشياع البابا كانوا قد بذلوا جهدهم في فصل الامراء الذين مالوا بالاكثر الى لوثيروس عن المدن التي مالت بالاحرى الى حزب زوينكل وكان اكولمباذ يوس قد كتب حالاً الى ملانكثون وانارهُ في تعاليم مصلح زوريخ ورفض بحنق الفكر المنسوب اليهِ ان المسيح قد نُفي الى زاوية في السماء وقال بعزمٍ انهُ حسب تعليم مسيحيي سويسرا المسيح موجود في كل مكان يضبط كل شيء بكلمة قوتهِ وقال ايضًا اننا بالرموز المنظورة نعطي ونقبل النعمة غير المنظورة نظير جميع المومنين

وهذه التوضيحات لم تكن من دون فائدة. وكان في سَپِيرْس بَطَلان اللذان لاجل اسباب مختلفة قاوما اجتهادات فابر وساعدا اجتهادات اكولمباذ يوس. فالامير الذي افتكر دائمًا بالاتحاد بالآخرين شعر واضحًا بانهُ اذا سمح مسيحيو سكسونيا وهسي بشجب كنائس سويسرا وجرمانيا العليا فانهم يعدمون انفسهم بهذه الواسطة نفسها مساعدين مقتدرين. وملانكثون الذي كان بخلاف الامير بعيدًا عن طلب اتحاد سياسي لئلاَّ يؤدي ذلك بسرعة الى حرب حامى عن مبادئ العدل العظيمة وصرخ قائلاً فلاي توبيخات لا نعرض انفسنا اذا سلَّمنا لخصمنا بان لهُ حقًا في ان يشجب تعليمًا من دون ان يسمع للذين يحامون عنهُ. فاتحاد جميع المسيحيين الانجيليين هو اذًا من المبادي الأُولَى للمذهب البروتستانتي

وبما ان فرديننــد لم يسمع اعتراض ١٩ نيسان ذهبت عمدة من قِبَل الاقاليم الانجيلية في اليوم التالي لكي نقدمهُ لهُ فقبلهُ اولاً الاَّ انهُ حالاً بعد ذلك اراد

ارجاعهُ وحينئذٍ شُوهِد امر عظيم وهو اباءة الملك ان يقبل الاعتراض واباءة العمدة ان تسترجعهُ الآن العمدة قبلتهُ اخيرًا من يدي فرديننـد احترامًا له ولكنهم وضعوهُ بجسارة على مائدة وخرجوا حالاً من القاعة

ان الملك ووكلاء الامبراطور بقوا في حضرة هذه الكتابة وها هي هناك امام اعينهم علامة قوية لشجاعة البروتستانت وايمانهم واذ حنق اخو كرلوس الخامس من هذه الشهادة الصامتة القوية التي قرفتهُ بالظلم والقت عليهِ مسئولية جميع الشرور التي كانت عتيدة ان تحلّ بالمملكة دعا البعض من مشيريهِ وامرهم ان يرجعوا تلك الورقة المهمة الى جماعة البروتستانت

وكل ذلك لم يفد شيئًا لان الاعتراض تسجل في سجلّ العالم ولم يقدر شيء على محوهِ وحرية الفكر والضمير قد حصلت للاعصار المستقبلة وهكذا كل جرمانيا الانجيلية سبقت فنظرت هذه الاشياء وتحركت من هذا العمل الشجاع واستعملتهُ كناية عن التصريح باراداتها وايمانها والناس في كل جهة لم يروا فيها حادثًا سياسيًّا محضًا بل عملاً مسيحيًا والملك المنتخب يوحنا فردريك نيابةً عن عصرهِ صرخ نحو بروتستانت سپيرْس قائلاً اسال الله الذي اعطاكم نعمة للاقرار بنشاط وحرية وشجاعة ان يحفظكم في ذلك الثبات المسيحي الى الابد

فامتلأ المسيحيون فرحًا وخاف اعداؤُهم مما قد عملوهُ هم انفسهم وفي نفس اليوم الذي ابى فيهِ فرديننـد ان يقبل الاعتراض اي الثلاثا في ٢٠ نيسان بعد الظهر بساعة تقدم هنري من برنسويك وفيلبس من بادن نظير واسطة الآ انهما صرّحا بانهما فعلا ذلك من تلقاء انفسهما وارتابا بعدم ذكر حكم ورمس وبوجوب حكم سپيرْس الاول مع تغييرات قليلة وان الحزبين يبقيان حرَّين الى المجمع القادم ولكن يقاومان كل مذهب جديد ولا يحتملان تعليمًا مغايرًا لسر جسد الرب

وفي يوم الاربعاء في ٢١ نيسان لم تظهر الاقاليم الانجيلية مضادةً لهذا الراي حتى ان الذين اعتنقوا تعاليم زوينكل اشهروا بجسارة ان هذا التدبير لا يضر بوجودهم فقالوا فلنتذكر فقط انهُ في مثل هذه الامور الصعبة يجب ان نعمل

لا بالسيف بل بكلمة الله الثابتة لانهُ كما يقول ماري بولس ما ليس من الايمان فهو خطية ولهذا اذا الجأْنا المسيحيين ان يعملوا ما يعتقدونهُ غير عادل فعوضًا عن اقتياد هم بكلمة الله الى الاقرار بما هو صالح نسوقهم الى الخطا وناخذ على انفسنا مسئولية هائلة

ان المترفضين من الحزب الروماني ارتعدوا عند ما راوا الغلبة تكاد تهرب منهم فابوا كل مصالحة ولم يطلبوا الا ارجاع البابا وية فغلبت غيرتهم كل شيء وانقطعت المواصلة

ويوم الخميس في ٢٢ نيسان اجتمع ايضًا الديوان قبل الظهر بخمس ساعات وقرِئت الخلاصة كما كُتِبت من دون ذكر الاجتهاد في المصالحة التي خابت مساعيهِ فاعترفابر واذ كان مفتخرًا بحصولهِ على مسامع الملوك القى نفسهُ من هنا الى هناك ولو نظرتهُ لقلت كما يشهد شاهد عياني انهُ سقلبيٌّ يصنع في مغارتهِ السلاسل العظيمة المزمعة ان يقيّد بها الاصلاح والمصلحين . والامراء البابا وبون اذ حملهم الشغب اطلقوا العنان وطرحوا انفسهم بحماقة في طريق كثير المخاطر ولم يُترَك شيء للامراء الانجيليين الآن يخرّوا على ركبهم ويصرخوا الى الرب. قال ملانكثون لم يبقَ لنا من العمل الا ان ندعو ابن الله

وانعقدت جلسة الديوان الاخيرة في ٢٤ نيسان وجدَّد الامراء الانجيليون اعتراضهم واتفق فيهِ معهم ١٤ مدينة مستقلة امبراطورية ثم افتكروا بان يجعلوا استغاثتهم شرعية . ويوم الاحد في ٢٥ نيسان كاتبان وهما ليونرد ستاتنر من فريسنجن وبنغريس سلزمان من بمبرج جلسا امام مائدة صغيرة في مخدع صغير ارضي في بيت موقعهُ في زقاق مار يوحنا بالقرب من كنيسة بهذا الاسم في سپيِرْس واحاط بهما كُتَّاب الامراء والمدن الانجيلية مع عدة شهود . وهذا البيت الصغير كان مُلك راعٍ متواضع اسمهُ بطرس مترستات كان شماس كنيسة مار يوحنا وهذا اذ اخذ مكان المنتخب او الامير قدَّم بيتًا لذلك العمل المهم ومن ثم يستحق ان يُذكَر اسمهُ للادوار المستقبلة وعند ما تمَّت كتابة الورقة اخذ احد الكاتبين في تلاوتها فقال

البروتستانت بما انهُ بين جميع الناس اشتراك طبيعي وبما ان الناس المحكوم عليهم بالموت يؤذن لهم بالاتحاد والمدافعة عن انفسهم فكم بالحري نحن اعضاء جسد واحد روحي اعني كنيسة ابن الله وابناء الآب السماوي نفسهِ وبالتالي اخوة بالروح لنا حق في الاتحاد عندما يتعلق الامر بخلاصنا ودينونتنا الابدية

فبعد ان راجع البروتستانت كل ما حدث في الديوان وبعد ان ادخلوا في استغاثتهم الاوراق المهمة المتعلقة بهِ ختموا عليهم بقولهم فاننا اذًا نستغيث لانفسنا ولرعايانا ولجميع الذين قبلوا اوسوف يقبلون فيما بعد كلام الله بجلالهِ الملكي وبجماعة مطلقة وعامة من جمهور المسيحيين القديسين من اعمال التعدي الماضية والحاضرة والمستقبلة. وهذه الاستغاثة ملأت ١٢ طلحية من الورق ووُضعت الختومة والامضاوات على الثالثة عشرة

وهكذا في مسكن واعظ ماري يوحنا المجهول صار الاقرار الاول بالوحدة المسيحية الحقيقية وقُبيل وحدة البابا غير الصحيحة رفع معترفو المسيح هولاء راية وحدة المسيح الحية كما انهُ في ايام مخلصنا كان مجامع كثيرة في اسرائيل ولم يكن مع ذلك الأهيكل واحد. والمسيحيون من سكسونيا ولونبرج وانهلت وهسي وستراسبرج ونورمبرج واولم وقسطنسيا ولنداو ومامنجن وكمبتن وهيلبرون وروتلنجن واسني وسنت غال ووسيمبرج ووندسهيم صافح بعضهم بعضًا في ٢٥ نيسان بالقرب من كنيسة مار يوحنا في وجه ما يهددهم من الاضطهادات ولعلهُ وُجِد بينهم مَن اعتقد نظير زوينكل بوجود المسيح روحيًّا فقط في عشية الرب ومَن اعتقد نظير لوثيروس بوجودهِ جسديًّا ولم يكن في ذلك الوقت في الجماعة الانجيلية طوائف ولا بغضة ولا انشقاق بل الوحدة المسيحية الحقيقية وتلك العلية التي في الايام الاولى للديانة المسيحية كان يواظب الرسل مع النسوة والاخوة الاجتماع فيها بنفس واحدة في الصلاة والتضرع (اع ١: ١٤) وذلك المخدع الارضي الذي في الايام الاولى للاصلاح قدَّم فيهِ تلاميذ المسيح المتجددون انفسهم للبابا والامبراطور وللعالم والاوتاد كانهم جسد واحد هما سريرا الكنيسة وهي في ساعة ضعفها وتواضعها هذه

تلمع باسطع المجد

وبعد هذه الاستغاثة رجع كل واحد الى مسكنهِ وعلامات كثيرة دلت الى الخطر الذي كان محيطًا بالبروتستانت وقبل ذلك بقليل قاد ملانكثون بسرعة في ازقة سبيرس الى جهة نهر الرين صديقهُ سمعان غرينوس والحّ عليهِ ان يقطع النهر حتى تعجب سمعان هذا من تلك اللجاجة فقال ملانكثون ان رجلاً شيخًا اهيب رزينًا غير معروف لديَّ ظهر امامي وقال في برهة وجيزة سوف يرسل فرديننند شرطًا لكي يقبضوا على غرينوس. وكان غرينوس صديقًا مخلصًا لفابر فتشكك من احدى عظاتهِ فذهب اليهِ وترجاهُ ان يكفَّ عن الحرب ضد الحق فستر فابر غيظهُ وذهب بعد ذلك بقليل الى الملك فنال منهُ امرًا ضد عالم هيدلبرج الجسور ولم يشك ملانكثون بان الله قد خلّص صديقهُ بارسالهِ واحدًا من ملائكتهِ القديسين لكي يحذرهُ فوقف من دون حركة على شط الرين حتى خلّصت مياه ذلك النهر غرينوس من ايدي مضطهديهِ وعندما رآهُ ملانكثون على الجانب الآخر صرخ قائلاً انهُ قد خُطِف اخيرًا من قساوة فكوك الذين يتعطشون الى الدم الزكي. وعندما رجع ملانكثون الى بيتهِ بلغهُ ان شرطًا في طلب غرينوس قد فتشوا بيتهُ من اعلاهُ الى اسفلهِ

لم يبقَ شيءٌ يمنع البروتستانت عن ترك سبيرس ومن ثمَّ في صباح اليوم الذي بعد يوم استغاثتهم (يوم الاثنين في ٢٦ نيسان) المنتخب والامير وامراء لونبرج تركوا المدينة ووصلوا الى ورمس ثم رجعوا عن طريق هسي الى ولاياتهم واذاع الامير استغاثة سبيرس في ٥ ايار والمنتخب اذاعها في ١٢ ايار

وكان ملانكثون قد رجع الى وتمبرج في ٦ ايار معتقدًا بان الحزبين كانا عتيدين ان يجرّدا السيف فخاف اصدقاؤهُ عندما راوا اضطرابهُ واعياءهُ وكونهُ كميت فقال ان الحادثة التي حدثت في سبيرس هي حادثة عظيمة مملوءة مخاطر ليس على المملكة فقط بل على الديانة نفسها ايضًا فان جميع اوجاع جهنم تضايقني والذي اوجب اعظم الكآبة لملانكثون هو نسبة تلك الشرور اليهِ وهو نسبها

الى نفسهِ فقال ان امرًا واحدًا قد اضرَّنا وهو عدم قبولنا كما طلب منا بالحكم ضد اتباع زوينكل واما لوثيروس فانهُ لم يرَ الامور مظلمة بهذا المقدار بل كان بعيدًا عن ادراك قوة الاعتراض فقال ان الديوان قد وصل الى نهاية تكاد تكون خالية من النتائج ما خلا ان الذين يجادلون يسوع المسيح لم يقدروا على اشباع غيظهم

اما الاجيال التالية فلم تثبت هذا الحكم بل بالعكس صاروا يؤرخون من بداءة تاريخ نظام المذهب البروتستانتي وترحب باعتراض سَپيرْس كانهُ اعظم الامور المذكورة في التواريخ

فلننظر الى من يحق لهُ مجد هذا العمل الاعظم . والقسم الذي اكملتهُ الامراء وعلى الخصوص منتخب سكسونيا في الاصلاح الجرماني واضح لدى كل ناظر خالي الغرض فهولاء هم المصلحون الحقيقيون والشهداء الصادقون والروح القدس الذي يهبُّ حيث يشاء اعطاهم شجاعة معترفي الكنيسة الاقدمين واله الانتخاب تمجد بهم وبعد ذلك بقليل ربما احدث هذا القسم الذي اكملتهُ الامراء عواقب يُرثى لها فانهُ لا توجد نعمة من الله الاَّ ويقدر الانسان ان يعوجها ولكن لا يجب ان يمنعنا شيء عن اعطاء المجد لمن يحق لهُ المجد ولا عن احترام عمل الروح الابدي في هولاء الناس الافاضل الذين كانوا بعد الله في القرن السادس عشر معتقي عالم المسيحيين

ان الاصلاح في ذلك الوقت اتخذ صورة جسدية والذي قال لا في مجمع ورمس هو لوثيروس وحدهُ ولكن الكنائس والقسوس والامراء والشعب قالوا لا في ديوان سَپيرْس

ولم تكن الخرافات والفلسفة والرياسة البابارية في بلاد اقوى مما كانت بين شعوب جرمانيا فان هولاء القوم الساذجين الامناء كانوا قد احنوا بتواضع رقابهم للنير الذي جاء من شطوط نهر التيبر الاَّ انهُ كان فيهم ايضًا عمق وحياة والرغبة في الحرية الداخلية اذا تقدست بواسطة كلام الله تجعلهم انشط الآلات

للحق المسيحي ومن هولاء كانت عتيدة ان تصدر تلك المدافعة ضد تلك الطريقة المادية الخارجية الناموسية التي اخذت مكان الديانة المسيحية وهم الذين كانوا عتيدين ان يسحقوا تلك العظام التي جُعِلت عوضًا عن الروح والحياة وان يرجعوا الى قلب الديانة المسيحية التي صيرتها الرياسة عظامًا تلك النبضات الكريمة التي فقدتها كل تلك القرون الكثيرة والكنيسة العمومية لا تنسى ابدًا الدَّين الذي صارت مديونة بهِ لامراء سپِيرْس وللوثيروس

الفصل السابع

ضرورية الاتحاد للاصلاح. تعليم لوثيروس من جهة العشاء الرباني. الاجتماع في ماربرج. الاختلاف بين لوثيروس وحزبهِ وبين زوينكل وحزبهِ. عناد لوثيروس. تهديدات كرلوس وتسلط الخوف على الناس

ان الاعتراض في سپِيرْس زاد ايضًا غيظ اتباع البابا وكرلوس الخامس حسب القسم الذي اقسم بهِ في برسلونا نهض لاعداد علاج موافق للمرض المألوف الذي اصاب اهالي جرمانيا ولاخذ ثار يسوع المسيح بطريق فعَّال. والبابا من جانبهِ اجتهد في جذب سائر الامراء المسيحيين الى هذه الحرب المقدسة وصلح كمبراي الذي تم في ٥ آب ساعدهُ على اتمام مقاصدهِ القاسية لانهُ بذلك فرغت يد الامبراطور لمضادة الاراتقة وبعد ان قدم الانجيليون اعتراضهم في سپِيرْس التزموا بالاهتمام بعضدهِ

والاقاليم البروتستانتية التي كانت قد وضعت الاساس لاتحاد الانجيل في سپِيرْس قرراتهم على ارسال معتمدين الى روتاخ واذ كان المنتخب مترددًا بسبب افكار لوثيروس الذي كرر في سماعهِ هذه العبارة بالرجوع والسكون تخلصون. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم (اش ٣٠: ١٥) امر معتمديهِ ان يصغوا الى افكار اصحاب عهدهِ من دون ان ينهوا امرًا فانصرفوا على نية الاجتماع ايضًا ولكن

ذلك لم يحدث قط فاعتز لوثيروس لان المؤامرات البشرية قد خابت فقال لاصدقائهِ ان المسيح الرب يعرف كيف يخلصنا من دون الامير حتى وضد الامير وفيلبس اميرهسى الذي اغتاظ جدًّا من عناد لوثيروس اعتقد بان ذلك انما شقشقة لسان فقال انهم لا يريدون ان يسمعوا عن المعاهدات بسبب اتباع زوينكل فانبطل اذًا المضادات التي تفصل بينهم وبين لوثيروس

وظهر في ذلك الوقت كأنَّ اتحاد جميع اتباع كلمة الله امر ضروري لنجاح الاصلاح فكيف يقدر البروتستانت ان يدافعوا قوة رومية والملكة اذا كانوا منقسمين ولا شك ان الامير اراد ان يجعل اتحادًا في ضمائرهم لكي يكون قادرًا فيما بعد على ان يجعل اتحادًا في اسلحتهم الآن عمل المسيح لم يكن عتيدًا ان يظفر بواسطة السيف واذا نجحوا في اتحاد قلوبهم وصلواتهم فان الاصلاح يجد حينئذٍ قوة في ايمان اولادهِ بحيث لا يبقى احتياج لرماحي فيلبس اميرهسى

ولكن اتحاد العقول المطلوب فوق كل شيء كان امرًا عسرًا جدًّا فان لوثيروس سنة ١٥١٩ ظهر في اول الامر لا لكي يصلح فقط بل لكي يجدد بالتمام تعليم عشية الرب كما فعل زوينكل بعد ذلك بقليل فقال اني اذهب الى سر عشية الرب وهناك اقبل علامة من الله ان بر المسيح وآلامهُ تبررني فهذه هي فائدة السر. وهذا الخطاب الذي طُبع عدة مرات في مدن جرمانيا العليا كان قد اعد عقول الناس لتعليم زوينكل ومن ثم اذ تعجب لوثيروس من الصيت الذي صار لهُ اذاع هذا الاقرار المهم سنة ١٥٢٧ وهو اني اعترف امام الله وامام كل العالم باني لم اذهب قط مع الاسراريين

وبالواقع لوثيروس لم يكن قط زوينكليًّا نظرًا الى الشركة بل في سنة ١٥١٩ ما زال يعتقد بالاستحالة فلماذا اذًا تكلم عن علامة . ذلك لاجل هذا السبب. حسب زوينكل الخبز والخمر علامة جسد المسيح ودمهِ وحسب لوثيروس جسد يسوع المسيح ودمهُ علامة نعمة الله وبين هذين الرايين اختلاف عظيم

ولم يمضِ الاَّ قليل حتى اظهر هذا الاختلاف نفسهُ ففي سنة ١٥٢٧ نقض

زوينكل راي لوثيروس بلطافة واعتبار في كتيب معنون الشرح الوداذي وفي ذلك الوقت نفسهِ طبع كراس المصلح السكسوني ضد الموسوسين وفيهِ اظهر لوثيروس غيظهُ من ان اخصامهُ يتجاسرون على الكلام عن الوحدة والسلام المسيحي بقولهِ فبما انهم يفترون هكذا على كل صواب انذرهم هذا الانذار اللوثراني فليكن ملعونًا هذا الاتفاق وملعونة هذه المحبة فاطرحوها فاطرحوها الى وهدة جهنم التي لا قرار لها. فاذا قتلت اباك وامك او زوجتك او ابنك واردت ان اقتلك وحينئذٍ قلت لك فليكن بيننا صلح يا صديقي العزيز فبماذا كنت تجيبني. فهكذا يفعل الموسوسون الذين يقتلون يسوع المسيح ربي والله الآب والديانة المسيحية امي فانهم يريدون ان يقتلوني ايضًا ثم يقولون فلنكن اصدقاء

فكتب زوينكل جوابين الى الفاضل مرتينوس لوثيروس بكلام بارد وهدو متجرف احتمالهُ اعسر من احتمال قذف العالم السكسوني فقال يجب علينا ان نحسبك كاناء كرامة. وهكذا نفعل بفرح رغمًا عن عيوبك. فكانت كراسة تتبع كراسة وكان لوثيروس يكتب بحرارتهِ الاعتيادية وزوينكل ببرودتهِ الاعتيادية

فهكذا كان العالمان اللذان اراد الامير ان يصالحهما وفي مدة جلوس الديوان في سپيرس فيلبس امير هسى الذي اغتاظ من سمعهِ الباباويين يقولون دائمًا انكم تفتخرون بتمسككم بكلمة الله الخالصة وانتم مع ذلك مختلفون بعضكم مع بعض كان قد كاتب زوينكل بهذا الشان وفي الوقت الذي نحن في ذكرهِ الآن دعا لاهوتيي الاحزاب المختلفة لاجل الاجتماع في ماربرج وهذه الدعوة حازت قبولاً مختلفًا فزوينكل الواسع الصدر والودود اجاب الى دعوة الامير اما لوثيروس فرفضها لانهُ توهم معاهدات وحروبًا وراء هذا الاتفاق الظاهر

وبان ان صعوبات عظيمة تعيق زوينكل فان الطريق من زوريخ الى ماربرج هي في وسط اقاليم الامبراطور واعداء آخرين للاصلاح والامير لم يخفِ مخاطر السفر ولكن لكي يزيل هذه الصعوبات وعد بخفارة من ستراسبرج الى هسى

واما باقي الطريق فنتركهُ لحماية الله وهذه التحذيرات لم تكفِ لتطمين اهالي زوريخ واسباب من نوعٍ آخر عوّقت لوثيروس وملانكثون فقالا انهُ لا يصلح ان يتداخل الامير بهذا المقدار مع اتباع زوينكل فان غلطهم من شانهِ ان يفسد العقول الحادة فان العقل يحب ما يفهمهُ وعلى الخصوص عندما يلبس العلماء افكارهم ثوب الكتاب المقدس

اما ملانكثون فلم يقف عند ذلك بل اراد ان يختار باباويين قضاة للجدال وذلك امر غريب جدًّا قال اذا لم يوجد قضاة خالين من الغرض يكون للزوينكليين فرصة جيدة للافتخار بالغلبة وهكذا حسب قول ملانكثون يكون الباباويون قضاة خالين الغرض في امر الاستحالة وعمل اكثر من ذلك فكتب الى ابن الملك المنتخب في ١٤ ايار قائلاً ليمنع المنتخب انطلاقنا الى ماربرج لكي نقدر على الاعتذار بذلك . ولكن المنتخب لم يشا ان يجلب على نفسهِ عار هذا العمل المعيب فوجد مصلحو وتمبرج انفسهم ملتزمين بالاجابة الى طلب فيلبس امير هسي السابق ذكرهُ وهم فعلوا ذلك وقالوا اذا كان السويسيون لا يسلمون لنا تخسر كل تعبك . وكتبوا الى اللاهوتيين بين اصدقائهم الذين طلبهم الامير ابقوا بعيدين اذا قدرتم لان غيابكم ينفعنا جدًّا

واما زوينكل الذي بالعكس كان مستعدًّا للذهاب الى آخر العالم بذل كل جهدهِ في نوال الاذن من ولاة زوريخ لكي يذهب الى ماربرج فقال للديوان السري اني مقتنع اننا اذا كنا نحن العلماء نلتقي وجهًا لوجه ينير ضياء الحق اعيننا . واما الديوان الذي كان قد امضى شروط الصلح الديني الاول خشي من هياج الحرب حديثًا فابى على الاطلاق السماح بانطلاق المصلح الى هناك

وعند ذلك عزم زوينكل لنفسهِ فانهُ شعر بان حضورهُ ضروري لاجل حفظ السلام في زوريخ ولكن صالح العالم المسيحي دعاهُ الى ماربرج ومن ثمَّ رفع عينيهِ نحو السماء وعزم على الانطلاق صارخًا يا الله انك لم تتركنا قط فانت تكمل ارادتك لاجل مجدك . وفي ليل ٣١ آب زوينكل الذي لم يشأ ان يتوقع تذكرة

الامير استعد لسفرهِ ولم يرافقهُ احد الاَّ رودلف كولنس معلم اللغة اليونانية فكتب المصلح الى الديوان الصغير والكبير يقول اذا انطلقت من دون ان اخبركم فليس ذلك ايها السادات الحكماء لاني احتقر سلطانكم ولكن لاني عارف بمحبتكم نحوي فاري ان خوفكم يقف في طريق ذهابي

وبينما هو يكتب هذه الكلمات وصل تحرير رابع من الامير حرَّج عليهِ اكثر من السابقين فارسل المصلح مكتوب الامير مع مكتوبهِ الى المتسلم ثم ترك بيتهُ سرًّا في الليل خافيًا انصرافهُ عن اصدقائهِ الذين خاف من الحاحهم وعن اعدائهِ الذين كان لهُ سبب كافٍ للخوف من اشراكهم حتى انهُ لم يخبر امراتهُ الى اين كان متوجهًا لئلاَّ يكدرها ذلك وهو وكولنس ركبا حينئذٍ حصانين كانا قد استُوجرا لهذه الغاية وانطلقا بسرعة في طريق باسل

وفي النهار انتشر خبر غياب زوينكل في زوريخ فاعتزت اعداؤُهُ وقالوا انهُ قد هرب من البلاد وركض هاربًا مع زمرة من الاشقياء قال آخرون بينما هو يقطع النهر في بروك انقلب القارب فغرق وقال كثيرون بابتسام خبيث ان الشيطان قد ظهر لهُ جسديًّا وحملهُ وانطلق بهِ ولم تكن نهاية لقصصهم كما قال بولنجر. الاَّ ان الديوان عزم حالاً على اجابة سؤال المصلح وفي نفس اليوم الذي سافر فيهِ عيَّنوا واحدًا من ارباب الديوان اولرك فونك لكي يرافقهُ الى ماربرج فركب حالاً مع خادم وقواص وكذلك ستراسبرج وباسل ارسلتا من ارباب السياسة مع لاهوتيتهما ظانين ان هذه المحاورة لها لا محالة غاية سياسية

فوصل زوينكل بالسلامة الى باسل وركب في النهر في ٦ ايلول مع اكولمباذبوس وعدَّة من التجار. وفي ١٣ ساعة وصلوا الى ستراسبرج حيث نزل المصلحان في بيت متى زيل واعظ كنيسة الكرسي وكانت كاثرينا زوجة الراعي تعدُّ الطعام في المطبخ وتخدم على المائدة حسب عوائد الجرمانيين القديمة ثم جلست حذاء زوينكل تسمع باصغاء وتتكلم بتقوى عظيمة ومعرفة حتى ان زوينكل فضَّلها على علماء كثيرين

وبعد ان بحث زوينكل مع الولاة عن وسائط مقاومة المعاهدة الرومانية

والنظام الذي يجب اعطاؤهُ للمعاهدة المسيحية ترك ستراسبرج وهو واصدقاؤه اذ ساروا في الاحراش وعلى الجبال والوديان في طرق خفية امينة وصلوا اخيرًا الى ماربرج تحت خفارة اربعين فارسًا هسيًا

واما لوثيروس برفقتهِ ملانكثون وكروسيجر ويوناس فوقف على حدود هسي قائلاً انهُ لا شيء يغرهُ باجتيازها من دون ورقة امان من الامير واذ حصل على ذلك وصل الى السفلد حيث ركع التلاميذ تحت طاقتهِ ورتلوا ترنيمًا تهم التقوية فدخل ماربرج في ٣٠ ايلول بعد وصول اهالي سويسرا بيوم فذهب الفريقان الى المنازل ولكن حالما حوَّلوا دعاهم الامير لكي يأتوا وينزلوا في القصر مفتكرًا بهذه الواسطة ان يجمع بين الفريقين المتضادين فاضافهم فيلبس بطريقة ملكية حقًا فقال يوناس التقي وهو يطوف في مقصورات القصر آه انهُ ليس اكرامًا للشعراء بل اكرامًا لله ومسيحهِ نُعامَل بهذا المقدار من الكرم في احراش هسي هذه.

وبعد الغذاء في اليوم الاول اذ كان اكولمباديوس وهيديو وبوسر راغبين في ان يجرّوا افكار الامير ذهبوا وسلموا على لوثيروس فتكلم لوثيروس مع اكولمباديوس في ديوان القصر واما بوسر الذي كان سابقًا صديقًا مخلصًا للوثيروس وكان حينئذٍ من حزب زوينكل فاذ تقدم الى اوثيروس قال لوثيروس لهُ مبتسمًا وممسكًا بيدهِ اما انت فانك انسان غير نافع وخائن

اما كرلستادت المنكود الحظ الذي كان قد ابتدا بهذا الجدال فكان حينئذٍ في فريسلند ينادي بوجود المسيح الروحي في عشية الرب وافتقر جدًّا حتى التزم ان يبيع الكتاب المقدس العبراني الذي لهُ لكي يبتاع خبزًا والمصائب وطئت كبرياءهُ فكتب الى الامير يقول اننا انما نحن جسد واحد وبيت واحد وشعب واحد وجنس كهنوتي واحد ونحن نحيا ونموت بمخلص واحد ولهذا السبب انا الفقير المسكين بتواضع اترجى سعادتك بدم يسوع المسيح ان تاذن لي بالحضور في الجدال . فكيف يُجمَع بين لوثيروس وكرلستادت وجهًا لوجه ومع ذلك كيف يرذل طلب الرجل المسكين

فالامير لكي يتخلص من هذه الصعوبة احالهُ الى المصلح السكسوني فلم يحضر كرلستادت

واراد فيلبس امير هسي ان يتواجه اللاهوتيون سرًّا قبل الجدال الجهاري. واخبرنا بعض المعاصرين بما ان لوثيروس وزوينكل كل واحد منهما حادّ الطبع زعموا ان ملاقاتهما في اول الامر تكون خطرًا وبما ان اكولمباذيوس وملانكثون كانا اودع الحزبين أُقيما معاونين للوثيروس وزوينكل . ويوم الجمعة الذي هو اليوم الاول من تشرين الاول بعد الصلاة أُخذ لوثيروس واكولمباذيوس الى مخدع واحد وزوينكل وملانكثون الى مخدع آخر وتُرِك المجاهدون حينئذٍ للمقاتلة اثنين اثنين

والجدال الاشد صار في مخدع زوينكل وملانكثون فقال ملانكثون لزوينكل قيل ان البعض منكم يتكلمون عن الله حسب عادة اليهود كأنَّ المسيح ليس هو جوهريًّا الله . فاجاب زوينكل اني اومن بالثالوث الاقدس نظير مجمع نيقية وقانون اثناسيوس . فسال ملانكثون عجبًا فماذا تعني بقولك المجامع والقوانين ألم تقل دائمًا انك لا تقر بسلطان آخر غير الكتب المقدسة . فاجاب المصلح السويسي اننا لم نرفض قط المجامع متى كانت مبنية على اساس سلطان كلام الله. فان المجامع الاربعة الأُوَل هي في الحقيقة مقدسة نظرًا الى تعليمها ولم يرفضها قط احد من المومنين . وهذا الاقرار المهم الذي تسلسل الينا بواسطة اكولمباذيوس يوضح لنا تعليم الاصلاح

ثم قال ملانكثون ولكنكم تعلمون مثل توما منتزر ان الروح القدس يفعل وحدهُ مستقلاً عن الاسرار وكلمة الله . فاجاب زوينكل ان الروح القدس يعمل فينا التبرير بواسطة الكلمة ولكن بواسطة الكلمة اذا وُعظ بها وفُهمت بواسطة نفس وجوهر الكلمة بواسطة عقل وارادة الله لا بسبين لغة بشرية

فقال ملانكثون انكم اقلها يكون تنكرون الخطية الاصلية وتجعلون الخطية تقوم فقط باعمال فعلية خارجية كما يفعل البيلاجيون والفلاسفة والباباويون

وفي هذه المسألة الصعوبة الكبرى . فاجاب زوينكل بما ان الانسان طبعاً يحب نفسهُ عوضًا عن المحبة لله فذلك ذنب وخطية توجب عليهِ الدينونة. وكان قد ذكر هذا الراي مرارًا قبل ذلك. فاعتز ملانكثون باستماعهِ اياهُ ثم قال فيما بعد ان اخصامنا قد سلّموا في جميع هذه القضايا

وتصرّف لوثيروس مع اكولمباذيوس كتصرُّف ملانكثون مع زوينكل وتحوّل البحث بنوع خصوصي الى المعمودية فشكا لوثيروس من ان مصلحي سويسرا لا يقرّون بانهُ بواسطة هذا السر البسيط يصير الانسان عضوًا للكنيسة فقال اكولمباذيوس نعم اننا نحن نشترط وجود الايمان سواءٌ كان حاليًا او مستقبلاً فلماذا ننكرهُ فمن هو مسيحي الاّ المومن بالمسيح غير اني لا اريد ان انكر ان ماء المعمودية هو على معنى تجديد لانهُ بواسطتهِ يصير الذي لم تعرفهُ الكنيسة ولدًا لها

وعند ما كان هؤلاء اللاهوتيون الاربعة في حرارة جدالهم اتى الحشم واخبروهم ان غذاء الامير مُعَدٌّ على المائدة فنهضوا في الحال واذ صادف زوينكل وملانكثون لوثيروس واكولمباذيوس اللذين كانا نظيرهما خارجين من مخدعهما تقدم اكولمباذيوس الى زوينكل وهمس في اذنهِ بحزن قائلاً اني قد سقطت ثانيةً في يدي المعلم آك ولم تكن عبارة اقوى من تلك في عرف المصلحين

ولا يبين ان لوثيروس واكولمباذيوس رجعا الى الجدال بعد الغداء ومن منظر لوثيروس بانَ ان املهُ كان قليلاً جدًّا واما ملانكثون وزوينكل فعادا الى الحديث واذ وجد العالِم الزوريخي عالِم وتمبرج يفلت منهُ كالزئبق كما قال وياخذ مثل بروتيوس الف هيئة متنوّعة فاخذ القلم لكي يرسخ خصمهُ فكتب زوينكل كل ما املاهُ ملانكثون ثم كتب جوابهُ واعطاهُ للآخر لكي يقراهُ فصرفا ست ساعات على هذا المنوال ثلاث ساعات قبل الظهر وثلاث ساعات بعدهُ فاستعدوا للمحاورة العامة

فطلب زوينكل ان يكون الجدال مفتوحًا واما لوثيروس فلم يرتضِ بذلك ثم قر الراي ان الامراء والاشراف واللاهوتيين يوذَن لهم بالدخول الاّ

ان جمعًا غفيرًا من الاهالي وكذلك تلاميذ كثيرون واقوام معتبرون قد جاءوا من فرانكفورت ومن سواحل الرين ومن ستراسبرج ومن باسل وغيرها من مدن سويسرا مُنِعوا عن الدخول فان برنتز يقول ان المصغين كانوا خمسين او ستين نفرًا واما زوينكل فيذكر اربعة وعشرين لا غير

على رابية لطيفة يسقيها نهر اللاهن قصر قديم يشرف على مدينة ماربرج وعن بعد يرى وادي اللاهن الجميل وراء ذلك قمم الجبال ترتفع احداها فوق الاخرى حتى تتوارى عند انتهاء النظر فكان الجدال عتيدًا ان يكون في مخدع قديم معقود بقناطر غوثية في ذلك القصر وهو المخدع المعروف بقاعة الفرسان

وصباح السبت في ٢ تشرين الاوّل جلس الامير في كرسيهِ في الديوان محفوفًا بارباب ديوانهِ لابس لباسًا بسيطًا حتى انهُ لم يكن احد يعرف انهُ امير واراد ان يحترز من الظهور بانهُ يتداخل مثل قسطنطين في مصالح الكنيسة وقدامهُ مائدة تقدم اليها لوثيروس وزوينكل وملانكثون واكولمباذيوس فاخذ لوثيروس قطعة طباشير وانحنى فوق المخمل الذي كانت المائدة مغطاة بهِ وكتب بثبات اربع كلمات باحرف غليظة فكانت جميع الاعين تتبع حركة يدهِ وبعد قليل قرأوا هذا هو جسدي . فان لوثيروس اراد ان تكون هذه العبارة دائمًا امامهُ لكي تقوي ايمانهُ وتكون علامة لاخصامهِ ووراء هولاء اللاهوتيين الاربعة جلس اصدقاؤهم هيدبو وستورم وفونك وفراي وابرهرد وثان و يوناس وكروسيجر واخرون غيرهم فلمح يوناس العالمين السويسيين فقال ان زوينكل لهُ ضرب من الخشونة والعجرفة وهو ماهر في العلوم وذلك رغمًا عن الهة العلوم وفي اكولمباذيوس من جودة طبيعية ووداعة عجيبة ويبين ان هيدبو عندهُ من الكرم بمقدار ما عندهُ من المعروف واما بوسر فان لهُ دهاء ثعلب يعرف كيف يتظاهر بانهُ ذو حاسية وفطنة . ان اصحاب الآراء المعتدلة غالبًا يعاملون معاملة اردا من التي يصادفها اصحاب التطرف

ان حاسيات اخرى عرضت للذين كانوا يتاملون بهذا المحفل عن بعد فان

الرجال العظماء الذين قادوا الشعب وراءهم في سهول سكسونيا وشطوط الرين وجبال سويسرا الشامخة كانوا مجتمعين هناك وجهًا لوجه ورؤساء المسيحيين الذين انفصلوا من رومية اجتمعوا معًا لكي يروا هل يمكنهم ان يتحدوا ومن ثم الصلوات والتضرعات صعدت من جرمانيا باسرها نحو ماربرج وصرخت الكنيسة الانجيلية بفم الشاعر الانجيلي كوردوس تقول يا امراء الكلمة الافاضل يا لوثيروس الحاذق واكولمباذيوس الوديع وزوينكل العاقل وشنيف التقي وملانكثون الفصيح وبوسر الشجاع وهيذيو النصوح واوسياندر الفاضل وبرنتز الجبار ويوناس المحبوب وكراتون الحاد وميتوس الذي نفسهُ اقوى من جسدهِ ودينيسيوس العظيم وانت يا ميكونيوس انتم جميعًا الذين قد جمعكم الامير فيلبس ذلك الجبار الشهير ويا ايها الاساقفة والقسوس الذين قد بعثتكم المدن المسيحية لكي تنهوا الانشقاق وتظهروا لنا طريق الحق ان الكنيسة المتضرعة تسقط باكية على اقدامكم وتترجاكم باحشاء يسوع المسيح ان تنهوا هذه المادة نهاية سعيدة لكي يرى العالم في عزمكم عمل الروح القدس نفسهُ

ثم ذكرهم كاتب الامير يوحنا فيغي باسم الامير بان غاية هذه انما هي ارجاع الاتحاد فقال لوثيروس اني اصرّح باني اختلف عن اخصامي في تعليم عشية الرب واني اختلف دائمًا عنهم فان المسيح قال هذا هو جسدي فليبينوا لي ان الجسد ليس جسدًا واني رافض العقل والعرف والاحتجاجات اللحمية والبراهين التعاليمية فان الله هو اعلى من الهندسيات وعندنا كلام الله فيجب علينا ان نحترمهُ ونكملهُ

فقال اكولمباذيوس لا ينكر وجود المجاز في كلام المسيح مثل قولهِ يوحنا هو ايليا والمسيح هو الصخرة وانا هو الكرمة وقولهُ له المجد هذا هو جسدي هو من قبيل المجاز ايضًا . ولوثيروس سلم بوجود عبارات مجازية في الكتاب المقدس الا انهُ انكر كون هذه العبارة الاخيرة مجازية

ان جميع الاحزاب المختلفة الذين تتالف منهم الكنيسة المسيحية يرون مجازًا في هذه الكلمات وفي الواقع الرومانيون يقولون بان قولهُ تعالى هذا هو جسدي

لا يعني فقط جسدي بل ايضًا دمي ونفسي حتى ولاهوتي والمسيح بجملتهِ (مجمع تريد نتيني جلسة ١٣) فتكون هذه الكلمات اذن على مذهب رومية من باب اخذ الجزء بمعنى الكل واما نظرًا الى اللوثرانيين فان المجازية فيها هي اكثر وضوحًا فسواء كانت مجازًا او استعارةً او كناية فانها لا محالة ليست بحقيقية

ولكي يبرهن ذلك استعمل اكولمباذيوس القياس الآتي ان ما نفاهُ المسيح في الاصحاح السادس من انجيل يوحنا لا يمكن ان يكون قد سلم بهِ في كلام الافخارستيا فالمسيح الذي قال لاهل كفرناحوم ان الجسد لا يغني شيئًا نفى بواسطة هذه الكلمات نفسها مضغ جسدهِ بالفم

فالنتيجة انهُ لم يثبت ذلك في ترتيب عشيتهِ

فقال لوثيروس اني انكر الصغرى (ثانية هاتين المقدمتين) ان المسيح لم ينفِ كل مضغ بالفم بل فقط المضغ المادي نظير مضغ لحوم الثيران والخنازير

قال اكولمباذيوس ان في نسبة كثير الى المادة المحضة خطرًا

قال لوثيروس ان كل ما يامر بهِ الله يصير روحًا وحياة فاذا رفعنا قشة بامر الرب فاننا بهذا العمل نفسهِ نعمل عملًا روحيًا فالواجب علينا ان نلتفت الى المتكلم لا الى ما يقولهُ فان الله يتكلم والناس الذين هم دون يسمعون فاذا امر الله فليطع العالم ولنخر جميعًا معًا ونقبل الكلمة بتواضع

قال اكولمباذيوس فبما اننا ناكل اكلًا روحيًا فما هو الاحتياج الى اكل جسدي

قال لوثيروس لست اسال ما هي الحاجة الى ذلك ولكني ارى انهُ قد كُتب كلوا هذا هو جسدي ولهذا يجب عليَّ ان اومن واعمل فيجب ان نعمل يجب ان نعمل . فلو امرني الله ان آكل الزبل لاكلتهُ واثقًا بانهُ يفيدني

وهنا تعرض زوينكل للحديث فقال يجب ان نفسر الكتب المقدسة بالكتب المقدسة ولا نقدر ان نسلم بنوعين من الاكل الجسدي كانَّ المسيح تكلم عن الاكل واهالي كفرناحوم عن التقطيع ارابًا لان اللفظة الواحدة بعينها استُعملت في

الموضعين فالمسيح يقول ان اكل جسدهِ جسديًّا لا يفيد شيئًا (يو ٦ : ٦٣) فمن اين ينتج انهُ اعطانا في عشية الرب شيئًا لا يكون منهُ فائدة لنا وعدا ذلك بعض الاقوال تبان لي صبيانية كقولهِ عن الزبل مثلاً . ان اجوبة الشياطين بين الامم كانت غامضة وليست كذلك كلمات المسيح

قال لوثيروس عند ما يقول المسيح ان الجسد لا يغني شيئًا يتكلم عن جسدنا لا جسدهِ

قال زوينكل ان الروح تقتات بالروح لا بالجسد

قال لوثيروس اننا انما ناكل الجسد بالفم واما النفس فلا تاكل

قال زوينكل فجسد المسيح اذًا هو غذاء جسدي لا روحي

قال لوثيروس انك لمحتال

قال زوينكل ليس الامر كذلك ولكنك تتلفظ بامور متناقضة

قال لوثيروس اذا كان الله يقدم لي تفاحًا بريًّا فاني آكلهُ اكلاً روحيًا ففي الافخارستيا الفم يقبل جسد المسيح والنفس تومن بكلامهِ

فاستشهد زوينكل حينئذٍ بنصوص كثيرة من الكتب المقدسة حيث يعبر عن الاشارة بالمشار اليهِ ومن ثمَّ ختم كلامهُ بقولهِ اننا اذا اعتبرنا قول الرب في انجيل يوحنا ان الجسد لا يغني شيئًا يجب ان نفسر كلام المسيح عن الافخارستيا على هذا المنوال

وهذه الاحتجاجات اثرت في كثيرين من السامعين وبين علماء ماربرج كان جالسًا لمبرت الفرنساوي وقامتهُ الطويلة الرقيقة اضطربت اضطرابًا عظيمًا وكان في اول الامر من راي لوثيروس وكان حينئذٍ مترددًا بين المصلحين وعند ما ذهب الى المحاورة قال اني اريد ان اكون طلحية ورق بيضاء يكتب عليها الله حقهُ ولم يمضِ الاَّ قليل حتى صرخ بعد ان سمع زوينكل واكولمباذيوس قائلاً حقًّا ان الروح هو الذي يحيي . وعند ما عرف علماء وتمبرج انقلابهُ هذا هزُّوا اكتافهم قائلين ذلك تقلب فرنساوي . فاجاب لمبرت فاذا هل كان بولس

متقلبا لانهُ ارتد عن المذهب الفريسي وهل نحن متقلبون لاجل تركنا طوائف البابا وية الضالة

اما لوثيروس فلم يتزعزع بالكلية فكان يكرر قائلاً هذا هو جسدي مشيرًا باصبعهِ الى الكلمات المكتوبة امامهُ هذا هو جسدي ان الشيطان نفسهُ لا يطردني من هذا ومن طلب فهمهُ فقد سقط من الايمان

قال زوينكل ولكن ايها العالِم يوحنا الانجيلي يوضح كيف يوكل جسد المسيح ولا بد انك تلتزم اخيرًا ان تكف عن غناء هذه الاغنيَّة

فاجاب لوثيروس انك تستعمل عبارات غير لائقة. واهالي وتمبرج انفسهم كانوا يدعون احتجاج زوينكل الاغنيَّة القديمة فاستتلى زوينكل من دون ان تتشوش افكارهُ وقال اني اسالك ايها العالِم اذا كان المسيح في الاصحاح السادس من انجيل يوحنا لم يشا ان يجيب على السوال الذي أُلقي عليهِ

قال لوثيروس يا معلم زوينكل انك تريد ان تسد فمي بواسطة وقاحة كلامك فان تلك الآية لا تعلق لها بهذا الامر

قال زوينكل بسرعة سامحني يا عالِم ان تلك الآية تكسر رقبتك

قال لوثيروس لا تفتخر بهذا المقدار فانك في هسي لا في سويسرا فاننا في هذه البلاد لا نكسر رقاب الناس

ثم التفت لوثيروس الى اصدقائهِ وشكى بمرارة من زوينكل كانهُ اراد حقًا ان يكسر رقبتهُ فقال انهُ يستعمل عبارات حماسية وكلمات مضرجة بالدماء وقد نسي لوثيروس هو نفسهُ انهُ قد استعمل عبارة كهذه في كلامهِ عن كرلستادت

قال زوينكل انهُ في سويسرا ايضًا توجد عدالة صارمة ونحن لا نكسر رقبة احد من دون محاكمة وهذه العبارة انما تعني ان دعواك قد ماتت وليس فيها امل

فصار اضطراب عظيم في قاعة الفرسان وصارت المصادمة بين غلاظة السويسي وعناد السكسوني واذ خاف الامير من تقصير غايتهِ في الصلح اشار بانغاض راسهِ الى رضاهُ بتفسير زوينكل وقال للوثيروس ايها العالِم لا يجب ان

تغتاظ من عبارة دارجة كهذه . ولكن كان ذلك عبثًا والبحر الهائج لا يمكنهُ ان يرجع الى حالة سكونهِ فنهض الامير لذلك وذهبوا جميعًا الى محل الاكل وبعد الاكل رجعوا الى ما كانوا فيهِ من الحديث

قال لوثيروس اني اعتقد ان جسد المسيح هو في السماء ولكني اعتقد ايضًا بانهُ في السر وقلما يعنيني اذا كان ذلك ضد الطبيعة بشرط ان لا يكون ضد الايمان فان المسيح هو جوهريًا في السر كما قد وُلد من العذراء

قال اكولمباذيوس مقتبسًا آية من قول بولس اننا لا نعرف يسوع المسيح حسب الجسد (٢ كو ٥: ١٦)

قال لوثيروس حسب الجسد يعني في هذه الآية حسب عواطفنا الجسدية

قال اكولمباذيوس انك لا تسلم بوجود رمز في هذه الكلمات هذا هو جسدي ومع ذلك تسلم بانها من باب المجاز

قال لوثيروس ان الرمز لا يؤذن الا بوجود علامة فقط وذلك بخلاف المجاز فاذا قال انسان انهُ يريد ان يشرب قنينة فاننا نفهم ان معناهُ الخمر الذي في القنينة مثلاً فان جسد المسيح هو في الخبز كما ان السيف هو في الغمد او كما ان الروح القدس هو في الحمامة

واذ كان الجدال آخذًا في التقدم على هذا المنوال دخل القاعة اوسياندر راعي نورمبرج واسطفان اغريكولا راعي اوجسبرج وبرنتز راعي هالى في سوابيا مؤلف السنغراما المشهورة وهولاء ايضًا دعاهم الامير ولكن برنتز الذي كتب اليهِ لوثيروس بعدم الحضور لا شك قد اعاق بواسطة عدم عزمهِ حضورهُ وحضور اصدقائهِ فعينت لهم اماكن بالقرب من لوثيروس وملانكثون وقيل لهم اصغوا وتكلموا اذا لزم ولكنهم قلما استفادوا من هذا الاذن فقال ملانكثون اننا جميعًا ما عدا لوثيروس كنا اصنامًا صامتة

ولما راى زوينكل ان التفسير لم يكفِ للوثيروس اضاف اليهِ اللاهوت النظري واستعان بالفلسفة الطبيعية

فقال اني اضادك في هذه القضية من دستور ايماننا اي صعد الى السماء لانهُ اذا كان المسيح في السماء نظرًا الى جسدهِ فكيف يمكنهُ ان يكون في الخبز فان كلمة الله تعلمنا انهُ كان مثل اخوتهِ في كل شيء (عب ٢: ١٧) فهو اذًا لا يمكنهُ ان يكون في اماكن عديدة في وقت واحد

قال لوثيروس لو اردت ان احتج على هذا المنوال لكنت اجتهد في ان اثبت ان المسيح يسوع كانت لهُ امراة وان عينيهِ كانتا سوداوين وانهُ سكن في بلادنا الجيدة اي جرمانيا . فاني قلما التفت الى الرياضيات

فقال زوينكل لا مدخل للرياضيات هنا ولكنهُ كلام مار بولس الذي كتبهُ الى اهل فيلبي قائلاً اخذ صورة العبد (في ٢: ٧)

فقال لهُ لوثيروس معترضًا اقراهُ لنا باللاتيني او بالجرماني لا باليوناني

فقال زوينكل سامحني لاني منذ اثنتي عشرة سنة لم استعمل الاَّ الانجيل اليوناني ثم جعل ايضًا يقرا الآية واستنتج منها ان ناسوت المسيح محدود نظير ناسوتنا

فاشار لوثيروس الى الكلمات المكتوبة امامهُ وقال ايها السادات الاعزاء بما ان سيدي يسوع المسيح يقول هذا هو جسدي اعتقد ان جسدهُ هو حقًّا هناك

وحينئذٍ اشتد النضال ونهض زوينكل من كرسيهِ وتقدم الى لوثيروس وضرب المائدة بيدهِ وقال

فاذًا انت تذهب ايها العالِم الى ان جسد المسيح هو باعتبار الابن موجود في الافخارستيا لانك تقول ان جسد المسيح هو حقًّا هناك هناك هناك . ولفظة هناك ظرف مكان فجسد المسيح اذًا من شانهِ ان يوجد في مكان فاذا كان في مكان فهو في السماء والناتج انهُ ليس في الخبز

فقال لوثيروس اقول ايضًا اني لا اسال عن البراهين التعاليمية فحالما تُتلى كلمات التقديس على الخبز يكون الجسد هناك مهما كان الخوري الذي يتلفظ بها شريرًا

قال زوينكل انك بذلك ترجع البابا وية

قال لوثيروس ان ذلك لايتم باستحقاقات الخوري ولكن بسبب رسم المسيح فمتى كان البحث عن جسد المسيح فلا اسمع الكلام عن مكان مخصوص ولا يمكن ان اسمع ذلك مطلقًا

قال زوينكل فهل يجب ان يكون كل شيء كما تريده انت ان يكون

واذ راى الاميران البحث قد اشتد وكان الطعام قد أُعد قطع الجدال

وتجدد الجدال في اليوم التالي ايضًا اي الاحد في ٣ تشرين الاول بسبب وباء حدث في مارمبرج ولم يسمح باطالة المحاورة كثيرًا واذ رجع لوثيروس الى جدال المساء السابق قال ان جسد المسيح هو في السر ولكنهُ ليس هناك على معنى كونهِ في مكان

قال زوينكل فاذًا ليس هو هناك بالكلية

قال لوثيروس ان السفسطيين يقولون ان الجسد يمكن بسهولة ان يوجد في اماكن عديدة في وقت واحد فان المسكونة هي جسد ومع ذلك لا يمكننا ان نقول انها موجودة في مكان مخصوص

قال زوينكل اه انك تتكلم عن السفسطيين ايها العالِم فهل انت مضطر الى الرجوع الى بصل مصر وقدور لحمها. واما قولك ان المسكونة لا توجد في مكان مخصوص فاني اطلب من جميع العاقلين ان يزنوا هذا البرهان وحينئذٍ زوينكل الذي مع كل ما قالهُ لوثيروس كان لهُ في جعبتهِ اكثر من سهم واحد فبعد ان برهن قضيتهُ بالتفسير والفلسفة عزم على اثباتها بواسطة شهادة آباء الكنيسة

فقال اصغَ الى ما قالهُ فلجنثيوس اسقف روسپا في نوميديا في القرن الخامس لثراساموند ملك الثاندال وهو ان ابن الله قد اخذ صفات الناسوت الحقيقي ولم يخسر صفات اللاهوت الحقيقي فانهُ اذ وُلد في زمان نظرًا الى امهِ يحيا منذ الازل نظرًا الى لاهوتهِ الذي لهُ من الآب فنظرًا الى كونهِ قد اتى من انسان فهو انسان وبالتالي في مكان ونظرًا الى انبثاقهِ من الآب فهو اله وبالتالي موجود في كل

مكان وهو بحسب طبيعتهِ البشرية كان غائبًا عن السماء وهو على الارض وترك الارض اذ صعد الى السماء ولكن حسب طبيعتهِ الالهية بقي في السماء لما نزل من هناك ولم يترك الارض لما رجع الى السماء

اما لوثيروس فلم يصمت عن الجواب بل قال مكتوب هذا هو جسدي

واذ فرغ صبر زوينكل قال ان كل ذلك مماحكة باطلة فان المجادل العنيد يمكنهُ ان يتمسك ايضًا بقول المسيح لامهِ هذا ابنكِ مشيرًا الى يوحنا ويكون كل ايضاح لهذه العبارة باطلاً لانهُ لا يزال يقول مصرًّا على عنادهِ لا لا فانهُ قال هذا ابنكِ هذا ابنكِ . فاصغَ الى شهادة جديدة وهي من اوغسطينوس العظيم فانهُ قال لا يجب ان نفتكر ان المسيح حسب ناسوتهِ موجود في كل مكان ولنحذر عند ما نجتهد في اثبات لاهوتهِ من ان نعدمهُ حقهُ من ناسوتهِ فان المسيح هو الآن موجود في كل مكان كاله ومع ذلك بسبب جسدهِ الحقيقي هو في مكان محصور من السماء (رسالة اوغسطينوس صحيفة ٥٧)

فاجاب لوثيروس ان القديس اوغسطينوس لا يتكلم هنا عن الافخارستيا فان جسد المسيح ليس في الافخارستيا على معنى كونهِ في مكان

فراى اكولمباديوس انهُ يقدر ان يستعين بقول لوثيروس هذا فقال ان جسد المسيح ليس مكانيًّا في الافخارستيا ولهذا لا يوجد جسد حقيقي هناك لان كل واحد يعلم ان جوهر الجسد هو وجودهُ في مكان

وهنا انتهت محاورة الصباح

ان اكولمباديوس عند التبصر اقتنع بانهُ يمكن اعتبار قول لوثيروس كانهُ نوع من التسليم فقال بعد الغذاء اني اتذكر ان العالم قد سلَّم في هذا الصباح ان جسد المسيح ليس في السر كما في مكان فلنفحص اذًا بمحبة ما هي طبيعة حضور المسيح جسديًّا

فراى لوثيروس الى اين يريدون ان يقتادوهُ فصرخ قائلاً انكم لا تقدرون ان تجعلوني اخطو خطوة اخرى فان عندكم فلجنثيوس واوغسطينوس الى جانبكم

واما باقي الآباء جميعًا الى جانبنا

اما اكولمباذيوس الذي ظهر للوثيريين مدققًا فوق الحد فقال حينئذٍ للوثيروس فاذكروا اسماء هولاء العلماء ونحن نتكفل بالبرهان انهم من راينا

فقال لوثيروس اننا لا نذكرهم لكم ثم قال ان اوغسطينوس انما كتب ما قد اوردتموهُ في صبائهِ وعدا ذلك هو مؤلف غامض ثم رجع الى المبدا الذي عزم على ان لا يتركهُ ابدًا واذ لم يعد يكتفي بالاشارة باصبعهِ الى الكتابة هذا هو جسدي امسك المخمل الذي كانت الكلمات مكتوبة عليهِ ونزعهُ عن المائدة ورفعهُ امام زوينكل واكولمباذيوس ووضعهُ امام اعينهما وقال انظرا انظرا هذا هو موضوعنا فانكما الى الآن لم تدفعانا عنهُ كما افتخرتما ونحن لا نسال عن براهين اخرى

فقال اكولمباذيوس اذا كان الامر كذلك فالاوفق ترك الجدال ولكنني اقول اولًا اذا استشهدنا بالآباء فاننا انما نفعل ذلك لكي نحرر تعليمنا من تهمة الحداثة لا لكي نعضد دعوانا بسلطانهم. وبالحقيقة لا يمكن ان يجدد لاستعمال آباء الكنيسة الشرعي تحديدًا افضل من هذا

وفي الواقع لم يكن سبب لاطالة المحاورة لان لوثيروس كان عنيدًا مستبدًا كما قال سكندروف نفسهُ الذي هو اعظم المحامين عنهُ فلم يكفَّ عن ان يطلب من اهل سويسرا ان يخضعوا لرايهِ

فخاف الكاتب من نهاية المحاورة على هذا المنوال فحث اللاهوتيين ان يقرّ رايهم على شيء فقال لوثيروس اني لا اعرف سوى طريقة واحدة لذلك وهي هذه ان يعتقد اخصامنا كما نعتقد نحن فاجاب السويسيون اننا لا نقدر على ذلك فقال لوثيروس فاذًا نترككم لحكم الله ونصلي اليهِ ان ينيركم فقال اكولمباذيوس ونحن نفعل كذلك. وعند وقوع هذا الحديث كان زوينكل جالسًا صامتًا لا يتحرك وهو مكتئب جدًا ونشاط محبتهِ التي ظهرت لها في مدة المحاورة براهين عديدة ظهر حينئذٍ بطريق مختلف جدًا عن الكلام فاذرف الدموع في حضرة الجميع

فانتهت المحاورة وكانت في الحقيقة اهدا مما يبين من تقارير تلك الايام او

ربما اعتبر الرواة مثل هذه القضايا اكثر مما نعتبرها نحن وقال شاهد عياني انهُ ما عدا بعض الكلمات القاذفة انصرف كل شيء بهدوءٍ وطريقة لطيفة ولطافة عظيمة جدًّا. وفي مدة الجدال لم تُسمَع كلمات غير هذه يا سيدي والصديق العزيز جدًّا ومحبتك وعبارات كهذه ولم يُسمع لفظ الانشقاق او الارتقة ويسوغ القول بان لوثيروس وزوينكل كانا اخوين لا خصمين فهذه هي شهادة برنتز الآن هذه الزهور الظاهرة كانت تحتها هوة ويوناس الذي كان ايضًا شاهدًا عيانيًّا يلقّب هذه المحاورة بمحاورة حادّة جدًّا

واخذ الوبأُ يدب بغتةً في ماربرج واحدث دمارًا هائلاً وملأ الجميع خوفًا ورعبًا فكان الجميع مهتمين بترك المدينة فقال الامير ايها السادة لا يمكنكم ان تفترقوا على هذا المنوال واذ رغب في ان يعطي العلماء فرصة للاجتماع معًا بعقول غير مشغلة بمباحثات لاهوتية دعاهم الى مائدتهِ وكان ذلك يوم الاحد مساءً

ان فيلبس امير هسي اصغى في كل هذه المدة اصغاءً تامًّا فظن كل واحد انهُ من حزبهِ ومن جملة ما قالهُ احبُّ اليَّ ان القي اتكالي على كلمات المسيح البسيطة من ان استند على افكار الناس المتفلسفة . وذلك حسب ما قالهُ يوناس الآن زوينكل برهن ان هذا الامير كان متمسكًا بنفس الآراء التي كان هو نفسهُ متمسكًا بها ولئن كان باعتبار بعض الاشخاص يخفي التغيير واذ شعر لوثيروس بضعف دعواهُ باعتبار اقوال الآباء ارسل مكتوبًا الى فيلبس ذكر فيهِ عدة عبارات من هيلاريون وفم الذهب وكبريانوس وايريناوس وامبروسيوس ظن انها تثبت دعواهُ

فقرب وقت الانصراف ولم يتم شيء فاجتهد الامير جدًّا في الاتحاد كما كتب لوثيروس الى زوجتهِ فدعا اللاهوتيين الواحد بعد الآخر الى مخدعهِ والحَّ عليهم وترجاهم ونصحهم وانذرهم وناشدهم فقال افتكروا بخلاص جمهور المسيحيين وازيلوا كل انشقاق من وسطهم. ولم يجتهد قط قائد كهذا في مقدمة جيش لكي ينال الغلبة

ثم صار الاجتماع الاخير ولا شك ان الكنيسة قلما عاينت اجتماعًا اعظم اعتبارًا وخشوعًا من ذلك الاجتماع فان لوثيروس وزوينكل اي سكسونيا

وسويسرا اجتمعا المرة الاخيرة وكان الوبأ يخطف الوفًا من الناس الذين حولهم وكرلوس الخامس والبابا اتحدا في ايطاليا وفرديننذ والامراء البابا ويون كانوا يستعدون لتمزيق اعتراض سپيرْس وكانت سحابة سوداء تشتد هولاً كل يوم وبان ان الاتحاد هو الوسيلة الوحيدة لانقاذ البروتستانت وساعة الانصراف كانت قريبة وتلك الساعة تفصلهم ربما الى الابد

فقال زوينكل فلنقر باتحاد في جميع الاشياء التي نتفق فيها واما نظرًا الى البقية فلنتذكر اننا اخوة ولا يمكن ان يكون سلامٌ بين الكنائس اذا كنا مع تمسكنا بتعليم الخلاص بالايمان العظيم لا يرخص لنا بان نختلف في قضايا ثانوية . فهذا هو في الواقع المبدأ الحقيقي للاتحاد المسيحي والقرن السادس عشر كان لم يزل مستغرقًا في الآراء المدرسية بحيث لم يكن قادرًا على فهم ذلك فلنؤمل ان القرن التاسع عشر يفهمهُ على احسن منوال

فقال الامير نعم نعم انكم تتفقون فاعطوا اذًا دليلاً على اتحادكم واحسبوا بعضكم بعضًا اخوة فتقدم زوينكل الى علماء وتمبرج وقال لا يوجد احد على الارض ارغب في ان اتحد معهُ اكثر منكم . فقال اكولمباذيوس وبوسر وهيدبو كذلك

فاستئلى الامير اقرُّوا بهم اقرُّوا بهم اخوةً . فتحركت قلوبهم وكانوا على حافة الاتحاد وبكى زوينكل بكاءً امام الامير وارباب الديوان واللاهوتيين كما يخبر لوثيروس نفسهُ ونقدم الى لوثيروس وقدم لهُ يدهُ فكانت عائلتا الاصلاح عتيدتين ان تتحدا وكانت المنازعات المستطيلة مزمعة ان تختنق في سريرها ولكن لوثيروس رفض اليد التي قُدِّمَت لهُ وقال ان لكم روحًا غير روحنا وهذه الكلمات احدثت في السويسيين هزَّة مثل الهزة البرقية وكانت قلوبهم تغرق كلما كررها لوثيروس وهو فعل ذلك مرارًا وهو نفسهُ يخبرنا بهذا الامر

فحصلت مفاوضة قصيرة بين علماء وتمبرج وتشاور لوثيروس وملانكثون واغريكولا وبرنتز ويوناس واوسياندر واذ افتكروا ان تعليمهم الخصوصي عن

الانحار سنيا هو جوهري للخلاص حسبوا جميع الذين رفضوهُ كأنهم خارج حظيرة الايمان . وقال ملانكثون الذي فيما بعد قارب زوينكل في آرائهِ يا لها من حماقة عظيمة فانهم يشجبوننا ومع ذلك يرغبون في اننا نحسبهم اخوةً وقال برنتز يا لهُ من نقلب عظيم . امس كانوا يقرفوننا بكوننا نعبد الهًا هو خبز وهم الان يطلبون الاشتراك معنا . ثم التفت علماءهُ وتبرج نحو زوينكل واصحابهِ وقالوا انكم لستم من شركة الكنيسة المسيحية فلا يمكننا ان نقرَّ بكم اخوة

واما علماء سويسرا فكانوا بمعزل عن ان يشتركوا بروح الانقسام هذا قال بوسر اننا نفتكر ان تعليمكم هو ضد مجد يسوع المسيح الذي يملك الآن عن يمين الآب ولكن اذ نرى انكم في كل شيء تقرون باتكالكم على الرب نعتبر ضميركم الذي يسوقكم الى قبول التعليم الذي تقرون بهِ ولا نشك بكونكم للمسيح

فقال لوثيروس واما نحن فاننا نعترف لكم مرة اخرى بان ضميرنا يمنعنا من ان نقبلكم اخوة . فاجاب بوسر فاذا كان الامر كذلك فطلب ذلك حماقة

ثم قال لوثيروس اني لمتعجب من انكم تريدون ان تحسبوني اخًا لكم فان ذلك يدل على انكم لا تحسبون تعليمكم كلي اللزوم

فاستلقى بوسر المصلح على هذا القياس ذي القرنين قائلاً اختر لنفسك اما ان لا تحسب اخًا كل من يختلف عنك في اية قضية كانت لك وعلى ذلك لا تجد اخًا واحدًا بين كل حزبك واما انك تقبل البعض من الذين يختلفون عنك وعلى ذلك يجب ان تقبلنا

فكان اهالي سويسرا قد افرغوا جهدهم فقالوا اننا نشعر باننا قد فعلنا ما فعلناهُ كأننا في حضرة الرب والاجيال المقبلة سوف تشهد لنا . فكانوا قريبين من الانصراف وكان لوثيروس لم يزل كصخرة وذلك اغضب الامير جدًّا ولاهوتيو هسى وهم كرافت ولمبرت وسنيف ولونيسر وملاندر اجتهدوا مع الامير فتردد لوثيروس وتشاور ايضًا مع اقرانهِ وقال لاصدقائهِ فلنحذر من ان نمسح انوفنا بعنف لئَلاَّ يخرج منها الدم

ثم التفتوا الى زوينكل واكولمباذيوس وقالوا اننا نقبلكم اصدقاء ولا نحسبكم اخوة واعضاء كنيسة المسيح . الاَّ اننا لا نمنع عنكم تلك المحبة العمومية التي تجب علينا نحو اعدائنا ايضًا فكادت قلوب زوينكل واكولمباذيوس وبوسر تنشق . لان هذا التسليم كان بمثابة اهانة جديدة . فقال دعونا نحترز من جميع الكلمات والكتابات الخشنة المرة وليدافع كل واحد عن نفسهِ من دون قذف

فتقدم لوثيروس حينئذٍ الى اهل سويسرا وقال اننا نقبل وانا اقدم لكم يد الصلح والمحبة فهجم السويسيون بكل قلوبهم نحو الوتنبرجيين وتصافحوا جميعًا . ولوثيروس نفسهُ لان والمحبة المسيحية استرجعت حقوقها في قلبهِ فقال حقًّا ان جانبًا عظيمًا من الشكوك يزول بواسطة ازالة مماحكتنا الشديدة ولم يكن يمكننا ان نترجى هذا المقدار فلننزع يد المسيح المانع الاخير الذي يفصل بيننا . وبيننا الآن اتفاق صداقة واذا داومنا الصلوة تاتي الاخوة

وكان تثبيت هذه النتيجة المهمة بتقريرٍ مكتتب امرًا مرغوبًا . قال الامير يجب علينا ان نذيع للعالم المسيحي انكم متفقون في جميع قضايا الايمان ما عدا طريقة وجود جسد ودم المسيح في الافخارستيا . فقر الراي على ذلك ولكن بيد مَن تُستودَع كتابة تلك الورقة . فاتجهت جميع الاعين نحو لوثيروس واهالي سويسرا انفسهم رفعوا دعواهم الى عدم محاباتهِ

فاعتزل لوثيروس الى مخدعهِ وغرق في بحار الفكر واضطرب واستصعب الامر جدًّا فقال اني من الجهة الواحدة اريد ان اراعي ضعفهم ولكن من الجهة الاخرى لست اريد ان اضرب اقل ضربة على تعليم المسيح المقدس . فلم يكن يعرف كيف يجول فيهِ وزاد اضطرابهُ الاَّ انهُ ارتاح اخيرًا وقال اني اكتب القضايا على ادقّ منوال . ألم اعلم اني مهما كتبت فهم لا يمضونهُ . ولم يمضِ الاَّ قليل حتى كتب خمس عشرة قضية وامسكها بيدهِ وانطلق بها الى لاهوتيي الحزبين

ان هذه القضايا هي قضايا مهمة والتعليمان اللذان نبغا في سويسرا وسكسونيا من دون ان يتوقف احدهما على الآخر أتي بهما معًا وقوبلا فاذا كانا من الانسان

فلا بد من ان يوجد فيهما اما اتفاق تام او مضادة تامة . والواقع لم يكن هكذا بل وُجد اتحاد عظيم بين الاصلاح السويسي والاصلاح الجرماني لانهما جميعًا صدرا من نفس التعليم الالهي واختلفا في قضايا ثانوية لان الله احدثهما بواسطة الانسان

فامسك لوثيروس الورقة وقرا القضية الاولى

اولاً اننا نومن بوجود اله واحد وحيد حقيقي جوّاد خالق السموات والارض وجميع المخلوقات وان هذا الاله نفسهُ الذي هو واحد في جوهرهِ وطبيعتهِ هو ذو ثلاثة اقانيم اي آب وابن وروح قدس كما تقرّر في المجمع النيقاوي وكما تعترف كل الكنيسة المسيحية

فقبل السويسيون ذلك

واتفقوا ايضًا في لاهوت وناسوت يسوع المسيح وفي موتهِ وقيامتهِ وفي الخطية الاصلية والتبرير بالايمان وعمل الروح القدس وكلام الله والمعمودية والاعمال الصالحة والاقرار بالايمان والنظام المدني

فالى هذا الحد اتفقوا جميعًا واهالي وتمبرج تحيروا كل الحيرة . فان الحزبين كانا قد رفضا من الجهة الواحدة غلطات البابا وبين الذين يجعلون الديانة شيئًا زائدًا قليلاً عن امر خارجي ومن الجهة الاخرى غلطات الموسوسين الذين انما يتكلمون فقط عن الحاسيات الداخلية ووُجِدا مصطفين تحت راية واحدة بين هذين المعسكرَين ولكن الامر المزمع ان يفصلهما حان فان لوثيروس قد ابقى الى الآخِر قضية الافخارستيا فقال

اننا جميعًا نعتقد نظرًا الى عشية الرب انهُ يجب تتميمها بالشكلين حسب الترتيب الاول وان القدّاس ليس هو عملاً ينال المسيحي بهِ الغفران لانسان آخر سواء كان ميتًا او حيًا وان سر المذبح هو سر جسد المسيح ودمهِ الحقيقيين وان اكل هذا الجسد والدم الروحي هو ضروري بنوع خصوصي لكل مسيحي حقيقي .

فتحيّر اهل سويسرا في دورهم ثم قال المصلح

وكذلك نظرًا الى فائدة السر نتفق انهُ نظير كلمة الله قد رسمهُ الله القادر على

كل شيء لكي تتحرك بهِ الضمائر الضعيفة بواسطة الروح القدس الى الايمان والمحبة فتضاعف فرح السويسيين . ثم استتلى لوثيروس قائلاً ومع اننا الآن لسنا متفقين في هل جسد المسيح ودمهُ الحقيقيان بوجدان جسديًا في الخبز والخمر ينبغي على كلٍ من الحزبين اللذين يتعلق بهما ذلك ان يربوا اكثر فاكثر المحبة المسيحية الحقيقية بعضهم نحو بعض بمقدار ما يسمح الضمير ونحن جميعًا نطلب بحرارة من الرب ان يتنازل بروحهِ فيثبّتنا في التعليم الصحيح

ففاز اهل سويسرا بما طلبوهُ وهو الاتحاد مع اختلاف الراي فقر الراي حالاً ان يصير اجتماع احتفالي لاجل امضاء القضايا

فقُرئت ايضًا فامضاها اولاً على النسخة الواحدة اكولمباذ بوس وزوينكل وبوسر وهيد يو واما لوثيروس وملانكثون ويوناس واوسياندر وبرنتز واغريكولا فكتبوا اسماءهم في النسخة الاخرى ثم امضى كل فريق نسخة اخصامهما وهذه الورقة المهمة أُرسلت الى المطبعة . وهكذا تقدم الاصلاح في ماربرج خطوة كبيرة ولا شك ان الرب قد ترك للكنيسة رموزًا خارجية الى نعمتهِ الاَّ انهُ لم يعلّق عليها الخلاص والقضية الجوهرية هي اقتران المومنين بالكلمة والروح القدس وراس الكنيسة فهذا هو الحق العظيم الذي ينادي بهِ الاصلاح السويسي ويقرُّ بهِ المذهب اللوثراني وبعد محاورة ماربرج قلَّ النزاع

ونجمت من تلك المحاورة فائدة اخرى فان اللاهوتيين الانجيليين في ماربرج رسموا باتفاق واحد انفصالهم من الباباوية وزوينكل لم يكن من دون خوف نظرًا الى لوثيروس ولا شك ان خوفهُ هذا لا اساس لهُ فهذه المخاوف تبددت فقال اننا اذ قد اتفقنا الآن لا يلبث البابا ويون ان يوملوا ان لوثيروس سوف يكون في احد الايام منهم . وقضايا ماربرج كانت الحصن الاول الذي اقامهُ البروتستانت معًا ضد رومية

ان تعب فيلبس امير هسى في ماربرج بعد اعتراض سَپِيْرس اي جمعهُ معًا اصدقاء الانجيل لم يذهب سدًى بل حصل على جانب عظيم من المقصد الديني

وقصر في المقصد السياسي. فانهم لم يقدروا ان يجعلوا اتحادًا بين سويسرا وجرمانيا مع ان فيلبس المذكور وزوينكل تفاوضا من جهة هذا الامر مفاوضات كثيرة سرية اوقعت السكسونيين في الاضطراب لانهم لم يكونوا اقل مضادة لتدابير زوينكل السياسية مما كانوا للاهوتهِ فقال لهُ يوناس انك بعد ان تصلح قبع الفلاحين تحاول ايضًا اصلاح برنيطة الامراء السنجابية

ثم جمع الامير جميع العلماء على مائدتهِ في اليوم الاخير فتصافحوا بمحبة وتدبَّر كل واحد للسفر. ويوم الثلثاء في ٥ تشرين الاول خرج فيلبس امير هسي باكرًا من ماربرج وبعد الظهر انصرف لوثيروس برفقة ارفاقهِ الّا انهُ لم يخرج كغالب فان روح ضعف وخوف استولى على قلبهِ فكان يتقلب في التراب نظير دودة كما قال هو نفسهُ وظن انهُ لا يرى زوجتهُ واولادهُ ايضًا وصرخ انهُ هو معزي انفس هذا مقدارها قد اضحى الآن من دون تعزية

واما زوينكل فترك ماربرج مرتعدًا من ترفض لوثيروس فكتب الى الامير ان المذهب اللوثراني يكون ثقيلاً علينا مثل المذهب الباباوي. ووصل الى زوريخ في ١٩ تشرين الاول فقال لاصدقائهِ ان الحق قد غلب بنوع ظاهر بهذا المقدار حتى انهُ اذا وُجد مغلوبٌ امام العالم باجمعهِ فهو لوثيروس ولئن كان لم يكف عن القول بانهُ لم يغلب وكذلك كان كلام لوثيروس من الجهة الاخرى فقال ان امتناع السويسيين عن الرجوع مع انهم قد غلبوا انما هو ناتج من خوفهم من اهالي بلادهم

واذا سُئِل اي جانب كان الغالب في الحقيقة نقول ان لوثيروس تظاهر غالبًا واما زوينكل فهو الغالب في الحقيقة وهذه المحاورة نشرت في جرمانيا باسرها تعليم السويسيين الذي لم يكن معروفًا هناك الّا قليلاً قبل ذلك فتمسك بهِ جمهور غفير من الناس ومن جملتهم لافردس المدبّر الاول لمدرسة سنت مرتين في برنسويك ودينيسيوس ميلاندر ويوسطس لانج وهرمان وايباخ وآخرون كثيرون والامير نفسهُ قال قبل موتهِ بقليل ان هذه المحاورة الجأتهُ الى رفض اكل المسيح بالفم

اما الباباوبون فاغتاظوا عندما راوا اللوثرانيين والزوينكليين قد اتفقوا في قضايا الايمان الجوهرية فقالوا ان لهم حاسيات مشتركة بينهم ضد الكنيسة الكاثوليكية كما كان لهيرودس وبيلاطس ضد المسيح . وهكذا قالت الاحزاب الموسوسة والحزب الذي افرط في امر الرياسة وكذا الذي افرط في امر السياسة تأسّفوا على حدٍ سواء على اتحاد ماربرج

ولم يمضِ الاّ قليل حتى حدث هياج اعظم كشف جميع هذه الاخبار والحوادث التي تهددت كل الجماعة الانجيلية نادت بوحدتها الشديدة بقوة جديدة وشاع في كل جهة ان الامبراطور اذ حنق من اعتراض سپيرس دخل جنوا بموكب ظافر وبعد ان اقسم في برسلونا باخضاع الارانقة لسلطان البابا انطلق الى زيارة الحبر لكي يحني ركبته بتواضع قدامهُ ولا ينهض من هناك الاّ لكي يقطع جبال الپا ويجري مقاصدهُ الهائلة . قال لوثيروس ان الامبراطور كرلوس قد عزم على ان يظهر نفسهُ اقسى علينا من الكفار انفسهم وتلفّظ بافظع التهديدات فانظروا الى ساعة كآبة المسيح وضعفهِ ولنصلِّ لاجل جميع الذين هم عتيدون بعد قليل ان يقاسوا السبي والموت . فهذه هي الاخبار التي هيجت حينئذ جرمانيا باسرها وصارت

المسالة الكبرى هل يمكن اقامة اعتراض سپيرس عنفًا

ضد سلطان الامبراطور والبابا

وتلك المسألة انحلّت

سنة ١٥٣٠

الكتاب الخامس

القرار في اوغسبرج سنة ١٥٣٠

الفصل الاول

كرلوس الخامس في ايطاليا . السفراء الجرمانيون وشجاعتهم . ملاقاة كرلوس واكليمنضوس . مقاصد الامبراطور

ان الاصلاح تمَّ لانهُ مبدأٌ روحي مبني على كلام الله معلمًا لهُ وعلى الايمان مخلصًا وعلى المسيح ملكًا وعلى الروح القدس سلاحًا وبهذه الوسائط نفسها رفض جميع العناصر العالمية اما رومية فتشيدت بواسطة شريعة وصية لحمية واما الاصلاح فبواسطة قوة حياة لا نهاية لها (عب ٧ : ١٦)

المذهب الباباوي ليس هو ديانة بل آلة پوليتيكية وحيل سياسية ولاجل ذلك لا يحق لهُ ان يُعامَل معاملة المذاهب الدينية بل يجب ان يُحسَب من جملة الامور السياسية الطالبة السطوة والتسلط على رقاب العباد اما الاصلاح فلا يستعمل سلطانًا نحو الامراء والشعب الاَّ ما يصدر من انجيل السلام

واذا دخل الاصلاح في طريق غير مطابق لطبيعتهِ واخذ في التداخل والامتزاج بالعالم وترك بذلك المبدا الروحي الذي نادى بهِ بصوت عالٍ بهذا المقدار فانهُ يكون خائنًا لله ولنفسهِ ويصير سقوطهُ قريبًا . ولا يمكن ان تنجح جماعة اذا كانت غير امينة لمبادئها لانها اذا تركت ما تعلّق بها حياتها لا يبقى لها الاَّ الموت

في بداءة ايلول سنة ١٥٢٩ كرلوس الخامس المنتصر على البابا وعلى ملك

فرانسا بالحروب والشروط دخل جنوا واصوات اهالي اسپانيا شيعتهُ عندما ترك تلك البلاد واعين اهالي ايطاليا المطرقة وشفاهم الصامتة المسلمة ليدهِ هي وحدها ترحّبت بهِ عند سفوح الاپانين وكل شيء دل على ان كرلوس يشفي غليلهُ منهم وفاءً للكرم الظاهر الذي عامل البابا بهِ

ولكنهم انخدعوا فعوضًا عن اولئك الروساء البرابرة الغوثيين والهونيين وعوضًا عن اولئك الامبراطورين المتكبرين المتعظمي الاخلاق الذين قطعوا اكثر من مرة جبال الپا وهجموا على ايطاليا والسيوف بايديهم باصوات الانتقام راى اهالي ايطاليا بينهم اميرًا شابًا بشوشًا اصفر اللون نحيل الجسم ورخيم الصوت ذا اخلاق مرضيّة عليهِ لوائح عالِم لا لوائح جندي يجري بكل تدقيق جميع واجبات الديانة الرومانية وليس معهُ اجواق هائلة من الجرمانيين البرابرة ولكن انصار زاهرون من اكابر اسپانيا الذين اظهروا بكل تنازل كبرياء جنسهم وجلال امتهم وهذا الامير غالب اوروپا لم يكن يتكلم الّا عن السلامة والصلح والحلم حتى ان دوك فرارا الذي كان لهُ دون جميع امراء ايطاليا السبب الاعظم للخوف لما سلّم في مودينا مفاتيح المدينة بيدهِ سمع من شفتيهِ المحبتين تشجيعات لم يكن يتوقعها

فمن اين نجحت هذه المعاملة الغريبة فان كرلوس كان قد اظهر بالكفاية في زمان اسر فرنسيس الاول ان الحلم نحو اعدائهِ لم يكن فضيلتهُ الغالبة ولم يمضِ الّا قليل حتى انكشف هذا السر

وتقريبًا في الزمان الذي وصل فيهِ كرلوس الى ايطاليا وصل ايضًا عن طريق ليون وجنوا ثلاثة رجال من اهالي جرمانيا لم يكن معهم سوى ستة رؤوس خيل وهم يوحنا افنجر والي مانجن الذي كان يرفع راسهُ ويبذر الدراهم حولهُ ولم يكن مشهورًا في الرصانة وميخائيل كادن حاكم نورمبرج الذي كان رجلًا فاضلًا نقيًا شجاعًا ولكنهُ كان مكروهًا لدى امير ناسو الذي كان اشد اعوان كرلوس سطوةً والكسيس فرونتروت كاتب والي برندنبرج الذي بسبب زواجهِ براهبةٍ كانت رائحتهُ ردية لدى البابا وبين فهولاء هم الثلاثة الرجال الذين وكّلهم الامراء

البروتستانت المجتمعون في نورمبرج بان ياخذوا الى الامبراطور اعتراض سپيرس المشهور واختاروا بالقصد هولاء الوكلاء من رتبة متوسطة ظانين ان الخطر عليهم اقل ولا ريب ان حمل مثل هذه الرسالة الى كرلوس الخامس هو عمل يقل الذين يقبلون باجرائهِ ومن ثمَّ تعينت علوفة لارامل هولاء اذا اصابهم شيء

وكان كرلوس في طريقهِ من جنوا الى بولونيا وكان مقيمًا في پياشنزا لما ادركهُ الثلاثة الوكلاء البروتستانت وبين هولاء الجرمانيين الخشنين وفخر الاسبانيوليين وتعبُّد الباباويين حول كرلوس تفاوت عظيم والكردينال غانينارا كاتب الامبراطور الذي رغب جدًّا في اصلاح الكنيسة استاذن لهم بمواجهة كرلوس الخامس في ٢٢ ايلول وقد أُوصوا ان يقللوا الكلام لانهُ لم يكن شيء اكره لدى الامبراطور من عظة بروتستانتية

الّا ان الوكلاء لم يبالوا بهذه الوصية وبعد ان سلَّموا الاعتراض لكرلوس اخذ فرونتروت في الكلام فقال انهُ يجب على كل واحد منا ان يعطي حسابًا للديان السامي لا للخلائق يتقلبون مع كل ريح والاحسن السقوط في اشد المصائب من الوقوع تحت غضب الله وشعبنا لا يطيع شيئًا من الاوامر التي هي مبنية على اساس آخر غير الكتب المقدسة . فهذا هو الكلام الشجيع الذي خاطب بهِ هولاء الجرمانيون امبراطور الغرب . اما كرلوس فلم يجب بكلمة لان اجابتهُ اياهم تكون شرفًا يفوق استحقاقهم ولكنهُ امر واحدًا من كتَّابهِ ان يعدهم بجواب في المستقبل

ولم تكن عجلة في ارجاع هولاء الرسل الادنياء وباطلاً الحُّوا بالطلب كل يوم. اما غانينارا فعاملهم بالمعروف واما ناسو فطردهم بكلام مرّ ولما كان صانع عامل السلاح للبلاط مضطرًّا الى زيارة اوجسبرج لاجل شراء اسلحة طلب من امير ناسو ان يصرف الرسل البروتستانت فاجابهُ خادم كرلوس الخامس قل لهم اننا ننهي مصلحتهم لكي يكون لك ارفاق في سفرك . ولكن اذ وجد الصانع ارفاقًا آخرين التزموا بان ينتظروا

وهولاء الرسل اجتهدوا ان يصرفوا اقلما يكون وقتهم في امور مفيدة فقال

الامير لكادن في ساعة انصرافهِ اذ اعطاهُ كتابًا فرنساويًّا مشدودًا بجمل ومزينا زينة فاخرة خذ هذا الكتاب واعطهِ للامبراطور. وكان الكتاب مختصر الايمان المسيحي الذي كان الامير قد اخذهُ من فرنسيس لمبرت وربما كان من تصانيف ذلك العالِم وطلب كادن فرصة لتسليم هذا الكتاب ففعل ذلك ذات يوم اذ كان كرلوس ذاهبًا باحتفال الى القداس فاخذ الامبراطور الكتاب واعطاهُ حالاً لاسقف اسبانيولي فاخذ في قراءتهِ حتى عثر على العبارة التي امر بها المسيح تلاميذهُ ان لا يستعملوا السلطة (لو ٢٢: ٢٦) فاستعان المؤلّف بهذه الآية على ان يثبت ان الخادم الذي يتسلم امورًا روحية لا يجوز ان يتداخل في الامور الزمنية فعضَّ الاسقف الباباوي على شفتيهِ فرآهُ كرلوس وسالهُ قائلاً ما بالك فالتزم الاسقف ان يلتجي بخزي الى استعمال الكذب . فاجاب ان هذه الرسالة تنزع السيف من الحاكم المسيحي وتسلمهُ للامم الغرباء عن الايمان فقط. وللوقت حدثت ضجة عظيمة والاسبانيوليون على الخصوص غاب وعيهم فقالوا ان الاشقياء الذين اجتهدوا في اضلال امير شاب بهذا المقدار يجب ان يُعلَّقوا على اول شجرة على جانب الطريق فاقسم كرلوس ان حامل ذلك الكتاب ينال قصاص وقاحتهِ

واخيرًا في ١٢ تشرين الاول اسكندر شُوَيس الكاتب الملكي اعطى جواب الامبراطور للرسل وقيل فيهِ انهُ بالاقل يجب ان يخضعوا للاحكام الصادرة في المجمع واذا كان دوك سكسونيا واصحابهُ عاصين فالوسائط لاخضاعهم موجودة

وعند ذلك قرا هنجر وكادن بصوت عالٍ الاستغاثة بالامبراطور التي كُتِبت في سَپِيْرس وفرونتروت وضع على جانب وظيفة رسول ومارس وظيفة كاتب يكتب كل ما يحدث. وعندما انتهت القراءة تقدم الرسل نحو شُوَيس وقدَّموا الاستغاثة فرفض الكاتب الملكي الورقة بحيرة فالحَّ عليهِ الرسل وهو بقي مصرًّا على عزمهِ فوضعوا حينئذٍ الاستغاثة على المائدة فاحتسب شويس فاخذ الورقة وذهب بها الى الامبراطور

وبعد الغداء حالما خرج احد الرسل وهو كادن الى خارج حصلت ضجة

في المنزل دلت على خطبٍ قد حدث وهو ان كاتب الامبراطور كان قد رجع من عندهِ محفوفًا بعدة اجناد وقال للبروتستانت ان الامبراطور غضبان جدًّا عليكم بسبب هذه الاستغاثة وهو يامركم تحت قصاص الغرامة والموت ان لا تتركوا منزلكم ولا تكتبوا الى جرمانيا ولا ترسلوا رسولاً أيًّا كان وهكذا وضع كرلوس رسلاً تحت الحفظ كانهم من الحراس راغبًا ان يظهر على هذا الاسلوب احتقارهُ للامراء وان يخيفهم

فركض خادم كادن بخوف من المنزل وجاء الى معلمهِ واذ كان معلمهُ لا يزال يحسب نفسهُ حرًّا كتب كتابة سريعة الى مشيخة ونمبرج يخبرهم بذلك وارسل مكاتيبهُ مع مخصوص ورجع لكي يكون مع رفاقهِ تحت الحفظ

وفي ٢٣ تشرين الاول ترك الامبراطور بياشنزا واخذ الجرمانيين الثلاثة معهُ ولكن في ٣٠ من الشهر المذكور اطلق اهنجر وفرونتروث وهذان ركبا خيلهما في نصف الليل وسارا بسرعة زائدة في وسط طريق مزدحمة بالجنود واللصوص فقال غريغنلي لكادن واما انت فانك تبقى تحت قصاص الموت والامبراطور يتوقع تسليم الكتاب الذي قدمتهُ لهُ الى البابا وربما ظن كرلوس انهُ يكون امرًا مناسبًا ان يرى الحبر الروماني هذا النهي الصادر ضد خدام الله يمنعهم عن التداخل في الاحكام المدنية الَّا ان كادن انتهز فرصة غفلة في الديوان فاحضر حصانًا بالسرّ وهرب الى فرارا ومن هناك الى فينيشيا ثم رجع من فينيشيا الى نورمبرج

وكلما زاد حنق كرلوس على اهالي جرمانيا بمقدار ذلك ابدى الحلم نحو اهالي ايطاليا ولم يطلب غير جمع اموال غزيرة والموضع الذي اراد ان يثبت فيهِ سلطانهُ هو عبر جبال الپا في مركز عالم المسيحيين وذلك بواسطة هذه المنازعات الدينية والذي كان يجتهد فيهِ ويطلبهُ انما كان امرين وهما السلامة وراءهُ والمال في رفقتهِ

وفي ٥ تشرين الثاني دخل بولونيا وكان كل شيء غريبًا حولهُ اي جمهور

الاشراف ولمعان الاعوان وعجرفة جيوش اسپانيا والاربعة آلاف ذهب بُذِرت بين الشعب وعلى الخصوص جلال وبهاء الامبراطور الشاب وكان رئيسا عالم المسيحيين عتيد بن عن قليل ان يلتقيا فان البابا خرج من بلاطهِ مع جميع انصارهِ وكرلوس اذ كان في مقدمة جيش كان قادرًا على اخذ ايطاليا باسرها في ايامٍ قليلة ولكنهُ تظاهر بتواضع طفل وجثا على ركبتيهِ وقبَّل رجلي الحبر

ان الامبراطور والبابا اقاما في بولونيا في قصرين متجاورين منفصولين بحائط واحد فُتح فيهِ باب لهُ مفتاحان كان مع كل واحد منهما مفتاح وكنت ترى مرارًا الامبراطور الشاب الخبير يزور الحبر الشيخ المحتال حاملاً بيدهِ اوراقًا

فحصل اكليمنضوس على مغفرة سفورزا وجاء امام الامبراطور مريضًا مستندًا على عكاز وحصلت فينيشيا ايضًا على الصفح ومليون من الريالات انهى هاتين المادتين الّا ان كرلوس لم يقدر ان ينال من الحبر الغفران لفلورنسا وتلك المدينة المشيدة اضحت ضحية للمادتين لانهُ كما قيل غير ممكن لنائب المسيح ان يطلب امرًا غير عادل

والامر الاهمّ هو الاصلاح فالبعض بيَّنوا للامبراطور انهُ اذ قد غلب على جميع اعدائهِ ينبغي لهُ ان يجري الامور بيد رفيعة ويقهر البروتستانت بقوة السلاح واما كرلوس فكان احكم من ذلك بل اراد ان يضعف البروتستانت بواسطة الباباويين وان يُذِلَّ الباباويين بواسطة البروتستانت وبهذه الوسيلة يسود عليهم جميعًا

ثم أُعرِض في محفل حافل راي احكم فان الكاتب غاتينارا قال انت (ياكرلوس) راس المملكة وانت ايها البابا راس الكنيسة فيجب عليكما ان تهتما معًا في تدبير طريق لاكفاء الاحتياجات المستجدة فاجمعا انقياء من جميع الشعوب ولينعقد مجمع حرٌّ يستخرج من كلام الله طريقة تعليم تكون مقبولة من جميع الشعوب

فلو سقطت صاعقة عند قدمي اكليمنضوس لما اخافتهُ اكثر من هذا الراي. كان هذا الحبر ابن زواج غير شرعي ونال الحبرية بوسائط قبيحة واختلس

اموال الكنيسة بواسطة حرب غير عادلة وله اسباب كثيرة تجعله يخاف من اجتماع المسيحيين فاجاب ان المحافل الكبيرة لا تفيد الاَّ احداث آراء جمهورية فانهُ لا يجب علينا ان ننهي المماحكات بواسطة احكام المجامع ولكن بحدّ السيف

واذ ابرم غاتينارا قال البابا بغضب قاطعاً حديثهُ عجباً انك تقاومني وتهيج مولاك ضدي فنهض كرلوس فسكت جميع المحفل سكوتاً تاماً ثم جلس الامبراطور في مكانهِ وعضد طلب كاتبهِ فقال اكليمنضوس انهُ يتبصر بذلك ثم اخذ في اقناع الامبراطور الفتى في مفاوضاتهما الخصوصية فوعدهُ كرلوس اخيراً بانهُ يقهر الارانقة عنفاً عنهم اذا استنجد البابا جميع الامراء الآخرين الى مساعدتهِ . فكتب بعضهم من فينيشيا الى الملك المنتخب يقولون ان غاية الايطاليين الوحيدة هي ان يغلبوا جرمانيا بالسيف ثم يمحوها عن وجه الارض

فهذه هي الاخبار المشومة التي بواسطة احداثها الخوف بين البروتستانت كان يجب ايضاً ان تلقي الاتحاد بينهم ولكن واسفاه قد حصلت حركة بعكس ذلك فان لوثيروس والبعض من اصدقائهِ كانوا قد فسروا قضايا ماربرج بمعنى لوثراني محض وكان خدام منتخب سكسونيا قد قدموها لمجمع شواباخ والوكلاء المصلحون من أولم وستراسبرج كانوا قد انصرفوا حالاً فانفض المحفل

ولم يمضِ الاَّ قليل حتى صارت اجتماعات جديدة ضرورية فان الرسول الذي ارسلهُ كادن من بياشنزا وصل الى نورمبرج وكل واحد في جرمانيا فهم القاء القبض على الرسل انهُ علامة اشهار الحرب فحار المنتخب في امرهِ وطلب من كاتبهِ ان يستشير لاهوتيي وتمبرج

فاجاب لوثيروس في ٨ تشرين الثاني بقولهِ انهُ لا يمكننا بحسب ضميرنا ان نمدح الاتحاد المطلوب بل احب الينا ان نموت عشر موتات من ان نرى دعوى انجيلنا تسبب سفك نقطة من الدم فالواجب علينا ان نكون نظير حملان للذبح ولا بد من حمل صليب المسيح فلا تخفْ سعادتك فاننا نعمل بواسطة صلواتنا اكثر مما يعملهُ جميع اعدائنا بواسطة افتخارهم فلا تدع يديك تتضرجان بدم

اخوتك فاذا كان الامبراطور يطلب تسليمنا لمحاكمهِ فاننا مستعدون لذلك ولا نقدر ان نحمي ايماننا بل يجب على كل واحد ان يؤمن ويحتمل بنفسهِ الخسارة والخطر الناتجين من ذلك

وفي ٢٩ تشرين الثاني انفتح مجمع انجيلي في سمالكالد وحادثة غير منتظرة جعلت هذا الاجتماع اكثر اهتمامًا وذلك ان اهنجر وكادن وفرونتروت الذين هربوا من قبضة يد كرلوس الخامس حضروا امامهم والامير لم يبقَ عندهُ شك في نجاح تدبيرهِ

ولكنهُ انخدع لان مبدا لوثيروس اي لا اتفاق بين تعاليم مضادة ولا اتحاد بين السياسة والديانة غلب وقر الراي على ان الذين يريدون ان يجتمعوا على قوانين شوابابخ يجتمعون وحدهم في نورمبرج في ٦ كانون الثاني

فازداد الحال كل ساعة ثقلاً فكتب باباوبو جرمانيا بعضهم الى بعض هذه الكلمات القليلة الكبيرة المعنى ان المخلص آتٍ فقال لوثيروس آه يا لهُ من مخلص عادم الشفقة فانهُ يبتلعهم جميعًا ويبتلعنا نحن ايضًا وفي الواقع اسقفان ايطاليّان مؤيَّدان بامر من كرلوس الخامس طلبوا باسم البابا كل الذهب والفضة من الكنائس وثلث المداخيل الكنائسية . وهذا العمل احدث تاثيرًا قويًّا فاجاب راهب من بادربرن بحرّية مفرطة دع البابا يذهب الى الشيطان . فاجاب لوثيروس بهزءٍ نعم نعم هذا هو مخلصكم الذي هو آتٍ فابتدا الناس يتكلمون عن علامات مخيفة فانهُ لم يتحرك الاحياء فقط بل قالوا عن طفل في بطن امهِ صرخ باصوات مريعة فقال لوثيروس قد تمَّ كل شيءٍ . قد بلغت قوة الكفار اشدها ومجد البابابوية آخذٌ في الانحطاط والعالم يتمزق من كل جهة . وخاف المصلح من اتيان آخر العالم قبل انهاء ترجمة كل الكتاب المقدس فطبع نبوة دانيال وحدها وقال ان هذا الكتاب يناسب هذه الايام ثم قال ان المورخين يخبروننا بان اسكندر الكبير كان دائمًا يضع نسخة من اشعار هوميروس تحت وسادتهِ ودانيال النبي لا يستحق فقط ان الملوك والامراء يضعونهُ تحت رؤوسهم بل ان يحملوهُ في

قلوبهم لانهُ يعلمهم ان سياسة الشعوب تصدر من سلطان الله فاننا محمولون بيد الله نظير سفينة في البحر او سحابة في الجو . ولكن الصورة الشنيعة التي كان فيلبس امير هسى لا يزال يدل اصحابهُ عليها والتي كان فكاها الهائلان مفتوحين للابتلاع تلاشت بغتةً فرأَوا في مكانها صورة امير منعم ودود

وفي ٢١ كانون الثاني كان كرلوس قد طلب جميع وكلاء المملكة الى اوجسبرج واجتهد في استعمال كلام لطيف جدًّا فقال فلنجعل نهاية لكل اختلاف ولنرفض بغضنا ولنقدم لمخلصنا ذبيحة جميع غلطاتنا ولنجتهد في ان ندرك ونعتبر بوداعة آراء الآخرين ولننفِ كل ما قد قيل او عُمِل من الجانبين ضد الحق ولنسعَ في طلب الحق المسيحي ونحارب جميعنا تحت لواء قائد واحد بعينهِ يسوع المسيح ولنبذل همتنا في ان نجتمع في شركة واحدة وكنيسة واحدة ووحدة واحدة

فما احسن هذه العبارات فكيف اتفق ان هذا الامير الذي لم يتكلم قبل ذلك الاَّ عن السيف لم يتكلم حينئذٍ الاَّ عن الصلح وربما يقول البعض ان يد غاتينارا الحكيم كان لها خلطة في ذلك وان الطالب قد حصل تحت تصوُّر الخوف المسبَّب من فتوحات الاتراك وان الامبراطور راى كيف ان الكاثوليكيين الجرمانيين يجيبونهُ الى مرغوبهِ برغبة قليلة وانهُ اراد ان يخيف البابا وان هذه العبارات المملوءة لطفًا لم تكن سوى برقع استعملهُ كرلوس لكي يخدع اعداءهُ وانهُ اراد ان يدبر الديانة بطريق ملكي حقيقي كما فعل ثيودوسيوس وقسطنطين ويطالب اولاً ان يجعل الفريقين يتحدان بواسطة حكمتهِ وانعاماتهِ حافظًا لنفسهِ استعمال السيف فيما بعد اذا قصر اللطف ومن الممكن ان كل واحد من هذه الاسباب فعل في عقل كرلوس والظاهر لنا ان السبب الاخير اقرب الى الواقع واكثر مطابقة لطبيعة هذا الامير

ولكن اذا اراد كرلوس ان يظهر شيئًا من الاستمالة نحو اللطف ففرد يننند المترفض كان قريبًا منهُ لاجل ارجاعهِ فكتب الى اخيهِ يقول انني لا اكفُّ عن المراسلة من دون نهي القضية واذا التزمت بذلك فلا تخف فانهُ يوجد دائمًا

حجج لقهر هولاء العصاة وسوف نجد رجالاً بالكفاية ينسرّون في مساعدتك على الانتقام من هولاء

الفصل الثاني

تتويج الامبراطور . خوف البروتستانت . اعداد قضايا الايمان . لوثيروس في كوبرج . كرلوس في انسبروك . حيل البابا وبين

ان كرلوس الخامس اراد ان يفعل مثل كرلوس الكبير في الازمان القديمة ومثل نابوليون في الايام المتاخرة اي ان يتتوّج بيد البابا وافتكر اولاً ان يزور رومية لاجل هذه الغاية الّا ان مكاتيب فرديننـد الملحة الزمته بان يختار بولونيا فعيّن اليوم الثاني والعشرين من شهر شباط لاجل تتويجهِ بتاج الحديد نظير ملك لمبرديا وعزم على لبس التاج الذهبي نظير امبراطور الرومانيين في اليوم الرابع والعشرين من الشهر المذكور الذي هو يوم ميلادهِ وتذكار وقعة پاڤيا وكان دائمًا يحسب ذلك اليوم يوم سعدٍ

فوظائف الشرف المختصة بمنتخبي المملكة قد اعطيت للاجانب وفي تتويج امبراطور جرمانيا كان كل شيء اسپانيوليًا او ايطاليًا فان امير مونتفرات حمل الصولجان ودوك اوربينو حمل السيف ودوك ساڤواه حمل التاج الذهبي وحضر امير واحد جرماني قليل الاعتبار اسمهُ فيلبس وهو حمل الكرة وبعد هولاء الاكابر مشى الامبراطور نفسهُ بين كردينالين ثم بعدهُ ارباب مشورتهِ وكل هذا الموكب صفوفًا متوالية قطع جسرًا عظيمًا وقتيًا قد أُقيم بين القصر والكنيسة وحالما دنا الامبراطور من كنيسة مار بترونيو حيث كان مزمعًا ان يتوّج انكسر الجسر وراءهُ فانجرح كثيرون من صفوفهِ وهرب الجمهور بخوف فالتفت كرلوس

الى ما وراءهُ بهدوٍ وتبسم غير شاك بان نجمهُ السعيد قد انقذهُ من ذلك الخطر
واخيرًا وصل كرلوس الى ما قدام الكرسي الذي كان اكليمنضوس جالسًا عليهِ ولكن قبل ان يصير امبراطورًا كان من الواجب ترقيتهُ الى الدرجات المقدسة فقدم لهُ البابا القميص والبطرشيل لكي يجعلهُ شماس كنيسة مار بطرس ومار يوحنا اللاتراني وشامسة هاتين الكنيستين نزعوا عنهُ حالاً حلتهُ الملكية والبسوهُ الحلل الكهنوتية وذهب البابا الى المذبح وشرع في القداس فتقدم اليهِ الشماس الجديد لكي يخدمهُ وبعد التقدمة قدم الشماس الامبراطوري الماء للحبر ثم جثا بين كرد ينالين وتناول من يد البابا ثم رجع الامبراطور الى عرشهِ حيث وشحهُ الامراء بالرداء الملكي الذي أُحضِر من القسطنطينية المرصع بالماس وكرلوس جثا بتواضع قدام اكليمنضوس السابع
وبعد ان مسحهُ الحبر بزيت وسلمهُ الصولجان اعطاهُ سيفًا مجردًا وقال استعملهُ في المحاماة عن الكنيسة من اعداء الايمان ثم اخذ الكرة الذهبية المرصعة بالجواهر التي كان الامير فيلبس حاملاً اياها وقال احكم على العالم بالتقوى والثبات ثم تقدم اخيرًا دوك ساقواه الذي كان حاملاً التاج الذهبي المرصع بالالماس فجثا الامبراطور ووضع اكليمنضوس التاج على راسهِ وقال يا كرلوس الملك القهار اقبل هذا التاج الذي نضعهُ على راسك علامة لجميع العالم للسلطان الذي أُسبغ عليك
وحينئذٍ قبَّل الامبراطور الصليب الابيض المنسوج على حذاء البابا الاحمر وقال اني اقسم بان اكون بجميع قواتي وطاقتي المحامي الدائم عن السلطة الحبرية وكنيسة رومية
وحينئذٍ جلس الرئيسان تحت قبة واحدة ولكن على عرشين متفاوتين في العلو لان عرش الامبراطور كان اوطأ من عرش الحبر بنصف قدم فنادى الشماس الكردينال للشعب بالامبراطور القهار محامي الايمان وفي مدة نصف ساعة بعد ذلك لم يسمع شيء الا صوت البواريد والابواق والدفوف والطبول

وجميع اجراس المدينة وضجيج الجمهور وهكذا نودي مناداة جديدة باتحاد الحكومة والديانة اتحادًا قويًا والامبراطور القهار الذي تحول الى شماس روماني يخدم القداس بتواضع نظير شماس لماربطرس كان رمزًا واشهارًا لاتحاد الكنيسة الرومانية بالحكومة اتحادًا غير منحل وهذا هو من جملة التعاليم الجوهرية للباباوية ومن اعظم الصفات التي تميزها عن الكنيسة الانجيلية المسيحية

الّا ان البابا بان في الاحتفال كهُ غير مرتاح وكان يتنهد كلما كفت اعين الناس عن التفرس فيهِ ومن ثم كتب السفير الفرنساوي الى بلاطهِ ان هذه الاربعة الاشهر التي صرفها الامبراطور والبابا معًا في بولونيا سوف تثمر اثمارًا لا يكون لملك فرانسا وجه اصلاً للتشكي منها

وحالما نهض كرلوس الخامس من امام مذبح القديس بترونيو حوّل وجههُ نحو جرمانيا وظهر على جبال الالب نظير مسيح الباباوية والمكتوب الداعي الى المجمع الذي كان لطيفًا وحليمًا بهذا المقدار نُسي وكل شيء صار حديثًا بعد بركة البابا ولم يكن سوى فكر واحد في العقل الملكي وهو اجراء اعمال قاسية والقاصد كمباجيو لم يكف عن ان يدخل كلمات مهيجة في اذني الامبراطور . قال غرانڤلي انهُ عند الخبر الاول بالعاصف الذي يتهدد البروتستانت سوف نراهم يطيرون من كل جهة نظير حمامات جبانة ينقض عليها النسر الالبي . والخوف في المملكة اشتد جدًا والناس الخائفون كانوا يتوقعون اشد البلايا واخبروا في كل مكان ان لوثيروس وملانكثون قد ماتا فقال ملانكثون ذائبًا من الكآبة عندما سمع هذه الاخبار واسفاه ان الخبر هو حقيقي بالتمام لاني اموت كل يوم واما لوثيروس فبالعكس رفع عين الايمان نحو السماء وصرخ قائلاً ان اعداءنا انما يفتخرون بقرب دمارهم وفي الحقيقة مشورات المنتخب كانت ذات جسارة لم يكن لها مثل . قالوا فلنجمع عساكرنا ونهجم على التيرول ونسد مجاز جبال الالب على الامبراطور . وفيلبس امير هسى صرخ صراخ فرح عندما سمع ذلك وسيف كرلوس قد هيج اخيرًا اصحابهُ الكسلين فأُرسل في الحال سعاة جدد من قبل فرد يننند لكي يعجلوا

قدوم كرلوس وكانت جرمانيا باسرها في الانتظار

اما الملك المنتخب فقبل اجراء هذا العمل الجسور اراد ان يستشير لوثيروس مرة اخرى والامبراطور بين المنتخبين الامراء انما كان فقط الاول بين اقرانهِ والامراء المستقلون كان مرخصًا لهم ان يقاوموا اميرًا آخر حتى ولو كان اعلى رتبة منهم واما لوثيروس فاذ خاف اكثر من كل شيءٍ تعرض اليد السياسية في مصالح الكنيسة اضطر ان يجاوب في ٦ اذار بهذا الجواب الغريب فقال ان رعايا امرائنا هم رعايا الامبراطور ايضًا وهم كذلك على اتم منوال من الامراء فان حماية رعايا الامبراطور بالسلاح من الامبراطور هي كما اذا كان متصرف تورغو يريد ان يحمي رغمًا رعاياهُ من الملك المنتخب

فماذا يُعمَل . فاجاب لوثيروس اصغوا . اذا اراد الامبراطوران يقوم علينا فلا يجب ان احد الامراء يحاول المحاماة عنا فان الله امين فلا يتركنا . فتُرِكت حالاً جميع الاستعدادات للحرب ورُفض باللطف راي امير هسى وانحل الاجتماع . كانت ارادة الله ان هذا الامر يظهر امام الامبراطور من دون ارتباط ومن دون جنود لهُ الايمان وحدهُ ترسًا

وربما لم يعاين قط مثل هذه الجراءة في قوم ضعفاء غير متسلحين ولم يوجد قط هذا المقدار من الحكمة والفهم ولئن كان ذلك في الظاهر عماوة والقضية الاخرى التي صار البحث فيها في ديوان الملك المنتخب هي هل يذهب الى المجمع . فاكثر ارباب الديوان ضادوا ذلك بقولهم اليس هو القاء كل شيءٍ في خطر ان تذهب وتحبس نفسك داخل اسوار مدينة ذات جيش قوي واما بروخ والامير المنتخب فكان رايهما خلاف هذا فان الواجبات كانت في اعينهما مشيرًا احكم من الخوف فقالا لا فماذا . هل يلح الامبراطور بهذا المقدار على الامراء لكي يحضروا الى اوجسبرج لكي يجتذبهم فقط الى الفخ فانهُ لا يمكننا ان ننسب اليهِ مثل هذه الخيانة واما الامير فيلبس فبالعكس اثنى راي الاكثرية فقال تذكر بياشنزا فانهُ ربما وجد امرٌ غير منظور يسوق الامبراطور الى اصطياد جميع اعدائهِ بالقاء

الشبكة دفعة واحدة. واما الكاتب فوقف ثابتًا وقال فليتقلد الامراءُ بالشجاعة فيكون عمل الله في امان فقر الراي على اتباع التدبير الاشرف

وهذا الجمع كان مزمعًا ان يكون مجمع عوام او على الاقل محفلاً عموميًا وراى البرونستانت سلفًا انهُ في اول الامر يرخص لهم في امور قليلة لا طائل تحتها ثم يطالب منهم ان يضحوا ايمانهم ومن ثم كان ضروريًا ان يثبتوا القضايا الجوهرية من الايمان المسيحي لكي يعرفوا اذا كانوا يقدرون ان يتفقوا مع اخصامهم وما هي الواسطة لذلك والى اية درجة يكون الاتفاق ومن ثمَّ ارسل المنتخب مكاتيب في ١٤ اذار الى الاربعة اللاهوتيين المشاهير في وتمبرج مقدما لهم هذا العمل لكي يفضلوهُ على جميع مصالحهم وهكذا عوضًا عن جمع العساكر كتب هذا الامير قوانين فكانت احسن الاسلحة

ان لوثيروس وبوناس وملانكثون وصلوا الى تورغو في اسبوع الفصح وطلبوا الاذن ان يقدموا هم انفسهم قضاياهم لكرلوس الخامس واما بوميرانيوس فبقي في وتمبرج فاجاب الملك المنتخب كلاَّ ولكنني انا ايضًا ارغب في ان اعترف بربي

واذ سلم الملك يوحنا الى ملانكثون امر تحديد قضايا الايمان وامر بتقديم صلوات عمومية اخذ في سفرهِ في ٣ نيسان آخذًا معهُ مئة وستين فارسًا متشحين باردية فاخرة قرمزية منسوجة بالقصب

وكان الجميع شاعرين بالخطر الذي على الملك المنتخب ومن ثمَّ كثيرون من اعوانهِ ساروا باعين منخفضة وقلوب كئيبة واما لوثيروس فاذ كان ممتلئًا ايمانًا شجع اصدقاءهُ بواسطة نظمهِ وترتيلهِ بصوتهِ اللطيف تلك الترنيمة الجميلة التي اشتهرت بهذا المقدار بعد ذلك وهي ان الهنا هو حصن قوي . والنفس العارفة ضعفها والمحتقرة كل خوف ناظرة الى الله لم تجد قط مثل هذه الالفاظ الشريفة تعبّر بها عن حاسياتها

انناِ بقوتنا لا نقدر على عمل شيء . فان الخراب يفتح فاهُ من كل جهة
المسيح يحارب عنا وهو عوننا الحقيقي . المختار من الله لكي يرشدنا

فما هو اسمهُ . المسيح ورب الصباووت

هو وحدهُ رب السماء والارض ومعهُ في ميدان القتال تثبت الغلبة

وكانت هذه الترنيمة ترتل في مدة الاجتماع ليس في اوجسبرج فقط بل ايضاً في جميع كنائس جرمانيا وكانت عباراتها الشجيعة تحيي وتنبه الضمائر الكئيبة

وفي مساء الفصح وصل الجيش الى كوبرج وفي ٢٣ نيسان تقدم الملك المنتخب في طريقهِ ولكن في نفس الساعة التي سافر فيها امر لوثيروس ان يبقى وكتب الى صديق لهُ ان بعضهم قال اسكت فان صوتك خشن . الّا انهُ خضع من دون تردد واضعاً مثال الطاعة الرغية التي كان يحامي عنها بهذا المقدار من الجراءة . وخشي المنتخب من ان وجود لوثيروس يهيج اخصامهُ اكثر فاكثر ويحمل كرلوس على الافراط في اعمالهِ ومدينة اوجسبرج ايضاً كتبت اليهِ بهذا المعنى ومع ذلك رغب المنتخب في ان يبقي لوثيروس في مكان يقدر ان يطالهُ فيهِ لكي يكون قادرًا على اخذ رايهِ ولهذا أُبقي في كوبرج في القلعة المشرفة على المدينة ونهر اتز في الطبقة العليا الى جهة الجنوب ومن ذلك المكان كتب تلك المكاتيب الكثيرة التي أُرّخت من مملكة الطيور وهناك حصل بينهُ وبين عدوهِ القديم الوارتبرجي اي الشيطان جهاد ملو ظلامًا وكآبة

وفي ٢ ايار وصل المنتخب الى اوجسبرج . زعموا انهُ لا ياتي ولكن لاجل اذهال الجميع كان اول من حضر الى المجمع . فارسل حالاً دازيغ رئيس اجناد البلاط لاجل ملاقاة الامبراطور وتحيتهِ وفي ١٢ ايار فيلبس امبرهسى الذي عزم اخيرًا على عدم مفارقة صاحبهِ وصل مع موكب يشتمل على مئة وتسعين فارسًا وفي ذلك الوقت نفسهِ تقريبًا دخل الامبراطور انسبروك في التيرول برفقة اخيهِ وملكتي هنكاريا وبوهيميا وسفراء فرانسا وانكلترا والبرتوكال وكمباجيو القاصد البابوي وكردينالين آخرين مع امراء واشراف كثيرين من جرمانيا واسپانيا وايطاليا

وكان الموضوع العظيم المهم للحديث في ذلك المحفل الزاهر بين الاشراف والخوارنة والنساء والاجناد والمبشرين والسفراء ما هي الطريقة لارجاع الاراتقة

الى طاعة الكنيسة فانهم او اقل ما يكون كرلوس لم يكونوا مستعدين لربطهم بالاوتاد ولكنهم ارادوا ان يتصرفوا بطريق يقودونهم بها الى خيانة ايمانهم والجثو امام البابا فاقام كرلوس في انسبروك لكي يلاحظ حالة جرمانيا وليوجد طريقة راهنة لنجاح تدابيره

وحالما عُرِف وصولهُ اجتمع حولهُ جمهور من الناس من الخاص والعام واكثر من ٢٧٠٠٠٠ ريال قد جمعت سابقًا في ايطاليا جعلت الجرمانيين يفهمون عدالة دعوى رومية وكان صوت الجمهور ان جميع هولاء الاراتقة يسقطون الى الحضيض ويدبدبون الى امام قدمي البابا

واما كرلوس فلم يفتكر هكذا بل بالعكس تحير عندما راى القوة التي حصل عليها الاصلاح حتى انهُ افتكر لحظة بان يحيد عن اوجسبرج وان ينطلق راسًا الى كولون وبالمناداة هناك باخيهِ ملكًا على الرومانيين . وهكذا كانت مصالح الديانة تُرِكت لاجل المصالح العائلية وهكذا اقل ما يكون كان الخبر الشائع الّا ان كرلوس الخامس لم يتوقف عند هذا الفكر فان قضية الاصلاح كانت هناك امامهُ تزداد كل ساعة قوة ولم يكن الهرب منهُ ممكنًا

وانقسم اهل بلاط الامبراطور حزبين احدهما كثير العدد ونشيط طلب من الامبراطور ان يحيي فقط حكم وُرمس وان يشجب دعوى البروتستانت من دون ان يسمعهم وكان القاصد في مقدمة هذا الحزب فقال لكرلوس لا تتردد بل ابح املاكهم وثبت التفتيش وقاص هولاء الاراتقة العنيدين بالنار والسيف . واهالي اسپانيا الذين اثنوا هذا الطلب اطلقوا العنان لخلاعتهم المعتادة وقُبِض على كثيرين منهم لاجل الفحشاء وكان ذلك مثالاً رديًا للايمان الذي ارادوا ان يلزموا جرمانيا بقبولهِ فان رومية دائمًا تستخف بالآداب

وغاتينارا مع انهُ كان مريضًا سار مع موكب كرلوس لكي يضعف سطوة القاصد واذ كان عدوًا الد للسياسة الرومانية افتكر ان البروتستانت يفيدون المسيحيين فائدة عظمى فقال اني لا ارغب شيئًا اكثر من ان ارى منتخب سكسونيا

والمتحدين معهُ يثبتون بشجاعة في الاقرار بالانجيل ويطلبون اقامة مجمع حرّ واذا سمحوا لانفسهم ان يرجعوا الى الوراء بواسطة المواعيد او التهدد بدات فانني انا اتردد وانمايل واشكك بوسائط الخلاص . ان اعضاء الكنيسة البابا وية المستنيرين الامناء (ولا بد من وجود البعض منهم ابدًا) يميلون الى جانب الاصلاح

وكرلوس الخامس اذ كان عرضةً لهاتين الفئتين المتضادتين رغب في ان يرجع الى جرمانيا الوحدة الدينية بواسطة تداخلهِ بنفسهِ وحينًا ظن نفسهُ قريبًا من النجاح

ومن جملة الذين تقاطروا الى انسبروك خريستيان التعيس ملك دنيمارك صهر كرلوس فباطلاً عرض على رعاياهُ ان يزور رومية لاجل التكفير عن قساواتهِ التي قُرّف بها فان رعاياهُ كانوا قد طردوهُ واذ ذهب الى سكسونيا الى خالهِ الملك المنتخب سمع هناك لوثيروس وقبل التعاليم الانجيلية اقل ما يكون في ظاهر الاقرار وهذا الامير المسكين المعزول لم يقدر على مقاومة فصاحة القائد القوي المتسلط على عالمين فوضع نفسهُ ايضًا جهارًا تحت قضيب الرياسة وذلك بواسطة كرلوس الخامس وجميع الحزب البابا وي ضج ضجة الظفر فانهُ لا يوجد شيءٌ يضاهي سهولة تصديقهم والاهتمام الذي يعلقونهُ على مثل هذا الاكتساب الذي لا قيمة لهُ فكتب اكليمنضوس السابع الى كرلوس ويدهُ ترتجف من الفرح يقول انني لا اقدر ان اصف التاثير الذي احدثهُ فيَّ هذا الخبر فان بهاء فضائل سعادتك قد ابتدا اخيرًا يبدد الظلمة فان هذا المثال يقود الى ارتدادات لا تحصى عددًا

وكانت الامور على هذا الحال عندما وصل بسرعة الى انسبروك جرجس دوك سكسونيا ووليم دوك باقاريا ويواكيم منتخب برندنبرج الذين كانوا من اعظم اعداء الاصلاح

وسكينة المنتخب الذي كانوا قد راوهُ في اوجسبرج ازعجتهم لانهم لم يعرفوا

الينبوع الذي استمد يوحنا شجاعتهُ منهُ فتوهموا انهُ قد دبر تدبير خادع فقالوا لكرلوس ان اتيان المنتخب يوحنا اولاً الى اوجسبرج وظهورهُ هناك بجمهور معتبر ليس من دون سبب فانهُ يريد ان يقبض عليك فبادر بسعادتك واسمح لنا ان نقدم لك حراساً نحو ستة آلاف خيال فصارت حالاً مفاوضات كثيرة فخاف البروتستانت وقال ملانكثون انهم قد اجتمعوا في انسبروك لكي يروا احسن الوسائط لاخذ رؤوسنا . اما غاتينارا فاقنع كرلوس بان يبقى على الحيادة

وعند ما حصل هذا الاضطراب في التيرول فالبروتستانت عوضاً عن ان يظهروا بالسلاح كما كانوا يقرفون ارسلوا صلواتهم الى السماء وامراؤهم استعدوا لكي يردوا جواباً عن ايمانهم

كان منتخب سكسونيا في الرتبة الاولى بينهم فان يوحنا منتخب سكسونيا كان صادقاً ومستقيماً ومخلصاً منذ صبائهِ ونفر باكراً من الملاهي التي اشترك فيها في اول عمرهِ وحيي بفرح يوم الاصلاح ونور الانجيل دخل عقلهُ الرزين المتامل وكانت لذتهُ العظيمة ان يسمع قراءة الكتاب المقدس في اخريات النهار نعم ان المنتخب التقي اذ تقدم في السن كان ينام احياناً عند القراءة الَّا انهُ كان ينتبه سريعاً ويعيد الآية الاخيرة بصوت عالٍ ومع انهُ كان معتدلاً ومحب السلامة كان لهُ نشاط ينتبه بقوة بواسطة مصالح الايمان فانهُ لم يوجد في القرن السادس عشر وربما لم يوجد منذ ازمان الكنيسة الاولى امير عمل لاجل الانجيل ما عملهُ يوحنا منتخب سكسونيا ومن ثم كان هو الشخص الذي اتجهت ضدهُ اجتهادات البابا ويين الاولى

ولكي يربحوهُ ارادوا ان يستعملوا وسائط تختلف جدًّا عما سبق استعمالهُ ففي سپيرس كان الجميع ينظرون شزراً من كل جهة الى الانجيليين واما في اوجسبرج فبالعكس قابلهم البابا ويون بترحب ظاهر واظهروا ان المسافة التي تفصل بين الحزبين لاطائل تحتها واستعملوا في مفاوضاتهم الخصوصية الطف العبارات طالبين ان يملقوا بذلك البروتستانت السريعي التصديق ويوقعوهم في الوهق كما

يخبرنا سكندروف والبروتستانت سقطوا بكل بساطة بهذه الحيل

وكان كرلوس الخامس موقناً ان الجرمانيين الساذجين لا يقدرون على مقاومة نجمهِ فقال ارباب ديوانهِ لهُ ان ملك دنيمارك قد ارتد فلماذا لا يقتفي المنتخب اثرهُ فلنجتذبهُ الى الكرة الامبراطورية فدعا حالاً يوحنا لكي ياتي ويتكلم بانس مع الامبراطور في انسبروك اذ اكدوا لهُ استمالة كرلوس الخصوصية نحوهُ

وابن المنتخب يوحنا فردريك الذي عندما راى تقدم الباباويين كان قد صرخ اولاً اننا نتصرف في اشغالنا بجهالة يرثى لها سمح لنفسهِ ان يصاد بهذا الشرك فقال لابيهِ ان الامراء الباباويين يبذلون جهدهم في تسويد عرضنا فاذهب الى انسبروك لاجل انهاء هذه الافعال الخبيثة والاَّ فاذا كنت لا تشاء فارسلني مكانك

وفي ذلك الوقت برَّد المنتخب الفطن حرارة ابنهِ واجاب اعوان كرلوس انهُ لا يليق تعاطي مصالح المجمع في مكان آخر غير المكان الذي عيَّنهُ الامبراطور نفسهُ وانهُ من ثم يترجى ان جلالتهُ يسرع في قدومهِ وهذه هي الخيبة الاولى التي صاد فها الامبراطور في حيلهِ ضد الاصلاح

الفصل الثالث

اوجسبرج . المناداة بالانجيل . رسالة الامبراطور . النهي عن الوعظ بالانجيل . ثبات الملك المنتخب . مكتوب البابا . كرامة روح فيلبس امير هسي

وفي تلك الفترة كانت اوجسبرج تمتلي من الناس يوماً فيوماً فان الامراء والاساقفة والوكلاء والاكابر والفرسان والجنود بالملابس الفاخرة دخلوا من كل باب وملأوا الازقة والمنازل والخانات والكنائس والقصور وكل ما كان

بهيًّا في جرمانيا كان مزمعًا ان يجتمع هناك والحال المهم الذي كانت فيهِ المملكة وعالم المسيحيين وحضور كرلوس وحسن اطوارهِ ومحبة الامور الجديدة والملاهي العظيمة والحركات القوية جذبت الجرمانيين من اوطانهم وجميع الذين كان لهم مصالح عظيمة للبحث فيها فضلاً عن جمهور الكسالى تقاطروا من اقاليم المملكة المختلفة واسرعوا في طريقهم نحو تلك المدينة المعتبرة

وفي وسط ذلك الجمهور كان المنتخب والامير عازمين على الاعتراف بيسوع المسيح وان يستعينا بهذا الاجتماع على ترجيع المملكة الى المسيح وبالكد وصل يوحنا حتى امر واحدًا من لاهوتييهِ بالوعظ كل يوم والابواب مفتوحة في كنيسة الدومينيكيين . ويوم الاحد في ٨ ايار عُمل ذلك في كنيسة القديسة كاثرينا وفي ١٢ فتح فيلبس امير هسى ابواب الكنيسة الاولى في المدينة ونادى واعظهُ شنيف هناك بكلمة الخلاص وفي الاحد التالي في ١٥ ايار امر هذا الامير سلاريوس خادم اوجسبرج وتابع زوينكل ان يعظ في ذلك الهيكل نفسهِ وبعد ذلك بقليل تمكن الامير في كنيسة مار اولريخ والمنتخب في كنيسة القديسة كاثرينا وهذان هما المكانان اللذان اخذهما هذان الاميران الفاضلان وكل يوم كان الانجيل يُنادى بهِ في هذين المكانين لجمهور غفير حسن الاصغاء

فانذهل اشياع رومية لانهم كانوا يتوقعون ان يروا مذنبين يجتهدون في ستر زلاتهم فصادفوا معترفين بالمسيح برؤُوس مرفوعة وكلام قوي واذ اراد اسقف اوجسبرج ان يماثل هذه المواعظ امر وكيلهُ وواعظهُ ان يتبوأ المنبر ولكن خوارنة الرومانيين اخبر بطقس القداس مما هم بالوعظ بالانجيل فقال بعضهم انهم يضجون ويعوّلون وقال جميع سامعيهم باستهزاء انهم قوم بلداء . فخجل البابا ويون من خوارنتهم وابتدأوا يغضبون واذ لم يقدروا على ضبط سلطانهم بواسطة الوعظ التجأوا الى السلطة المدنية . قال ملانكثون ان الخوارنة يشغلون آلات عجيبة لكي يربحوا عقل قيصر . فنجحوا في ذلك واشهر كرلوس غيظهُ من جسارة الامراء واصدقاء البابا تقدموا حينئذٍ الى البروتستانت وقالوا لهم هامسين في اذانهم ان

الامبراطور الذي غلب ملك فرانسا والحبر الروماني سوف يظهر في جرمانيا ويسحق جميع الانجيليين فاضطرب الملك المنتخب واستشار لاهوتييهِ

وقبل ان تهيا الجواب وصلت اوامر كرلوس صحبة اثنين من احسن المقربين عندهُ وهما امير ناسو وامير نيونار ولم يكن ممكنًا انتخاب احكم من هذا لان هذين الشريفين مع انهما تمسكا بشدة مع كرلوس كانا مائلين نحو الانجيل الذي اعترفا بهِ بعد ذلك بقليل ومن ثمَّ مال المنتخب ميلاً تامًا الى الاصغاء الى مشورتهما

وفي ٢٤ ايار سلم الاميران المذكوران كتاباتهما ليوحنا منتخب سكسونيا واوضحوا انهُ عظم حزن الامبراطور من ان الجدالات الدينية تشوش المحبة التي قرنت بيتي سكسونيا واوستريا مدة سنين كثيرة بهذا المقدار وانهُ تعجب عندما راى المنتخب يقاوم حكمًا (حكم وُرمس) قد خرج بصوت واحد من جميع وكلاء المملكة وان الاتحادات التي عملها من شانها ان تمزق وحدة جرمانيا وتملاها دمًا وطلبا اخيرًا ان المنتخب يبطل حالاً الوعظ الانجيلي وقالا ايضًا كانهُ سرًا انهما مرتجفان من الفكر بالعواقب المحزنة التي تحدث حالاً لا محالة من اباء المنتخب ثم استثنيا ان هذا هو راينا الشخصي فقط وكان الامبراطور قد امرهما ان يتهددا تهديدات قليلة كانها منهما لا منهُ . فاضطرب المنتخب جدًا وقال اذا كان جلالة يمنع من الوعظ بالانجيل فاني ارجع حالاً الى وطني الاَّ انهُ انتظر راي لاهوتييهِ

وكان جواب لوثيروس مستعدًا اولاً فقال ان الامبراطور هو مولانا والمدينة وكل ما فيها هو لهُ فاذا كنت سعادتك تصدر اوامر في تورغو بعمل هذا وترك ذاك فلا يسوغ للشعب ان يقاوموا امرك والاحسن الاجتهاد في تغيير حكم جلالهِ بواسطة الطلب بالاحترام ولكن اذا اصر فالحق للقدرة ونكون قد اكملنا ما يجب علينا . فهكذا تكلم الرجل الذي قيل عنهُ مرارًا انهُ عاصٍ متمرد

وملانكثون والبقية كان رايهم كهذا تقريبًا الاَّ انهم الحوا اكثر نظرًا الى ضرورة اعلام الامبراطور انهم في مواعظهم لا يدخلون شيئًا جدليًا ولكنهم مرتضون بان يعلموا فقط تعليم المسيح المخلص ثم قالوا فلنحذر فوق كل شيءٍ من ان نترك المدينة

واعترف سعادتك بقلب لا يتزعزع امام جلالهِ كيف انك بطرق عجيبة قد وصلت الى معرفة الحق باستقامة ولا تدع هذه الصواعق التي تسقط من شفاه اعدائنا تخيفك . فالاعتراف بالحق هو الامر الذي حسب الاصلاح يفضل على كل شيءٍ

فصارت المسئلة هل يسلّم الملك المنتخب بطلب كرلوس هذا الاول وهكذا يبتدي قبل وصول الامبراطور بتسليم تلك القضايا التي لا يمكن سبق النظر الى نهايتها . ولم يكن احد في اوجسبرج اثبت من يوحنا فباطلاً قال لهُ المصلحون انهم في مدينة الامبراطور وغرباء واجابهم بهز راسهِ وكتب ملانكثون الى اوثيروس بياس قائلاً وا اسفاه ما اصلب رجلنا الشيخ . الّا انهُ رجع ايضًا الى محاورتهِ . ولاجل السعد كان عند المنتخب رجل لا يتزعزع وهو الكاتب بروك فتيقن ان التدبير والشرف وفوق الجميع الواجبات كانت تلزم اصدقاء الاصلاح الى مقاومة تهديدات كرلوس فقال للمنتخب ان طلب الامبراطور ليس هو الّا بداية موافقة لاجل ملاشاة الانجيل فاذا سلمنا الآن فانهم سوف يسحقوننا بعد قليل فلنطلب اذًا بتواضع من سعادتهِ ان ياذن بمداومة المواعظ . وهكذا في ذلك الوقت وقف احد رؤساء الدنيا في اول المعترفين بيسوع المسيح وهذا هو من جملة الصفات المميزة لذلك القرن العظيم ولا يسوغ غض النظر عن ذلك اذا اردنا ان نفهم تاريخهُ على حقهِ

وفي ٣١ ايار ارسل الملك المنتخب جوابهُ خطًّا الى رسولي كرلوس فقال انهُ ليس صحيحًا ان حكم وُرمس قد قبل من المنتخبين الستة فكيف يمكن ان المنتخب اخي او كيف يمكنني انا نفسي ان نقبلهُ فنقاوم كلمة الله القدير الابدية ومن ثم حكمت المجامع التالية ان هذا الحكم لا يمكن اجراؤُهُ البتة واما نظرًا الى الاتحادات الودادية التي عقدتُها فان غايتها الوحيدة ان تحميني من اعمال الظالم فليضع الذين يقرفونني امام عيني جلالهِ الاتحادات التي عملوها وانا مستعد لان اقدم التي لي والامبراطور يقضي بيننا واخيرًا نظرًا الى طلب ابطال مواعظنا فانهُ لا ينادى فيها بشيءٍ الّا حق

الله المجيد ولم تكن قط ضرورية لنا كما هي الآن ولهذا لا غنى لنا عنها

وكان لا بد ان هذا الجواب يعجل وصول كرلوس وكان امرًا مهمًّا ان يكونوا مستعدين للقائهِ وكان كل تدبير البروتستانت ان ينادوا بايمانهم ثم يسكتوا ولهذا كان دستورًا لايمانهم ضروريًّا ورجل قصير القامة ضعيف جبان خائف جدًّا قد فُوّض اليهِ اعداد الدستور فاشتغل بهِ فيلبس وملانكثون نهارًا وليلاً فوزن كل عبارة ولطفها وغيرها مرارًا كثيرة ثم رجع الى فكرهِ الاول فافنى قوتهُ فطلب منهُ لوثيروس في ١٢ ايار تحت قصاص الحرم ان يعتني بحفظ جسدهِ الحقير وان لا يرتكب خطية القتل حبًّا بالله . وقال لهُ ايضًا ان الله يستفيد من الذي يخدمهُ بالراحة ايضًا وبالحقيقة لا يقدر الانسان ابدًا ان يخدمهُ بطريق احسن من ان يحفظ نفسهُ هادئًا ولهذا السبب اراد الله ان يُحفظ يوم الراحة بصرامة

ورغمًا عن هذه الطلبات زاد انصباب ملانكثون فاخذ في ايضاح الايمان المسيحي ايضاحًا لطيفًا معتدلاً وقليل الابتعاد بقدر الامكان عن تعليم الكنيسة اللاتينية وشرع بهذا العمل في كوبرج وتتبع في الجزء الاول قوانين الايمان حسب قوانين شوابخ وفي الجزء الثاني ذكر فظائع الكنيسة حسب قوانين تورغو مؤلفًا بذلك تاليفًا حديثًا على التمام وفي اوجسبرج رتب هذا الاقرار ترتيبًا اصح والطف وسماهُ الاعتذار

وتم الاعتذار في ١١ ايار فارسلهُ الملك المنتخب الى لوثيروس طالبًا منهُ ان يعلّم على ما يجب تغييرهُ وزعم ملانكثون ان صديقهُ يرى هذا الاقرار ضعيفًا فقال اني قد قلت فيهِ ما ظننتهُ انفع لان آك لا يكف عن ان يذيع ضدنا مثالبهُ الشيطانية وقد اجتهدت انا ان اجعل هذا ترياقًا لسمومهِ

فاجاب لوثيروس المنتخب في ١٥ ايار قد قرأت اعتذار المعلم فيلبس فانهُ يعجبني ولم اجد فيهِ شيئًا اصححهُ وعدا ذلك بالكد يناسبني التصحيح لانني لست قادرًا على المشي بهذا المقدار من الوداعة والصمت اسال المسيح ربنا ان يبارك

على هذا العمل فياتي بثمر كثير . الأ انهُ كل يوم كان مشير والمنتخب ولاهوتيوهُ بالاجتماع مع ملانكثون يحسنون تلك القوانين واجتهدوا في ان يجعلوها لذيذة جدًّا بحيث ان الجمع يُسبى بها رغمًا عنهُ ويسمعها الى اخرها

وبينما كان النضال اخذًا في الاستعداد على هذا المنوال في اوجسبرج كان لوثيروس في كوبرج على قمة الجبل على سيناه كما دعاهُ برفع يديهِ نظير موسى نحو السماء وكان هو القائد الحقيقي للحرب الروحية التي كانت حينئذٍ جاريةً ورسالاتهُ لم تكف عن ان تحمل الى المجاهدين الارشادات التي احتاجوا اليها واوراق كثيرة خرجت ونظير اطلاق البواريد القى اضطرابًا في عسكر العدو

ان المكان الذي تُرِك فيهِ لوثيروس كان نظرًا الى وحدتهِ مناسبًا للدرس والتامل فقال في ٢٢ نيسان اني ساجعل هذه السينا صهيونًا واقيم هنا ثلاث مظال . وكتب الى بعض اصحابهِ قائلاً اني ابكي واصلي ولا اسكت ابدًا حتى اعلم ان صراخي قد سُمِع في السماء . وعدا ذلك كان لهُ على سبيل التسلية تلك الافراح العائلية التي فتح الاصلاح كنوزها الثمينة لخدام الكلمة ففي ذلك الوقت كتب ذلك المكتوب الشهير الفعال الى ابنهِ الحدث الذي يصف فيهِ جنة بهجة يلعب فيها الاولاد بالملابس المذهبة ويجتنون التفاح والاجاص والكرز والخوخ ويرتلون ويرقصون ويتنعمون ويركبون افراسًا صغيرة جميلة بلجم فضة وسرج مذهبة

ولكن افكار لوثيروس تحولت سريعًا عن هذه التصورات البهجة فبالقرب من ذلك الوقت بلغهُ ان اباهُ قد توفي على الايمان الذي هو يسوع المسيح فصرخ ذارفًا دموع المحبة الولدية وقال واحسرتاهُ انهُ بعرق جبينهِ اوصلني الى ما انا عليهِ . واصابتهُ تجارب اخرى واضيف الى اوجاعهِ الجسدية مناظر مخيلتهِ وذات ليلة على الخصوص راى ثلاثة مصابيح تمر بسرعة امام عينيهِ وعند ذلك سمع اصوات صواعق في راسهِ فنسب ذلك الى الشيطان فركض خادمهُ اليهِ عندما غشي عليهِ وبعد ان افاقهُ قرأ لهُ الرسالة الى اهل غلاطية فنام لوثيروس واستغرق

في النوم وعند ما انتبه قال ورغمًا عن الشيطان فلنرتل المزمور من الاعماق صرخت اليك يا رب فرتل الاثنان هذا المزمور وبينما كان لوثيروس متعذبًا من هذه الاصوات الداخلية ترجم نبوة ارميا ومع ذلك كان مرارًا كثيرة يندب كسالة . وسريعًا كرَّس نفسهُ لدروس اخرى وسكب طوفان تهكماتهِ على اعمال اهل الدول الملكية فراى فينيشيا والبابا وملك فرانسا يمدون ايديهم لكرلوس الخامس لاجل سحق الانجيل ثم اذ كان وحدهُ في مخدعهِ في القلعة القديمة ضحك متقهقهًا بحيث لم يقدر على ضبط نفسهِ وذلك من تصوراتهِ ان فرنسيس الاول والبابا وجمهورية فينيشيا قد ارهنوا اموالهم واجسادهم للامبراطور قال بالحقيقة ان هذه معاهدة كلية القداسة وهذه المعاهدة بين هذه الاربع قوات تختص بمجمع عديم الايمان فان فينيشيا والبابا وفرانسا قد صاروا امبراطوريين ولكن هولاء هم ثلاثة اشخاص بجوهر واحد مملو بغضة لا توصف نحو الامبراطور فان فرنسيس الاول لا يمكنهُ ان ينسى انكسارهُ في پاڤيا والبابا هو اولاً ايطالي وذلك اكثر من اللازم ثانيًا فلورنتي وذلك اردى ثالثًا نغل رابعًا لا ينسى ابدًا نهب مدينة رومية . اما الفينيسيون فانهم فينيشيون وذلك يكفيهم ولهم سبب كافٍ لاخذ ثارهم من ذرية مكسيمليان ولكن الله يساعد كرلوس التقي الذي هو نعجة بين الذئاب آمين . ان راهب ارفورث الشائخ كان لهُ راي سياسي اثبت من اراء كثيرين من ارباب الاحكام في عصرهِ

واذ ضجر لوثيروس من تاخير المجمع من يوم الى يوم اعتمد على راي وانتهى بدعوتهِ اياهُ الى كوبرج وكتب في ٢٨ نيسان و ٩ ايار يقول اننا قد صرنا محفلاً تامًا فترون هنا ملوكًا وامراء وغيرهم من العظماء يبحثون في مصالح ممالكهم وبصوت لا يكل يذيعون اراءهم واحكامهم في الهواء فانهم لا يسكنون في تلك المغاير التي تلقبونها قصورًا بل السماء هي قبتهم والاشجار المورقة تكون لهم منها ارض ذات الوان شتَّى وحيطانهم هي اقاصي الارض وهم يكرهون جميع تنعمات الحرير التي لا معنى لها ولا يلتمسون سيوفًا ولا سلاحًا وهم جميعًا ملابس من شكل واحد

ولون واحد ولم ارَ ولا سمعت امبراطورهم ولكن على ما فهمت منهم قد عزموا هذه السنة على فتح حرب مرة على افضل اثمار الارض . ثم قال لاصحابهِ الذين كتب اليهم آه يا احبائي الاعزاء هولاء هم السفسطيون البابا وبون الذين يجتمعون امامي من جميع اقطار العالم لكي يسمعوني مواعظهم وصراخهم . وهذان المكتوبان المورخان من مملكة الغربان والقيقان ختمت بالعبارة الآتية المحزنة التي تبين لنا ان المصلح قد رجع متنازلاً الى نفسهِ بعد تيهِ تصورهِ هذا وهي قد اكتفينا من الهزل الذي هو ضروري احياناً لدفع الافكار المظلمة التي تغشاني

ورجع لوثيروس سريعاً الى الحياة الحقيقية وكاد يطير فرحاً عند ما راى الاثمار التي حملها الاصلاح وكانت لهُ اعتذاراً اقوى من نفس اقرار ملانكثون فكتب الى المنتخب يقول هل يوجد في العالم باسرهِ بلاد نفاس ببلاد سعادتك فيها مبشرون بمثل هذا التعليم الخالص ولها رعاة لائقون بهذا المقدار باستجلاب ملك السلام فاين نرى كما نرى في سكسونيا صبياناً وبنات يعرفون جيداً الكتب المقدسة والتعليم المسيحي وينمون في الحكمة والقامة ويؤمنون ويتكلمون عن الله وعن المسيح على كيفية افضل مما قد فُعل الى هذا الوقت في كل المدارس الكلية والاديرة والجامع في عالم المسيحيين . فيا مولاي يوحنا العزيز ان الرب يقول لك اني اوصيك بهذه الجنة التي هي اجمل جنات العالم لكي تكون بستانيها . ثم قال واسفاه ان جنون الامراء البابا ويين يجعل جنة الله هذه بالوعة قذرة واذ يفسد الشبان يملأ يوماً فيوماً شياطين حقيقيون بلدانهم وموائدهم وقصورهم

واذ لم يكتفِ لوثيروس بتقوية اميرهِ رغب ايضاً في ان يخيف اعداءَهُ ولاجل هذه الغاية كتب في ذلك الوقت خطاباً الى الاكليروس المجتمعين في اوجسبرج وافكار كثيرة كمشاة متسلحين من رؤوسهم الى اقدامهم وثبت عليهِ لكي تزعجهُ وتشوش افكارهُ . وبالواقع في الخطاب الذي وجههُ الى الاساقفة كلام حاد فقال لهم في الخاتمة وبالاختصار نحن نعلم وانتم تعلمون ان عندنا كلام الله وليس عندكم فيا ايها البابا اذا عشتُ اكون علتك واذا متُّ اكون علة موتك

وهكذا كان لوثيروس حاضرًا في اوجسبرج ولئن كان غير منظور وعمل بواسطة كلامهِ وصلواتهِ اكثر من اغريكولا او برنتز او ملانكثون وتلك الايام كانت ايام المخاض لحق الانجيل المزمع ان يظهر في العالم بقوة عتيدة ان تكسف كل ما عُمل منذ ايام القديس بولس ولكن لوثيروس انما اخبر فقط بالاشياء التي كان الله يعملها فانهُ لم يعملها هو نفسهُ وكانت نسبتهُ الى حوادث الكنيسة مثل نسبة سقراط الى الفلسفة . كان من عادة ذلك الفيلسوف ان يقول اني اقتدي بامي (كانت قابلة) فانها لا تتمخض هي نفسها ولكنها تساعد الاخريات ولوثيروس كما قال هو نفسهُ مرارًا لم يخلق شيئًا الَّا انهُ اظهر البزر الكريم الذي بقي مخفيًّا مدة قرون عديدة في حضن الكنيسة فرجل الله ليس هو الذي يطلب ان يصور اهل عصرهِ حسب تصوراتهِ الخصوصية بل هو الذي يرى جيدًا حق الله كما هو موجود في كلامهِ تعالى وكما هو مخفي في الكنيسة فيحضرهُ الى معاصريهِ بشجاعة وعزم

وهذه الصفات لم تكن قط الزم مما كانت حينئذٍ لان منظر الاشياء كان مخيفًا وفي ٤ حزيران توفي الكاتب غاتينارا الذي كان لكرلوس الخامس ما كان اولپيان لاسكندر سافيروس كما قال ملانكثون وتلاشت معهُ جميع الامال البشرية التي لجماعة البروتستانت وكان لوثيروس قد قال ان الله هو الذي اقام لنا نعمانًا في بلاط ملك سورية وفي الحقيقة غاتينارا وحدهُ قاوم البابا ولما ذكَّرهُ كرلوس باعتراضات رومية كان يقول لهُ تذكر انك انت المولى . وبعد موتهِ فصاعدًا انقلبت الامور فالبابا طلب ان كرلوس يكتفي بكونهِ سيافهُ لكي يجري احكامهُ ضد الاراتقة . وأك الذي لفظُ اسمهِ على قول ملانكثون اشبه بصوت القاق جمع جملة من قضايا اراتيكية حسب زعمهِ مقتطفة من مؤلفات المصلح بلغ عددها اربع مئة واربع قضايا ومع ذلك اعتذر بانهُ أُخذ على غفلة فالتزم ان يقتصر على عدد قليل بهذا المقدار وكان يصرخ بصوت عالٍ طالبًا المجادلة مع اللوثرانيين فجاوبوا على هذه القضايا بمصادرات تهكمية عن الخمر

والزهرة والحمامات ضد يوحنا آك فصار آك المسكين اضحوكة عند الجمهور

واخرون اظهروا في عملهم حكمة اكثر من آك فان كوكلاوس الذي صار واعظًا للدوك جرجس السكسوني سنة ١٥٢٧ طلب مواجهة ملانكثون قائلاً انهُ لا يقدر ان يتكلم مع قسوسهم المتزوجين وملانكثون الذي نُظر اليهِ بعين ردية في اوجسبرج وشكا بانهُ اكثر انفرادًا هناك من لوثيروس في قلعتهِ اثرت فيهِ هذه الرقة وخرق فيهِ على اعظم منوال الفكر بان الامور يجب ترتيبها على الطف طريق

والخوارنة الرومانيون والعوام ضجوا ضجة عظيمة لان اللحم كان يوكل غالبًا في ايام القطاعة في دار المنتخب فنصح ملانكثون المنتخب ان يحجز حرية اعوانهِ في هذا الامر فقال ان هذا العمل فضلاً عن انهُ لا يقود البسيطين الى الانجيل يشككهم وقال ايضًا وهو غضبان ما الطف هذه القداسة ان يدقق الواحد في امر القطاعة ومع ذلك يطلق العنان نهارًا وليلاً للخمر والدعارة فلم يقبل المنتخب نصيحة ملانكثون لان ذلك كان يحسب علامة ضعف يتخذها اخصامهُ وسيلة لانفاذ مآربهم الردية

وفي ٢١ ايار قُدّمت القوانين السكسونية اخيرًا لباقي البلدان البروتستانتية فطلبوا ان نُقدَّم باسمهم جميعًا ولكنهم ارادوا ان يبقوا بعض الامور المتعلقة بسلطان الحكومة فقال ملانكثون اننا نستغيث بمجمع ولا نقبل الامبراطور قاضينا لان الترتيبات الكنائسية نفسها تمنعهُ من الحكم في القضايا الروحية . فان موسى يجزم بانهُ ليس الحكام المدنيون هم الذين يحكمون بل بنو لاوي ومار بولس ايضًا يقول دع الاخرين يحكمون (١ كو ص ١٤) وذلك لا يمكن ان يُفهَم الاَّ عن جماعة مسيحية محضة والمخلص نفسهُ اعطانا هذه الوصية بقولهِ فقل للبيعة ولهذا فاننا نرهن طاعتنا للامبراطور في جميع الامور المدنية واما من جهة كلمة الله فاننا نطالب الحرية

فاتفق الجميع في هذا الامر ولكن الاختلاف حصل من وجه آخر. فاللوثرانيون

خافوا من تعطيل دعواهم اذا مشوا يدًا بيد مع الزوينكليين فاجاب بوسران هذا جنون لوثراني وهو يهلك من ثقلهِ . ولكن المصلحين اذ كانوا بمعزل عن ان يدعوا هذا الجنون يهلك عظموا الاختلاف بواسطة تشكيات زائدة الحد فقالوا انهم في سكسونيا قد ابتدأوا بترتيل ترنيمات لاتينية ايضًا والملابس الكهنوتية قد اعيدت وطُلبت الذبائح من جديد فاحب الينا ان نساق الى الذبح من ان نكون مسيحيين على هذا الزي

قال بوسران ان الامير المحزون كان بين المطرقة والسندان وسبب لهُ اصحابهُ اضطرابًا اكثر من اعدائهِ فانهُ راجع ريجيوس وبرنتز وملانكثون مخبرًا اياهم بشدة رغبتهِ في ان يرى الاتحاد يستولي بين جميع العلماء الانجيليين فاجاب ملانكثون اذا كانت هذه الغلطات المألوفة لا نُقاوَم فسوف يكون انشقاقات في كنيسة تدوم الى اخر العالم . الا يفتخر الزوينكليون بصناديقهم الممتلية وجنودهم المتجهزة وبالشعوب الاجنبية المستعدة لنجدتهم انما يتكلمون عن اشتراكهم بحقوق واملاك الاساقفة وبالمناداة بالحرية فيا ايها الاله الصالح انما تفتكر بذريتنا التي اذا لم تزل هذه الانشقاقات الملومة تصير حالاً بدون حكم ولا دين فاجاب هذا الامير الكريم المتقدم بهذا المقدار في جيلهِ كلا كلا فاننا واحد وجميعنا نقر بمسيح واحد وكلنا نعترف بانهُ يجب علينا ان ناكل يسوع المسيح بالايمان في الافخارستيا فلنتحد . ولكن كل ذلك لم يفد والوقت الذي فيهِ تاخذ الكاثوليكية الحقيقية مكان هذا الروح الطائفي الذي رومية اكمل مثال لهُ لم يكن قد اتى بعد

الفصل الرابع

هياج في اوجسبرج . شراسة الامبراطوريين . وصول كرلوس الى اوجسبرج . عيد الجسد ومقاومة الامراء اياه . غيظ كرلوس

كلما قرب الامبراطور الى اوجسبرج زادت مخاوف البروتستانت واهالي

تلك المدينة الامبراطورية افتكروا ان يروها تصير مرسحًا لحوادث غريبة ومن ثم قالوا لو لم يكن المنتخب والامبر وغيرهما من اصدقاء الاصلاح في وسطهم لكانوا جميعًا يتركونها . وقيل على كل جانب ان خرابًا عظيمًا يتهددنا وقول من اقوال كرلوس المتكبرة ازعج جماعة البروتستانت وهي قوله بضجر ماذا يريد هولاء المنتخبون مني فاني افعل ما اريد . وهكذا صار الحكم المطلق شريعة الامبراطور العتيدة ان تتغلب في المجمع

واضيف الى هياج عقول الناس هذا هياج الازقة او بالحري الواحد ادّى الى الاخر فان البنائين وعاملي الاقفال كانوا مباشرين العمل في جميع الاماكن المشاعة وملتقى الطرقات يضعون باجتهاد العوارض والسلاسل ممكنيها في الحيطان لكي تغلق او تفتح حالاً عند القاء الصوت وفي ذلك الوقت نفسهِ نحو ثمان مئة جندي من المشاة والخيالة طافوا في الازقة بملابس المخمل والحرير كان قد عينهم الولاة لاجل استقبال الامبراطور بعظمة

وبينما كانت الاحوال جارية على هذا النسق نحو اواسط ايار وصل جماعة من الجنود الاسبانيوليين الوقحين الذين اذ نظروا الى هولاء الاهالي بعين الازدراء دخلوا بيوتهم وتصرفوا بكل شراسة حتى انهم انزلوا نياشين بعض الامراء عن الحيطان فارسل الولاة مشيرين لاجل الكلام معهم فاجابوهم جوابًا غايظًا فقال الاهالي تبًّا لنا اذا كان هذا حال الخدم فكيف يكون حال مواليهم. فانغم اعوان كرلوس من غلاظتهم وارسلوا ضابطًا جرمانيًّا استعمل طرق التجمل الجرماني لكي ينسيهم هذا التجبر الاسبانيولي

وذلك لم يبقَ زمانًا طويلاً حتى شعروا سريعًا بخوف اشد فسُئِل مجلس اوجسبرج ما هو معنى هذه السلاسل والجنود فامروا باسم الامبراطور برفع السلاسل وتبديد الجنود فاجاب اعيان ولاة المدينة بخوف اننا منذ اكثر من عشر سنين قد قصدنا ان نضع هذه السلاسل واما الجنود فقصدنا الوحيد بهم ان نقدم الاكرام الواجب للامبراطور وبعد مفاوضات كثيرة قر الراي على

تبديد اولئك الجنود وعلى ان قواد الامبراطور ينتخبون حديثًا الف رجل يحلفون للامبراطور وياخذون اجرتهم من مدينة اوجسبرج

وحينئذٍ رجعت جنود الامبراطور الى شراستها واذ لم يريدوا ان يزعجوا انفسهم ايضًا بدخول البيوت والدكاكين نزعوا اعلام الاهالي وكتبوا مكانها كم يجب ان ينزلوا عندهم من الرجال والخيل

فهذه هي مقدمات عمل الصلح الذي اخبر بهِ كرلوس الخامس والذي ابطا بهذا المقدار بالشروع فيهِ ومن ثم تاخرهُ الذي نسبهُ بعضهم الى جماهير الناس المحدقين بهِ بدعاوتهم وآخرون الى طلبات الخوارنة الذين لم يقبلوا بدخولهِ الى اوجسبرج الاَّ بعد تسكيت الخدام الواعظين وآخرون الى التعاليم التي اعطاهُ اياها البابا في صناعة السياسة والحيل ابعد المنتخب واصحابهُ عنهُ اكثر

واخيرًا خرج كرلوس من انسبروك بعد وفاة غاتينارا بيومين ووصل الى مونيخ في ١٠ حزيران وكان قبولهُ مجيدًا فانهُ بمسافة نحو ميلين عن المدينة أُقيم برج وقتي واجري حولهُ تقاليد حرب فثارت الجنود الى حومة القتال وأُطلقت اللغوم وكانت اصوات المدافع وسحب الدخان واصطكاك السلاح وجلبة المقاتلين تطرب عيني واذني الامبراطور وفي وسط المدينة أُقيم مرسح في الفضا تشخص فيهِ ملعب استير اليهودية وكمبيز الفارسي وغيرهما من الملاعيب التي ليست باقل منهما شهرة وبذلك جميعهِ مع اعمال نارية زاهرة ترحب اتباع البابا بذلك الذي لقبوهُ بمخلصهم

ان كرلوس لم يكن بعيدًا عن اوجسبرج ومن ١١ حزيران فصاعدًا كل يوم وكل ساعة كانت جماعات من انصار الامبراطور وعربات وكارَّات واثقال تدخل المدينة بصوت المقارع والقرون وكان الاهالي يتفرسون بذهول واعين منخفضة بجميع هذا الموكب المتجبر الذي سقط على مدينتهم نظير الجراد

وفي الصباح الواقع في ١٥ حزيران اذ كان المنتخب والامراء ومشيروهم مجتمعين في ديوان البلدة وصل رسل الامبراطور اليهم باوامر ان يخرجوا للقاء

كرلوس وبعد الظهر بثلاث ساعات خرج الامراء والوكلاء من المدينة ولما وصلوا الى جسر صغير لنهر ليخ ترجلوا هناك وانتظروا الامبراطور وجميع اعين هذا المحفل الزاهر الذي نزل على شطوط ذلك النهير تحولت نحو طريق مونيخ واخيرًا بعد ان بقوا ساعتين او ثلاث ساعات على هذه الحالة بشر الغبار والضجة بقدوم الامبراطور وتقدمهم الفان من محافظي الامبراطور وحالما صار الامبراطور بمسافة نحو خمسين خطوة ترجل المنتخبون والامراء واما بنوهم الذين تقدموا الى الجهة الاخرى من الجسر اذ راوا الامبراطور يتهيا للترجل ايضًا ركضوا اليهِ وترجوهُ ان يبقى راكبًا واما الامبراطور فترجل من دون تردد وتقدم الى الامراء بابتسام محبة وصافحهم مصافحة قلبية والبرت من منتز نظير كاتب اول للمملكة ترحب بالامبراطور والامير فردريك البلاتيني اجاب بالنيابة عن كرلوس

وعند حدوث هذه الامور كان ثلاثة اشخاص قد بقوا على جانب على مرتفع صغير من الارض وهم القاصد الروماني راكبًا بكبريا على بغل يلمع بالارجوان وكرد ينالان اخران اي رئيس اساقفة سلزبرج واسقف ترنت . اما القاصد فلما راى جميع هولاء العظماء على الطريق فرفع يديهِ واعطاهم بركة والامبراطور والملك فرديننذ والامراء الخاضعون للبابا جثوا حالاً على ركبهم واهالي اسپانيا وايطاليا والبلاد الواطية وجرمانيا اقتدوا بهم ناظرين شزرًا الى البروتستانت الذين بقوا وحدهم وقوفًا في وسط ذلك الجمهور الجاثي بتواضع بل بذلّ . اما كرلوس فتظاهر كانهُ لم يرَ ذلك غير انهُ فهم لا محالة ما هو معناهُ ومنتخب برندنبرج خطب حينئذٍ للقاصد خطبة لاتينية وانتخبوهُ لذلك لفضل معرفتهِ بتلك اللغة فوق امراء الكنيسة ومن ثم عند ما مدح كرلوس فصاحتهُ لمح بحذاقة الى كسل الاساقفة ثم تاهب الامبراطور لركوب جوادهِ وابن منتخب سكسونيا وشبان وامراء لونيبرج ومكلنبرج وبرندنبرج وانهلت بادروا اليهِ لكي يساعدوهُ على الركوب فاحدهم مسك اللجام والاخر الركاب وكان الجميع مندهلين من منظر جلال ملكهم القدير فابتدا المحفل يتقدم

فاولاً اتى زمرتان من الرماحة تحت قيادة سمعان ستز من اهالي اوجسبرج الذي حضر حرب ايطاليا ورجع الى وطنهِ مثقلاً بالذهب ثم اتى عيال السبعة المنتخبين المؤلفة من امراء ومشايخ ومشيرين واكابر وجنود وكانت عائلة امراء باڤاريا قد دخلت بين صفوفهم والاربع مئة والخمسون فارساً التي تالفت منهما مشت خمسة خمسة مصادرة كلهم لابسون دروعاً لامعة وصداري حمراء وفوق رؤوسهم ارياش لطيفة مختلفة الالوان وصارت باڤاريا في ذلك العصر اعظم عضد لرومية في جرمانيا

وبعد هولاء اتت عيال الامبراطور وتقدمتهم خيل مقلمة من الفخر خيل تركية وپولنده والعربية كلها منقادة ثم اتت جماعة من الغلمة الشبان لابسين مخملاً اصفر او احمر مع اشراف من اسپانيا وبوهيميا واوستريا بملابس من حرير او مخمل وكان لاهالي بوهيميا بين هولاء المنظر الاشجع وهم راكبون خيلهم الحسنة المتبخترة ثم اتى اخيراً اصحاب الطبول والدفوف والمنادون والسياس والمشاة وحاملو صليب القاصد يعلنون قدوم الامراء

وفي الواقع هولاء الامراء المقتدرون الذين ملأوا جرمانيا مراراً كثيرة اضطراباً بمنازعاتهم وحروبهم ساروا حينئذٍ بعضهم الى جانب بعض بالسلامة وبعد الامراء جاء المنتخبون ومنتخب سكسونيا اتباعاً للعادة حمل سيفاً امبراطورياً مسلولاً لامعاً قدام الامبراطور

واخيراً اتى الامير الذي كانت جميع الاعين تنظر اليهِ . كان كرلوس ابن ثلاثين سنة ذا هيئة ممتازة ومعان لطيفة لابساً حلة ذهبية مرصعة جميعها بالحجارة الكريمة وعلى قمة راسهِ برنيطة صغيرة اسپانيولية راكباً على حصان بولندي جميل ذي بياض ناصع ومسبولاً فوق هامتهِ خيمة جميلة من حرير احمر وابيض واخضر يحملها ستة من شيوخ اوجسبرج ونظر الى ما حولهُ نظر اللطف والرزانة فاحدث تاثيراً عظيماً وكان كل واحد يصفهُ بكونهِ اجمل انسان في المملكة واقدر امير في العالم وقصد في اول الامران يضع اخاهُ والقاصد الى جانبهِ ولكن منتخب متز

محفوفًا بمَّثني محافظ لابسين حريرًا ادّعى بحقهِ ان يمشي عن يمين الامبراطور ومنتخب كولون مع مئة من الاعوان المتسلحين بالعدة الكاملة مشى عن يسار الامبراطور ووراء هولاء اتى الملك فرديننذ والقاصد ووراء هولاء الكردينااليون والسفراء والاساقفة وبينهم اسقف اوسا المتكبر معرّف الامبراطور وخيالة الامبراطور وعساكر اوجسبرج اتوا في آخر الموكب

وحسب شهادة المورخين لم يُرَ قط في المملكة موكب جليل كهذا وكانوا يسيرون الهوينا ولم يصلوا الى ابواب اوجسبرج حتى بعد الغروب مدة وهناك التقوا بمتصرف البلد والمشيرين الذين خروا ساجدين امام الامبراطور وعند ذلك اصوات المدافع من الابراج والاجراس من القبب وتهاليل الشعب واصوات الابواق والدفوف ملأت الجو وستاديون اسقف اوجسبرج واكليروسهُ لابسين حللاً بيضاء كانوا يرتلون قد جئت ايها المشتهى وستة من الرهبان القانونيين تقدموا بخيمة جميلة لكي يزفوا الامبراطور الى الكنيسة الاولى وعندما راى حصان الامبراطور شدة لمعان الانوار جمح وقهرهُ الامبراطور بصعوبة واخيرًا دخل كرلوس الكنيسة المزينة بالاغصان والزهور واُوقد فيها بغتةً آلاف من المصابيح

فتقدم الامبراطور الى المذبح وخر على ركبتيهِ ورفع يديهِ نحو السماء واذ كانوا يرتلون نسبحك يا الله لاحظ البروتستانت باضطراب ان كرلوس كان يتكلم بصوت منخفض مع رئيس اساقفة منتز وانهُ مال اذنيهِ نحو القاصد الذي تقدم لكي يكلمهُ واومأ ايماء محبة نحو الدوك جرجس وكل ذلك ظهر لهم نظير فال ردي ولكن حالما رتل الخوارنة اياك نطلب قطع كرلوس حديثهُ ونهض بغتةً واذ ركض اليهِ احد الخدم بوسادة منسوجة بالقصب وضعها الى جانب وركع على بلاط الكنيسة وركع كل المحفل معهُ غير ان المنتخب وامير هسى بقيا وحدهما واقفين واذ تعجب الدوك جرجس من هذه الجسارة نظر نظرة تهديد نحو ابن اخيهِ واما مرغريف برندنبرج كان قد سقط على ركبتيهِ تابعًا للجمهور ولكنهُ لما

راى صاحبيهِ واقفين وقف حالاً بسرعة. وحينئذٍ تقدم الكردينال رئيس اساقفة سالزبرج لكي يعطي البركة واما كمباجيو الذي اغتاظ من انهُ الى تلك اللحظة لم يحصل لهُ اشتراك في هذا الاحتفال فبادر الى المذبح ودفع رئيس الاساقفة بعنف جانبًا وقال لهُ بكلام قاسٍ ان هذه الوظيفة تخصني لاتخصك فنزل رئيس الاساقفة وانحنى الامبراطور اما فيلبس امير هسى فابتسم سرًّا واخفى نفسهُ وراء احد الشاعدين ثم قرعت الاجراس ايضًا واخذ الموكب في القيام واخذ الامراء الامبراطور الى القصر الاسقفي الذي أُعِدَّ لهُ ثم تفرق الجمهور وكان ذلك الساعة العاشرة ليلاً

حانت الساعة التي فيها زعم احزاب البابوية انهم يجعلون البروتستانت يخونون ايمانهم فان وصول الامبراطور واحتفال السرّ المقدس الذي قد تهيأ والساعة المتاخرة قد حسبت جميعها قبل الوقت قال سپالاتين ان ليالي الخيانة كانت مزمعة ان تبتدي

فصُرِف بعض الدقائق في مخاطبة عمومية في منزل الامبراطور وحينئذٍ أُذن لامراء الحزب الروماني بالانصراف الآن الامبراطور اشار الى منتخب سكسونيا وامير هسى وجرجس مرغريف براندنبرج وامير انهلت ودوك لونيبرج ان يلحقوهُ الى مخدعهِ واخوهُ فرديننند الذي كان مزمعًا ان يكون الترجمان بينهم دخل وحدهُ معهم . افتكر كرلوس انهُ ما دام امراء البروتستانت امام العالم لا يسلمون ولكن اذا خاطبهم مخاطبة سرية ووادية ينال منهم كل مرغوبهِ

فقال فرديننند ان جلالة يطلب منكم ان تبطلوا المواعظ وعندما سمع الامراء هذه الكلمات اصفر الكبيران فيهم وهما المنتخب والامير ولم يتكلما فصار سكوت مستطيل

واخيرًا قال الامير اننا نترجى جلالتك ان ترجع عن طلبك لان قسوسنا انما يعظون بكلام الله الخالص فقط كما فعل علماء الكنيسة القدماء اوغسطينوس وهيلاريون وكثيرون غيرهما ويمكن جلالتك ان تعلم ذلك بسهولة فلا يمكننا ان

نعدم انفسنا طعام كلام الله ولا ننكر انجيلهُ

فعاد فرديننْد الى الكلام بالفرنساوية لانهُ بهذه اللغة كان يخاطب اخاهُ واخبر الامبراطور بالجواب ولم يكن شيءٌ يغيظ كرلوس اكثر من الاستشهاد بهيلاريون واوغسطينوس فاحمر وجههُ وكان عتيدًا ان يطلق العنان لغضبهِ فقال فرديننْد بصوت اشد ان جلالهُ لا يقدر ان يرجع عن طلبهِ . فاجاب الامير حالاً ان ضميرك لا حق لهُ ان يتسلط على ضمائرنا . واذ كان فرديننْد لا يزال مصرًّا على طلبهِ لم يقدر الامير الذي بقي صامتًا الى تلك اللحظة ان يتمالك نفسهُ ومن دون مبالاة بترجمان مد عنقهُ نحو الامبراطور وقال بحماسة عميقة احب اليَّ ان اركع امام جلالتك وادعك تقطع راسي من ان اسمح بان كلام الله يوخذ مني وانكر الهي . قال احد المعاصرين انهُ عندما نطق بهذه الكلمات البسيطة الشجاعة اشر اشارة معناها قطع الراس اي وضع يديهِ على عنقهِ فكانت حركة عظيمة بين الامراء ولو لزم لكانوا جميعًا ذهبوا الى المشهد فتاثر كرلوس من ذلك واذ تحير واضطرب صرخ بجرمانيتهِ الردية متظاهرًا بانهُ يمنع الامير قائلاً ايها الامير العزيز ليس الراس ليس الراس الاَّ انهُ بالكد نطق بهذه الكلمات حتى ضبط نفسهُ فسكت

فهذه هي الكلمات الوحيدة التي نطق بها الامبراطور امام الامراء في مدة الاجتماع كلهِ وعدم معرفتهِ باللسان الجرماني واحيانًا ايضًا العوائد الجارية في قصر اسپانيا اضطرتهُ الى الكلام بواسطة اخيهِ او الامير بلاتين واذ كان من عادتهِ ان يكرس كل يوم اربع ساعات للعبادة كان الناس يقولون انهُ يتكلم مع الله اكثر من الناس وهذا الصمت الدائم لم يكن مناسبًا لتدابيرهِ التي كانت تقتضي نشاطًا وفصاحة وعوضًا عن ذلك لم يرَ الجرمانيون في وجه امبراطورهم الفتى الصامت سوى صورة صنم يومي براسهِ ويغمز بعينيهِ وشعر كرلوس احيانًا شعورًا حادًّا بعيوب حالتهِ هذه فقال اني اريد ان اخسر اي لغة كانت حتى الاسبانيولية او الفرنساوية نعم واقليم من اقاليمي لكي اقدر ان اتكلم باللسان الجرماني

فراى فرديناند انهُ لا يستفيد شيئًا باصرارهِ على طلب ابطال المواعظ الاَّ انهُ بقي لهُ نبل آخر في جعبتهِ وفي اليوم التالي كان عيد الجسد والعادة الجارية التي لم تُنقض قط هي ان الامراء والوكلاء الحاضرين في المجمع يشتركون في هذا الاحتفال فهل يابى البروتستانت هذه المسايرة في افتتاح المجمع الذي جاءوا اليهِ بروح الصلح أَلم يقولوا ان جسد ودم المسيح يوجدان حقًّا في البرشانة. أَما يفتخرون بقاومتهم لزوينكل وهل يقدرون ان يقفوا جانبًا بدون ان يلتطخوا بالارتقة فاذا اشتركوا بالاحتفال الذي يحدق بجسد الرب واختلطوا بزمرة الاكليروس اللامعين والمتخيين بالعجرفة الذين يطوفون بالاله الذي خلقوهُ واذا حضروا عند ما يسجد الشعب أَفما يوقعون لامحالة ايمانهم في الشبهة. وكانت الحيلة معدة جيدًا وزعموا انها لا تخيب فلم يبقَ عندهم شك ان حيلة الايطاليين تستظهر على سذاجة الجرمانيين الفلاحين

فاستثنى فرديناند مستخدمًا الجواب سلاحًا وقال بما ان الامبراطور لا يقدر ان ينال منكم توقيف محافلكم يترجى اقل ما يكون ان ترافقوهُ غدًا حسب العادة في احتفال السر المقدس فافعلوا ذلك اقلما يكون اكرامًا لله القدير ان لم يكن احترامًا لجلالهِ

فازداد الامراء بذلك حنقًا واضطرابًا وقالوا ان المسيح لم يرتب سرهُ لكي يُعبَد. فاصر كرلوس على طلبهِ والامراء على امتناعهم وعند ذلك قال الامبراطور انهُ لا يقبل عذرهم وانهُ يعطيهم وقتًا للتامل وانهُ يجب عليهم ان يستعدوا للجواب غدًا باكرًا

فانصرفوا في حالة الاضطراب الكلي. وابن الملك المنتخب الذي كان ينتظر اباهُ في القاعه الاولى مع امراء اخرين طلب حالما خرج الامراء من مخدع الامبراطور ان يقرا على جباههم ما قد حدث ومن النظر الى اللوائح المرسومة على وجوههم علم ان المحاورة كانت شديدة وظن ان اباهُ قد اوقع نفسهُ في اعظم الاخطار ومن ثم امسكهُ من يدهِ وذهب بهِ الى درج القصر وصرخ بخوف كانَّ انصار

كرلوس قد ادركوهُ وقال تعال تعال سريعًا

اما كرلوس فلم يتوقع هذه المقاومة فوقع في الارتباك واجتهد القاصد ان يزيدهُ هياجًا واذ كان الامبراطور الفتى هائجًا وممتليًا غيظًا وغضبًا ويتلفظ بافظع التهديدات ويتمشى بسرعة الى هنا وهناك في منازل قصرهِ واذ لم يمكنهُ ان ينتظر الى الغد جواب الامراء ارسل في نصف الليل الى المنتخب يطلب منهُ جوابهُ الاخير فاجاب المنتخب اننا الآن نحتاج الى النوم غدًا نخبركم بعزمنا واما امير هسي فلم يقدر ان يهدا اكثر من كرلوس فحالما رجع الى بيتهِ ارسل كاتبهُ الى وكلاء نورمبرج وايقظهم لكي يعلمهم بما قد حدث

وفي الوقت نفسهِ أُعرِض طلب كرلوس على اللاهوتيين فتناول سپالاتين القلم وكتب رايهم في الليل وكان مآلهُ ان السر لم يُرسَم لكي يُعبَد كما عبد اليهود الحية النحاسية ونحن قد اتينا الى هنا لكي نقر بالحق لا لكي نثبت الفساد والضلال فلنقف اذًا بمعزل وهذا الراي ثبَّت الامراء الانجيليين في عزمهم . ثم قرب اليوم السادس عشر من حزيران

اما منتخب سكسونيا الذي شعر بانحراف مزاجهِ في الليل اقام ابنهُ وكيلاً عنهُ وقبل الظهر بخمس ساعات انطلق الامراء والمشيرون راكبين الى قصر الامبراطور

فكان امير برندنبرج المتكلم عنهم فقال لكرلوس انت تعلم كيف انهُ تحت خطر حياتنا قد عضدت انا واجدادي بيتكم العظيم ولكن في امور الله ووصايا الله نفسهِ تضطرني ان اطرح جانبًا كل اوامر الانسان . فقد أُخبرنا ان القتل معد للذين يثبتون في التعليم الصحيح وانا مستعد لاحتمال ذلك . ثم قدم راي الامراء الانجيليين للامبراطور فانهم قالوا اننا لا نعطي وجهًا بواسطة حضورنا لهذه التقليدات البشرية النفاقية التي هي مضادة لكلام الله ولكن نقول بالعكس من دون تردد وبصوت واحد انهُ يجب علينا ان ننفيها من الكنيسة لئلاَّ يفسد الذين لم يزالوا اصحاء من اعضائها بواسطة هذا السم المميت . قال فرديننند اذا كنتم

لا ترافقون جلالةُ حبًّا بالله فافعلوا ذلك اقل ما يكون حبًّا بالامبراطور ونظير رعايا المملكة . فان جلالةُ يامركم فاجاب الامراء ان المسئلة هي مسئلة عبادة وضمائرنا لا تسمح لنا بما تطلبهُ . وبعد ان تكلم فردينند وكرلوس معًا بصوت منخفض قال الملك ان جلالةُ يريد ان يرى اذا كنتم تطيعونهُ ام لا وحينئذٍ ترك الامبراطور واخوهُ المكان ولكن الامراء عوضًا عن ان يتبعوهما كما كان امل كرلوس رجعوا مملوّين فرحًا الى قصورهم

ولم يبتدي الاحتفال حتى صار الظهر فوراء الخيمة التي كان منتخب منتز حاملاً الجسد تحتها مشى الامبراطور وحدهُ بورع حاملاً شمعة بيدهِ مكشوف الراس محلوق كخوري مع ان شمس الظهيرة كانت تضربهُ باشعتها الحادة وبواسطة تعريضهِ نفسهُ لهذه الاتعاب اراد ان يقر جهارًا باعتقادهِ بما يقوم بهِ جوهر المذهب البابَاوي الروماني وبالنسبة الى فقدان الروح والحياة من الكنائس الاصلية اجتهدوا في ان يعوضوا عنهما بالاشباه والظواهر والطقوس والعلة الجوهرية للعبادة الرومانية توجد في انحطاط المحبة والايمان اللذين ندبهما مرارًا مسيحيو القرون الاولى الكاثوليكيون وتاريخ رومية مجموع في عبارة بولس الرسول هذه لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوّتها (٢ تي ٣: ٥) وبما ان القوة قد ابتدات حينئذٍ ان تحيا في الكنيسة اخذ الشبه في الانحطاط . ولم يشترك في احتفال ١٦ حزيران من اهالي اوجسبرج الأَئمة فلم يلبث ان يكون لهُ فخر الازمان القديمة والشعب المسيحي قد تعلم حديثًا ان يحب وان يؤمن

اما كرلوس فاخفى تحت صورة الورع قلبًا جريحًا واما القاصد فلم يقدر على امتلاك نفسهِ فقال بصوت عالٍ ان عناد الامراء هذا يكون علة اذية عظيمة للبابا وعندما انتهى الاحتفال بعد ساعة لم يعد كرلوس قادرًا على ضبط شدة غيظهِ وحالما رجع الى قصرهِ قال انهُ يعطي امراء البروتستانت ورقة امان وانهُ في اليوم التالي بعينهِ هولاء القوم العصاة العنيدون يجب ان يخرجوا من اوجسبرج . وحينئذٍ يحكم المجمع بما تحتاج اليهِ طمانينة الكنيسة وسلامة المملكة من الاحكام ولا

ريب ان القاصد هو الذي قدم هذا الراي للامبراطور ولو اجراهُ لكان لا محالة احدث حربًا دينية الّا ان البعض من امراء الحزب الروماني الذين رغبوا في حفظ السلامة نجحوا ولكن ليس من دون صعوبة في اقناع الامبراطور بالرجوع عن امرهِ المخيف . وهذه عادة اكليروس رومية لا اعتبار لهم ولا يبالون الّا بصوالحهم الذاتية واذا تمزقت البلاد بحروب وجرت الدماء انهارًا فسواءٌ عندهم اذا نالوا اربهم وهم الآن كما كانوا يومئذٍ

الفصل الخامس

النهي عن المواعظ . عرض المصالحة وقبولها . تشجيع لوثيروس الامراء . افتتاح المجمع . صلاة الملك المنتخب . حيل البابا ويين . نجاح الثبات الانجيلي

فلما خاب امل كرلوس في قضية احتفال العيد عزم على اخذ ثارهِ من اجتماعات البروتستانت لانهُ لم يكن شيءٌ يغيظهُ مثل تلك المواعظ والجمهور لم يكف عن ان يملأ كنيسة رهبان مار فرنسيس المتسعة حيث كان قسيس زوينكلي ذو فصاحة بليغة فعالة يعظ آخذًا سفر اشعيا موضوعًا لمواعظهِ فوضع ملوك كنعان وبني اسرائيل امامهم فسمعهم المصغون لهُ يتكلمون ورأوهم يفعلون وكل واحد راى في ملوك كنعان اشارة الى الامبراطور وامراء البابا ويين وفي شعب الله اشارة الى المتمسكين بالاصلاح . ومن جرى ذلك خرج سامعوهُ من الكنيسة محتزّين في ايمانهم ومملوّين رغبة في ان يروا تلك العبادة الوثنية البابا وية تسقط الى الحضيض . وفي ١٦ حزيران حصلت المفاوضة بين البروتستانت عن طلب كرلوس وقر راي الاكثرية على رفضهِ فقالوا ان ذلك انما هو خيال والبابا ويون انما مجتهدون في هز الوتد

وفي اليوم التالي صباحًا في ١٧ حزيران قبل الغذاء اجاب الامراء الامبراطور بقولهم ان منع قسوسنا عن ان يعظوا بالانجيل المقدس الصريح هو عصيان على الله الذي لا يريد ان كلمتهُ تكون موثقة ونحن الخطاة المساكين نحتاج هذه الكلمة الالهية لكي نغلب بها تجاريبنا وعدا ذلك ان جلالة قد قال انهُ في هذا المجمع يكون الفحص عن كل تعليم من دون محاباة والآن امرهُ ايانا باننا نبطل من الآن وصاعدًا مواعظنا يكون كشجبهِ تعليمنا سلفًا

فجمع كرلوس الامراء الآخرين الزمنيين والروحيين فوصلوا وقت الظهر الى القصر البلاتيني وبقوا الى المساء وكان البحث شديدًا جدًّا فقال البعض من المتكلمين ان هذا الصباح بعينهِ الامراء الانجيليون عندما خرجوا من عند الامبراطور امروا بالمواعظ جهارًا

فغضب كرلوس من هذه الاهانة الجديدة فلم يقدر ان يضبط نفسهُ الّا بالكد الّا ان البعض من الامراء ترجوهُ ان يقبل وساطتهم فاجابهم ولكن البروتستانت كانوا غير متزعزعين . فهل هولاء الاراتقة الذين توهموا انهم يزلونهم بكل سهولة انما جاءوا الى اوجسبرج لكي يذللوا كرلوس . فان شرف راس المملكة لابد من حفظهِ على اي وجهٍ كان فقال الامراء فلنرفض نحن واعظينا وحينئذٍ لا يعود البروتستانت يصرون على ابقاء واعظيهم

ومن ثمَّ ارتأت العمدة ان الامبراطور يرفع الواعظين البابويين واللوثرانيين ويقيم واعظين قليلين يكون لهم الاذن ان ينادوا بكلمة الله الخالصة من دون ان يناقضوا احد الحزبين وقالوا للبروتستانت انهم يكونون اناسًا خالين الغرض فلا يكون بينهم فابر ولا حزبة . فاجابوا انهم يضادون تعليمنا فقالوا كلا فان الواعظ لا يعمل شيئًا الّا قراءة الاناجيل والرسائل واقرارًا عموميًّا بالخطايا . فطلب وكلاء البروتستانت وقتًا للتبصر في ذلك

قال ملانكثون يجب علينا ان نقبل لانهُ اذا كان اصرارنا يلجي الامبراطور الى عدم استماع اقرارنا يكون الشر اعظم

وقال اغريكولا اننا قد دُعينا الى اوجسبرج لكي نجاوب عن تعليمنا لا لكي نعظ

وقال سپالاتين ان في المدينة تشويشًا ليس بقليل لان الاسراريين والموسوسين يعظون هنا كما نفعل نحن فيجب علينا التخلص من هذا التشويش

فقال لاهوتيون اخرون فاذا برتئي البابويون هل هوان يقراوا الاناجيل والرسائل من دون شرح. اليست هذه غلبة. نحن نقاوم تفاسير الكنيسة والخوارنة يقراون كلمة الله من دون تفاسير يعني يجعلون انفسهم خوارنة بروتستانت فصرخ ملانكثون مبتسمًا يا لعظمة حكمة اهل البلاط

وقد اضيف الى هذه الاسباب آراء المشترعين فبما ان الامبراطور هو الحاكم الشرعي لمدينة ملكية ما دام مقيمًا بها فكل سياسة في اوجسبرج مختصة بهِ

فقال امراء البروتستانت فاذًا قد اطبق راينا على تسكيت واعظينا على الرجاء اننا لا نسمع شيئًا يناقض ضمائرنا والّا فاننا نشعر بالتزامنا بدفع اهانة عظيمة كهذه

وقال الملك المنتخب وهو منصرف وعدا ذلك اذا اردنا ان نسمع احد واعظينا في دارنا تكون لنا الحرية لذلك اي وقتٍ كان

فبادروا الى الامبراطور الذي لم يكن يرغب في شيء اكثر من الاتفاق مع البروتستانت في هذا الامر فتثبت كل شيء

وكان ذلك يوم السبت فارسل حالاً منادٍ امبراطوري الى اسواق المدينة فطاف المنادي في الاسواق باصوات الابواق ينادوا اسمعوا اسمعوا هكذا يامر جلالة الملوكي مولانا المنعم انهُ لا يوذن لاحد بان يعظ في اوجسبرج الّا بانتخاب جلالهِ تحت طائلة الوقوع تحت غضب جلالهِ وقصاصهِ

فصار كلام كثير مختلف في بيوت اهالي اوجسبرج عند استماع ذلك فقالوا اننا لا نقدر ان نصبر حتى نرى الواعظين الذين يعينهم الامبراطور الذين يعظون بتعاليم ليست هي ضد تعليم الانجيل ولا ضد تعاليم البابا . وقال آخر اننا سوف

ننظر مسخًا براس سبع وبدن عنزة وذنب تنين . اما اهالي اسپانيا فارتضوا بذلك الاتفاق لان كثيرين منهم لم يسمعوا ولا عظة واحدة في حياتهم. لم تكن عندهم هذه العادة في اسپانيا ولكن اصدقاء زوينكل امتلأوا غيظًا وخوفًا

ثم يوم الاحد في ١٩ حزيران اسرع كل واحد الى الكنائس والشعب الذي ملأها احدقت عيونهم بالخوري واصغت آذانهم لكي يسمعوا ما يقوله الواعظون الجدد الغريبون والاكثرون ظنوا انهم يقدمون للجمهور خطابًا انجيليًا باباويًا فكانوا متعطشين جدًا لاستماع هذه الاعجوبة ولكن تمخضت الجبال وولدت فارةً

فقرأ الواعظ اولاً الصلاة الدارجة ثم تلا انجيل ذلك النهار وختم الامر باعتراف عمومي بالخطايا وصرف الجمهور فكان الشعب ينظرون بعضهم الى بعض بحيرة ويقولون حقًا ان هنا واعظًا ليس انجيليًا ولا باباويًا ولكنهُ ينحصر في موضوعهِ بالتمام واخيرًا ضحك الجميع متقهقهين وقال برنتز حقًا كان سبب كافٍ لذلك . غير انهُ في بعض الكنائس بعد قراءة الانجيل زاد الواعظون بعض الكلمات الصبيانية الخالية من روح الديانة والتعزية وغير مبنية بوجهٍ من الوجوه على الكتب المقدسة

وبعد هذه المواعظ بالاسم شرعوا في خدمة القداس وفي الكنيسة الاولى صارت ضجة عظيمة والامبراطور لم يكن حاضرًا لان عادتهُ ان ينام الى ما قبل الظهر بساعتين او ثلاث ساعات وكانوا يعملون لهُ قداسًا متاخرًا واما اخوهُ فرديننند وكثيرون من الامراء فكانوا حاضرين وصوت الارغن العالي واصوات المرتلين القوية رنت في الهيكل فتقاطر اصناف الناس اجواقًا كثيرة داخلين من جميع الابواب حتى امتلأت الكنيسة كأن كل امم العالم قد اتفقت على الاجتماع في كنيسة اوجسبرج الاولى فكان هناك فرنساوية واسبانيولية واهالي افريقية والايطاليان والاتراك وامم اخر غريبة وهذا الجمهور لم يكن رمزًا بعيدًا لخلط الباباوية

وان خوريًا واحدًا وحدهُ رومانيًا حارًا تجاسر على الاعتذار عن القداس

في كنيسة الصليب المقدس واذ اراد كرلوس ان يحفظ سلطانهُ امر بالفائهِ في سجن رهبان مار فرنسيس فعملوا حيلة لهربهِ منهُ واما رعاة اوجسبرج الانجيليون فتركوا جميعهم تقريبًا المدينة لكي يسمعوا الانجيل في مكان آخر والامراء البروتستانتيون ارادوا ان يستمدوا لكنائسهم مساعدة اناس مشهورين كهولاء وهذا العمل تبعهُ حالاً خوارٌ في الهمة واضطراب حتى ان الاثبت فيهم اضطرب والمنتخب لم يكن ممكنًا تعزيتهُ عن الخسارة التي اضطرهُ الامبراطور اليها فقال بتنهد عميق ان الله ربنا قد أُمر بالسكوت في مجمع اوجسبرج . ومن ذلك الوقت فصاعدًا تغير الفكر الصالح الذي كان للوثيروس من جهة كرلوس وسبق فانبأ بمستقبل كثير الاضطراب وقال انظروا ماذا تكون نهاية كل هذه الامور فان الامبراطور الذي امر المنتخب بابطال الاجتماعات سوف يامرهُ بعد برفض التعليم فان المجمع سوف يهب هبوبًا ولا يبقى لنا شيءٌ الاَّ الاستناد على ساعد الرب ثم قال ايضًا مطلقًا العنان لكل غيظهِ ان البابا ويين اذ تُركوا بيد الشيطان هائجون بالغيظ ولا بد لهم من شرب الدم لكي يحيوا . بريدون ان ينسبوا لنفوسهم العدالة بانتسابهم العناد لنا وشغلنا في اوجسبرج ليس مع الناس بل مع ابواب جهنم . وملانكثون نفسهُ راي كل آمالهِ تضمحل فقال ان الجميع ما عدا الامبراطور يبغضوننا اشد البغض فالخطر عظيم نعم عظيم جدًّا فصلوا الى المسيح لكي يخلصنا . اما لوثيروس مع انهُ امتلأ كآبة فعوضًا عن الانحطاط رفع راسهُ واجتهد في ان يقوي عزائم اخوتهِ فكتب اليهم يقول ايقنوا ولا تشكوا بانكم انتم معترفو يسوع المسيح ورسل الملك العظيم

وكانوا محتاجين الى هذه الافكار لان اخصامهم تشامخوا بواسطة هذا النجاح الاول ولم يتركوا شيئًا من الوسائط لاهلاكهم وقصدوا ان يخطوا خطوة اخرى الى ما قدام فارتأوا الزامهم بالحضور في الاحتفالات البابا وية فقال القاصد لكرلوس ان منتخب سكسونيا يجب عليهِ نظرًا الى وظيفتهِ التي هي قيادة المملكة ان يحمل السيف امامك في جميع احتفالات المجمع فمرهُ اذًا ان يتمم هذا الضرب من

الواجبات في قداس الروح القدس الذي يكون فاتحة الجلسات ففعل الامبراطور ذلك حالاً فاضطرب المنتخب من هذا الطلب وجمع لاهوتييهِ فافتكر انهُ اذا ابى تنزع وظيفتهُ منهُ واذا اطاع يدوس تحت قدميهِ ايمانهُ ويجلب احتقاراً على الانجيل

الّا ان اللاهوتيين اللوثرانيين ازالوا هذه الوساوس من عقل اميرهم فقالوا انك قد طُلبت نظير قائد المملكة في احتفال ملكي لا كنسيّ فان كلمة الله نفسها في قصة نعمان تاذن الك بالامتثال لهذه الدعوة واما اصحاب زوينكل فلم يفتكروا كذلك فان سلوكهم كان اكثر ثباتاً من سلوك الوتمبرجيين فقالوا ان الشهداء قبلوا الموت ولم يشاؤوا ان يحرقوا حبة بخور امام الاصنام حتى ان البعض من البروتستانت اذ بلغهم ان ترنيمة هلمَّ ايها الروح كانت عتيدة ان ترتّل قالوا هازّين رؤُوسهم ان مركبة الروح القدس هي كلمة الله التي قد نزعها البابويون منا فلا يعود الروح القدس بواسطة قداسهم ولا يصل الى اوجسبرج ابداً ولكن لم يُلتفت الى هذه المخاوف ولا الى هذه الاعتراضات

ويوم الاثنين في ٢ حزيران دخل الامبراطور واخوهُ ومنتخبو المملكة وامراؤُها الى الكنيسة الاولى وجلسوا الى يمين الخورس والى الشمال جلس القاصد ورؤساء الاساقفة والاساقفة وفي الوسط السفراء وخارج الخورس على رواق مشرف عليهِ اصطف الامير وآخرون من البروتستانت الذين احبوا ان يكونوا بعيدين عن القربان بقدر الامكان والمنتخب اذ كان حاملاً السيف بقي منتصباً بقرب المذبح في وقت العبادة واغلق الشمامسة حالاً ابواب الخورس ثم وعظ العظة فنسنت بمبينالو رئيس اساقفة باسانو فابتدأ بذكر الكفرة وغزوهم ثم التفت التفاتاً فجائياً واخذ يفضل الكفرة حتى على الجرمانيين فقال ان الكفرة ليس لهم سوى امير واحد يطيعونهُ واما الجرمانيون فان لهم امراء كثيرين لا يطيعون ولا واحداً منهم والكفرة يعيشون تحت شريعة واحدة وعادة واحدة واما بين الجرمانيين موجودة اقوام يطلبون دائماً شرائع جديدة وعوائد جديدة واديانا جديدة فانهم يمزقون

رداء المسيح غير المخيط ويبطلون بالهامات شيطانية التعاليم المقدسة المثبتة باتفاق واحد ويبدلونها بالشعوذة والدعارة ثم التفت نحو الامبراطور واخيهِ وقال ايها الامبراطور المظفر والملك القدير سنّا سيوفكما واستعملاها ضد هولاء المشوشين المؤذين للديانة وارجعاهم هكذا الى حظيرة الكنيسة فانهُ لا يوجد سلام لكل جرمانيا ما دام السيف لا يستاصل بالكلية هذه الارتقة فيا ايها القديس بطرس والقديس بولس اني ادعوكما فادعوك يا مار بطرس لكي تفتح بمفاتيحك قلوب هولاء الامراء الجرمانية وادعوك يا مار بولس اذا اظهروا العصاوة لكي تاتي بسيفك وتقطع ارابًا هذه القساوة التي لا نظير لها

وبعد ختام هذا الخطاب الممزوج بمدائح اريستيذيس وتاميستوكليس وشيبيو وكاتو والكورتي وشيفولا نهض الامبراطور والامراء لكي يقدموا قرابينهم فارجع بابنهيم الى المنتخب السيف وكان قد سلمهُ اياهُ وذهب المنتخب والامير ايضًا الى محل التقدمة ولكن بابتسام كما روى بعضهم وهذه الحادثة قلما تتفق مع طبيعة هذين الاميرين

واخيرًا خرجوا من الكنيسة ولم ينسر احد بالخطاب الّا اصحاب القاصد حتى ان رئيس اساقفة منتز اغتاظ منهُ وقال ما هو معناهُ بدعوتهِ مار بولس لكي يقطع الجرمانيين بسيفهِ . ولم يسمع في ساحة الكنيسة الّا الفاظ غير واضحة فسال البروتستانت اصحابهم الذين كانوا في الخورس فقال برنتز في ذلك الوقت بمقدار ما يضرم هولاء الخوارنة عقول رعاياهم ويهيجون امراءهم الى حروب دموية بمقدار ذلك يجب ان نمنع رعايانا من اعمال التعدي فهكذا تكلم خادم لانجيل السلام بعد خطاب خوارنة رومية

وبعد قداس الروح القدس دخل الامبراطور مركبتهُ ولما وصل الى الديوان حيث كانوا عتيدين ان يجتمعوا جلس على عرش مغطى بنسيج ذهبي وجلس اخوهُ على مقعد قبالتهُ ثم اصطف حولها المنتخبون واثنان واربعون اميرًا ووكلاء المدن والاساقفة والسفراء فتالف منهم ذلك المحفل الذي تصورهُ

لوثيروس قبل ذلك بستة اسابيع كانهُ براهُ جالسًا في الجو

فقرأ الامير البلاتيني طلب الامبراطور وكان يتعلق بقضيتين وهما الحرب ضد الكفار والجدال الديني فقال الامبراطور انني اذ قد ضحيت مصالحي الخصوصية لخير الجمهور تركت املاكي الموروثة ومررت بايطاليا ومن هناك بجرمانيا وذلك ليس من دون خطر عظيم فقد سمعت بحزن عن الانقسامات التي حصلت هنا والتي فضلاً عن تعرضها للجلال الامبراطوري ومخالفتها ايضًا لوصايا الله القادر على كل شيء لا بد انها تحدث نهبًا وحريقًا وحربًا وقتلاً . ثم بعد الظهر بساعة رجع الامبراطور الى قصرهِ برفقة كل الامراء

وفي ذلك اليوم بعينهِ جمع الملك المنتخب حولهُ جميع الامراء المتحدين معهُ في الديانة الذين كان خطاب الامبراطور قد احدث فيهم هياجًا عظيمًا وانذرهم ان لا يحيدوا بواسطة التهديدات عن عمل هو عمل الله نفسهِ وتاثروا جميعًا بواسطة العبارة الآتية من الكتب المقدسة وهي تكلموا كلمة فلا تقوم. لان الله معنا (اش ٨: ١٠)

وكان على الملك المنتخب حملٌ ثقيل فانهُ فضلاً عن التزامهِ بان يسير امام الامراء كان ايضًا ملتزمًا ان يقي نفسهُ من رخاوة ملانكثون المضعفة وهو في صباح الثلثا باكرًا اذ شعر بشدة احتياجهِ الى تلك القوة غير المنظورة التي حسب استعارة مقدسة تجعلنا ان نركب على معالي الارض ورأى حسب العادة حشمهُ ومشيريهِ وابنهُ مجتمعين حولهُ طلب منهم بمحبة ان يخرجوا عنهُ. وعلم انهُ لا يستطيع الوقوف بشجاعة امام كرلوس الاَّ بعد السجود بتذلل امام الله واذ كان منفردًا في مخدعهِ فتح المزامير وقرا شيئًا منها ثم جثا على ركبتيهِ وقدم لله صلاة حارة جدًّا ثم اذ اراد ان يوطد نفسهُ في الامانة التي لا تتزعزع التي عاهد بها الرب ذهب الى مكتبتهِ وكتب هناك القضايا التي عزم على عملها ورآها دلزغ وملانكثون بخطهِ وامتلاَا عجبًا لما قرآاها

وبعد ما شدد يوحنا نفسهُ حديثًا بالافكار السموية تناول القضايا

الامبراطورية واخذ يتامل فيها ثم دعا ابنهُ وبروك كاتبهُ ثم ملانكثون بعد ذلك بقليل وبعد المفاوضة فر رايهم جميعًا على ان المجمع يجب ان يبتدي اولاً في البحث عن القضايا الدينية ثم طلب راي اصحابهِ فاتفقت آراؤهم على ذلك

واما القاصد فكان قد تصوَّر ترتيبًا مضادًّا لهذا على وجه الاستقامة . اي رغب ان يضرب صفحًا عن قضية الديانة ولاجل هذه الغاية طلب ان الامراء يجثون عنها مع عمدة سرية والمسيحيون الانجيليون لم يكن عندهم شك انهُ اذا نودي بالحق في مجمع الامة العظيم يفوز بالغلبة ولكن بمقدار ما كانوا يطلبون اقرارًا جهاريًّا بمقدار ذلك كان اصدقاء البابا يحتسبون من ذلك فان هولاء ارادوا ان ياخذوا اخصامهم بالسكوت من دون بحث كاخذ مدينة بالجوع من دون قتال ومن دون هجوم وحاولوا ان يسكتوا الاصلاح وبذلك يعدمونهُ القوة ويميتونهُ فان تسكيت الواعظين لم يكن كافيًا لهم بل كان لا بد لهم من تسكيت الامراء ايضًا وارادوا ان يحبسوا الاصلاح كما في سجن وان يتركوهُ هناك حتى يموت ظانين انهُ بهذه الواسطة يتخلص منهُ على طريقة افعل من سوقهِ الى الحريق

ولا ريب ان هذا التدبير كان تدبيرًا محكمًا ولم يبقَ الاَّ اجراوهُ ولاجل هذه الغاية كان لا بد من اقناع جماعة البروتستانت بان هذه الطريقة هي احسن الطرق لهم والشخص الذي اختاروهُ لهذا العمل هو الفونسو والدز كاتب كرلوس الخامس الذي كان من معتبري اسپانيا الافاضل واظهر فيما بعد استمالة نحو الاصلاح وان حسن التدبير يستعين مرارًا باناس فاضلين على اجراء اقبح المقاصد فقر الراي على ان والدز يخاطب اشد البروتستانت جبانة اي ملانكثون

وفي ١٦ و١٧ حزيران حالما وصل كرلوس طلب والدز من ملانكثون ان ياتي اليهِ فقال ان اهالي اسپانيا يظنون ان اللوثرانيين يعلمون تعاليم نفاقية في قضية الثالوث الاقدس ويسوع المسيح وام الله المباركة ومن ثم يفتكرون ان قتلهم لوثرانيًّا افضل من قتلهم كافرًا

فاجاب ملانكثون انا اعلم ذلك ولم اقدر حتى الآن على اقناع ابناء بلادك

بترك هذا الفكر

فقال والدز وماذا يطلبهُ اللوثرانيون

فقال ملانكثون ان قضية اللوثرانيين ليست مرتبكة ولا هي غير لائقة كما يتوهم جلالهُ فاننا لا نقاتل الكنيسة الكاثوليكية كما يظن الاكثرون وكل الاختلاف يمكن ارجاعهُ الى هذه القضايا الثلاث وهي الشكلان في سر عشية الرب وزواج الاكليروس الرعاة وابطال القداسات السرية فلو اتفقنا في هذه القضايا لسهل علينا ذلك في القضايا الاخر

فاجاب والدز نعمًا ذلك اني ساقرر ذلك لجلالهِ

فابتهج كرلوس الخامس بهذا الخبر وقال لوالدز اذهب واخبر القاصد بهذه الامور واطلب من المعلم فيلبس ان يعطيك خطًا شرحًا مختصرًا لما يومنون بهِ ولما ينكرونهُ

فاسرع والدز الى كمباجيو فقال لهُ ان ما اخبرتني بهِ يسرني جدًّا اما الشكلان في سر عشية الرب وزواج الخوارنة فلنا سبيل للاتحاد فيهما ولكن لا نسلم بابطال القداسات السرية . كان ذلك في الحقيقة سد اوسع ابواب مداخيل الكنيسة

ويوم السبت في ١٨ حزيران قابل والدز ملانكثون مرة اخرى فقال ان الامبراطور يطلب منك شرحًا معتدلًا وجيزًا وهو موقن ان يكون انفع التصرف في هذا الامر بطريق مختصر سري بمعزل عن سمع الجمهور والجدالات المملة التي لا ينتج منها الّا الحنق والانشقاق . فقال ملانكثون احسنت واني سوف انبصر في ذلك

كادوا يرجون ملانكثون فان المفاوضة السرية كانت اكثر موافقة لميلهِ الطبيعي . ألم يقل مرارًا انهُ يجب طلب السلام قبل كل شيء وهكذا كل شيء اطمع القاصد بانهُ يتخلص من مماحكة جهارية وبانهُ يخنق الاصلاح داخل السجن

ولكن لاجل السعد الكاتب والمنتخب يوحنا لم يستصوبا القضايا التي ارسل بها كرلوس والدز الفاضل وعزم اعضاء الكنيسة هولاء العوام تخلصها من الخطوة

الكاذبة التي كان علماؤُها عتيدين ان ياخذوا فيها فقصرت حيل الايطاليين عن نوال مرغوبها من الثبات الانجيلي ولم يُؤذَن لملانكثون الاَّ بوضع القوانين امام الاسبانيولي لكي ينظر فيها ومع الاعتدال الذي مارسهُ ملانكثون صرخ والدز قائلاً ان هذه الكلمات هي مفرطة المرارة فلا يمكن اخصامكم ان يقبلوا بها ابدًا وهكذا انتهت حيلة القاصد

الفصل السادس

غيرة الملك المنتخب . امضاء الاقرار . شجاعة الامراء . ضعف ملانكثون . ثبات البروتستانت . صلوات لوثيروس . مكتوبهُ الى ملانكثون

فالتزم كرلوس ان يسلم بجلسة جهارية فامر يوم الاربعاء في ٢٢ حزيران ان المنتخب واصحابهُ يعدون اقرارهم لاجل النظر فيهِ يوم الجمعة القادم وكذلك الحزب الروماني طُلِب منهُ اقرار الاَّ انهم استعفوا من ذلك بقولهم انهم يكتفون بحكم وُرمس . وامر الامبراطور اخذ البروتستانت بغتةً لان المفاوضة التي حصلت بين والدز وملانكثون اعاقتهم عن تنقيح اقرارهم فلم يكن قد نُسِخ جيدًا والخاتمات والمقدمات لم تُكتَب بطريق محدد ولاجل ذلك طلب البروتستانت من رئيس اساقفة منتز ان يطلب لهم مهلة يوم الاَّ انهم لم ينالوا مطلوبهم ومن ثم اشتغلوا من دون انقطاع حتى في الليل بتصحيح الاقرار وتبييضهِ . ويوم الخميس في ٢٣ حزيران اجتمع باكرًا امراء البروتستانت ووكلاؤُهم ومشيروهم ولاهوتيوهم في منزل المنتخب فتُلي عليهم الاقرار باللسان الجرماني فقبلهُ جميعهم ما عدا الاندكراف واهالي ستراسبرج الذين طلبوا تغييرًا في قضية الافخارستيا فلم يقبل الامراء طلبهم

واذ كان منتخب سكسونيا مستعدًّا لامضائهِ منعهُ ملانكثون من ذلك لانهُ

خاف من ان ذلك يكسب هذه المصلحة الدينية هيئة سياسية وحسب زعمهِ كان يجب ان الكنيسة تظهر فيهِ دون الحكومة فقال انهُ يجب ان اللاهوتيين والقسوس يقدمون هذه الاشياء فليحفظ لقضية اخرى سلطان مقتدري الارض . فاجاب المنتخب معاذ الله من اخراجك اياي من ذلك فاني عازم على عمل ما هو مستقيم من دون ان ازعج نفسي في امر تاجي فاني ارغب في ان اقر بالرب فان برنيطتي الانتخابية وفروتي ليستا كريمتين عندي بمقدار صليب يسوع المسيح فاني اترك على الارض علامة عظمتي هذه ولكن صليب سيدي سوف يرافقني الى السماء

فكيف تُصَد عبارات مسيحية كهذه فسلم ملانكثون فتقدم المنتخب حينئذٍ وامضى ودفع القلم الى الاندكراف الذي اعترض في اول الامر ولكن العدو كان على الباب فهل ذلك وقت اختلاف فامضى قائلاً ان القول بخصوص الافخارستيا لا يعجبهُ

واذ وضع الماركراف ولونيبرج اسميهما اخذ انهالت القلم في نوبتهِ وقال اني قد حاربت اكثر من مرة لكي ارضي الاخرين والآن فاذا كانت كرامة ربي يسوع المسيح تقتضي ذلك فاني مستعد لان اسرج حصاني واترك امتعتي وحياتي وراء ظهري واهجم الى الابدية نحو اكليل ابدي . ثم بعد ان امضى هذا الامير الشاب التفت نحو اللاهوتيين وقال انهُ احب اليَّ ان ارفض رعاياي واملاكي واترك بلادي والعكاز بيدي واحصّل خبزي بتنظيف احذية الاجانب من ان اقبل تعليمًا آخر غير التعليم الموجود في هذا الاقرار . ومن المدن امضى نورمبرج وروتلنجن وحدهما والجميع عزموا على ان يطلبوا من الامبراطور قراءة الاقرار جهارًا

ان شجاعة الامراء اوقعت كل من رآهم في حيرة فان رومية كانت قد سحقت اعضاء الكنيسة وصيرتهم زمرة عبيد كانت تقودهم بالصمت والذل وراءها واما الاصلاح فاعتقهم وارجعهم الى حقوقهم وواجباتهم ولم تبقَ الديانة في التزام الخوارنة بل راس كل عائلة صار ايضًا خوري بيتهِ وجميع اعضاء كنيسة الله دُعوا من ثمَّ

فصاعداً الى درجة معرفين فان العوام لا شيء في كنيسة رومية لا صوت لهم ولا قول . ولكن في كنيسة يسوع المسيح هم الجزء الجوهري لها فحيثما يتسلط الروح الكهنوتي تموت الكنيسة وحيثما فهم العوام كما فهم امراء اوجسبرج هولاء واجباتهم واستنادهم على المسيح من دون واسطة تحيا الكنيسة

ان اللاهوتيين الانجيليين تحركوا بواسطة نشاط الامراء . قال برنتز انني حينما اعتبر ثباتهم في الاقرار بالانجيل احمر خجلاً وهو عار عظيم اننا نحن الذين لسنا سوى متسولين بالنظر اليهم نخاف بهذا المقدار من الاقرار بالمسيح . وافتكر برنتز حينئذٍ ببعض المدن ولا سيما هالى التي كان راعياً لها وكذلك اشار بقولهِ الى اللاهوتيين لا محالة . فان اللاهوتيين مع عدم تقصيرهم في النشاط كانوا احياناً ناقصين في الشجاعة فان ملانكثون كان في اضطراب دائم وركض الى هنا وهناك وزلق في كل مكان كما قال كوكلاوس في فيلبسيانهِ وكان يزور لا بيوت ومنازل العوام فقط بل حشر نفسهُ في قصور الكردينالين والامراء حتى بلاط الامبراطور وسواء كان على المائدة او في الحديث بذل جهدهُ في اقناع الجميع بسهولة امر ارجاع السلامة بين الحزبين وكان ذات يوم مع رئيس اساقفة سازبرج الذي في خطاب طويل فصيح وصف الاضطرابات المسببة حسب زعمهِ من الاصلاح وانهى خطابهُ بخاتمة مكتوبة بدم كما يصفها ملانكثون وفيلبس اكتأب وتجاسر في وسط الخطاب على ادخال لفظة الضمير في الحديث . فصرخ رئيس الاساقفة قائلاً الضمير الضمير فما هو معنى ذلك فاني اقول لك واضحاً ان الامبراطور لا يسمح بجلب التشويش هكذا على المملكة . قال لوثيروس لو كنت مكان ملانكثون لكنت جاوبتهُ حالاً بان امبراطورنا نحن لا يحتمل مثل هذا التجديف . قال ملانكثون واسفاه انهم جميعاً متجاسرون كانهُ لا يوجد اله . وفي يوم آخر كان ملانكثون مع كمباجيو واستحلفهُ ان يبقى في الاراء المعتدلة التي كان متمسكاً بها وفي وقت آخر كان مع الامبراطور نفسهِ قال الزوينكليون الخائفون واسفاه ان ملانكثون بعد ان اضعف النصف الواحد من الانجيل آخذ في تضحية

النصف الآخر

وحيل الذين من وراء الجبال اضيفت الى جبانة ملانكثون لكي تصد اعمال الامراء الجسورة ويوم الجمعة في ٢٤ حزيران كان اليوم المعيّن لقراءة الاقرار الاّ انهُ عُمل تدبير لمنع ذلك فان جلسة المجمع لم تبتدي الاّ بعد الظهر بثلاث ساعات فلما أُعطي خبر قدوم القاصد ذهب كرلوس للقائهِ الى راس الدرج الكبير وبعد ان جلس كمباجيو مقابل الامبراطور في مكان الملك فرديننـد عمل خطابًا على اسلوب شيشرونيّ فقال ان سفينة مار بطرس لم تُلطم قط بهذا المقدار من العنف من مثل هذه الامواج الكثيرة والزوابع والتيارات فان الاب الاقدس قد بلغتهُ هذه الامور بالم وهو يرغب في ان ينجي الكنيسة من هذه المضيقات المخيفات فحبًّا بيسوع المسيح ايها الامير القدير وحبًّا بسلامة بلادك وسلامتك تخلص من هذه الضلالات وخلص جرمانيا وانقذ عالم المسيحيين . فجاوبهُ البرت من منتز جوابًا هادئًا ثم خرج القاصد من الديوان وقام الامراء الانجيليون الاّ انهُ أُوجد سبب جديد يمنعهم فصار استماع دعاوي الوكلاء من اوسنريا وكرنثيا وكرينولا اولاً . وهكذا انصرف زمان كثير الآن الامراء الانجيليين قاموا ايضًا فقال الكاتب بروك قيل اننا نذيع بين الشعب تعاليم جديدة غير مبنية على الكتاب المقدس وارتقات وانشقاقات واذ لاحظنا ان مثل هذه التقريفات توقع الشبهة في اسمنا الصالح والخطر على انفسنا فنترجى جلالتهُ ان يسمع ما هي التعاليم التي نقرُّ بها

فاجاب الامبراطور باتفاق سابق مع القاصد انهُ لم يعد وقت وعدا ذلك ان هذه القراءة تكون بلا فائدة وان الامراء يجب ان يكتفوا بتقديم اقرارهم خطًّا وهكذا الكمين الذي اعد بهذا المقدار من الحذاقة اشتغل بنوع عجيب فان الاقرار متى سُلّم مرة للامبراطور يضعهُ جانبًا ويلتزم الاصلاح بالانصراف من دون ان تتنازل البابابوية الى ان تسمع لهُ ويذهب من دون محاماة مغطى بالخزي . فاضطرب الامراء البروتستانت وانزعجوا والحوا قائلين ان شرفنا في خطر وانفسنا كذلك فاننا قد قرفنا جهارًا وجهارًا يجب ان نجاوب فتزعزع عزم

كرلوس فانحني فرديننند نحوهُ وهمس بعض الكلمات في اذنهِ فابى الامبراطور مرة ثانية . وعند ذلك المنتخب والامراءُ ازدادوا اضطرابًا وقالوا ثالثةً بحركة وحرارة حبًا بالله دعنا نقرا اقرارنا فانهُ لا يفتري فيهِ على احد . وهكذا كنت ترى من الجانب الواحد اناسًا قليلين امناء يرغبون باصوات عالية ان يقروا بايمانهم ومن الجانب الاخر امبراطور الغرب العظيم محفوفًا بجمهور من الكرديناليين والاساقفة والامراء يجتهد في منع اظهار الحق . وكان ذلك جهادًا مهمًّا شديدًا ذا عزم بحث فيهِ عن اقدس الامور

واخيرًا ظهر كرلوس كانهُ قد سلم فكان الجواب للامراء ان جلالهُ يجيب طلبكم ولكن بما ان الوقت قد تاخر يلتمس منكم ان تسلموهُ اقراركم المكتوب وغدًا بعد الظهر بساعتين يكون المجمع مستعدًّا لقراءتهِ في القصر البلاتيني

فتاثر الامراءُ بهذه الكلمات التي مع انها بالظاهر سلمت لهم بكل شيء بالحقيقة لم تسلم بشيء وذلك لان الامبراطور لم يرد ان يسمع ذلك في جلسة مشتهرة في القاعة بل في قصرهِ وكذلك تحققوا انهُ اذا خرج الاقرار من ايديهم لا يعود امل في قراءتهِ علانية ومن ثم بقوا على عزمهم وقالوا ان العمل قد تم بعجلة كلية فنترجى ان تبقوهُ معنا هذه الليلة لكي نراجعهُ فالتزم الامبراطور باجابة سوالهم ورجع الامراءُ الى منازلهم مملوّين فرحًا واما القاصد واصحابهُ فاذ راوا انهُ لا سبيل لهم الى الهرب من الاقرار انتظروا الغد باضطراب متزايد

ومن جملة المستعدين للاقرار بالحق الانجيلي ملانكثون الذي كان قلبهُ مملوًّا كابة فانهُ وقع بين نارين لان المصلحين حتى كثيرين من اصحابهِ وبخوهُ على ضعفهِ والحزب الاخر قرفوهُ على ريائهِ وصديقهُ كاميراريوس الذي جاء الى اوجسبرج بالقرب من ذلك الوقت رآهُ مرارًا مستغرقًا في الافكار يتنهد تنهدات عميقة ويذرف دموعًا مرة واما برنتز فكان ياتي الى فيلبس ويشفق عليهِ فيجلس الى جانبهِ ويبكي معهُ واجتهد يوناس في ان يسليهُ بطريق آخر بانذارهِ اياهُ ان ياخذ كتاب الزبور ويصرخ الى الله من كل قلبهِ مستعملًا عبارات داود دون

عبارات نفسهِ

وفي احد الايام شاع خبر صار موضوع الحديث لجميع سكان اوجسبرج وهو بواسطة نشرهِ الخوف بين معاشر البابا وبين اراح ملانكثون راحة وقتية فشاع ان بغلة في رومية قد ولدت جحشاً برجلي كركي . قال ملانكثون ان هذه الاعجوبة تدل على قرب نهاية رومية . ربما لان الكركي من الطيور المنتقلة المسافرة فاشارت بغلة البابا بذلك الى قرب زمان الانطلاق . فكتب ملانكثون حالاً الى لوثيروس فاجابهُ انهُ فرح جدًّا بان الله قد اعطى البابا علامة قوية كهذه تدل على قرب سقوطهِ . لا باس من ذكر اوهام المصلحين هذه الصبيانية لكي نفهم على احسن منوال الرتبة السامية التي لرجال الله هولاء في قضايا الايمان وتلك الخرافات اكتسبوها من تربيتهم في البابا وية . وهذه الحكايات الرومانية الباطلة لم تسلِّ ملانكثون زمنًا طويلاً فانهُ في مساء ٢٥ حزيران حضر بفكرهِ عند قراءة الاقرار الذي كتبهُ وكان عتيدًا ان يُنادى بهِ قدام العالم فاذا زيد فيهِ كلمة او نقص منهُ كلمة ربما يتوقف عليها قبول الامراء او بغضهم وسلامة الاصلاح والمملكة او خرابها فلم يعد يقدران يحتمل وهذا الاطلس الضعيف اذ ضُغط تحت ثقل العالم الموضوع على منكبيهِ صرخ صراخ مكتئب فكتب الى فيتوس ديدريخ كاتب لوثيروس في قلعة كوبرج ان كل وقتي يُصرَف بالدموع والنحيب . وفي الغد كتب الى لوثيروس نفسهِ ان مسكني مملو دائمًا دموعًا وحيرتي لا توصف فيا ابي اني لست اريد ان ابالغ في وصف احزاني ولكن من دون تعزياتك لا يمكنني هنا ان اتمتع باقل شيء من السلامة

وفي الواقع لم يكن شيء يقابل عدم اركان ملانكثون وكآبتهُ مقابلة قوية مثل ايمان لوثيروس وهدوهِ وبهجتهِ وكان امرًا مفيدًا لهُ انهُ لم يكن حينئذٍ في وسط زوبعة اوجسبرج وان يكون قادرًا ان يضع رجالهُ وهو في حصنهِ بهدوٍ على صخرة مواعيد الله وهو نفسهُ شعر بقيمة تلك الصومعة الامينة كما دعاها . قال فيتوس ديدريخ اني لا اقدر ان اتعجب بالكفاية من ثبات هذا الرجل وبهجتهِ وايمانهِ التي

هي مذهلة جدًّا في مثل هذه الازمنة الصعبة

ان لوثيروس فضلاً عن درسهِ كلام الله على الدوام لم يصرف يومًا من دون ان يكرس اقل ما يكون ثلاث ساعات للصلاة وتلك الساعات من احسن الساعات للدرس وذات يوم لما دنا ديدريخ من مخدع المصلح سمع صوتهُ فوقف صامتًا ساكتًا بقرب الباب وسمع لوثيروس يصلي وكانت صلاتهُ كما يقول الكاتب كثيرة الورع والخوف والرجاء كما يحدث عند ما يتكلم الانسان مع صديقهِ او ابيهِ فقال المصلح وهو منفرد في مخدعهِ اني عالم انك ابونا والهنا وانك تبدد مضطهدي بنيك لانك انت في خطر معنا فكل هذا العمل هو لك ونحن لم نمد ايدينا اليهِ الاَّ بامرك فاحمِنا اذًا ايها الاب. والكاتب الواقف لا يتحرك في ممشى القلعة الطويل لم يُضِع كلمة من الكلمات التي حملها صوت لوثيروس الرائق القوي الى اذنيهِ فان المصلح كان يتكلم مع الله بجد ويطلب منهُ بعزم ان يتمم مواعيدهُ حتى شعر ديدريخ بان قلبهُ قد ذاب داخلهُ وقال وهو منصرف آه كيف يمكن مثل هذه الصلوات ان لا تغلب في النضال الشديد في اوجسبرج .

ولم يكن عجب لو غلب الخوف لوثيروس نفسهُ لانهُ لم يعلم بشيءٍ مما هو حادث في المجمع. جاء رسول من اهل وتمبرج وظن انهُ يجب ان ياتيهِ بمكاتيب كثيرة فلما حضر سالهُ لوثيروس هل تاتي بشيءٍ من المكاتيب فقال لا فقال لوثيروس وكيف احوال الاصحاب فقال بخير فاغتم لوثيروس من هذا السكوت ورجع وحبس نفسهُ في مخدعهِ

وبعد قليل جاء فارس حامل مكاتيب من المنتخب الى تورغو فسالهُ لوثيروس هل معك مكاتيب لي فاجاب لا فقال وهو خائف فكيف احوال الاصحاب فقال بخير فقال المصلح في نفسهِ ان هذا امر غريب. وذهبت عربانة من كوبرج حاملة طحينًا لانهم كانوا قد صاروا في احتياج المُؤنة في اوجسبرج فانتظر لوثيروس رجوع صاحبها الاَّ انهُ رجع فارغًا وحينئذٍ ابتدا لوثيروس يتصور في فكرهِ اظلم الافكار ولم يشك بانهم اخفوا عنهُ شيئًا من المصائب واخيرًا لما

وصل شخص آخر من اوجسبرج اسمهُ جو بست نمبتزن ثار لوثيروس اليهِ وسالهُ سوالهُ المعتاد هل احضرت اليَّ شيئًا من المكاتيب وكان ينتظر الجواب مرتعدًا فاجابهُ لا فقال وكيف الاصحاب فقال بخير فانصرف لوثيروس بالغضب والخوف

وحينئذٍ فتح لوثيروس كتابهُ المقدس لكي يعزي نفسهُ عن سكوت القوم واخذ يناجي الله وقرأ عبارات مخصوصة من الكتاب المقدس متكررًا وهي ٢ تي ٢:١٢ وفي ٢:١٣ و١٢ ويو ١٠:١٧ و١٨ مت ١٦:١٨ مز ٤٥:١ و٢ و١ يو ٤:٤ مز ٤٥:٢٢ ومز ٢٦ : ١٤ يو ١٦:٣٣ لو ١٧ : ٥ مز ٢١:١١ ومز ١٤٤ : ١٨ و١٩ ومز ٩٠:١٤ و١٥ امت ٦:٢١ و ابط ٥:٦ و٧ مت ١٠:٢٨ روص ٤ و٦ عب ص ٥ و١١ امل ٤:١٨ وص ٢١:٤ و٨ وص ٢:٣٠ و ٢ تي ٢:١٧ الى ١٩ وص ١ : ١٢ واف ٢:٢٠ و ٢١ وفعل اكثر من ذلك فانهُ كتب بيدهِ عبارات كثيرة من الكتب المقدسة على الابواب والطاقات وعلى حيطان القلعة ومن جملتها هذه الكلمات من المزمور المئة والثامن عشر لا اموت بل احيا واحدث باعمال الرب وايضًا قول الحكيم مشورات المنافقين هي غش (ام ١٢:٥) وعلى سريرهِ قول المرتل بسلامة اضطجع بل ايضًا انام . لانك انت يارب منفردًا في طمانينةٍ تسكّنني (مز ٤:٨) وربما لم يتفق قط ان رجلًا احاط نفسهُ بمواعيد الرب او سكن في هواء كلامهِ وحيي بنفسهِ كما فعل لوثيروس في كوبرج

واخيرًا اتتهُ المكاتيب فكتب لوثيروس الى بوناس يقول كنت احتسبت من اخذ الثار لو لم تكن الايام التي نعيش فيها تضاد ذلك ولكن الصلاة كانت تدفع غضبي والغضب عوق صلاتي . اني انسر بالعقل الهادي الذي اعطاهُ الله لاميرنا واما ملانكثون فان فلسفتهُ هي التي تعذبهُ لا شيء آخر لان امرنا بيد ذلك الذي يقدر ان يقول بجلال لا يوصف لا يقدر احد ان يخطفهُ من يدي ولا اريد ان يكون ذلك في ايدينا ولا يصلح ان يكون كذلك . كان في يدي اشياء كثيرة وقد خسرتها جميعًا ولكن كل ما قدرت ان اضعهُ بيد الله لا ازال امتلكهُ

ولما بلغ لوثيروس ان كآبة ملانكثون لم تنفك عنهُ كتب اليهِ وهذه هي عبارات ينبغي ان تُحفَظ

النعمة والسلام بالمسيح. اقول بالمسيح لا بالعالم امين انني ابغض بغضة شديدة الاهتمامات المفرطة التي تذيبك فاذا كانت الدعوى غير عادلة فاتركها واذا كانت عادلة فلماذا تكذّب وعد الذي يامرنا ان نرقد من دون خوف فهل يقدر الشيطان ان يعمل شيئًا الآن يقتلنا فان المسيح لا يتخلى عن دعوى العدل والحق وهو حي مالك فاي خوف علينا. ان الله قادر على كل شيء فهو يقدر ان يرفع دعواهُ اذا سقطت وان يجعلها تتقدم اذا وقفت واذا كنا غير اهلٍ لذلك فانهُ يجريهِ بواسطة قوم اخرين

قد وصل اليَّ اعتذارك ولا اقدر ان افهم ماذا تعني عندما تسال ماذا يجب ان نسلم بهِ للبابا ويين فاننا قد سلمنا بامور اكثر مما يجب واني اتامل نهارًا وليلاً في هذه القضية واقلبها تكرارًا مفتشًا الكتب باجتهاد. وصدق تعليمنا يصير كل يوم اقوى في ضميري واني بمساعدة الله لا اسمح ان يُختطَف منا حرف واحد من كل ما قلناهُ

ان نتيجة هذه القضية تعذبك لانك لا تقدر ان تفهمها ولو قدرتَ على ذلك لما كنتُ امد اليها يدًا بالكلية فان الله قد وضعها في مكان واسع لا تقدر ان تجدهُ في فصاحتك ولا في فلسفتك وهذا المكان يستدعي الايمان. وهو الذي يوجد فيهِ جميع الاشياء التي لا نقدر ان نفهمها ولا ان نراها ومن اراد ان يمسها كما تريد انت فان جزاءهُ الوحيد الدموع

فاذا كان المسيح ليس معنا فاين هو من جميع المسكونة واذا لم نكن نحن الكنيسة فاترجاك ان تخبرني اين هي الكنيسة فهل هي امراء بافاريا او فرديننند او البابا فمن هو الكنيسة واذا لم يكن عندنا كلام الله فعند مَن هو. فقط يجب ان يكون عندنا ايمان لئلاَّ يوجد عمل الايمان من دون ايمان. واذا سقطنا فان المسيح يسقط معنا اي مولى العالم واحب اليَّ ان اسقط مع المسيح من ان ابقى قائمًا

مع قيصر

فهكذا كتب لوثيروس والايمان الذي حركهُ فاض منهُ سيول انهار ماء حي وهو لم يكل وفي يوم واحد كتب الى ملانكثون وسپالاتين وبرنتز واغريكولا ويوحنا فردريك وكانت مكاتيبهُ اليهم مملوَّة حياة وهو لم يكن وحدهُ في الصلاة والكلام والايمان لانهُ في ذلك الوقت بعينهِ كان المسيحيون الانجيليون يعظون بعضهم بعضًا في كل مكان بالصلاة فهكذا كان المعمل الذي ضُرِبت فيهِ الاسلحة التي استعملها معترفو المسيح امام مجمع اوجسبرج

الفصل السابع

قراءة الاقرار ونتائج ذلك

اخيرًا اتى اليوم الخامس والعشرون من حزيران وكان ذلك اليوم عتيدًا ان يكون اعظم ايام الاصلاح وامجد الايام في تاريخ الديانة المسيحية والجنس البشري. وبما ان معبد القصر البلاتيني حيث عزم الامبراطوران يسمع قراءة الاقرار لم يكن يسع الا نحو مئتي نفر كنت ترى قبل الساعة الثالثة بعد الظهر جمعًا غفيرًا محدقًا بالمكان ومزدحمًا في الدار متاملًا ان يلتقط بعض الكلمات بهذه الواسطة وبعد ان دخل كثيرون الى المعبد أُخرِجوا جميعًا الا الذين كانوا اهلًا ان يكونوا مشيرين للامراء

فجلس كرلوس على عرشهِ وكان المنتخبون او وكلاؤهم عن يمينهِ وعن يسارهِ وبعدهم باقي الامراء واعيان المملكة اما القاصد فامتنع عن الحضور في هذا الاحتفال لئلا يبين انهُ بحضورهِ وافق على قراءة الاقرار

وحينئذٍ وقف يوحنا منتخب سكسونيا وابنهُ يوحنا فردريك وفيلبس امير هسي وجرجس مرغريف برندنبرج وولفغانج امير انهلت وارنست دوك

برنسويك لونبرج واخوهُ فرنسيس وفي آخر الجميع وكلاء نورمبرج وروتجن فكانت هيئتهم هيئة نشاط تتلألأ فرحًا فان اعتذارات المسيحيين الاولين اي ترتليانوس ويوستينوس الشهيد بالكد بلغت في الكتابة الملوك الذين كتبت اليهم واما الآن لاجل استماع اعتذار جديد للديانة المسيحية المنتعشة حديثًا نرى ذلك الامبراطور القدير الذي مدَّ صولجانهُ الى اماكن بعيدة وراء البحر الى اقصى حدود العالم واخاهُ ملك الرومانيين مع منتخبين وامراء واساقفة ووكلاء وسفراء الذين اتفقوا باجمعهم على اهلاك الانجيل الآن قوة غير منتظرة الزمتهم بان يسمعوا وبواسطة هذا الاستماع نفسهِ ان يكرموا الاقرار

ان فكرًا واحدًا خطر قهرًا على بال الحاضرين وهو تذكُّر مجمع ورمس فانهُ منذ مضي تسع سنوات لا غير راهب مسكين وقف وحدهُ لاجل هذا الامر بعينهِ في ديوان مدينة ورمس في حضرة عظماء المملكة واما في اوجسبرج فقام عوضًا عنهُ اعظم المنتخبين والامراء ووكلاء المدن وما اعظم الغلبة التي يدل عليها هذا الامر الوحيد ولا شك ان كرلوس نفسهُ لم يقدر على طرد هذا التذكر. ولما راى الامبراطور البروتستانت يقفون اشار اليهم ان يجلسوا وحينئذٍ تقدم كاتبا المنتخب بروك وباير الى وسط المعبد ووقفا امام العرش ماسكين بايديهما نسخة الاقرار باللاتينية والجرمانية فطلب الامبراطور ان تُقرا النسخة اللاتينية. فقال منتخب سكسونيا اننا جميعنا جرمانيون وعلى ارض جرمانية فاترجي ان جلالك تاذن لنا بالكلام باللغة الجرمانية. فلو قُرِي الاقرار باللاتينية التي كانت مجهولة لدى اكثر الامراء لخسر مفعولهُ العمومي وهذه واسطة اخرى لسدّ فم الانجيل فاجاب الامبراطور طلب المنتخب. فاخذ باير في قراءة الاقرار الانجيلي وذلك بالتاني والرزانة والصراحة وصوت رائق قوي رنَّ رنانًا تحت سقف المعبد المعقود بالحجارة ووصل الى الخارج فقرا هذه الشهادة للحق العظيمة

قال ايها الامبراطور الحكيم القدير القهار والمولى المنعم اننا نحن الماثلون امام جلالك نقرُّ باننا مستعدون لان نبحث معك بمحبة عن انسب الوسائط

لارجاع ايمان واحد حقيقي لاننا انما نحارب لاجل مسيح واحد بعينهِ واذا اتفق ان هذه الاختلافات الدينية لا يمكن انهاؤُها بوجه المحبة فاننا نقدم لجلالك ايضاح امرنا في مجمع مسيحي حر مسكوني

وبعد ما انتهى بابر من هذه المقدمة اقرَّ بالثالوث الاقدس طبق المجمع النيقاوي وبالخطية الاصلية والموروثة التي تجلب الموت الابدي على جميع الذين لا يولدون ثانيةً وبتجسد الابن الذي هو اله حقيقي وانسان حقيقي

ثم قال اننا نعلّم ايضًا باننا لا نقدر ان نتبرر امام الله بواسطة قوتنا ولا استحقاقاتنا ولا اعمالنا بل اننا نتبرر مجانًا لاجل المسيح بالايمان اذ نومن بان خطايانا قد غُفِرَت بواسطة المسيح الذي بموتهِ وفى وفاءً تامًا عن خطايانا وهذا الايمان هو البر الذي يحسبهُ الله للخاطي

ولكننا نعلم ان هذا الايمان يجب ان يثمر ثمارًا صالحة وانهُ يجب علينا ان نعمل جميع الاعمال الصالحة المامور بها من الله حبًّا بالله لا لكي ننال بواسطتها نعمة الله

ثم اشهر البروتستانت ايمانهم بالكنيسة المسيحية التي قالوا انها جماعة جميع المومنين والقديسين الحقيقيين ولكن فيها في هذه الدنيا مسيحيون كثيرون كاذبون حتى مراؤُون وخطاة ظاهرون . وقالوا ايضًا انهُ يكفي لوحدة الكنيسة الحقيقية الاتفاق في تعليم الانجيل وتوزيع الاسرار من دون اتفاق في الطقوس والاحتفالات المفروضة من الناس واقرُّوا بضرورية المعمودية وصرَّحوا بان جسد ودم المسيح يوجدان حقًا ويُوزَّعان في عشية الرب على الذين يشتركون فيها

ثم اقرَّ الكاتب على التوالي بايمان المسيحيين الانجيليين مما يتعلق بالاعتراف والاعمال الوفائية وطبيعة الاسرار وسياسة الكنيسة والسنن الكنائسية والسياسة المدنية واليوم الاخير . ثم قال اما حرية الارادة فاننا نعتقد بان للانسان ارادة حرة في امور السياسة والاشياء التي يدركها العقل وان الانسان قادر على عمل الخير الذي داخل دائرة الطبيعة اي ان يفلح ارضهُ ويأكل ويشرب ويكون لهُ صديق ويلبس ثوبًا ويبني بيتًا ويتخذ زوجة ويرعى ماشية ويمارس وظيفة كما انهُ

قادر من تلقاء نفسهِ على عمل الشر والسجود لصنم والقتل الاَّ اننا نعتقد بانهُ من دون مساعدة الروح القدس لا يقدر ان يعمل ما هو بارٌ قدام الله

ثم رجع الى تعليم الاصلاح العظيم متذكرًا بان علماء البابا لم يكفّوا قط عن الزام المومنين باعمال صبيانية لا فائدة لها كتقديم الزهور وطلب شفاعة القديسين والنذور الرهبانية والزياحات والاصوام والاعياد والاخويات ثم قال اما نحن فمع اننا نحث على ممارسة اعمال مسيحية حقيقية مما لم يُقَل عنها الاَّ قليل قبل ايامنا نعلّم ان الانسان انما يتبرر بالايمان وحدهُ وليس بذلك الايمان الذي هو معرفة بسيطة بالامور التاريخية مثل ما للاشرار والشياطين ايضًا بل بالايمان الذي يومن لا بالقصة فقط ولكن بمفعول القصة ايضًا اي يومن اننا بواسطة المسيح ننال النعمة ويرى ان لنا بالمسيح ابًا رحومًا ويعرف الله هذا ويدعوهُ وبالاجمال ليس هو بلا اله نظير الوثنيين

قال بابر فهذه هي خلاصة التعليم الذي يُعترَف بهِ في كنائسنا ومن ذلك يتضح ان هذا التعليم لا يضادُّ في شيء نصوص الكتب المقدسة ولا الكنيسة العامة حتى ولا الكنيسة الرومانية كما وصفها العلماء وبناء على ذلك يكون رفضنا كارانقة اهانة تضاد الوحدة والمحبة

والى هنا نهاية الجزء الاول من الاقرار الذي قُصِد بهِ ايضاح التعليم الانجيلي وكان الكاتب يقرا بصوت واضح بهذا المقدار حتى ان الجمهور الذي لم يمكنهُ الدخول الى المعبد ازدحم في الدار وكل جوار القصر الاسقفي لم يضيّع ولا كلمة واحدة وهذه القراءة احدثت اعجب المفاعيل على الامراء الذين في المعبد وكان يوناس يلاحظ كل تغيير في وجوههم وراى عليها لوائح الرغبة والتحير والقبول ايضًا متوالية وكتب لوثيروس الى المنتخب يقول ان الاعداء يتوهمون انهم قد عملوا امرًا عجيبًا بواسطة ابطالهم تبشير الانجيل وهولاء المساكين لا يرون انهُ بواسطة قراءة الاقرار امام المجمع قد صار وعظ اكثر من مواعظ عشرة من العلماء فيا لها من غباوة عظيمة وحادثة غريبة فان المعلم اغريكولا وقسوسًا آخرين قد

أسكتوا ولكن يظهر في مكانهم منتخب سكسونيا وبقية الامراء والسادة الذين يعظون امام جلالهِ الامبراطوري وامام اعضاء المملكة قاطبةً بجرية لوجوههم وقدام انوفهم نعم ان المسيح هو في المجمع وهو لا يبقى صامتاً وكلمتهُ لا توثق فانهم ينهونها عن المنبر ويلتزمون بان يسمعوها في البلاط فان القسوس المساكين لا يقدرون ان يبشروا بها واما الامراء العظام فانهم ينادون بها والعبيد يمنعون من الاصغاء لها واما مواليهم فانهم يضطرون الى استماعها فانهم لا يريدون ان يتعرضوا بالمجمع بجملتهِ وهم الآن يقهرون ويلتزمون ان يسمعوا في يوم واحد اكثر مما يسمع غالباً في سنة تامة فمتى سكت الجميع فالحجارة نفسها تصرخ كما قال سيدنا يسوع المسيح

وبقي الجزء من الاقرار الذي بيَّن الغلطات وانواع الفساد فاستتلى باير واوضح واظهر تعليم الشكلين وضادَّ بتولية الخوارنة الاضطرارية وذهب الى ان عشية الرب قد تحولت الى سوق يُسأَل فيها عن قضية البيع والشراء وان الاصلاح قد اعادها الى طهارتها الاصلية وانها تعمل في الكنائس الانجيلية بورعٍ وخشوع جديد على التمام وقال ان السر لا يُعطى للذين لا يعترفون اولاً بخطاياهم واستشهد قول فم الذهب اعترف لله الرب ديانك الحقيقي واخبر عن خطيتك لا باللسان بل بالضمير وفي قلبك

ثم اتى باير الى السنن المغلقة بتمييز الاطعمة وغيرهِ من العوائد الرومانية فقال احفظ هذا العيد وصلِّ هذه الصلاة وصم هذا الصوم والبس على هذا المنوال ووصايا اخرى كثيرة كهذه اخترعها الناس هي ما يلقب الآن بالعيشة الروحية المسيحية والحال ان الاعمال الصالحة المامور بها من الله كاعمال اب عائلة يتعب لكي يعول زوجتهُ وبنيهِ وبناتهِ او اعمال امٍّ تلد بنين وتهتم بهم او اعمال امير او حاكم يسوس رعاياهُ تحسب كانها امور عالمية ناقصة واما النذور الرهبانية بنوع خصوصي قال فيها بما ان البابا يقدر ان يُعفى منها فيجب ابطالها مطلقاً

والقضية الاخيرة من الاقرار تعلقت بسلطان الاساقفة وكان حاضراً امراء

مقتدرون متوّجون بالتاج الاسقفي فان روساء اساقفة منتز وكولون وسالزبرج وبرمان مع اساقفة ببرج وارزبرج وانجسندت وورمس وسپيرس وستراسبرج وقسطنسيا وكوبري وباسو وليجي وترنت وبريكسن وليبوس واراتزبرج كانوا يتفرسون بالمعترف الذلول فاخذ في عمله من دون خوف واذ ناقض بنشاط الاختلاط بين الكنيسة والحكومة الذي اتصفت بهِ القرون المتوسطة طلب انفصال الفئتين واستقلالها

قال ان كثيرين من قلة الفطنة لم يميزوا بين السلطة الاسقفية والزمنية ومن هذا التشويش نجمت حروب وفتن وانشقاقات شتى ولاجل هذا السبب ولاجل طمانينة ضمائر الناس وجدنا انفسنا مضطرّين الى ايضاح الفرق الكائن بين سلطان الكنيسة وسلطان السيف

ومن ثمّ نعلم ان سلطان المفاتيح او سلطان الاساقفة هو حسب كلام الرب ووصية الله ان يبشروا بالانجيل وان يتركوا او يمسكوا الخطايا وان يخدموا الاسرار وهذا السلطان انما يلاحظ فقط الخيرات الابدية ويمارسهُ خدام الكلمة وحدهم ولا يتعرض للاعمال السياسية واما السلطة المدنية فانها بالعكس تتعاطى كل شيء آخر غير الانجيل والحاكم انما يحمي الاجساد والاملاك الزمنية لا النفوس فانهُ يقيها من جميع الرشقات الخارجية وباستعمالهِ السيف والقصاص يلزم الناس بحفظ العدالة والسلامة والصلح

ولاجل هذا السبب يجب علينا ان نحترز من ان نمزج سلطان الكنيسة بسلطان الحكومة وسلطان الكنيسة لا يجب ان يختلس ابدًا سلطانًا اجنبيًا عنهُ لان المسيح نفسهُ يقول مملكتي ليست من هذا العالم ويقول ايضًا من جعلني عليكما قاضيًا قال بولس الرسول لاهل فيلبي (٣ : ٢٠) فان سيرتنا نحن هي في السموات ولاهل كورنثوس قال اذ اسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون (٢كو ١٠ : ٤)

وعلى هذا المنوال نميّز الحكومتين والسلطانين ونحترم الاثنين كاسمى العطايا

التي اعطاها الله في هذه الدنيا . فواجبات الاساقفة اذًا هي ان يبشروا بالانجيل ويغفروا الخطايا وان يطردوا من الكنيسة المسيحية جميع الذين يعصون على الرب ولكن من دون سلطة بشرية بل بكلام الله فقط فاذا تصرَّف الاساقفة هكذا فان الكنائس تلتزم بطاعتهم حسب قول المسيح من سمع منكم فقد سمع مني

ولكن اذا كان الاساقفة يعلمون تعليمًا ضد الانجيل فان الكنائس حينئذٍ لها امر من قِبَل الله ينهاها عن الطاعة (مت ٧ : ١٥ غل ١ : ٨ و٢ كو ١٣ : ٨ و١٠) ومار اوغسطينوس نفسهُ كتب في رسالتهِ ضد برتيليانوس يقول لا يجب ان نطيع الاساقفة الكاثوليكيين اذا ضلوا وعلَّموا شيئًا مضادًّا لكتب الله القانونية

وبعد ان تكلم باير قليلاً عن سنن وتقليدات الكنيسة انتهى الى خاتمة الاقرار . قال اننا لم نتكلم من قبل بغضة ولا لكي نهين احدًا الاَّ اننا قد اوضحنا التعاليم التي نعتقد بانها جوهرية لكي يُفهَم اننا لا نسلم بتعليم ولا طقس مضاد للكتب المقدسة ولا لعادة الكنيسة العامة . ثم كفَّ باير عن القراءة بعد ان تكلم ساعتين ولم يتغير قط سكوت المحفل ولا اصغاؤهُ برغبة

ان الاقرار في اوجسبرج سوف يبقى دائمًا بين تُحف العقل البشري المستنير بروح الله . كان لغتهُ ونفسهُ طبيعيين بالتمام لانهُ نتيجة درس الطبيعة الانسانية درسًا عميقًا فان اولئك الامراء المحاربين اصحاب السياسة الذين كانوا جالسين في القصر الاسقفي مع انهم جهلوا الالهيات بالتمام فهموا بسهولة التعليم الانجيلي لانهُ لم يوضح لهم بعبارات مدرسية بل بعبارات دارجة وببساطة ووضوح جعلت سوء مفهوميتها امرًا مستحيلاً .

وكذلك قوة الاحتجاج بمقدار ما كانت غامضة بمقدار ذلك كانت اشد لان ملانكثون (لانهُ هو الذي تكلم بفم باير) تارةً اكتفى باقتباس آية واحدة من الكتاب المقدس او من الآباء لاجل اثبات التعليم الذي كان في صددهِ واخرى برهن تعليمهُ اقوى برهانًا لمجرد التصريح بهِ وهو دفعة واحدة بيَّن العواقب الردية التي تصدر من رفض الايمان الذي اقرَّ بهِ او بكلمة واحدة اوضح لزومهُ لنجاح الكنيسة

حتى انهُ عند الاصغاء اليهِ التزم اشد الاعداء بان يعترفوا لانفسهم بان لهذه الطائفة الجديدة ما يحامى بهِ عنها . وهذا الاعتذار جمع مع قوة الاحتجاج فطنة غريبة فان ملانكثون اذ انكر بثبات الضلالات المنسوبة الى حزبهِ لم يظهر الشعور بظلم تلك التهم غير الصحيحة وان بيَّن اضاليل الباباوية لم يقل صريحًا انها اضاليل اخصامهِ وهكذا احتذر بكل اهتمام من كل ما يهيجهم فاظهر نفسهُ بذلك حكيمًا كالحية ووديعًا كالحمامة

والاغرب من الجميع هو الامانة التي بها يبني الاقرار التعاليم الاكثر ضرورة للخلاص فمن عادة رومية ان تتهم المصلحين بكونهم مبتدعي التعاليم البروتستانتية ولكن هذا الابتداع لا نجدهُ في القرن السادس عشر بل انما نتتبعهُ بلمعان نورهِ الى ايام وكلف واوغسطينوس ومن ثمَّ الى القرن الرسولي حينما اشرقت بكل سطوع ايام الحق الانجيلي المبتدعة الاَّ انهُ امر صادق (واذا كان ذلك ما تعنيهِ رومية نصادق على قولها) انهُ منذ ايام بولس لم يظهر قط التعليم المسيحي بجمال وعمق وحياة هذا مقدارها كما ظهر في ايام الاصلاح

وبين تلك التعاليم التعليم عن الكنيسة الذي بقي كل ذلك الزمان مشنعًا ظهر في ذلك الوقت بكل نقاوتهِ الاصلية فما اعجب الحكمة التي اظهرها معترفو اوجسبرج في مقاومتهم الاختلاط الحاصل بين الديانة والزمنيات الذي منذ ايام قسطنطين المحزنة حوَّل مملكة الله الى نظام ارضي جسدي ولا شك ان ما يطعن فيهِ الاقرار باعظم نشاط هو تداخل الكنيسة في المصالح المدنية ولكن هل نظن انهُ ارتضى بتداخل الحكومة في المصالح الكنائسية وشر القرون المتوسطة هو استعبادها الحكومة للكنيسة فنهض معترفو اوجسبرج كرجل واحد لمقاتلة ذلك وشر الثلاثة القرون التابعة ذلك الوقت هو اخضاعها الكنيسة للحكومة ولا شك ان لوثيروس وملانكثون كانا قد اوجدا ضد هذا التشويش صواعق ليست باقل قوة وما حارباهُ باطلاق المعنى هو امتزاج الجماعتين وما طلباهُ هو استقلالها ولست اقول انفصالها لان انفصال الكنيسة والحكومة امر غير معروف

بالكلية عند المصلحين ومعترفو اوجسبرج لم يريدوا ان الاشياء العلوية تتسلط على الاشياء السفلية وبالاولى لم يريدوا ان الاشياء الارضية تقهر الاشياء السموية

ويوجد توجيه خصوصي لهذا المبدا يبينهُ الاقرار اي طالبةً بان الاساقفة يونبون الذين يسلكون في الشر ولكن من دون سلطة بشرية بل بكلمة الله فقط ومن ثم يرفض استعمال السيف في تاديب الارانقة. ونرى ان هذا المبدا هو مبدا اصلي وجوهري واساسي للاصلاح كما ان التعليم الذي يضادهُ هو مبدا اصلي وجوهري واساسي للباباوية واذا وجدنا بين البروتستانت كتابةً او مثالاً يضاد ذلك فهو امر منفرد لا يمكنهُ ان يبطل مبادي الاصلاح الفعالة وهو من جملة الشاذات التي تفيد دائمًا اثبات القاعدة

واخيرًا الاقرار في اوجسبرج لا يختلس حقوق كلمة الله بل يرغب في ان يكون خادمها او قرينها فهو لا يؤسّس الايمان ولا يحددهُ بل انما يقرّ بهِ فقط قائلاً ان كنائسنا تعلّم كذا وكذا ولوثيروس انما اعتبرهُ كعظة وعظها الامراء والملوك ولو طلب اكثر من ذلك كما ادُّعي بعد ذلك لكان هذا الامر نفسهُ هو علة لابطالهِ. فهل تبع الاقرار في جميع الاشياء طريق الحق الصارم. ربما يشك بذلك. فانهُ يدَّعي بعدم الانفصال عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية حتى وعن الكنيسة الرومانية التي يراد بها لا محالة الكنيسة الرومانية القديمة ويرفض الخصوصيات الرومانية التي استعبدت ضمائر الناس مدة نحو ثمانية قرون والباين ان الاقرار غلب عليهِ خوف خرافي كلما حاد عن الآراء التي تمسك بها آباء الكنيسة او قطع قيود الرياسة او تصرف في ما يتعلق برومية من دون اعتذار عنها فهذا اقلما يكون هو ما اقرَّ بهِ ملانكثون مؤلف الاقرار. قال اننا لا نقدّم تعليمًا غير مبني على الانجيل او على تعليم الكنيسة الكاثوليكية ونحن مستعدون لان نسلم بكل ما هو ضروري للرتبة الاسقفية وعلى شرط ان الاساقفة لا يرفضون الانجيل نحفظ جميع الطقوس التي نراها لا طائل تحتها وبالاجمال لا نرفض حملاً نقدر على حملهِ من دون خطية وكثيرون يزعمون ان استقلالاً اكثر من ذلك كان اليق

في تلك القضية وانهُ كان الاوفق غض النظر عن القرون التي تبعت ازمان الرسل وان يستعمل بجربة المبدا العظيم الذي ينادي بهِ الاصلاح وهوانهُ لا يوجد لقضايا الايمان اساس آخر غير كلام الله

وقد مُدِح اعتدال ملانكثون وهو في الحقيقة اذ بيَّن اضاليل رومية بقي صامتًا من جهة ما هو اشر فيها اي اصلها المعيب وعواقبها المشككة واكتفى بان يبين مضاداتها للكتب المقدسة وفعل اكثر من ذلك فانهُ سكت عن السلطة الالهية التي ادَّعى بها البابا وعن عدد الاسرار وعن قضايا اخرى عديدة وكان عملهُ العظيم ان يبرر الكنيسة المتجددة ولا ان يطعن في الفاسدة فصرخ السلام السلام ولكن عوضًا عن هذا الاحتراز الكلي لو نقدم الاصلاح بشجاعة وكشف كلام الله كشفًا تامًا واستغاث بالحاسيات الاصلاحية التي كانت حينئذٍ منتشرة في قلوب الناس كان اتخذ مكانًا اقوى واشرف وحصل على غلبات اوسع

وشك بعضهم في رغبة كرلوس الخامس التي اظهرها في الاصغاء الى الاقرار فحسب البعض اجتهد في ان يفهم تلك اللغة الغريبة وذهب آخرون الى انهُ استغرق في النوم والتوفيق بين هاتين الشهادتين المتضادتين امرٌ سهل

وعند نهاية القراءة تقدم الكاتب بروك والنسختان بيدهِ نحو كاتب الامبراطور واعطاهُ اياها وكرلوس الذي كان حينئذٍ منتبهًا انتباهًا تامًا اخذ بنفسهِ الاقرارين وناول النسخة الجرمانية التي حسبت رسمية الى منتخب منتز وابقى النسخة اللاتينية لنفسهِ ثم اجاب مخاطبًا منتخب سكسونيا ورفاقهُ انهُ قد سمع برفق اقرارهم ولكن بما ان هذه القضية كلية الاهتمام طلب مهلة للتبصر فيها

والفرح الذي ملأ قلوب البروتستانت لمع في اعينهم فان الله كان معهم وهم راوا ان العمل العجيب الذي حدث يلزمهم بالاقرار بالحق بثبات لا يتزعزع وكتب لوثيروس انني موعب فرحًا لاني قد عشت الى هذه الساعة التي فيها ارتفع المسيح جهارًا بواسطة مثل هولاء المعترفين العظماء وبحضر ذلك المحفل المجيد. والكنيسة الانجيلية بجملتها اذ تحركت وتجددت بهذا الاقرار الجهاري الذي

اقرّ بهِ وكلاؤها اتحدت على اقوى اسلوب براسها الالهي وتعمدت بمعمودية جديدة وقالت (وهذه كلمات احد المعاصرين) انهُ منذ العصر الرسولي لم يكن قط عمل اعظم ولا اقرار اجل من هذا

ولما نزل الامبراطور عن عرشهِ تقدم الى الامراء البروتستانت وطلب منهم بصوت منخفض ان لا يشهروا الاقرار فاجابوهُ الى طلبهِ وانصرفوا جميعًا

الفصل الثامن

فعل الاقرار بالباباويين . طلب لوثيروس الحرية الدينية . خيبة الحيل الباباوية . المشاجرات الشديدة . خطر اصحاب الاقرار . سقطة ملانكثون

ان الرومانيين لم ينتظروا شيئًا مثل ما جرى فانهم عوضًا عن جدال مبغوض سمعوا اقرارًا موثرًا بيسوع المسيح ومن ثمَّ العقول الاشد عداوة رمت سلاحها فقالوا من كل جانب احب الينا خسارة باهظة من ان نكون غائبين وقت هذه القراءة وكان المفعول سريعًا بهذا المقدار حتى ظُن من الفوران اصحاب الاقرار قد فازوا بلا شبهة بمرغوبهم والاساقفة انفسهم امروا بالسكوت على سفسطات وصراخ اتباع فابر وآك قال اسقف اوجسبرج ان كل ما قالهُ اللوثرانيون صادق لا يمكننا انكارهُ وقال دوك بافاريا لآك بصوت التوبيخ انك ايها العالم قد قررت عن هذا التعليم وهذا الامر تقريرًا مختلفًا جدًّا عما هو وهكذا قال الجمهور ايضًا ومن ثم وقع السفسطيون كما كانوا يدعونهم في حيرة وارتباك فقال دوك بافاريا لهم هل تقدرون ان تنقضوا ببراهين صحيحة الاقرار المقدم من المنتخب واصحابهِ فاجابوا اننا لا نقدر على ذلك بواسطة كتابات الرسل والانبياء ولكن بواسطة كتابات الآباء والمجامع فاجاب الدوك من فورهِ فهمت فهمت ان اللوثرانيين هم حسب زعمك داخل الكتب المقدسة واما نحن فخارجها

ورئيس الاسافقة هرمان منتخب كولون والامير بلاتين فردريك ايريك دوك برنسويك لونيبرج وهنري دوك مكلنبرج وامراء پوميرانيا رجعوا للحق وطلب هرمان بعد قليل ان ينشرهُ في ولايتهِ

والتاثير الذي احدثهُ الاقرار في البلدان الاخر ربما كان اعظم فان كرلوس ارسل نسخًا منهُ الى جميع المجالس فتُرجم الى الفرنساوية والايطالية والى الاسبانيولية ايضًا والبرتوغالية وانتشر في اوروبا قاطبةً وهكذا اكمل ما قد قالهُ لوثيروس ان اقرارنا سوف يدخل كل بلاد وينتشر صوتهُ في الارض باسرها . فابطل التعصبات التي كانت ضد الاصلاح وصحح افكار اوروبا عنهُ واعد ابعد البلدان لقبول زرع الانجيل

وحينئذٍ ابتدا صوت لوثيروس يُسمع ايضًا فانهُ راى انها كانت ساعة فصل وانهُ يجب عليهِ حينئذٍ ان ينهض حتى تربح الحرية الدينية فطلب بجسارة هذه الحرية من امراء المجمع الكاثوليكيين الرومانيين واجتهد في الوقت نفسهِ في حمل اصدقائهِ على ترك اوجسبرج فان يسوع المسيح قد اعترف بهِ بجسارة وعوضًا عن تلك المحاكات والابحاث العتيدة ان نقترن بهذا العمل الشجاع اراد لوثيروس الانفصال التام حتى ولو التزم ان يختم بدمهِ الشهادة المؤداة للانجيل وعندهُ ان الحريق هو ختام مجيد لهذا العمل المجيد فكتب الى اصدقائهِ يقول اني احلكم من هذا المجمع باسم الرب . فالآن الوطن الوطن فارجعوا الى اوطانكم واقول ايضًا ارجعوا فيا ليتني اكون الضحية التي تتقدم لهذا المجمع الجديد كما كان يوحنا هس في مجمع قسطنسيا . الآن لوثيروس لم ينتظر خاتمة مجيدة كهذهِ بل شبَّه المجمع بمرسح وظن ان كل شيء يضحى لاجل سلامة الحكومة وتلقى الآراء جانبًا وهذا العمل الذي يُحسب في عيني العالم حتى في ايامنا من اعلى طبقات الحكمة كان في عيني لوثيروس من اعلى طبقات الحماقة

وخاف على الخصوص من تداخل كرلوس وكان حينئذٍ تجريد الكنيسة من كل سلطة مدنية وتجريد الحكومة من كل سطوة كنائسية من جملة الافكار

المسحوذة على عقل المصلح العظيم فكتب الى ملانكثون انك تراهم يقاومون دعوانا بنفس الاحتجاج التي قاوموها بهِ في ورمس اعني دائمًا وابدًا حكم الامبراطور وهكذا الشيطان يدق دائمًا على وتر واحد بعينهِ وتلك القوة الضعيفة التي للسلطة المدنية هي القوة الوحيدة التي يلاقيها هذا الروح الخبيث لمضادة يسوع المسيح. ولكن لوثيروس تشجع وبجسارة رفع راسهُ فقال ان المسيح آتٍ هو آتٍ وجالس عن يمين الله نفسهُ لا عن يمين الامبراطور والاَّ لكنا من زمان مديد قد هلكنا فلا نخاف شيئًا فان المسيح هو ملك الملوك ورب الارباب فاذا خسر هذا اللقب في اوجسبرج فلا بد لهُ من خسارتهِ في كل الارض وكل السموات

وهكذا صارت ترنيمة الغلبة التي رتلها معترفو اوجسبرج اول الحركة التي تبعت هذا العمل الجسور الذي لم يجرِ مثالهُ في تواريخ الكنيسة فالبعض من اخصامهم اشتركوا اولاً في نصرتهم والباقون سكتوا ولكن لم يمضِ الاَّ قليل حتى حصلت مقاومة قوية

وقام كرلوس في الغد في حالة الكدر وتعبًا من قلة النوم واول انصارهِ الذي ظهر في منزلهِ هو الامير البلاتيني الذي كان تعبًا ومرتبكًا نظير مولاهُ فقال لكرلوس لا بد لنا من التسليم ببعض الامور واني اذكر جلالك ان الامبراطور مكسيمليان اراد ان يسلم بالشكلين في الافخارستيا وزواج الخوارنة والحرية في امر الاصوام فقبض كرلوس الخامس هذه القضية برغبة كانها واسطة السلامة الاَّ ان غرانفيل وكمباجيو وصلا سريعًا واقنعاهُ بتركها

ورومية خشي عليها الى حين من جرى الضربة التي ضُربت بها ولكنها استفاقت ايضًا بنشاط فصرخ اسقف وارتزبرج اني ابقى مع الام (يريد بها كنيسة رومية) الام الام يا مولاي فاجاب برنتز بحذاقة اترجاك ان لا تنسى الاب والابن لاجل الام فاجاب اسقف سالزبرج واحدًا من اصدقائهِ حسنًا اني اسلم بذلك فاني انا ايضًا ارغب في الشركة بالشكلين وزواج الاكليروس واصلاح القداس والحرية في ما يتعلق بالطعام والتقليدات الاخر ولكن ما لا اقدر على احتمالهِ ان

راهبًا نعم راهبًا مسكينًا يحاول اصلاحنا جميعًا. فقال اسقف آخر لا مانع عندي لممارسة الخدمة الالهية في كل مكان كما هي في وغمبرج ولكن لا يجب ان نسلم ابدًا بان هذا التعليم الجديد يخرج من مثل تلك الزاوية . ولما الح ملانكثون على رئيس اساقفة سالزبرج بوجوب اصلاح الاكليروس قال الاخير من فورهِ وكيف تريد ان تصلحنا . اننا نحن الخوارنة لم يكن قط منا نفع . وهذا من اصح الاقرارات التي قدر الاصلاح على تحصيلهِ من الخوارنة فكنت كل يوم ترى رهبانًا وعلماء مهوسين وملاوين سفسطات ياتون الى اوجسبرج ويجتهدون في اضرام بغضة الامبراطور والامراء . قال ملانكثون في غد الاقرار سابقًا كان لنا اصدقاء ولا صديق لنا بعد فاننا هنا وحدنا متروكون من الجميع وندافع اخطارًا لا قياس لها

اما كرلوس فتضايق من هذين الحزبين المتضادين فتظاهر بقلة الاكتراث ولكنهُ اجتهد في تلك الفترة في فحص القضية فحصًا تامًّا بدون ان يظهر ذلك . فقال لكاتبهِ اذ طلب منهُ ترجمة الاقرار الى الفرنساوي لاتنقص ولا كلمة فقال البروتستانت بعضهم لبعض ظانين ان كرلوس قد رُبح انهُ لا يدع شيئًا يظهر لانهُ اذا عرف فانهُ يخسر املاكهُ الاسبانيولية فليحفظ كل شيء تحت السر المدقق ولكن ارباب ديوان الامبراطور الذين راوا هذه الامال الفارغة ابتسموا وهزوا رؤوسهم فقال احد الكتاب ليوناس وملانكثون اذا كان عندكم فلوس يهون عليكم ان تشتروا من الايطاليين اية ديانة اردتموها ولكن اذا كان كيسكم فارغًا تخسرون الدعوى ثم قال باكثر رزانة انهُ مستحيل ان الامبراطور الذي يحدق بهِ كما ترون الاساقفة والكردينالون ان يقبل ديانة اخرى الَّا ديانة البابا . واتضح ذلك سريعًا فانهُ في اليوم الذي بعد الاقرار (يوم الاحد ٢٦ حزيران) قبل الغذاء كان جميع وكلاء المدن مجتمعين في خدر الامبراطور واذ رغب كرلوس في ان يرجع اعيان المملكة الى الاتحاد ابتدا باضعفهم فقال الامير پلاتين ان البعض من المدن لم تنقد الى مجمع سپيِرْس الاخير فالامبراطور يطلب منهم الخضوع لهُ

اما وكلاء ستراسبرج ونورمبرج وقسطنسيا واولم ودوبلنجن وهيلبرون ومامنجن ولند وكمبتن ووندسهيم واسني وويسمبرج الذين طُلب منهم ان يرفضوا الاعتراض المشهور فظنوا الوقت المختار لذلك غريبًا فطلبوا فرصة للتبصر

فكانوا في حالة مرتبكة وألفي الانشقاق بين المدن وكانت الحيل تشتغل كل يوم لاجل زيادته والاختلاف لم يكن فقط بين المدن البابا وية والانجيلية بل ايضًا بين المدن الزوينكلية واللوثرانية حتى بين اللوثرانية كانت المدن التي لم تنقد الى اقرار اوجسبرج تظهر غيظًا على وكلاء روتلنجن ونورمبرج ومن ثم كان عمل كرلوس هذا بكل حذاقة لانهُ بني على المبدا القديم وهو اقسم تملك . الأّ ان الغيرة الوقّادة على الايمان غلبت جميع تلك الحيل وفي اليوم الثاني في ٢٧ حزيران قدم وكلاء المدن جوابًا للامبراطور يجزمون فيهِ انهم لا يقدرون ان يطيعوا مجمع سپيِرْس من دون ان يخالفوا الله ويوقعوا خلاص نفوسهم في خطر

اما كرلوس الذي رغب في ان يسلك طريقًا متوسطًا لاجل حسن السياسة لالاجل العدالة فتردد بين اراء كثيرة متضادة بهذا المقدار ولكنهُ رغب في ان يختبر وساطتهُ فدعا الاكابر الذين من حزب رومية يوم الاحد في ٢٦ حزيران بعد مفاوضتهِ مع وكلاء المدن بزمان قليل

فحضر اليهِ جميع الامراء حتى قاصد البابا واشهر لاهوتيي رومية حضروا هذا الديوان والبروتستانت اشمازوا من ذلك والسوال المقدم من كرلوس الخامس الى المحفل المحدق بهِ هو كيف تجاوبون على الاقرار

فقدموا ثلاثة اراء مختلفة فقال رجال البابا وية فلنحذر من الجدال في براهين اخصامنا ولنكتفِ باجراء حكم ورمس الخارج ضد اللوثرانيين وبالزامهم بقوة السلاح وقال رجال المملكة فلنضع الاقرار تحت فحص قضاة خالين الغرض ونرجع الراي الاخير للامبراطور . اليست قراءة الاقرار نفسها استغاثة من قبل البروتستانت بالسلطة الامبراطورية . وآخرون اي رجال التقليدات والتعاليم الكنائسية اشاروا بتعيين بعض العلماء لاجل كتابة ردٍّ يقرا على البروتستانت

ويتثبت من قبل كرلوس

فاشتدَّ الجدال جدًّا فسلك الودعاء والحمقى والحكماء والمترفضون الطريق الجازم في ذلك المحفل وجرجس دوك سكسونيا ويواكيم دوك برندنبرج كانا الاكثر فظاظة وتجاوزا في هذا المعنى الامراء الكنائسيين انفسهم فكتب ملانكثون الى لوثيروس يقول ان صاحب غلاظة تعرفهُ جيدًا يدفعهم من وراء والبعض من اللاهوتيين المرائين يحملون المصباح ويقودون الجمهور . والمراد بصاحب الغلاظة الدوك جرجس لامحالة حتى ان امراء باقاريا الذين كان الاقرار قد اوقعهم في التردد في اول الامر تجمعوا حالاً حول روَساء الحزب الروماني. واما منتخب منتز واسقف اوجسبرج ودوك برنسويك فاظهروا مقاومة قليلة للدعوى الانجيلية فقال البرت انني لااقدر اصلاًان اشير على جلالهِ ان يستعمل الاغتصاب فانهُ اذا كان جلالهُ يغصب ضمائرهم ثم يترك بعد ذلك المملكة فاول الضحايا التي تضحى تكون من الخوارنة ومن يعلم اذا كان الكفار لايهجمون علينا بغتةً ونحن في وسط هذه الاختلافات . ولكن هذه الحكمة التي اظهرها رئيس الاساقفة هذا وكان لهُ فيها صالح لم تصادف عاضدين كثيرين ورجال القتال دخلوا حالاً في البحث باصواتهم الخشنة فقال فيلكس امير وارتمبرج اذا قامت حرب على اللوثرانيين فاني اقدم سيفي مجانًا واقسم بان لا اردهُ الى غمدهِ حتى يقلب حصن لوثيروس . وهذا الامير توفي بعد ايام قليلة بسبب سكرهِ . وحينئذٍ توسط ايضًا اصحاب الاعتدال فقال اسقف اوجسبرج ان اللوثرانيين لايقاومون ولاقضية من قضايا الايمان فلنتفق معهم ولاجل نوال السلامة فلنسلم لهم بتناول السر تحت الشكلين وزواج الاكليروس واني لمستعد لان اتنازل معهم في اكثر من ذلك اذا لزم . وحينئذٍ صار صراخ قوي فقالوا انهُ لوثراني وسوف ترون انهُ مستعد استعدادًا تامًّا لترك القداسات الخصوصية ايضًا فقال البعض بتهكم اما القداسات فانهُ لا يجب ان نفتكر ايضًا بابطالها ورومية لا تتركها ابدًا لانها هي التي تعول كردينالها وارباب دواوينها

بيدخهم ومطابخهم الحافلة بالاطعمة . ورئيس اساقفة سلزبرج ومنتخب برندنبرج اجابا بغلاظة عظيمة على الراي المقدم من اسقف اوجسبرج فقالا بحرارة ان اللوثرانيين قد وضعوا امامنا اقرارهم مكتوبًا بحبر اسود على ورق ابيض فلو كنت امبراطورًا كنت اجاوبهم بحبر احمر فاجاب حالاً رئيس اساقفة اوجسبرج فاحذروا اذًا ايها السادات من ان الاحرف الحمراء لا تطير على وجوهكم فالتزم منتخب منتز ان يتعرض ويسكن المتكلمين

واذ اراد الامبراطور ان يمارس وظيفة مصالح اراد ان الحزب الروماني يضع بيديهِ على الاقل شكوى على الاصلاح الآن كل شيء قد تغير فان الاكثرية اذ كانت كل يوم اشد بعد مجمع سَپِيْرْس لم تعد تكن من جانب كرلوس واذ عولوا على قوتهم لم يرضوا ان يلقبوا حزبًا ولا بالامبراطور قاضيًا فصرخوا قائلين فاذا نقول عن الاختلاف بين اعضاء المملكة فانهُ لا يوجد سوى حزب واحد شرعي والبحث ليس هو في الحكم بين رايين حقوقهما متساوية بل في سحق العصاة ومساعدة الذين قد بقوا امناء لنظام المملكة

وهذا الكلام المتكبر انار كرلوس فوجد انهم قد سبقوهُ وانهُ يجب عليهِ ان يترك وظيفة الوسيط ويكون فقط مجريًا اوامر الاكثرية وتلك الاكثرية هي التي كانت صاحب الامر من ثم فصاعدًا في اوجسبرج فمنعوا المشيرين الامبراطوريين الذين تمسكوا باراء اكثر عدالة عن الحضور ورئيس اساقفة منتز انقطع الى زمان عن الحضور في المجمع

فامرت الاكثرية انهُ يجب ان اللاهوتيين الرومانيين يكتبون حالاً ردًّا على التعليم الانجيلي فلو اختاروا لاجل هذا المقصد اناسًا معتدلين نظير اسقف اوجسبرج لبقي للاصلاح باب للنجاح بمبادي الديانة المسيحية العظيمة ولكنهم انما فوضوا هذا الامر الى اعداء الاصلاح ولانصار رومية واريستوطاليس والقدماء الذين كانوا غضبانين بسبب انكسارات كثيرة بهذا المقدار

وكان هولاء كثيرين في اوجسبرج ولم يكن لهم اعتبار عظيم فقال يوناس ان

الامراء قد حضروا بعلمائهم معهم والبعض منهم بجهالهم وحمقهم ايضًا فان الرئيس فابر والعالم آك كانا قائدي الجيش ووراءهم اجواق من الرهبان واكثرهم رهبان دومينيكوس الذين هم آلات التفتيش ومتعطشون لكي يعوضوا على انفسهم عن العار الذي احتملوهُ كل تلك المدة الطويلة وكان هناك رئيس الدومينيكيين بولس هوغو ونائبهم يوحنا بوركرد واحد مدبريهم كونرد كولين الذي كتب ضد زواج لوثيروس مع جماعة من الكرثوسيين والاوغسطينيين والفرنسيسيين مع وكلاء عدة اساقفة فهولاء هم القوم الذين فُوّض اليهم امر الرد على ملانكثون وعددهم عشرون نفرًا

اذا عُرِف العامل يُعرَف العمل سلفًا وكل واحد عرف ان المسئلة لم تكن الرد على الاقرار بل الحكم عليهِ باللعن وكمباجيو الذي لاشك قدم قائمة اسماء هولاء الرجال لكرلوس علم جيدًا ان هولاء العلماء لم يكونوا كفوًا لمقايسة انفسهم مع ملانكثون الّا ان اسماءهم كانت سورًا للباباوية واعلنت للعالم بالسرعة والوضوح ما هو قصد المجمع وهذا هو الامر الجوهري فان رومية لا تريد ان تترك لعالم المسيحيين حتى ولا مجرد الرجاء. وكان من المسائل هل للمجمع او للامبراطور آلته حق الحكم في هذه المادة الدينية المحضة فقدم كرلوس هذا السوال للانجيليين والرومانيين

قال لوثيروس الذي طلب المنتخب رايهُ في هذا الامر ان سعادتك يمكنك ان تجاوب بثقة تامة نعم اذا كان الامبراطور يريد فليكن هو القاضي فاني احتمل كل شيء من جانبهِ ولكن لا يجب ان يحكم بشيء ضد كلام الله فان سعادتك لا تقدر ان تضع الامبراطور فوق الله نفسهِ اما تقول الوصية الاولى لا تتخذ لك آلهة اخرى امامي

وجواب الحزب الباباوي كان جازمًا كهذا ولكن بعكس المعنى . قالوا اننا نظن ان جلالتهُ بالاتفاق مع المنتخبين والامراء واعيان المملكة لهُ حق التداخل في هذا الامر نظير امبراطور وحافظ ووكيل ومحامٍ اعلى روماني للكنيسة ولايماننا

الاقدس . وهكذا في الايام الاولى من الاصلاح الكنيسة الانجيلية وضعت نفسها بحرية تحت عرش يسوع المسيح والكنيسة الرومانية تحت صولجان الملوك وكثيرًا ما اخطا المتنوّرون حتى بين البروتستانت من جهة هذا الفرق بين البروتستانت والباباويين

ان فلسفة اريستوطاليس ورياسة رومية شكرًا لهذا الاتفاق والسلطة المدنية كانتا اخيرًا عتيدتين ان تشاهدا يوم غلبتها المنتظرة منذ زمان مديد فطالما تُرِك الفلاسفة لقوة اقيستهم وسوء تصرفهم انكسروا ولما مدّ كرلوس الخامس والمجمع ايديهما اليهم ختم وزير المملكة على احتجاجات فابر واك وويمبينا بخواتم المملكة الكبيرة فمن استطاع مقاومتها والضلال الروماني لم تكن له قط قوة الاّ باتحاده مع الساعد الزمني وغلباته في العالم القديم والجديد هي ناتجة حتى في ايامنا من اعضاد الحكومة له

وهذه الاشياء لم تغفل عنها عينا لوثيروس الحادتان فانهُ راى حالاً ضعف احتجاجات علماء البابا وقوة ساعد كرلوس فكتب الى اصدقائهِ في اوجسبرج انكم تتوقعون جواب اخصامكم فانهُ قد كُتب وهو هذا الآباء الآباء الآباء الكنيسة الكنيسة الكنيسة العادة العادة واما الكتب المقدسة فلا شيء والامبراطور مستندًا على شهادة هولاء القضاة يحكم ضدكم وحينئذٍ تسمعون من كل جانب الافتخارات تصعد الى السموات وتهديدات تحدر الى جهنم

فهكذا تغيرت حالة الاصلاح فان كرلوس التزم ان يقر بضعفهِ ولكي يمنع ظهور ذلك تحزب تحزبًا جازمًا مع اعداء لوثيروس وعدم محاباة الامبراطور توارى وتحول الحكم على الانجيل فلم يبقَ له مخلص غير الله . وفي اول الامر سلم كثيرون لقطع الرجاء وعلى الخصوص ملانكثون الذي كان له نظر اقرب لحيل الاخصام وكانت قد انهكتهُ الاسهار الطويلة كاد يسقط في الياس فصرخ انني لا اقدر ان ارى رجاء ايضًا بحضر هذه الشرور الشديدة الاّ انهُ استثنى حينئذٍ وقال الاّ معونة الله

اما القاصد فاشغل حالاً كل آلاتهِ وكان كرلوس قد ارسل مراراً كثيرة في طلب المنتخب والامير وبذل كل همتهِ في ازاحتهما عن الاقرار الانجيلي واذ اضطرب ملانكثون من هذه المواجهات السرية ارجع الاقرار الى اصغرهِ وترجى المنتخب ان يطلب فقط الشكلين في الافخارستيا وزواج الخوارنة فقال ان النهي عن القضية الاولى من هاتين يمنع كثيرين من المسيحيين عن الشركة والنهي عن ثانيتهما يحرم الكنيسة جميع الرعاة القادرين على بنيانها فهل يخربون الديانة ويثيرون الحرب ولا يستعملون لهذه الترتيبات الكنائسية المحضة علاجاً لا يضاد الاداب الصحيحة ولا الايمان وامراء البروتستانت طلبوا من ملانكثون ان يذهب هو نفسهُ ويعرض ذلك على القاصد

فاجابهم ملانكثون الى ذلك واخذ يعد نفسهُ بالنجاح وفي الحقيقة كان حتى بين البابا وبين اشخاص مائلين الى الاصلاح وكان قد وصل حديثاً الى اوجسبرج من ايطاليا قضايا تشبه تعاليم لوثيروس وواحد من معرّفي الامبراطور اقر بجسارة بتعليم التبرير بالايمان لاعناً اولئك الجرمانيين الحمير كما لقبهم هو نفسهُ الذين ينهقون من دون انقطاع ضد هذا الحق حتى ان واحداً من واعظي كرلوس مدح الاقرار بجملتهِ وفضلاً عن ذلك كرلوس الخامس اذ سال اكابر اسپانيا المشهورين بارثوذكسيتهم اذا كانت اراء البروتستانت مضادة لقوانين الايمان اجابوهُ اجتهد سعادتك بكل قدرتك في ابادة هذه البدعة ولكن اذا كانت مسئلة تتعلق ببعض التغييرات في السنن البشرية والعوائد الخارجية فاجتنب كل اغتصاب فصرخ ملانكثون الذي اقنع نفسهُ بان التعليم الروماني في اصلهِ مطابق للانجيل يا لهُ من جواب حسن

فوجد الاصلاح محامين حتى بين المراتب الاسمى فان مريم اخت كرلوس الخامس وارملة لويس ملك هنكاريا وصلت الى اوجسبرج بعد قراءة الاقرار بثلاثة ايام مع زوجة اخيها ملكة بوهيميا زوجة فرديننند وكانت قد درست الكتب المقدسة باجتهاد وكانت تحملها معها الى اماكن الصيد الذي قلما التذت بهِ

ووجدت فيها جوهر الاصلاح اي تعليم الخلاص المجاني فمن الاميرة الصالحة امرت واعظها ان يقرا لها مواعظ انجيلية وكانت مرارًا كثيرة تجتهد بحكمة في ان ترفق قلب اخيها كرلوس على جماعة البروتستانت

واذ تشجع ملانكثون بواسطة هذه الامور وخاف ايضًا بسبب التهديدات بالحرب التي لم يكف الاخصام عن التلفظ بها ظن انهُ يجب عليهِ ان يشتري السلامة باي ثمن كان وبالتالي عزم على ان يتنازل في قضاياهُ بقدر الامكان ومن ثم طلب مواجهة القاصد وذلك بمكتوب لا وجه للشك بصحتهِ فانهُ في وقت الفصل ضعف قلب جندي الاصلاح ودار راسهُ وتمايل وسقط وبسقوطهِ كاد يسقط وراءهُ الامر الذي قد سقاهُ الشهداء بدمائهم

فتكلم وكيل الاصلاح مع وكيل البابابوية على هذا المنوال لا يوجد تعليم نختلف فيهِ عن كنيسة رومية فاننا نوقر سلطان الحبر الروماني العام ونحن مستعدون لطاعتهِ بشرط انهُ لا يرفضنا وانهُ من حنوهِ الذي من شانهِ ان يبديهُ نحو جميع الشعوب يصفح بلطف او يقبل بعض الاشياء الزهيدة التي لا يمكننا ان نغيرها فالآن هل ترفضون الذين يظهرون قدامكم كمتضرعين وهل تلحقونهم بالنار والسيف وا اسفاه انهُ لا يوجد شيء يجلب علينا في جرمانيا هذا المقدار من البغضة مثل الثبات غير المتزعزع الذي بهِ نتمسك بتعاليم الكنيسة الرومانية ولكن بمعونة الله سوف نبقى امناء بهِ حتى الى الموت للمسيح وللكنيسة الرومانية ولو رفضتمونا

فهكذا واضع ملانكثون نفسهُ وقد سمح الله بهذا السقوط لكي يُري الاجيال المستقبلة واضحًا كم اراد الاصلاح ان يتنازل لاجل حفظ الوحدة ولكي لا يشك احد ان الانشقاق صار من رومية وبالحقيقة لكي يتعلموا ايضًا في كل عمل مهم ما اضعف اشرف الآلات ولاجل خير الاصلاح قد وُجد حينئذٍ انسان آخر حفظ شرفهُ وفي ذلك الوقت نفسهِ كتب لوثيروس الى ملانكثون يقول انهُ لا يمكن وجود اتفاق بين المسيح وبليعال اما انا فاني لا اسلم بشعرة وقبل ان اسلم احبُّ اليَّ احتمال كل شيء حتى افظع الشرور فكلما طلب اخصامك اكثر اعطهم اقلّ

فان الله لا يساعدنا حتى يتركنا الجميع واذ خاف لوثيروس من ظهور ضعف من جهة اصدقائهِ قال ايضًا لو لم احسب حضوري تجربة لكنتم منذ زمان طويل قد رايتموني بجانبكم

ولم يكن قط في الواقع حضور لوثيروس ضروريًّا بهذا المقدار لان القاصد قبل بالمواجهة وكان ملانكثون مزمعًا ان يزور كمباجيو. واليوم الثامن من تموز هو اليوم الذي عيَّنهُ القاصد ومكتوبهُ هيج في فيلبس اقوى الآمال فقال ان الكردينال يوكد لي انهُ يقبل باستعمال الشكلين وزواج الاكايروس واني تائق الى ان ازورهُ. وتلك الزيارة ربما تعلق بها قضاء الكنيسة فلو قبل القاصد بما قدمهُ فيلبس اخيرًا كانت البلدان الانجيلية وُضِعت ثانيةً تحت سلطان الاساقفة الرومانيين وانتهى امر الاصلاح الَّا انهُ تخلص بواسطة كبرياء رومية وعماوتها واذ ظن البابا ويون بانهُ على حافة الهاوية افتكروا بان ضربة واحدة تكمل المطلوب فعزموا كما فعل لوثيروس بان لا يسلموا بمثقال ذرة الَّا ان القاصد مع امتناعهِ تظاهر باللطف والمطاوعة لسطوة خارجية فقال كان يمكنني ان اسلم ببعض الامور ولكن لا يكون من الحكمة عمل ذلك من دون قبول الامراء الجرمانيين فلا بد من اجراء اراداتهم وواحد منهم على الخصوص قد ناشد الامبراطور ان يمنعنا عن التسليم في ادنى شيء فلا اقدر ان اعطي شيئًا. والرئيس الروماني بذل كل جهدهِ بابتسام المحبة ان يربح رئيس المعلمين البروتستانت فانصرف ملانكثون موعبًا خزيًا لاجل الاشياء التي اعرضها وانخداعهِ من كمباجيو فقال لا شك ان آك وكوكلاوس كانا قبلاً عند القاصد. واما لوثيروس فكان رايهُ بخلاف فقال انني لست اركن الى احد من هولاء الايطاليين فانهم غشاشون فمتى كان الايطالي صالحًا يكون صالحًا جدًّا ولكنهُ نادر الوجود

والذين تعلق بهم هذا الامر هم في الحقيقة الايطاليون وبعد ١٢ تموز بقليل وصلت تعليمات البابا. أُرسل لهُ الاقرار مع مخصوص وفي ستة عشر يومًا وصل وردَّ الجواب واكليمنضوس لم يشأْ ان يسمع شيئًا عن الجدال ولا المجمع وامر

كرلوس ان يتقدم حالاً نحو الغرض ويرسل عسكراً الى جرمانيا ويخنق الاصلاح بالسيف الاَّ انهم استحسنوا في اوجسبرج عدم العجلة بهذا المقدار نحو العمل فالتجأُوا الى وسائط اخرى

فقال العلماء الرومانيون اسكتوا انهم في يدنا . واذ شعروا بالعار الذي وقع عليهم بسبب تعويجهم الاخبار عن الاصلاح قرفوا البروتستانت انفسهم بكونهم هم السبب فقالوا هؤُلاء هم الذين لكي يتظاهروا بكونهم يتفقون معنا الآن يخفون ارتقتهم الاَّ اننا نصطادهم باشراكهم فاذا قالوا بانهم لم يدخلوا في اقرارهم كل ما يرفضونهُ يتبرهن انهم يستخفون بنا ولكن اذا ادَّعوا بانهم قد اظهروا كل شيءٍ فانهم يلتزمون بواسطة هذا الامر نفسهِ ان يسلموا بكل ما لم يرفضوهُ ومن ثم جُمِع امراء البروتستانت معًا وسُئِلوا اذا كان الاصلاح منحصرًا في التعاليم المذكورة في الاقرار اواذا كان امر آخر باقيًا

فنُصِب الشرك بحذاقة لان البابا وية لم تُذكَر في اقرار ملانكثون وترك غلطات اخرى حتى ان لوثيروس نفسهُ تشكى من ذلك بصوت عالٍ فقال ان الشيطان يرى واضحًا ان اعتذاركم قد أُهمل باستخفاف قضية المطهر وعبادة القديسين ولاسيما قضية البابا والمسيح الكذاب . فطلب الامراء ان يتفاوضوا مع اصحابهم وكلاء المدن فاجتمع جميع البروتستانت لاجل المشورة في هذا الامر المهم

فطلبوا حجة ملانكثون الذي لم يرفض المسئولية في هذا الامر ومع انهُ وقع بسهولة في صغر النفس بسبب اضطرابهِ صار جسورًا اذا قاوموهُ راسًا فقال ان جميع التعاليم الجوهرية قد أُدخلت في الاقرار وكل غلط وفساد مما يضادها قد ذكر ولكن هل هو امر ضروري الغوص في جميع هذه المسائل المملوءة نزاعًا وحقدًا التي يبحث عنها في مدارسنا الكبيرة هل هو امر ضروري مسئلة كهنوت جميع المسيحيين او رياسة البابا هل هي الهية وهل تجوز غفرانات او هل كل عمل صالح خطية مميتة او هل الاسرار اكثر من سبعة او هل يجوز للعامي ان يوزعها او هل للانتخاب الالهي اساس في استحقاقاتنا او هل رسامة الخوارنة تحدث وسمًا لا يُمحى او هل

الاعتراف للخوري ضروري للخلاص. كلاَّ كلاَّ لان جميع هذه الاشياء من متعلقات المدارس وليست جوهرية للايمان

ولا ينكر انهُ في الامور التي عدَّدها ملانكثون قضايا مهمة ولكن مع ذلك الجماعة الانجيلية اتفقت سريعًا وفي الغد جاوبوا انصار كرلوس بكل حرية وثبات قالوا ان البروتستانت اذا ارادوا الوصول الى اتفاق قلبي لم يريدوا ان يزيدوا الخلاف فارتأوا ان لا يذكروا جميع الاضاليل التي أُدخلت في الكنيسة بل ان يعترفوا بجميع التعاليم الجوهرية للخلاص وانهُ اذا كان مع ذلك الحزب المضاد وجد نفسهُ مضطرًّا الى التمسك ببعض انواع الفساد او ان يقدم قضية لم تُذكَر في الاقرار فالبروتستانت مستعدون لان يجاوبوا طبق كلام الله. وسياق هذا الجواب بيَّن واضحًا بالكفاية ان المسيحيين الانجيليين لم يخافوا من التحاق اخصامهم الى حيثما ذهبوا ومن ثمَّ سكت الحزب الروماني عن هذا الامر

الفصل التاسع

الرد على الاقرار . عدم ارتضاء كرلوس . ايمان الملك المنتخب وسلامتهُ . اجتماع بين ملانكثون والقاصد. تهديدات الامبراطور. شجاعة الامراء. الشعب في اوجسبرج

ان العمدة التي فُوِّض اليها امر الرد على الاقرار اجتمعت مرتين كل يوم . وكل واحد من اللاهوتيين الذين تالفت منهم اضاف اليها ردهُ وبغضتهُ . وفي ١٢ تموز انتهى العمل . قال ملانكثون ان آك مع زمرتهِ سلموا الرد الى الامبراطور فتعجب هو واعوانهُ كل التعجب عندما راوا تاليفًا حاويًا مئتين وثمانين صحيفة مملوءًا افتراء. قال لوثيروس ان النجارين الاردياء يعطلون خشبًا كثيرًا والكتّاب المنافقون يوسخون ورقًا كثيرًا . وفضلاً عن ذلك اضافوا الى الرد ثماني حواشي عن الارتقات التي اخفاها ملانكثون كما قالوا بها كشفوا المناقضات والطوائف الشنيعة التي احدثها المذهب اللوثراني واخيرًا اللاهوتيون الرومانيون الذين

راوا شمس القوة تشرق عليهم لم يقصروا على هذا الجواب الرسمي بل ملأُوا اوجسبرج كراريس ذات افتراء وطعن

ولم يكن سوى راي واحد عن الرد الباباوي وهو انهُ مشوش وشرس ومتعطش الى الدم وكرلوس الخامس كان ذا ذوق جيد فلم يمكنهُ الآن يرى الفرق الكائن بين هذا العمل الخشن وجلال شرف اقرار ملانكثون فكان يلف ويقلب ويجعد الاوراق وبذلك عطل المئتين والثمانين صحيفة التي كتبها علماؤهُ حتى انهُ عندما ارجعها اليهم بعد يومين لم يكن منها سوى اثنتي عشرة صحيفة كاملة كما قال سپالاتين . وكان كرلوس قد خجل لو قرئت هذه الرسالة في المجمع فامران تعاد كتابتها بطريق آخر وعبارات الطف وذلك لم يكن امرًا هينًا لانهُ اذ ارتبك الاخصام وعموا كما قال برنتز بواسطة بساطة الاقرار الانجيلي الشريفة لم يعرفوا من اين يمسكونهُ ولا الى اين ينتهون ومن ثم صرفوا نحو ثلاثة اسابيع في اعادة عملهم

وشك كرلوس واعوانهُ شكًا عظيمًا بنجاح ذلك فتركوا اللاهوتيين الى حينٍ وتصوروا حيلة اخرى فقالوا دعونا ناخذ كل واحد من الامراء البروتستانت على حدة فاذا انفردوا لا يقاومون . ومن ثم في ١٥ تموز زار مركراف برندنبرج اولادُ عمهِ منتخب منتز ومنتخب برندنبرج واخواهُ المركراف فردريك ويوحنا البرت وقالوا لهُ اترك هذا الايمان الجديد وارجع الى ذلك الذي وُجِد منذ قرن فاذا فعلت ذلك فانتظر اية نعم شئت من الامبراطور والاَّ فاخشَ غيظهُ

وبعد ذلك بقليل فردريك دوك باڤاريا واميرناسو ودى راجندرف وتروخيس اتوا الى المنتخب من قبل كرلوس وقالوا لهُ انك قد ترجيت الامبراطور ان يثبت زواج ابنك مع اميرة يوليرس وان يعطيك خلعة الانتخاب وهو يقول جازمًا انك ان لم ترفض ارتقة لوثيروس التي انت اكبر الحامين عنها لا يقدر ان يجيبك الى سوالك . وفي الوقت نفسهِ استعمل دوك باڤاريا اشد الالحاحات المقرونة باحر الحركات وافظع التهديدات طالبًا من المنتخب ان يترك اعتقادهُ .

ثم قال معتمدو كرلوس قيل انك اتحدث مع سويسرا ولكن الامبراطور لا يقدر ان يصدق ذلك وهو يامرك ان تخبرهُ بالحق

والاتحاد مع سويسرا كان كالعصاوة وهذا الاتحاد كان دائمًا يستخدم في اوجسبرج كوسيلة لاخافة كرلوس الخامس وفي الحقيقة كان وكلاء او اقلما يكون اصدقاء سويسرا قد ظهروا في تلك المدينة وبهذه الوسيلة زادوا الحال اضطرابًا وكان بوسر قد وصل بيومين قبل قراءة الاقرار وكابيتو في اليوم التابع لذلك . حتى شاع إن زوينكل نفسهُ آتٍ الآن الجميع في اوجسبرج ما عدا وكلاء ستراسبرج بقوا زمانًا طويلاً لا يعلمون بحضور هذين العالمين ولم يعرف ملانكثون ذلك معرفة قطعية الاَّ بعد وصولهم بواحد وعشرين يومًا فبقي الزوينكليين مستترين ولم يكن ذلك من دون سبب . ولما طلبوا مواجهة ملانكثون اجاب فليكتبوا فانني اضر دعوانا بواسطة مقابلتي اياهم

ان بوسر وكابيتو في خلوتهما التي كانت عندهما كحبس صرفا وقت بطالتهما بكتابة اقرار الاربع المدن فقدمهُ وكلاء ستراسبرج وقسطنسيا وماممجن ولندو الى الامبراطور وتلك المدن نفت عن انفسها تهمة الحرب والعصاوة التي كانت دائمًا يُعترَض بهِ عليها وجزمت ان غايتها الوحيدة هي مجد المسيح واقرَّت بالحق بحرية وجراءة ولكن من دون افتراء ولا مذمة

وزوينكل بالقرب من ذلك الوقت عينهِ سعى بتقديم اقرار خصوصي الى كرلوس حدث منهُ هياج عمومي فقال الرومانيون هل يجسر على القول ان معشر المتوجين والجافين (يريد بذلك الاساقفة) هم في الكنيسة بمنزلة القروح في الجسد وقال اللوثرانيون الا يشير الى اننا قد ابتدانا نلتفت الى بصل مصر وكراثها فصرخ ملانكثون يحق ان يقال عنهُ قد اضاع حواسهُ . فان جميع الطقوس حسب زعمهِ يجب ابطالها وجميع الاساقفة يجب ان يبطلوا وبالاجمال كل شيء بالتمام هلفيشي اي بربري كامل

واستثنى رجل واحد نفسهُ عن محفل هذه التعبيرات وهو لوثيروس فانهُ

كتب الى بوناس يقول ان زوينكل يعجبني وبوسر ايضًا ولا ريب انهُ عنى ببوسر اقرار الاربع المدن وهذه العبارة يجب ملاحظتها

وهكذا وُضِعَت عند قدمي كراوس الخامس ثلاثة اقرارات دالّة على الانقسامات الآخذة في تمزيق المذهب البروتستانتي فباطلاً تعب بوسر وكابيتو في الاتفاق مع ملانكثون والكتابة اليهِ بقولها اننا نجتمع حيثما شئت ومتى شئت ونحضر معنا ستورم وحدهُ اواذا شئتَ فاننا لا نحضرهُ وكل ذلك لم يفد شيئًا. لم يكفِ للمسيحي ان يقر بالمسيح بل التزم التلميذ ان يقر بتلميذ آخر ولو تحت تعبيرات العالم الّا انهم لم يكونوا حينئذٍ يدركون هذا الالتزام فقال الرومانيون ان الانشقاق في وسط الانشقاق ووعد الامبراطور نفسهُ بغلبة هينة فكان الصراخ من كل جانب ارجعوا الى الكنيسة فقال اهالي ستراسبرج ان معنى ذلك دعونا نضع اللجم في افواهكم لكي نقودكم الى حيثما شئنا

وجميع هذه الامور احزنت المنتخب حزنًا شديدًا وهو مع ذلك لم يزل تحت ثقل طلبات كرلوس وتهديداتهِ فان الامبراطور لم يكن قد تكلم معهُ ولا مرة واحدة وقيل في كل مكان ان ابن عمهِ جرجس دوك سكسونيا سوف يُنادَى بهِ منتخبًا مكانهُ

وفي ٢٨ تموز كان عيد عظيم في البلاط ولبس كرلوس الحلة الامبراطورية قيل ان قيمتها اكثر من ٢٠٠٠٠٠ دوكة ذهب فاظهر جلالاً وهيبة وخلع على امراء كثيرين خلع وظائفهم ولم يُستثنَ من تلك الانعامات الّا المنتخب وحدهُ وبعد قليل أُفهم باكثر وضوح بما هو محفوظ لهُ وأُوحِ لهُ انهُ ان لم يخضع يطردهُ الامبراطور من ولايتهِ وينزل بهِ اشد القصاص

فاصفرَّ المنتخب لانهُ لم يكن يشك ان هذه تكون النتيجة لا محالة فكيف يمكنهُ بواسطة اياالتهِ الصغيرة ان يقاوم ذلك الملك القدير الذي اذل منذ هنيهة فرانسا وايطاليا وراى جرمانيا عند قدميهِ وعدا ذلك لو كان قادرًا عليهِ فهل لهُ حق ان يقاومهُ. فاخذت الاحلام المخيفة تتبع يوحنا الى فراشهِ وراى نفسهُ ممدودًا

تحت جبل عظيم كان يجاهد تحتهُ جهادًا اليمًا وابن عمهِ جرجس واقف على قمة ذلك الجبل يعيّرهُ

واخيرًا خرج يوحنا من اتون التجربة وقال يجب عليَّ اما ان ارفض الله او العالم ولكنني لست اشك في الامر الذي اختارهُ. فان الله هو الذي صيَّرني منتخبًا مع اني لم اكن مستحقًّا لذالك فاني القي نفسي بين يديهِ وليفعل بي ما يحسن في عينيهِ وهكذا المنتخب بالايمان سد افواه الاسد وقهر الممالك (عب ١١: ٣٣)

وكل عالم المسيحيين اشترك في جهاد يوحنا الصبور وظهر انهُ اذا سقط حينئذٍ يسقط معهُ كل شيء فاجتهدوا في اعضادهِ فصرخ مسيحيو مجد برج لا تخف لان سعادتك تحت لواء المسيح وكتب مسيحيو فينيسيا ان ايطاليا في الانتظار فلو اضطررت الى الموت لاجل مجد المسيح فلا تخف شيئًا. الاَّ ان يوحنا انما استمد قوتهُ من مصدر آخر. قال معلمهُ رايت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء (لو ١٠: ١٨) وهكذا المنتخب راى في حلمهِ جرجس يسقط عن قمة ذلك الجبل وينطرح منقطعًا آرابًا عند قدميهِ

فلما عزم يوحنا ان يخسر كل شيء لاجل الحق جمع لاهوتييهِ بغبطة وحرية وهدوء وهولاء القوم الكرماء ارادوا ان يخلصوا مولاهم فقال سپالاتين ايها السيد المنعم تذكر ان كلمة الله التي هي سيف الله يجب اسنادها لا بالقوة المدنية بل بيد القادر على كل شيء. وقال جميع العلماء نعم اننا لا نريد انك لاجل خلاصنا تُسقِط تحت الخطر اولادك ورعاياك واملاكك وتاجك بل احب الينا ان نسلم انفسنا بيد العدو ونناشدهُ ان يكتفي بدمائنا. واذ تأثر يوحنا من هذا الكلام لم يجبهم الى طلبهم وقال بثبات هذه الكلمات التي صارت ختمهُ وانا ايضًا ارغب في ان اعترف بمخلصي

وفي ٣٠ تموز اجاب على الاحتجاجات الملحة التي اجتهد كرلوس ان يزعزعهُ بها فبرهن للامبراطور انهُ بما انهُ وريث اخيهِ الشرعي لا يجوز ان يُمنَع عن الخلعة التي فضلاً عن ذلك ثبتها لهُ مجمع ورمس وقال انهُ لا يصدق بعداوة كل ما يقولهُ

علماؤه ولكنهُ اذ علم ان كلمة الله هي اساس تعليهم اقر ثانيةً ومن دون تردد بجميع قضايا الاقرار . ثم قال فاترجى جلالك اذًا ان تسمح لي ولمن يخصني ان نعطي حسابًا لله وحده عما يتعلق بخلاص نفوسنا . وهكذا كان جواب مرغريف براندنبرج وبذلك خابت تلك الحيلة الحاذقة التي امل الرومانيون ان يكسروا بها قوة الاصلاح

فمضى ستة اسابيع بعد الاقرار ولم يكن جواب وقيل ان البابويين من حين سمعوا الاقرار عدموا بغتةً اصواتهم . واخيرًا سلم اللاهوتيون الرومانيون عملهم المراجع المنقح للامبراطور واقنعوه ان يقدمهُ باسمهِ فبان لهم ان رداء الحكومة يليق جدًّا لحركات رومية قال ملانكثون ان هولاء المتملقين رغبوا في ان يلبسوا جلد الاسد لكي يظهروا لنا بذلك اكثر هولاً . فطُلِب جميع وكلاء المملكة للاجتماع بعد ذلك بيومين ويوم الاربعاء في ٣ آب بعد الظهر بساعتين جلس الامبراطور على تختهِ في مقعد القصر الاسقفي محفوفًا باخيهِ والمنتخبين والامراء ولما أُدخل منتخب سكسونيا مع اصحابهِ قام الامير البلاتيني الذي لُقِّب فم كرلوس وقال للمجمع ان جلالهُ اذ قد دفع اقراركم لبعض العلماء من امم مختلفة مشهورين بمعرفتهم وآدابهم وعدم محاباتهم فقرا جوابهم بتدقيق كلي وهو يقدمهُ الآن لكم كانهُ منهُ

وحينئذٍ اسكندر شوَيس اخذ الاوراق وقرا الرد فالجواب الروماني مدح بعض قضايا الاقرار وشجب بعضًا وفي بعض العبارات الاقل اعتبارًا ميَّز بين ما يجب رفضهُ وبين ما يجب قبولهُ . وسلم في قضية مهمة وهي الفعل المفعول فان البروتستانت قالوا في القانون الثالث عشر ان الايمان هو ضروري في ممارسة السر فوافقهم الرومانيون في ذلك وبذلك تركوا غلطًا كانت البابوية قد حامت عنهُ بكل اجتهاد ضد لوثيروس في نفس مدينة اوجسبرج بلسان كاياتان . وكذلك اقرُّوا بصحة تعليم الانجيليين عن الثالوث والمسيح والمعمودية والقصاص الابدي واصل الشر . واما في القضايا الأُخَر قاطبةً كرلوس وامراؤهُ ولاهوتيوهُ صرَّحوا انهم غير متزعزعين فانهم ذهبوا الى ان الناس يولدون بخوف الله في

قلوبهم وان الاعمال الصالحة هي ذات استحقاق وتبرر بالاقتران بالايمان وتمسكوا بالاسرار السبعة والقدّاس والاستحالة والمنع عن الكاس وبتولية الاكليروس وشفاعة القديسين وانكروا ان الكنيسة هي جماعة القديسين . وهذا الرد كان حاذقًا من بعض القضايا وعلى الخصوص في ما يتعلق بتعليم الاعمال والايمان واما في القضايا الأُخرى وعلى الخصوص في امر منع الكاس وعدم زواج الخوارنة كانت احتجاجاتهُ ضعيفة يرثى لها ومضادة لحوادث التاريخ المعروفة جيدًا . اما البروتستانت فاستندوا على الكتب المقدسة واخصامهم قالوا باصل الرياسة الالهي وحكموا بالخضوع المطلق لها وهكذا الهيئة الجوهرية التي لا تزال تميز رومية من الاصلاح ظهرت ظهورًا بيّنًا في ذلك الجدال الاول

ومن جملة المصغين الذين ملأُوا المعبد البلاتيني وكان مستترًا في وسط وكلاء نورمبرج بواكيم كاميراريوس ولما قرا شُوَيس الرد قيّد هو باهتمام وهو جالس على مائدتهِ كل ما قدر على جمعهِ وفي الوقت نفسهِ البعض من البروتستانت تكلموا بعضهم مع بعض غضبانين وضحكوا كما يوكد لنا احد اخصامهم فقالوا باتفاق واحد حقًّا ان جميع هذا الرد يليق باك وفابر وكوكلاوس . واما كرلوس فقلما احب هذه المحاورات اللاهوتية فاستغرق في النوم في وقت القراءة الاَّ انهُ انتبه عندما انتهى شُوَيس وكان انتباههُ كانتباه اسد . وحينئذٍ قال الامير البلاتيني ان جلالهُ قد وجد ان قضايا هذا الرد هي ارثوذكسية وكاثوليكية ومطابقة للانجيل وانهُ لاجل ذلك يطلب من البروتستانت ان يتركوا اقرارهم المنقوض الآن وان يتمسكوا بجميع القضايا التي أُعلنت الآن وانهم اذا امتنعوا من ذلك فالامبراطور يذكر وظيفتهُ ويعلم كيف يظهر نفسهُ محاميًا عن الكنيسة الرومانية وعاضدها

وهذا الكلام كان واضحًا بالكفاية والاخصام توهموا انهم قد غلبوا البروتستانت بامرهم اياهم ان يحسبوا انفسهم مغلوبين فان الغصب والسلاح والحرب كانت باسرها متضمنة في كلمات خادم كرلوس هذه القاسية فقال الامراء انهُ بما ان الرد سلَّم ببعض تعاليمهم ورفض بعضها فلا بدَّ من فحصهِ بتدقيق ومن ثم يطلبون ان

تُعطى لهم نسخة منهُ

والحزب الروماني تشاور طويلاً في هذا الطلب وكان الليل قد دنا فاجاب الامير البلاتيني انهُ نظرًا الى ذهاب الوقت وعظمة الامر سوف يعلن الامبراطور ارادتهُ في وقت آخر فانصرف المجمع وكرلوس الخامس اذ حنق من وقاحة الامراء الانجيليين كما قال كوكلاوس رجع الى مكانهِ غضبانًا

اما البروتستانت فبعكس ذلك انصرفوا ممتلئين سلامًا لان قراءة الرد جعلت لهم ثقة بمقدار ما جعل الاقرار فانهم راوا في اخصامهم تعلقًا قويًّا بالرياسة وجهلاً عظيمًا بالانجيل وذلك هيئة طبيعية للحزب الروماني وهذا الفكر شجعهم فقالوا حقًّا ان الكنيسة لا تقدر ان تكون حيث لا توجد معرفة المسيح

ولكن ملانكثون وحدهُ لم يزل خائفًا لانهُ سعى بالعيان لا بالايمان واذ افتكر بابتسامات القاصد قابلهُ مقابلة اخرى في ٤ آب ولم يزل يطلب منهُ الكاس للعوام والزوجات الشرعيات للخوارنة وقال وحينئذٍ يضع رعاتنا انفسهم ثانيةً تحت حكم الاساقفة ونحن نقدر ان نمنع تلك الطوائف التي لا تحصى التي تتهدد الذرية . ونظرُ ملانكثون الى المستقبل مستغرب الاَّ انهُ لا يعني انهُ هو نظير كثيرين غيرهُ فضَّل الوحدة الميتة على الاختلاف الحي . واذ تحقق كمباجيو الغلبة بالسيف دفع باحتقار تلك الورقة الى كوكلاوس فبادر كوكلاوس الى الرد عليها . ويعسر علينا الحكم بايهما اشد حمقًا ملانكثون او كمباجيو ولكن الله لم ياذن باجراء ترتيب من شانهِ ان يستعبد كنيستهُ

ان كرلوس صرف كل اليوم الرابع وصباح اليوم الخامس من آب في المشورة مع الحزب الذي من عبر الجبل فقال قوم اننا لا نتوصل ابدًا بواسطة الجدال الى الاتفاق فاذا كان البروتستانت لا يخضعون باختيارهم فلا يبقى لنا الاَّ ان نلزمهم ولكنهم بسبب الرد عزموا على التمسك بطريق متوسط وفي كل مدة المجمع سلك كرلوس سلوكًا حكيمًا ففي اول الامر لم يقبل بشيء راجيًا ان يقود الامراء عنفًا ثم سلم ببعض القضايا غير المهمة متوهمًا ان البروتستانت اذ يقطعون كل رجاء

يعتبرون اكثر القايل الذي يسلم لهم بهِ وهكذا فعل ايضًا تحت الظروف الحاضرة وفي اليوم الخامس من آب بعد الظهر اخبرهم الامير البلاتيني بان الامبراطور يعطيهم نسخة من الرد ولكن بالشروط الآتية اعني ان البروتستانت لا يردون عليهِ وانهم يتفقون سريعًا مع الامبراطور وانهم لا يطبعون ولا يسلمون لاحد الرد الذي يستودع بيدهم

وهذا الخطاب احدث تمرمرًا بين البروتستانت فقالوا جميعًا ان هذه الشروط لا يمكن قبولها ثم قال الكاتب بروك ان البابا وبين يقدمون لنا ورقتهم كما قدَّم الثعلب مرقة للّقلق الذي اضافهُ على حجر املس بحيث لم يقدر بمنقارهِ الطويل ان يتناول منهُ شيئًا فاذا شاع الرد من دون ان نساعد على ذلك وذلك امر ممكن فاننا نُقرّف بذلك كذنب فلنمتنع عن قبول تقدمة خطرة كهذه وعندنا في حواشي كاميراربوس قضايا كثيرة من هذه الورقة فاذا تركنا قضية منها فلا لاحد حق ان يطعن فينا من هذا القبيل

وفي اليوم التالي اي ٦ آب اخبر البروتستانت المجمع ان الاحب اليهم عدم قبول النسخة المقدمة لهم على ذلك المنوال وانهم قد سلموا الامر لله ولجلالهِ وهكذا رفضوا كل ما اعرضهُ عليهم الامبراطور حتى ما حسبهُ من باب المعروف

فكنت ترى غضبًا وهياجًا ورعبًا على كل مقعد من مقاعد ذلك المحفل الجايل وجواب الانجيليين هذا كان حربًا وعصيانًا اما جرجس السكسوني وامراء باڤاريا وجميع اتباع رومية الاشدّاء فارتعدوا غيظًا وصارت حركة فجائية شديدة واطلاق تذمر وبغضة وخشي من ان الحزبين ياخذان في الضرب في حضرة الامبراطور نفسهِ لو لم يقف رئيس الاساقفة البرت ومنتخب برندنبرج ودوك برنسويك وبوميرانيا ومكلنبرج بين الفريقين وناشدوا البروتستانت ان يجعلوا نهاية لهذا النضال الذي يرثى لهُ ولا يحملوا الامبراطور على تجاوز حدود الاعتدال فانصرف المجمع وقلوبهم مملوءة اضطرابًا واحتسابًا وانزعاجًا

ولم يعرض المجمع قط خيارًا مضرًّا كهذا وآمال الاتفاق التي أُظهرت في الاوامر

بالتمام انما كانت خداعًا وتمليقًا وقد رُفع الغشاء واعرض على الاصلاح الخضوع او السيف فقال الجميع ان يوم الامتحان قد مضى وابتدا يوم الاغتصاب . وبالواقع في اليوم السادس من تموز كان البابا قد عقد مجمعًا من الكردينالين في قصره في رومية واخبرهم بطلب البروتستانت الاخير الذي هو الكاس للعوام وزواج الخوارنة وترك شفاعة القديسين في ذبيحة القدّاس واستعمال الاموال الكنائسية التي صُيرت زمنية والبقية التئام مجمع فقال الكردينالون ان هذه الامور هي مضادة لديانة الكنيسة وتهذيبها وشرائعها فاننا نرفضها ونصرّح بشكرنا للامبراطور لاجل غيرتهِ التي ابداها في ارجاع الضالين واذ جزم البابا بذلك صارت كل وسيلة للصلح عادمة الفائدة

واما كمباجيو فتضاعفت غيرتهُ فتكلم كانهُ هو البابا نفسهُ حاضرًا في اوجسبرج وقال لكرلوس فليعمل الامبراطور والامراء المستقيمو الراي اتحادًا واذا كان هولاء العصاة الذين لا يشعرون بالتهديدات ولا المواعيد لا يزالون مصرّين على مسعاهم الشيطاني فليقبض جلالة حينئذٍ على النار والسيف وليضبط جميع املاك الارانقة ويستاصل بالكلية هذه الاغراس السامة ثم يقيم مفتشين طاهرين يقتفون اثر بقية الاصلاح ويقاومونهم كما قاوموا العرب في اسبانيا وليضع مدرسة وتمبرج تحت الغضب ويحرق الكتب الاراتيكية ويرجع الرهبان الهاربين الى اديرتهم ولكن هذا التدبير يجب اجراؤهُ بشجاعة . فهكذا كانت سياسة رومية تقوم حسب منطوق نبوة قيلت ضد المدينة الموضوعة على سبعة جبال بتزيين نفسها بالجواهر التي سلبتها وبسكرها بدماء القديسين (رؤ ١٧ : ١٨)

واذ كان المجمع والبابا يستكدان كرلوس هكذا بغضب اعمى كان الامراء البروتستانت صامتين من الغيظ لا يفتحون افواههم وتراءى ذلك مثل ضعف اراد الامبراطور ان يستفيد بهِ ولكن قوة استترت تحت هذا الضعف فصرخ ملانكثون انهُ لم يبقَ لنا شيء الاَّ ان نحني ركبتي مخلصنا فاشتغلوا في ذلك بنشاط فطلب ملانكثون صلوات لوثيروس وبرنتز صلوات اعضاء كنيستهِ وكان

صراخ ضيق وايمان في كل جرمانيا الانجيلية . فقال برنتز نعطيكم نعاجا اذا ارسلتم لنا نعاجًا وانتم تعلمون معناي والنعاج التي كانت عتيدة ان نقرّب في الذبيحة هي صلوات القديسين

كانت الكنيسة امينة لنفسها وكتبت بعض المدن الى المتحزبين تقول اننا اذ نجتمع كل يوم نطلب لكم قوة ونعمة وغلبة اي غلبة مملوءة فرحًا . واما رجل الصلاة والايمان على الخصوص هو لوثيروس ومكاتيب لوثيروس في ذلك الوقت في كل سطر منها تظهر شجاعة هادئة سامية يلمع فيها الثبات الى جانب الفرح شجاعة ترتفع وتتسامى بمقدار ازدياد الخطر وابلغ التشابيه الشعرية باردة مقابل تلك العبارات النشيطة التي خرجت مثل شهب نار من نفس المصلح. وكتب في ٥ آب للكاتب بروك يقول اني قد عاينت حديثًا اعجوبتين فهذه الاولى اني وقفت امام طاقتي وابصرت النجوم والجو وذلك الجَلَد المتسع السامي الذي رصعها الرب فيهِ ولم ارَ الاعمدة التي ركز الرب عليها هذه الخيمة العظيمة ومع ذلك لم تسقط السموات

والثانية اني رايت سحابة كثيفة فوقنا كبحر عظيم ولم اقدر ان ارى ارضًا تقف عليها ولا حبالاً تتعلق بها ومع ذلك لم تسقط علينا بل سلمت علينا بسرعة ومضت ثم قال ان الله يختار الطريقة والوقت والمكان الموافقة للنجاة ولا يبطئ وما قد ابتدا بهِ رجال الدم لم ينتهوا منهُ بعد فان قوس قزحنا ضعيف وغيومهم تتكاثف والعدو ياتي علينا بادوات مخيفة ولكن لابد ان يظهر لمن المنجنيق ومن ايدي مَن تُرمى النبال . فلا باس اذا هلك لوثيروس . ان غلب المسيح يغلب لوثيروس ايضًا

والحزب الروماني الذي لم يكن يعرف ما هي غلبة الايمان ظنوا انفسهم الغالبين لامحالة. وبعد ان نقض العلماء الاقرار قالوا ان البروتستانت يجب ان يقتنعوا وحينئذٍ يرجع كل شيء الى مجراهُ القديم. هذا هو ترتيب جماعة الامبراطور ومن ثمَّ الحَّ على البروتستانت وامرهم ولكن عوضًا عن الخضوع بشروا بردٍ على

الرد وعند ذلك نظر كرلوس الى سيفهِ وهكذا فعل الامراء الذين حولهُ
ويوحنا من سكسونيا فهم معنى ذلك الاَّ انهُ لبث ثابتًا وقال كجاري عادتهِ
ان الخط المستقيم هو الطريق الاقصر وهذا الثبات الذي لم يتزعزع هو الذي
جعل لهُ في التاريخ لقب يوحنا الثابت وهو لم يكن وحدهُ لان جميع الامراء
البروتستانت الذين تربوا في وسط الدواوين وكانت عادتهم ان يطيعوا بتواضع
الامبراطور وجدوا في ذلك الوقت في ايمانهم استقلالاً جليلاً اوقع كرلوس الخامس
في الحيرة

ولكي يربحوا امير برندنبرج عرضوا عليهِ بعض الاملاك في سيسيليا كانت
لهُ دعوى فيها فاجاب اذا كان المسيح هو المسيح فالتعليم الذي اقررت بهِ هو
حق فاجاب ابن عمهِ المنتخب يواكيم بسرعة وقال ولكن هل تعلم ما هو خطرك
فاجاب نعم بالتحقيق فانهم يقولون انني سوف أُطرَد من هذه البلاد فاسال الله
الحماية وفي احد الايام الامير ولفغنج من انهلت صادف العلاَّمة آك وقال لهُ انك
ايها العالم تهيج الى الحرب ولكنك سوف تجد اقوامًا يسبقونك فانني قد قاتلت
مرارًا عن اصدقائي في زماني وربي يسوع المسيح يستحق لا محالة اني افعل مثل
ذلك لاجلهِ

وعند نظر هذا العزم سال كل واحد نفسهُ هل لم يزد كرلوس المرض عوضًا
عن ابرائهِ فحدث بين الاهالي تاملات وملاحظات وهزل وعقول الناس الحسنة
اظهرت بطريقتها ما افتكروا بهِ عن حماقة روسائها ولنذكر نموذجًا واحدًا لذلك
قيل انهُ في احد الايام اذ كان الامبراطور على المائدة مع امراء كثيرين رومانيين
بلغهُ ان البعض من اصحاب الملاهي طلبوا اذنًا حسب العادة لكي يسلوا سعادتهم
فظهر اولاً رجل شيخ في زي عالم كان يتقدم بصعوبة حاملاً غمر قضبان بعضها
مستقيم وبعضها اعوج فتقدم الى موقدة متسعة في القاعة وطرح حملهُ من دون
ترتيب وانصرف للوقت وكرلوس وارباب ديوانهِ قروا على ظهرهِ هذه العبارة
يوحنا رونشلين ثم تقدم مزعبر آخر ينظر فيهم واجتهد اجتهادًا كليًا في ان يقرن

القضبان المستقيمة والعوجاء معًا واذ راى تعبهُ باطلاً هز راسهُ ورجع الى الباب وتوارى فقراوا على ظهرهِ ايراسموس من روتردام . وبعد ذلك في الحال تقدم راهب بعين حادة ومشيئة راهنة حاملاً كانونًا فيهِ جمر نار فرتب الحطب ووضع فيهِ النار ونفخ وحركهُ حتى صعد اللهيب ساطعًا لامعًا الى الجو ثم انصرف وكان مكتوبًا على ظهرهِ مرتينوس لوثيروس

وبعد ذلك تقدم شخص جليل متسربل بالحلل الامبراطورية فلما راى النار ساطعة بهذا المقدار استل سيفهُ واجتهد في ان يطفيها بهِ ولكن كلما زاد ضربًا ازدادت اضطرامًا واخيرًا ترك الديوان بغضب والظاهر ان اسمهُ لم يُكتب على ظهرهِ الّا انهم جميعًا عرفوا من هو ثم التفت الجمهور واذا برجل لابسًا قميصًا ورداء من مخمل احمر وبطرشيلاً حول عنقهِ قد زُيّن طرفاهُ بالجواهر تقدم بجلال واذ راى اللهيب الذي ملأ الموقدة صفق بيديهِ برعدة وفتش حولهُ على شيء يطفيهِ بهِ فراى وعاءين في آخر الديوان احدهما مملوء زيتًا والآخر ماء فركض اليهما وقبض بالغلط على اناء الزيت وطرحهُ على النار فانتشر اللهيب انتشارًا شديدًا جدًّا حتى هرب خائفًا ورافعًا يديهِ نحو السماء وكان مكتوبًا على ظهرهِ لاون العاشر. فانتهى اللعب فعوضًا عن ان يطالب هؤلاء المزعبرون جزاءهم اختفوا ولم يلفظ احد بمعنى هذه الرموز

وهذه المثالة ذهبت سدًى واكثر اعضاء المجمع المتحزبين للامبراطور والبابا ابتداوا يعدّون الوسائط اللازمة لاطفاء النار التي اضرمها لوثيروس فراسلوا في ايطاليا دوك منتوا الذي تعهّد بان يرسل بعض الجيوش الخفيفة الى عبر جبال الپا وفي انكلترا راسلوا هنري الثامن الذي لم ينسَ جواب لوثيروس ووعد كرلوس بواسطة سفيرهِ بمساعدة قوية لاهلاك الاراتقة . وفي الوقت نفسهِ علامات هائلة دلت على المستقبل المظلم الذي يتهدد الاصلاح ففي سپيرْس ظهر ليلاً مناظر مخيفة على هيئة رهبان بأعين مغضبة وخطوات سريعة فلما سئلوا ماذا تريدون اجابوا اننا منطلقون الى مجمع اوجسبرج فصار الفحص باهتمام عن هذا

الامر وتحقق فصرخ ملانكثون ان التفسير ليس هو صعبًا فان الارواح الشريرة آتون الى اوجسبرج لكي يقاوموا اعمالنا ويلاشوا السلامة فانها تشير الى اتعاب هائلة تقع علينا. ولم يكن احد يشك في ذلك. قال ابراسموس ان كل شيء مسرع نحو الحرب وكتب برنتز ان المجمع لا ينتهي الاَّ بهلاك جرمانيا باسرها وصرخ بوسر انهُ سوف يكون ذبح للقديسين عظيم حتى ان مقتلة ديوكليتانوس بالكد تعدلهُ. وصرخ الصراخ العام الحرب والدم

وليلة السبت في ٦ آب بغتةً حدث اضطراب عظيم في مدينة اوجسبرج وركض الناس الى هنا وهناك في الازقة ورسل من قبل الامبراطور اسرعوا على الخيل في كل جهة واعضاء الديوان جُمِعوا معًا وأُمِروا ان لا يسمحوا لاحد ان يمرَّ بابواب المدينة وكان كل العساكر في حركة والجنود اعدُّوا اسلحتهم وتجمعت الصفوف وفي صباح الاحد جيوش الامبراطور رفعت ضد كل عادة جنود المدينة وتملكت الابواب وشاع حينئذٍ ان الابواب لا تفتح وان كرلوس قد اعطى اوامر شديدة بحفظ المنتخب واصحابهِ حفظًا تامًّا وكان ذلك ايقاظًا هائلاً للذين ما زالوا يعِدُّون انفسهم بنهاية المخاصمات الدينية على سلام وزُعم ان تلك الاعمال انما هي بداءة حرب وعلامة مقتلة مريعة

الفصل العاشر

فيلبس من هسى . اوامر الامبراطور . هرب فيلبس من اوجسبرج . الانقلاب في المجمع وتغير سياقهِ واجتهادهِ على الصلح

تغلب الاضطراب والغيظ في القصر الامبراطوري والذي سبب ذلك اللاندكراف فان فيلبس من هسى ثبت كالصخرة في وسط العاصف الذي لا قاهُ ولم يحنِ قط راسهِ للزوبعة وذات يوم خاطب الاساقفة في محفل حافل قائلاً لهم

يا سادة اعطوا السلام للملكة . اننا نطلب ذلك منكم وان لم تفعلوا ذلك وكان لا بد لي من السقوط فاعلموا انني سوف اجر واحدًا او اثنين منكم معي . فراوا وجوب استعمال وسائط الطف معهُ فاجتهد الامبراطور ان يربحهُ بواسطة اظهاره ميلاً اليهِ في دعوى مقاطعة كتزينلينبوجن التي بسببها وقت المنازعة بينهُ وبين امير ناسو وفي دعوى وارتمبرج التي ادَّعى بها لابن عمهِ اولرك وجرجس دوك سكسونيا عمهُ اكد لهُ انهُ يجعلهُ وريثهُ اذا خضع للبابا . اخذوهُ الى جبل عالٍ جدًّا واروهُ جميع ممالك العالم ومجدها كما قال احد المورخين الاَّ ان اللاندكراف غلب التجربة

فسمع ذات يوم ان الامبراطور اراد ان يكلمهُ فركب حصانهُ حالاً وانطلق الى كرلوس وكان عندهُ كاتبهُ شوَيس واسقف قسطنسيا فقال ان عندهُ ضد اللاندكراف خمس تشكيات وهي نقضهُ حكم وُرمس واحتقارهُ القداس وتهييجهُ في غيبتهِ كل انواع العصاوة واخيرًا تقديمهُ لهُ كتابًا يضادُّ حقوقهُ الملكية فبرر اللاندكراف نفسهُ وقال الامبراطور انهُ قبل اجوبتهُ ما خلا ما يتعلق بالايمان وطلب منهُ ان يظهر نفسهُ من هذا القبيل خاضعًا خضوعًا تامًّا لجلالهِ وقال لهُ كرلوس بصوت مماق فاذا تقول اذا رفعتك الى رتبة ملك ولكنك اذا اظهرت نفسك عاصيًا على اوامري فاني حينئذٍ اتصرف كما يليق بامبراطور روماني

وهذه الكلمات هيجت اللاندكراف الاَّ انها لم تزحزحهُ فاجاب انني في زهرة عمري ولست احتقر لذات الدنيا وانعام العظماء الاَّ انني افضل دائمًا على خيرات هذا العالم الخادعة نعمة الله التي لا تزول . فارتبك كرلوس ولم يقدر ان يدرك فيلبس

ومن ذلك الوقت ضاعف اللاندكراف اجتهاداتهِ لكي يتحد مع المتمسكين بالاصلاح وتحققت المدن الزوينكلية بانها مهما كانت نهاية المجمع تكون هي اول ضحية الاَّ اذا مدَّ السكسونيون ايديهم الى نجدتها وفي نوال تلك المنية صعوبة . فكتب ملانكثون الى بوسر يقول يظهر لي غير مفيد لراحة الجمهور او غير امين

للضمير ان نحمل امراءنا جميع البغضة الناجمة من تعليمكم . فاجاب الستراسبرجيون ان العلة الحقيقية لبغضة البابا وبهن ليست هي تعليم الافخارستيا بل تعليم التبرير بالايمان وقالوا اننا نحن جميعًا الذين نرغب ان نكون للمسيح الواحد ليس لنا شيء نتوقعهُ الاّ الموت . وكان ذلك صحيحًا الآن سببًا آخر عدا هذا انفر ملانكثون . فاذا اتحد جميع البروتستانت يشعرون بقوتهم وتكون الحرب لابد منها فراى انهُ ينبغي ان يجتنب الاتحاد

واما اللاندكراف فاذ هُدّد من الامبراطور ورُفض من اللاهوتيين ابتدا يسال نفسهُ ماذا عمل في اوجسبرج فان الكاس قد امتلات وامتناع كرلوس ان يسلم الرد الروماني الاّ بشروط لا يمكن التسليم بها جعلها نفيض ولم يرَ فيلبس من هسى الاّ طريقًا واحدًا للسلوك فيهِ وهو ان يترك المدينة

وحالما اعلن الامبراطور الشروط التي علّق عليها تسليم الرد ذهب اللاندكراف مساء الجمعة في ٥ آب وحدهُ الى الامير البلاتيني وزير كرلوس وطلب ان يواجه حالاً جلالهُ اما كرلوس فلم يرد ان يواجههُ فادّعى بانهُ مشغول واخّر فيلبس الى الاحد القادم فاجاب فيلبس انهُ لا يقدر ان ينتظر لان زوجتهُ التي كانت مريضة في خطر طلبت منهُ ان يرجع الى هسى من دون ابطاء وبما انهُ من اصغر الامراء والاحقر في الفهم ولا فائدة فيهِ لكرلوس يترجى بتواضع جلالهُ ان ياذن لهُ بالانطلاق في الغد . اما الامبراطور فلم يجبهُ الى ذلك

فمن يصف شدة العواصف التي هيجها هذا الامتناع في عقل فيلبس ولكنهُ ضبط نفسهُ ولم يظهر قط اكثر هدوًّا مما اظهرهُ حينئذٍ ويوم السبت بجملتهِ في ٦ آب بان انهُ مشغول بالاستعداد لحضور تقليد قتال عنيد ان يقام اكراما للامبراطور واخيهِ فرديننند فاستعد لهُ جهارًا وكان خدمهُ يذهبون الى هنا وهناك ولكن تحت ذلك الموكب الحافل بالاحصنة والاسلحة كتم فيلبس مقاصد اخر فكتب ملانكثون الى لوثيروس في ذلك اليوم بعينهِ يقول ان اللاندكراف يتصرف بهدو عظيم وقال لي علانيةً انهُ لاجل حفظ السلامة يخضع لشروط

اصعب من التي يضعها الامبراطور علينا ويقبل كل ما يقدر على قبوله من دون احتقار الانجيل

اما كرلوس فلم يكن مرتاحًا وطلب اللاندكراف ازعجهُ . قال ربما جميع البروتستانت يفعلون هذا الامر نفسهُ ويتركون اوجسبرج بغتةً فتخيب حيلتهُ فالاوفق ان يكون فظًّا من ان يستهزأ بهِ ومن ثم عزم الامبراطور على ان يضرب ضربة ماضية فان المنتخب والامراء والوكلاء كانوا لم يزالوا في اوجسبرج ويجب ان يمنع تركهم اياها ولو بخطر فهذه هي الافكار الثقيلة التي في ليلة ٦ آب اذ كان البروتستانت نائمين بهدو نفت الراحة عن عيني كرلوس وجعلتهُ ينبه بسرعة المشيرين في اوجسبرج ويبعث رسلهُ واجنادهُ في ازقة المدينة . وكان البروتستانت لم يزالوا متناعسين عند ما اتاهم من قبل الامبراطور الامر غير المنتظر بالحضور حالًا الى قاعة المجمع

فوصلوا قبل الظهر باربع ساعات ووجدوا هناك منتخبي برندنبرج ومنتز ودوك سكسونيا وبرنسويك ومكلنبرج واسافقة سلزبرج وسپيرْس وستراسبرج وجرجس تروخسيس ووكيل مرغريف بادن والامير مرتين من التين ورئيس وينغرتن وقائد ببرج فهولاء هم العمدة المقامون من قبل كرلوس لاجل انهاء هذه المادة العظيمة

والذي ابتدا في الكلام يواكيم من برندنبرج الذي كان اكثر عزمًا بينهم فقال للبروتستانت انتم تعلمون باي لطف قد اجتهد الامبراطور في ارجاع الاتحاد واذا كان قد دخل في الكنيسة بعض الفساد فانهُ مستعد لاصلاحهِ بالاتحاد مع البابا ولكن كم هي مضادة للانجيل المذاهب التي تمسكتم بها فاتركوا اذًا غلطاتكم ولا تبقوا منفصلين عن الكنيسة واختموا الرد من دون ابطاء فاذا امتنعتم فكم من النفوس تهلك بذنبكم وكم يسفك من الدم ويخرب من البلدان وكم يحصل من الشغب في المملكة قاطبةً ثم التفت الى المنتخب وقال لهُ واما انت فان بلادك وحياتك تُنزَع منك ويحيق خراب برعاياك وبنسائهم ايضًا واولادهم

فبقي المنتخب لا يتحرك وهذا الكلام مخيف في اي وقتٍ كان وكان اخوف بما ان المدينة كانت تقريبًا في حالة الحصار فقال البروتستانت بعضهم لبعض اننا الآن نفهم لماذا حراس الامبراطور قد امسكوا ابواب المدينة واتضح ان الامبراطور قصد القهر

وكان البروتستانت على راي واحد واذا احاط بهم الجنود وعلى ابواب السجن وتحت آلاف من سيوف كرلوس بقوا ثابتين وجميع هذه التهديدات لم تجعلهم يخطون خطوة واحدة الى الوراء وكان امرًا مهمًّا لهم ان يتبصروا بجوابهم فطلبوا مهلة قصيرة وانصرفوا

والامر الذي اعرضهُ كرلوس على المسيحيين الانجيليين مخيرًا اياهم بهِ هو اما ان يخضعوا باختيارهم او ان يضطروا الى ذلك قهرًا

وفي الدقيقة التي فيها اهتم كل واحد بنهاية هذا الجهاد الذي توقف عليهِ حالة الديانة المسيحية المستقبلة عرضت اخبار مخيفة بغتةً هيجت جميع العقول الى الغاية

وذلك ان اللاندكراف في وسط استعداداتهِ المقاتلة المشار اليها افتكر بامر مهم في الغاية . فاذ كتم عنهُ كرلوس كل مشورة مهمة وغضب من المعاملة التي عومل بها البروتستانت في مدة ذلك المجمع وتحقق انهُ لم يبقَ لهم باب للصلح ولم يشك بان حريتهم قد وقعت تحت خطر عظيم في اوجسبرج وشعر بعدم استطاعتهِ على ان يخفي تحت صورة الاعتدال الغضب الذي ملأ نفسهُ وفضلاً عن ذلك كانت طبيعتهُ سريعة حارة عازمة فعزم على ترك المدينة والانطلاق الى ولايتهِ لكي يتصرف بحرية ويكون كنجدة للاصلاح

ولاجراء هذا العمل اقتضى حفظ الامر سرًّا لانهُ لو كشف لكان لا محالة وُضع تحت الحجز وهذا العمل الجسور كان هيج تلك الاعمال المتطرفة التي اراد ان يهرب منها

واليوم الذي طلب فيهِ فيلبس الاذن بالانطلاق من الامبراطور كان يوم

السبت في ٦ آب فانهُ صبر الى ابتداء الليل وحينئذٍ بعد المغرب بنحو ساعتين اخفى نفسهُ تحت لباس اجنبي ومن دون ان يودع احدًا من اصدقائهِ وبالاحتراز الكلي اخذ في طريقهِ نحو ابواب المدينة بالقرب من الوقت الذي تُغلق فيهِ غالبًا وتبعهُ خمسة او ستة من فرسانهِ كل على حدتهِ وبمسافة منهُ وفي تلك الاوقات المضطربة ألّا يلقي مرور هولاء الناس المتسلحين شبهة . فقطع فيلبس الازقة من دون خطر ودنا من الباب وجاز كانّهُ من دون اكتراث في وسط الحراس بين الاجناد المتفرقين فلم يتحرك احد بل بقي الجميع جلوسًا متكاسلين كانهُ لم يحدث شي لاغير مالوف فجاز فيلبس من غير ان يُعرَف وهكذا جازت خيالتهُ الخمسة او الستة ولما انتهوا الى البرية المتسعة للوقت نخست هذه الزمرة القليلة خيلها وهربت بسرعة عظيمة حتى بعدت عن اسوار المدينة الامبراطورية

وكان فيلبس من هسى قد دبر تدبيرهُ حسنًا حتى لم يظن احد بعد انهُ قد فر هاربًا واذ كان كرلوس في مدة الليل واضعًا حراسةً على ابواب المدينة ظن ان اللاندكراف لم يزل داخل المدينة ولما اجتمع البروتستانت قبل الظهر باربع ساعات في المجلس تعجب امراء الفريقين من غياب فيلبس من هسى على انهم كانوا معتادين ان يروهُ معتزلاً وظن انهُ منحرف المزاج ولم يكن احد يظن انهُ كان بمسافة اثني عشر او خمسة عشر فرسخًا عن اوجسبرج

وبعد الفراغ من المحاورة اذ كان الجميع راجعين الى منازلهم ومن الجانب الواحد منتخب برندنبرج واصحابهُ يتفاخرون بالخطاب الذي قدموهُ ومنتخب سكسونيا واصحابهُ من الجهة الاخرى عازمين على ان يخسروا كل شيء صار السوال في منزل اللاندكراف عن سبب غيابهِ فسالوا بالحاج سالتز ونوزبيكر ومابر وشنيف واخيرًا المشيرون الهسيون اذ لم يعد يمكنهم حفظ السر قالوا ان اللاندكراف قد رجع الى هسى

فانتشر حالاً هذا الخبر في كل المدينة وحركها حركة قوية جدًّا وكرلوس على الخصوص الذي راى نفسهُ قد سُخِر بهِ وخابت امالهُ وهو متيقن كالها ارتعد

واغتاظ جدًّا . والبروتستانت الذين لم يكاشفهم اللاندكراف بسرهِ وقعوا في الحيرة كالبابا وبين الرومانيين انفسهم وخافوا من ان هذا الانصراف الخالي من الفكر يكون بداءة اضطهاد هائل غير ان لوثيروس حالما بلغهُ ما عمل فيلبس اعجبهُ ذلك وصرخ قائلاً حقًّا ان جميع هذه التاخرات والاهانات كافية لكي تملل اكثر من لاندكراف واحد

وكاتب هسي اعطى منتخب سكسونيا مكتوبًا تركهُ لهُ مولاهُ فتكلم فيلبس في هذا المكتوب المشهور عن صحة زوجتهِ وكان قد امر اعوانهُ ان يخبروا المنتخب سرًّا باسباب ذهابهِ الحقيقية واخبر بانهُ قد امر معتمديهِ ان يساعدوا البروتستانت في جميع الاشياء وانذر اصحاب عهدهِ ان لا يسمحوا لانفسهم بوجه من الوجوه ان يحيدوا عن كلمة الله . وقال اما انا فاني احارب لاجل كلمة الله تحت خطر خسارة املاكي وبلادي ورعاياي وحياتي

ومفعول فرار اللاندكراف كان مثل البرق وحصل حينئذٍ انقلاب تام في المجمع فان منتخب منتز واساقفة فرنكونيا جيران فيلبس الاقربين ترايا لهم كانهم راوهُ على التخوم في مقدمة جيش قوي واذ تعجب رئيس اساقفة سلزبرج من خوفهم قالوا لهُ آه لو كنت مكاننا لكنت تفعل كما فعلنا وفرديننـد اذ عرف الاتصالية القوية الكائنة بين فيلبس ودوك وارتمبرج ارتعد فرقًا على ولايات هذا الامير التي كانت مغتصبة من اوستريا وكرلوس الخامس الذي انخدع نظرًا الى هولاء الامراء الذين حسبهم جبانين جدًّا وعاملهم بهذا المقدار من الافتراء لم يشك بان عمل فيلبس هذا الفجائي كان براي شوري البروتستانت فراى الجميع علامة الحرب في انطلاق اللاندكراف السريع وظنوا بانهم على غفلة برونهُ في اول جيشهِ على حدود اعدائهِ ولم يكن احد مستعدًّا ولا اراد احد ان يكون مستعدًّا فسقطت صاعقة في وسط المجمع فكانوا يخبرون بعضهم بعضًا باعين مضطربة وهيئات خائفة وكان كل شيء في اضطراب في اوجسبرج والسعاة كانوا يحملون الى اماكن بعيدة الحيرة والاندهال . وهذا الخوف حوَّل حالاً اعداء الاصلاح

وفظاظة كرلوس والامراء انكسرت حدّتها في تلك الليلة المستحقة الذكر كانهُ بسحر والذئاب الضارية استحالت بغتةً الى حملان ودبعة حليمة

وكان لم يزل صباح الاحد فطلب حالاً كرلوس الخامس اجتماع الجمع بعد الظهر فقال الامير فردريك عن لسان الامبراطور ان اللاندكراف ترك اوجسبرج وجلالة بومل ان اصدقاء هذا الامير انفسهم لم يطّلعوا على انصرافهِ فان فيلبس الهسي قد انطلق بدون معرفة الامبراطور بل ضد نهيهِ الصريح وبذلك نقض كل واجباتهِ قصداً ان يفصل الجمع ولكن الامبراطور يناشدكم ان لا تسمحوا لانفسكم بان تضلوا بواسطتهِ بل بالحري ان تساعدوا في انهاء حسن لهذا المحفل العام وبذلك تحصلون على ممنونية جلالتهِ

فاجاب البروتستانت ان انطلاق اللاندكراف هو بدون اطلاعهم وانهم سمعوا ذلك بالحزن ولو عرفوا ذلك لكانوا منعوهُ على انهم لا يشكون بان لهذا الامير اسباباً صحيحة تحملهُ على هذا العمل وعدا ذلك قد فوّض مشيريهِ سلطةً كاملاً وانهم مستعدون لان يعملوا كل شيء لانهاء الجمع بطريق لائق . وحينئذٍ اذ كانوا واثقين بجنودهم وعازمين على مقاومة اعمال كرلوس الخارجة عن الاصول قالوا قيل ان ابواب المدينة قد أُغلقت بسببنا فنترجى جلالتك ان تبطل هذا الامر وان تمنع صدور مثل هذه الاوامر في المستقبل

ولم يقع كرلوس قط في مثل تلك الحيرة فانهُ تكلم الآن كاب وهم ذكّروهُ بانهُ قبل قليل قد تصرف كظالم فاحتاج الامر الى حجة فاجاب الامير البلاتيني ان وجود اجناد الامبراطور على الابواب ليس بسببكم فلا تصدقوا الذين يقولون لكم ذلك فانهُ حدث البارحة نزاع بين اثنين من الجنود فاجتمع جمهور وهذا هو السبب الذي حمل الامبراطور على هذا العمل وعدا ذلك ان مثل هذه الامور لا تُعمَل ايضاً من دون ان يعلم بها اولاً منتخب سكسونيا نظير قائد المملكة فأُصدرت الاوامر حالاً بفتح الابواب

والحزب الروماني لم يالُ جهداً لاقناع البروتستانت بارادتهِ الصالحة

نحوهم وظهرت رقة غير معتادة في كلام الامير البالاتيني وفي وجه كرلوس وامراء الحزب البابا وي الذين كانوا قبلاً فظين بهذا المقدار تغيروا ايضًا فانهم اضطروا بسرعة لان يتكلموا علانية فاذا ارادوا الحرب فليكن حرب حالاً ولم يكونوا مستعدين لذلك

الآانهم تقاعدوا عند هذا المنظر المريع فكيف يرفعون السلاح ضد البروتستانت مع معرفتهم بالغيرة الوقادة التي كانت تحركهم الم يُقرّ في كل مكان بمساوي الكنيسة وهل يمكن الامراء الرومانيين ان يركنوا الى رعاياهم وعدا ذلك ماذا تكون نتيجة الحرب الّا زيادة صولة الامبراطور. ووكلاء البابا وبين الرومانيين وامراء باڤاريا على الخصوص كانوا يودون لو راوا كرلوس في حرب مع البروتستانت مومّلين انه بهذه الواسطة تضعف قوته ولكن صار بالعكس وقصد الامبراطوران يحارب الاراتقة بجنودهم ومن ثمّ رفضوا الاستعانة بالاسلحة برغبة تساوي الرغبة التي طلبوها بها في اول الامر لما ظنوا انهم بذلك يخوفون البروتستانت

فتغير كل شيء في اوجسبرج والحزب الروماني أُقعِد وضعف وانحل والسيف الذي جُرِّد أُرجع بسرعة الى غمده واخذ الجميع يصرخون الصلح الصلح

الفصل الحادي عشر

العمدة الممتزجة ورياء البابا ويين ومخاتلتهم . رسائل لوثيروس . القضايا الثلاث . خيبة الامل . تسليم رومية . دعاء لوثيروس الى اصحابه حتى يذهبوا من اوجسبرج

ثم دخل الجمع في درجته الثالثة وكما ان مدة التملقات قد عقبها مدة التهديدات جاءت حينئذٍ مدة الترتيبات ووقع الاصلاح تحت مخاطر جديدة قوية. واذ رات رومية السيف قد خُطِف من قبضة يدها قبضت على الشبكة وربطت اعداءها

بر باطات الانسانية ولفائف المحبة فكادت تطرحهم بلطافة الى الهاوية وفي ١٦ آب قبل الظهر باربع ساعات نُظِمت عمدة ممتزجة لكلا الحزبين فيها اميران ومشترعان وثلاثة لاهوتيين فمن الحزب الروماني هنري دوك برنسويك واسقف اوجسبرج وكاتبا بادن وكولون مع آك وكوكلاوس وءِيبينا ومن الحزب البروتستانتي جرجس مرغريف برندنبرج وابن منتخب سكسونيا والكاتبان بروك وهلّر مع ملانكثون وبرنتز وشنيف

فاتفقوا على ان يجعلوا اقرار الاقاليم الانجيلية قاعدةً فاخذوا يقراونهُ قانونًا قانونًا فاظهر اللاهوتيون الرومانيون تنازلاً غير معهود ومن واحد وعشرين قانونا تعليميًّا لم يكن سوى ستة او سبعة اعترضوا عليها . فاختلفوا حينًا من جهة الخطية الاصلية واخيرًا اتفقوا فيها اذ سلم البروتستانت بان المعمودية تمحو ذنب تلك الخطية والبابا ويون اتفقوا انها لا تزيل الشهوة واما من جهة الكنيسة فاطبق رايهم على انها تحتوي اناسًا قد يسين وخطاة واتفقوا ايضًا في امر الاعتراف ورفض البروتستانت على الخصوص كامر مستحيل تعداد جميع الخطايا الموصوفة من رومية والمعلم آك سلّم بهذا الامر

ولم يبقَ سوى ثلاثة تعاليم اختلفوا فيها . التعليم الاول التوبة فان العلماء الرومانيين قالوا انها تتضمن الندامة والاقرار والقانون او الوفاء واما البروتستانت فنفوا الاخير واذ راى الرومانيون واضحًا انهُ اذا سقط هذا القانون تسقط الغفرانات والمطهر وغيرها من تعاليمهم وارباحهم حاموا عنهُ بنشاط فقالوا نسلّم بان القانون الموضوع من الخوري لا يصدر منهُ مغفرة ذنب الخطية ولكننا نعتقد بانهُ ضروري لنوال رفع القصاص الذي تستوجبهُ

والقضية الثانية التي وقع فيها الاختلاف هي طلب شفاعة القديسين والثالثة وهي العظمى التبرير بالايمان . وكان من اهم الامور للرومانيين التمسك باستحقاقات الاعمال وكل نظامهم في الحقيقة مبني على ذلك ومن ثمَّ اشهر آك الحرب على هذه العبارة ان الايمان وحدهُ يبرر فقال ان لفظة وحدهُ لا نقدر ان نحتملها فانهُ يتولد

منها شكوك وتجعل الناس متوحشين ومنافقين

اما البروتستانت فلم يريدوا ان يسمعوا مثل هذا الاحتجاج حتى انهم عندما سالوا بعضهم بعضًا هل نتمسك بان الايمان وحدهُ يبررنا مجانًا اجاب احدهم مبالغًا لا محالة لا محالة مجانًا مجانًا. حتى انهم استعانوا بشواهد مستغربة فقالوا ان افلاطون يقول انهُ ليس بالاعمال الخارجية ولكن بالفضيلة يجب ان يُعبَد الله

فقال اللاهوتيون الرومانيون نعم اننا انما نتكلم عن الاعمال المعمولة بالنعمة غير اننا نقول انهُ في مثل هذه الاعمال شيء من الاستحقاق. فقال البروتستانت انهم لا يقدرون ان يسلموا بذلك

الّا انهم قربوا اكثر من المامول فان اللاهوتيين الرومانيين اذ عرفوا جيدًا الحالة التي هم فيها اتفقوا على ان يتظاهروا بالاتفاق ان لا يتفقوا في الحقيقة. مثالهُ كل واحد عرف ان البروتستانت يرفضون الاستحالة ولكن اذ كان قانون الاقرار ممكنًا ان يوخذ بالمعنى الروماني قبلهُ الباباويون وهم انما اخروا نصرتهم الى وقت اخر والعبارات العامة التي استُعملت في القضايا التي تحت الجدال يمكن تفسيرها في وقت متاخر بطريق يوافق تعليم الرومانيين والسلطة الكنائسية تحكم حينئذٍ بان هذا هو التفسير الحقيقي الوحيد ورومية بواسطة استعمالها هذا الرياء مدة قصيرة ترجع فتجلس على التخت. الم ترَ في ايامنا قوانين الكنيسة الانكليزية التسعة والثلاثين قد فُسِّرت تفسيرًا غير صحيح يوافق المجمع التريدنتيني. بعض الدعاوي لا تخلو من الكذب. وهذا التدبير قد أُجري بحذاقة كما انهُ قد اختُرع بخبث

فكان اعضاء العمدة على احسن حال بعضهم مع بعض وبان ان الاتفاق قد رجع الآن انزعاجًا واحدًا اوقع اضطرابًا في تلك الدقيقة السعيدة وهو الفكر عن اللاندكراف فقالوا ان ذلك المجنون الفتى اذ لا يعلم اننا قد كدنا نتفق لا شك انهُ يكون قد اخذ في تجميع عساكرهِ فيجب ان نرجعهُ ونجعلهُ شاهدًا لاتفاقنا القلبي وفي صباح ١٢ آب واحد من اعضاء العمدة هنري دوك برنسويك خرج

مع مشير من قبل الامبراطور لكي يتم هذا العمل الشاق وجرجس دوك سكسونيا سدّ مكانهُ في العمدة

ثم انتقلوا من الجزء الاول من الاقرار الى الجزء الثاني اي من التعاليم الى الخرافات وهناك اللاهوتيون الرومانيون لم يقدروا ان يذعنوا بمثل تلك السهولة لانهم اذا اظهروا الاتفاق مع البروتستانت يتلاشى شرفهم ورياستهم ولاجل ذلك تراهم قد حفظوا دهاءهم وقوتهم لهذا الامر

فابتداوا بالاقتراب على قدر الامكان الى البروتستانت لانهم كلما سلموا جذبوا الاصلاح اليهم حتى يفطسوهُ فقالوا اننا نفتكر اننا باذن قداسته وقبول جلالته يمكننا ان نسمح الى المجمع الآتي بالشركة بالشكلين حيث جرت العادة في ذلك غير انهُ يجب على قسوسكم ان يعظوا في عيد الفصح ان ذلك ليس ترتيبًا الهيًا وان المسيح هو بتمامهِ في كل شكل

ثم قالوا واما الكهنة المتزوجون فاذ نرغب ان نعفو عن النساء المسكينات اللواتي اطغوهنّ واعالة اولادهنّ الابرياء ومنع كل نوع من الشكوك نحتملهم الى المجمع القادم وحينئذٍ نرى هل يجوز قبول المتزوجين في الدرجات المقدسة كما كان الحال في الكنيسة الاولى مدة قرون كثيرة

واخيرًا نقرُّ بان ذبيحة القداس هي سر رمز وذبيحة تذكار وتذكار آلام وموت المسيح على الصليب

وهذا كان تسليمًا بامور كثيرة ثم اتت نوبة جماعة البروتستانت لانهُ اذا كانت رومية تظهر بانها تعطي فذلك لكي تاخذ عوضًا عمّا تعطيهِ اضعافًا

والقضية العظيمة هي الكنيسة واعالتها وسياستها ومن يهتم بها ولم يقدروا ان يروا الاَّ واسطتين وهما الامراء والاساقفة فاذا خافوا من الامراء يحكموا للاساقفة وان خافوا الاساقفة يحكموا للامراء وكانوا في ذلك الوقت بعيدين جدًا عن الحالة الصحيحة اي حكم الكنيسة لنفسها واعالتها نفسها اعني بالشعب المسيحي وقال اللاهوتيون السكسونيون في الراي الذي قدّموهُ في ١٨ آب ان الامراء المدنيين

مع تمادي الزمان يقصرون عن سياسة الكنيسة لانهم ليسوا اهلاً لاجراء ذلك وعدا ذلك انهُ يكلفهم كلفة باهظة بخلاف الاساقفة فان لهم املاكاً مُقامة لهذه الوظيفة

وهكذا الوهم من عدم اقتدار الحكومة والخوف من عدم مبالاتها الفيا البروتستانت بين يدي الاساقفة ولذلك ارتأوا ان يرجعوا للاساقفة ابرشياتهم وحفظ التاديب والرياسة على الخوارنة بشرط ان لا يضطهدوا التعليم الانجيلي ولا يضيقوا على الرعاة بنذور واحمال ثقيلة فقالوا انهُ لا يمكننا من دون اسباب قوية ان نمزق ذلك النظام الذي يجعل الاساقفة فوق الخوارنة وقد وُجِد في الكنيسة منذ البداءة فانهُ خطر امام الرب تغيير ترتيب السياسات . احتجاجهم هذا لم يُبنَ على الكتاب المقدس كما هو ظاهر بل على التاريخ الكنائسي

ولاهوتيو البروتستانت تقدموا اكثر من ذلك اي الى الخطوة الاخيرة القطعية فقبلوا بان يقروا بان البابا هو (بحق بشري) الاسقف الاعظم للمسيحيين فقالوا ولئن كان البابا هو المسيح الكذاب يمكننا ان نكون تحت حكمهِ كما كان اليهود تحت حكم فرعون . وبعد ذلك تحت حكم قيافا . ولا شك ان هذين التشبيهين لم يكونا مدحًا للبابا . ثم قال العلماء غير انهُ يجب ان يُعطى لنا بالتمام تعليم صحيح

والبائن ان الكاتب بروك وحدهُ كان مطلعًا على الحق فكتب على حاشية بخط واضح لا يمكننا ان نقرَّ بالبابا لاننا نقول انهُ المسيح الكذاب ولانهُ يدَّعي بالرياسة بحق الهي . واخيرًا قبل اللاهوتيون البروتستانت ان يتفقوا مع رومية في الطقوس والاصوام وطرق العبادة التي لا طائل تحتها وتمهد المتغب بالقاء الحجز على الاموال الكنائسية التي قد جعلت زمنية الى ان يحكم المجمع القادم

ولم يظهر قط الروح اللوثراني السليم باكثر وضوح مما ظهر حينئذٍ وكتب ملانكثون يقول اننا قد وعدنا اخصامنا ان نسلم لهم ببعض القضايا التي تتعلق بسياسة الكنيسة مما يمكن التسليم بهِ من دون جرح الضمير . الاَّ انهم ابتداوا يشكون جدًّا في هل التسليمات الكنائسية لا تجرُّ معها تسليمات تعليمية

فكان الاصلاح آخذًا في الاندفاع واذا تقدم قليلاً يضيع فكانت الاختلافات والاضطرابات والاهوال قد ابتدات تنتشر بين صفوفهِ فقال اصدقاؤُهُ ان ملانكثون قد صار اكثر صباء من الصبيان الاَّ انهُ مع ذلك غار بهذا المقدار حتى ان الكاتب لونيبرج اذ قدم بعض الاعتراضات ضد تلك التسليمات التي لم يسبق لها مثل رفع معلم الفنون الصغير راسهُ وقال بصوت حاد خشن ان كل من تجاسر على القول ان الوسائط المشار اليها ليست بمسيحية فهو كاذب وخادع. فرد عليهِ الكاتب حالاً بمثل كلامهِ الاَّ ان هذه العبارات لا يمكنها ان تنقص من شهرة ملانكثون في الرقة فانهُ بعد اجتهادات كثيرة بهذا المقدار من دون فائدة ضجر وحنق وكانت كلما انهُ تبلغ الى اعمق ما انتظر منها وهو لم يكن الرجل الوحيد الذي فقدت آدابهُ فان برنتز ظهر غليظًا خشنًا وعادم اللطف والكاتب هلر كان قد اضلَّ مرغريف برندنبرج التقي وحول شجاعة هذا الامير الى جبانة ولم يبقَ للمنتخب عضد آخر بشري غير كاتبهِ بروك حتى ان هذا الرجل الثابت ابتدا يخاف عند ما راى انهُ وحدهُ

الاَّ انهُ لم يكن وحدهُ والمقاومات الاشد اتت من الخارج فقال اصدقاء اللاهوتيين السكسونيين الخائفين لهم اذا كان صحيحًا انكم تسلمون بمثل هذه التسليمات فان الحرية المسيحية قد تلاشت فما هو اتفاقكم الموهوم فانهُ سحابة كثيفة ترفعونها الى الجو لكي تكسفوا الشمس التي كانت قد ابتدات ان تنير الكنيسة فان الشعب المسيحي لا يقبلون ابدًا شروطًا مضادة بهذا المقدار لكلام الله وربكم الوحيد يكون انكم تعطون اعداء الانجيل اعتذارًا واضحًا لكي يذبحوا الذين يبقون امناء لهُ فقالت اوجسبرج باسرها ان الموت مع يسوع المسيح لاحسن من نوال محبة جميع العالم بدونهِ

ولم يكن احد اكثر خوفًا من لوثيروس عند ما راى البناء المجيد الذي اقامهُ الله بيدهِ يكاد يسقط الى الخراب في يدي ملانكثون. وفي اليوم الذي بلغتهُ فيهِ هذه الاخبار كتب خمسة مكاتيب الى المنتخب وملانكثون وسپالاتين ويوناس

وبرنتز وكانت جميعها مملوءة شجاعة وايمانًا

فقال بلغني انكم ابتدأتم بعمل عجيب اي المصالحة بين لوثيروس والبابا . ولكن البابا لا يريد ان يصالح ولوثيروس يستعفي . واذا كنتم رغمًا عنها تنجحون في هذا الامر فاني اقتداء بكم اجمع بين المسيح وبليعال

اني اعلم ان العالم مملوء من الماحكين الذين يعمون تعليم التبرير بالايمان ومن اصحاب الاوهام الذين يضطهدونكم فلا تتعجبوا من ذلك بل واظبوا على المحاماة عنهُ بشجاعة لانهُ هو عقب زرع المراة الذي يسحق راس الحية

واحذروا ايضًا من سلطة الاساقفة خوفًا من اننا عن قليل نلتزم بان نبتدي بقتال اشد من الاول فانهم ياخذون تسليماتنا باتساع نعم باتساع عظيم ودائمًا باكثر اتساع ويعطوننا تسليماتهم ضيقة نعم بضيقة كاية ودائمًا باكثر ضيقة فجميع هذه المراسلات هي غير ممكنة ما لم يرفض البابا باباوية

انهُ سبب لطيف حقًّا السبب الذي يقدمهُ اخصامنا فانهم يقولون انهم لا يقدرون ان يضبطوا رعاياهم ان لم ندع في كل مكان ان الحق معهم كانَّ الله انما قد علم بكلمتهِ لكي يقهر اعداؤُنا شعبنا كاراداتهم

انهم يشيعون اننا نشجب كل الكنيسة كلاَّ اننا لا نشجبها واما هم فانهم يشجبون كل كلمة الله وكلمة الله هي اكثر من الكنيسة

وجزمُ المصلحين هذا المهم انهى الخصام بين المسيحيين الانجيليين والباباوية ولكن وا اسفاه اننا قد راينا مرارًا البروتستانت يرجعون على هذه النقطة الاساسية الى غلط رومية ويضعون الكنيسة المنظورة فوق كلام الله

ثم استتلى لوثيروس قائلاً اني اكتب اليكم الآن ان تصدّقوا كما نصدّق نحن جميعًا وذلك بالطاعة ليسوع المسيح بان كمباجيو هو شيطان مارد ولست اقدر ان اصف كم انا متحرك بواسطة الشروط التي نقدّمونها وتدبير كمباجيو والبابا لاجل امتحاننا اولاً بالتهديدات ثم ان لم تنجح هذه فبالحيل فقد غلبتم على التجربة الاولى واحتملتم مجيء قيصر الهائل واما نظرًا الى التجربة الثانية فتصرّفوا

بالشجاعة ولا تسلموا بشيء لاخصامكم الا بما يمكن برهانهُ من كلام الله نفسهِ

ولكن اذا كنتم معاذ الله لا تشهرون كل الانجيل بل بالعكس حبستم ذلك النسر المجيد في كيس فلا تشكوا بان لوثيروس نعم لوثيروس ياتي ويخلّص النسر بنوع مجيد وذلك صحيح كما ان حياة المسيح صحيحة

فهكذا تكلم لوثيروس ولكن باطلاً فان كل شيء في اوجسبرج كان مائلاً الى خراب قريب وكان على عيني ملانكثون عصابة لم يقدر شيء على تمزيقها فلم يعد يصغى الى لوثيروس ولا التفت الى الشهرة فقال فاذا كان لا يليق بنا ان نذعن لصراخ العامة فانهُ يلزمنا ان نفتكر بالسلامة والذرية واذا رفعنا سلطة الاساقفة فماذا تكون النتيجة لخلفائنا فان السلطة المدنية لا تسال قطعًا عن صالح الديانة وعدا ذلك ان التطرف في عدم المشابهة بين الكنائس هو مضر للسلامة فيجب علينا ان نتحد مع الاساقفة لئلاً يغشانا الى الابد عار الانشقاق

فاصغى الانجيليون بكل استعداد الى ملانكثون واجتهدوا بنشاط ان يربطوا بالباباوية برباط الرياسة تلك الكنيسة التي اعتقها الله بنوع عجيب جدًّا والمذهب البروتستانتي هجم بعماوة الى اشراك اعدائهِ وكانت اصوات رزينة قد بشرت برجوع اللوثرانيين الى حضن الكنيسة الرومانية . قال زوينكل انهم آخذون في اعداد نكولهم والاجتياز الى الباباويين. وكرلوس الخامس صاحب التدبير الحسن تصرف بكل حكمة محترزًا من التلفظ بكلمة متكبرة تكون سببًا لنوات الغلبة بخلاف الاكليروس الرومانيين فانهم لم يقدروا ان يضبطوا انفسهم فكانت كبرياؤهم وافتراؤهم يزدادان كل يوم. قال ملانكثون ان الواحد لا يمكنهُ ان يصدق ابدًا امارات الغلبة التي ابداها الباباويون. وكان الذلك سبب كافٍ لان الاتفاق صار على اخر النهاية ولم يبقَ سوى خطوة او خطوتين حتى يتهور الاصلاح الى الهلاك

فمن يقدر ان يمنع هذا الخراب الهائل. ان لوثيروس هو الذي نطق بالاسم الذي يجب ان تنظر اليهِ اعين الجميع بقولهِ ان المسيح يحيا وذلك الذي غلبت

به فظاظة اعدائنا يقوّينا لكي نستظهر على حيلهم . وهذا الاسم الذي هو بالحقيقة الملجا الوحيد لم يخيّب الاصلاح

فلو ارادت الرياسة الرومانية تحت شروط مقبولة ان تقبل البروتستانت الذين كانوا مستعدين لان يسلموا لكانت انت آخرتهم لانها متى حازتهم دفعة في قبضة يدها فانها لا تتركهم حتى تفطسهم ولكن الله اعمى البابوية وبهذه الواسطة خلص كنيستهُ وكانت المشيخة الرومانية قد جزمت بانهُ لا يسلم بشيء وكمباجيو اذ افتخر بغلبتهِ قال لا تسليم. وهو حرّك السماء والارض لكي يضرم غيرة كرلوس الكاثوليكية في تلك الساعة الجازمة ومن الامبراطور انتقل الى الامراء وقال ان العزوبة والاعتراف ومنع الكاس والقداسات هي جميعها واجبة ويجب ان تكون لنا باجمعها وهذا القول للمسيحيين الانجيليين كان كقول السامنيين للرومانيين القدماء هذا هو البوغاز فادخلوا فيهِ

فراى البروتستانت النير وارتاعوا منهُ والله احيا شجاعة المعترفين في قلوبهم الضعيفة فرفعوا رؤوسهم ورفضوا هذا التسليم المذلّ والوقت انحلت العمدة

وكان ذلك نجاة عظيمة الاّ انهُ حالاً ظهر خطر جديد . كان يجب على الانجيليين ان يتركوا حالاً اوجسبرج ولكن الشيطان كما قال واحد منهم تشبه بملاك النور واعمى ابصار بصائرهم فبقوا. فلم تخسر رومية كل شيء وروح الكذب والخداع بقي لهُ باب

ظن اهل البلاط ان تلك النهاية المكروهة التي وصلت اليها العمدة تُنسَب الى بعض الاشخاص ذوي العقول الغليظة وعلى الخصوص الى الدوك جرجس ومن ثم عزموا على اقامة عمدة اخرى مؤلفة من ستة اشخاص فقط فالى الجانب الواحد آك مع كاتبي كولون وبادن والى الجانب الآخر ملانكثون مع الكاتبين هلر وبروك فقبل البروتستانت ذلك وابتدا كل شيء من جديد

وحينئذٍ زاد الخوف بين اقوى اتباع الاصلاح فقالوا اذا عرضنا انفسنا من دون انقطاع لمخاطر جديدة أفما نسقط اخيرًا ووكلاء نورمبرج على الخصوص

جزموا بان مدينتهم لا تلقي نفسها ايضًا تحت نير الاساقفة المكروه وقالوا ان الراي الذي يتبعهُ ملانكثون انما هو راي ايراسموس المتقلب وقال آخرون قولوا بالحري راي اخيتوفال (٢ مل ١٥) ثم قالوا لو اشترى البابا ملانكثون لما عمل ملانكثون احسن مما هو عامل لاجل حصول الغلبة للبابا

واللاندكراف بنوع خصوصي اغتاظ من تلك الجبانة فكتب الى زوينكل يقول ان ملانكثون يمشي الى الوراء مثل السرطان . وفيلبس امير هسى وهو في فريدوالد حيث انطلق بعد فراره من اوجسبرج اجتهد حتى يمنع سقوط المذهب البروتستانتي فكتب الى اعوانهِ في اوجسبرج اننا متى ابتدانا بالتسليم نسلم اكثر فاكثر فاخبروا اذًا اصحابي اني ارفض هذه المصالحات الماكرة فاذا كنا مسيحيين لا يجوز ان نلحق فائدتنا بل عزاء ضمائر كثيرة متعوبة مضنوكة لا خلاص لها اذا نزعنا منها كلمة الله فان الاساقفة ليسوا اساقفة حقيقيين لانهم لا يتكلمون حسب الكتب المقدسة فاذا قبلناهم فماذا تكون النتيجة . يعزلون خدامنا ويسدون فم الانجيل ويرجعون المساوي القديمة فتكون الحالة الاخيرة اشر من الاولى فاذا قبل البابويون بان ينادى بالانجيل بحرية فلنتفق معهم لان الحق هو الاقوى ويستاصل كل ما سواهُ والاَّ فلا فهذه الساعة ليست ساعة تسليم بل ساعة ثبات الى الموت فابطلوا هذه الاتحادات المخيفة التي للانكثون وقولوا لوكلاء المدن عن لساني ان يكونوا رجالاً لا نساء فلا نخف شيئًا لان الله معنا

ان ملانكثون واصحابهُ الذين رُشقوا على هذا النمط طلبوا ان يبرروا انفسهم فمن الجهة الواحدة قالوا انهم اذا حفظوا التعليم فانهُ اخيرًا يقلب الرياسة . فاذا كان الامر كذلك فما الداعي الى اعادتها وقد انقلبت . اما يخشى ان التعليم الذي قد أُضعف هكذا لا تبقى لهُ قوة كافية لزحزحة البابوية . ومن الجهة الاخرى اشار ملانكثون واصحابهُ الى خيالين خافوا منهما الواحد الحرب الذي كان في زعمهم قريبًا فقالوا انهُ فضلاً عن جلبهِ معهُ شرورًا زمنية لا تحصى كخراب جرمانيا والقتل والفسق والنفاق والنهب يحدث منهُ شرور روحية افظع ولا بد ينتج منهُ

خالل في كل الديانة . والخيال الثاني هو تسلط الحكومة على الكنيسة فان ملانكثون واصحابهُ سبقوا فراوا الفاقة التي بوصل الامراء الكنيسة اليها واستمالة تراتيبها وآلاتها شيئاً فشيئاً الى الزمنيات والموت الروحي الذي ينتج من ذلك ورجعوا الى الوراء من هذا المنظر المريع . فقال برنتزان الناس الصالحين لا يفتكرون ان الحكم يجب ان يرتب خدمة الكنيسة . ثم استتلى بتهكمٍ قائلاً الم تختبروا انتم انفسكم باية حكمة ولطافة هولاء الفاظاء (فاني هكذا القب روساء واعوان الامراء) يعاملون خدام الكنيسة والكنيسة نفسها . فاحب اليَّ ان اموت سبع موتات . وقال ملانكثون اني ارى ما هي الكنيسة التي تكون لنا اذا أُبطلت السياسة الكنائسية واني ارى في المستقبل جوراً اقل احتمالاً مما قد وُجد الى هذا اليوم . ثم ان فيلبس المسكين اذ ذل بواسطة التشكيات التي سكبت عليهِ من كل جانب صرخ قائلاً فاذا كنت انا الشخص الذي هيج هذا العاصف فاترجى جلالهُ ان يلقيني نظير يونان في البحر ثم ينتشلني لكي يسلمني للعذاب والحريق . وتراايا لهُ الامور تتسهل كلها اذا سلموا بالاسقفية الرومانية وفي العمدة المؤلفة من الستة المار ذكرهم صار التسليم بالكاس للعوام وزواج الرعاة وقضية الصلوة الى القديسين بانت لهم امراً زهيداً الاَّ انهم وقفوا عند ثلاثة تعاليم لم يستطع الانجيليون ان يسلموا فيها الاول وجوب الوفاء البشري لاجل الغفران عن قصاصات الخطية والثاني وجود شيء من الاستحقاقات في كل عمل صالح الثالث فائدة القداسات فاجاب كمباجيو كرلوس الخامس بسرعة وقال آه احب اليَّ ان اقطع ارابًا ولا اسلم بشيء مما يتعلق بالقداسات

فاجاب ارباب الحكومة يا للعجب انكم عندما تتفقون في تعاليم الخلاص العظيمة هل تبقون الى الابد تمزقون وحدة الكنيسة بواسطة هذه القضايا الزهيدة فدعوا اللاهوتيين يجتهدون اجتهاداً اخيرًا فنرى الحزبين يتفقان ورومية تعانق وتمبرج

ولكن الحال لم يكن كذلك بل تحت هذه الثلاثة القوانين استتر نظام بجملتهِ.

ذهب الجانب الروماني الى ان بعض الاعمال تنال انعام الله من دون التفات الى حالة العامل وبواسطة قوة ارادة الكنيسة . واما الجانب البروتستانتي فبالعكس تيقن بان هذه السنن الخارجية انما هي تقليدات محضة وان الشيء الوحيد الذي يحصل للانسان انعام الله هو العمل الذي اكملهُ الله بالمسيح على الصليب والشيء الوحيد الذي يملكهُ هذا الانعام هو عمل التجديد الذي يجريهِ المسيح بروحهِ في قلب الخاطي . فالرومانيون بتمسكهم بقضايا هم الثلاث قالوا ان الكنيسة تخلص . وهذا هو تعليم رومية الجوهري والانجيليون برفضهم اياها قالوا ان المسيح وحدهُ يخلص . وهذا هو الديانة المسيحية نفسها . وهذا هو الاختلاف العظيم الذي وُجِد حينئذٍ ولا يزال يفصل الكنيستين وبهذه القضايا الثلاث التي تضع الانفس في قبضة يدي رومية افتكرت انها ترجع كل شيء واظهرت بواسطة تجلدها انها عارفة حالها . ولكن الانجيليين لم يكونوا مائلين الى ترك قضاياهم لحفظ المبدا المسيحي ضد المبدا الكنائسي الذي كان يتوق الى ابتلاعهِ ويسوع المسيح وقف ثابتًا في حضرة الكنيسة فبان ان كل محاورة من ثم فصاعدًا عبث

وضاق بهم الوقت وقد مضى على كرلوس الخامس شهران ونصف وهو يشتغل في اوجسبرج وانجرحت كبرياؤهُ لان اربعة او خمسة من اللاهوتيين اوقفوا تقدم الغالب في وقعة پاڤيا المظفر . فقالوا لهُ عجبًا ان اياماً قليلة كانت كافية لاذلال ملك فرانسا والبابا ومع ذلك لا نقدر ان نستظهر على هولاء الانجيليين . فعزموا على قطع المحاورات . اما آك فحنق لما راى ان الحيل والتهديدات لم تكن فعالة فلم يقدر ان يتمالك نفسهُ في حضرة البروتستانت فصرخ في دقيقة الانصراف قائلاً آه لماذا الامبراطور عند دخولهِ جرمانيا لم يفحص فحصاً عمومياً عن اللوثرانيين . فلو فعل لسمع اجوبة غليظة وراى فضائح الارانقة واضطرمت غيرتهُ بغتةً وساقتهُ الى اهلاك كل هذه البدعة واما الآن فان كلام بروك اللطيف وتسليات ملانكثون تمنعهُ من ان يغضب الى حد اللزوم . وقال آك هذه الكلمات بابتسام الّا انها دلّت على جميع افكارهِ فانتهت المحاورة في ٣٠ آب

وقدم الوكلاء الرومانيون تقريرهم للامبراطور. كانوا وجهًا لوجه ولم يبعدوا بعضهم عن بعض الاَّ ثلاث خطوات ولم يكن يقدر احد الجانبين ان يزيد تقدمًا نحو الآخر حتى ولا عرض شعرة. فهكذا خاب ملانكثون وتسليماتهُ المفرطة اصبحت بلا فائدة فانهُ لاجل محبة الصلح الى درجة غير واجبة اتجه بقلبهِ نحو امر مستحيل. كان ملانكثون في قلبهِ مسيحيًّا حقًّا والله حفظهُ من ضعفهِ العظيم وقطع السلسلة المزمعة ان تجرهُ الى الهلاك ولم يمكن حدوث شيء اسعد للاصلاح من خيبوبة مساعي ملانكثون ولا شيء اسعد لهُ نفسهُ. ورأى اصدقاؤُهُ انهُ ولئن قبل بتسليم اشياء كثيرة لم يكن يقدر ان يسلم المسيح نفسهُ وذلك برّرهُ في اعين البروتستانت

ثم ان منتخب سكسونيا ومرغريف برندنبرج ارسلا يستأذنان كرلوس بالانصراف وفي اول الامر ابى كرلوس بكلام قاسٍ نوعًا الاَّ انهُ اخيرًا ابتدا يناشد هذين الاميرين ان لا يحدثا بواسطة انطلاقهما موانع جديدة للترتيبات التي كان يومل انهاؤُها بعد قليل وسوف نرى ماذا كانت كيفية تلك الترتيبات

والرومانيون اظهروا انهم يضاعفون اجتهاداتهم. اذا خابت حيلهم حينئذٍ تبطل الى الابد ومن ثم تعبوا فيها اكثر فصارت المحاورات في الجنائن وفي الكنائس وعند كنيسة مارجرجس وكنيسة مار موريس بين دوك برنسويك ويوحنا فردريك ابن المنتخب وبين كتّاب بادن وكتّاب سكسونيا وبين كاتب لبيج وملانكثون ولكن جميع هذه الاتعاب لم تفد شيئًا ولذلك عزموا بان يلتجئوا الى وسائط اخرى

فان كرلوس الخامس عزم على ان يمسك هذه القضية بيدهِ وان يقطع العقدة المبلولة التي لم يقدر العلماء ولا الامراء على حلها واذ غضب لما نظر رايهُ برفض وسلطانهُ في خطر ظن ان تلك هي الساعة لتجريد السيف وفي ٤ ايلول الحزب الروماني الذين ما زالوا يجتهدون في اقناع البروتستانت همسوا في اذني ملانكثون بهذه المقاصد المريعة بقولهم اننا بالكد نتجاسر على ان نذكر ذلك ان السيف هو الآن في يدي الامبراطور وبعض الناس يهيجونهُ اكثر فاكثر فانهُ

لا يغضب بسهولة ولكنهُ متى غضب فلا يمكن تسكين غضبهِ

كان لكرلوس سبب للتظاهر بالظلم والتخويف فانهُ كان اخيرًا قد نال من رومية اجابة غير منتظرة اي الرخصة لمجمع واكليمنضوس السابع كان قد وضع طلب الامبراطور امام جمعية فاجابوا كيف يمكن ان الناس الذين يرذلون المجامع القديمة يخضعون لمجمع جديد واكليمنضوس نفسهُ لم يرغب مجمعًا لانهُ خاف مرتعدًا من ذلك بسبب ولادتهِ وسيرتهِ الآن مواعيدهُ في قلعة القديس انجاو وفي بولونيا جعل الامتناع القطعي عن ذلك امرًا مستحيلاً ولهذا اجاب بان العلاج يكون اردا من المرض ولكن اذا كان الامبراطور الذي هو كاثوليكي صالح بهذا المقدار يحكم بان المجمع ضروري بوجه الاطلاق فانهُ يقبل بهِ وذلك تحت شرط ان البروتستانت يخضعون في هذه الفترة لتعاليم الكنيسة وطقوسها ثم عيَّن رومية مكانًا للاجتماع

وحالما انتشرت اخبار هذه الاجابة جدَّ خوفُ الاصلاح البلاط الروماني ووظائف البابا وية التي كانت جميعها تحت البيع بالمزاد سقطت حالاً حتى لم يعد يوجد من يشتريها فوقعت البابا وية في الحيرة ووقعت تجارتها في خطر والقيمة الدارجة تنازلت حالاً في البرس الروماني

ويوم الاربعاء في ٧ ايلول بعد الظهر بساعتين بعد ان دخل الامراء البروتستانت والوكلاء الى كرلوس الخامس قال الامير البلاتيني لهم ان الامبراطور اذ لاحظ عددهم القليل ظن انهم لا يعضدون طوائف جديدة ضد عوائد الكنيسة العامة القديمة مع انهُ يرغب ان يكون حليمًا الى الآخر طلب من قداستهِ انعقاد مجمع. والى حين التئامهِ يجب ان يرجعوا حالاً الى حضن الكنيسة الكاثوليكية ويرجعوا كل شيء الى عادتهِ القديمة

فجاوب البروتستانت في الغد في ٨ ايلول انهم لم ينهضوا طوائف جديدة ضد الكتب المقدسة وانهم بعكس ذلك اذا لم يتفقوا مع اخصامهم فذلك لانهم ارادوا ان يبقوا امناء لكلمة الله وان عقد مجمع عام حر مسيحي في جرمانيا انما هو

اجراء ما قد وعد بهِ المجالس السابقة ولكن لا شيء يلزمهم الى ان يرجعوا الى كنائسهم ترتيباً مضاداً لوصايا الله

وبعد المغرب بساعة ونصف دُعي البروتستانت ثانية الى الامبراطور وذلك بعد محاورة مستطيلة فقال جرجس تروسخيس لهم ان جلالة متعجب من ان اعضاء العمدة الكاثوليكيين قد تنازلوا وسلموا بهذا المقدار كما انهُ متعجب من ان البروتستانت قد رفضوا كل شيء فما هو حزبكم امام جلالهِ الملكي وقداسة البابا ومنتخبي المملكة وامرائها واعوانها وغيرهم من ملوك وقواد ومقتدري المسيحيين وهو عادل بالتمام ان الاقل يخضعون للاكثر فهل ترغبون ان وسائط المصالحة تطول او تبقون مصرين على جوابكم فتكلموا بالحرية لانكم اذا بقيتم مصرين فان الامبراطور يتبصر حالاً في المحاماة عن الكنيسة فغداً بعد الظهر بساعة تاتون بجوابكم الجازم

ومثل هذه الكلمات المهددة لم تخرج قط من فم كرلوس قبل ذلك واتضح انهُ اراد ان يخضع البروتستانت بواسطة التخويف الا انهُ لم يبلغ هذه الغاية فاجابوا في اليوم الثالث اذ أُعطي لهم يوم آخر ان محاولة المصالحة ايضاً انما تتعب الامبراطور والمجمع وانهم انما يطلبون فقط قوانين لاجل حفظ سلامة الجمهور الى ان يجتمع المجمع فاجاب الامبراطور المتشدد يكفي فاني اتبصر بذلك ولكن في هذه الفترة فلا يجب ان احداً يترك اوجسبرج

فوقع كرلوس الخامس في مشكل لم يعلم كيف يتخلص منهُ فان الحكومة عزمت على ان تتداخل في امور الكنيسة ووجدت نفسها ملتزمة ان تلتجي حالاً الى واسطتها الاخيرة وهي السيف . فكرلوس لم يرغب الحرب ولكن كيف يمكنهُ التخلص من ذلك . ان لم يجرِ تهديداتهِ تقع صولتهُ في ارتباك ويقع احتقار على سلطانهِ فطلب مفراً من الجهة الواحدة او الاخرى فلم يبقَ لهُ الآن يطبق عينيهِ ويهجم من دون نقد بر عواقب وهذا الفكر ازعجهُ وهذه الاهتمامات ضايقتهُ فارتبك ارتباكاً تاماً

وفي ذلك الوقت ارسل الملك المنتخب يترجى ان كرلوس لا يغتاظ اذا ترك اوجسبرج فاجاب كرلوس ارتجالاً دعهُ ينتظر جوابي واذ راجع المنتخب انهُ يرسل اعوانهُ لكي يبينوا اسبابهُ لجلالهِ اجاب كرلوس بحنق لا حاجة الى كثرة الكلام دعوا المنتخب يقول اذا كان يريد ان يبقى ام لا

وانتشرت اخبار المخاصمة بين هذين الاميرين القويين وصار الخوف عند الجميع وظنوا ان القتال يبتدي حالاً وصار شغب عظيم في اوجسبرج . كان مساءً وكان الناس يركضون الى هنا وهناك وهجموا على منازل الامراء والوكلاء البروتستانت وخاطبوهم باقوى العبارات فقالوا ان جلالة الملكي مرادهُ الالتجا الى اقوى الوسائط حتى انهم قالوا ان المشاجرات قد ابتدات وقيل ان قائد هرناك اي والتر من كرونبرج عينهُ الامبراطور سر عسكر الجماعة التوتونية وهو عتيد ان يدخل بروسيا بعسكر ويخلع الدوك البرت الذي ارتد عن يد لوثيروس وصار هذا الشغب نفسهُ مدة ليلتين متواليتين فكانوا يضجون ويتنازعون ويتقاتلون على الخصوص داخل وحول منازل الامراء وكانت الحرب قد ابتدات تقريبًا في اوجسبرج . وفي ذلك الوقت في ٢٢ ايلول خرج يوحنا فردريك ابن منتخب سكسونيا من المدينة . وفي ذلك اليوم نفسهِ او غدهِ ابرانيموس ويهاي وكاتب بادن واميرتروخسيس من الجانب الواحد والكاتب بروك وملانكثون من الجانب الآخر اجتمعوا صباحًا في كنيسة مار موريس

ولم يقدر كرلوس مع كل تهديداتهِ ان يعزم على استعمال الاغتصاب وكان يمكنهُ لا محالة بكلمة واحدة مع عساكرهِ الاسبانيولية او رماحتهِ الجرمانية ان يقبض على هولاء القوم غير المذعنين ويعاملهم كالعبيد ولكن هل كرلوس الذي هو من البلاد الواطية الاسبانيولي الذي غاب عشر سنين عن المملكة يتجاسر من دون ان ينهض جرمانيا باسرها على ان يمد يدهُ الى محبوبي الامة أوَلا ينظر الامراء الكاثوليكيون الرومانيون في هذا العمل تعديًا على حقوقهم والوقت لم يكن وقت حرب فكتب ايراسموس الى القاصد ان المذهب اللوثراني اخذ في الامتداد من

البلطيك الى جبال الالب وليس لك الا شيء واحد تعمله وهو ان تحتمله

والمراسلة التي ابتدات في كنيسة القديس موريس بقيت بين مرغريف برندنبرج واميرتروخسيس اما الحزب الروماني فانما طلب السترة ولم يتاخر فضلاً عن ذلك عن ان يضحي كل شيء فانه طلب فقط بعض الاحتفالات المرسحية وهي ان القداس يعمل ببدلة كهنوتية وبالترتيل والقراءة والطقوس وقانونيتهِ وكل ما بقي تُرِك الى المجمع القادم وان البروتستانت يجب ان يتصرفوا الى ذلك الوقت بطريق يعطون بهِ حساباً لله وللمجمع وللجلالة

ومن جانب البروتستانت كانت الريح قد تغيرت فلم يعودوا يرغبون في الصلح مع رومية وكانت القشور قد سقطت اخيرًا عن عيونهم واطلعوا برعدة على الهاوية التي كادوا يسقطون فيها فان يوناس وسپالاتين وملانكثون ايضاً كانوا متفقين فقالوا اننا الى الآن قد اطعنا وصية بولس الرسول سالموا جميع الناس والآن يجب ان نطيع وصية المسيح القائل احترزوا من خمير الفريسيين الذي هو الرياء فعند اخصامنا لا يوجد الا الحيل والخداع وغايتهم الوحيدة هي ان يخنقوا تعليمنا الذي هو الحق نفسهُ ولهم امل ان يحفظوا تعاليمهم المكروهة عن المطهر والغفرانات والباباوية بما اننا قد ضربنا صفحًا عنها فلنحذر من ان نسلم المسيح وكلمتهُ لكي نرضي المسيح الكذاب والشيطان

اما لوثيروس في الوقت نفسهِ فضاعف تضرعاتهِ لكي يخرج اصدقاءهُ من اوجسبرج فصرخ نحوهم ارجعوا ارجعوا ارجعوا حتى ولو صرتم بذلك ملعونين من البابا والامبراطور. فانكم قد اعترفتم بيسوع المسيح وطلبتم السلامة واطعتم كرلوس واحتملتم الاهانات وكابدتم التجديفات فاني اعتبركم قد يسين نظير اعضاء امناء ليسوع المسيح فقد فعلتم كفاية وزيادة والآن قد اتت نوبة الرب للعمل وهو لا محالة يعمل فان عندهم اقرارنا وعندهم الانجيل فليقبلوا ان ارادوا والا فليذهبوا. ان جاءت حرب فلتجئ. تضرعنا وحاججنا بالكفاية والرب معد اخصامنا ضحية وهو يبيد عظمتهم ويخلص شعبهُ وينجينا من بابل واسوارها المشتعلة

الفصل الثاني عشر

استعدادات المنتخب وغيظهُ . الاجتماع الاخير . غيظ البابا وبين . اعادة البابا وية في اوجسبرج والشغب في الكنيسة . ختام المجمع . اثبات المذهب البروتستانتي

ان لوثيروس اعطي علامة الانصراف فاجابوا الى طلب المصلح فاستعد الجميع للخروج من اوجسبرج يوم السبت في ١٧ ايلول وقبل نصف الليل بساعتين جمع ارنست دوك لونبرج اعوان اللاندكراف في منزلهِ واخبرهم بان المنتخب عازم على الانطلاق في صباح اليوم التالي من دون ان يخبر احدًا وان مرادهُ ان يرافقهُ وقال لهم احفظوا السر واعلموا انهُ ان لم يُحفَظ الصلح يكون امرًا زهيدًا عندي ان اخسر في القتال معكم كل ما اعطاني الله اياهُ .

واستعدادات المنتخب كشفت مقاصدهُ وفي نصف الليل هنري دوك برنسويك وصل بسرعة الى منزلهِ وترجاهُ ان يصبر وعند الصباح الامير تروخسبس ومنسفلدت اخبرا بانهُ في الصباح قبل الظهر باربع اوخمس ساعات يعطيهِ الامبراطور الرخصة بالذهاب

ويوم الاثنين في ١٩ ايلول اذ كان المنتخب عازمًا على ترك اوجسبرج حالاً بعد مواجهتهِ كرلوس تغذَّى قبل الظهر بخمس ساعات ثم ارسل امتعتهُ وطباخيهِ وامر خدمهُ ان يكونوا مستعدين قبل الظهر بساعتين وحالما ترك المنتخب منزلهُ لكي يواجه الامبراطور كان جميع حشمهِ مصطفين على كل جانب بالجزمات والنخاسات ولكنهُ عندما دخل الى كرلوس طُلب منهُ ان يبقى يومين او اربعة او ستة ايام

وحالما انفرد المنتخب مع اصحابهِ ثار غضبهُ واظهر غيظهُ الشديد وقال ان هذا التاخير الجديد ينتهي بلا شيء اني عازم على الانطلاق ومهما حدث فليحدث

ويبين لي من ظروف الاحوال اني الآن بمنزلة محبوس فترجاهُ مرغريف برندنبرج ان يسكن قلقهُ فاجاب المنتخب مع ذلك اني سوف انطلق واخيرًا قبل ولما مُثل ايضًا امام كرلوس الخامس قال اني انتظر الى يوم الجمعة القادم وان لم يُعمل شيء الى ذلك الوقت فاني انطلق من فوري

وكانت اضطرابات البروتستانت عظيمة في مدة تلك الاربعة الايام واكثرهم لم يكونوا يشكون انهم بواسطة اجابتهم الى طلبات كرلوس قد اسلموا انفسهم بايدي اعدائهم فكتب برنتز يقول ان الامبراطور يسال نفسهُ هل يشنقنا او يبقينا احياء. والمؤامرات الجديدة مع تروخسيس لم تكن منها فائدة

ما بقي للامبراطور الاَّ ان يكتب مع الوكلاء الرومانيين تعيين مدة تأخير المجمع ففعلوا ذلك ولكي لا يتشكى البروتستانت من عمل ذلك بدون معرفتهم جمعهم في قصرهِ يوم الخميس في ٢٢ ايلول وهو اليوم الذي قبل اليوم المعين لانطلاق المنتخب وامر الامير الپلاتيني ان يقرا ذلك لهم وكانت تلك الكتابة افتراء وحربًا فاعطى الامبراطور المنتخب والخمسة الامراء ووكلاء المدن الستة مهلة ستة اشهر الى ١٥ نيسان لكي يتفقوا مع الكنيسة والبابا والامبراطور وجميع امراء ورؤساء المسيحيين وذلك اشارة الى ارادة الرومانيين. هو تاخير العمل الى الحين المعتاد لاخراج الجيوش الى حومة القتال وليس فقط كما ذكر بل انما اعطيت المهلة بشرط صريح ان البروتستانت يتحدون حالاً مع الامبراطور لاجل ادخال مقاومي المعمودية في حيز الاطاعة مع جميع الذين يضادون السر المقدس اي المدن الزوينكلية وقصد بهذه الوسيلة ان يربط ايدي البروتستانت ويمنع عائلتي الاصلاح من الاتفاق معًا في فصل الشتاء

واخيرًا نهي البروتستانت عن احداث شيء جديد وعن طبع او بيع شيء في قضايا الايمان او ان يجذبوا احدًا ايًا كان الى شيعتهم بما ان الاقرار قد رُدَّ عليهِ ردًا صحيحًا من الكتب المقدسة وهكذا سُمّي الاصلاح رسميًا شيعة مضادة لكلمة الله

لم يكن شي لا انسب لاغاظة اصدقاء الانجيل الذين بقوا امام كرلوس متحيرين ومضطربين ومغتاظين وكان ذلك امرًا منتظرًا وعندما كان البروتستانت مشرفين على الدخول الى مخدع كرلوس اوما اليهم تروخسيس وويهي ووضعا سرًّا ورقة في ايديهم متضمنة وعدًا بان البروتستانت اذا كانوا في ١٥ نيسان يطلبون تطويل المهلة فلا بد ان تحصل الاجابة الى طلبهم ولكن بروك الذي استلم الورقة لم ينغشّ فقال ان هذا كمين خبيث وحيلة ماكرة فان الله يخلص خاصتهُ ولا يسمح بسقوطهم في الوهق وهذه الحيلة انما اكسبت البروتستانت زيادة شجاعة

اما بروك فلم يلتفت الى تاخير المجمع سياسيًّا بل اقتصر على التعلق بكلام الله فقال اننا نتمسك بان اقرارنا هو مبني بهذا المقدار على كلام الله حتى انهُ لا يمكن الرد عليهِ ونحن نحسبهُ كحق الله بعينهِ ولنا امل اننا نقف بهِ يومًا امام كرسي الرب للدينونة ثم قال ان البروتستانت قد ردوا على رد اللاهوتيين الرومانيين وكان بيدهِ نسخة من الاعتذار الشهير عن اقرار اوجسبرج تاليف ملانكثون فتقدم وقدمهُ لكرلوس الخامس فتناولهُ الامير البلاتيني وكان الامبراطور قد مد يدهُ لياخذهُ واذا فرديننند همس بكلمات قليلة في اذنهِ واشار الى الامير فرجّع الامير حالًا الاعتذار الى المعلم بروك وهذه الورقة والاماكن العمومية هما الفخر ما كتبهُ المصلح . وقال الامبراطور المرتبك للبروتستانت ان يرجعوا اليهِ في الغد قبل الظهر باربع ساعات

واذ جزم كرلوس على جعل حكمهِ مقبولًا ابتدا باستعمال التمليقات وحالما جلس مرغريف براندنبرج على مائدتهِ لكي يتناول عشاءهُ مثل امامهُ تروخسيس وويهي واستعملا كل نوع من الخطاب والاحتجاج ولكن من دون فائدة

وفي اليوم التالي وهو يوم الجمعة في ٢٣ ايلول اجتمع الامراء الانجيليون ووكلاء المدينة صباحًا في منزل المرغريف حيث قرئت ورقة التاخير قدام تروخسيس وويهي وقدم الكاتب بروك سبعة اسباب لعدم قبولها فقال ويهي

اني اتكفل بترجمتها الى الجرمانية بطريق تقدرون بهِ ان تقبلوها واما لفظة شيعة فان الكاتب قد وضعها بالغلط فانصرف الوسيطان بسرعة لكي يخبرا كرلوس بتشكيات البروتستانت

فقطع كرلوس واعوانهُ كل امل بالمصالحة ولم يترجوا شيئًا الَّا بواسطة الترهيب ولما وصل البروتستانت الى القصر الامبراطوري قبل الظهر باربع ساعات التزموا ان يبقوا منتظرين ساعة من الزمان وحينئذٍ قال لهم منتخب برندنبرج باسم كرلوس ان جلالتهُ قد تعجب فوق الحد من انكم تذهبون الى ان تعليمكم مبني على الكتب المقدسة وان كان ذلك صحيحًا فاسلاف جلالتهِ ذلك العدد الكثير من الملوك والامبراطورين وايضًا اسلاف منتخب سكسونيا كانوا اراتقة ولا يوجد انجيل ولا يوجد كتاب مقدس يامرنا ملزمًا ايانا بان نضبط قهرًا اموال الغير ثم نقول بعد ذلك اننا لا نقدر براحة ضمير ان نرجعها ثم قال وهو ضاحك ضحك التهكم فلاجل هذا السبب قد فُوّض اليَّ ان اخبركم بانكم اذا رفضتم قبول ورقة تاخير المجمع فان جميع الولايات الجرمانية يضعون حياتهم واملاكهم بيدي الامبراطور وجلالتهُ نفسهُ يستعمل قوات جميع ممالكهِ لاجل انهاء هذه المادة قبل ان يذهب

فاجاب البروتستانت بعزم اننا لا نقبلها . فقال الامير بصوت خشن ان جلالتهُ ايضًا لهُ ضمير واذا كنتم لا تخضعون فانهُ يتفق مع البابا وباقي المتندرين على احسن الوسائط لاجل استئصال هذه الشيعة وهذه الاضاليل الجديدة . ولكنهم باطلًا زادوا تهديدًا على تهديد فان البروتستانت بقوا ساكنين محتشمين غير متزعزعين وقالوا ان اعداءنا اذ هم عادمون كل ثقة بالله يرتعدون كقصبة امام غضب الامبراطور وهم يتوهمون اننا نرتعد نظيرهم والحال اننا قد دعونا الله وهو يحفظنا امناء لحقهِ

وحينئذٍ تاهب البروتستانت لكي يودعوا الامبراطور الوداع الاخير وهذا الامير الذي امتحن صبرهُ امتحانًا شديدًا تقدم لكي يصافحهم حسب العادة واذ

ابتدا ءَ منتخب سكسونيا قال لهُ بصوت منخفض يا عم يا عم انني لم انوقع قط هذا منك فانفعل المنتخب انفعالاً عميقًا وامتلأَت عيناهُ دموعًا الاَّ انهُ اذ كان ثابتًا وذا عزم احنى راسهُ وترك الامبراطور من دون جواب وكان الوقت الساعة الثانية بعد الظهر

وبينما رجع البروتستانت الى منازلهم بالهدو والحبور كان الامراء الرومانيون ينصرفون الى بيوتهم مضطربين ومرتخين ومتعوبين ومنفسمين ولم يكونوا يشكون ان الاذن الذي اعطي الآن للبروتستانت يحسب عندهم كاشهار حرب وانهم بعد تركهم اوجسبرج يثورون الى اسلحتهم فكان هذا الفكر برهبهم ومن ثم حالما وصل منتخب سكسونيا الى قصرهِ راى العالم روهيل مشير منتخب منتز مسرعا نحوهُ بهذه الوصية من مولاهُ . قال ولئن كان اخي يواكيم منتخب برندنبرج قد قال ان وكلاء المملكة هم مستعدون لان يعضدوا الامبراطور عليكم فاعلموا اني انا واعوان الامير البلاتيني ومنتخب تريفس قد اخبرنا حالاً جلالة اننا لانقبل بهذا الراي لاننا افتكرنا عنكم فكرًا حسنًا جدًا وكنت قاصدًا ان اقول هذا للامبراطور امامكم ولكنكم انتم قمتم بغتةً بحيث لم اقدر على اتمام ذلك

فهكذا تكلم كبير الكنيسة الجرمانية حتى ان انتخاب رسولهِ كان ذا معنى فان العالم روهيل كان عديل لوثيروس فطلب منهُ يوحنا ان يشكر مولاهُ عنهُ

وعند ما انصرف هذا المعتمد وصل واحد من قهارمة هنري دوك برنسويك وهو روماني غيور فلم يؤْذن لهُ في اوَّل الامر بالمواجهة بسبب السفر الاَّ انهُ رجع بسرعة حالما كانت مركبة بروك خارجة من دار المنزل فتقدم الى باب المركبة وقال ان الدوك يخبر المنتخب بانهُ يجتهد في ان يجعل الاشياء على احسن منوال وانهُ سوف ياتي هذا الشتاء لاجل الصيد معهُ وبعد ذلك بقليل قال الهائل فرديننند نفسهُ انهُ يطلب كل واسطة لمنع القيام وجميع هذه الامارات التي اظهرها البابا وبون الرومانيون الخائفون تدلنا في اي جانب كانت القوة الحقيقية

وبعد الظهر بثلاث ساعات ركب المنتخب ومعهُ امراء لونيبرج وانهالت

وتركوا اوجسبرج فقال لوثيروس الحمد لله ان اميرنا العزيز قد خرج من جهنم
اما كرلوس الخامس فلما راى هؤلاء الامراء الاشداء يفلتون هكذا من يديهِ
اطلق العنان لشراسة على غير عادتهِ فصرخ قائلاً انهم يريدون ان يعلموني ايماناً
جديداً ولكننا سوف ننهي هذه الدعوة بشيء غير التعاليم فلا بد من ان نجرد
السيف وحينئذٍ نرى من هو الاقوى . وجميع الذين حواليهِ اطلقوا العنان
لغضبهم وتعجبوا من وقاحة بروك الذي تجاسر على ان يدعو البابا وبين ارانقة .
ولم يُغظهم شيء اكثر من روح التلمذة الذي كان في تلك الايام دأب جرمانيا
الانجيلية واشد غضب البابا وبين توجه بنوع خصوصي ضد كاتب لونيبرج الذي
قالوا انهُ ارسل اكثر من مئة قسيس الى اماكن مختلفة لكي يبشروا بالتعليم الجديد
وافتخر بذلك جهاراً ايضاً . وكتب وكلاء نورمبرج الذين بقوا وحدهم تقريباً في
اوجسبرج عندما سمعوا هذه التشكيات ان اعداءنا متعطشون الى دمنا . وفي ٤
تشرين الاول كتب كرلوس الى البابا (لان الحرب المقدسة كانت عتيدة ان
تبتدي من رومية) فقال ان محاورتنا قد انقطعت واخصامنا هم على جانب عظيم
جداً من العناد وانا عازم على استعمال قوتي وشخصي في محاربتهم ولاجل هذا السبب
اترجى ان قداستك تطلب نجدة جميع الامراء المسيحيين

فابتدا العمل في اوجسبرج نفسها وفي اليوم الذي كتب فيهِ كرلوس الى البابا
ارجع اكراماً للقديس فرنسيس اسيسى الذي كان ذلك اليوم عيدهُ رهبان مار
فرنسيس الى المدينة فصعد راهب الى المنبر وقال ان جميع الذين يبشرون بان
يسوع المسيح وحدهُ قد وفى عن خطايانا وبان الله يخلص من دون التفات الى
اعمالنا هم منافقون على التمام . بل بعكس ذلك للخلاص طريقان الطريق العمومية
اي حفظ الوصايا والطريق الكاملة اي الحالة الكنائسية . وحالما فرغ من
خطابهِ ابتدا الجمهور يرفعون المقاعد الموضوعة في الكنيسة للوعظ الانجيلي
ويكسرونها بعنف لانها كانت مربوطة بجنازير ويلقونها بعضها فوق بعض
وداخل تلك الحيطان المكرسة قام راهبان بنوع خصوصي حاملين مطارق

وقد اديم يرفعان اذرعهما نحو السماء ويجلبان كمجنونين فقال قوم انهُ من ضجتهما المريعة تراءى كانهما يهدمان بيتًا وما ارادا ان يهدماهُ انما كان حقًّا بيت الله

وبعد ما هدأ الشغب تلي القداس وبعد الفراغ من القداس اراد رجل اسبانيولي ان يعود ايضًا ويبتدي بكسر المقاعد واذ منعهُ من ذلك رجل من الاهالي ابتداوا يضربون بعضهم بعضًا بالكراسي فنزل احد الرهبان من الخورس راكضًا اليهم وفي الحال دخل في الشغب واخيرًا وصل رئيس الضبطية برجالهِ ومنع ضرباتهم المحكمة من كل جهة فهكذا ابتدا في جرمانيا رجوع المذهب البابا وي الروماني وهو كثيرًا ما استخدم الفتن والمقاتلات الجمهورية لاجل نوال اربهِ او تشييد اركانهِ

وفي ١٣ تشرين الاول امر الناخبر على جميع المقاطعات الرومانية وفي ذلك اليوم بعينهِ عقدوا عهدًا رومانيًّا وكانت مدينتان قد امضتا الاقرار ومدينتان اخريان كانتا قد قبلتاهُ الآن اتباع الامبراطور املوا ان تلك الجماعات العديمة القوة يخافون من صولة الامبراطور فيخرجون من الاتحاد مع البروتستانت ولكن في ١٧ تشرين الاول عوضًا عن مدينتين او اربع مدن ست عشرة مدينة امبراطورية من جملتها اعظم مدن جرمانيا جزمت على انها لا تقدم نجدة ضد الاتراك ما دام الصلح العمومي غير مثبت في جرمانيا نفسها

وكانت قد حدثت حادثة اقوى على كرلوس اي غلبة وحدة الاصلاح . قالت المدن الزوينكلية اننا واحد في قضايا الايمان الاساسية ولا سيما في تعليم الشركة في جسد ربنا ودمهِ ولئن وُجد بعض الجدالات عن الكلمات بين لاهوتيينا فاقبلونا والوكلاء السكسونيون في الحال مدوا ايديهم ولا شيء يقرن اولاد الله مثل ظلم اعدائهم فقال الجميع فلنتفق لاجل تعزية اخوتنا وارهاب اعدائنا

فباطلاً اجتهد كرلوس الذي قصد ادامة الانشقاق بين البروتستانت في جميع المدائن الزوينكلية وباطلاً قرفهم لكي يجعلهم مكروهين بانهم قد الصقوا

برشانة مقدسة على حائط واطلقوا الرصاص عليها وباطلاً اغشاهم بتهديدات شديدة فان جميع اجتهاداته ذهبت سدى واخيراً الحزب الانجيلي اضحى واحداً. فزاد الخوف عند الحزب الروماني الذين عزموا على تسليمات جديدة قائلين ان البروتستانت يطلبون السلامة العمومية فلنعمل اذاً قضايا صلح ولكن في ٢٩ تشرين الاول رفض البروتستانت تلك القضايا لان الامبراطور امر بالصلح كل العالم من دون ان يربط نفسهُ فاجاب كرلوس بكبرياء ان الامبراطور لهُ حق ان يامر رعاياهُ بالصلح ولم يسمع قط انهُ يامر نفسهُ بذلك

ولم يبقَ شيءٌ الاَّ استلال السيف واستعد كرلوس لذلك كل الاستعداد وفي ٢٥ تشرين الاول كتب الى الكردينالين في رومية نخبركم باننا لا نعفو عن ممالك ولا عن سيادات واننا سوف نخاطر بنفسنا وجسدنا لاجل تتميم هذه القضايا الضرورية. وبالكد وصل مكتوب كرلوس الى رومية حتى لحقهُ رسول مخصوص من قبلهِ يقال لهُ بطرس دي لاكوينا فقال للبابا ان الوقت قد مضى ومحاربة اللوثرانيين غير ممكنة الآن ولكن اعدوا كل شيءٍ لهذا العمل فان جلالهُ يفتكر بانهُ يجب عليهِ ان يقدم على كل شيءٍ اتمام مقاصدك وهكذا اتحد اكليمنضوس والامبراطور وابتدأا كلاهما في جمع قواتهما

ومساء ١١ تشرين الثاني قُرِئَ امر التاخير على الوكلاء البروتستانت وفي ١٢ منهُ رفضوها جازمين انهم لا يسلمون بان للامبراطور سلطاناً على ان يامر في قضايا الايمان ووكلاء هسي وسكسونيا انصرفوا حالاً بعد ذلك وفي ١٩ تشرين الثاني قرئت الخلاصة باحتفال في محضر كرلوس الخامس والامراء والوكلاء الذين كانوا لم يزالوا في اوجسبرج وهذا التقرير كان اكثر معاندة من المقصد الذي أُخبر بهِ البروتستانت ومن جملة ما تضمنهُ قولهُ ان انكار حرية الارادة هو غلط حيواني لا غلط انساني واقوال بهذا المعنى لكي نتظاهر بالرفق فقال المنتخب يواكيم بعد قراءتهِ نترجى جلالهُ ان لا يترك جرمانيا حتى يرجع بواسطة همتهِ ايماناً واحداً وحيداً الى المملكة باسرها

فاجاب الامبراطور انهُ لا يذهب الى ابعد من اقاليم البلاد الواطية فطلبوا ان الاعمال تتبع حالاً الاقوال وكان الوقت حينئذٍ نحو ساعتين بعد المغرب وبعض المصابيح ذات ضوء ضعيف متفرقة هنا وهناك كانت الضوء الوحيد لهذا المحفل فانفصلوا من دون ان يروا بعضهم بعضاً وهكذا انتهى كانهُ بالسرقة ذلك المجمع الذي بُشّر بهِ العالم باحتفال لا يوصف

وفي ٢٢ تشرين الثاني اذيعت الخلاصة اي ورقة التاخير وبعد ذلك بيومين ركب كرلوس الخامس قاصداً كولون . وما لك عالمَين راى سطوتهُ قد استخف بها بعض المسيحيين القليلي العدد والذي دخل المدينة الامبراطورية بالظفر تركها عابساً صامتاً ضعيفاً واقوى قوات العالم انسحقت بصادمتها قوة الله

ولكن اعوان كرلوس وقوادهُ الذين حركهم البابا اظهروا اكثر نشاطاً فان وكلاء المملكة كانوا ملتزمين ان يقدموا الى مدة ثلاث سنوات لكرلوس ٤٠٠٠٠ راجل و ٨٠٠٠ فارس ومبلغاً وافراً من المال والمرغريف هنري من زينيتي وامير ناسو واخرون من الاشراف جمعوا اموالاً ورجالاً كثيرة على شاطي الرين وفارس واحد اذ كان مجتازاً في الحرش الاسود دعا سكانهُ المتوحشين الى رايتهِ وكتب هناك ست جوقات من الرماحة والملك فرديننذ كتب الى جميع فرسان التيرول وورتمبرج ان يلبسوا دروعهم ويتقلدوا سيوفهم وبوا كيم تالهيم جمع الصفوف الاسبانيولية في البلاد الواطية وامرهم بالاتجاه نحو الرين وبطرس شَير طلب من دوك لورين نجدة عساكرهِ وفارس آخر اسرع بالعسكر الاسبانيولي الذي في فلورنسا الى جهة جبال الالب وكل ذلك خوفاً من ان الجرمانيين حتى البابا ويين الرومانيين منهم يتحزبون للوثيروس ومن ثم جمعوا على الاكثر عساكر اجنبية ولم يكونوا يتكلمون عن شيء في اوجسبرج الاّ الحرب

وبغتةً شاع خبر غريب فقال كل واحد ان علامة الحرب قد اعطيت فان مدينة مستقلة موقعها على حدود العالم الجرماني والعالم الروماني اي مدينة في حرب مع اسقفها ومتحدة مع البر وتستانت وقد حسبت مصلحة قبل ان كانت

كذلك في الحقيقة هجم عليها بغتةً وجاء ساعٍ من ستراسبرج بهذا الخبر الى اوجسبرج فانتشر في المدينة بسرعة البرق وبعد عيد مار ميخائيل بثلاثة ايام بعض الرجال المتسلحين الذين ارسلهم دوك ساقونيا نهبوا جوار جنيفا وتهددوا باخذ المدينة واعمال السيف في الجميع فتعجب كل من كان في اوجسبرج فصرخ كرلوس الخامس بالفرنساوية قائلاً عجبًا ان دوك ساقوناه قد ابتدا بسرعة اكثر من الواجب وشاع ان مرغريتا حاكمة البلاد الواطية والبابا ودوك لورين ودوك غوبلدريس حتى ملك فرانسا قد وجهوا عساكرهم ضد جنيفا وجيوش رومية ازمعت ان تجعل هناك مركز اعمالها فصارت العواصف تتجمع على قمم جبال الالب الاولى ومن هناك كانت عتيدة ان تهجم على كل سويسرا ثم تفسد جرمانيا وهناك يُدفن الانجيل والاصلاح تحت خرابها الهائل

وهذا العمل المقدس بان انهُ في خطر عظيم والحال انهُ لم يفز قط بغلبة مجيدة كهذه فاذ قصرت الهجمة الفجائية التي حصلت على تلك التلال حيث كان كلوينوس مزمعًا ان يقطن بعد ذلك بست سنوات ويركز راية اوجسبرج والناصرة توارت جميع المخاوف وغلبة معترفي المسيح التي غفل عنها هنيهة من الزمان لمعت حديثًا بكل رونقها

وبينما كان الامبراطور كرلوس وهو محفوف بجمهور من الامراء يتقدم الى شطوط الرين بالكابة وانحطاط الهمة كان المسيحيون الانجيليون راجعين بالنصر الى اوطانهم واوثيروس كان المبشر بالظفر الذي حصل في اوجسبرج بالايمان فقال لو كان اعداؤنا لهم حولهم والى جانبهم ومعهم كل الملوك فضلاً عن ذلك الامبراطور القدير كرلوس لم يقدروا ان يضعفوني ولا يرهبوني فانا هو الذي بقوة الله عازم على ارهابهم وتدميرهم فانهم يلتزمون بان يسلموا لي ولابد من انهم يسقطون واما انا فاني سابقى قائمًا وثابتًا فان حياتي تكون سوطهم وموتي جهنمهم. الله يعميهم ويقسي قلوبهم وهو يدفعهم نحو البحر الاحمر وجميع خيل فرعون ومراكبهِ وفرسانهِ لا يمكنها ان تهرب من القضاء الواقع عليها فليذهبوا اذًا وليهلكوا لانهم

هكذا يريدون . واما نحن فان الله معنا

وهكذا مجمع اوجسبرج الذي قصد به سحق الاصلاح صار الواسطة لتقويته الى الابد . وجرت العادة ان يُحسَب صلح اوجسبرج سنة ١٥٥٥ الوقت الذي تثبت فيه الاصلاح بطريق معين وهذا هو تاريخ المذهب البروتستانتي الشرعي والديانة المسيحية الانجيلية لها تاريخ آخر وهو خريف سنة ١٥٣٠ وفي سنة ١٥٥٥ كانت غلبة السيف والتدبير وفي سنة ١٥٣٠ كانت غلبة كلمة الله والايمان وتلك الغلبة هي في اعيننا الاصدق والاثبت والتاريخ الانجيلي للاصلاح في جرمانيا ينتهي تقريبًا في العصر الذي وصلنا اليه ويبتدي التاريخ الاساسي للمذهب البروتستانتي الشرعي فيما عمل بعد ذلك ومهما قيل فان كنيسة القرون الاولى ظهرت ثانية وظهرت ذات قوة كافية لتدل على انها حية . وصارت ايضًا اجتماعات ومحاورات ومعاهدات ومقاتلات وانكسارات يرثى لها الآن تلك جميعها هي حركة ثانوية فالحركه العظيمة تمت ودعوى الايمان رُبحت بالايمان وحصل الجهاد والتعليم الانجيلي مد اصوله في العالم فلا يمكن ابدًا عواصف الناس ولا قوات الجحيم ان تستاصله

الكتاب السادس

الاصلاح في سويسرا من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٥٣٠

الفصل الاول

استقلالية اصل الاصلاح في سويسرا. الحركتان في الكنيسة. احوال الاكليروس. فارل والراهب. الوحدة المسيحية

ان الانقسامات التي كشفها الاصلاح في حضنهِ عند ظهورهِ امام مجمع اوجسبرج اذلتهُ واوقعت وجودهُ في خطر التلاشي ولكن لا يجوز ان ننسى كون علة هذه الانقسامات من جملة الشروط لوجود الكنيسة المتجددة ولا ريب ان اتفاق سويسرا وجرمانيا كان امرًا مرغوبًا الَّا انهُ كان امرًا اعظم ان يكون لكلٍ من جرمانيا وسويسرا اصلاحها الاصلي فلو كان الاصلاح السويسي تقليد الاصلاح الجرماني لكان اتفاق من دون ثبات وكانت الشجرة المنقولة الى سويسرا قبل ان تتعمق اصولها قد استوصلت سريعًا باليد القوية التي كانت مزمعة بعد قليل ان تهزها وتجدَّد الديانة المسيحية في تلك الجبال صدر من قوات خاصة بالكنيسة الهلفيتية وحصل على نظام يطابق حالة البلاد الكنائسية والسياسية ونفس هذه الاصالة اكسبت مبادي الاصلاح نشاطًا خصوصيًا وذلك امر اهم للدعوى العمومية من الاتفاق الذليل كما ان قوة عسكر تنتج بالاكثر من تشكيل اسلحة افرادهِ

ان سطوة سويسرا العسكرية والسياسية كانت آخذة في الانحطاط والامارات الجديدة التي اظهرتها الشعوب الاوروبية بعد القرن السادس عشر كانت عتيدة

ان تنفي هولاء الهلفيثيين المتكبرين الى جبال مولدهم بعد ان بقوا كل تلك المدة المستطيلة واضعين سيوفهم ذوات الحدين في الميزان الذي وُزنت بهِ امور الشعوب فاكسبها الاصلاح سطوة جديدة بدل تلك السطوة المطالقة وكانت سويسرا عتيدة ان تُحدِث في تلك الازمان الجديدة في الاماكن التي ظهر فيها الانجيل بابسط وانقى هيئاتهِ لشعوب كثيرة من العالمين حركة المجد واسلم من التي نجمت قبل من ذلك حرابها وقسيها

ان تاريخ الاصلاح السويسي ينقسم الى ثلاثة اعصار ظهر فيها نور الانجيل منتشرًا على التوالي على ثلاثة اقطاب مختلفة فمن سنة ١٥١٩ الى سنة ١٥٢٦ كانت زوريخ مركز الاصلاح الذي كان حينئذٍ جرمانيًا على التمام وانتشر في الاقسام الشرقية والشمالية من المعاهدة وبين سنة ١٥٢٦ و١٥٣٢ اصدرت الحركة من برن فكانت جرمانية وفرنساوية معًا وامتدت الى مركز سويسرا من مضايق جبال الجورا الى اعمق وديان الپا وسنة ١٥٣٢ صارت جنيفا مركز النور والاصلاح الذي كان هناك في جوهرهِ فرنساويًا امتد على شطوط بحيرة ليمان وازداد قوة في كل مكان ومرادنا الآن ان نتكلم عن العصر الثاني من هذه الثلاثة اي عصر برن

ومع ان الاصلاح السويسي لم يكن حينئذٍ في جوهرهِ فرنساويًا كان الذين اشتغلوا فيهِ باكثر نشاطٍ قومًا فرنساويين. كُدِنت سويسرا بركبة الاصلاح واكسبتهُ حركة قوية ففي العصر الذي مرادنا الكلام فيهِ امتزجت قوات وقبائل واخلاق صدرت منهُ حركة اقوى ولا صارت المدافعة في قسم غير هذا من العالم قوية بهذا المقدار ولا اظهر الهاجمون في مكان آخر هذا المقدار من الشجاعة وبلاد سويسرا الجميلة المحفوفة بجبال الجورا والالپا بقيت مدة اجيال من اقوى حصون البابابوية ثم أُخذت هجمًا وحولت اسلحتها على اسيادها القدماء ومن تلك الروابي القليلة المتبددة عند حضيض اعلى جبال اوروبا خرجت الهزات المتواترة التي قلبت في ابعد البلدان اقداس رومية واصنامها ومذابحها

في الكنيسة حركتان الواحدة تحدث من داخل والمقصود بها حفظها والاخرى تحدث من خارج والمقصود بها امتدادها وهكذا توجد كنيسة تعليمية وكنيسة تبشيرية وهاتان الحركتان لا يجوز فصلهما واذا انفصلتا فذلك من قبل غلبة روح الانسان لا روح الله ففي الاعصار الرسولية هاتان الخصلتان امتدتا في وقت واحد وبقوة متساوية وفي القرن الثاني والثالث تغلبت الخصلة الخارجية وبعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ اخذت الحركة التعليمية الرياسة وفي الوقت الذي صارت فيه فتوحات الشعوب الشمالية انتعش الروح التبشيري ولكن لم يمضِ الاَّ قليل حتى انت ايام الرياسة واللاهوتيين التي فيها كانت جميع القوى التعليمية تحارب في وسط الكنيسة لكي تؤسس فيها حكومة مستبدة وتعليمًا غير خالص اي الباباوية . واحياء الديانة المسيحية في القرن السادس عشر الصادر من الله كان عتيدًا ان يجدد الحركتين وذلك بتطهيره اياها وحينئذٍ روح الله فعل حقًّا داخلاً وخارجًا وفي ايام الاصلاح صار النمو بالهدو وداخليًّا الاَّ انهُ كان ايضًا عمل اقوى واقطع فان رجال الله كانوا قد درسوا كلام الله مدة اجيال وفسروا بسلام تعاليمهُ الشافية فهكذا كان عمل ڤيساليا وغوخ وغروت ورادوين ورويسبروك وطولر وتوما الكمبيسي ويوحنا ويسل ثم طُلب شيءٌ فوق ذلك اي اقتران قوة الفكر بالعمل واعطيت البابوية كل الوقت اللازم لاجل ترك اضاليلها لان الناس بقوا مدة قرون في الانتظار وصار التحذير وصار الالتماس فذهب كل ذلك باطلاً واذ لم تكن البابوية تريد ان تصلح نفسها اضطر رجال الله ان يتكفلوا بعمل ذلك بانفسهم وصولة سابقي الاصلاح الهادية المعتدلة تبعها عمل المصلحين الجسور المهيج والحركة التي احدثوها قامت باقتلاع السلطة الخارجية لكي تثبت السلطة الشرعية . قال الجامعة لكل شيءٍ زمان ولكل امرٍ تحت السموات وقت . للغرس وقت ولقلع المغروس وقت . للهدم وقت وللبناء وقت (جا ٣: ١ الى ٣) وبين جميع المصلحين كان الذين اوصلوا روح التقدم الى اعلى طبقاتهِ رجالاً من فرانسا ولاسيما فارل الذي مرادنا الآن ان نتكلم عن اعمالهِ

ولم تحدث قط افعال قوية كهذه من قوة ضعيفة كهذه فاننا في سياسة الله ننتقل في لحظة من اعظم الاشياء الى احقرها فالان نترك كراوس المتكبر وكل تلك الجماعة من الامراء الخاضعين له لكي نتبع خطوات معلم مدرسة ونترك قصور اوجسبرج لكي نجلس في بيوت سويسرا الحقيرة

ان نهر الرون بعد ان يخرج بالقرب من سنت غوترد من جبال فوركا من تحت بحر لا يقاس من الجليد الازلي يجري بمياهه الهادرة في وادٍ موعر فاصل بين سلسلتي جبال الالب العظيمتين ثم يخرج من مضيق سنت موريس ويجري في بلاد اكثر خصبًا وابتسامًا وراسا دنت دو ميدى السامي الى الجنوب ودنت دو مركليس الشامخ الى الشمال الواقعان احدهما مقابل الاخر يدلان من بعيد عين المسافر على بداية هذا الحضيض الاخير وعلى رؤوس جبال الجبال حقول الجليد العظيمة والشوامخ المنيعة تقود الرعاة في الصيف مواشيهم الكثيرة الى القرب منها لكي يرعوها وعلى السهول تنبت الازهار والاثمار الجنوبية بكل خصب وينبت الغار بجانب افخر العنب

وعند فم احد الوديان المؤدية الى جبال الالب الشمالية على شطوط المياه الغزيرة التي تسقط بصوت الرعد من ديابليرنس المتجلدة قرية ايغل الصغيرة التي هي من القرى الاكثر جنوبية في سويسرا فبقيت نحو خمسين سنة تابعة لبرن مع الخمس ابرشيات التي تحت رعايتها اعني ايغل وبكس واولون والبيوت المتفرقة في وديان ارموند الشامخة ففي تلك البلاد كان عتيدًا ان يبتدي العصر الثاني للاصلاح السويسي

ففي شتاء سنة ١٥٢٦ الى ١٥٢٧ وصل معلم مدرسة غريب اسمهُ ارسينوس الى تلك المقاطعة الحقيرة وكان متوسط القامة اشقر اللحية وعيناه منتبهتين وصوتهُ خشنًا مثل الرعد على قول بيزا ولهُ شجاعة جبار ومثالاتهُ الخالية من الادعاء كانت ممزوجة بتعاليم جديدة غريبة واذ تركت الوظائف لخوارنة جاهلين بقي الشعب الذي كان طبعًا ذا اخلاق مستوحشة فظة من دون تهذيب وهكذا

هذا الغريب الذي هو فارل صادف صعوبات جديدة في كل خطوة

وبينما ترك لافيفر واكثر اصدقائهِ ستراسبرج لكي يرجعوا الى فرانسا بعد نجاة فرنسيس الاول حوَّل فارل خطواتهِ نحو سويسرا وفي اليوم الاول من سفرهِ تعلم مثالة كان يتذكرها مرارًا كثيرة بعد وهي انهُ كان ماشيًا مع صديق واحد لهُ فداهمهما الليل ونزل المطر سيلاً غزيرًا واذ يئس المسافران عن وجود طريقهما جلسا وهما في نصف الطريق مبللين بالمطر فقال فارل اه ان الله باظهارهِ لي عجزي في هذه الامور الصغيرة اراد ان يعلمني ضعفي في الامور العظمى من دون يسوع المسيح واخيرًا قفز فارل وغاص في الاوحال وخاض المياه وقطع كرومًا وحقولاً وتلالاً واحراشًا وودياناً حتى وصل اخيرًا الى المكان الذي قصدهُ مغطًّى بالاوحال ومبللاً الى الجلد

وفي تلك الليلة الموحشة نال فارل معمودية جديدة وهذا نشاطهُ الطبيعي وصار مدة من الزمان اقل ما يكون حكيمًا كحية ووديعًا كحمامة وكما يحدث مرارًا ليست بقليلة لمن كانت طبيعتهُ هكذا تجاوز في اول الامر غرضهُ فانهُ اذ اعتقد بانهُ تابع قدوة الرسل توخى كما قال اكولمباديوس ان يخدع بواسطة اكاذيب نقيه الحية العتيقة التي كانت تصفر حولهُ فعرض نفسهُ كمعلم مدرسة وتوقع الى ان يفتح لهُ باب لكي يظهر مصلحًا

ان المعلم اورسينوس حالما خرج من المدرسة وترك صفهُ كان يدخل الى مخدعهِ الحقير ويغوص في درسهِ الكتب المقدسة اليونانية والعبرانية ودرس افخر رسالات اللاهوتيين وكان النضال بين زوينكل ولوثيروس قد ابتدا فبين من هذين الرئيسين يجب ان يلتصق المصلح الفرنساوي فان لوثيروس كان قد عُرِف في فرانسا قبل زوينكل بزمان طويل ومع ذلك انحاز فارل الى جانب زوينكل فان مذهب السرّيين كان داب الشعوب الجرمانية في القرون المتوسطة ومذهب المدرسيين داب الذين من نسل الرومانيين فكان الفرنساويون اقرب الى زوينكل المدرسي مما كانوا الى لوثيروس السرى او

بالحري كانوا متوسطين بين مذهبي القرون المتوسطة العظيمين واذ جعلوا للفكر المسيحي تلك الصورة الصحيحة التي هي من اعمال شعوب الجنوب صاروا آلات بيد الله لان ينشروا في الكنيسة ملء الحياة وملء روح المسيح

ان فارل قرأ في مخدعهِ الصغير الرسالة الاولى التي كتبها المصلح السويسي الى المصلح الجرماني فصرخ قائلاً باي علم يبدد زوينكل الظلمة وباي حذاقة مقدسة يجذب اليهِ الحكماء وما اعظم الوداعة السابية التي يقرنها بعلم عميق فيا ليت هذا العمل يربح بنعمة الله اوثيروس لكي تجد اخيراً كنيسة المسيح المرتعدة من مثل هذه التحريكات الشديدة السلامة والراحة

ان معلم المدرسة اورسينوس اذ تأثر بهذا المثال الشريف اخذ بالتدريج يعلم الوالدين والاولاد جميعًا فانهُ اولاً حارب تعليم المطهر ثم بعدهُ شفاعة القديسين وقال اما البابا فهو لاشيء او كلا شيء تقريبًا في هذه النواحي . واما الخوارنة فانهم انما يزعجون الشعب بكل تلك الخرافات التي يعرف ابراسموس جيدًا كيف يحولها الى اضحوكة وذلك كافٍ لهم

كان قد مضى على اورسينوس عدة اشهر وهو في ايغل وانفتح لهُ باب وكان قد اجتمع قطيع هناك وظن ان الوقت المنتظر قد حان . وفي ذات يوم توارى المعلم الفطن فقال انا وليم فارل خادم كلمة الله وكانت رعدة الخوارنة والولاة عظيمة عند ما راوا في وسطهم ذلك الرجل بعينهِ الذي كان قد اشتهر اسمهُ بهذا المقدار فترك معلم المدرسة مدرستهُ الحقيرة وتبوأ المنبر ونادى جهارًا بيسوع المسيح لجمهور اخذتهُ الحيرة من هذا الامر فان عمل اورسينوس قد انتهى وفارل صار فارل ايضًا وصار ذلك في شهر اذار او نيسان سنة ١٥٢٧ وفي ذلك الوادي الجميل الذي كان سطحهُ ساطعًا باشعة الشمس الحارة كان كل شيء منتعشًا في وقت واحد الازهار والكروم وقلوب الشعب الذي كان شعبًا حساسًا وان كان خشنًا الآن الصخور التي يصادفها النهر عند خروجهِ من ديابليرتس والتي يعثر بها في كل خطوة حين يسقط من الثلوج الابدية هي موانع اخف من

التعصب والبغضة اللذين أُظهرا بعد قليل نحو كلمة الله في ذلك الوادي الكثير السكان

ان مجلس برن بواسطة اجازة في ٩ اذار قد ارسل فارل لكي يفسر كلمة الله لشعب ايغل وجوارها ولكن يد الوالي المدني بواسطة تداخلها هكذا في الامور الدينية انما زادت هياج عقول الناس فان اصحاب العلوفات الاغنياء الكسلانين والخوارنة المساكين الجهال كانوا اول من صرخ فقالوا بعضهم لبعض اذا كان هذا الرجل لا يزال يبشر فقد انقطع الامل من وظائفنا وكنيستنا

وفي وسط هذا الهياج قهرمان ايغل ووالي الاربع قرى جاك دي روفيرا عوضًا عن اسناد خادم سعادة اولياء برن انحازا بغيرة مع الخوارنة وقالا ان الامبراطور عتيد ان يشهر الحرب ضد المبتدعين اجمعين وسوف ياتي بعد قليل جيش عظيم من اسپانيا لكي يساعد امير الامراء فرديننند . فوقف فارل ثابتًا وعند ذلك حنق القهرمان وروفيرا من تلك الجسارة ونهيا الاراتيكي عن كل نوع من الارشاد نظير قسيس او معلم مدرسة ولكن برن اذ أمرت بان يعلَّق على ابواب جميع الكنائس في الاربع قرى امرٌ جديدٌ مورخٌ في ٣ تموز فيهِ اظهرت غيظًا عظيمًا من هذا النهي الذي مُنع بهِ العلاَّمة فارل عن انتشار كلمة الله امرت جميع اصحاب الوظائف في المكان ان يسمحوا لهُ بان ينادي جهارًا بتعاليم الرب

وهذه المناداة الجديدة هيجت العصيان فانهُ في ٢٥ تموز اجتمع جماهير كثيرة في ايغل وبكس واولون وفي الارموند يات صارخين لا يجب ان نخضع بعد الآن لبرن فلنلقِ فارل . ومن الكلام انتقلوا حالاً الى العمل ففي ايغل قام العصاة مع واليهم الحاد ومزقوا الامر وتهيأُوا للهجوم على المصلحين وهولاء اتحدوا في الحال واحدقوا بفارل عازمين على المحاماة عنهُ فتلاقى الحزبان وجهًا لوجه وكاد الدم ان يسفك ومنظر اصدقاء الانجيل الثابت اخاف احزاب الكهنة فتبددوا وترك فارل ايغل اياماً قليلة وحمل تعليمهُ الى ابعد

في وسط وادي ليمان الجميل على الروابي المشرفة على البحيرة موقع لوسان

مدينة الاسقف والعذراء الموضوعة تحت حماية دوك سافواه وكان جمهور من الزائرين الذين اجتمعوا من الاماكن المجاورة يركعون بورع قدَّام ايقونة العذراء ويشترون مشتريات ثمينة في سوق الغفرانات المقامة في اطرافها ولوسان التي مدت صليبها الاسقفي من ابراجها الشامخة زعمت انها تبقي جميع البلاد عند قدمي البابا ولكن بسبب خلاعة الرهبان والخوارنة ابتدات اعين كثيرين تنفتح فكنت ترى خدام العذراء يلعبون جهارًا بالقمار وكانوا يزجون ملاعبهم بالهزء والتجديف فكانوا يتقاتلون في الكنائس وتزيّوا بزيّ الجنود فنزلوا ليلاً من تل الكنيسة يطوفون في الاسواق سكارى والسيوف بايديهم وكانوا يقبضون على البعض ويجرحون البعض واحيانًا يقتلون الاهالي الفاضلين وفضحوا النساء المتزوجات وافترسوا العذارى وجعلوا منازلهم بيوتًا ذات اسم رديء وطردوا بدون شفقة اولادهم الصغار لكي يتسولوا الخبز وربما لم يكمل في مكان آخر على احسن منوال وصف الاكليروس الذي اتحفنا بهِ احد الاساقفة الافاضل في بداءة القرن السادس عشر قال ان الخوارنة عوضًا عن ان يربوا الشبان بواسطة علمهم وقداسة سيرتهم يربون الطيور والكلاب وعوضًا عن الكتب لهم الاولاد وهم يجلسون مع السكيرين في الحوانيت ويطلقون العنان للسكر

وبين اللاهوتيين الذين في قصر سپاستيان اسقف مونتفاكون ناتاليس غاليونو . كان ذا رتبة سامية ولطافة عظيمة مغرمًا بعشرة العلماء وكان هو نفسهُ عالمًا الاَّ انهُ مع ذلك كان غيورًا جدًّا على الاصوام وجميع سنن الكنيسة وظن فارل انهُ اذا رُبح هذا الرجل للانجيل ربما تتيقظ لوسان وتنتبه جميع البلاد معها ومن ثم كتب اليهِ يقول وا اسفاه وا اسفاه ان الديانة الآن هي احسن قليلاً من سخرية فارغة بما ان القوم الذين لا يهتمون الاَّ بشهواتهم هم ملوك الكنيسة والشعب المسيحي عوضًا عن ان يتذكروا في الافخارستيا موت الرب يعيشون كانهم يعملون ذكر عطارد الاله الخداع وعوضًا عن ان يماثلوا محبة المسيح يتشبهون بدعارة الزهرة وعندما يرتكبون الشر يخافون حضور راعي قطيع خنازير شقية اكثر من حضور

الله القد برا ما غاليوتو فلم يجاوب بشيء فتجلّد فارل وكتب لهُ مكتوبًا ثانيًا يقول اقرع واصرخ بكل قدرتك وضاعف جهادك ضد الرب . ومع ذلك لم يكن جواب فكرر فارل العمل ثالثةً وناتاليس الذي ربما خاف ان يجاوب بنفسهِ وكَّل كاتبهُ وهذا كتب مكتوبًا الى فارل مملوءًا كلام شتائم فبقيت لوسان الى حينٍ لا ترام

وبعد ان تناضل فارل هكذا مع خوري كان عتيدًا ان يصارع راهبًا . ويدا الرياسة اللتان حكمتا على القرون المتوسطة هما الفروسية والرهبانية وبقيت الرهبانية لاجل خدمة البابا وية ولئن كانت قد ضعفت . قال راهب فرنسيسي مشهور وااسفاه ان ما يخاف شيطان مارد ان يعملهُ يرتكبهُ راهب خالع وقح من دون تردد

ان راهبًا منسولاً لم يجسر على ان يقاوم المصلح راسًا في ايغل ذهب الى قرية نوفيل الواقعة على الاراضي الواطئة المكوّنها نهر الرون عند انصبابهِ في بحيرة جنيفا فتبوأ الراهب المنبر وقال ان الشيطان نفسهُ هو الذي يعظ بفم فارل وجميع الذين يصغون اليهِ سوف يدانون ثم تشجع وانطلق على شاطي الرون حتى وصل الى ايغل بهيئة وديعة متواضعة لا لكي يظهر هناك ضد فارل الذي كانت فصاحتهُ العظيمة ترعبهُ بل لكي يطلب لديرهِ بعض البراميل من افخر الخمر في كل سويسرا ولم يخطُ الاَّ خطوات قليلة في البلدة حتى صادف خادم الانجيل فارتعدت فرائصهُ من هذا المنظر فسالهُ فارل لماذا وعظت على هذا المنوال في نوفيل واذ خاف الراهب من ان الجدال يجمع اليهما الجمهور ومع ذلك يريد ان يجاوب جوابًا موافقًا همس في اذنهِ بقولهِ قد سمعت الناس يقولون انك اراتيكي ومضل الشعب فاجاب فارل اثبت ذلك . قال فارل وحينئذٍ ابتدا الراهب يهيج واسرع في الزقاق لكي يتخلص من رفيقهِ المزعج ملتفتًا مرة الى هنا واخرى الى هناك نظير ضبير مضطرب واذ اجتمع بعض الاهالي حولهما اشار فارل الى الراهب وقال ترون ان هذا الاب اللطيف قد قال عن المنبر اني لا انادي بشيء الاَّ

الاكاذيب وحينئذٍ احمرّ الراهب وابتدا يغمغم ويتكلم عن قرابين المومنين اي خمرا يغورني الكريةة التي اتى بطلبها . واخذ بقرف فارل بانهُ يقاومهم وكان الجمع قد زاد في العدد وفارل الذي لم يرغب الاّ فرصة المناداة بعبادة الله الحقيقية صرخ قائلاً انهُ لا يجوز لانسان ان يرتب طريقًا اخرى لعبادة الله الاّ الطريق التي امر بها فيجب علينا ان نحفظ وصاياهُ من دون ان نحيد الى اليمين او الى اليسار فلنعبد الله وحدهُ بالروح والحق مقدمين لهُ قلبًا منسحقًا متخشعًا

وكانت اعين جميع الناظرين متجهة نحو المتصارعين في هذا المحضر الراهب بكيسهِ والمصلح بعينهِ الحادة واذ ارتبك الاخ بواسطة جسارة فارل على الكلام عن عبادة غير العبادة التي تعلم بها الكنيسة الرومانية البابا وية غاب عن حواسهِ فارتعد وهاج وكان مرةً يحمرُّ واخرى يصفرُّ واخيرًا نزع قلنسوتهُ عن راسهِ من تحت ثوبهِ والقاها الى الارض وداسها تحت قدميهِ وصرخ قائلاً اني العجب كيف ان الارض لا تفتح فاها وتبتلعنا فاراد فارل ان يجاوب وكان ذلك باطلاً لان الراهب لم ينفك يدوس قلنسوتهُ بعينين مطرقتين الى الارض يعجُّ كمن اضاع عقلهُ وملأ عويلهُ ازقة ايغل وغطى صوت المصلح واخيرًا واحدٌ من الحاضرين كان جالسًا بجانبهِ قبض عليهِ من كمهِ وقال اصغَ الى خادم الانجيل كما هو مصغٍ اليك اما الراهب المضطرب فكانهُ ظن نفسهُ قد صار نصف مائت فقفز بعنفٍ وصرخ آه انت ايها المحروم تلقي يدك عليَّ فكانت البلدة الصغيرة في شغب فكان الاخ شرسًا ومرتعدًا معًا وفارل مداومًا رشاقتهُ بنشاط والشعب مرتبكًا ومنذهلاً واخيرًا حضر الوالي وامر الراهب وفارل ان يتبعاهُ وحبسهما كل واحد في برج منفرد

ويوم السبت صباحًا أُطلق فارل من حبسهِ وأُخذ الى القلعة الى امام ارباب المجلس وكان الراهب قد سبقهُ الى هناك فابتدا يخاطبهم بقولهِ ايها السادة الذين قد امر ربنا بطاعتهم من دون استثناء ان هذا الاخ قد قال ان التعليم الذي انادي بهِ هو ضد الله فليصلح كلامهُ او اذا لم يقدر على ذلك فاسمحوا لشعبكم ان

يستفيدوا . وكانت فظاظة الراهب قد بردت لان الديوان الذي كان واقفًا بحضرتهِ وشجاعة خصمهِ وقوة الحركة التي لم يقدر ان يقاومها وضعف دعواهُ اخافتهُ باسرها وصار مستعدًا لان يصالح وحينئذٍ جثا الاخ على ركبتيهِ وقال يا سادتي اسال الغفران منكم ومن الله ثم التفت الى فارل وقال وكذلك ايها المعلم ان ما قد ناديت بهِ ضدك بُني على اخبار كاذبة فقد وجدتك رجلاً صالحًا وتعليمك جيدًا وانا مستعد لان اكذب نفسي

فاثر هذا الكلام بفارل وقال يا صديقي لا تطلب الغفران مني لاني انا رجل خاطي مسكين نظير باقي الناس ولا القي اتكالي على برّي ولكن على موت يسوع فجاء واحد من روساء برن في الوقت فاخذ الاخ الذي ظن نفسهُ على حافة الاستشهاد يفرك يديهِ ويلتفت مرةً نحو مشيري برن واخرى نحو الديوان ثم نحو فارل ويصرخ العفو العفو فاجاب فارل اطلب العفو من مخلصنا وقال سيد برن تعال غدًا واسمع وعظ خادم الانجيل فاذا ظهر لديك انهُ يعظ بالحق فانك تقرّ بهِ قدام الجميع والاَّ فانك تشهر رايك فعدْ بهذا عن يدي فمد الراهب يدهُ وانصرف القضاة وحينئذٍ انصرف الاخ ولم أَرَهُ من ذلك الوقت ولم يقدر شيء من المواعيد او الاقسام ان يحملهُ على الاقامة وهكذا كان الاصلاح يتقدم في سويسرا

الاَّ ان عواصف قوية كانت تتهدد بهدم العمل الذي بالكد قد ابتدا فان وكلاء باباويين من فاليه وساقواه قطعوا الرون عند مار موريس واخذوا يهيجون الشعب الى المقاومة بعزم فصارت اجتماعات مضطربة صار البحث فيها عن مقاصد خطرة واعلانات الحكومة نُزِعت عن الابواب واجواق من الاهالي كانوا يجولون في المدينة وضُربت الطبول في الاسواق لاجل تنخية الجمهور ضد المصلح وفي كل مكان تغلَّب الشغب والنزاع ومن ثمَّ عند ما تبوأ فارل المنبر في ١٦ شباط اول مرة بعد غيبة قصيرة اجتمع بعض الجماعات الباباوية حول باب الكنيسة ورفعوا ايديهم بالعويل وصرخوا صراخًا بربريًا والزموا الخادم ان

ينقطع عن وعظهِ

وعند ذلك امر مجمع برن باجتماع رعايا الاربع الابرشيات فرعايا بكس نادوا بالاصلاح وابغل تبعت قدوتهم ولكن بدون جزم وفي الجبال التي فوق اولون اذ لم يكن الفلاحون يجسرون على الاساءة الى فارل هيجوا نساءهم عليهِ فوثبنَ عليهِ بخابيط الغسيل والذين انفردوا على الخصوص بالمقاومة هم رعايا اورموند الذين كانوا هادئين ومفتخرين عند حضيض جبالهم المتجلدة . وان احد شركاء فارل في جهادهِ يقال لهُ كلود وربما هو كلود دي غلوتينس اذ كان يعظ هناك بحرارة عظيمة عارضتهُ بغتةً اصوات الاجراس التي قرعت وكانت ضجتها عظيمة حتى يسوغ القول بان جهنم جميعها مشتغلة في جذبها . وقال مبشر آخر بالانجيل اسمهُ جاك كمراليس الذي اتفق حضورهُ في الواقع ان الشيطان نفسهُ الذي نفخ غضبهُ في وجوه بعض اعوانهِ هو الذي ملأَ آذان السامعين بكل هذه الضجة وفي وقت آخر البعض من المصلحين الغيورين بعد ان هدموا مذابح بعل حسبما قيل في تلك الايام ابتدا الروح الخبيث ينفخ بعزم في جميع الشقوق المتفرقة في جميع جهات الجبال فخرج الرعاة من فورهم نظير قطع من الثلج وسقطوا على الكنيسة والانجيليين وصرخ الاورمنديون الشرسون دعونا فقط نجد هولاء الاشقياء المنافقين فاننا نشنقهم ثم نقطع رؤوسهم ثم نحرقهم ثم نلقي رمادهم في الغمر العظيم . وهكذا تحرّك هولاء الجبليون كالريح التي تعج في جبالهم الشامخة بحمق غير معروف عند سكان السهول

واعترى فارل صعوبات اخرى فان شركاء اتعابهِ لم يكونوا باجمعهم من دون لوم فان احدهم يقال لهُ خريستوفر باليسطا الذي كان في السابق راهباً من باريس كتب الى زوينكل يقول اني لست سوى غاليّ بربري الاَّ انك تجدني نقيًّا كالثلج من دون غش ذا قلب مفتوح يقدر ان يرى جميع العالم من نوافذهِ . وزوينكل ارسل باليسطا الى فارل الذي كان يطالب بصوت عالٍ فعلة لكرم المسيح وكلام الباريسي اللطيف خلب في اول الامر عقول الجمهور الاَّ

انهُ وجد سريعًا اسبابًا للاحتراز من اولئك الخوارنة والرهبان الذين تركوا البابا وية . قال فارل ان باليسطا الذي تربى في كسل الدير وكان شرهًا ومتوانيًا لم يقدر على ممارسة اعمال الانجيليين الغليظة وقناعتهم فابتدا سريعًا يتاسف على اسكيمهِ الرهباني ولما راى ان الشعب ابتداوا يجتنبون منهُ صار كوحش ضارٍ يتقيأُ احمالاً من التهديدات وهكذا انتهت اعمالهُ

ومع كل هذه التجاريب لم يضعف فارل وكلما زادت الصعوبات زاد نشاطهُ وما احسن ما قالهُ فلنبذر البزر في كل مكان ودع فرنسا المتمدنة تغار من هذه القبائل المتوحشة وتحتضن التقوى اخيرًا ولا يجب ان يكون في جسد المسيح اصابع او ايدٍ او ارجل او اعين او اذان او سواعد منفصلة بعضها عن بعض وتشتغل كل واحدة منها لنفسها ولكن ليكن قلب واحد فقط لا يقدر شيءٌ على ان يقسمهُ ولا بد عنَّ الاختلاف في امور ثانوية تقسم الى اعضاء كثيرة مختلفة ذلك المبدا الحيوي الذي هو واحد وبسيط . وااسفاه ان مراعي الكنيسة تداس بالارجل وامواهها تكدر فلنضع قلوبنا على الاتحاد والسلامة ومتى فتح الرب السماء فانهُ لا يكون هناك هذا المقدار من المجادلات عن الخبز والماء فالمحبة الحارة هي المهدَّة القوية التي بها نهدم تلك الاسوار المتكبرة والعناصر المادية التي يريد الناس ان يحصرونا فيها

فهكذا كتب اجسر المصلحين وكلمات فارل هذه التي حفظت ثلثة قرون في المدينة التي توفي بها تكشف لنا طبيعة الحركة العظيمة التي حدثت في القرن السادس عشر باكثر وضوح من جميع تمويهات شارحيها البابا وبين الجسورة فالوحدة المسيحية وجدت هكذا منذ تلك الازمان الباكرة رسولاً غيورًا والقرن التاسع عشر يجب عليهِ ان ياخذ في العمل الذي لم يقدر القرن السادس عشر على اتمامهِ

الفصل الثاني

الديانة في برن. غلبة الانجيل فيها. المجادلات والمحاورات. مرارة البابا وبين. وعظ زوينكل. الامر بالاصلاح

بين جميع مقاطعات سويسرا بانت برن الاقل ميلاً نحو الاصلاح فان الحالة العسكرية قد تكون غيورة على الديانة ولكن على ديانة خارجية طقسية فانها تطلب نظاماً كنائسياً تقدر ان تراهُ وتمسهُ وتدبرهُ كارادتها وتخاف التجديدات وحركات كلام الله الحرة وتحب الصورة لا الحيوة ونابوليون بارجاعهِ الديانة الى فرنسا بالكنكورداه اعطانا مثالاً يستحق الذكر وهكذا كان حال برن ايضاً وفضلاً عن ذلك كان حكمها غارقاً في مصالح سياسية ومع انها لم تكن تعتبر البابا الاّ قليلاً فلما رغبت في ان ترى مصلحاً يضع نفسهُ كما فعل زوينكل في اوّل المصالح الجمهورية واما الشعب فاذ كانوا يتنعمون بسمن قطعانهم ولبن اغنامهم وبدهن الكباش (تث ٣٢: ١٤) انحصروا داخل دائرة احتياجاتهم المادية الضيقة والمسائل الدينية لم تكن تناسب ذوق القواد ولا ذوق اهالي بلادهم.

واذ كانت حكومة برن عادمة الاختبار في القضايا الدينية طلبت ان تمنع حركة الاصلاح بواسطة حكمها سنة ١٥٢٣ وحالما شعرت بغلطها حركت الاقاليم المتمسكة بالايمان القديم. فذلك القسم من الشعب المؤلف منهُ المجلس العظيم اصغى الى صوت المصلحين اما اكثر العيال الشريفة التي تركب منها المجلس الصغير فظنت ان قوتها وصالحها وشرفها في خطر فتمسكت بالعادات والطرق القديمة ومن اختلاف هذين المجلسين حدث تعب عمومي ولكن لم تحصل حركات قوية فالحركات الفجائية والقومات المتكررة حيناً بعد حين دلت على ان مواد غير

متقلقة متحركة في الامة مثل زلزلة غير واضحة ترفع كل سطح الارض من دون ان تحدث تشقيقًا ثم حالاً يرجع كل شيء الى حالة الهدو وبرن التي كانت دائمًا ثابتة في امور السياسة كانت تتحول في امور الديانة تارةً الى اليمين وتارةً الى اليسار وجزمت بانها لا تكون باباوية ولا مصلحة وكان ربح الوقت عند الايمان الجديد ربح كل شيء

وما فُعِل لارجاع برن عن الاصلاح صار العلة لادخالها في الطريق الجديدة والكبرياء التي بها رفضت الاربعة الاقاليم الاولى حراسة اصحاب عهدها والمحاورات السرية التي لم تدعُ برن اليها والتهديد بالالتفات الى الشعب راسًا اغاظت جدًّا مشيخة برن وتوما مورنر الكرملي من لوسرن الذي كان من جملة الناس الفطنين الذين يوثرون في الجمهور وتستمانفهم اصحاب العقول الرفيعة جعل الكاس تفيض فانهُ اذ غضب بسبب قائمة زوريخ التي تركت منها قصدًا اسماء القديسين اشهر ضدها قائمة الارانقة وناهبي الكنائس وهي رسالة مملوءة قذفًا وشتائم وُضِعت فيها صور المصلحين وتابعيهم ومن جملتهم كثيرون من القوم الاكثر اعتبارًا من اهالي برن مقرونة باشنع الاوصاف فطالبت زوريخ وبرن معًا رد الضرر ومن ذلك الوقت فصاعدًا كان اتحاد هاتين المقاطعتين يزداد قوةً كل يوم

وهذا التغيير ظهر حالاً في برن وانتخابات سنة ١٥٢٧ جعلت عددًا كبيرًا من احباء الاصلاح في الديوان الكبير وهذه الجماعة اذ استعملت حالاً حقها في انتخاب اعضاء الديوان الصغير الذي اختلسهُ القواد والستة عشر مدة عشرين سنة عزلت من الحكومة احزاب الرياسة الرومانية الاشد تعصبًا ومن جملتهم كسبرد دي مولنين وسباستيان دي ستين ووضعت مكانهم اعضاء اكثرهم بروتستانت واتحاد الكنيسة والحكومة الذي قبل ذلك منع تقدم الاصلاح في سويسرا كان عتيدًا ان تعينهُ. والمصلح هلر لم يكن وحدهُ في برن فان كولب كان قد ترك الدير الفرنسيسي في نورمبرج حيث اضطرهُ الامر ان يلتجي وظهر امام

أهالي بلدهِ ولم يطلب اجرة الأحرية التبشير بيسوع المسيح واذ كان كولب قد انحني تحت ثقل السنين وراسهُ تكلل بالشيب قدَّم بجسارة لروساء الامة بقلب شاب مملوّ حرارة وشجاعة قوية ذلك الانجيل الذي خلصهُ هو واما هلر فبالعكس ومع انهُ كان ابن خمس وثلاثين سنة فقط سلك بخطوات موزونة وتكلم برزانة ونادى بالتعاليم الحديثة بحذر غير معتاد اي الرجل الشيخ اخذ نصيب الرجل الشاب والرجل الشاب نصيب الشيخ

اما زوينكل الذي لم يفلت من عينهِ شيء فنظر الى ساعة مناسبة لبرن مقبلة وفي الحال اعطى العلامة وكتب الى هلر يقول ان الحمامة التي أُطلقت لكي تفحص حالة المياه راجعة بغصن زيتون الى السفينة فاخرج الآن يا نوح الثاني وتملَّك الارض فعظ واجتهد وانصب بعمق في قلوب الناس ررز كلام الله ومراسيهُ بحيث لا يكون لهم سبيل في المستقبل ان يتخلصوا ايضًا منها . وكتب الى توما ابهوفن ان ادبابكم قد اخرجت ايضًا مخالبها اسال الله انها لا ترجعها حتى تكون قد مزقت اربًا كل ما يضاد يسوع المسيح

وقبل ما اجاب هلر واصحابهُ هذا الطلب تغيرت الظروف وذلك ان مضادي المعمودية وصلوا الى برن سنة ١٥٢٧ وابعدوا الشعب عن الواعظين الانجيليين بسبب حضور الاصنام كما قالوا وبعد ما تكلم معهم هلر عبثًا صرخ قائلاً اي خطر نقع الديانة المسيحية تحتهُ حيثما دبت هذه الفتن . فانهُ لم يحدث قط انتباه في الكنيسة من دون ان يجتهد معاشر السياسيين والرياسيين في معارضتهِ وهلر مع انهُ كان خائفًا لم يزل حافظًا وداعتهُ التي لم تتغير فقال ان الولاة مرادهم ان ينفوهم ولكن يجب علينا ان ننفي غلطاتهم لا اشخاصهم فلا نستعملنَّ سلاحًا آخر غير سيف الروح وهذه المبادي لم يتعلمها المصلحون من الباباوية فحدث جدال جهاري واقرَّ ستة من المضادين بانهم قد اقتنعوا وثلاثة منهم اخرجوا من البلاد

والساعة الجازمة قربت فان قوتي العصر العظيمتين اي الانجيل والبابا وية

تحركتا بنشاط متساوٍ ودبوانا برن كانا عنيدين ان يجزما فانهما رايا من الجهة الواحدة الاربع المقاطعات الاصلية تزداد كل يوم تهددًا وتشيع ان اوستريا تهيج ثانيةً سريعًا على هلفيثيا لكي ترجعها مرة اخرى الى حيز الخضوع لرومية ومن الجهة الاخرى ابصرا الانجيل كل يوم يتقدم في البلاد فايهما يغلب في سويسرا حراب اوستريا او كلام الله واذ ارتاب الديوانان عزما على الاخذ بيد الاكثرية فابن يجدون اساسًا متينًا الا مع الاكثرين فان صوت الشعب هو صوت الله فقالوا انهُ لا يقدر احد ان يحدث تغييرًا بسلطتهِ الخصوصية بل لابد من اخذ صوت الجميع

والتزمت حكومة برن ان تحكم بين امرين كلاهما من قبل الحكومة نفسها وهما امر سنة ١٥٢٢ باطلاق الحرية في التبشير بالانجيل وامر سنة ١٥٢٦ باثبات الاسرار والقديسين وام الله وزين الكنائس فخرجت رسل الحكومة وجزعوا كل ابرشية فاعطى الشعب اصواتهم ضد كل شريعة تضاد الحرية والديوانان باسعاف الامة حكما بان كلمة الله يُنادَى بها جهارًا وبحرية وان كانت ضد فرائض وتعاليم الناس فهكذا غلب الانجيل والشعب على المشيخة والخوارنة

فثار الشغب في المقاطعة كلها وصارت كل ابرشية ميدان حرب فاخذ الفلاحون يجادلون الخوارنة والرهبان مستندين على الكتب المقدسة وقال كثيرون اذا كانت احكام ساداتنا تعطي حرية في الوعظ فلماذا لا تعطي القطيع حرية العمل فصرخ الديوانان خائفين من جسارتهما السلام السلام ولكن الرعايا صرخت بعزم انهم يطردون القداس ويحفظون رعاتهم وكتابهم المقدس. وعند ذلك حمي غضب اشياع البابا والقائد كونلار دعا اهل امانثال الصالحين ارانقة ومنافقين وشهوانيين الا ان هولاء الفلاحين الزموهُ بان يعتذر عن ذلك. اما قهرمان تراخسلولد فكان اخبث فانهُ اذ راى اهالي رود رسويل يصغون بشوق الى كلام الله الذي وعظهم بهِ قسيس صالح اتى بضاربي دفوف ومبوقين

وابطل الوعظ داعيًا بنات القرية بالكلام وبنغمات مطربة لكي يتركنَ الكنيسة لاجل الرقص

وهذه الاسباب الغريبة لم تبطل عمل الاصلاح فان ستًّا من حرف المدينة اي الاساكفة والحياكين والتجار والخبازين والنجارين نفوا من كنائس وادبرة مقاطعتهم القداسات والمواسم والنذور والزيارات وثلاث حرف اخرى اي التنكاريين والحدادين والخياطين كانوا مستعدين للاقتداء بهم واما السبع الحرف الباقية فكانوا مترددين ما عدا الجزارين الذين كانوا شديدي التعصب للبابا وهكذا اكثر الاهالي اعتنقوا الانجيل وكثيرون من اهالي المقاطعة فعلوا كذلك حتى ان دي ارلاخ ذلك العدو العظيم للاصلاح لم يعد يمكنهُ ان يضبط السيل داخل حدوده

الاَّ انهم حاولوا ذلك فان التهارمة أُمروا بان يدونوا مساوي وخلاعات الرهبان والراهبات وجميع النساء الرديات طردنَ من الادبرة ولكن الاصلاح لم يقم ضد تلك المساوي وحدها بل ايضًا ضد الترتيبات نفسها وضد البابوية التي بُنِيَت تلك الترتيبات عليها ولهذا كان حق الشعب ان يجزم فقالوا يجب جمع اكليروس برن كما في زوريخ وان يصير البحث عن التعليمين في اجتماع احتفالي ثم بعد ذلك نتصرف حسب النتيجة

وفي الاحد الواقع بعد عيد مار مرتينوس في ١١ تشرين الثاني عزم المجلس والاهالي بصوت واحد بوجوب اقامة جدال جمهوري في بداءة السنة القادمة فقالوا ان مجد الله ومجد كلمتهِ سوف يظهر اخيرًا فدُعي اهالي برن والغرباء من الخوارنة والعوام جميعا بالكتابة او باعلانات مطبوعة ان ياتوا ويبحثوا في القضايا الواقعة تحت الجدال وذلك بالكتب المقدسة فقط من دون شروح الاقدمين مبتعدين عن جميع المحاولات وكلام الافتراء وقالوا من يعلم اذا كان جميع اعضاء المعاهدة السويسية القديمة لا يجلبون بهذه الواسطة الى وحدانية الايمان

وهكذا الجهاد الجازم بجبال سويسرا كان مزمعا ان يحدث داخل اسوار

برن لان قدوة البرنيين لابد انها بالضرورة تجلب جزءًا عظيمًا من المعاهدة . اما الخمس المقاطعات فخافوا من هذا الخبر واجتمعوا في لوسرن واتحد معهم هناك فريبرج وسابورى وغلاريس ولم يكن في حرف المعاهدة ولا في روحها شيء ينافي الحرية الدينية فقالت زوريخ ان لكل ولاية حرية في اختيار التعليم الذي تشاء ان تعترف به ولكن الخمس المقاطعات بالعكس ارادت ان تعدم المقاطعات هذه الحرية وان تخضعها للاكثرية والبابا ومن ثمَّ قاومت باسم المعاهدة راي الذين طلبوا الجدال فكتبت الى برن تقول ان قسوسكم اذ قد ابهروا وخزوا في بادن بنور الحق يريدون بهذا الجدال الجديد ان يخفوا خزيهم ونحن نترجاكم ان تمتنعوا عن تدبير ينقض بهذا المقدار اتحاداتنا القديمة فاجابت برن اننا نحن لم ننقضها ولكن الذي نقضها هو رسالتكم المتكبرة فاننا لا نترك كلمة ربنا يسوع المسيح وعند ذلك جزمت المقاطعات الرومانية على الامتناع عن اعطاء ورقة امان للذين يذهبون الى برن وذلك علامة مقاصد ردية

اما اساقفة لوسان وقسطنسيا وباسل وسيون فدعوا الى المجمع تحت طائلة خسارة جميع حقوقهم في مقاطعة برن فاجابوا بما ان الجدال مزمع ان يكون حسب الكتب المقدسة فلا يعنيهم وهكذا هولاء الخوارنة نسوا كلام واحد من افاضل العلماء الرومانيين في القرن الخامس عشر انهُ في الامور الالهية يجب على الانسان ان يكون معتوقًا من اصحابهِ ويتكل على الله وحدهُ

والعلماء الرومانيون اقتفوا اثر الاساقفة فقال آك ومورنر وكوكلاوس حيثما ذهبوا انهُ قد بلغنا مكتوب هذا الابرص والاراتيكي الملعون زوينكل فانهم يريدون ان يتخذوا الكتاب المقدس قاضيًا لهم ولكن هل للكتاب المقدس صوت ضد الذين يغتصبونهُ فاننا لا نذهب الى برن ولا ندبدب الى تلك الزاوية المظلمة من العالم ولا نذهب ونقاتل في تلك المغارة المظلمة في مدرسة الارانقة فليخرج هولاء الاشقياء الى الميدان ويحاربونا على ارض مستوية اذا كان الكتاب المقدس الى جانبهم كما يزعمون فامر الامبراطور بتاخير الجدال وكان

ذلك في نفس اليوم الذي انفتح فيهِ فاجاب ديوان برن بما ان الجميع قد حضروا لا يمكن التاخير

وحينئذٍ رغمًا عن العلماء والاساقفة اجتمعت كنيسة هلفيتيا لاجل الحكم في تعاليمها . فهل لها حق ان تعمل ذلك . فالجواب كلاَّ اذا اقيم الخوارنة والاساقفة نظير وكلاء لرومية لكي يجعلوا رباطًا سريًّا بين الكنيسة وربنا . والجواب بلى اذا اقيموا كمنادين بالكتاب المقدس حسب شريعة الترتيب التي بها يجب ان يكون لكل جماعة قوة للارشاد في نفسها . واراءُ المصلحين السويسيين في هذا المعنى لم تكن مشككة قالوا ان النعمة التي توجد الخادم انما تاتي من عند الرب ولكن الكنيسة تفحص هذه النعمة وتقر بها وتنادي بها بواسطة القسوس وفي كل عمل يتعلق بالايمان يمكنها دائمًا ان تلتجي من الخادم الى كلام الله الذي يقول لجميع المؤمنين جرّبوا الارواح امتحنوا جميع الاشياء فالكنيسة هي قاضي الاختلافات وهذه القضية هي المزمعة ان تجربهُ في جدال برن . وهذا الضرب من الواجبات لا يجوز للكنيسة ان تقصر فيهِ

بان ان الحزبين غير متساويين فانهُ الى الجانب الواحد ظهرت الرياسة الرومانية التي هي جبار قد زادت قوتهُ شيئًا فشيئًا مدَّة ادوار كثيرة والى الجانب الآخر لم يكن في اول الامر الاَّ انسان ضعيف جبان اي برثولد هلر الوديع . فقال بخوف لاصدقائهِ انني لا اقدر ان استعمل سيف الكلمة وحدي فاذا كنتم لا تمدون ايديكم اليَّ يخسر كل شيء وحينئذٍ طرح نفسهُ مرتجفًا لدى قدمي الرب ثم نهض سريعًا مستنيرًا وصارخًا ان الايمان بالمخلص يشجعني ويبدد جميع مخاوفي

الاَّ انهُ لم يقدر ان يبقى وحدهُ فحوَّل كل التفاتهِ نحو زوينكل وكتب اكولمباذيوس هلر اني انا استحممت في بادن والآن زوينكل يجب ان يشرع برقصة الدب في برن وكتب هلر لزوينكل اننا بين المطرقة والسندان وقابضون على الذئب من اذنيهِ ولا نعلم كيف نرخيهِ . وبيوث وانبقيل ونول وترنب وبرثولد هي مفتوحة لك فتعال اذًا وكن قائدًا للقتال بنفسك

ان زوينكل لم يتأخر فطلب اذنًا من ديوان زوريخ لكي يزور برن ويظهر هناك ان تعليمهُ هو مملوءٌ من خوف الله وليس هو تجديفًا وانهُ قادر على ان ينشر الاتفاق في سويسرا ولا يحدث اضطرابات ولا مشاجرات. وفي نفس الوقت الذي فيهِ بلغ هلر خبر قدوم زوينكل كتب اليهِ اكولمباذيوس يقول اني لمستعد اذا لزم لان اضحّي حياتي فلنبتدئ بالسنة الجديدة باعتناق بعضنا بعضًا لمجد يسوع المسيح وكتب علماء آخرون بهذا المعنى نفسهِ . فصرخ هلر بحرارة هولاء اذًا هولاء هم المساعدون الذين يرسلهم الرب الى ضعفي لكي يعينوني في الشروع بهذا القتال الشاقّ وكان التقدم بالحذر امرًا ضروريًّا لان حمق المشيخة والخمس المقاطعات كان معروفًا جيدًا . وعلماء غلاريس وشافهوسن وسنت غال وقسطنسيا واولم ولنداو واوجسبرج اجتمعوا في زوريخ لكي يتقدموا تحت لواءٍ واحد مع زوينكل وبليكان وكولاين وميغندر وغروسمان والقائد شمدت وبولنجر وعدد كبير من الاكليروس الرعاة المختارين لمرافقة المصلح فقال اصحاب المعاليم انهُ عندما تقطع هذه الطرائد البلاد نذهب الى الصيد لعلنا نقتل بعضًا او اقلما يكون نقبض عليهم ونضعهم في قفص

وانتخب ثلاث مئة من الرجال المختارين من جماعات زوريخ ومن الابرشيات المجاورة لها فتدرَّعوا بدروعهم وحملوا اسلحتهم ولكن لكي لا يكون لسفر هولاء العلماء هذا مشابهة بزحف عسكر لم ياخذوا بيارق ولا طبولاً ولا ابواقًا ومبوق المدينة الذي كان من جنود الحكومة ركب وحدهُ في مقدمة الجمهور

ويوم الثلاثاء في ٢ كانون الثاني اخذوا في طريقهم ولم يكن زوينكل قط اكثر انشراحًا مما كان حينئذٍ فقال المجد للرب ان شجاعتي تزيد كل يوم . وركب معهُ الوالي روست وكاتب منغولدت مع فرنك وجوكلي معلمي الفنون والذين أُرسلوا جميعًا من قبل الديوان فوصلوا الى برن في ٤ كانون الثاني ولم يعترِهم من الخوف الاَّ ما لا يعتبر مرة او مرتين

وكانوا قد اختاروا كنيسة الفرنسيسيين محلاً للاجتماع وكان تلمان بنّاء

المدينة قد رتبها حسب رسم اعطاهُ اياهُ زوينكلي . فاقيم مصطبة كبيرة وُضعت عليها مائدتان جلس بجانبها انصار الحزبين فكان الى الجانب الانجيلي ما عدا هلر وزوينكل واكولمباذيوس كثيرون من معتبري الكنيسة المصلحة الغرباء عن سويسرا كبوسر وكابيتو وامبروس بلارير والى جانب الباباوية العالِم تراغر من فريبرج صاحب الصيت العظيم لكي يضرم نار الجدال واما البقية من مشاهير العلماء الرومانيين فكانوا غائبين اما خوفًا او استخفافًا

والعمل الاول كان اذاعة قوانين الجدال وهي ان لا يُقدَّم برهان الاَّ من الكتب المقدسة ولا يُقبَل تفسير لهذه الكتب الاَّ من الكتب المقدسة نفسها وان الآيات العويصة منها تفسر بالآيات الواضحة وبعد ذلك قام احد الكتَّاب لكي يدعو الصفوف وصرخ بصوت عالٍ ملأَت رنَّتهُ الكنيسة قائلاً اسقف قسطنسيا فلم يجاوب احد ثم نادى اساقفة صهيون باسل ولوسان ولم يكن احد من هولاء الاساقفة حاضرًا في ذلك الاجتماع لا بنفسهِ ولا بواسطة وكيل واذ كانت كلمة الله عتيدة ان تتسلط وحدها لم تظهر الرياسة البابا وية فان هاتين القوتين لا يمكنهما ان تمشيا معًا وكان حاضرًا نحو ثلاث مئة وخمسين من الاكليروس السويسي والجرماني

ويوم الثلاثا في ٧ كانون الثاني سنة ١٥٢٨ قام الوالي ڤاديان من سنت غال واحد من الرؤساء وفتح الجدال ونهض بعدهُ الشيخ كولب وقال ان الله في هذه الدقيقة يحرّك العالم فلنواضع اذًا انفسنا امامهُ ونتلُ بحرارة اقرارًا بالخطايا

وعند نهاية ذلك قُرئت القضية الاولى وهي هذه ان الكنيسة المسيحية المقدسة التي المسيح راسها الوحيد هي مولودة بكلام الله وتثبت فيهِ ولا تصغى الى صوت غريب

فقال ألكسيس غرات وهو راهب دومينيكي ان لفظة وحيد لا وجود لها في الكتب المقدسة فان المسيح ترك نائبًا في هذه الدنيا

فقال هلّر ان النائب الذي تركهُ المسيح هو الروح القدس

فقال تراغر انظروا اذًا الى اية حالة وصلت الامور في هذه العشر السنين

الاخيرة فان هذا يدعو نفسهُ لوثرانيًّا وذاك زوينكليًّا وآخر كرلسنديتيًّا وآخر اكولمباذيوسيًّا وآخر ضد المعمودية

فقال بوسران كل من يبشر بالمسيح بانهُ المخلص الوحيد نتخذهُ اخًا فانهُ لا لوثيروس ولا زوينكل ولا اكولمباذيوس برغب ان يلقب المؤمنون باسمهِ وعدا ذلك لا يجب ان تفتخروا بهذا المقدار بوحدانية خارجية محضة فانهُ عند ما استظهر المسيح الكذَّاب على العالم في الشرق بواسطة *** وفي الغرب بواسطة البابا استطاع ان يحفظ الشعب في وحدة الضلال فان الله يسمح بحصول الانقسام لكي يتعلم الذين يختصون بهِ ان لا ينظروا الى الناس بل الى شهادة الكلمة ووديعة الروح القدس في قلوبهم فهكذا اذًا ايها الاخوة الاحباء الى الكتب المقدسة الى الكتب المقدسة فتمسكي يا كنيسة برن بعروة ذلك الذي قال تعالوا اليَّ ولم يقل تعالوا الى نائبي

ثم تحول الجدال على التوالي نحو التقليد واستحقاقات المسيح والاستحالة والقداس وشفاعة القديسين والمطهر والايقونات والبتولية واسواء الاكليروس. وقام لرومية عدة محامين ومن الجملة موربر خوري رابرسوبل الذي كان قد قال اذا ارادوا ان يحرقوا خادمَي برن فاني اتكفل بحملها الى مكان الحريق

ويوم الاحد في ١٩ كانون الثاني الذي صارت فيهِ المقاومة لتعليم القداس اراد زوينكل ان يوثر في الشعب ايضًا فتبوأ المنبر وبعد ان تلا قانون الرسل وقف على هذه العبارة صعد الى السماء وجلس عن يمين الله الآب القادر على كل شيء ومن هناك سوف ياتي ليدين الاحياء والاموات وقال ان هذه الثلاث القضايا هي ضد القداس فضاعف جميع سامعيهِ اصغاءهم وواحد من الخوارنة كان لابسًا حلة الكهنوتية مستعدًّا ليقدس في احد المعابد فوقف متحيرًا عند كلام زوينكل هذا واذ كان هذا الخوري منتصبًا قدام المذبح المقدس الذي عليهِ الكاس وجسد المخلص حسب زعمهم بعينين تتفرسان بالمصلح الذي خلب كلامهُ ألباب الشعب صار عرضة لاشد الاضطراب ومنضابقًا من ثقل الحق فعزم وهو

مضطرب على خسارة كل شيءٍ لاجلهِ وفي حضرة جميع المحفل خلع عنهُ زينتهُ الكهنوتية وطرحها على المذبح وصرخ قائلاً ما لم يستقر القداس على اساس امتن لا يمكنني ان امارسهُ بعد وضجة هذا الارتداد الحاصل عند المذبح نفسهِ انتشرت حالاً في المدينة وحسبت علامة مهمة . فما دام القداس تربح رومية وحالما يسقط القداس تخسر رومية كل شيء فان القداس هو المبدا الموجد كل طريقة البابوية

وبعد ذلك بثلاثة ايام في ٢٢ كانون الثاني كان عيد القديس فنسنت وهو قديس المدينة والجدال الذي دام كل يوم الاحد وقف في ذلك اليوم فسال القسوس المجمع ماذا يجب ان يعملوا فاجاب المجمع ان الذين منكم يقبلون تعليم القضايا لا يجوز ان يقدسوا واما البقية فيسوغ لهم ان يجروا العبادة كالعادة ومن ثم صار كل استعداد للاحتفال وفي مساء عيد القديس فنسنت بشرت الاجراس من كل قبة بعيد اهالي برن وفي الغد اوقد القندلفت الشموع وملأ البخور الهيكل ولكن لم يحضر احد فلم يكن خوارنة يقدسون ولا مؤمنون يسمعون القداس فكان خلا عظيم في المقدس الروماني وسكوت عميق كما في ميدان القتال حيث لا احد الاَّ القتلى

وكانت عادة القسوس ان يرتلوا في مساء ذلك العيد صلوة العشي باحتفال عظيم فكان الضارب بالارغن في مكانهِ ولكن لم يحضر احد واذ تُرِك الرجل المسكين وحدهُ ونظر بحزن سقوط تلك العبادة التي بواسطتها نال خبزهُ اظهر كآبتهُ بواسطة نغمة حزن عوضاً عن نغمة عظموا الرب المطربة فنغم يا يهوذا الشقي ماذا عملت حتى سلمت معلمك . وبعد هذا الوداع الكئيب نهض وذهب في سبيلهِ وفي الحال تقريباً بعض الناس ممن هيجتهم آلام تلك الدقيقة وثبوا على ارغنهِ المحبوب الذي هو في اعينهم آلة عبادة وثنية وكسرتهُ ايديهم المحتدة كسراً كثيرة فلم يبقَ قداس ولم يبقَ ارغن ولم يبقَ ترندح بل عشاءٌ جديد وتراتيل جديدة عوضاً عن طقوس البابوية

وفي اليوم التالي كان ذلك السكوت بعينهِ الآنهُ بغتة سمع ضجة اتيان زمرة من الرجال باصوات عالية وخطوات سريعة وجماعة الجزارين الذين ارادوا ان يعضدوا رومية في تلك الدقيقة الهائلة عليها فتقدموا حاملين بعض الاغصان الخضراء لاجل تزيين معبدهم وفي وسطهم خوري غريب ووراءهُ بعض التلاميذ الفقرا فلبس الخوري واصوات التلاميذ الحلوة سدت مسد الارغن الصامت ثم انصرف الجزارون مفتخرين بظفرهم

وكان الجدال قريب النهاية والمجاهدون ضربوا ضربات نشيطة . وبرغيور راعي سنت غال كان قد ذهب الى ان المسيح موجود وجودًا حقيقيًا في القربان الآنهُ في ١٩ كانون الثاني اشهر نفسهُ مقتنعًا بواسطة براهين زوينكل واكولمباذبوس وبوسر وكذلك فعل مثياس قسيس سانيجن

وحصل بعد ذلك محاورة باللغة اللاتينية بين فارل وعالم باريسي والعالم الباريسي قدم برهانًا غريبًا بقولهِ ان المسيحيين مامورون بطاعة الشيطان لانهُ قيل كن موافقًا لخصمك (متى ٥:٢٥) فخصمنا هو الشيطان فكم بالحري يجب ان نخضع للكنيسة . وهذا القياس الغريب هيج ضحكًا شديدًا ثم خُتِم الجدال بمقاومة اضداد المعمودية

فحكم الديوانان بابطال القداس وان كل واحد يسوغ لهُ ان يزيل من الكنائس الزينة التي وضعها فيها . وفي الحال هُدِم في كنيسة الكرسي خمسة وعشرون مذبحًا واهلك كثير من الايقونات ولكن من دون شغب ولا سفك دم وابتدا الاولاد يغنون في الازقة كما يخبرنا لوثيروس قائلين

انّنا بواسطة الكلمة قد خلصنا اخيرًا

من الهٍ يُدَق في هاون

وقلوب اتباع البابابوية امتلأت مرارة عندما سمعوا ان موضوعات عبادتهم كانت تتساقط الواحد بعد الآخر وقال يوحنا شنيدر اذا كان احد يرفع مذبح الجزارين فاني ارفع حياتهُ وبطرس ثورمان شبه الكنيسة اذ نزعت عنها زينتها

باسطبل وقال عند ما ياتي اهالي اوبرلاند الى السوق يفرحون ان يضعوا ماشيتهم فيها ويوحنا شخند راحد اعضاء الديوان الكبير لكي يبين قلة اعتباره لمكان عبادة كهذا دخلهُ راكبًا على حمارٍ مفتريًا على الاصلاح وسابًا اياهُ واذ قال لهُ رجل برني اتفق حضورهُ هناك ان ارادة الله هي ان هذه الايقونات تُرفَع فاجابهُ قل بالحري ارادة الشيطان فمتى كنت مع الله لكي تعرف ارادتهُ فاغرم عشرين ليرةً وطرد من الديوان وورمانيون كثيرون صرخوا قائلين ما هذه الازمان وما هذه العوائد ويا لهُ من تغافل ماوم فكم كان هينًا منع هذه المصائب العظيمة فيا ليت اساقفتنا ارادوا ان يتشاغلوا اكثر في العلوم واقل بسيداتهم

وهذا الاصلاح كان ضروريًا فعندما فازت الديانة المسيحية بانعام الامراء عوضًا عن الاضطهاد في القرن الرابع دخل الكنيسة جمهور من الوثنيين وادخلوا معهم التماثيل والاحتفالات والايقونات وانصاف الآلهة الوثنية وشبه اسرار بلاد اليونان واسيا وعلى الخصوص مصر ونفوا كلمة يسوع المسيح من المنابر المسيحية واذ رجعت هذه الكلمة في القرن السادس عشر كان لا بد من التطهير ولكن لم يكن ممكنًا عمل ذلك من دون انشقاقات مكدرة

وكان انصراف الغرباء قد حان وفي ٢٨ كانون الثاني وهو اليوم بعد الذي رُفعت فيهِ الايقونات وهُدِمت المذابح اذ كانت كسر الايقونات لم تزل مطروحة هنا وهناك في الاروقة في كنيسة الكرسي فمرَّ زوينكل بين تلك الاثار الناطقة وتبوأ مرة اخرى المنبر في وسط جمهور غفير. وقال ملتفتًا مرة الى هذه البقايا واخرى الى الشعب ان الغلبة قد شهدت للحق ولكن الثبات وحدهُ هو الذي يكمل الظفر فان المسيح ثبت حتى الموت. الثبات يغلب النحس وكرنيليوس شبيبو بعد الدمار في كانهُ اذ بلغهُ ان القواد الذين نجوا من القتل قصدوا ترك ايطاليا دخل بيت المشيخة وان لم يكن قد بلغ بعد سن شيخ واستل سيفهُ والزم الروساء الخائفين بان يحلفوا بانهم لا يتركون رومية فيا اهالي برن فمنكم اطلب هذا الامر نفسهُ فلا تتركوا يسوع المسيح. يعسر تصور التاثير الذي حصل في الشعب

بواسطة هذه الكلمات التي نطق بها زوينكل بفصاحته الحارة

ثم التفت الى الكسر المنطرحة بالقرب منه وقال انظروا انظروا هذه الاصنام انظروا كيف انها منغلبة وخرساء ومنكسرة امامنا فهذه الجثث يجب طرحها الى المجزرة والذهب الذي صرفتموهُ على هذه الايقونات الحمقاء يجب من الآن وصاعدًا ان يكرس لتعزية صور الله الحية في حالة ضيقهم فيا ايتها الانفس الضعيفة انكم قد ذرفتم دموعًا على هذه الاصنام المحزنة ألا ترون انها تنكسر واما تسمعون انها تصوت عند انكسارها نظير سائر انواع الخشب او نظير سائر الحجارة فانظروا هوذا صورة بلا راس (وحينئذٍ اشار زوينكل الى الايقونة وجميع الشعب احدقوا بابصارهم بها) وهوذا اخرى من دون يدين واذا كان هذا العمل قد اذى القديسين الذين في السماء واذا كانت لهم القوة التي تُنسَب اليهم فهل كنتم قد قدرتم ان تقطعوا ايديهم ورؤوسهم

ثم قال الخطيب الفصيح في الخاتمة فالآن اثبتوا اذًا في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا ايضًا بنير عبودية (غل ٥ : ١) فلا تخافوا فان ذلك الاله الذي اناركم سوف ينير المتحدين معكم ايضًا وتولد سويسرا بالروح القدس وسوف تزهر بالبر والسلامة

وكلام زوينكل لم يذهب سدى فان رحمة الله استدعت رحمة الانسان . وبعض الاشخاص ممن حكم عليهم بالموت لاجل الشغب عفي عنهم وكثيرون من المنفيين ارجعوا فقال الديوان اما كنا عملنا هكذا لو زارنا ملك عظيم اما يجب بالاولى ان نفعل كذلك الآن حين دخل ملك الملوك وفادي نفوسنا بيننا حاملاً غفرانًا ابديًّا

اما المقاطعات الرومانية فخنقت من نتيجة الاجتماع وارادت ان تزعج العلماء في رجوعهم وعند ما وصلوا الى برمغرتن وجدوا الابواب مغلقة والقهرمان شوتز الذي ذهب معهم بمئتي رجل متسلحين وضع اثنين من الرماحة قدام حصان زوينكل واثنين وراءهُ وواحدًا على كل جانب ووضع نفسهُ عن يمين المصلح والوالي

روست اقام عن يساره وامر الموكب بالتقدم فخاف روساء المدينة وفتحت الابواب وجاز الموكب في برمغرتن في وسط جمهور غفير وفي اول شباط وصلوا الى زوريخ من دون حادثة فدخلها زوينكل كما قال لوثيروس نظير ظافر

والحزب الباباوي الروماني لم ينكروا الخيبوبة التي اصابتهم فقال اصدقاء رومية ان دعوانا ساقطة فيا ليت عندنا قومًا خبيرين في الكتاب المقدس فان جسارة زوينكل عضدت اخصامنا وحرارته لم تضعف قط وهذا الحيوان عندهُ معرفة اكثر مما كان يظن واسفاه واسفاه ان الحزب الاكبر قد غلب الحزب الاحسن

ان ديوان برن اذ اراد الانفصال من البابا استند على الشعب وفي ٣٠ كانون الثاني جال رسلٌ من بيت الى بيت يدعون الاهالي للاجتماع وفي ٢ شباط الاكابر والاهالي والسادات والعبيد اجتمعوا في كنيسة الكرسي وكعائلة واحدة رفعوا ايديهم نحو السماء وحلفوا بان يحموا الديوانين في كل ما يفعلانهِ لاجل خير الحكومة او الكنيسة

وفي ٧ شباط سنة ١٥٢٨ اذاع الديوان امرًا عامًا بالاصلاح وطرح الى الابد عن اعناق البرنيين نير الاربعة اساقفة الذين قالوا انهم يعرفون جيدًا كيف يجزون غنمهم ولكن لا يعرفون كيف يرعونها

وفي الوقت نفسهِ انتشرت التعاليم المصلحة بين الشعب وفي كل جهة كنت تسمع محاورات قوية حادة مكتوبة بالسجع من قلم مانويل فيها شخص القداس في حالة النزاع منطرحًا على فراش موتهِ يصرخ بصوت عالٍ طالبًا جميع اطبائهِ واذ وجد مشورتهم بلا فائدة املى اخيرًا وصيتهُ الاخيرة بصوت منخفض فقبلها الشعب باصوات الضحك

وان الاصلاح على العموم واصلاح برن على الخصوص قد عُيِّر بكونهِ قد تم باسباب سياسية ولكن برن كانت بعكس ذلك اعظم صداقة من جميع مقاطعات هلفيتيا لديوان رومية ولم يكن داخل تخومها اسقف تطردهُ ولا اكليركي قوي

تذللهُ وكانت العيال الاعظم صولة فيها كالونغرتيين والمانويليين والمايين تانف خسارة اجرة وخدمة الخارجي والكل طالبون ابقاء الكائن على كونهِ . فلماذا ما ضادت هذه الحركة . ذلك لان كلمة الله هي القوة التي غلبت هذا الميل السياسي

ففي برن كما في باقي الاماكن لم يكن روح علمي ولا روح جمهوري ولا روح طائفي اوجد الاصلاح ولا ريب ان اصحاب العلوم والحرية والمتعصبين الطائفيين دخلوا في نضال القرن السادس عشر العظيم ولكن لم يكن دوام الاصلاح طويلاً لو كانت حياتهُ منها ولكن قوة الديانة المسيحية الاصلية التي انتعشت بعد مكثها قروناً في السقوط الطويل التام هي المبدا الذي تولد منهُ الاصلاح وبعد قليل انفصل انفصالاً واضحاً عن الاتحادات الكاذبة الموجودة رافضاً علماً لم يقرَّ بهِ برفعهِ درس تاليف العلماء المحققين ودافعاً الشعب بواسطة اسنادهِ مبادئ الحرية الحقيقية ورادلاً الطوائف المتعصبة بواسطة نقد يسوع حقوق الكلمة والشعب المسيحي

ومع اننا نقول بان الاصلاح كان في برن كما في اماكن اخرى عملاً مسيحياً حقيقياً لا نقول مطلقاً انهُ لم يكن مفيداً للمقاطعة في امور السياسة فان جميع الاقاليم الاوروبية التي قبلت الاصلاح ارتفعت وارتقت والتي رفضتهُ انضعت وارتفاعها في يومنا هذا هو بالنسبة الى تخلصها من البابوية ومن سيادتها واكليروسها

الفصل الثالث

قبول الشعب للاصلاح . الايمان والطهارة والمحبة . العشاء الرباني الاول الانجيلي . الشغب بسبب المقاومين . انتصار برن

صارت المسئلة كيفية نشر الاصلاح الذي حدث في المدينة في المقاطعة

باسرها وفي ٧ اشباط دعا الديوان الابرشيات المجاورة لاجل الاجتماع في الاحد القادم لكي يتفاوضوا بخصوص هذا الامر وجميع الكنيسة حسب العادة القديمة المسيحية كانت عتيدة ان تحكم لنفسها في اعز مصالحها

فاجتمعت الجماهير وحضر في الاجتماع قوم من كل الرتب والاعمار وكنت ترى على راس الرجل الشيخ الشائب المرتجف اعين الرعاة الشبان اللامعة ثم قرأ رسل الديوان اولاً امر الاصلاح ثم نادوا ان جميع الذين يقبلونهُ يبقون والذين يرفضونهُ ينصرفون

وجميع الرعايا المجتمعين تقريبًا بقوا في اماكنهم واكثرية عظيمة جدًّا من الشعب اختاروا الكتاب المقدس وفي بعض الابرشيات عند هذا الحكم عملوا افراحًا قوية . وفي اربرج وزوفنجن وبروغ واراو وبورن حرقوا الايقونات وقيل انهُ في ستافبرج كنت ترى الاصنام يحملون اصنامًا ويلقونها فوق بعضها في اللهيب

زالت الايقونات والقداسات من تلك المقاطعات المتسعة وكتب بولنجر ان صراخًا عظيمًا يمتد الى اماكن بعيدة طولاً وعرضًا . وفي يوم واحد سقطت رومية في البلاد كلها من دون خيانة ولا اغتصاب ولا غش بقوة الحق وحدهُ ولكن في بعض الاماكن في الهسلي وفروتيجن وانترسين وغريندبوالد قال غير المرتضين اذا ابطلوا القداس يجب ان يبطلوا ايضًا العشور . وطريقة العبادة الرومانية بقيت محفوظة في سيمانثال العليا وذلك برهان على انهُ لم يحدث اغتصاب من قبل الحكومة

واذ اظهرت هكذا ارادة المقاطعة اكملت برن الاصلاح فنهي بالمناداة عن المقامرة والشرب والرقص وعن كل لبس غير لائق وهدمت البيوت الردية الاسم وطُرِد سكانها الاشقياء من المدينة واقيم جمعية لاجل المحافظة على آداب الجمهور

وبعد الامر بسبعة ايام قُبِل المساكين الفقراء في دير الدومينيكيين السابق وبعد ذلك بقليل تحوَّل دير ايلند مستشفى للمرضى وكذلك دير كونغسفلدت

الغني عُيِّن ايضًا لاجل هذه الغاية المفيدة وكانت المحبة في كل مكان تتبع خطوات الايمان فقال الديوان اننا سوف نبين اننا لا نستعمل اموال الادبرة لاجل فائدتنا الخصوصية وحفظوا كلامهم والبسوا الفقراء ثياب الخوارنة واليتامى تزينوا بزينة الكنيسة وكانوا صارمين بهذا المقدار في هذه التوزيعات حتى ان الحكومة التزمت ان تستقرض دراهم لاجل دفع سنويات الرهبان والراهبات ومدة ثمانية ايام لم يكن ريال واحد في خزينة الجمهور. على هذه الطريقة كان استغناء الحكومة من اسلاب الكنيسة وفي الوقت نفسهِ طلبوا من زوريخ خدام الانجيل هوفمستر وميغندر ورالبكان لكي ينشروا في كل المقاطعة المعارف والكتب المقدسة

وفي الفصح عُملت عشية الرب المرة الاولى حسب الطقوس الانجيلية واشترك فيها الديوانان وجميع الشعب الاّ القليل والغرباء تعجبوا من خشوع هذه الشركة الاولى واهالي برن وزوجاتهم لابسين ثيابًا نظيفة ذكرتهم بالبساطة السويسية القديمة تقدموا الى مائدة الرب برزانة وورع . ورؤساء البلاد اظهروا الورع المقدس نفسهُ الذي اظهرهُ الشعب وتناولوا بتقوى الخبز من يدي برثولد هلر واذ أُذهل هوفمستر من هذه الخدمة الخشوعية صرخ قائلاً كيف يقدر اعداء الكلمة ان يمتنعوا عن اعتناق الحق وهم يرون ان الله نفسهُ يشهد لهُ هذه الشهادة المؤثرة

الآن كل شيء لم يتغير فان اصدقاء الانجيل عاينوا بالم ابناء العيال الاولى من الجمهورية يطوفون في الاسواق بملابس فاخرة ويسكنون بيوتًا ثمينة في المدينة ومنازل فاخرة في البلاد نعم منازل فاخرة حقًا يتصيدون بالكلاب والقرون ويولمون ولائم تنعم ويتكلمون كلامًا دنسًا او يتكلمون بحمية عن الحروب الاجنبية والحزب الروماني فقال القوم الصالحون اه ليتنا نرى سويسرا القديمة تنتعش بفضائلها القديمة

وحصل سريعًا رد فعل قوي ولما قرب وقت الانتخاب السنوي لارباب الديوان رُفض لاجل الزناء المشير بونسلباخ وهو عدو مر للانجيل وكذلك

اربعة آخرون من المشيخة وعشرون عضوًا من المجلس الكبير ووضع مكانهم قوم من محبي الاصلاح واداب الجمهور فتقوى اهالي برن الانجيليون بسبب هذه الغلبة واستدعوا في المجلس ان كل واحد من اهالي سويسرا يجب ان يرذل الخدمة الخارجية وعند هذه الكلمات قام ابطال لوسرن تحت اسلحتهم الثقيلة واجابوا بابتسام متكبر متى رجعتم الى الايمان القديم فاننا حينئذٍ نصغى الى مواعظكم وجميع اعضاء الحكومة المجتمعين في برن في ديوان عام عزموا ان يعطوا القدوة وجزموا برفض اجرة من الامراء الاجانب وهكذا اظهر الاصلاح ايمانهُ باعمالهِ

وحدثت مجاهدة اخرى فانهُ فوق بحيرة ثون سلسلة صخور مستوعرة وفي وسطها مغارة حيث حسب التقليد الباباوي اتى في الازمان القديمة التقي مبارك البريتوني لكي يكرس نفسهُ لجميع تقشفات العيشة المتورعة وعلى الخصوص لاجل ارشاد اهالي المقاطعة المحيطة الذين ما زالوا وثنيين وقيل ان راس هذا القديس الذي مات في فرانسا بقي محفوظًا في هذه المغارة ومن ثم ترى الزائرين ياتون اليها من كل جهة واهالي زوغ وشويس واوري وارغوفيا الاتقياء كانوا يتنهدون عند ما افتكروا بان راس رسول سويسرا المقدس سوف يبقى فيما بعد في ارض الاراتقة فقام رئيس دير موري المشهور في ارغوفيا والبعض من اصحابهِ وساروا كما فعل في القديم الاراغوناتيون لما ذهبوا في طلب الجزة الذهبية فوصلوا الى هناك لابسين ملابس دراويش مساكين ودخلوا المغارة فاخذ واحد الراس بكل حذاقة وآخر وضعهُ بالسر في ثوبهِ وتواروا . فخلصت رومية راس انسان مائت وهذا كل ما خلصتهُ من الغرق حتى ان هذه الغلبة شك فيها لان اهالي برن اذ بلغهم خبر ذلك ارسلوا ثلاثة معتمدين في ١٨ ايار وهولاء حسب تقريرهم وجدوا الراس المعتبر وامروا بان يدفن امام اعينهم في المقبرة المختصة بدير انترلاكن وهذا النزاع على جمجمة برينا طبيعة الكنيسة التي غُلبت منذ هنيهة في برن امام نسمة الانجيل المحيية . دعوا الموتى يدفنون موتاهم

فاستظهر الاصلاح في برن الآن عاصفًا كان يجتمع من دون ان يرى في

الجبال متهدّدًا اياهُ بالدمار والحكومة بالاتحاد مع الكنيسة تذكرت شهرتها القديمة واذ رات نفسها تُقاتَل بالسلاح حملت السلاح دفعًا لذلك وتصرفت بذلك العزم الذي خلص في القديم رومية من مخاطر تشبه هذه وسرى التمفم السرّي بين اهالي الوديان والجبال والبعض منهم ما زالوا متمسكين بالخرافات الباباوية وآخرون كانوا قد تركوا القداس لانهم ظنوا انهم يعفون من العشور. ورُبط الجيرة القديمة والاصل العمومي والعوائد المتشابهة وصلت بين سكان ابوالد (انتروالدن) وسكان هسلي وابرلند البرنية المنفصلة بعضها عن بعض بجبل برونيغ ومجاز بوكي العالي وشاعت الاخبار بان حكومة برن قد نجست المكان المحفوظ فيهِ عظام مبارك رسول تلك الجبال الكريمة فامتلأَت حالاً حنقًا قلوب اولئك الشعوب الرعائية المتمسكين اشد تمسكًا من الآخرين بعوائد اجدادهم وخرافاتهم

واذ كان البعض هائجين بسبب تعلقهم برومية نهض آخرون طلبًا للحرية ورهبان دير انترلاكن المتضايقون من القوانين الرهبانية ابتداوا يصرخون قائلين نريد ان نكون سادات انفسنا ولا ندفع ايضًا اجرة ولا عشورًا واذ خاف رئيس الدير سلم جميع حقوقهِ لبرن تحت دفع مئة الف فلوريني فذهب احد القهارمة مع بعض المشيرين وتسلم الدير فشاع الخبر حالاً انهم مزمعون ان ينقلوا كل مال الدير الى برن وفي ٢١ نيسان زمر من الرجال من غريندلوالد ولوتربرونين ورنجلبرج وبرينز واماكن اخرى قطعوا البحيرة او خرجوا من وديانهم الشامخة وتسلموا الدير عنوة واقسموا بانهم يذهبون حتى الى برن في طلب الاموال التي تجاسر الاهالي على اخذها منهم

ثم هداوا الى حين غيرانهُ في اول حزيران بواسطة اغراء انتروالدن نهض جميع الاهالي في هسلي واجتمعت العامة فحكم اكثرهم بارجاع القداس والراعي بوكلي طُرِد حالاً ورجال قليلون عبروا برونيغ واتوا معهم ببعض الخوارنة من انتروالدن باصوات الارغن والبوق وكنت تراهم عن بعد ينحدرون عن الجبل

والاصوات العالية الطويلة تجاوبهم من اعماق الوادي واخيرًا وصلوا وعانقوا جميعًا بعضهم بعضًا وعمل الشعب القداس حديثًا بالبهجة والحبور وفي الوقت نفسهِ شعب فرونيجن ووادي ادلبودن المخصب ثاروا على ربوتر ضابط القلعة واخذوا قطعانهُ واقاموا خوريًا باباويًا مكان راعيهم وفي ايسكي حملت النساء ايضًا السلاح وطردنَ الراعي من الكنيسة وارجعنَ الايقونات بالعز فامتد العصيان من قرية الى قرية ومن وادٍ الى وادٍ وتسلحوا ايضًا انترلاكن وجميع العصاة اجتمعوا هناك في ٢٢ تشرين الاول وحلفوا بايدٍ مرفوعة الى السماء ان يحموا بجسارة حقوقهم وحريتهم

فصارت الجمهورية في خطر عظيم فان جميع ملوك اوروبا واكثر مقاطعات سويسرا كانت ضد الانجيل وخبر جيش من اوستريا مرادهُ يتعرض للمحاماة عن البابا انتشر في الولايات المصلحة فكانت تحصل اجتماعات للفتن كل يوم وامتنع الشعب عن ان يؤدوا لولاتهم اجورهم او خدمتهم او عشورهم او طاعتهم ايضًا ما لم يغضوا نظرهم عن مقاصد الباباويين فوقع الديوان في اضطراب واذ كان متحيرًا ومرتبكًا وعرضة لعدم اركان البعض واهانات آخرين انصرف بجبانة تحت حجة موسم الخمر فطووا ايديهم امام هذه الاخطار العظيمة انتظروا مسيحًا ينزل من السماء على قول احد المصلحين ويخلص الجمهورية

وخدام الانجيل بينوا الخطر وحذروا الديوان وحرضوهُ الاَّ انهُ حوَّل اذنًا صماء قال هلرّ ان المسيح يضعف في برن ويبين على حافة التلف . فاضطرب الشعب واجتمعوا وخطبوا وناحوا وذرفوا دموعًا وكنت تسمع في كل مكان في جميع اجتماعاتهم الملوَّة ضجة تشكي مانويل هذا من الباباويين والباباوية . قال

ان اعداءنا يشهرون بغضب تهديداتهم المكروهة
لاننا ايها الرب نحبك اكثر من الجميع
ولانهُ امامك تسقط الاصنام
ونرذل بكراهة الحرب وسفك الدماء

فصارت برن بحرًا هائجًا وهاّر الذي سمع ضجيج الامواج كتب باشد الكآبة يقول ان الحكمة قد تركت الحكماء والمشورة تركت المشيرين والنشاط زائل عن الروساء والشعب والمشاجرات تزداد كل يوم وا اسفاه فهل يقدر الدب المتضايق من النعاس ان يقاوم هذا المقدار من الصيادين الاشداء الى هذا الحد . فاذا تركنا المسيح فاننا نهلك جميعًا

وهذه المخاوف كانت قريبة النجاز فان المقاطعات الصغرى ادّعت بان لها سلطانًا على التداخل في قضايا الايمان من دون نقض الشروط . فقام ست مئة رجل مجهزين للزحف وثمان مئة رجل من انترولدن حاملين اغصان صنوبر في برنيطاتهم رمزًا عن الايمان القديم برؤوس متكبرة ووجوه معبسة متهددة قطعوا برونيغ تحت لواء البلاد القديم حاملة كسبرد دي فلوي حفيد رذيل لنيقولاوس الكبير (وهو ناسك مشهور منع حربًا داخلية في سويتزرلند سنة ١٤٨١) وكان ذلك اول نقض سلامة الجمهور منذ سنين كثيرة ولما التقى هذا العسكر القليل عند برينتس برجال هسلي عبروا البحيرة وجازوا تحت شلالات غيسباخ ووصلوا الى انترسين الفًا وثمان مئة من الاشداء مستعدين للهجوم على برن لكي يرجعوا البابا والاصنام والقداس الى تلك المدينة العاصية ففي سويسرا كما في جرمانيا صادف الاصلاح في بداءته حربًا من الفلاحين وعند الغلبة الاولى كان يصل مقاتلون جدد ينقضون من مضايق برونيغ على الجمهورية الخائنة وكان الجيش بعيدًا عن برن ستة فراسخ فقط وابناء انترولدن صقلوا بكبرياء سيوفهم على شطوط بحيرة ثون

وهكذا ديست العهود والشروط بين الولايات تحت الاقدام من نفس الاشخاص الذين ارادوا ان يسموا بالمحافظين عليها وكان لبرن حق ان تدفع هذه الهجمة الملومة بالسيف ولما تذكرت تلك المدينة بغتةً فضائلها القديمة نهضت بهمة ونذرت ان تهلك ولا تسمح بمعارضة انترولدن وارجاع القداس وتعدي الفلاحين وفي ذلك الوقت حل في قلوب اهالي برن الهام من تلك الالهامات

الآتية من فوق والتي تخلص الشعوب والاشخاص جميعًا فصرخ القائد دي ارلاخ دعوا ثقة مدينة برن تكون بالله وحدهُ وبامانة اهلها فاجاب كل الديوان وجميع الاهالي معًا باصوات المديح والقبول فأُخرج حالاً اللواء العظيم وثار اهالي المدينة الى السلاح وتجمعت الزمر وخرجت جيوش الجمهورية مع القائد البطل في مقدمتهم

وحالما اظهر حكم برن هذا النشاط زادت ثقة اصحابهِ وضعفت شجاعة اعدائهِ فان الله لا يترك شعبًا امينًا لنفسهِ فكثيرون من اهالي ابرلند ضعفت همتهم وتركوا صفوف العصاة وفي الوقت اتى معتمدون من باسل واوسرن وبينوا لانترولدن انها كانت تدوس العهود القديمة تحت قدميها واذ ضعف العصاة بسبب ثبات الجمهورية تركوا انترسين وانطلقوا الى دير انترلاكن وبعد ذلك بقليل عندما راى اهالي انترولدن ثبات اخصامهم وتضايقوا ايضًا من الامطار الباردة التي هطلت بلا انقطاع وخافوا من ان الثلج بتغطيتهِ جبالهم يمنعهم من الرجوع الى اوطانهم خلوا دير انترلاكن في الليل واهالي برن الذين كانوا خمسة الآف رجل دخلوا حالاً وطلبوا اهالي باسل وانترلاكن ان يجتمعوا في ٤ تشرين الثاني في السهلة المحيطة بالدير وعندما اتى اليوم المعين اصطفت جيوش برن وعملت حلقة فامر دي ارلاخ الفلاحين ان يدخلوا وحالما وضع العصاة الى اليسار والمطيعين الى اليمين اطلق البارود من البنادق جميعها والمدافع ولما وصلت اخبار ذلك الى الجبال ملأ المتمردين رعبة الآن غاية القائد انما كانت ان يبين للفلاحين انهم في قبضة يد الجمهورية فخاطبهم دي ارلاخ حالاً بعد هذا الافتتاح الغريب ولم يفرغ من خطابهِ حتى جثوا جميعًا على ركبهم واقروا بذنبهم واستمدوا العفو فاكتفت الجمهورية بذلك وانتهت العصاوة وأُخِذت الوية المقاطعة الى برن. ونسر انترلاكن مع تيس هسلي علقا حينًا تحت الدب علامة لهذا الظفر فقتل اربعة من الرؤساء وعفي عفوًا عامًّا عن باقي العصاة. قال زوينكل ان اهالي برن فعلوا كما فعل اسكندر المكدوني في القديم فانهم فضوا المشكل العظيم بشجاعة

ومجد هكذا افتكر مصلح زوريخ ولكن الاختبار كان مزمعاً ذات يوم ان يعلمهُ انهُ لاجل حل مشاكل كهذه يحتاج الى سيف غير سيف اسكندر او سيف دي ارلاخ وعلى كل حال ارجعت السلامة ولم يكن يسمع في وديان هسلي صوت الاّ العجيج السامي الذي بجملهُ عن بعد نهر زيخنباخ والانهر المجاورة اذ تصب من رؤُوس الجبال مياهها الغزيرة المزبدة

اننا عند ما نرفض لاجل الكنيسة سيوف صفوف هلڤيتيا لا يكون من الحكمة ان لا نقر بالفوائد السياسية الناتجة من هذه الغلبة فان الاشراف توهموا ان اصلاح الكنيسة يوقع في خطر نفس وجود الحكومة وبعد ذلك حصلوا على برهان بعكس ذلك فراوا انهُ متى قبلت امة الانجيل تتضاعف قوتها والثقة الكريمة التي بها في اوقات الخطر وضعوا البعض من اعداء الاصلاح في مقدمة المصالح والجيش احدثت اسعد النتائج فاقتنع الجميع بان الاصلاح لا يدوس التعلقات القديمة تحت رجليهِ فزالت التعصبات ونفيت البغضة وضم الانجيل بالتدريج جميع القلوب الى نفسهِ

الفصل الرابع

اصلاح سنت غال . راهبات القديسة كاترينا . معجزة باباوية . الموانع في باسل . غيرة اهلها

ان اصلاح برن اثر في عدّة ولايات ونفس الريح التي هبت من العلا بهذه القوة على بلاد واتاڤيل وهلر طرحت الاصنام في قسم كبير من سويسرا وفي اماكن كثيرة اغتاظ الناس من تعويق الاصلاح بواسطة حذر الوكلاء وجبانتهم ولكن عند ما طُردت الحِيَل في برن فاض بعزمٍ النهر الذي انحصر بسدهِ مدّة مستطيلة

ان ڤاديان والي سنت غال الذي كان صاحب الكرسي في الجدال البرني حالما رجع الى وطنهِ قام الاهالي ورفعوا باذن الولاة الايقونات من كنيسة القديس ماغنوس واخذوا يد هذا القديس وهي فضة وامتعة اخرى وسكوها معاملة ووزعوا على الفقراء الدراهم التي حصلوها وهكذا سكبوا كمريم طيبهم الكثير الثمن على راس المسيح (مت ٢٦: ٧) ولما رغب اهالي سنت غال بان يكشفوا الاسرار القديمة وضعوا ايديهم على الدير نفسهِ وعلى العلب والصلبان التي كانت كل ذلك الوقت الطويل تُقدَّم لهم لكي يعبدوها ولكن عوضًا عن ذخائر القديسين لم يجدوا الاَّ قليلاً من الزبيب وبعض قطع النقود وبعض التماثيل الخشبية الحقيرة وبعض الخرق القديمة وجمجمة وسنًّا كبيرة وحلزونة فتعجبوا من ذلك جدًّا ورومية عوضًا عن السقوط الشريف الذي يدلُّ على اخرة اقوام معتبرين غاصت في وسط الخرافات الحمقاء والاخاديع المعيبة وضحك وتهكم قبيلة بجهالتها

وهذه الاكتشافات هيجت عقول الجمهور وفي احدى الليالي اراد البعض من الاشرار ان يخيفوا راهبات القديسة كاترينا المسكينات اللواتي قاومنَ الاصلاح بعناد فاحاطوا الدير باصوات عالية فباطلاً حصنت الراهبات الابواب فان العتاة اعتسفوا الحيطان والخمر الجيدة واللحم والحالي وكل ما هو بعيد عن دائرة عيشة الدير القشفة صار غنيمة لهؤلاء الهازلين الغليظين وبقي لهنَّ اضطهاد اخر وذلك لما اقيم العالم شبلار مرشدًا لهنَّ أُوصينَ ان يرفعنَ ثوبهنَّ الرهباني وان يحضرنَ مواعظهُ الاراتيكية بملابس كملابس اهل العالم باسرهم كما قالت الاخت ويبورات والبعض منهنَّ قبلنَ الاصلاح ولكن ثلاثون غيرهنَّ فضلنَ عليهِ المنفى وفي ٥ كانون الثاني سنة ١٥٢٨ انعقد مجمع حافل ورتب نظام كنيسة سنت غال

والنضال كان اقوى في غلاريس فان بزور حق الانجيل التي بذرها زوينكل هناك لم تنجح الاَّ قليلاً لان اصحاب السطوة من الاهالي رفضوا بعزم كل

شيء حديث والشعب احبوا ان يقفزوا ويرقصوا ويعملوا عجائب والكؤوس بايديهم كما يقول مورخ قديم اكثر من ان يشغلوا انفسهم في امور الانجيل ومجمع الشعب اذ حكم اكثرهم في ١٥ ايار سنة ١٥٢٨ بابقاء القداس وكان عدد الذين حكموا بذلك فوق عدد البقية ثلاثة وثلاثين صوتًا وانفصل حزب عن حزب كل الانفصال ثم تكسرت الايقونات في ماتّ وألم وبتسواندن واذ بقي كل انسان معتزلاً في بيتهِ وقريتهِ لم يبقَ في الولاية ديوان ولاية ولا محكمة عدل وفي شواندن دعا القسيس بطرس روملين البابا ويين لاجل الجدال معهُ في الكنيسة فقام هولاء عوضًا عن الجدال بوكب وبصوت البوق واحاطوا بمكان العبادة حيث كان المصلحون مجتمعين ثم ثاروا الى بيت الراعي المذكور الذي موقعهُ في وسط المدينة وكسروا المواقد والطاقات فاخذ المصلحون المغتاظون من ذلك ثارهم بتكسيرهم الايقونات وفي ١٥ نيسان قر الراي بين الفئتين على ان لكل انسان حقًّا ان يختار بين القدّاس والوعظ

وفي ويسين حيث كانت شوَيتس بالاتحاد مع غلاريس تستعمل سلطة مستبدة تهدد وكلاء الولاية الاولى الشعب وعند ذلك اخذ الشبان الايقونات من الكنائس وحملوها الى ساحة بالقرب من شطوط بحيرة والنسندت اللطيفة التي فوقها جبال امون والسبعة المنتخبون وصرخوا انظرنَ ان هذه الطريق التي الى جانب البحيرة تؤدي الى كوير والى رومية وتلك الطريق الجنوبية تودي الى غلاريس وهذه الطريق الغربية تؤدي الى شويتس وتلك الطريق التي الى جانب امون تؤدي الى سنت غال فخذنَ في الطريق التي تعجبكنّ ولكن اذا كنتنّ لا تتحركنَ فلا بد من ان تحرقنَ وبعد ان انتظر هولاء الشبان بعض الدقائق التوا الايقونات العديمة الحركة في النار واذ كان وكلاء شويتس شهودًا عيانيين لهذا العمل انصرفوا بالحيرة وملأوا المقاطعة بتدابير انتقام لم يتاخر انجازها

وفي مقاطعة ابنزل حيث كان قد انفتح مجمع ظهر بغتةً زمرة من البابا ويين بالمقارع والسياط صارخين اين هم هولاء الواعظون اننا عازمون على طردهم من

القرية وهولاء العلماء المستغربون جرجروا الواعظين وبددوا الجمهور ببساطتهم ومن الثماني الابرشيات التي في المقاطعة ستٌّ اعتنقت الاصلاح وصارت مقاطعة ابنزل اخيرًا منقسمة الى قسمين صغيرين احدهما باباوي والآخر مصلح

وفي الغرسيونات نودي بالحرية الدينية فصارت الابرشيات تنتخب رعاتها وحصون كثيرة هُدِمت الى الاساس لكي يكون كل رجوع الى الحكم الظالم غير ممكن والاسقف الخائن ذهب واخفى في التيرول غضبهُ وطلبهُ لاخذ الثار . قال زوينكل ان الغرسيونات تتقدم كل يوم وهم امة يذكروننا بواسطة شجاعتهم باهالي تسكانانا القدماء وبواسطة بساطتهم باهالي سويسرا الاولين

وشافهوسن بعد ان بقيت زمانًا مترددة بين الطريقين عزلت اجابةً لطلب زوريخ وبرن الايقونات من كنائسها من دون شغب ولا تشويش وفي الوقت نفسهِ فتح الاصلاح ثورغوفيا ووادي الرين وبعض المقاطعات التابعة لها وباطلاً كانت المقاطعات الباباوية تقاوم ذلك مع انها الاكثر عددًا فاجابت زوريخ وبادن انهُ عند ما تتعاطى الامور الزمنية لانضاد اكثرية الاصوات ولكن كلمة الله لا يمكن اخضاعها لاصوات الناس . وجميع الاقاليم الواقعة على شطوط ثور وبحيرة قسطنسيا والرين الاعلى احتضنت الانجيل وسكان ماميرين بالقرب من المكان الذي فيهِ يخرج الرين من البحيرة طرحوا ايقوناتهم في الماء ولكن تمثال القديس بلايس بعد ان بقي مدة من الزمان منتصبًا ومتاملاً بالرفعة العديمة الشكر التي نفي منها سبح وقطع البحيرة الى كاتاهرن الواقعة على الشط المقابل اذا صدقنا خبر راهب اسمهُ لانغ فكانت الباباوية تجترح عجائبها وهي هاربة

وهكذا قلبت الخرافات الشائعة في سويسرا واحيانًا لم يتيسر ذلك من دون شغب وكل عمل عظيم في المصالح البشرية لا بد لهُ من المضادة القوية للموجود وبالضرورة يتضمن عنصرًا مضادًا لهُ حتى ان يفعل بحرية وبهذه الواسطة يفتح طريقًا جديدًا ففي ايام الاصلاح قاوم العلماء البابا والشعب قاوم الايقونات وكانت الحرية دائمًا الاّ ما قل تتجاوز حدود الاعتدال ولكي نقدر

الطبيعة البشرية ان تتقدم خطوة الى ما قدام يلزم الذين يسهلون طريقها ان يخطوا خطوات كثيرة فكل خطوة زائدة يجب رذلها ولكن مع ذلك يجب ان نقر بضرورتها فلا يجوز ان ننسى ذلك في تاريخ الاصلاح ولاسيما اصلاح سويسرا فأُصلحت زوريخ وبرن صارت منذ هنيهة كذلك واما باسل فبقيت حتى رجحت مداين المعاهدة العظام للايمان الانجيلي واصلاح هذه المدينة العالمة كان اهم النتائج الناتجة من اصلاح برن الحربية

مضى على الانجيل مدَّة ست سنوات وهو ينادى بهِ في باسل واكولمباذيوس الوديع التقي كان دائمًا ينتظر اياماً احسن فقال ان الظلام قريب الزوال قدام اشعة الحق ولكن هذا الانتظار كان باطلاً وسلطة مستقلة مثلثة وهي اكابر الاكايروس والاشراف والمدرسة الكلية منعت سهولة امتداد الاراء المسيحية والرتب المتوسطة هي العتيدة ان تحدث غلبة الاصلاح في باسل ولاجل النحس الموجة الجمهورية لا تصدم شيئًا من دون ان تكوّن رغوة دنسة

نعم كان للانجيل اصدقاء كثيرون في الدواوين ولكن بما انهم من الحزب المتوسط كانوا يلطون الى ماخلف والى ما قدام نظير ايراسموس عوضًا عن ان يسافروا باستقامة الى المينا فانهم امروا بالمناداة بكلمة الله الخالصة ولكنهم اشرطوا في الوقت نفسهِ ان يكون ذلك على غير المذهب اللوثراني والاسقف التقي المسن اوتنهيم الذي كان عائشًا بالانفراد في برونتروت كان يزحف كل يوم الى الكنيسة يعضده اثنان من خدمهِ لكي يقدس بصوت منكسر وغوند لسهيم عدو الاصلاح خلفهُ بعد قليل وفي ٢٣ ايلول اذ كان متبوعًا بكثير من المنفيين ومحفوفًا باربعين خيالاً دخل دخولاً مظفرًا الى باسل عازمًا على ارجاع كل شيء الى حالتهِ القديمة وهذا الامر جعل اكولمباذيوس يكتب بخوف الى زوينكل ان دعوانا معلقة بخيط

ولكن الاصلاح وجد في الاهالي تعويضًا عن ازدراء العظماء وعن الاهوال التي احدثها الاسقف الجديد فرتبوا ولائم كل ولاية لخمسين ولمئة فاكولمباذيوس

واقرانهُ جلسوا على الموائد مع الشعب حيث كانت المدائح النشيطة والافراح المتواترة تحيي عمل الاصلاح وفي زمان قصير بان الديوان ايضًا مائلاً الى جانب الانجيل وعشرون عيدًا أُبطلت وسُمح للخوارنة ان يمتنعوا عن ممارسة القدّاس وصار الصراخ قد انتهى امر رومية ولكن اكولمباذيوس هز راسهُ وقال اني اخاف ان باسل بطلبها ان تجلس بين كرسيين سوف تسقط اخيرًا الى الارض

وكان ذلك عند رجوعهِ من الجدال في برن ووصل عند وفاة امهِ التقية وحينئذٍ وجد المصلح نفسهُ وحدهُ ساقطًا تحت ثقل الهموم الجمهورية والعائلية لان بيتهُ كان كمنزل لجميع المسيحيين الهاربين وقال مرارًا اني سوف اتزوج بمونيكا (اشارةً الى مونيكا ام مار اوغسطينوس) والّا فاني ابقى بتولاً وظن انهُ وجد الاخت المسيحية التي فتش عليها وهي ويليبرنديس ابنة احد فرسان الملك مكسيميليان وارملة معلم فنون اسمهُ كلار وهي امراة قد اختبرت بالتجارب الكثيرة فتزوج بها قائلاً اني انظر الى وصايا الله لا الى وجوه الناس المعبسة وذلك لم يمنع ابراسموس الخبيث من ان يقول ان دعوى لوثيروس تدعى مبكية ولكنني انا اقول انها مضحكة لان كل لعبة تنتهي بعرس وهذه العبارة أُعيدت مرارًا كثيرة وصارت العادة مدّة طويلة ان يعلل عن الاصلاح برغبة الامراء في املاك الكنيسة ورغبة الخوارنة في الزواج وسلمت رومية نفسها ان هذا التعليل دليل على عقل صغير والآن انصارها يقولون ان اصل الاصلاح ناتج من غيرة مسيحية حقيقية الّا انها غير مستنيرة

ورجوع اكولمباذيوس كانت لهُ نتائج مهمة لباسل اهم مما كانت لهُ نفسهِ فان الجدال في برن احدث حاسيات عظيمة هناك وقال الناس ناقلين ذلك من فم الى فم ان برن برن القديرة آخذة في الاصطلاح وقال الشعب بعضهم لبعض كيف . الدب الضاري قد خرج من مغارتهِ يطلب اشعة الشمس وباسل مدينة العلوم باسل المدينة التي تبناها ابراسموس واكولمباذيوس هل تبقى في الظلام

ويوم جمعة الآلام في ١٠ نيسان سنة ١٥٢٨ من دون معرفة الديوان ولا اكولمباذيوس دخل خمسة صناعيين من جماعة الغزالين الى كنيسة مار مارتين التي هي كنيسة المصلح (وكان قد ابطل القداس منها) واخذوا منها جميع الاصنام وفي اثنين الفصح بعد العظة المسائية اربعة وثلاثون من الاهالي رفعوا جميع الايقونات من كنيسة الاوغسطينيين

زُعم ان ذلك جواز الحدود وقيل هل يريدون ان يجتذبوا باسل ودواوينها من ذلك الاعتدال الحميد الذي بقوا الى ذلك الوقت يترددون فيه بحكمة . فاجتمع الديوان بسرعة يوم الثلثا صباحًا وارسل الخمسة الرجال الى السجن ولكن أُطلقوا اجابةً لطلب الاهالي ورُفعت الايقونات من خمس كنائس اخرى وهذه الاعمال النصفية كانت كافية الى حين

ولكن اللهيب هب ثانيةً على اشد منوال . وُعظت مواعظ في كنيسة القديس مرتين وكنيسة القديس ليونرد ضد كراهات كنيسة الكرسي وفي كنيسة الكرسي دعي المصلحون اراتقة ومنافقين ووقحين فكان الباباويون يقدسون قداسًا على قدّاس والوالي مايراحد اصدقاء الاصلاح كان معهُ اكثرية الشعب والوالي ميلتنجر الذي كان قائدًا شجاعًا لاحزاب رومية كان يغلب في المشورات فصارت المصادمة امرًا لابد منهُ قال اكولمباذيوس ان الساعة الهائلة قد دنت وهي هائلة على اعداء الله

ويوم الاربعا في ٢٣ كانون الاول قبل عيد الميلاد بيومين اجتمع ثلاث مئة رجل من جميع الرتب الفاضلين الاتقياء في ديوان جماعة البساتنية وكتبوا هناك عرضًا الى المشيخة وفي تلك الفترة اصدقاء البابابوية الذين سكن اكثرهم في باسل الصغرى وجوار حيّ مار بولس حملوا السلاح وحركوا سيوفهم ورماحهم ضد الاهالي المصلحين في نفس الدقيقة التي كان فيها هولاء حاملين عرضهم الى الديوان واجتهدوا ان يسدوا طريقهم ولكن لم يقدروا على ذلك فامتنع ميلتنجر بكبرياء من قبول الاعراض وطلب من الاهالي بناء على حلفهم المدني ان يرجعوا

الى اوطانهم غير ان الوالي ما برتناول العرض وامرت المشيخة بقراءته

وهذه عبارانة ايها السادة الكرام الحكماء المنعمون اننا نحن اهالي بلادكم المطيعين نخاطبكم كاباء محبوبين نحن مستعدون لان نطيعهم ولو خسرنا اموالنا وحياتنا فانظروا الى مجد الله من قلوبكم وارجعوا السلامة الى المدينة والزموا جميع واعطي البابا ان يجثوا بحرية مع خدّام الانجيل فاذا كان القداس حقيقيًّا فاننا نرغب ان يكون في كنائسنا ولكن اذا كان كراهة قدّام الله فلماذا لاجل حب الخوارنة نجلب غضبهُ تعالى الهائل على انفسنا وعلى اولادنا

فهكذا تكلم اهل باسل ولم يكن شيء مهيج في كلامهم ولا في تصرفاتهم فطلبوا ما هو مستقيم وذلك بعزم وهدو وكان الامران كل شيء يتم بترتيب وجمالة وحينئذٍ ابتدا عصر جديد وقربت سفينة الاصلاح من الدخول الى الميناء ولكن لا بد لها اولاً ان تحتمل عواصف شديدة

الفصل الخامس

تشويش في باسل . كسر الاصنام في الكنائس . الحكم بشرعية الاصلاح .
ايراسموس في باسل . الانقلاب والاصلاح

ان حزب الاسقف هو اول من حاد عن الطريق الشرعي وذلك لانهم امتلأُوا خوفًا عند ما بلغهم ان وسطاء مزمعون ان ياتوا من زوريخ وبرن فركضوا الى المدينة صارخين ان عسكرًا من اوستريا آتٍ الى نجدتهم وجمعوا حجارة في بيوتهم وهكذا فعل المصلحون فتزايد التشويش كل ساعة وفي ليلة ٢٥ كانون الاول اجتمع البابا ويون تحت السلاح وبينهم خوارنة حاملين السلاح بايديهم وحالما بلغ المصلحين ذلك ركض البعض منهم من بيت الى بيت وقرعوا

ابواب اصحابهم وايقظوهم فقام هولاء من اسرتهم واخذوا سلاحهم وذهبوا الى قاعة البساتنية محل اجتماع حزبهم وبلغ عددهم سريعًا ثلاثة آلاف نفس . فصرف الحزبان الليل تحت السلاح وخشي كل ساعة من انتشاب الحرب الاهلية او ما هو اشر من ذلك حرب العيال واخيرًا قر الراي ان كل حزب يختار معتمدين لاجل انهاء هذه القضية مع ارباب الشورى فاختار البروتستانت ثلاثين رجلاً من اصحاب الاعتبار والشجاعة والايمان والاختبار وهولاء نزلوا في قاعة البساتنية وحزب الباباويين اختاروا ايضًا عمدة ولكن اقل عددًا واعتبارًا فنزلوا في قاعة الصيادين وجلس الديوان من دون انقطاع وجميع ابواب المدينة ما عدا اثنين منها أُغلقت ووُضع حرّاس اقوياء في كل جهة وكانت تتقاطر على التوالي الوكلاء من لوسرن واوري وشافهوسن وزوغ وشويتس وملهوسن وستراسبرج وزاد الهياج والشغب من ساعة الى ساعة

وكان ازالة هذا التشويش العظيم امرًا مهمًا وارباب الشورى لاجل ترقيع الحال حكموا ان الكهنة لا يزالون يمارسون القدّاس وان الجميع من كهنة وقسوس ينادون بكلمة الله وان يجتمعوا لاجل هذه الغاية مرة كل اسبوع لاجل البحث في الكتب المقدسة وحينئذٍ جمعوا اللوثرانيين في الكنيسة التي لرهبان مار فرنسيس والباباويين في التي لرهبان مار دومينيكوس فذهب ارباب الشورى اولاً الى الكنيسة الاولى ووجدوا الفين وخمس مئة من الاهالي مجتمعين هناك وحالما قرا الكاتب الحكم المشار اليهِ حدث هياج عظيم فصرخ واحد من الجمع ان ذلك لا يكون وقال اخر اننا لا نحتمل القدّاس حتى ولا قداسًا واحدًا وقال الجميع لا قداس لا قداس ان موتنا اسبق

ثم رجع ثانيةً ارباب الشورى الى كنيسة الدومينيكيين الى الباباويين وعددهم ست مئة نفس وبينهم خدّام اجانب فصرخوا قائلين اننا مستعدون لان نضحي حياتنا لاجل القداس ثم استتلوا بايدٍ مرفوعة اننا نحلف بذلك اننا نحلف بذلك فاذا كانوا يرفضون القداس فالسلاح السلاح . فانصرف ارباب

الشورى مرتبكين جدًّا

ثم اجتمع الفريقان ثانيةً بعد ثلاثة ايام فتبوأ اكولمباذيوس المنبر وقال كونوا ودعاء ليّنين ووعظ وعظًا مؤثرًا بهذا المقدار حتى كادوا يبكون . فقدم المحفل صلوات ثم حكموا بانهم يقبلون ترتيبًا جديدًا مضمونهُ انهُ بعد العنصرة بخمسة عشر يومًا يصير جدال مشتهر لا يستعان فيهِ ببينات الّا ما يمكن اخذهُ من كلام الله وبعد ذلك يوخذ الصوت العام على القدّاس والاكثرية تثبت الحكم وانهُ في هذه الفترة يصير القداس في ثلاث كنائس فقط بشرط ان لا يعلَّم هناك بشيء يضاد الكتب المقدسة . والاكثرية الباباويين رفضت هذا الراي وقالت ان باسل ليست كبرن وزوريخ فان كثيرًا من مداخيلها ياتي من بلدان مضادة للاصلاح واذ امتنع الخوارنة عن الحضور في المحاورات الاسبوعية رُبطوا وفي مدّة اسبوعين لم يكن وعظ ولا قدّاس في كنيسة الكرسي ولا في كنائس مار اولرك ومار بطرس ومار تيودوروس

والذين بقوا امناء لرومية عزموا على مدافعة قوية فان ملتنجر وضع في منبر كنيسة مار بطرس سباستيان مولار الذي كان قد نهي عن ذلك وهذا الخوري الشديد الحرارة نطق بمثالب قوية بهذا المقدار ضد الاصلاح حتى ان كثيرين من الانجيليين الذين سمعوا خطابهُ حصل عليهم تعديات وكادوا يمزقون اربابًا

وكان ايقاظ باسل من هذا الحلم المزعج وضرب ضربة قاطعة امرًا ضروريًّا فقال الاهالي المصلحون فلنتذكر حريتنا وما يجب علينا لمجد المسيح وللعدل العمومي ولذريتنا ثم طلبوا ان اعداء الاصلاح اصدقاء واقارب الخوارنة الذين كانوا علة جميع تلك التاخرات وجميع الاضطرابات لا يجلسون ايضًا في الديوان حتى يرجع الامان وكان ذلك في ٨ شباط فاجاب الديوان انهُ يعطي جوابًا في الغد . وعند المساء اجتمع الف وثمان مئة رجل من الاهالي في ساحة القمح وابتدأوا يحتسبون من ان المهلة التي طلبها ارباب الديوان كان مخفيًّا تحتها مقصد ردي فقالوا لا بد من الجواب هذه الليلة فاجتمع الديوان بسرعة عظيمة . ومن ذلك

الوقت اشتدت الامور في باسل فوُضع حراسٌ اقوياء في الحارات المختلفة . ورجال متسلحون حافظوا على المدينة وكمنوا في الاماكن المشتهرة احترازًا من حيل الاخصام ومُدَّت السلاسل في عرض الازقة واوقدت مشاعيل واشجار راتنجية التي كان ضوءها المشعشع يبدد الظلمة وُضعت في ساحات المدينة ووُضع ستة مدافع قدَّام ديوان البلدة وابواب المدينة وحصونها وقلعها أُشغلت فكانت باسل في حالة الحصار

فلم يبقَ رجال للحزب البابا وي والوالي ملتجر الذي كان جنديًّا شجاعًا واحد ابطال مارينيان حيث قاد ثمان مئة رجل الى القتال ضعف عزمهُ وتحت جنح الظلام وصل الى شطوط الرين مع صهرهِ المشير اغلوف دي اوفنبرج فركبا في قارب صغير من دون ان يراهما احد ونزلا بسرعة في النهر في وسط ضباب الليل واخرون من اعضاء الديوان هربوا على هذا المنوال فحصل من ذلك تشويش جديد . قال الشعب لنحذر من مكايدهم السرية فربما يكونون قد انطلقوا لكي ياتوا باهالي اوستريا الذين اوعدونا بهم مرارًا كثيرة فجمع الاهالي الخائفون جنودًا من كل جهة وعند الفجر كان عندهم الفا رجل مستعدون للقتال فاشرقت الشمس على تلك الجماعة العزّية الهادية

ثم صار الظهر ولم يحصل قرار في راي الديوان ولم يعد ممكنًا ضبط ضجر المقدمين فاختاروا اربعين رجلًا لاجل زيارة المحافظين وعند مرور هذه الجماعة بكنيسة الكرسي دخلوها وفتح احد الاهالي خزانة ببلطتهِ فوجد بعض التماثيل قد خُبِئَت فيها فسقط واحد منها على البلاط وانكسر كسرًا كثيرة ونظر تلك الكسر هيج الناظرين فاخذوا يطرحون جميع التماثيل الموجودة في تلك الخزانة واحدًا بعد الاخر ولم يبدِ احد منها ادنى مقاومة بل كانت رؤوسها وارجلها وايديها مكومة بدون ترتيب امام الجنود . قال ايراسموس اني لمتحير جدًّا من انها لم تعمل اعجوبة لانقاذ نفسها فانهُ في القديم كان القديسون يوقعون اضرارًا عظيمة لاجل اهانات دون هذه . فركض بعض الخوارنة الى المكان فانصرف الحرس

وذاع الخبر انهُ قد حدث شغب في تلك الكنيسة فجاء ثلاث مئة رجل لاجل اسعاف الاربعين رجلاً وقالوا فلماذا نبقي الاصنام التي توقد نار الاختلاف . فخاف الخوارنة على اصنامهم واغلقوا ابواب المقدس وسحبوا العوارض وتحصنوا واعدوا كل شيء لاجل الحصار ولكن اهالي البلدة الذين ملوا من تاخر الديوان ضربوا احد ابواب الكنيسة فانفتح لهم وثاروا الى الكنيسة وكانت ساعة الجنون قد انت ولم يعد ممكنًا معرفة هولاء القوم اذ سحبوا سيوفهم وحركوا رماحهم وجلبوا جلبة قوية كانهم الغوث او ملوك اسرائيل القدم وتلك الاعمال هي غير لائقة لان السلطة العمومية وحدها هي التي تقدر ان تتعرض للاصلاحات العمومية فانقلبت التماثيل والمذابح والصور جميعها واهلكت والخوارنة الذين هربوا الى الخزانة واختباوا هناك ارتعدت فرائصهم من الصوت الفظيع الحاصل من سقوط آلهتهم وتم عمل الحزب هذا ولم يتجاسر احد منهم على انقاذ معبوداته من خشب ومن حجر ولا على اظهار ادنى مقاومة وبعد ذلك جمع القوم الكسر في محل واحد واضرموا فيها النار وفي تلك الليلة الباردة احدق القوم بها واصطلوا على اللهيب

فاجتمع ارباب الديوان منذهلين وارادوا ان يستعملوا سلطانهم في تسكين الشغب ولكن كان اسهل عليهم لو امروا الرياح فان الاهالي الهائجين اجابوا روساءهم بهذه الكلمات القوية ان ما لم تقدروا على اكمالهِ في ثلاث سنوات قد اكملناهُ في ساعة

وفي الحقيقة غضب الشعب لم يقتصر على كنيسة الكرسي فانهم لم يمسوا شيئًا من الاموال الخصوصية الا انهم قاتلوا كنائس مار بطرس ومار اولرك ومار اليان والدومينيكيين وفي جميع تلك الهياكل سقطت الايقونات تحت ضربات هولاء الاهالي الصالحين الذين اضطرموا غيرةً غير اعتيادية واذ كانوا قد تهيأوا لان يقطعوا الجسر ويدخلوا باسل الصغيرة التي كانت مكرسة لخدمة البابوية طلب السكان الخائفون ان يؤذن لهم برفع الايقونات بانفسهم وبقلب كئيب حملوها بسرعةٍ الى علالي الكنيسة حيث ارادوا ان يحفظوها راجين انهم

بعد زمان يقدرون على ارجاعها الى مكانها القديم

ولم يقفوا عند هذه الاعمال القوية فان الذين كانوا اشد هياجًا تكلموا عن الذهاب الى ديوان البلدة والزام ارباب المجالس بالاجابة الى مرغوبات الشعب ولكن عقل اكثرهم عامل هولاء الهاذرين كما يستحقون ومنع افكارهم الردية

اما ارباب الديوان فراوا لزوم اعطاء هيئة شرعية لتلك الحركة الجمهورية وان يحولوا على هذا المنوال حركة شغبية الى اصلاح دائم وهكذا تثبتت الجمهورية والانجيل في وقت واحد في باسل وارباب الديوان بعد مفاوضة ساعة سلموا بان الاعيان يشتركون في المستقبل في انتخاب الديوانين وانهُ من ذلك اليوم فصاعدًا يجب ان ينفى القدّاس والايقونات من المقاطعة باسرها وانهُ في كل بحث يتعلق بمجد الله او صالح البلاد يجب ان يوخذ صوت الاوجه واذ ابتهج الشعب بنواله هذه الشروط التي تكون واسطة لحريتهم السياسية والدينية رجعوا الى بيوتهم فرحين وكان ذلك اخر النهار

وفي اليوم التالي الذي هو اربعاء الرماد كان القصد توزيع خرابات المذابح وغيرها من زينة الكنائس على المساكين لكي يستعملوها وقودًا للنار ولكن هولاء القوم المنكودي الحظ بسبب طمعهم في تلك الكسر والاخشاب ابتدأوا ان يتنازعوا عليها فاقيم كوم منها بقرب كنيسة الكرسي واعطيت النار فقال بعض الهازلين ان الاصنام تحفظ اليوم حقًّا عيد اربعاء الرماد المختص بها . قال اكولمباذبوس ان اصدقاء الباباوية حولوا اعينهم الكارهة عن هذا المنظر النفاقي وسكبوا دموع دم ثم قال هذا المصلح قد عاملوا الايقونات بقساوة مثل هذه حتى ان القداس مات كمدًا بسبب ذلك . وفي الاحد التالي رُتلت ترنيمات بالجرمانية عوضًا عن اللاتينية في كل كنيسة وفي ١٨ شباط حصل امان عمومي فتغير كل شيءٍ في باسل فصار الاخر اولاً والاول اخرًا واكولمباذبوس الذي دخل منذ سنوات قليلة تلك المدينة كغريب من دون مدخول ولا سطوة وجد نفسهُ قد ارتقى الى اوّل رتبة في الكنيسة وابراسموس الذي اضطرب في المكتبة الهادية التي بقي فيها مدة

مستطيلة بهذا المقدار يصدر اوامرهُ المطلقة لعالم العلوم وجد نفسهُ ملتزمًا بالنزول الى حومة الميدان ولكن ملك المدارس هذا لم تكن لهُ ارادة ان يلقي صولجانهُ امام الشعب المستقل فبقي زمانًا طويلاً يجول راسهُ عند ما يصادف صديقهُ اكولمباذبوس وعدا ذلك خاف من انهُ اذا بقي في باسل يوقع نفسهُ والمحامين عنهُ في ارتباك فقال ان النهر الذي كان مختفيًا تحت الارض قد خرج بعزمٍ واحدث خرابًا هائلاً فان حياتي في خطر واكولمباذبوس يستولي على جميع الكنائس والناس يصعقون دائمًا في اذنيَّ وانا مطمور تحت المكاتيب والصور الهزلية والاوراق فقد انتهى كل شيء وقد عزمت على ترك باسل ولكن هل اذهب جهارًا او خفيةً . الاول اشرف والثاني اسلم

ان ابراسموس اذ رغب ان يوفق بين الشرف والحذر بقدر الامكان طلب من صاحب القارب الذي كان مرادهُ ان ينزل بهِ الى الرين ان يقبلهُ في مكان غير مطروق فلم يقبل ارباب الديوان معهُ بذلك فالتزم الفيلسوف الجبان ان ينزل الى القارب بقرب الجسر الذي كان في ذلك الوقت مغطى بالناس فسار في النهر وودع بحزنٍ المدينة التي احبها بهذا المقدار وانطلق الى فريبرج في بريسغاو مع بعض العلماء الاخرين

فدُعي معلمون جدد للكراسي الفارغة في المدرسة وعلى الخصوص اوسوالد ميكونيوس وفريجيو وسباستيان منستر وسمعان غرينيوس وفي ذلك الوقت اذيع ترتيب كنائسي واقرار بالايمان الذي هو اثمن نتائج ذلك العصر . وهكذا حصل هذا الانقلاب العظيم من دون هدر نقطة دم وسقطت البابا وية في باسل رغمًا عن السلطتين الزمنية والروحية . قال اكولمباذبوس ان سيف الرب الماضي قد قطع هذه العقدة المبلولة

لا ينكر ان اصلاح باسل يفتح بابًا لبعض الاعتراضات فان لوثيروس قاوم الاكثرية قال اذا فتح الناس آذانهم فلا تبالغ بالصفير لان الاحتمال من يد ظالم واحد اي من ملك اسهل من الاحتمال من ايدي الف ظالم اي من

الشعب. ولاجل هذا السبب قد طعن في المصلح الجرماني بكونهِ لم يقبل الاَّ ترتيب العبودية. ربما عندما يفحص الاصلاح السويسي ويقدم عليهِ اعتراض عكس هذا واصلاح باسل على الخصوص يُحسَب انقلابًا

ان الاصلاح يجب بالضرورة ان يحمل وسم البلاد التي يجرى فيها فانهُ يكون ملكيًا في جرمانيا وجمهوريًا في سويسرا الاَّ انهُ في الديانة والسياسة يوجد فرق عظيم بين الاصلاح والانقلاب . والديانة المسيحية لا تحتمل السيادة ولا العبودية ولا السكتة ولا التقاعد او الموت في امرٍ من الامور ولكنها تطلب التقدم وتحاول الحصول عليهِ بواسطة الاصلاح لا بواسطة الانقلاب . فالاصلاح يعمل بقوة الكلمة والتعليم والتهذيب والحق حال كون الانقلاب او بالحري العصاوة تعمل بقوة المشاجرة والسيف والسياط . والديانة المسيحية تتقدم بالانسان الداخلي والنظامات السياسية نفسها اذا بقيت وحدها لا نقدر ان تكفيها ولا شك ان الترتيبات السياسية هي من جملة بركات عصرها ولكن لا يكفي هذه الوثائق تدوينها على الاوراق بل يجب ان تكتَب في القلب وان تكفلها عوائد الشعب

فهذه هي مبادي المصلحين السويسيين وهكذا كانت مبادي اصلاح باسل وبهذه المبادي يتميز عن الانقلاب ولا ينكر حدوث بعض الافراطات وربما لم يحدث قط اصلاح بين قوم من دون امتزاج بالانقلاب الاَّ ان البحث في باسل انما كان عن التعاليم وتلك التعاليم اثرت تاثيرًا قويًا في افكار الشعب الادبية وفي تصرفهم فحصل الفعل من داخل قبل ان ظهر من خارج وفوق ذلك الاصلاح لم يكتفِ بالنزع بل اعطى اكثر مما نزع وكان بمعزل عن الانحصار في عمل الخراب بل وزع بركاتٍ غنية على جميع الشعب

الفصل السادس

ارسال فارل . عملهُ في نيوفشاتل . مقاومة الرهبان اياهُ . استعانة الباباويين بالحكم السياسي

ان مراجعة الجدال في برن قلب الباباوية في قسمٍ معتبر من سويسرا الجرمانية وشعر بهِ ايضًا في كثير من كنائس سويسرا الفرنساوية الواقعة عند حضيض الجورا والمتفرقة في وسط احراش الصنوبر الكائنة في وديانها المرتفعة والتي بقيت الى ذلك الوقت متمسكة كل التمسك بالحبر الروماني . ولما راى فارل ان الانجيل قد امتد في الاماكن التي فيها يمزج الرون مياههُ العكرة بليمان الصافي حوّل نظرهُ الى جهة اخرى وحصل على عضد برن وتلك المقاطعة التي استولت مع فريبرج على اعمال مورات واوربي وغرانسنون وكانت متعاهدة مع لوسان وافنخيس وبايرن ونيوفشاتل وجنيفا رات ان صالحها وواجباتها معًا دعتها الى المناداة بالانجيل فيها وفي البلدان المتعاهدة معها وكان لفارل قدرة على اجراء ذلك بينهم بشرط حصولهِ على رضى الحكومات المذكورة

ولهذا عند ما كان فارل مسافرًا ذات يوم نحو مورات وصل ووعظ بالانجيل عند قاعدة تلك الابراج والحصون التي قاتلها ثلاث مرات مختلفة جنود كونرد السالى ورودلف من هبسبرج وكرلوس الاقرع ولم يمضِ الاَّ قليل حتى صار اصدقاء الاصلاح عددًا كبيرًا ولكن كان الصوت الاقوى للبابا فانتقل فارل الى لوسان

في اول الامر طردهُ الاسقف والاكليروس الاَّ انهُ رجع سريعًا مصحوبًا بمكتوب من سادة برن فقال السادة لولاة المدينة اننا نرسلهُ اليكم لكي يحامي عن امرهِ وامرنا فاسمحوا لهُ ان ينادي بكلمة الله واحترزوا من ان تمسوا شعرة من راسهِ

فكان اضطراب عظيم في الدواوين فانهم وقعوا بين برن والاسقف فما الحيلة . فجمع ديوان الاربعة والعشرين راى القضية عظيمة جدًّا فطلب اجتماع ديوان الستين وهذا الديوان استعفى واحال الدعوى الى ديوان المئتين في ١١ تشرين الثاني سنة ١٥٢٩ ولكن هولاء في دورهم احالوا المادة الى الديوان الصغير فلم يرد احد ان يمد اليها يدًا نعم ان سكان لوسان تشكوا بصوت عالٍ من اعضاء مجالسهم الدينية الذين قالوا ان حياتهم سلسلة طويلة من الخلاعة ولكن عند ما حولوا ابصارهم نحو منظر الاصلاح المقطب ازدادوا هلعًا وعدا ذلك كيف يقدرون ان يعدموا لوسان اسقفها ودواوينها واصحاب الرتب فيها فهل لا يبقى زائرون في الكنائس ولا متسولون في الاروقة الكنائسية ولا شارون في الاسواق ولا ندماء في الحوانيت ولوسان المترملة المنفرة لاترى ايضًا الجمهور الضاج الذي هو ثروتها ومجدها معًا . الفساد المغني خير من الاصلاح المفقر فالتزم فارل ان ينصرف مرة ثانية

فرجع الى مورات فربحت الكلمة حالاً قلوب الشعب وفي ايام الاعياد كانت الطرقات من پايرن وافنخيس مزدحمة بالجماعات الفرحة الذين قالوا بعضهم لبعض بضحك فلنذهب الى مورات ونسمع الواعظين ونصح بعضهم بعضًا سرًّا وهم منطلقون على الطريق ان لا يسقطوا في اشراك الارانقة ولكن عند مجيء الليل تغير كل شيء فان هولاء انفسهم قبضت عليهم يد الحق فرجعوا البعض بفكر عميق والبعض يحثون بحمية عن التعاليم التي سمعوها فكانت النار تضطرم في جميع تلك المقاطعة وترسل الى كل مكان اشعة نورها الساطعة واكتفى فارل بذلك فطلب غلبات جديدة

وبمسافة قصيرة من مورات موقع مكان حصين للباباوية اعني اميرية نيوفشاتل فان يوُنا من هخبرج التي ورثت هذا المكان من اجدادها كانت قد تزوجت سنة ١٥٠٤ بلويس من اوليانس دوك لونغوفيل وهذا الشريف الفرنساوي عضد ملك فرنسا سنة ١٥١٢ في الحرب ضد سويسرا فبقية

المقاطعات تملكت نيوفشاتل الّا انهم ارجعوها الى ارملتهِ سنة ١٥٢٩

قلما توجد بلدان فيها صعوبات اعظم ما حدث في تلك المقاطعة للمصلح الجسور . فان اميرة لونغوفيل المقيمة في فرانسا بين زمرة فرنسيس الاول وهي امراة ذات اخلاق لطيفة وعجب واسراف ودائمًا تحت الدين واعتبرت نيوفشاتل كانها انما هي مزرعة يجب ان تدخل لها مداخيل كثيرة وكانت متعبدة للبابا والباباوية . واثنا عشر راهبًا مع عدة خوارنة وواعظين تكوّن منهم اكليروس قوي تحت رياسة النائب اوليفر هخبرج اخ غير شرعي للاميرة المذكورة وان مسعفين ملوّين غيرة كانوا يحامون عن هذا الجيش العظيم فمن الجانب الواحد كان دير بريمونسترانتس فونتين اندرى بمسافة نحو ثلاثة ارباع فرسخ عن البلدة الذي بعد ان نقب رهبانهُ في القرن الثاني عشر الارض بايديهم صاروا بالتدريج سادات اقوياء ومن الجانب الاخر رهبان بنيدكتوس في جزيرة مار يوحنا الذين بعد ان عزل البرنيون رئيسهم التجاوا مضطهدين بنيران البغضة والانتقام الى ديرهِ في كرسليس

ان شعب نيوفشاتل كان يعتبر الحقوق القديمة اعتبارًا عظيمًا واستخدام هذه الحالة لاجل افادة الباباوية كان امرًا سهلاً بسبب الجهل العمومي والرهبان استغنموا تلك الفرصة وعوضًا عن ارشادات الانجيل وضعوا الاحتفالات والطقوس والكنيسة المبنية على صخرة عالية كانت مملوّة مذابح ومعابد وايقونات قديسين وكانت الديانة تنزل من ذلك المقدس وتركض ذهابًا وايابًا في الاسواق تزف بالاغاني والاسرار الممتزجة بالغفرانات والعجائب والدعارة

غير ان اجناد نيوفشاتل الذين قاتلوا سنة ١٥٢٩ جيش برن رجعوا الى اوطانهم باشد الغيرة على العمل الانجيلي وفي ذلك الوقت انطلق قارب حقير من الشط الجنوبي من البحيرة على الجانب المقابل مورات فيهِ رجل فرنساوي ذو هيئة حقيرة وكان ذاهبًا نحو شطوط نيوفشاتل وذلك الرجل اي فارل كان قد بلغهُ ان قرية سربري الواقعة على ابواب نيوفشاتل كانت مستندة في

الروحيات على مدينة بياني الانجيلية وان ايمار بينون خوري المكان كانت لهُ محبة للانجيل فرتب حالاً طريقة جهادهِ وذهب الى الخوري ايمار فقبلهُ بفرح ولكن ماذا يمكن ان يعمل لان فارل كان قد نُهِي عن الوعظ في اية كنيسة كانت من كنائس المقاطعة فافتكر الخوري المسكين ان يصالح كل شيء باجازتهِ لفارل ان يقف على صخرة في المقبرة وهكذا يعظ الشعب محولاً ظهرهُ نحو الكنيسة

فحدث شغب عظيم في نيوفشاتل فمن الجانب الواحد الحكومة والرهبان والخوارنة صرخوا الارثقة ولكن من الجانب الاخر كان البعض من اهالي نيوفشاتل الذين اعطاهم الله معرفة الحق يتقاطرون الى سربري وبعد زمان قصير لم يقدر هولاء ان يتمالكوا انفسهم فقالوا لفارل تعال وعظ علينا في البلدة

وكان ذالك في بداءة كانون الاول فدخلوا من باب القلعة وتركوا الكنيسة على التل عن اليسار وجازوا من قدام بيوت الرهبان ونزلوا الى الازقة الضيقة التي يسكنها الاهالي واذ وصلوا الى زقاق الصليب صعد فارل على مرتفع من الارض وخاطب الجمع الذي اجتمع اليهِ من جميع الاماكن المجاورة من حائكين وكرامين وفلاحين الذين هم عشيرة فاضلة حاسياتهم اشد من تصوراتهم وكان ظاهر الوعظ رزينًا وخطابهُ حارًا وصوتهُ كالرعد وعيناهُ وهيئتهُ واشاراتهُ جميعها دلَّت على انهُ رجل ثابت والناس الذين من عادتهم ان يترددوا في الازقة في طلب المشعوذين تاثروا بهذا الكلام القوي . قيل ان فارل وعظ عظة ذات فاعلية عظيمة جدًّا حتى انهُ ربح شعبًا كثيرًا

اما البعض من الرهبان المحلوقي الرؤوس فدخلوا بين سامعيهِ وارادوا ان يهيجوهم ضد الخادم الاراتيكي فقال بعضهم فلنكسر راسهُ وصرخ اخرون متقدمين نحو فارل لكي يطرحوهُ في بئر لم تزل ترى بالقرب من المكان الذي وعظ فيهِ وقالوا غرقوهُ غرقوهُ ولكن المصلح وقف ثابتًا في مكانهِ

وتلك العظة الاولى تبعها غيرها وكان لهذا المبشر الانجيلي كل مكان كنيسة وكل صخرة وكل مقعد وكل مرتفع من الارض منبرًا وارياح كانون الاول

الباردة وثلوجهُ من شانها ان تلجي اهالي نيوفشاتل الى مجاورة موافدهم فجاهد الرهبان جهادًا قويًّا والمحلوقو الرؤوس في كل جهة صاروا في اضطراب يترجون ويطعنون ويجلبون ويتهددون ولكن كان كل ذلك عبثًا فانهُ حالما كان هذا الرجل القصير القامة يرتفع في مكان بهيئته الصفراء المحرقة من الشمس ولحيته الحمراء غير الممشوطة وعينين لامعتين وفم ذي معانٍ كان تعب الرهبان بضيع فان الشعب كانوا يجتمعون حولهُ لان ما سقط من شفتيهِ انما هو كلام الله فكانت جميع الاعين متفرسة فيهِ وتعلقوا بكلامهِ بافواه مفتوحة واذان مصغية وحالما ابتدا يتكلم كان الجمهور يومنون كانَّ لهم نفسًا واحدة ولهذا كان يصرخ قائلاً فما اعجب عمل الله

فحملت كلمة الله البلد كانهُ بهجمة واحدة وطرحت الاختراعات التي بقيت رومية اجيالاً كثيرة في ترتيبها فوقفت بظفر ثابتةً على خرابات التقليدات البشرية فراى فارل بالروح يسوع المسيح نفسهُ ماشيًا بالروح في وسط ذلك الجمهور يفتح اعين العمي ويلين القلوب القاسية ويعمل عجائب حتى انهُ حالما رجع الى مكانهِ الحقير كتب الى اصدقائهِ بقلب ملآن يقول أدُّوا معي الشكر لابي المراحم لانهُ اظهر احسانهُ لهولاء المحزنين تحت الظلم الثقيل ثم خرَّ على ركبتيهِ وسجد لله

وماذا عمل اتباع البابا في تلك المدة في نيوفشاتل فان الرهبان اعضاء المجالس العمومية التي كانوا المتقدمين فيها كانوا يعاملون الخوارنة والعوام بكبريا لا تطاق والقوا حمل وظائفهم على اكتاف خوارنة مساكين وكانوا يحفظون عندهم جهارًا نساء شريرات ويلبسونهنَّ افخر الملابس وينعمون على اولادهنَّ باعمال جهارية ويحاربون في الكنائس ويطوفون في الازقة ليلاً او يذهبون الى بلدان غريبة لكي يتنعموا سرًّا باثمار بخلهم وحيلهم . والبعض من البرص المساكين الذين وضعوا في بيت بالقرب من المدينة كانوا يعالون بمحاصيل بعض الاوقاف وهولاء الرهبان في وسط ولائمهم تجاسروا على اخذ خبز الصدقة من هولاء المنكودي الحظ

وكان دير فنتين اندري غير بعيد عن البلد وكان بين رهبان نيوفشاتل ورهبان ذلك الدير حرب ظاهرة وهاتان القوتان المتضادتان القائمتان على تلولهما تقاتلتا على املاك بعضهما بعض وسلبتا حقوق بعضهما بعضاً وقذفتا احداهما الاخرى باعظم المثالب حتى اتصل الحال بهما الى المضاربة فقال الرهبان لرئيس فونتين اندري يا فاضح النساء وهو اجابهم بهذا الكلام بعينهِ والذي ارجع الشريعة الادبية الى المسيحيين انما هو الاصلاح وفعل ذلك بواسطة الايمان ولا يخفى ان الباباوية داست ولم تزل تدوس هذه الشريعة تحت قدميها

وهذه الحروب الديرية بقيت زماناً طويلاً علة اضطراب في البلاد ولكنها هدات بغتةً فان حادثاً غريباً كان جارياً في نيوفشاتل اي كلمة الله نودي بها هناك والرهبان الذين اعتراهم الخوف في وسط مساوءتهم نظروا الى تلك الحركة الجديدة من مساكنهم العالية فوصل الخبر الى فونتين اندري فوقف الرهبان والخوارنة حروبهم ومنازعاتهم والشهوات الوثنية التي ثارت على الكنيسة انكسرت عاديتها لان الروحانية المسيحية ظهرت ثانيةً

وفي الحال الرهبان الذين مضى عليهم كل ذلك الزمان في الحرب عانقوا بعضهم بعضاً واتحدوا على المصلح فقالوا يجب ان نخلص الديانة يريدون بذلك عشورهم وولائمهم ومساويهم وخلاعتهم فلم يكن احد منهم يقدر ان ياتي بتعليم يدفع بهِ تعليم فارل والسلاح الوحيد الذي عندهم هو ان يفتروا عليهِ الا انهم في كورسليس عملوا اكثر من ذلك فانهُ اذ كان هذا الخادم الامين ينادي بالانجيل في جوار الدير وثب الرهبان عليهِ وفي وسطهم الرئيس رودلف بانوبيت يهيج ويبغي ويجتهد في ان يزيد العاصف وقيل كان بيدهِ سيف فهرب فارل ونجا بصعوبة

ولم يكتفوا بذلك فان البابوية حسب العادة الجارية دائماً التجأت الى السلطة المدنية والرهبان والراهبات استغاثوا جميعاً بالوالي جرجس دي رايف واما فارل فبقي ثابتاً وقال ان مجد يسوع المسيح والمحبة الحية التي عند خرافهِ نحو

كلمته تلزمني الى ان احتمل آلاماً تفوق وصف اللسان الا انه بعد قليل التزم بالتسليم فعبر فارل ثانيةً البحيرة وهذا العبور يخالف جداً عن العبور السابق فان النار كانت قد اضرمت وفي ٢٢ كانون الاول كان فارل في مورات وبعد ذلك بقليل في ايغلي . ثم استرجعوهُ من هناك لانهُ في ٧ كانون الثاني أُلقي الصوت على الديانة في مورات فكانت الاكثرية الى جانب الانجيل ولكن الاقاوية الرومانية حاولت حالاً بمساعدة فريبرج ان تسترجع حالها القديم بواسطة الاهانات وسوء المعاملة فصرخت الجماعة المصلحة فارل فارل . وبعد ذلك بايام قليلة قام فارل ومعهُ رسول من برن فجاز تلك الجبال الشامخة الكائنة فوق افيڤاي التي منها يغوص النظر في مياه ليمان وقطع سريعاً مقاطعة الامير يوحنا غروياري الذي كان من عادتهِ ان يقول يجب ان نحرق هذا اللوثيروس الفرنساوي وبالكد وصل فارل الى اعالي سنت مرتين دي ڤود حتى راى نائب المكان مع خوريين يركضون للقائهِ فصرخوا الاراتيكي الشيطان ولكن الفارس خوفاً من برن تاخر واما فارل فتقدم في سبيلهِ

واما المصلح اذ لم يسمح لنفسهِ بان يوقف بواسطة ضرورة صيانة نفسهِ في مورات او بواسطة قساوة الفصل حمل حالاً الانجيل الى تلك الجبال الجميلة المتعلقة بين مياه بحيرات مورات الصافية وبين نيوفشاتل الى قرى فولي وعملة هذا الحكيم تكلل بكمال النجاح فانهُ في ١٥ شباط اتى اربعة من معتمدي فولي الى مورات لكي يستاذنوا بقبول الاصلاح فاذن لهم بذلك فقال اكابر برن لاهالي فريبرج دعوا قسوسنا يعظون بالانجيل ونحن ندع خوارنتكم يلعبون ملاعبهم السعدانية فاننا لا نريد ان نلزم احداً . فارجع الاصلاح حرية الارادة للشعب المسيحي وبالقرب من ذلك الوقت كتب فارل مكتوبهُ اللطيف الذي اولهُ الى جميع السادة والشعب والرعاة . الذي اقتبسنا منهُ مراراً كثيرة

فتقدم المصلح الذي لم يكل الى غلبات جديدة . وان سلسلة صخور عند ارغول التي هداها فارل الى الانجيل تفصل وادي جورا من بلاد روراشي القديمة

ومسالك مقطوع في الصخر يستخدم كطريق بين الولايتين وكان اخر نيسان عند ما نزل فارل جائزًا في وسط پيار برتويس الى قرية نفاليس ودخل الكنيسة والقداس دائر فتبعوا فارل المنبر ووقف الخوري بحيرة فملا الخادم سامعيهِ حركة وكان يتراءى لهم كانهُ ملاك قد نزل من السماء وفي الحال سقطت المذابح والايقونات والخوري المسكين الذي كان يتلو القداس لم يقدر ان يكملهُ واقتضى لابطال البابا وية وقت اقل من الوقت الذي صرفهُ الخوري قدام المذبح

وجانب عظيم من ابرشية باسل قد رُبح في اسابيع قليلة للاصلاح وفي ذلك الوقت كان الانجيل يشتغل في نيوفشاتل والشبان الذين كانوا قد هجموا مع برن لكي ينقذوا جنيفا من وثبات سافواء كانوا يروون في اجتماعاتهم البهجة اعمال القتال ويخبرون كيف جنود برن اذ شعروا بالبرد اخذوا الايقونات من كنيسة الدومينيكيين في جنيفا وقالوا ان الاصنام الخشبية لا تفيد شيئًا الا لاشعال النار بها في الشتاء

فرجع فارل ثانيةً الى نيوفشاتل وتملك الجانب الاسفل من البلدة ثم رفع عينيهِ نحو الصخور العالية المعلقة عليها كنيسة الكرسي والقلعة فظن فارل ان الطريق الاحسن هو ان ينزل اولئك الخوارنة المتكبرين اليهِ الى اسفل وفي احد الايام صباحًا تفرق اصدقاؤهُ الشبان في الازقة وعلقوا اوراقًا تتضمن هذه الكلمات ان الذين يقدسون هم لصوص وقتلة ومضلو الشعب. فكان الهياج عظيمًا في نيوفشاتل فجمع الرهبان شعبهم واحضروا الكتبة وثاروا امام جيش كبير متسلحين بالسيوف والبلطات ونزلوا الى البلدة ومزقوا تلك الاوراق واستحضروا فارل الى امام المحكمة كقاذف وطلبوا عشرة الاف ريال تعويضًا للضرر

فحضر الفريقان في المحكمة وهذا هو كل مطلوب فارل فقال اني اقر بالواقع غير اني مبرر في ما عملتهُ فاين يمكن وجود قتلة افظع من هولاء المضلين الذين يبيعون الجنة وبذلك يبطلون استحقاقات ربنا يسوع المسيح واني اثبت كلامي من الانجيل. واذ حاول فتح الانجيل امتلأ الرهبان حنقًا وصرخوا قائلين ان البحث

هنا انما هو من شريعة نيوفشاتل العمومية لاعن الانجيل فاين هم الشهود واذ كان فارل براجع تلك العبارة العظيمة برهن من كلام الله ان الرهبان هم بالحقيقة مجرمون بالقتل والسرقة ولا يخفى ان اثبات هذه الدعوى هو خراب البابا وية وديوان نيوفشاتل الذي لم يسمع قط دعوى كهذه عزم حسب العادة القديمة على احالتها الى ديوان بيسانسون واذ لم يتجاسر هذا الديوان على الحكم على الرهبان بانهم مذنبون بالقتل والسرقة احال الدعوى الى الامبراطور والى مجمع عام ولا بد ان الدعاوي الفاسدة لا تربح شيئًا بالاشتهار

وكلما ارادوا ان يوخروا فارل خطوة تقدم خطوتين الى ما قدام فكانت الازقة والبيوت لم تزل هيكلاً له وذات يوم اذ كان اهالي نيوفشاتل محدقين به صرخوا قائلين لماذا لا ينادي بكلمة الله في الكنيسة وحينئذٍ اخذوا فارل معهم وفتحوا ابواب كنيسة المستشفى ووضعوا الخادم في المنبر وكان جمهور غفير واقفًا امامهُ بسكوت فقال المصلح كما ان يسوع المسيح اذ ظهر في حالة الفقر والذل وُلد في اسطبل في بيت لحم هكذا هذا المستشفى الذي هو منزل المرضى والمساكين قد صار اليوم مكان ميلاده في بلدة نيوفشاتل واذ ازعجهُ منظر الايقونات المدهونة والمنحوتات المصفوفة في المعبد وضع يديهِ على هذه موضوعات العبادة الوثنية ورفعها وكسرها كسرًا كثيرة

اما البابا وية التي اعماها الغضب فعملت حينئذٍ ما لها لا محالة حتى في عملهِ الآ انهُ كان سبب هلاكها فانها التجأت الى الساعد المدني فارسل الحاكم عمدة الى مجمع برن بترجى عزل فارل واصحابهِ من المكان. وفي الوقت نفسهِ تقريبًا وصل الى برن وكلاء من قبل اهالي البلدة فقالوا أَلم تحمل هذه الايدي السلاح في انترلاكن وبريغرتن لاجل اعانة اصلاحكم فهل تتخلون عنا في اصلاحنا . فترددت برن فان بلية عمومية كانت في ذلك الوقت مالئة المدينة باسرها نوحًا فان واحدًا من افاضل الجمهورية وهو البانير بت وبنغرتن أُصيب بالوبا وكان ينازع في وسط دموع بنيهِ وابناء بلدتهِ واذ بلغهُ اتيان اهالي نيوفشاتل انتعشت قوتهُ

وقال اذهبوا وترجوا المشيخة باسمي ان يطلبوا انعقاد مجمع عمومي من اهالي نيوفشاتل في الاحد القادم وطلب البانيريت المنازع جعل الديوان ان يحكم . فوصلت وكلاء برن الى نيوفشاتل في ٧ اب وكان فارل يفتكر بانهُ في مدة الجدال يكون لهُ وقت للحصول على غلبة جديدة وترك المدينة وغيرتهُ لا يمكن ان نقايس الاَّ بغيرة القديس بولس وكان جسدهُ صغيرًا ضعيفًا ولكن نشاطهُ كان رسوليًا بالتمام فكان الخطر وسوء المعاملة يتلقفانهِ كل يوم الآن في داخلهِ قوة الهية جعلتهُ مظفرًا

الفصل السابع

ذهاب فارل الى فال دي روز . ابطال القداس . القاء فارل في السجن . وعظهُ في كنيسة نيوفشاتل . هلاك الاصنام . انتصار الاصلاح

انهُ بمسافة فرسخ من نيوفشاتل وراء الجبل وادي ڤال دي روز وبالقرب من مدخلهِ في مكان شاهق حيث يهدر نهر قوي محاط بصخور شامخة بلدة والنجين وقلعة قديمة مبنية على صخرة ترتفع بجدرانها العظيمة الى الجو وتطل على منازل اهالي البلدة الحقيرة وتمتد بحكمها على خمسة وديان من تلك الجبال الشامخة الصعبة المرام التي كانت في ذلك الوقت مكسوة باحراش الصنوبر الاَّ انهُ الآن سكانها على غاية الاجتهاد في الزراعة والفلاحة

وفي تلك القلعة كانت ساكنة الارملة غويليمتًا دي فارجي اميرة والنجين وهي متمسكة تمسكًا شديدًا بالديانة الرومانية وكثيرة الاحترام لذكر زوجها ومئة خوري قدسوا قداسات عليا على دفن الامير وتزوج على نفقتها صبايا كثيرات تائبات وتوزع صدقات كثيرة وخوري قرية لوكل أُرسل الى اورشليم زائرًا وغويليمتا نفسها زارت الاماكن المقدسة لاجل راحة نفس زوجها المنتقل

واحيانًا كانت اميرة غروباري وغيرها من السيدات يأتينَ ليزرنَ ارملة

فارجي التي كانت تجمع في القلعة جمهوراً من الاكابر الشبان واصوات القيثارة والطنبورة رنت تحت اسقفتها المعقودة وكانت جماهير مهيبة تجتمع بازدحام في نوافذها العظيمة والرقص المطرب يعقب سكوناً طويلاً وعبادة عابسة ولم يكن سوى فكر واحد لم يترك قط غوليليمنّا وهو بغضتها للاصلاح ووافقها على ذلك صاحبها سيد بلغارد

وبالواقع كان لغوليلمنّا والخوارنة سبب للخوف فان اليوم الخامس عشر من آب كان عيداً رومانياً عظيماً اي عيد انتقال العذراء وكل الباباويين في ڤال دي روز استعدوا لهُ وهو نفس اليوم الذي اختارهُ فارل واذ تحرك بنار وغيرة الهيا اخذ في طريقهِ الى والنجين وذهب برفقتهِ شاب من اهل بلدهِ وبيان انهُ كان من اقاربهِ البعيد بن اسمهُ انطونيوس بوبوي وكان مسيحيًّا حارًّا وذا عزم ثابت فصعد الرسولان على الجبل ودخلا في حرش الصنوبر ثم نزلا ايضًا الى الوادي وجزعا والنجين وبسبب قرب القلعة لم يكن لهما امل في البقاء هناك فوصلا الى قريةٍ وربما هي بوديڤليبرس ناوبين ان يناديا بالانجيل هناك

فكان الناس قد ابتدأوا يتقاطرون من كل جهة الى الكنيسة فدخل فارل ورفيقهُ ايضًا مع عدد قليل من الاهالي الذين كانوا قد سمعوهُ في نيوفشاتل فتبوأ المصلح حالاً المنبر والخوري استعد لتلاوة القدَّاس فابتدا النضال واذ كان فارل ينادي بيسوع المسيح ومواعيدهِ كان الخوري والمرتلون يتلون القداس ودنت الدقيقة المعتبرة اي لحظة الاستحالة فتلفظ الخوري بالكلام الجوهري على العناصر وحينئذٍ لم يعد الشعب يتردد دون فان العوائد القديمة ذات السطوة التي لا تدفع جذبتهم نحو المذبح فتُرِك الواعظ والجمهور الجاثي استرجع عبادتهُ القديمة واستظهرت رومية واذا رجل شاب وثب بغتةً من وسط الجمهور وفتح لهُ طريقًا في وسط المرتلين وثار الى المذبح وخطف البرشانة من يد الخوري وصرخ وهو ملتفت نحو الشعب ان هذا ليس هو الاله الذي يجب ان تعبدوهُ بل انما هو في السماء في جلال الآب وليس هو كما تتوهمون في يدي خوري والرجل الذي

فعل ذلك هو انطونيوس بوبوي المشار اليهِ انفًا

وهذا العمل الجسور احدث في اول الامر تأثيرهُ المرغوب فانقطع القدَّاس وبطل الترتيل والجمهور كانهُ قد اعتراهم امر فائق الطبيعة بقوا صامتين لا يتحركون وفارل الذي كان لم يزل على المنبر استفاد من هذا الهدو ونادى بالمسيح الذي ينبغي ان السماء تقبلهُ الى ازمنة رد كل شيء (اعمال ٣ : ٢١) وعند ذلك الخوارنة والمرتلون مع اتباعهم ثاروا الى الابراج وركضوا الى قبة الاجراس وقرعوها قرعة تنبيه

وهذه الوسائط نجحت فاجتمع جمهور ولو لم ينصرف فارل كان موتهُ وموت بوبوي لا بد منهُ الَّا ان الله كما قال الراوي انقذهما فقطعا الحاجز الذي يفصل بين بود يفيلابر بس والتجن ودنوا من شنير نهر سيون ولكن كيف يقطعان تلك البلدة التي نبهتها اصوات الاجراس

فترك رسولا الانجيل هذان تشومونت واحراشها الغبياء الى يسارهما واخذا في طريق ضيق ذي تعاريج تحت القلعة واذ كانا يختلسان خطواتهما باحتراز اذا سيل من الحجارة غشيهما وفي الوقت نفسهِ عشرون نفرًا من خوارنة ورجال ونساء متسلحين ثاروا بعنف عليهما . قال احد المورخين ان الخوارنة لم يكن معتريهم يبس في ارجلهم ولا في ايديهم فضُرِب الخادمان ضربًا اليمًا جدًّا حتى كادا يموتان . وارملة فارجي التي نزلت الى السطح عوضًا عن ان تسكن غضب الخوارنة صرخت قائلة غرقوهما غرقوهما اطرحوهما في سيون هولاء الكلاب اللوثرانيين الذين احتقروا القربان المقدس وفي الواقع كان الخوارنة قد ابتداوا يجرون الاراتيكيين نحو الجسر ولم يكن فارل قط اقرب الى الموت . فظهر بغتةً من وراء الصخرة الاخيرة التي تستر والتجن الى جهة الجبل بعض الرجال الصالحين من قال دي روز قد اتوا من نيوفشاتل ونزلوا الى الوادي فسالوا الخوارنة عازمين لا محالة على تخليص فارل ماذا تعملون فالاولى ان تضعوهما في مكان الامان لكي يجاوبا عن اعمالهما فهل تعدمون انفسكم الواسطة الوحيدة التي بيدكم

لكشف الذين قد دب فيهم سم الارانقة

فكف الخوارنة عند هذه الكلمات واخذوا الاسيرين الى القلعة واذ كانوا مارين على معبد صغير فيهِ ايقونة العذراء قالوا لفارل وبوبوي اذ دلوها على الايقونة اركعا وخرَّا امام سيدتنا فاخذ فارل ينذرهم بقولهِ لهم اعبدوا الهًا واحدًا فقط بالروح والحق الأ انهم كما يستتلي الراوي اذ حنقوا جدًّا من كلامهِ وثباتهِ اوقعوا عليهِ ضربات كثيرة جدًّا حتى تغطى بالدم وانتشب الدم الى حيطان المعبد وكانت اثارهُ ترى مدَّة طويلة بعد ذلك

ثم رجعوا الى طريقهم ودخلوا البلدة وصعدوا في الطريق الصعب المؤدي الى ساحة القلعة حيث كانت غويلينا وحشها منتظرين اللوثرانيين. قال الراوي انهما من شدة الضرب على الدوام كانا مضرجين بالدم والاقذار فأُلقيا في سجن قلعة والنجن كانهما ميتان تقريبًا فهكذا رُجم بولس في لسطرة من اليهود وأُخرج من المدينة وتُرِك كانهُ ميت (اعمال ١٤ : ١٩) فالرسل والمصلحون بشروا بتعليم واحد واحتملوا عذابات متماثلة

وربما قيل ان فارل وبوبوي كانا قاسيين قساوة متجاوزة الحد في مقاومتهما ولكن كنيسة القرون المتوسطة التي رجعت الى روح المذهب اليهودي الشرعي والى جميع الفضائح النابعة منهُ احتاجت الى مقاومة قوية لاجل ارجاعها الى مبدا النعمة فان اوغسطينوس والقديس بولس ظهرا ثانيةً في كنيسة القرن السادس عشر وعندما نقرا عن وثوب بوبوي بحركة عظيمة على الذين كانوا عتيدين ان يعبدوا خبز القداس اما نتذكر عمل مار بولس عندما مزق ثيابهُ وثار الى وسط الشعب الذين ارادوا ان يعبدوا رجالاً يشبهونهم في العواطف الانسانية

واذ القي فارل وبوبوي في سجن القلعة كانا قادرين كبولس وسيلا في حبس فيلبي ان يرتلا تسبيحًا لله . وصاحب بلغارد المستعد دائمًا لاضطهاد الانجيل كان يهيي لهم اخرة قاسية وحينئذٍ اتى بعض اهالي نيوفشاتل في طلبهما واميرة دي والنجن لم تجسر على الامتناع عن تسليمهما حتى انها عند طلب اهالي برن

اجرت فحصًا لكي تصلح القضية كما يقول احد المورخين مع ان الخوري الذي ضرب فارل اكثر لم ينقطع قط عن الاكل كل يوم على مائدة السيدة نظير جزاء له ولكن ذلك كان لا طائل تحتهُ لان زرع الحق كان قد زُرع في ڤال دي روز وفي نيوفشاتل كان اهالي برن يعضدون جماعة الانجيل والوالي الذي فرغت حيلة ارسل وكلاء الى الاميرة يترجاها ان تقطع الجبال لكي تهدي رعاياها الذين كانوا في اضطراب عظيم بسبب هذه الديانة اللوثرانية . وفي تلك الفترة كان الهياج يتزايد فان اهالي البلدة ترجوا الرهبان ان يتركوا القداس فابوا وعند ذلك قدم لهم الاهالي اسبابهم بالكتابة وترجوهم ان يتجادلوا في ذلك مع فارل فابوا ايضًا فقالوا لهم نترجاكم ان تتكلموا معهُ او عليهِ فذهب كل ذلك عبثًا

وبوم الاحد الواقع في ٢٣ تشرين الاول كان فارل الذي رجع الى نيوفشاتل يعظ في المستشفى وكان عالمًا بان حكام المدينة قد تفاوضوا عن ضرورة تكريس كنيسة الكرسي نفسها للعبادة الانجيلية فقال ألا نقدمون للانجيل كرامةً كما يقدمها الحزب الاخر للقداس واذا كان هذا العمل الخرافي يتم في الكنيسة العظمى ألا ينادى بالانجيل ايضًا هناك . وعند هذه الكلمات تحرك جميع سامعيهِ وصرخوا الى الكنيسة الى الكنيسة . فان الناس الجسورين رغبوا في ان يضعوا ايديهم على العمل لكي يكملوا ما قد ارتأت بهِ فطنة اولياء الامور فتركوا المستشفى واخذوا فارل معهم وصعدوا على زقاق القلعة الصعب المطلع فباطلاً كان اجتهاد الرهبان واتباعهم في ايقاف الجمع فانهم فتحوا لهم طريقًا واذ تحققوا انهم يتقدمون لاجل مجد الله لم يكن شيء قادرًا على صدهم فكانت الاهانات والضجة ثائرة عليهم من كل جانب ولكنهم لم يزالوا يتقدمون باسم الحق الذي حاموا عنهُ ففتحوا ابواب كنيسة السيدة ودخلوا وابتدا هناك جهاد جديد فان الرهبان واصحابهم اجتمعوا حول المنبر واجتهدوا في منع فارل عنهُ ولكن كل ذلك باطل فان معاطاتهم لم تكن مع زمرة من العصاة فان الله قد نطق في كلمتهِ والولاة انفسهم حكموا حكمًا جازمًا ولهذا تقدم الشعب ضد زمرة الكهنة جيشًا مزدحمًا فوضعوا

المصلح في مركزهِ ونجحوا في فتح طريقهم في وسط الجمهور المضاد ووضعوا اخيرًا الخادم على المنبر من دون ان يصيبهم اذى

وفي الحال سكن كل شيء داخل الكنيسة وخارجها حتى ان الاخصام سكتوا فخطب فارل خطابًا من افعل خطاباتهِ فانفتحت اعينهم وزادت حركتهم وذابت قلوبهم واعظم المصرّين اقتنعوا وكانت هذه الاصوات تسمع من جميع جوانب الكنيسة اننا نتبع الديانة الانجيلية نحن واولادنا معًا وفيها نحيا ونموت .

وبغتةً كانَّ زوبعة كنست هذا الجمهور وحركتهُ كبحر متسع وسامعو فارل ارادوا ان يقتدوا بيوشيا الملك الصالح (٢ اي ٣٤ : ٧) فقالوا اذا رفضنا هذه الاصنام من امام اعيننا افما يساعدنا ذلك على رفعها من قلوبنا . فاذا كُسّرت هذه الاصنام فكم من النفوس بين اهالي بلدتنا الذين هم الآن مضطربون ومتردد دون يثبت عزمهم باظهار الحق على هذا المنوال الفعال فيجب ان نخلصهم كما بالنار . وهذا السبب الاخير ثبت عزائمهم وحينئذٍ ابتدا بعمل ملأ الرومانيين كراهة وكان يجب حسب زعمهم ان يجلب حكم الله الهائل على المدينة

ونفس الرقعة التي حدث فيها هذا الامر زادتهُ هيبة فالى الشمال حيطان القلعة ترتفع فوق صخور وادي سيون المظلم الجميل والجبل الذي قبالة القلعة يقدم لعين الناظر شيئًا قليلاً غير صخور جرداء وكروم واشجار سوداء ولكن الى الجنوب تحت الاكمة التي كان جاريًا عليها هذا العمل المهيج كانت مياه البحيرة المتسعة الهادئة مع شطوطها المخصبة الجميلة والى بعد قمم اعالي جبال الالب المتصلة بثلوجها الباهرة وجليدها المتسع واسنتها الهائلة تمتد الى مسافة بعيدة عن العين المطربة بنظرها . وعلى هذا المرتفع من الارض كان اهالي نيوفشاتل في اضطراب وقلما التفتوا الى مناظر الطبيعة هذه الشريفة والوالي الذي قلعتهُ لاصقة بالكنيسة التزم ان يبقى ناظرًا على التعديات التي لم يكن قادرًا على منعها فاكتفى بان يترك لنا وصفها عند قولهِ ان هولاء القوم الجسورين اخذوا فؤوسًا وبلطات وقداديم وثاروا بها على ايقونات القديسين فانهم تقدموا وضربوا التماثيل والمذابح

وكسروها تكسيرًا وصور الامير لويس التي صورها المصورون في القرن الرابع عشر لم يعفوا عنها وبالكد صور الامراء انفسهم التي ظنوا انها اصنام خلصت من الهلاك وجمع الاهالي جميع هذه التي هي بقايا عبادة وثنية وحملوها الى خارج الكنيسة وطرحوها من راس الصخرة والنقوش لم يكن لها معاملة احسن من هذه فافتكروا مع مسيحيي القرون الاولى ان الشيطان هو الذي علم العالم هذه الصناعة لعمل التماثيل والصور وجميع انواع الاشباه (ترتوليانوس عن الاصنام راس ٣) فمزقوا اعين صور القديسين وقطعوا انوفها والصليب نفسهُ طُرح الى الارض لان هذا التمثال الخشبي اختلس العبادة التي يطلبها يسوع المسيح في القلب وصورة واحدة التي هي اكثر احترامًا من الجميع كانت باقية وهي سيدة الرحمة التي قدمتها مريم سافوا الى الكنيسة المختصة بالمدرسة ولكن السيدة نفسها لم يعفَ عنها فان يدًا اجسر من البقية ضربتها كما ضُرِب في القرن الرابع تمثال سرابيس العظيم (سقراط ٥: ١٦) وكتب الوالي الى دوكة لونجفيل يقول انهم ثقبوا ايضًا عيني سيدة الرحمة التي قدمتها السيدة المنتقلة امك

وحزب الاصلاح تجاوز ذلك ايضًا وقبضوا على الحق الذي كان محفوظًا فيهِ جسد الرب على زعم الباباويين ورموهُ عن الصخرة الى النهر وبعد ذلك اذ رغبوا في ان يبينوا ان البرشان المقدس هو خبز محض وليس هو الله نفسهُ وزعوهُ بعضهم على بعض واكلوهُ وعند ما نظر الرهبان والواعظون ذلك لم يعد يمكنهم ان يبقوا ساكتين فسمع صوت هائل وصعدوا راكضين مع اتباعهم ودافعوا القوة بالقوة واخيرًا ابتدا القتال الذي كان يخاف منهُ بهذا المقدار

وان اوليفر حاكم هوخبرج والراهبان سمعان من نيوفشاتل وبنتوس من سوليلنت والثلاثة من اعضاء الديوان السرّي بادروا مسرعين الى القلعة مع غيرهم من مشيري الاميرة فانهم بقوا الى تلك الدقيقة ناظرين ساكتين ولكن عند ما راوا الحزبين قد اتصل بهما الحال الى الضرب امروا جميع عاضدي التعليم الانجيلي بان يمثلوا امام الوالي وكان ذلك كمن يحاول ان يقيد الارياح

وعدا ذلك قلما وقف المصلحون فانهم لم يكونوا يعملون ذلك من دون سلطان شرعي فاجابوا بكبرياء قولوا للحاكم انهُ في ما يتعلق بالله ونفوسنا ليس لهُ حكم علينا

فرأى جرجس دي ريف حينئذٍ ان سلطانهُ قد قصر مقابل سلطة فوق سلطتهِ فالتزم ان يسلم لكي يخلص اقلما يكون بعض البقايا فبادر لذلك الى رفع الايقونات التي لم تزل باقية وحفظها تحت القفل في مخادع سرية فاذن لهُ اهالي نيوفشاتل بهذا العمل وقالوا خلص آلهتك واحفظها داخل حواجز قوية لئلا يتفق ان احد اللصوص يعدمك معبوداتك . وبالتدريج هدأ الشغب ورجع السيل الجمهوري الى مجراهُ الاصلي وبعد ذلك بمدة قصيرة نقشت تذكاراً لذلك اليوم العظيم على عمود في الكنيسة الكلمات الآتية

انهُ في اليوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٥٣٠ قُلبت عبادة الاصنام ورُفعت من هذه الكنيسة بايدي الاهالي

فتم انقلاب عظيم ولاشك انهُ كان احسن لو رُفعت الايقونات ووُضع الانجيل مكانها بهدو كما في زوريخ ولكن يجب ان نلاحظ الصعوبات التي يحدثها هذا التغيير العميق المضاد بهذا المقدار ويجب ان نعتبر عدم الاختبار والافراطات التي لاتنفك عن ابتداء حركة كهذه والذي لا يرى في هذه الحركة الا افراطاتها يُعدّ عقلهُ ضيقاً بنوع غريب فالانجيل هو الذي غلب في ساحة القلعة ولم تلبث ان تكون الصور والخرافات هي التي تخاطب تصور اهالي نيوفشاتل فان وحي يسوع المسيح ورسلهِ كما في الكتب المقدسة أُرجع اليهم وعوضاً عن الاسرار والرموز والعجائب الباباوية جلب لهم الاصلاح آراء سامية وتعاليم قوية وحقوقاً مقدسة ابدية وعوضاً عن قداس خالٍ من الله وكثير الخرافات ارجع اليهم عشية الرب وحضورهُ غير المنظور الروحي

الفصل الثامن

الرومانيون يطلبون القرعة . اهالي برن يتحزبون للاصلاح . التجاء الباباويين الى السيف . القاء القرعة . الاكثرية من حزب الاصلاح . تمثال ماري يوحنا . الباباوية والانجيل

ان الحاكم واصحابهُ الذين وثق بهم لم يقطعوا كل امل فقالوا في القلعة ان الاقلية فقط اشتركت في اهلاك الايقونات واكثرية الامة لا تزال تطيع التعليم القديم . فان دي ريف لم يتعلم بعد انهُ في حركة جمهورية اذا ظهرت الاقلية فقط فذلك لان الاكثرية المتفقة مع الاقلية توثر ان تترك اجراء العمل لها . اما الحاكم فظن انهُ واقف على ارض ثابتة وعزم على القاء حفظ القداس تحت القرعة فاذا ترددت الاكثرية فسطوة الحكومة المقترنة بصولة الاكليروس تميل بها الى جانب رومية واذ لاحظ اصدقاء الاصلاح هذه الحيلة وشعروا بضرورة الحصول على استقامة الاصوات طلبوا حضور وكلاء من قبل برن فحصل الامتناع عن ذلك في اول الامر واذ كانت نيوفشاتل منقسمة حزبين متضادين اشتد الخطر من سفك الدم ومن ثم طلب دي ريف برن الى مساعدته

فجاء انطونيوس نول وسولبيس اوشر كلاهما من اعضاء الديوان مع جاك تريبوليت قهرمان جزيرة مار يوحنا وكان الثلاثة من حزب الاصلاح فدخلوا نيوفشاتل في ٤ تشرين الثاني وهو يوم معتبر للحكومة يجزم باصلاحها فذهب المعتمدون الى القلعة وتكلموا هناك بجسارة عظيمة وقالوا للحاكم ان سعادة اولياء الامور في برن متعجبون كثيرًا من انك تضاد كلمة الله الحقيقية الخالصة فارجع حالاً والاَّ فان بلادك وسيادتك تتعب بسبب ذلك

فتحير جرجس دي ريف . ظن انهُ احضر مساعدين فوجدهم سادة الاَّ انهُ حاول النجاة من الوهق الذي سقط فيهِ . ومقاطعة لوسرن وفريبرج وسليورى

البابا وية كانت ايضًا من اصحاب عهد هذه الولاية فاوعز الحاكم الى الوكلاء البرنيين انهُ يسوغ لهُ ان يطلب تعرضها وعند هذه الكلمات نهض الوكلاء بحنق وقالوا لدي ريف انهُ اذا فعل كذلك يكون سببًا لفسخ نيوفشاتل عن طاعة مولاهُ فرأى الحاكم عدم امكان النجاة من الشرك الذي سقط فيهِ ولم تبقَ لهُ حيلة الَّا التسليم وان يلاحظ حدوث الحوادث التي لم يكن قادرًا على التسلط عليها

ولم يكن الامر هكذا مع الرهبان والاشراف فانهم اذ لم يحسبوا انفسهم مغلوبين احاطوا بالبرنيين وخلطوا الديانة والزمنيات معًا كما هي عادتهم في مثل تلك الاحوال واجتهدوا ان يزعزعوهم فقالوا اما ترون اننا ان لم نعضد السلطة الروحية نوقع السلطة الزمنية في خطر فان الحصن الاثبت للعرش انما هو المذبح وهولاء الناس الذين صرتم المحامين عنهم ليسوا الَّا شرذمة من اصحاب المفاسد انما الاكثرية فهي للقداس . فاجاب واحد من البرنيين العنيد بن قائلاً تحول كيفما شئت حتى ولو كانت الاكثرية معك لا بد لك من السلوك في تلك الطريق فان ساداتنا لا يتركون ابدًا المحامين عن الايمان الانجيلي

فاجتمع الشعب في القلعة لاجل القرعة الجازمة فكان حال نيوفشاتل عنيدًا ان يتعين . فالى الجانب الواحد اجتمع حول الحاكم الديوان السري والرهبان واكثر الرومانيين غيرةً والى الجانب الاخر كنت ترى الاربعة الوكلاء وديوان البلد وعددًا كبيرًا من الاهالي يصعدون برصانة في الطريق المؤدي الى ديوان الحكومة ويصطفون مقابل اخصامهم وكان كل من الفريقين متمسكًا بايمانهِ وعازمًا نظير الآخر ولكن حول الرهبان كان عقول كثيرة مضطربة وقلوب قلقة واعين مطرقة في الارض حال كون اصدقاء الاصلاح متقدمون برؤُوس مرفوعة ومناظر ثابتة وقلوب مملوَّة رجاء

ان جرجس دي ريف اذ اراد ان يستميل بهم ابتدا يخاطبهم فوصف الشراسة التي بها كسروا الايقونات وهدموا المذابح . فمن بنى هذه الكنيسة . اسلاف الامراء لا الاهالي ولاجل هذا السبب انا اطلب ان جميع الذين تعدوا على

سلطاننا السامي يلزمون بارجاع ما اخذوهُ حتى يثبت من حديث القداس المقدس والساعات القانونية

وعند ذلك تقدم عقلاء نيوفشاتل فلم يكونوا جمهور شبان متوحشين كما ادَّعى البابا وبون بل قوم رزينون حريتهم مكفولة وكانوا قد وزنوا ما هم عتيدون ان يقولوهُ فاجابوا اننا بانارة الروح القدس وبتعاليم الانجيل المقدسة التي نتعلمها من كلمة الله الطاهرة نبين ان القداس هو خرافة لا فائدة بهِ وهو يساعد على هلاك النفوس اكثر من مساعدتهِ على خلاصها ونحن مستعدون لان نبرهن اننا برفعنا المذابح لم نعمل شيئًا غير مستقيم ولا غير مقبول لدى الله

فهكذا اجتمع الحزبان وجهًا لوجه ببغضة وانقسام عظيمين كما ذكر في تقرير برن فتشاور المحكمون معًا فعاند الحاكم اذ شعر بان هذه الحركة تجزم على المستقبل وان اصواتًا قليلة تكفي لنصرة رومية وحسب انهُ يربحها بواسطة الوقاحة فقال يجب ان تعلموا ان اكثرية هذه البلدة من الرجال والنساء تتمسك بثبات الايمان القديم واما الاخرون فانهم جنود شبان حارون معجبون بانفسهم ومفتخرون بالتعليم الجديد. فاجاب الوكلاء البرنيون انهُ لاجل منع كل اذية دعونا نفصل هذا الاختلاف حسب كثرة الاصوات طبق شروط الصلح المنعقدة بين الولايات في بريمغرتن

وهذا هو رغبة المصلحين فصرخوا حسب العبارة المعينة لمثل هذه الاحوال القرعة القرعة ولكن مولى برنجنس والخوارنة الذين ارادوا ذلك عند ما كانوا وحدهم تقاعدوا عنهُ في حضرة برن فقالوا اننا نطلب فرصة. ولو سمح اتباع الاصلاح لانفسهم بالانخداع بهذه الاعمال البطيئة لخسروا كل شيء لانهُ متى ترك اهالي برن نيوفشاتل يقدر الوالي والاكليروس ان يغلبوا بسهولة ولهذا بقوا ثابتين وقالوا كلا كلا الآن لا مهلة ولا يومًا واحدًا ولا ساعة واحدة فارتعد الوالي من عمل يثبت بهِ سقوط الباباوية الشرعي وقاوم بعناد صراخ الشعب والولاة كانوا قد اغتاظوا وتذمر الاهالي ونظر الذين اكثر شراسة الى سيوفهم فكتب

الوالي الى الامراء يقول انهم عازمون على الزامنا والسيف بايديهم فصار عاصف حديث فوق نيوفشاتل واذا حدثت مقاومة اخرى قليلة يثور على الكنيسة والبلد والقلعة ويهلك لا الايقونات فقط والتماثيل والمذابح بل يبقى هناك اقوام موتى كما قال السيد دي ريف فسلم بالاضطراب والخوف

وعند ما بلغ الرومانيون تسليمهُ هذا راوا كل خطرهم فتحاوروا وجمعوا وسائطهم وفي الحال اعتمدوا على راي فانهم كانوا عازمين على القتال فقالوا ملتفتين نحو دي ريف وقابضين على مقابض سيوفهم يامولانا اننا جميعاً نحن الذين نتمسك بالسر المقدس عازمون على ان نموت شهداء لاجل ايماننا المقدس وهذا الاستعداد لم يخف عن الجنود الشبان الذين كانوا قد رجعوا من حرب جنيفا ولم يبقَ الأ دقيقة حتى يتجرد السيف ويتحول المكان الذي كانوا فيهِ الى ميدان حرب

والسيد دي برنجنس المائل الى الرياء اكثر من استقامة الايمان اقشعر من هذا الفكر فقال لاشرس حزبهِ انني لااقدر ان اسمح بذلك فان هذا العمل يعدم مولاتي بلادها وسيادتها وقال للبرنيين اني ارتضي باخذ الاصوات على ان يكون ذلك مع حفظ رياسة وحقوق وسيادة المولاة فاجاب اهالي البلدة ونحن نرتضي بشرط حفظ حريتنا وحقوقنا

ان جرجس دي ريف مع ياس اصدقائهِ لم يكن يعدم الرجاء بالكلية فان جميع احزاب العبادة القديمة في نيوفشاتل قد حُذرت وقبل ايام قليلة فقط كان اتباع الاصلاح انفسهم برفضهم الاقتراع قد اقروا بان اعداءهم هم اكثر منهم في العدد واما اصدقاء الانجيل في نيوفشاتل فكان لهم شجاعة ورجاء مبني على اساس اثبت. ألم يكونوا الحزب الغالب وهل يمكن ان يضعفوا في وسط ظفرهم. فتقدم الحزبان مرتبكين بعضها ببعض والقى كل انسان قرعتهُ بالسكوت فاحصوا بعضهم بعضاً وكانت النتيجة غير محققة وكان الخوف يجمد كل حزب في نوبتهِ واخيراً اظهرت الاكثرية نفسها فاخرجوا اصواتهم ونودي بالنتيجة وزيادة

ثمانية عشر صوتًا اعطت الغلبة للاصلاح والضربة الاخيرة للباباوية

ان سادات برن بادروا حالاً الى الاستفادة بهذه الغلبة فقالوا عيشوا من الآن وصاعدًا بالاتفاق بعضكم مع بعض ولاتدعوا القداس يتلى ايضًا ولاتدعوا اذية تصيب الخوارنة وادوا لمولاتكم ولكل من يجب له جميع العشور والاجور والجزية والفرائض. فنادت الجماعة بهذه القضايا وكُتِب حالاً تقرير ختمهُ وكلاء وولاة وحكام مدينة نيوفشاتل

ان فارل لم يظهر في كل هذا العمل كانهُ لم يكن في نيوفشاتل والاهالي استعانوا فقط بكلمة الله والوالي نفسهُ في تقريرهِ الطويل للامراء لايذكرهُ ذكرًا فان رسل ربنا القديس بطرس والقديس يوحنا والقديس بولس والقديس يعقوب هم الذين بكتاباتهم الالهية ارجعوا اساسات الكنيسة الحقيقية في وسط اهالي نيوفشاتل وكلمة الله كانت شريعة

فباطلاً تقول الكنيسة الرومانية انا الواهبة لكم هذه الكتب المقدسة نفسها ولهذا لايمكنكم ان تومنوا بها ما لم تومنوا بي فالكنيسة الانجيلية لم تقبل الكتاب المقدس من كنيسة رومية فان المذهب البروتستانتي قد وُجِد دائمًا في الكنيسة ووُجِد وحدهُ في كل مكان يشتغل فيهِ الناس بدرس الكتب المقدسة وباصلها الالهي وتفسيرها وتوزيعها والمذهب البروتستانتي الذي وُجد في القرن السادس عشر اخذ الكتاب المقدس من المذهب البروتستانتي الذي وُجِد في كل قرن فعند ما تتكلم رومية عن الرياسة تكون على ارضها ولكن عند ماتتكلم عن الكتب المقدسة تكون على ارضنا . ولو ظهر فارل في نيوفشاتل فربما لم يقدر على القيام ضد البابا ولكن البحث كان عن كلمة الله وحدها ولهذا لابد من سقوط رومية امام يسوع

وهكذا انتهى بعهد متبادل ذلك اليوم الذي كان في اول الامر مخيفًا بهذا المقدار فلو سلم البروتستانت بشيء من ارائهم لاجل سلام كاذب لدام الاضطراب في نيوفشاتل واظهار الحق بجسارة والهزات القوية التي اقترنت بهِ

فضلاً عن انها لم تخرب الهيئة الاجتماعية حفظتها وهذا الاظهار هو الريح التي ترفع السفينة عن الصخور وتسوقها الى الميناء

ان مولى برنجنس شعر بانهُ بين اهالي بلاد واحدة يكون احسن ان يسوا بعضهم بعضاً ولو كان ذلك بالمدافعة وذلك افضل من ان يتجنبوا بعضهم بعضاً على الدوام والايضاح الصريح الذي حصل جعل مضادة الفريقين اقل تهيجاً فقال الوالي اني اعد بان لا اباشر شيئاً ضد صوت هذا اليوم لاني انا نفسي اشهد بانهُ كان بامانة واستقامة من دون خطر ولا قهر . وكان من الواجب ارجاع غنائم الحزب المغلوب ففتح الوالي القلعة لها فنقل الى هناك الذخائر وزين المذابح واوراق الكنيسة والارغن ايضاً والقداس الذي طرد من المدينة كان يتلى هنا بحزن كل يوم

الآن جميع الزينة لم تاخذ في هذه الطريق فانهُ بعد جملة ايام اذ كان اثنان من الاهالي يقال لهما فوخي وسوجي منطلقين معاً الى كرومهما مرَّا بمعبد صغير كان سوجي المذكور قد وضع فيهِ ايقونة خشبية لماريوحنا فقال لرفيقهِ ها ايقونة . سوف احمي وجاقي بها غداً وفي الواقع عند رجوعهِ اخذ القديس ووضعهُ قدام بيتهِ وفي اليوم التالي اخذ الايقونة ووضعها على النار وفي الحال صارت قرقعة هائلة اوقعت الكآبة في تلك العائلة المسكينة وان فوخي المرتعد لم يعد يشك بان ذلك اعجوبة من القديس وبادر الى الرجوع الى القداس وباطلاً اخبرهُ جارهُ سوجي بالقسم انهُ في الليل فتح ثقباً في التمثال وملاهُ باروداً ثم سدهُ فلم يكن فوخي يصغي الى شيء بل عزم على الهرب من نقمة القداس فذهب واقام مع عائلتهِ في مرنيو في فرانس كومت . فهكذا هي العجائب التي تستند عليها رومية

وبالتدريج انتظم حال كل شيء فالبعض من الرهبان منهم جاك بيلود ووليم دي بوري وبناديكت تشامبريرا اعتنقوا الاصلاح واخرون ارسلهم الوالي الى رئيس موتيرس في فال دي تراويس وفي اواسط تشرين الثاني عندما تبتدي الارياح تهب في وسط الجبال رهبان كثيرون كانوا محفوفين بصبيان قليلين

مرتلين وهم بقايا مجمع نيوفشاتل القديم القدير الغني المعتد المتكبر صعدوا بتعب على مضيقات جورا وذهبوا لكي يخفوا في تلك الجبال الشامخة الجميلة عار الانكسار الناتج عن مساويهم المستطيلة وظلمهم الذي لا يطاق

وفي ذلك الوقت انتظم حال العبادة الجديدة وفي مكان المذبح العالي وضع مائدتان من رخام لاجل وضع الخبز والخمر وكلمة الله نودي بها عن منبر معرّى من كل زينة ورياسة الكلمة التي هي صفة مميزة للعبادة الانجيلية صارت في كنيسة نيوفشاتل عوضاً عن الخرافة المميزة البابابوية

في اواخر القرن الثاني رومية التي هي العاصمة القديمة لجميع الاديان بعد ان ترحبت بالعبادة المسيحية حال كونها على نقاوتها الاصلية حولتها بالتدريج الى اسرار فنسبت قوة سرية الى بعض الاحتفالات وحكم الذبيحة المقدمة من الخوري خَلَف حكم كلمة الله ووعظ فارل ارجع الكلمة الى حقوقها المختصة بها وتلك الاسقفة المعقودة بالحجارة التي كانت قد كرستها ننوى اوارك الثاني بعد رجوعهِ من اورشليم لعبادة العذراء استخدمت بعد اربعة قرون لاجل اعالة المومنين كما في ايام الرسل بكلام الايمان والتعليم الصحيح (١ تي ٤: ٦)

الفصل التاسع

استعداد للمقاومة . تقصير الحيلة . آلام فارل . اثبات الاصلاح . صفات سويسرا الفرنساوية . دلائل العاصفة المقبلة

ان المحاورة الحاصلة تحت وساطة برن حكمت بان التغيير انما يجب ان يكون في مدينة وابرشية نيوفشاتل فقط فهل يجب ان باقي البلاد يبقى في الظلمة فهنه لم تكن ارادة فارل وغيرة الاهالي في نشاطها الاول اتفقت معهُ اتفاقاً قوياً فزاروا القرى المجاورة ينذرون البعض ويحاربون غيرهم والذين كانوا ملتزمين ان يكدوا بايديهم نهاراً كانوا يذهبون الى هناك ليلاً فكتب الوالي الى الامراء يقول قد بلغني انهم يشتغلون في الاصلاح ليلاً ونهاراً

فخاف جرجس دي ريف وجميع ولاة كل مقاطعات البلاد وهولاء القوم الصالحون ظنوا بان ضمائرهم مثل علائقهم تتوقف على السيدة لونغوفيل فقال الولاة لمولى ريف اننا نرغب ان نعيش ونموت تحت حماية مولاتنا من دون ان نغير الايمان القديم حتى يصدر منها الامر بذلك . ولم يكن ممكنًا لرومية ان يقع عليها اهانة اشد حتى ولا بعد سقوطها

وهذه المواعيد بالامانة وغياب البرنيين ارجعت ثقة دي ريف فدبّر سرًّا رد فعل جديد بين الاشراف واداني الشعب فانهُ يوجد في كل واقعة تاريخية وفي سقوط ترتيبات عظيمة وفي منظر خربها شيء لا يهيج العقل ويصلحهُ فهذا ما حصل في العصر الذي نحن في شانهِ وكان البعض اكثر غيرة على البابا وية بعد سقوطها مما كانوا في ايام صولتها وكان الخوارنة يدخلون البيوت ويقدسون لبعض الاصحاب الذين دعوا سرًّا واجتمعوا حول المذبح الموقت وعند ما يولد ولد كان يصل الخوري بالهدو وينفخ في وجه الطفل ويرسم الاشارة على جبهتهِ وصدرهِ ويعمدهُ حسب الطقس الروماني . وهكذا رموا سرًّا ما قد قُلب في ضوء النهار واخيرًا صار الراي على حركة مضادة واختاروا لذلك عيد الميلاد اي لارجاع المذهب الروماني وعند ما تكون التراتيل المسيحية المفرحة صاعدة الى السماء يهجم اتباع رومية على الكنيسة ويطردون جماعة الارانقة ويقلبون المنبر والمائدة المقدسة ويرجعون الايقونات ويقدسون بظفر فهذا هو الترتيب المعروف بصلاة المساء لنيوفشاتل

فشاع هذا المقصد ووكلاء من برن وصلوا الى نيوفشاتل في نفس مساء العيد فقالوا للوالي يجب ان تعلم انهُ اذا قُوتل اصحاب الاصلاح فاننا نحن اصحابهم نحامي عنهم بكل قوتنا فالقى المتوامرون اسلحتهم ورتلت ترانيم الميلاد من دون اضطراب

وهذه النجاة العظيمة زادت احباء الانجيل ورعًا وغيرةً فان ايمار بيونون من سربر حيث كان قد طلع فارل ذات يوم من قارب صغير تبوا المنبر وقال

لرعيتو اذا كنت خوريًا جيدًا فاني ارغب بنعمة الله في ان اكون راعيًا احسن . وكان واجبًا ان هذه الكلمات تُسمَع من كل منبر فشرع فارل باتعاب واعمال وجهاد لا يوازيها الاَّ اعمال الرسل والمرسلين فقط . فانهُ في اواخر سنة ١٥٢٠ عبر الجبل في قلب الشتاء ودخل كنيسة والنجن وذهب الى المنبر وابتدا يعظ في نفس الدقيقة التي كانت فيها غويليمتّادي وبرجي اتية الى القداس فاجتهدت في ان تسد فم المصلح وكان ذلك عبثًا فانصرفت الارملة المسنة الشريفة تقول بعجلة اني لا اظن ان هذا هو حسب الاناجيل القديمة فاذا كان موجودًا اناجيل جديدة نثينة فاني اتعجب كل العجب . فعانق اهالي والنجن الانجيل فركض المتسلم الخائف الى نيوفشاتل ومن هناك الى برن وفي ١١ شباط سنة ١٥٢١ قدم شكواهُ امام الديوان ولكن كل ذلك كان باطلاً فقال سعادة ارباب ديوان برن لهُ لماذا تعكر مياه النهر دعها تجري بدون معارضة

فرجع فارل حالاً الى الابرشيات التي على الروابي الكائنة بين النهر وجبل جورا وفي كورسيليس ثار جمهور مهوس ومتسلح جيدًا ومقدامهم خوري نيوفشاتل الى الكنيسة حيث كان الخادم يعظ فلم يفلت من ايديهم من دون جرح وفي بيقا يوحنا رئيس ليفرن ورهبانهُ جمعوا جمهورًا كبيرًا من الاصحاب واحاطوا بالكنيسة واذ اكملوا بذلك الحصار دخلوا الى المكان وخطفوا الخادم عن المنبر وطردوهُ من الكنيسة بالشتائم والاهانات وكلما اظهر نفسهُ لحقوهُ حتى الى اوفرنير بالحجارة والرصاص

وبينما كان فارل يعظ هكذا في السهول ارسل واحدًا من اخوتهِ الى الوادي وهو يوحنا دي بيلي الذي كان من عائلة شريفة من كرست دوفيني وكان وراء والنجن بمسافة قصيرة من فونتيني الى يسار الطريق المؤدي الى سرير حجر لم يزل الى يومنا هذا فهناك في الصحراء ابتدا مبشر الانجيل هذا ينادي بالخلاص بالنعمة كانهُ في هيكل فاخر وكانت امامهُ منحدرات شومونت المنتشرة عليها قرى مانين وفيلارس وسولى وسوانير الجميلة ووراءها سلسلة جبال الالب البعيدة الحسنة .

والاكثر غيرة بين سامعيهِ ترجوهُ ان يدخل الكنيسة ففعل كذلك ولكن بغتةً وصل الخوري ونائبهُ بضجة عظيمة فتقدما الى المنبر ودهورا بيلي عنهُ ثم التفتا الى النساء وشبان الموضع وهيجاهم الى ضربهِ وطردهِ

فرجع يوحنا دي بيلي الى نيوفشاتل مهشَّما ومرضوضًا نظير صاحبهِ بعد حصول ما حصل في والنجن ولكن هذان الانجيليان اقتديا ببولس الرسول الذي لم يكن الجلد ولا الضرب على صدهِ فرجع دي بيلي مرارًا الى فونتيني فنُفي القداس بعد قليل من تلك القرية فكان بيلي راعيًا لها سبعًا وعشرين سنة ونسلهُ قد مارسوا وظيفة الرعاية اكثر من مرة هناك وهم الآن العائلة الاكثر عددًا بين فلاحي ذلك المكان

وبعد ان قاد فارل شطوط البحيرة من جنوبي نيوفشاتل الى الانجيل انطلق الى الشمال وبشر في سنت بلايس واذ هيج الخوري والمتسلم الاهالي ضدهُ هجموا عليهِ فهرب فارل من ايديهم بعد ان ضُرِب ضربًا اليمًا وبصق دمًا حتى لم يعد يُعرَف الَّا بالكد فان اصدقاءهُ كانوا قد طرحوهُ بعجلة في قارب وانطلقوا بهِ الى مورات حيث اعاقتهُ جراحهُ مدة من الزمان

وعند ما بلغ خبر هذا التعدي اهالي نيوفشاتل الانجيليين فار دمهم وقالوا اذا كان المتسلم والخوري ورعيتهُ قد رضوا جسد خادم المسيح الذي هو حقًا مذبح الله الحي فلماذا نوفر الاصنام المائتة فبادروا حالاً الى سنت بلايش وطرحوا الايقونات وفعلوا كذلك في دير فونتيني اندري الذي هو مقدس العبادة القديمة

وكانت الايقونات لم تزل موجودة في والنجن ولكن ساعتها الاخيرة دنت فان رجلاً فرنساويًا اسمهُ انطونيوس مركورت كان قد انتخب راعيًا لنيوفشاتل اذ كان يتبع خطوات فارل انطلق مع بعض من الاهالي الى والنجن في ١٤ حزيران الذي هو عيد عظيم لتلك البلدة وحالما وصلوا اجتمع حول الخادم جمهور عظيم يصغون الى كلماتهِ والرهبان الذين كانوا محافظين في منازلهم والمولاة

دي وبرجي والمولاة دي بلاغردي في ابراجها طلبوا حيلة لتسكيت هذا الوعظ الاراتيكي فلم يقدروا ان يستعملوا السيف خوفًا من برن فالتجأُوا الى طريق وحشي يليق باظلم ايام البابا وية وظنوا انهم اذ يهينون بهِ الخادم يشوشون افكار الجمهور ويحولون الوعظ الى الضجة والضحك . فذهب راهب مع احد اعوان الاميرة الى الاسطبلات واخذا من هناك حيوانين وذهبا بهما الى المكان الذي كان مركورت يعظ فيهِ . فلنلقِ سترًا على ما جرى وعلى ذلك المنظر لانهُ من جملة الموضوعات المعيبة التي يمتنع قلم التاريخ عن نقلها ولكن لم يسرع قط القصاص على اثر الذنوب كما اسرع حينئذٍ فانتبه ضمير السامعين عند ما راوا هذا المنظر القبيح والنهر الذي قُصِد حجزهُ بواسطة هذا العمل خرج من مجراهُ فان الشعب المغتاظ اذ ارادوا ان يحاموا عن الديانة التي اراد اخصامهم ان يهينوها دخلوا الى الكنيسة نظير موجة هائجة فانكسرت الطاقات القديمة واتراس السادات اهلكت وتبددت الذخائر ومزقت الكتب وطرحت الايقونات وقلب المذبح ولكن ذلك لم يكن كافيًا فان الموجة الجمهورية بعد ان كنست الكنيسة فاضت راجعت ولطمت منازل الرهبان فهرب سكانها بالحيرة الى الاحراش فاهلك كل شيءٍ في مساكنهم

وان غوليمتًا دي وبرجي ودي بلاغردي اذ كانتا ترتعدان وتضطربان وراء حصونهما ندمتا عن عملهما القبيح وكانت توبتهما متاخرة وكانتا الشخصين الوحيدين اللذين لم يشعرا بعد بالنقمة الجمهورية واعينهما المضطربة راقبت حركات اهالي البلدة الغضبانين فان العمل قد كمل والبيت الاخير قد نُهب والاعيان كانوا يتشاورون معًا ثم رأتاهم يتحولون نحو القلعة ويصعدون على التل ويقربون فهل مسكن امراء اربرج الاشراف مزمع ان يصير خرابًا فقال المتقدمون وهم واقفون على باب القلعة كلاَّ اننا قد اتينا لكي نطلب الحق لاجل التعدي الذي حصل ضد الديانة وخادمها فاذن لهم بالدخول وامرت الاميرة المرتعدة بقصاص الاشقياء المساكين الذين انما فعلوا ما فعلوهُ بامرها الاَّ انها في

الوقت نفسهِ ارسلت معتمدين الى برن تشكو من الاهانات العظيمة التي حصلت لها فحكمت برن بان المصلحين يردون العوض وان الاميرة تاذن لهم بان يستعملوا عباداتهم بحرية وكان يعقوب قلوزاة من اهالي كمباني اول راع لوالنجن وبعد قليل سوف نرى مقاتلات جديدة عند حضيض جبل جورا

وهكذا تثبت الاصلاح في والنجن كما تثبت في نيوفشاتل فربحت عاصمتا تلك الجبال للانجيل ولم يمضِ الاّ القليل حتى تثبت اثباتاً شرعياً وفرنسيس امير رويثلين ابن اميرة لونغو يفيل وصل الى المقاطعة في اذار سنة ١٥٣١ قاصداً ان يعمل في هذا المرسح الصغير ما عملهُ فرنسيس الاول ولكنهُ تعلم عاجلاً وجود حركات اجرتها يد قوية لا بد من الخضوع لها فطرد رويثلين من المقاطعة الرهبان الذين كانوا القوة الاولى فيها ووضع مكانهم اربعة خيالة ومقدمين ثم مستنداً على المبدا الذي يحكم بان جميع الاملاك المتروكة تكون للحكومة وضع يديهِ على ميراثهم الغني ونادى بحرية الضمير في البلاد باسرها واذ حُفظت جميع الواجبات الضرورية مع المولاة دي ريف الوالية دخلت في طريق الاصلاح فهذه هي المساعدة التي نالتها رومية من الحكومة التي استنظرت النجاة بواسطتها

كان النشاط العظيم من الصفات المميزة اصلاح سويسرا الفرنساوية وذلك واضح من الحوادث التي مرّ ذكرها وقد نسب الناس الى فارل هيئةعملهِ هذا المميزة ولكن لم يبدع قط انسان دهرهُ بل الامر دائماً بالعكس الدهر هو الذي يبدع الانسان وبمقدار ما يكون العصر اعظم تكون الشخصيات اقل تغلباً فيهِ فان كل الخير الموجود في الحوادث التي ذكرناها صدر عن ذلك الروح القادر على كل شيء الذي اقدر الناس ليسوا سوى آلات ضعيفة بيدهِ وكل الشر صدر من طبيعة الشعب وحقاً ان البابوية هي التي في غالب الاوقات ابتدات بمناظر الظلم هذه وفارل خضع لصولة دهرهِ اكثر من خضوع الدهر لصولتهِ فان رجلاً عظيماً قد يكون تشخيص ورمز العصر الذي يقدرهُ الله لهُ وليس هو مبدعهُ ابداً

الكتاب السابع

سويسرا . المصيبة الكبرى من سنة ١٥٢٨ الى سنة ١٥٣١

الفصل الاول

حرب مسيحية . زوينكل الراعي والحاكم والقائد . طلب البابوية نجدة من اوستريا .
راي زوينكل . استشهاد قيصر . خطاء زوينكل

كانت ارادة الله انهُ على نفس ابواب كنيستهِ المتجددة يكون نموذجان يستخدمان عبرةً للادوار المستقبلة فان لوثيروس والاصلاح الجرماني لم يقبلا مساعدة الصولة الزمنية ورفضا قوة السلاح وطلبا الغلبة من الاقرار بالايمان فقط فتكلل ايمانهما باسطع النجاح حال كون زوينكل والاصلاح السويسي اذ مدَّا ايديهما الى مقتدري الارض وقبضا على السيف عاينا بلية هائلة قاسية دموية تسقط على كلمة الله وهذه البلية كادت تغرق العمل الانجيلي في بحر هائج جدًّا فان الله هو اله غيور لا يعطي مجدهُ لاخر وهو يريد ان يكمل عملهُ بنفسهِ ولاجل نوال مقاصدهِ يحرك آلات غير آلات المداخلات السياسية

ولا ننسى ان المطلوب منا انما هو الخبر بالحوادث ولا ان نجادل في النظريات ولكن موجود مبدا يقدمهُ لنا التاريخ الذي نحن في شانهِ باحرف واضحة وهو مذكور في الانجيل حيث قيل ان سلاح مجاهدتنا ليس سلاح الجسد بل قوة الله وبتمسكنا بهذا الحق لا نجعل انفسنا على تعليم مدرسة خصوصية بل على تعليم الضمير العمومي وكلام الله

بين جميع انواع المساعدة الجسدية التي يمكن للديانة ان تستمدها لا شيء اضر لها من السلاح والسياسة فان الآلة الاخيرة تطرحها في طريق موّلة والاول يستكدها الى طرق سفك الدماء. والديانة التي نُزع من جبهتها رسم الحق والوداعة لا تعرض الاّ وجهًا منحطًّا ومذلولاً لا يقدر ولا يريد احد ان يقرَّ بها. ونفس امتداد الاصلاح في سويسرا هو الذي عرضهُ للاخطار التي غاص تحتها ففي كل الوقت الذي بقي فيهِ منحصرًا في زوريخ بقي امرًا دينيًّا ولكن عندما ربح برن وباسل وشافهوسن وسنت غال وغلاريس وابنزل ومقاطعات عديدة حصل على انصاليات داخلية مقاطعية وهناك كان الغلط والتعس فعوضًا عن حصول الانصال بين كنيسة وكنيسة حصل بين ولاية وولاية . وحالما امتزجت الامور الروحية والسياسية معًا قويت الاخيرة على الاولى . وزوينكل ظن بعد قليل انهُ يجب عليهِ ان يفحص لا عن القضايا التعليمية فقط بل ايضًا عن القضايا المدنية وكنت ترى المصلح الفاضل وهو غير شاعر بالفخاخ التي تحت قدميهِ يلقي نفسهُ في مسالك مملوّة صخورًا حيث توقعهُ في نهايتها موتٌ قاسٍ

ان مقاطعات سويسرا الاصلية كانت قد سلمت حق اجراء معاهدات جديدة بدون قبول الجميع واما زوريخ وبرن فانهما حفظتا هذا الحق ولهذا ظن زوينكل بنفسهِ ان لهُ حرية تامة في عقد عهود مع الولايات الانجيلية فقسطنسيا هي المدينة الاولى التي قبلت بذلك ولكن هذا الارتباط المسيحي الذي كان ممكنًا ان يصير اصل معاهدة جديدة اقام حالاً اخصامًا كثيرين لزوينكل حتى بين احزاب الاصلاح . غير ان الفرصة لم تفت بعد وكانت لزوينكل استطاعة ان يترك مصالح الجمهور ويشتغل على التمام في قضايا الانجيل ولكن لم يكن في زوريخ احد مثلهُ لهُ ذلك الانصباب على الشغل وتلك العين المستقيمة الحادة الثابتة اللازمة بهذا المقدار لاصحاب السياسة فاذا تركها تصبح سفينة الحكومة من دون مدبر وعدا ذلك زعم ان الاعمال السياسية وحدها تقدر ان تخلص الاصلاح ولهذا عزم على ان يكون في وقت واحد بعينهِ رجل الحكومة والكنيسة فان

السجلات تدل على انهُ في سنيهِ الاخيرة اشترك في اهم المحاورات وفوضت اليهِ دواوين مقاطعتهِ ان يكتب مكاتيب ويولف اعلانات ويقدم رايات فانهُ قبل المخاصمة مع برن لما رأى الحرب ممكنة كتب تدبيرًا مفصلاً جدًّا للمدافعة لا تزال نسخةٌ موجودة وفي سنة ١٥٢٨ فعل اكثر من ذلك فانهُ بيَّن في ورقة غريبة كيف يجب ان يكون عمل الجمهورية نظرًا الى مملكة فرانسا وباقي الاقاليم الاوروبية ونظرًا الى المقاطعات والولايات المختلفة. ثم كانهُ كان طول عمرهِ رئيس جيوش هاڤيثيا (وبالفعل عاش مدَّة طويلة بين الجنود) اوضح الفوائد التي تصدر من مفاجأة العدو ووصف ايضًا طبيعة الاسلحة وطريقة استعمالها وفي الحقيقة كانت حركة مهمة حينئذٍ في صناعة الحرب فراعي زوريخ هو في وقت واحد راس الحكومة وقائد العسكر وامتزاج عمل المصلح هذا صار خراب الاصلاح ونفسهِ ولاشك انهُ يجب علينا ان نتسامح مع رجال ذلك العصر الذين من عادتهم ان يروا رومية قابضة على سيفين مدَّة قرون كثيرة جدًّا ولم يقدروا ان يفهموا وجوب القبض على الواحد وترك الآخر فينبغي ان نمدح قوة ذلك العمل السامي الذي عند ما كان آخذًا في عمل سياسي تضيع فيهِ اعظم العقول لم يكف عن ابداء نشاطٍ لا يكل كراعٍ وواعظ ولاهوتي ومؤلف ويجب ان نقر بان تربية زوينكل الجمهورية جعلتهُ ان يمزج بلادهُ بديانتهِ وانهُ كان في هذا الرجل العظيم ما يكفي لشغل اعمار كثيرة ويجب ان نعتبر تلك الشجاعة القوية المستندة على العدالة فلم تخف في الوقت الذي لم يكن لزوريخ سوى مدينتين ضعيفتين متحدتين معها من ان تقاوم قوات المملكة والمعاهدة القوية ولكن يجب ان نرى ايضًا في المثالة العظيمة الهائلة التي اعطاهُ اياها الله وصية لجميع الاوقات ولكل امة واخيرًا ان نفهم ما يُنسى مرارًا كثيرة ان مملكة المسيح ليست من هذا العالم

والمقاطعات البابابوية الرومانية عند ما بلغها الاتفاقات الجديدة التي حصلت بين اتباع الاصلاح اغتاظت غيظًا شديدًا فان وليم فان دياسباخ الوكيل من قبل برن في المجمع اصابتهُ اشد التوبيخات والجلسة التي كانت منقطعة

ابتدات ثانيةً بعد ذهابهِ . قال اهل برن عند انصرافهِ دعوهم يرقّعون الايمان القديم الَّا انهُ لا يثبت ايضًا . وفي الحقيقة رقعوهُ بكل قوتهم ولكن بابرة حادة مسمومة اخرجت الدم ويوسف امبرج من شويتس وجاك ستوكر من زوغ متسلما ثورغوفيا عاملا بالقساوة جميع الذين كانوا متمسكين بالانجيل فاجروا عليهم غرامات وحبسًا وعذابًا وجلدًا ونهبًا ونفيًا وقطعوا السنة الخدام او رؤوسهم او حكموا عليهم بالحريق وفي الوقت نفسهِ اخذوا الكتاب المقدس وجميع الكتب الانجيلية واذا عرض ان البعض من اللوثرانيين المساكين عند هربهم من اوستريا قطعوا الرين وذلك الوادي الواطي حيث تجري مياههُ الهادئة بين جبال الالب عند التيرول وابنزل واتوا هربًا من الرماحة لاجل طلب ملجا في سويسرا فانهم دفعوهم بقساوة بايدي طارديهم

وكلما زادت ايدي الولاة ثقلاً على ثورغوفيا وريننال كانت غلبات الانجيل تزداد عظمةً وكتب اسقف قسطنسيا الى المقاطعات الخمس انها ان لم تتصرف بثبات تتمسك البلاد باسرها بالاصلاح وعند ذلك جمعت المقاطعات في فراونفلد جميع الاساقفة والاشراف والقضاة واعيان البلد وحصل اجتماع ثانٍ بعد ستة ايام اي في ٦ كانون الاول سنة ١٥٢٨ في وينفلد فطلب وكلاء من برن وزوريخ من المجمع ان يعتبروا كرامة الله فوق كل شيء وان لا يبالوا بوجهٍ من الوجوه بتهديدات العالم فحصل هياج عظيم عند هذا الخطاب واخيرًا طلبت الاكثرية التبشير بكلمة الله وهكذا حكم الشعب وريننال وبريمغرتن اقتدتا بهذه القدوة

فحارت الاعداء لان الطوفان تقدم كل ساعة فهل يجب اذًا ان مقاطعات فورست تفتح ودياتها لهُ اخيرًا فان البغضة الدينية ابطلت البغضة الجنسية وهولاء الجبليون المتكبرون لما نظروا الى ما وراء الرين افتكروا بنجدة اوستريا التي كانوا قد استظهروا عليها في موغرتن وسمباخ . والحزب الجرماني الموسوس الذي كان قد سحق فلاحي سوابيا العصاة كان قويًا جدًّا على التخوم فجرت المكاتبة وكان

الرسل يجوزون الى هنا وهناك قاطعين النهر واخيرًا استغنموا فرصة عرس احد الاكابر المزمع ان يتم في فلدكرخ في سوابيا بمسافة ستة فراسخ من ابنزل ففي ١٦ شباط سنة ١٥٢٩ اذ عمل جماعة العرس موكبًا عظيمًا من الخيالة كان مختفيًا في وسطهِ وكلاء الخمس المقاطعات دخلوا فلدكرخ وصارت المواجهة بين امبرج والوالي الاوستريانى فقال السويسي ان قوة اعداء ايماننا القديم قد زادت بهذا المقدار حتى ان احباء الكنيسة لا يقدرون ان يقاوموهم ايضًا ولهذا نحن نوجه ابصارنا نحو ذلك الامير الشهير الذي خلص في جرمانيا ايمان اجدادنا

وهذا الاتحاد كان غريبًا جدًّا حتى ان اهالي اوستريا عسر عليهم تصديق خلوصهِ فقال اهالي والدستات خذوا رهنًا واكتبوا شروط العهد بايديكم وآمروا ونحن نطيع فاجاب اهالي اوستريا نعمًا ذلك انكم بعد شهرين سوف تجدوننا ايضًا في ولدشوت ونخبركم بشروطنا

وخبر هذه المراسلات الذي انتشر في الخارج احدث اضطرابًا عظيمًا حتى بين احزاب رومية ولم ينفجر ذلك في مكان باشد عزم مما كان في ديوان زوغ فان الحزبين المتضادين هاجا هياجًا عظيمًا فلبطوا بارجلهم وقفزوا من اماكنهم وكاد الامر يتصل بهم الى الضرب فان البغضة غلبت على محبة الوطن فحضر وكلاء مقاطعات فورست في ولدشوت وعلقوا اسلحة مقاطعاتهم بجانب اسلحة ظالمي سويسرا وزينوا برنيطاتهم بريش الطاووس الذي هو علامة اوستريا وكانوا يضحكون ويشربون ويهزلون مع احزاب الامبراطور وهذا الاتحاد الغريب تم اخيرًا وفحواهُ ان كل من يحدث طوائف جديدة بين الشعب يعاقب بالموت وذلك بمساعدة اوستريا وهي عند الاحتياج ترسل الى سويسرا آلافًا من الجنود المشاة واربع مئة خيال مع كل ما تحتاج اليهِ من الاسلحة واذا اقتضى الامر تحاصر جميع المقاطعات التابعة الاصلاح وتمنع جميع الذخائر عنها والشروع بهذا العمل المذموم بهذا المقدار يختص بالمقاطعات الرومانية واخيرًا تكفلت اوستريا لاهالي ولدستت بامتلاك جميع الفتوحات التي تصير على شط الرين الشمالي

زيادة على الولايات العمومية

ان ضعف الهمة والحيرة تغلبا حالاً في جميع سويسرا . وهذه المرثاة العمومية التي حفظها بولنجركان يغني بها في كل جهة

ولولوا ايها الهلفيثيون ولولوا

لان ريش الطاووس المتكبر

قد اتحد بصرامة

بثور مقاطعات فورست البري

وجميع المقاطعات غير الداخلة في هذه المعاهدة ما عدا فريبرج اجتمعت في زوريخ وعزمت على ارسال معتمدين الى اصحابها الجبليين لاجل المصالحة والمعتمدون الذين دخلوا شويتس بحضور الشعب اكملوا عملهم من دون قلق ففي زوغ كان الصراخ لا وعظ لا وعظ وكان الجواب في ألتُرف يا ليت ايمانكم الجديد قد دُفِن الى الابد وفي لوسرن اجيبوا بهذا الجواب الشديد اننا سوف نعلم كيف نحمي انفسنا واولادنا واولاد اولادنا من سم خوارنتكم العصاة وفي انترولدن اساءوا قبول المعتمدين اكثر من الجميع فقالوا اننا نحكم بان اتحادنا قد انتهى فنحن اي اهالي ولدستات الآخرون نحن السويسيون الحقيقيون فاننا قد ادخلناكم على سبيل المعروف في معاهدتنا والآن تحاولون ان تصيروا ساداتنا فان الامبراطور واوستريا وساڤواه وڤاليه يساعدوننا فانصرف المعتمدون منذهلين وارتعدوا عند ما مرُّوا امام بيت كاتب المقاطعة وراوا هناك ارمة زوريخ وبرن وباسل وستراسبرج معلقة على خشبة عالية

فحالما رجع المعتمدون الى زوريخ وقدموا تقريرهم التهبت عقول الناس فارتأى زوينكلي ان لا يعطى امان لانترولدن ان لم ترفض الخدمة الاجنبية والاتحاد مع اوستريا وحكم الولايات المشتركة فقالت برن التي منعت منذ قليل حربًا مدنيًا في مقاطعاتها كلاّ كلاّ فلا يجب ان نكون عجولين فانهُ عند ما تشرق اشعة الشمس بريد كل واحد ان يسير في سبيلهِ ولكن حالما يبتدي المطر يضيع

كل واحد همته فان كلمة الله تامر بالصلح فان الايمان لا يدخل القلب بالباطات والرماح ولاجل هذا السبب نترجاكم بالام ربنا ان تسكنوا غضبكم

وهذا الانذار المسيحي كان اخذ مفعوله لو لم تكن الاخبار المخيفة التي وصلت الى زوريخ في نفس اليوم الذي قدم فيهِ اهالي برن خطابهم اللطيف قد اعدمتهُ التاثير

ويوم السبت في ٢٢ ايار يعقوب قيصر راعي واب عائلة في جوار غريفنسي بعد ان قطع شطوط تلك البحيرة الصغيرة الخصبة جاز المراعي الخصبة التي لولاية غرونجن ومر بالقرب من بيت بوبيكون التوتوني ودير روني ووصل الى ذلك الاقليم البسيط المستوعر المستحم بالجزء الاعلى من بحيرة زوريخ وبينما هو آخذ في طريقهِ الى ابر كرك وهي ابرشية في اقليم غستر بين بحيرتي زوريخ ووالنستدت كان قد اختير راعيًا لها وكان مزمعًا ان يعظ فيها في الغد قطع ماشيًا شعب بوخبرج المستطيلة المستديرة محاذيًا اعالي امون الجميلة وبينما هو ماشٍ بامان في تلك الاحراش التي كان قد قطعها مرارًا منذ اسابيع كثيرة من دون معارض اذا ستة رجال قبضوا عليهِ بغتةً وهم كامنون هناك لاجل مسكهِ وذهبوا بهِ الى شويتس فقالوا للعصاة ان الولاة قد امروا بان يجلب جميع الخدام المبتدعين امورًا حديثة الى امام المحكمة فهذا هو واحد منهم قد اتينا بهِ اليكم ومع ان زوريخ وغلاريس تعرضتا ومع ان حكومة غستر التي فيها قُبض على قيصر لم تكن حينئذٍ مختصة بشويتس كان الوالي يطلب ضحية وفي ٢٩ ايار حكموا على الخادم بان يحرَق حيًا واذ بلغ قيصر الحكم الذي خرج ضدهُ شرع يذرف الدموع . ولكن عند اتيان ساعة القضاء مشى بحبور الى الموت واقر علانيةً بايمانهِ وشكر الرب حتى بنسمتهِ الاخيرة فقال واحد من قضاة شويتس بابتسام هازل لمعتمدي زوريخ اذهبوا وقولوا للذين في زوريخ كيف يشكرنا وهكذا سقط شهيد جديد تحت ايدي تلك السلطة القوية التي هي سكرى من دماء القديسين (رؤ ١٧: ٦)

امتلات الكاس ولهيب حريق قيصر صارت علامة حرب وزوريخ المغناطة صرخت صوتًا امتد الى جميع المعاهدة وزوينكل على الخصوص طالب اعمالاً نشيطة فانهُ في كل مكان في الازقة والدواوين حتى وعلى المنابر فاق اشجع القواد جراءة فتكلم في زوريخ وكتب الى برن وقال فلنتشجع ولا نخف من حمل السلاح وهذا الصلح الذي رغب فيهِ البعض بهذا المقدار ليس صلحًا بل انما هو حرب حال كون الحرب التي نطلبها ليست حربًا بل صلحًا فاننا لسنا عطشانين الى دم احد ولكننا نقص جناحي السيادة فاذا ابينا ذلك فان حق الانجيل وحياة خدامهِ لا تكون في امان بيننا ابدًا

هكذا تكلم زوينكل فانهُ في كل قسم من اوروبا كان يرى مقتدري الارض يساعدون بعضهم بعضًا لكي يخنقوا الكنيسة الحية وظن انهُ من دون حركة قاطعة قوية تسقط الديانة المسيحية التي تغشاها ضربات كثيرة بهذا المقدار راجعة الى عبوديتها القديمة ولوثيروس في احوال كهذه كان يمنع السيوف المستعدة للقتال وطلب ان كلمة الله وحدها تظهر في ميدان القتال واما زوينكل فلم يفتكر هكذا بل في زعمهِ لم تكن الحرب عصاوة لان سويسرا لم يكن لها مالك فقال لا شك انهُ يجب علينا ان نتكل على الله وحدهُ ولكن متى امرنا امرًا عادلاً يجب علينا ايضًا ان نعرف كيف ندافع عنهُ ونظير يشوع وجدعون نسفك الدم لاجل بلادنا والهنا

واذا اتّبعنا مبادي العدل التي يتدبر بها روساء الشعوب فاننا نرى راي زوينكل صوابيًا وغير ملوم وكان من واجبات اهالي سويسرا ان يحموا المظلوم من الظالم ولكن أليس الكلام الذي يليق في فم حاكم ملومًا في فم خادم المسيح وربما نسي زوينكل كونهُ راعيًا واعتبر نفسهُ واحدًا من الاهالي فقط يطلب اهالي بلادهِ رايةً وربما اراد ان يحامي عن سويسرا لا عن الكنيسة بشوراتهِ ولكن هل جاز لهُ ان ينسى الكنيسة ووظيفتهُ ويسوغ لنا ان نقول اكثر من ذلك ايضًا واذ نسلّم بكل ما يقال بابرام محاماة عن الغرض الآخر ننكر ان السلطة المدنية

يجب ان تمسك السيف لاجل حماية الايمان

ان المصلح لكي يكمل مقاصدهُ احتاج حتى في زوريخ نفسها اشد الاتحاد والحال انهُ كان اناس كثيرون في تلك المدينة متمسكين باغراض وخرافات ضدهُ وكان قد نادى عن المنبر في ١ كانون الاول سنة ١٥٢٨ الى متى الى متى تعضدون في الديوان هولاء الكافرين وهولاء المنافقين الذين يضادون كلمة الله وكانوا قد عزموا على تنظيف الديوان طبق طلب المصلح وفحصوا الاهالي كلاً على حدةٍ ونفوا حينئذٍ كل الاعضاء المضادين

الفصل الثاني

اطلاق حرية الوعظ في سويسرا . وقوع الحرب وذهاب زوينكل مع الجيش . المشورة وعقد الصلح . راهبات ماري كاترينا

ويوم السبت في ٥ احزيران سنة ١٥٢٩ وذلك بعد استشهاد قيصر بسبعة ايام كانت زوريخ كلها في حركة وحان الوقت لارسال انتر والدن واليًا للولايات المشتركة واذ كانت الايقونات قد احرقت في تلك الولايات كانت انتر والدن قد اقسمت باخذ الثار علنًا وهكذا صارت الحيرة عامةً وزُعم ان وقود قيصر سوف يُضرَم ثانيةً في جميع القرى فتقاطر كثيرون من السكان الى زوريخ وكنت ترى على وجوههم المضطربة الخائفة صورة اللهيب الذي افنى الشهيد

وهولاء القوم المنكودو الحظ وجدوا زوينكل مدافعًا قويًا فظن هذا المصلح انهُ قد فاز اخيرًا بالغرض الذي لم يكف عن طلبهِ دائمًا وهو الوعظ بالانجيل بالحرية في سويسرا وانزال ضربة جازمة يكون حسب فكرهِ كافيًا لانهاء هذا الامر نهاية حسنة فقال زوينكل لاهالي زوريخ ان اصحاب المعاليم الشرهين يستخدمون جهالة الجبليين لاجل تهيج هذه النفوس البسيطة ضد احباء الانجيل فلنستعمل اذًا القساوة ضد هولاء الروساء المتكبرين فان وداعة الحمل انما تزيد

شراسة الذئب فلنفرض على الخمس المقاطعات ان ياذنوا بالتبشير بكلمة الرب بحرية وان يرفضوا معاهداتهم الرديئة وان يقاصوا الذين يحثون على الخدمة الاجنبية واما القداس والاصنام والطقوس والخرافات فلا يُغصَب احد على تركها فان كلمة الله وحدها هي التي يجب ان تبدد بنفَسها القوي كل هذا الهبا الباطل فكونوا ثابتين ايها السادات الاشراف ورغمًا عن بعض احصنة سوداء التي هي سوداء في زوريخ كما هي سوداء في لوسرن التي شرها لا يقدر ابدًا على قلب سرج الاصلاح سوف نسهل هذا السبيل الصعب ونصل الى وحدة سويسرا والى وحدة الايمان . وهكذا زوينكل اذ طلب النجدة على الفضائح السياسية لم يطلب الاَّ الحرية للانجيل الاَّ انهُ رغب حركة حالية لكي تحصل تلك الحرية له وهكذا كان راي اكولمباديوس فقال انهُ ليس وقت للتاخر وليس هو وقت للطمع والجبانة فانهُ ما دام السم لا ينزع بالكلية من هذه الافعى التي في احضاننا نكون عرضة لاعظم المخاطر

فتأثر ديوان زوريخ بكلام المصلح ووعد الولايات بعضد الحرية الدينية بينهم وحالما بلغهم ان انطونيوس اكر من انترولدن كان قادمًا الى بادن بجيش امروا خمس مئة جندي ان يقوموا طالبين بريمغرتن بخمسة مدافع وكان ذلك في ٥ حزيران وفي تلك الليلة نفسها ارتفع لواء زوريخ فوق دير موري

فابتدأت الحرب الدينية وقرن اهالي والدستمات رنَّ صوتهُ الى بعد في الجبال وكان الناس يتسلحون في كل جهة والرسل يُرسَلون بسرعة لاجل طلب نجدة ڤاليه واوستريا وبعد ذلك بثلاثة ايام (يوم الثلثا في ٨ حزيران) قام ست مئة زوريخي تحت امر يعقوب ورد مولار طالبين رابرشويل ومقاطعة غستر وفي الغد انطلق اربعة الاف رجل الى كابل تحت امر القائد البطل جرجس برغوبر الذي انتخب له واعظًا كونرد شمدت راعي كوسناخت فقال الوالي روست لزوينكل اننا لا نريد انك تذهب الى الحرب لان البابا والدوك الرئيس فردينند والمقاطعات الرومانية والاساقفة والروساء والخوارنة يبغضونك بغضة

حميتة فابقَ مع الديوان فاننا نحتاجك . اما زوينكل الذي لم يكن يريد ان يسلم عملاً مهمًا كهذا لاحد فاجاب كلاً فانهُ عند ما يعرض اخوتي انفسهم للخطر لا ابقى وحدي في البيت مع اصدقائي وعدا ذلك ان الجيش يحتاج الى عين ساهرة تنظر دائمًا الى ما حولها . ثم تناول بندقيتهُ اللامعة التي كان قد حملها كما يقال في ماريغنان ووضعها على كتفهِ وركب حصانهُ وخرج مع العسكر وكانت الاسوار والابراج والشوس مغطاة بجمهور من الشيوخ والاولاد والنساء وبينهنَّ حنة زوجة زوينكل

ان زوريخ كانت قد طلبت نجدة برن واما برن التي لم يمل اهاليها الى حرب دينية وكانت عدا ذلك لا ترغب في ان ترى صولة زوريخ تتزايد فاجابت بما ان زوريخ قد ابتدأت بالحرب بدوننا فلتكملها بدوننا فانفصلت الولايات الانجيلية في اول دقيقة النضال . واما المقاطعات الرومانية فلم تفعل كذلك فان زوغ هي التي اصدرت الطلب اولاً ورجال اوري وشويتس وانتر والدن ابتدأوا حالاً في القيام وفي ٨ حزيران كانت الراية الكبيرة منشورة امام سراية لوسرن وفي اليوم التالي قام العسكر عند صوت القرون القديمة التي كانت لوسرن تدَّعي بانها قبلتها من الامبراطور كارلوس الكبير

وفي ١٠ حزيران اهالي زوريخ الذين كانوا نازلين في كابل ارسلوا ساعيًا عند الفجر الى زوغ وامروهُ حسب العادة ان يخبر الخمس المقاطعات بنقض العهد وفي الحال امتلأت زوغ عويلاً ومناداة وتلك المقاطعة التي هي اصغر جميع مقاطعات سويسرا اذ لم تكن قد قبلت بعد جميع النجدة اللازمة لم تكن في حالة تقدر فيها على المدافعة عن نفسها فكان الناس يركضون الى هنا وهناك وترسل رسلاً وتستعد بسرعة للقتال فاخذ الابطال يتقلدون اسلحتهم والنساء يذرفنَ الدموع والاولاد يبكون

واذ كان القسم الاول من جيش زوريخ الذي بلغ الفي رجل تحت امر وليم ثومين حالاً بالقرب من التخم تحت كابل بتهيا للقيام راوا في جهة بار فارسًا يستكد

حصانهُ ويسرع بقدر ما سمح لهُ الجبل الذي كان صاعدًا عليهِ بالسرعة وهو الفارس ايبلي من غلاريس فلما وصل قال ان الخمس المقاطعات مستعدة ولكنني قد اقنعتهم بان يتاخروا اذا كنتم انتم تفعلون كذلك ولاجل هذا السبب اترجى ساداتي واهالي زوريخ لاجل حب الله وسلامة المعاهدة ان يتاخروا عن هجومهم في هذا الوقت وعندما نطق بهذه الكلمات ذرف الملفيثي الشجاع الدموع ثم استتلى الفارس قائلاً بعد ساعات قليلة سوف ارجع ايضًا ولي امل بنعمة الله ان احصل على صلح شريف وان امنع امتلاء منازلنا ارامل وايتامًا

ان ايبلي كان مشهورًا بكونهِ رجلاً شريفًا يميل الى الانجيل ويضاد الخدمة الاجنبية ولهذا اثرت كلماتهُ في فواد زوريخ فعزموا على التاخر ولكن زوينكل وحدهُ لم يتحرك وهو مضطرب راى في تعرض صديقهِ حيل العدو فان اوستريا اذ كانت مشتغلة بطرد الاتراك وغير قادرة على نجدة الخمس المقاطعات انذرتهم بالصلح وهذا في راي زوينكل هو علة الرسالة التي اتى بها فارس غلاريس وهكذا حالما تحول ايبلي لكي يرجع الى زوغ تقدم اليهِ زوينكل وقال بحرارة ايها الفارس الهاذر انك سوف تعطي لله حسابًا عن كل هذا . ان اخصامنا قد وقعوا في الشرك ومن ثمَّ كلموك بكلام حلو فانهم بعد قليل سوف يهجمون علينا على غفلة منا ولا يكون حينئذٍ من ينقذنا . فيا لها من كلمات نبوية قد تجاوز تمامها كل سبق نظر. فاجاب الفارس ايها الهاذر العزيز اني لواثق بالله ان كل شيءٍ ينتهي حسنًا فليعمل كل منا احسن ما يقدر عليهِ ثم انصرف

ثم ان الجيش عوضًا عن ان يتقدم نحو زوغ اخذ ينصب خيامًا على اطاريف الحرش وشاطي النهر بمسافة قريبة من خفرة الخمس المقاطعات واذ كان زوينكل جالسًا في خيمتهِ بالسكوت والكآبة والهاجس العميق كان يتوقع اخبارًا محزنة من ساعة الى ساعة

ولم يلتزم بالانتظار زمانًا طويلاً فان وكلاء ديوان زوريخ اتوا لكي يخففوا مخاوفهُ فان برن اذ كانت لها وظيفة قد مارستها دائمًا وهي الوكالة على الترتيب

الذي بين المعاهدة جزمت انهُ اذا كانت زوريخ او المقاطعات لا تصطلح فانها تجد وسائط لالزامها بذلك وهذه المقاطعة نادت بجمع في ارو وارسلت خمسة الاف رجل الى الميدان تحت امر سباستيان ديسباخ فوقع زوينكل في الحيرة

ورسالة ابيلي المسنودة برسالة برن ارجعها الديوان الى الجيش لانهُ حسب مبادي تلك الايام حيثما تمايلت الراية فهناك تكون زوريخ فصرخ المصلح الذي لم ينفك عزمهُ ثابتًا لا نضعفنَّ فان قضاءنا يتوقف على شجاعتنا فانهم اليوم يترجون ويطلبون ولكن بعد شهر اذ نكون قد القينا اسلحتنا يسحقوننا فلنقف ثابتين بالله وقبل كل شيء فلنكن عادلين فان الصلح ياتي بعد ذلك واذ صار زوينكل من اصحاب الحكومة ابتدا يخسر السطوة التي كان قد حصلها نظير خادم الله فان كثيرين لم يستطيعوا ان يفهموا عملهُ وكانوا يسالون هل ما قد سمعوهُ هو حقًا كلام خادم الرب قال احد اصدقائهِ الذي عرفهُ احسن من الجميع وهو اوسوالد ميكونيوس آه ان زوينكل كان حقًا رجلاً شجاعًا في وسط الخطر الأ انهُ كان دائمًا يكره الدم حتى ودم اشد اعدائهِ فان حرية بلادهِ وفضائل اجدادنا وفوق الجميع مجد المسيح كانت الغاية الوحيدة لجميع اعمالهِ ثم قال اني اتكلم بالحق كاني في حضرة الله

وبينما ارسلت زوريخ وكلاء الى ارو اتى الجيشين نجدة جديدة فان رجال ثورغوفيا وسنت غال قرنوا الويتهم بلواء زوريخ واهالي ڤاليه ورجال سنت غوثرد اتحدوا مع المقاطعات الرومانية والجيوش المتقدمة كان احدها برأى من الاخر في ثون وليمات وغولد سبرونن على مشارف البيس المبهجة

وربما لم تتلالا قط المحبة السويسية باكثر بهاء برونقها القديم فكان الجنود يدعون بعضهم بعضًا بمحبة ويتصافحون ملقبين بعضهم بعضًا اخوةً ومتعاهدين فقالوا اننا لا نحارب. ان عاصفًا مارٌّ فوق رؤوسنا ولكن نصلي الى الله وهو يحفظنا من كل اذية. وقلة الزاد ازعج جيش الخمس المقاطعات حال كون الرخا استولى في معسكر زوريخ والبعض من اهالي والدستات الشبان الذين انهكهم الجوع

مروا ذات يوم على اطراف المعسكر فاستاسرهم اهالي زوريخ واخذوهم الى المعسكر ثم ارجعوهم موقرين زادًا وذلك ببشاشة تفوق البشاشة التي ابداها هنري الرابع في حصار باريس وفي وقت اخر بعض الجنود من الخمس المقاطعات وضعوا سطلاً مملوًّا حليبًا على الخط الفاصل بين الجيشين صرخوا الى اهالي زوريخ ان ليس عندهم خبز فنزل اهالي زوريخ في الحال وقطعوا خبزهم في حليب الاعداء وعند ذلك جنود الحزبين ابتدأوا ياكلون بالهزل واللعب من صحن واحد فالبعض من هذه الجهة والبعض من الجهة الاخرى واهالي زوريخ امتلأُوا فرحًا عند ما راوا اهالي والدستات يواكلون الارانقة مع وجود النهي عن ذلك من قبل خوارنتهم واذ كان واحد من الجيش ياخذ لقمة من المكان الذي الى جانب اخصامهِ كان الاخرون يضربونهُ بهزل بملاعقهم قائلين لا تقطع الحدود وهكذا كان هولاء الهلفيثيون الصالحون يحاربون بعضهم بعضًا وهذا هو الذي حمل الوالي ستورم من ستراسبرج احد المصلحين على القول انكم ايها المتعاهدون لشعب مستغرب فانكم عند وقوع الانشقاق بينكم لا تزالون تعيشون بالاتفاق بعضكم مع بعض وصداقتكم القديمة لا تنعس ابدًا

والترتيب الاكمل كان مستوليًا في معسكر زوريخ ففي كل يوم كان زوينكلي او القائد شمدت اوزنك رئيس كابل او خادم اخر يعظ على الجنود فلم يكن يسمع حلف ولا نزاع وجميع النساء الرديات طردنَ من المعسكر وكانت الصلوات تتقدم قبل كل اكلة وبعدها وكل واحد اطاع قوادهُ فلم يكن موجودًا بيذق ولا ورق ولا قمار مما من شانهِ ان يهيج الى الخصام ولكن المزامير او النشائد او الاغاني الوطنية او الاعمال الرياضية او اللعب بالايدي او الطابة كانت تنزهات زوريخ العسكرية والروح الذي كان في المصلح انتقل الى الجيش

والمحفل في ارو انتقل الى ستينهوسن في جوار المعسكرين فحكم بان كل عسكر يجب ان يسمع تشكيات الحزب المضاد له وقبول اهالي زوريخ لوكلاء الخمس المقاطعات كان هادئًا نوعًا ولم يكن كذلك في المعسكر الآخر

وفي ١٥ حزيران خمسون زوريخيًا محاطين بجمهور من الفلاحين ذهبوا راكبين على الخيل الى اهالي والدستات فصوت البوق ودق الدف واطلاق المدافع المتكرر بشرت بوصولهم ونحو اثني عشر الف رجل من المقاطعات الصغرى بترتيب حسن ورؤوس مرفوعة ومناظر موحشة كانوا تحت السلاح فتكلم اولاً اشر الزوريخي واشخاص كثيرون من المقاطعات المتفرقة عددوا شكاويهم بعدهُ وكان اهالي والدستات يفتكرون انهُ بالغ فيها فسالوا قائلين متى منعنا عنكم قط الحق المطابق للعهود فاجاب فونك صديق زوينكل نعم نعم اننا نعلم كيف تمارسونهُ فان ذلك الراعي (قيصر) استغاث بهِ فاحالتموهُ على السيَّاف فقال واحد من اصدقائهِ انك يا فونك كنت فعلت احسن لو امسكت لسانك ولكن الكلمات كانت قد خرجت فثار بغتةً قلق فظيع وكان كل جيش والدستات في اضطراب والاكثر فطنة طلبوا من اهالي زوريخ ان ينصرفوا حالاً وحموهم عند انصرافهم

واخيرًا انتهت الشروط في ٢٦ حزيران سنة ١٥٢٩ وزوينكل لم ينل كل مطلوبهِ وعوضًا عن الوعظ بكلمة الله بحرية لم تثبت الشروط الاَّ حرية الضمير وحكمت بان الولايات المشتركة تحكم على الاصلاح او لهُ حسب اكثرية الاصوات ومن دون الحكم بابطال الاجور الاجنبية طلب من المقاطعات الرومانية ان ترفض الاتحاد الذي عقدتهُ مع اوستريا وحُكِم على الخمس المقاطعات بدفع مصاريف الحرب وان مورنر يرجع عن كلامهِ المفتري وان يُدفَع مبلغ الى عائلة قيصر

ان نجاحًا لاجدال فيهِ كلل حينئذٍ قومة زوريخ الحربية والخمس المقاطعات شعرت بذلك ورؤساؤُهم اذ كانوا مكتئبين حنقين يعضون بسكوت الحَكَمة التي وُضعت في افواههم لم يقدروا ان يجزموا بتسليم صك اتحادهم مع اوستريا وزوريخ ارجعت في الحال جيوشها وشدد الوسطاء طلباتهم وصرخ اهالي برن اذا كنتم لا تسلمونا هذا الصك فاننا نحن نذهب بانفسنا بموكب ونخطفهُ من بين

قيودكم واخيرًا أُتي بهِ الى كابل في ٢٦ حزيران بعد نصف الليل بساعتين فاصطف الجيش باجمعهِ قبل الظهر بساعة وابتداوا يقرأون العهد فتعجب اهل زوريخ لما نظروا بتحير عرضها وطولها المفرط والتسعة ختومة التي وضعت عليها التي كان احدها بالذهب ولكن حالما قُرِئَ بعض العبارات خطف ايبلي الدرج وصرخ يكفي يكفي فقال الزوريخيون اقراها اقراها فاننا نريد ان نعرف خيانتهم ولكن والي غلاريس اجاب بجسارة احب اليّ ان اقطّع ارابًا من ان اسمع بذلك ثم اعمل خنجرهُ بالدرج وخزقهُ قطعًا امام زوينكلي والجنود والقى القطع الى الكاتب والكاتب القاها الى اللهيب . قال بولنجر ببساطة سامية ان القرطاس لم يكن قرطاسًا سويسيًا

فنكست الرايات حالاً وانصرف اهالي انترولدن بغضب واهالي شويتس اقسموا بانهم يحفظون الى الابد ايمانهم القديم واما جيوش زوريخ فرجعوا بالظفر الى اوطانهم ولكن الافكار المضادة بعضها بعضًا كانت تهيج عقل زوينكلي فقال وهو قاهر حاسياتهِ اني اومل اننا نرجع صلحًا كريمًا الى مساكننا فاننا لم نخرج لاجل سفك الدماء فان الله قد بيَّن مرة اخرى لعظماء الارض انهم لا يقدرون ان يعملوا شيئًا ضدنا . وعند ما اطلق العنان لميلهِ الطبيعي كان يستولي على عقلهِ افكار تختلف جدًا عن هذه وراهُ البعض يتمشى وحدهُ بكآبة عظيمة يتوقع اظلم مستقبل فباطلاً كان الناس يحدقون بهِ باصوات الطرب فانهُ قال ان هذا الصلح الذي تحسبونهُ غلبة سوف تندمون سريعًا عليهِ قارعين صدوركم وفي ذلك الوقت اذ كان يتنفس الصعداء نظم وهو نازل على جوانب البيس نشيدة مشهورة ترتل مرارًا مع صوت آلات الطرب في صحاري سويسرا بين اهالي المدن المتعاهدة وكذلك في قصور الملوك ونشائد لوثيروس وزوينكلي كانت في اصلاح جرمانيا وسويسرا كما كانت الزبور في اصلاح فرانسا

ارشد يارب مركبتك

واهدِها حسب ارادتك

فمن دون مساعدتك قوتنا باطلة
وكل حكمتنا بدون فائدة
انظر الى قد يسيك الذين أُذلوا
وخرّوا منحنين تحت العدو
ايها الراعي المحبوب الذي خلص
انفسنا من الموت والخطية
فارفع صوتك وايقظ غنمك
المضطجعة بتناعس داخل حظيرتك
واضبط بيمينك
غضب جنود الشيطان الشرسين
ارسل سلامك وازل النزاع
ودع المرارة تتلاشى
واحيِ روح الماضي
في قلب كل سويسي
وحينئذٍ ترتل كنيستك الى الابد
مدائح ملكها السموي

وأُصدر امرٌ باسم المعاهدات امر باحياء الصداقة القديمة والاتفاق الاخوي في كل مكان

وعهد الصلح هذا كان موافقًا للاصلاح ولا شك انهُ صادف مضادة قوية في بعض الاماكن فان راهبات وادي القديسة كاثرينا في ثورغوفيا اللواتي تركنَ خوارنتهنَّ وهيجنَ بعض الاشراف الذين كانوا في عبر الرين بتلقيبهم اياهنَّ في مكاتيبهم اليهنَّ محاميات بيت الله رتلنَ القدّاس بانفسهنَّ واقمنَ واحدة منهنَّ واعظة للدير واذ قابل البعض منهنَّ بعض الوكلاء من المقاطعات البروتستانتية قطعت الرئيسة وثلاث راهبات النهر في الليل خفية حاملات معهنَّ اوراق الدير

وزينة الكنيسة ولكن مقاومة منفردة كهذه كانت بلا فائدة وسنة ١٥٢٩ قدر زوينكل على ان يعقد في ثورغوفيا مجمعاً نظم الكنيسة هناك وحكم بان املاك الاديرة يجب تكريسها لتعليم الشبان الانقياء العلوم المقدسة وهكذا الاتفاق والصلح رجعا اخيرًا واستوليا في المعاهدة اقله بالظاهر

الفصل الثالث

زوينكل ولوثيروس والسياسة . فيلبس امير هسى والمدن الحرّة .
المقاصد السياسيةُ وضرر الاصلاح بها

كان الاصلاح مثل سفينة في بحر هائج وجميع قلوعها منشورة وكانت مصائب هائلة تجتمع فوقها والحركة التي كسبها الاصلاح لم تصدر من اكولمباذيوس بل انما عينا زوينكل الواسعتان الحادتان وهيئتهُ الموعرة وخطوتهُ الجسورة كانت جميعها تدل على انهُ رجل ذو عزم ونشاط واذ قد تربى في ميادين ابطال القِدَم طرح نفسهُ لاجل خلاص الاصلاح في خطوات ذيوسثانيس وكاتو عوضًا عن طرح ذاتهِ في خطوات القديس يوحنا والقديس بولس فكانت نظراتهُ المتهياة الخارقة تلتفت الى اليمين والى اليسار الى اخدار الملوك ودواوين الشعب حال كونها كان يجب ان تتجه نحو الله فقط وقد راينا في ما تقدم ان زوينكل باكرًا سنة ١٥٢٧ اذ لاحظ ان جميع القوات ناهضة ضد الاصلاح عمل تدبيرًا لربط جميع احباء كلمة الله في معاهدة واحدة مقدسة قوية وكان ذلك اسهل بما ان اصلاح زوينكل كان قد ربح ستراسبرج واوجسبرج واولم وربوتلنجن ولنداو ومامنجن واماكن اخرى من جرمانيا العليا واما قسطنسيا فدخلت المعاهدة في كانون الاول سنة ١٥٢٧ وبرن في حزيران سنة ١٥٢٨ وسنت غال في تشرين الثاني من تلك السنة وبياني في كانون الثاني سنة ١٥٢٩ ومولهوسن في شباط

وباسل في اذار وشافهوسن في ايلول وستراسبرج في كانون الاول وهذه الهيئة السياسية لطبيعة زوينكل هي في اعين بعض الاشخاص اعظم مجدهِ ونحن لا نشك بانها اعظم عيوبهِ فان هذا المصلح اذ ترك طرق الرسل اطلق العنان لنفسهِ لكي يُضَل بواسطة مثال البابا وية المعكوس فالكنيسة الاولى لم تضاد قط مضطهديها الاَّ بالافكار الماخوذة من انجيل السلام فالايمان كان الواسطة الوحيدة التي بها استظهرت على عظماء الارض وشعر زوينكل واضحًا انهُ بدخولهِ في طرق الحكام العالميين قد ترك طرق خادم المسيح ولهذا طلب ان يبرر نفسهُ بقولهِ لا شك انهُ ليس بالقوة البشرية ولكن بقوة الله وحدهُ يجب عضد كلمة الرب ولكن الله مرارًا كثيرة يستعمل الناس آلاتٍ لنجدة الناس فلنتفق اذًا ومن منابع الرين الى ستراسبرج فلنكن شعبًا واحدًا ومعاهدة واحدة فقط (اعمال زوينكل ٢: ٢٨)

ان زوينكل مارس عملين في وقت واحد فكان مصلحًا وحاكمًا غير ان هاتين وظيفتان لا يجوز اقترانهما اكثر من اقتران وظيفة قسيس ووظيفة جندي ولا نلوم بالتمام الجنود والحكام فانهم بعقدهم العهود وتجريدهم السيف حتى لاجل الديانة يتصرفون حسب افكارهم وان لم تكن كافكارنا ولكن يجب ان نلوم لا محالة الخادم المسيحي الذي يصير من ارباب الحكومة او قائدًا للجيوش

وفي تشرين الاول سنة ١٥٢٩ كما تقدم القول ذهب زوينكل الى مربرج اذ قد دعاهُ الى هناك فيلبس والي هسي وكان الامير والمصلح السويسي لهما روح واحد جسور وهما غير قادرين على الاتفاق مع لوثيروس فاتفقا سريعًا معًا

ان المصلحين لم يكونا اقل اتفاقًا في طريقتهما السياسية مما كانا في طريقتهما الدينية فان لوثيروس الذي تربى في الدير بالطاعة الرهبانية امتلا منذ صغر سنهِ من كتابات الآباء والكنيسة خلافًا لزوينكل الذي تربي في الحرية السويسية وامتلا في سنيهِ الاولى التي تحكم على طريق السنين الباقية باسرها من تاريخ الجمهوريات القديمة ومن ثم اذ مال لوثيروس الى الطاعة العمياء كان زوينكل يحامي عن وجوب مقاومة الظالمين

وهذان الرجلان كانا رسمين حقيقيين لامتيهما ففي شمال جرمانيا كان الامراء والاشراف الجزء الجوهري من الامة واما الشعب فاذ كان عادمًا كل حرية مدنية لم يكن عليهِ الآن يطيع وهكذا في عصر الاصلاح اكتفوا باتباع اصوات علمائهم وروسائهم واما في سويسرا وفي شمالي جرمانيا وعلى الرين فبعكس ذلك كان الاهالي بعد مناضلات طويلة شديدة قد حصلوا على الحرية المدنية ومن ثم نجد في كل مكان تقريبًا ان الشعب ساعدوا مساعدة قوية في اصلاح الكنيسة وكان في ذلك خير ولكن الشر كان قريبًا على الابواب فان المصلحين الذين كانوا هم انفسهم من الشعب ولم يكونوا يتجاسرون على التعرض للامراء كانوا في خطر من ان يهوّروا الشعب بعجلتهم وكان اسهل للاصلاح الاتحاد مع المشيخة من الاتحاد مع الملوك وهذه السهولة اوجبت تقريبًا خرابهُ وتعلَّم الانجيل هكذا ان معاهدتهُ هي في السماء لا على الارض

غير ان اميرًا واحدًا رغب الحزب المصلح من الاقاليم الحرة ان يتحد معهُ وهو الامير فيلبس والي هسي وهو الذي ساعد كثيرًا مقاصد زوينكل الحربية وكان زوينكل يرغب في ان يكافيهُ وان يدخل صديقهُ الجديد في العهد الانجيلي ولكن برن التي كانت سهرانة على منع كل ما يغيظ الامبراطور واصحاب عهدها القدماء رفضت هذا الراي وبذلك احدثت تقمقمًا قويًّا في الولاية المسيحية فقالوا عجبًا هل يرفض البرنيون معاهدة يكون منها شرف لنا وتكون مقبولة لدي يسوع المسيح وهائلة على اعدائنا قال زوينكل الكبير النفس ان الدب يغار من الاسد (زوريخ) ولكن سوف تكون نهاية لجميع هذه الحيل وتبقى الغلبة مع الجسورين . والظاهر من مكتوب سري ان اهالي برن استمالوا اخيرًا الى زوينكل طالبين فقط ان تلك المعاهدة مع امير من امراء المملكة لا تُشهَر

ان اكولمباذبوس لم يكن قد سلَّم بهذا الراي فكانت وداعتهُ تنازع باحترام جسارة صديقهِ الفاسي وكان قانعًا بان الايمان انما ينتصر باتحاد جميع المؤمنين اتحادًا قلبيًّا وحدثت حادثة لاجل تقوية عزائمهِ فان وكلاء الجمهورية المسيحية

اجتمعوا في باسل سنة ١٥٣٠ واجتهد المعتمدون الذين من قبل ستراسبرج في ان يوفقوا بين لوثيروس وزوينكل فكتب اكولمباذيوس الى زوينكل في هذا المعنى طالبًا منهُ ان يسرع بالحضور الى باسل وان لا يعاند فقال ان القول ان جسد ودم المسيح هما حقًّا في عشية الرب ربما يبان لكثيرين قولاً صعبًا جدًّا الاَّ انهُ يتلطف عندما يضاف اليهِ روحيا لا جسدانيًّا

فكان زوينكل غير متزعزع وقال انكم انما تستعملون هذه العبارات لكي تملقوا لوثيروس لا لكي تحاموا عن الحق فان الاكل هو الايمان . غير انهُ كان موجودًا اناس في الاجتماع كانوا عازمين على اعمال قاطعة فكانت المحبة الاخوية على جناح الظفر وكان السلام مزمعًا ان ينال بواسطة الاتحاد ومنتخب سكسونيا نفسهُ ارتاى باتحاد جميع المسيحيين الانجيليين معًا فدعا الامير المدن السويسية الى قبول ذلك وشاع الخبر بان لوثيروس وزوينكل كانا عتيدين ان يقرَّا اقرارًا واحدًا بالايمان واذ تذكر زوينكل اقرارات المصلح السكسوني الباكرة قال ذات يوم امام شهود كثيرين ان لوثيروس لم يكن يتمسك بذلك الغلط من جهة الافخارستيا لو لم يطغهِ ملانكثون واتحاد جميع الاصلاح بان انهُ قريب التمام ولو تمَّ لغلب بواسطة سلاحهِ الشرعي ولكن لوثيروس برهن سريعًا ان زوينكل غلطان في انتظاراتهِ فطلب صكًّا مكتوبًا ينقاد بهِ زوينكل واكولمباذيوس الى ارائهِ فكان ذلك سببًا لانحلال المراسلات واذ خاب الاتحاد لم يبقَ شيءٌ الاَّ الحرب فاقتضى ان اكولمباذيوس يصمت وزوينكل يعمل

وبالحقيقة ان زوينكل من تلك الساعة تقدم اكثر فاكثر في ذلك الطريق المهلك الذي ساقتهُ اليهِ طبيعتهُ ومحبتهُ للوطن واطوارهُ الباكرة واذ ازعجتهُ تلك الرشقات الكثيرة القوية وقاومتهُ اعداؤُهُ واخوتهُ تمايل كالسكران واصابهُ دوار في راسهِ ومن ذلك الوقت توارى المصلح بالتمام تقريبًا ونرى في مكانهِ الرجل السياسي العظيم الذي راى كل معاهدة تهيئ قيودها لكل امة فوقف بنشاط وقاوم ذلك بعزم فان الامبراطور كان قد عقد عهد اتحاد قوي مع البابا ولو

لم نُقاوِم طرقهُ المميتة لكان حسب راي زوينكل هلك الاصلاح والحرية المدنية والدينية حتى المعاهدة نفسها فقال ان الامبراطور يهيج صديقًا ضد صديق وعدوًّا ضد عدو ثم يجتهد في ان يستخرج من هذا الاضطراب مجد البابوية وفوق الجميع سلطانهُ فانهُ يحرك صاحب موسو ضد الغريسونات وجرجس دوك سكسونيا ضد الدوك يوحنا واسقف قسطنسيا ضد المدنية ودوك سافوا ضد برن والخمس المقاطعات ضد زوريخ واساقفة الرين ضد الامير ثم انهُ عندما يصير الاضطراب عامًّا يهجم على جرمانيا ويعرض نفسهُ نظير وسيط ويصطاد الامراء والمدن بواسطة الكلام اللطيف حتى يجعلهم جميعًا تحت قدميهِ واسفاه ما اشد هذا الاختلاف وهذه المصائب تحت صورة اعادة المملكة وترجيع الديانة وان زوينكل تجاوز ذلك ايضًا فان مصلح بلدة صغيرة في سويسرا اذ بلغ الى درجة عجيبة من معرفة امور الاحكام طلب معاهدة اوروبية ضد مثل هذه المقاصد المأُوفة فابن فلاح التوكنبرج رفع راسهُ ضد وارث اكاليل كثيرة بهذا المقدار فكتب الى واحد من ارباب ديوان قسطنسيا يقول احسب ذلك الانسان خائنًا او جبانًا الذي يكتفي بالتمطي والتثاوب عندما يجب عليهِ ان يشتغل في جمع الرجال والاسلحة على كل جانب لكي يقنع الامبراطور بانهُ باطلاً يتعب في ارجاع الايمان الروماني واستعباد المدن الحرة واخضاع اهالي هلفيتيا وقد ارانا منذ ستة اشهر فقط كيف يتصرف فانهُ اليوم يتسلم مدينة وغدًا اخرى وهكذا بالتدريج حتى يخضع الجميع وحينئذٍ توخذ اسلحتها منها وخزائنها وادوات حربها وكل قوتها فانهض لنداو وكل جيرتك فان لم تستيقظ تهلك الحرية الجمهورية تحت اسم الديانة فلا يجب ان نركن قط الى صداقة الملوك فان ذيموستانيس يعلمنا انهُ لا يوجد شيء مكروهًا لديهم مثل حرية المدن فان الامبراطور باليد الواحدة يقدم لنا خبزًا وفي اليد الاخرى يخفي حجرًا. وبعد ذلك باشهر قليلة كتب زوينكل الى اصحابهِ في قسطنسيا يقول تجراوا ولا تخافوا حيل كرلوس فان الموسى تجرح الذي يشحذها

فاتركوا اذًا التباطؤ فهل يصبرون حتى يدَّعي كرلوس الخامس بقلعة هبسبرج القديمة وقيل في زوريخ ان البابابوية والملكة ممتزجتان معًا بهذا المقدار حتى انهُ لا يمكن الواحدة ان توجد او تهلك من دون الاخرى فكل من يرفض البابابوية يجب ان يرفض المملكة وكل من يرفض الامبراطور يجب ان يرفض البابا

والظاهر ان افكار زوينكل تجاوزت حدود مقاومة بسيطة فانهُ عند ما بطل الانجيل ان يكون درسهُ الاعظم لم يبقَ شيء يضبطهُ فقال ان شخصًا واحدًا لا يجب ان يحاول رفع التاج عن راس ملك فان ذلك يكون تمردًا وملكوت الله يامر بالصلح والبر والفرح ولكن اذا كان الشعب بصوت واحد او اذا كانت الاكثرية ترفضهُ يعد ذلك صوت الله . حسب زوينكل كرلوس الخامس ظالمًا وان الله يستعملهُ هو آلة بيدهِ لطرح الظالم من عرشهِ

ان العالم لم يرَ قط منذ ايام ذيوستانيس والكاتوئين مدافعة اقوى ضد سلطة الجائرين عليهِ وزوينكل باعتبار السياسة هو من اعظم رجال الازمان الحديثة فيجب علينا ان نؤدي لهُ هذه الكرامة التي ربما تعد في خادم الله اعظم عار فكان كل شيء معدًّا في عقلهِ لاحداث حركة تغير تاريخ اوروبا وعلم ماذا اراد ان يضع مكان السلطة التي قصد ابطالها وكان قد القى عينيهِ على الامير الذي ينبغي ان يلبس تاج الامبراطور عوضًا عن كرلوس وهو صديقهُ امير هسى وكتب في ٢ تشرين الثاني سنة ١٥٢٩ يقول ايها المولى المنعم اذا كتبت اليك كما يكتب الابن لابيهِ فان ذلك انما هو لاني ارتجي ان الله قد اختارك لاعمال عظيمة فاني اتجاسر على الافتكار بذلك ولكن لا اتجاسر ان اتكلم بهِ ومع ذلك لا بد لنا من ان نعلق جرسًا على عنق الهر اخيرًا . فكل ما اقدر على عملهِ بوسائطي الضعيفة لاظهار الحق وانقاذ الكنيسة العامة وتعظيم سلطانك وسلطان الذين يحبون الله فاني بقوة الله اعملهُ . فهكذا أُطغي هذا الرجل العظيم وهي ارادة الله ان تظهر عيوب الذين يتلألأون باكثر لمعان في اعين العالم وان واحدًا وحيدًا على الارض

يستطيع ان يقول من منكم يوبخني على خطية . فاننا الآن ننظر الى عيوب الاصلاح وهي ناتجة من الجمع بين الديانة والسياسة وغض النظر عن ذلك لا يجوز فان تذكر غلطات اجدادنا ربما كان انفع المواريث التي اورثونا اياها

والبائن ان زوينكل والامير كانا قد كتبا في مربرج الصورة الاولى لمعاهدة عمومية ضد كرلوس الخامس فتكفل الامير باستجلاب الامراء وزوينكل باستجلاب المدن الحرة التي في جرمانيا وسويسرا الجنوبيتين وتخطى ذلك ايضًا وعمل طريقة لكي يضم الى تلك المعاهدة جمهوريات ايطاليا وعلى الاقل جمهورية فينيسيا القوية لكي تشغل الامبراطور في عبر جبال الالب وتمنعهُ عن جلب جميع قواتهِ الى جرمانيا وزوينكل الذي ضاد بكل نشاط جميع المعاهدات الاجنبية ونادى مرارًا كثيرة جدًّا بان رباط سويسرا الوحيد يكون ساعد الله القدير ابتدا حينئذٍ يفتش على ما كان قد رذلهُ وبذلك اعد الطريق للقضاء الهائل الذي كان مزمعًا عن قريب ان ينزل بعائلتهِ وبلادهِ وكنيستهِ

وحالما رجع من مربرج قبل ان يخاطب الديوان خطابًا رسميًا فوضت اليهِ المشيخة ان يختار سفيرًا لفينيسيا فان الرجال العظام بعد نجاحهم الاول يتصورون بسهولة انهم يقدرون على عمل كل شيء ولم يكن من اصحاب الحكومة الذين فوض اليهِ هذا الامر بل كان واحدًا من اصحاب زوينكل الذي كان قد رافقهُ الى جرمانيا الى بلاط الملك المستقبل للمملكة الجديدة اي معلم اللغة اليونانية رودلف كولنس وهو رجل جسور ماهر عارف باللغة الايطالية وهكذا مد الاصلاح يدهُ الى الدوك ومدينة مار مرقس ولم يكن الكتاب المقدس كافيًا لهُ بل اختار لهُ الكتاب الذهبي ايضًا ولم يصب عمل الله ذل اعظم من هذا قط غير ان الراي الذي كان البروتستانت يرتاونهُ نظرًا الى فينيسيا عذر زوينكل بعض الاعتذار فانهُ كان في تلك المدينة اكثر استقلالاً من البابا واكثر حرية في الفكر ما كان في باقي ايطاليا قاطبةً ولوثيروس نفسهُ بالقرب من ذلك الوقت كتب الى جبرائيل زويلين راعي تورغو يقول باي فرح اقرا ما قد كتبتهُ

اليَّ عن اهالي فينيسيا فليتمجد الله ويسبَّح لانهم قد قبلوا كلمتهُ

وفي ٢٦ كانون الاول ادخل كولنس لاجل مواجهة الدوك والمشيخة الذين نظروا اليهِ متحيرين من معلم المدرسة هذا وهذا السفير الغريب الذي كان من دون اعوان ولا افتخار حتى انهم لم يقدروا ان يفهموا اوراقهُ التي كانت مكتوبة على اسلوب غريب جدًّا حتى التزم كولنس ان يفسر معناها فقال اني اتيت اليكم باسم ديوان زوريخ ومدن الجمهورية المسيحية التي هي مدن مستقلة نظير فينيسيا التي يجب ان تقرنكم بها المصالح المشتركة فان سلطة الامبراطور هي قوية على الجمهورية وهو قاصد ان يحصل لنفسهِ سلطانًا عامًّا في اوروبا فاذا نجح فان جميع الولايات المستقلة تهلك ومن ثم يجب علينا ان نمنعهُ عن ذلك . فاجاب الدوك ان الجمهورية قد عقدت الآن عهدًا مع الامبراطور. وبيَّن عدم الاركان الذي سببتهُ رسالة سرية كهذه في المشيخة الفينيسية الَّا ان الدوك بعد ذلك في مفاوضة سرية اذ اراد ان يبقي مهربًا من الجانبين قال ان فينيسيا قبلت بالشكر الرسالة من زوريخ وان عسكرًا فينيسيًّا متسلحًا واجرتهُ من الجمهورية نفسها يكون دائمًا مستعدًّا لان يساعد سويسرا الانجيلية والكاتب لابس رداءهُ الارجواني شيع كولنس الى الباب وعلى ابواب القصر الدوكي نفسها ثبتت الوعد بالنجدة . فحالما عبر الاصلاح اروقة مار مرقس اعتراهُ دوار ولم يقدر الَّا ان يتمايل متقدمًا نحو العمق فصرفوا كولنس المسكين بوضعهم في يدهِ عشرين ليرة هبة . واخبار هذه المراسلات امتدت سريعًا الى الخارج والذين هم اقل احتسابًا ككابيتو مثلًا انغضوا رؤُوسهم ولم يقدروا ان يروا في هذا الاتفاق الموهوم الَّا خداع فينيسيا المعهود

وهذا لم يكن كافيًا فان عمل الاصلاح قضي عليهِ بان يشرب كاس الذل الى آخر نقطة واذ راى زوينكل ان اخصامهُ في المملكة كانوا يزدادون عددًا وقوةً كل يوم اضاع بالتدريج كراهتهُ القديمة نحو فرانسا ومع انهُ كان حينئذٍ مانع اعظم من السابق بينهُ وبين فرنسيس الاول وهو دم اخوتهِ المسفوك بيد

ذالك الملك اظهر كانهُ يميل الى اتحاد كان قد رذلهُ في ما مضى بعزم شديد
ان لمبرت ميغريت القائد الفرنساوي الذي يبين انهُ مال بعض الميل
نحو الانجيل الامر الذي هو عذر زهيد لزوينكل اجرى القلم بينهُ وبين المصلح
مظهرًا لهُ ان مقاصد كرلوس الخامس تستلزم اتحادًا بين ملك فرانسا
والجمهوريات السويسية فقال لهُ هذا الرجل الخبير في امور السياسة سنة ١٥٣٠ ا
فرغ نفسك لعمل مقبول بهذا المقدار لدى خالقنا ويكون بنعمة الله هينًا جدًّا
لقدرتك . فتعجب زوينكل في اول الامر من هذه الاراء وافتكر ان ملك فرانسا
احتار في اية جهة يتحول اليها فبقي مرتين لا يلتفت الى ذلك الطلب ولكن وكيل
فرنسيس الاول كتب اصر على ان المصلح يقدم لهُ صورة معاهدة وعندما حاول
السفير ذلك ثالثة لم يعد يقدر ابن جبال التوكنبرج السادج ان يغض نظرهُ
عن طلباتهِ فاذا كان كرلوس الخامس لا بد لهُ من السقوط فذلك لا يمكن من
دون مساعدة فرانسا فلماذا لا يعقد الاصلاح عهدًا مع فرنسيس الاول تكون
غايتهُ ايجاد قوة في المملكة تلزم في نوبتها الملك الى احتمال الاصلاح في ممالكهِ
فبان كل شيء طبق مرغوبات زوينكل فزعم ان سقوط الظالم قريب ولا بد
انهُ يجر البابا معهُ فاعرض اراء القائد على الديوان السري وخرج كولنس مفوضًا
اليهِ عمل الشروط المطلوبة الى سفير فرانسا وهذه فاتحتها انهُ في الازمان القديمة
لم يوجد ملوك او شعب قد قاوموا قط المملكة الرومانية بثبات كثبات اهالي
فرانسا وسويسرا فلا يجب ان نتصر دون فضائل اجدادنا فان جلالهُ الذي
كل ارادتهِ ان تبقى طهارة الانجيل من دون دنس يعد بان يعقد عهدًا مع
الجمهورية المسيحية مطابقًا للشريعة الالهية ويعرض على لاهوتيي سويسرا الانجيليين
لاجل اثباتهِ . ثم يتلو ذلك ملخص قضايا العهد المختلفة

ورجل اسمهُ لانزرانت الذي كان ايضًا من جملة وكلاء الملك اجاب في اليوم
بعينهِ (٢٧ شباط) على هذا الضرب الغريب من المعاهدة العتيدة ان تعقد بين
سويسرا المصلحة ومضطهد المصلحين الفرنساويين وتثبت من اللاهوتيين فهذا لم

يكن ما كانت فرانسا تطلبهُ فان الملك انما اراد امتلاك المبارديا لا الانجيل ولاجل نوال هذا المقصد احتاج الى نجدة كل سويسرا ولكن المعاهدة التي تقيم المقاطعات الكاثوليكية الرومانية ضدهُ لا توافقهُ ولهذا اذ اكتفى الوكلاء الفرنساويون في الحاضر بمعرفة اراء زوينغ ابتداوا ينظرون ببرودة نحو تدبير المصلحين فقال لانزرانت للمعتمد السويسي ان القضايا التي ارسلتها لنا هي مكتوبة على احسن اسلوب ولكني بالكد اقدر ان افهمها ولا شك ان ذلك بسبب ضعف عقلي فلا يجب ان نلقي بذارًا في الارض ما لم تكن التربة معدة لهُ كما يجب

وهكذا الاصلاح لم ينلهُ من هذه القضايا الاَّ الخجل وبما انهُ نسي وصية الله هذه لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين (٢كو ٦: ١٤) كيف ينجو من مضادات قوية فابتدا اصدقاء زوينكل يتركونهُ والامير الذي دفعهُ الى هذه الحالة السياسية استمال نحو لوثيروس وطلب ان يخيف المصلح السويسي ولاسيما بعد ان قرعت اذان الكبراء كلمات ابراسموس هذه انهم يطلبون منا ان نفتح الابواب صارخين بصوت عال الانجيل الانجيل فارفعوا الرداء فتجدوا الجمهورية تحت طياتهِ السرية

وبينما كان الاصلاح بواسطة اعمالهِ الملومة يستوجب القصاص من السماء كانت المقاطعات الخمس المزمعة ان تكون قضيب ادبهِ تعجل بكل قدرتها مجيء تلك الايام المؤذية من الغضب والانتقام فكانت مغتاظة من تقدم الانجيل في جميع المعاهدة والصلح الذي ختمت عليهِ كان كل يوم يصير اكثر كراهة لديها فقالت اننا لا نجد راحة حتى نقطع هذه الرباطات ونسترجع حريتنا الماضية فنودي بانعقاد مجمع عام في بادن في ٨ كانون الثاني سنة ١٥٣١ فقالت حينئذٍ المقاطعات الخمس انهُ ان لم يحصل عدل من جهة تشكياتهم ولاسيما نظرًا الى دير راهبات سنت غال لا ياتون ايضًا الى المجمع وصرخت قائلة يا معاهدات غلاريس وشافهوسن وفريبرج وسوليور وابنزل اعينونا في تحصيل اعتبار لعهودنا القديمة والاَّ فاننا بانفسنا ندبر وسائط لدفع هذا التعدي القبيح ونسال الثالوث

الاقدس ان يعيننا في هذا العمل

ولم يقتصروا على التهديدات فان عهد المصلح كان قد نهى صريحًا عن كل كلام اهانة خوفًا من ان الاهانات والقذف تحدث ايضًا كما قال الاختلاف وانعابًا اعظم من التي احدثتها السابقة وهكذا كانت مخفية في العهود نفسها الجذوة العتيدة ان تضرم الحريق وفي الواقع كان ضبط السنة اهالي والدستات امرًا مستحيلاً وان اثنين من اهالي زوريخ وهما الرئيس الشيخ راونسبوهلار وصاحب الفريضة غسبرد غدلي اللذان التزما ان يترك احدهما ديرهُ والآخر فريضتهُ هيجا على الخصوص غضب الشعب ضد مدينة مولدهما وقالا في كل مكان من تلك الوديان وذلك من دون ان يؤدبا ان اهالي زوريخ هم ارانقة وانهُ لا يوجد واحد بينهم لا يرتكب خطايا غير طبيعية وليس هو لصًا على الاقل وان زوينكل هو لص وقاتل ورئيس ارانقة وانهُ في احد الاوقات في باريس (والحال انهُ لم يذهب الى باريس قط) ارتكب اثمًا فظيعًا كان شريكهُ فيهِ ليون يهوذا قال بعضهم اني لا اجد راحة حتى ادخل سيفي الى مقبضهِ في هذا الشقي المنافق. وقواد العساكر القدماء الذين كان يخافهم الجميع بسبب اخلاقهم الفظة واتباعهم الذين اقتدوا بقدوتهم والشبان العتاة ابناء الاعيان في المقاطعة الذين ظنوا ان كل شيء جائز ضد الواعظين التعساء ورعاياهم الغشماء والخوارنة المضطرمون بالبغضة التابعون خطوات هولاء القواد القدماء والشبان الشرسين الذين انزلوا المنبر منزلة حانة الخمر كانوا جميعًا يسكبون سيولاً من الاهانات على الاصلاح واتباعهِ فصرخ هولاء الجنود السكرانون والخوارنة المهوسون بصوت واحد قائلين ان اهالي البلد هم ارانقة وسارقو النفوس وقاتلو الضمير وزوينكل ذلك الرجل الردي الذي يرتكب خطايا فظيعة هو الاله اللوثراني

وتجاوزوا ذلك ايضًا واذ انتقلت المقاطعات الخمس من الكلام الى الاعمال كانت تضطهد الفقراء الذين فيها ممن احب كلام الله وتطرحهم في السجن وتغرمهم وتعذبهم عذابات وحشية وتطردهم بلا رحمة من بلادهم واهالي شويتس فعلوا

اشر من ذلك فانهم اذ لم يخشوا من ان يعلنوا مقاصدهم الرديئة جالوا لابسين اغصان صنوبر في برنيطاتهم وذلك علامة حرب ولم يضادهم احد فقالوا ان رئيس سنت غال هو امير من امراء المملكة ولبس خلعتهُ من يد الامبراطور فهل يظنون ان كرلوس الخامس لا ياخذ ثارهُ وقال اخرون الم يجسر هولاء الاراتقة على اقامة اخوية مسيحية كأنَّ سويسرا القديمة بلاد وثنية . فكانت المجامع تلتئم في هذا المكان او ذاك وطلبت معاهدات جديدة مع واليس والبابا والامبراطور وكانت معاهدات ملومة لا محالة الَّا انها كانت بحيث يقدرون ان يحاموا عنها بالمثل السائر ان الطيور المتشابهة الريش تجتمع معًا وهذا امر لم تقدر زوريخ وفينيسيا ان تقولاهُ

واهالي واليس امتنعوا في اول الامر عن المساعدة فكان احب اليهم ان يبقوا خالي الغرض الَّا ان ترفضهم اضطرم بغتةً وذلك ان طلحية ورق وجدت على مذبح حسب الخبر الشائع في الديوان فيها قيل ان زوريخ وبرن قد وعظا بان ارتكاب خطية ضد الطبيعة هو ذنب اخف من استماع القداس . فمن وضع هذه الورقة السرية على المذبح فهل انت من انسان او هل سقطت من السماء فلم يكونوا يعلمون ولكن كيفما كان ذلك فانها نُسخت ونُشرت وقُرِئت في كل مكان ومفاعيل هذه الحكاية المخترعة من احد الادنياء كما يقول زوينكل كانت قوية حتى ان واليس قدمت المساعدة التي امتنعت عنها في اول الامر واهالي والدستات الذين كانوا مفتخرين بقوتهم جمعوا حينئذٍ صفوفهم واعينهم الحادة نظرت شذرًا نحو المقاطعة الاراتيكية والرياح حملت من جبالهم الى البلدان المجاورة لهم اصوات اصطكاك السلاح القوية

وعند ما نظرت المدن الانجيلية هذه الاستعدادات المخيفة اضطربت فاجتمعوا اولًا في باسل في شباط سنة ١٥٣١ ثم في زوريخ في اذار فقال وكلاء زوريخ بعد ان قدموا تشكياتهم ماذا يجب ان يُعمل وكيف نقدر ان نتخلص من هذه المثالب الفظيعة ونُسقط هذه الاسلحة المتهددة فاجابت برن اننا نفهم انكم تلتجئون

الى القهر ولكن افتكروا بهذه المعاهدات السرية القوية التي يعملونها مع البابا والامبراطور وملك فرانسا وامراء كثيرين بهذا المقدار وبالاجال مع كل حزب الخوارنة لكي يجعلوا هلاكنا وافتكروا ببراءة انفس كثيرة نقية في الخمس المقاطعات يتاسفون من هذه المكايد القبيحة وافتكروا ما اهون الابتداء بحرب وانهُ ليس احد يعلم متى تنتهي فبما لها من احتسابات مكدرة تحدثها سريعاً مصيبة خارجة بالكلية عن كل نظر بشري ثم قالت برن دعونا نرسل وكلاء الى الخمس المقاطعات ودعونا نطلب منهم ان يقاصوا هذه المثالب الفظيعة بموجب العهود واذا ابوا فلنقطع كل اختلاط معهم فسألت باسل فماذا تكون الفائدة من هذه المراسلة اما نعلم توحش هذا الشعب او ما يخشى ان سوء المعاملة التي يكون وكلاؤُنا عرضة لها تجعل القضية اردا فلنعقد مجمعاً عاماً واذ اطبق راي شافهوسن وسنت غال على هذا الامر نادت برن بمجمع في ١٠ نيسان اجتمع فيهِ وكلاء من جميع المقاطعات

وكثيرون من اعيان والدستات ذموا التعدي الحاصل من الجنود المنفردين والرهبان وراوا ان هذه الاهانات المتواترة تضرهم في صالحهم فقالوا للمجمع ان الاهانات التي تشكون فيها تكدرنا كما تكدركم ونحن نعرف كيف نقاصها وقد فعلنا ذلك الآن انهُ يوجد اناس فظون على الجانبين فانهُ منذ ايام رجل من باسل اذ صادف على السكة رجلاً آتياً من برن وعلم انهُ ذاهب الى لوسرن قال لهُ ان الذهاب من برن الى لوسرن هو انتقال من اب الى زنديق ردي والمقاطعات المتوسطة طلبت من الحزبين ان ينفى كل علة للاختلاف

ولكن اذ كانت حرب صاحب موسو قد ابتدات راى زوينكل وزوريخ فيها اول عمل من اتحاد متسع قُصِد فيهِ ابادة الاصلاح في كل مكان جمعا اصحابهما معاً فقال زوينكل لا يجب ان نتردد ايضاً فان نقض المقاطعات الخمس المعاهدة والاهانات التي لم يسبق مثلها التي ينزلونها بنا تضطرنا الى الهجوم على اعدائنا قبل ان يكون الامبراطور الذي لم تزل الكفار تشغلهُ قد طرد الامير

واخذ ستراسبرح واخضعنا نحن ايضاً . كانَّ كل دم سويسرا القديمة كان يغلي في عروق هذا الرجل واذ كانت اوري وشويتس وانتروالدن تقبل بدناءة يد اوستريا فهذا الزوريخي الذي هو اعظم هلفيثي في عصرهِ بقي اميناً لذكر سويسرا القديمة واذ لم يكن امينًا هكذا لتقليدات اقدس فتبع خطوات ستوفاخر وونكلريد المجيدة

واصوات زوريخ الحربية اخافت المقاطعات المتحدة معها فارتأَت باسل بانعقاد مجمع واذا حصل امتناع ينقض العهد وشافهوسن وسنت غال خافتا حتى من هذا العمل فقالتا ان اهالي الجبال المتكبرين العتاة والحنقين بهذا المقدار يقبلون بفرح حل المعاهدة وهل نكون حينئذٍ اكثر تقدماً فهكذا كانت حالة الامور عند ما وصل وكلاء من اوري وشويتس وتحير منهم الجميع فقبلوهم ببرودة ولم تقدم لهم كاس الكرامة والتزموا ان يمشوا حسب ما قالوا في وسط اصوات الشعب المهينة واجتهدوا في تدبير انفسهم ولكن من دون فائدة لهم فان جواب المجمع البارد اننا قد بقينا مدَّة طويلة حتى نرى اعمالكم واقوالكم تتفق فرجع اهالي اوري وشويتس الى اوطانهم بالكآبة وانحل المجمع بالحزن والضيقة

وزوينكل راى بالم وكلاء المداين الانجيلية ينصرفون من دون ان يعتمدوا على شيءٍ فلم يعد يرغب قط اصلاح الكنيسة بل طلب تغييرًا في المعاهدة وهذا الاصلاح الاخير هو الاصلاح الذي كان ينادي بهِ عن المنبر كما يخبرنا بولنجر وهو لم يكن الشخص الوحيد الذي رغب في ذلك فان مدن سويسرا الاكثر عددًا واقتدارًا كان قد مضى عليها زمان طويل وهي تتشكى من ان اهالي والدستات الذين كان مقدار رجالهم ومالهم دونها بكثير كان لهم نصيب مساوٍ للبقية في مشورات المجمع وفي اثمار غلباتها وكان ذلك علة انقسام بعد حرب برغندي فان الخمس المقاطعات بسبب انباعها كانت لها الاكثرية والآن زوينكل كان يظن ان ازمة سويسرا يجب وضعها في ايدي المدن العظيمة وعلى الاكثر في ايدي مقاطعتي برن وزوريخ القديرتين فكانت الازمان الجديدة في

رايهِ تقتضي ترتيبات جديدة فلم يكن كافيًا ان ينفى من كل وظيفة مشهرة اتباع الامراء الاجانب وان يوضع اناس انقياء مكانهم بل يجب ان يُكسَب الارتباط الجمهوري هيئة جديدة ويبنى على اساس اكثر عدالة ولاشك ان محفلاً جنسيًا ناظمًا كان يوافق مرغوبهُ وهذه الخطابات التي كانت بالحري خطابات قائد الشعب لا خادم يسوع المسيح عجّلت مجيء البلية الهائلة

وحقًا ان كلمات المصلح المحب اوطنهِ القوية انتقلت من الكنيسة التي نطق بها فيها امام ارباب الدواوين والاكابر الى الازقة والحقول والكلمات المضطرمة التي سقطت من شفتي هذا الرجل اضرمت قلوب اهالي بلادهِ والجذوة المغناطيسية الخارجة بصوت وحركة شُعر بها في ابعد المنازل وتقليدات الحكمة والفطنة القديمة يبين انها قد نسيت وصوت الجمهور اظهر نفسهُ بكل نشاط وفي ٢٩ و٣٠ نيسان خرج بعض الفرسان بسرعة من ابواب زوريخ وهم رسل من قبل الديوان أُرسلوا لكي يذكروا جميع المدن المتعاهدة بنكث الخمس المقاطعات ولكي يطلبوا حكمًا حاليًا معينًا واذ كان الرسل يصلون الى اماكنهم المعينة لكل منهم كانوا يعددون التعديات ويقولون عند ما يفرغون من ذلك احترزوا فان مخاطر عظيمة معلقة فوق رؤوسنا جميعًا فان الامبراطور والملك فرديناند آخذان في تجهيزات عظيمة وهما قريبان من الدخول الى سويسرا بمبالغ وافرة من المال وجيش عظيم من الرجال

وقرنت زوريخ الكلام بالاعمال فان هذه المقاطعة ارادت ان تبذل جهدها في تثبيت حرية الوعظ بالانجيل في تلك المقاطعات التي اشتركت فيها بالسيادة مع المقاطعات الرومانية الكاثوليكية ورغبت في ان تستعمل الرغم اذا كان الكلام لا يفيد المطلوب ويجب الاقرار بان الحقوق العمومية كانت قد ديست تحت الاقدام في سنت غال وثورغوفيا ورينثال وزوريخ وضعت مكانها احكامًا مطلقة جعلت اهالي والدستات يغتاظون غيظًا كليًا وهكذا كان عدد اعداء الاصلاح لا يزال يتزايد وكان كلام الخمس المقاطعات يزداد كل يوم تهديدًا واهالي

مقاطعة زوريخ الذين التزموا بسبب مصالحهم ان يذهبوا الى الجبال كانوا يكابدون اهانات كثيرة واحياناً يحصلون على معاملة ردية وهذه الاعمال الافترائية هيجت غيظ المقاطعات المصلحة فطاف زوينكل ثورغوفيا وسنت غال وتوكنبرج يقيم في كل مكان مجامع ويشاركهم في اعمالهم وينادي امام جموع هائجة مهوسة فكان في كل مكان يصادف الاركان اليهِ والاعتبار واذ كان في سنت غال اجتمع جمع غفير تحت طاقاتهِ وكانت اجتماع الاصوات والآلات تعلن شكر الجمهور بنغمات متنفقة فقال دائماً لا نتركن انفسنا فيكون كل شيء حسناً فقر الراي على الاجتماع في ارَو في ١٢ ايار لاجل المفاوضة بخصوص الخطوب المشتدة كل يوم عن يوم وكان ذلك الاجتماع عتيداً ان يكون بداءة الاحزان

الفصل الرابع

مجمع ارَو . الوحدة الهلفيتية . وعظ زوينكل بالحرب . الاستعداد للحرب . اضطراب زوينكل عند وداع بعض اصحابهِ . هدوءُ بعد ذلك

ان راي زوينكل في نظام هلفيتي جديد لم ينجح في مجمع ارَو وربما استُحسن انتظار نتيجة الانشقاق وربما كان الراي الاكثر موافقة للديانة المسيحية والاتحاد او الامل بتحصيل وحدة سويسرا بواسطة وحدة الايمان يشغل عقول الناس اكثر من حقوق المدن وبالحقيقة ان بقي عدد من المقاطعات من حزب الباباوية تنحل وحدة المعاهدة وربما تنحل الى الابد ولكن لو اتي بجميع المعاهدة الى ايمان واحد لثبتت الوحدة الهلفيتية القديمة على اقوى واوطد اساس فحان وقت العمل والاَّ فلا يبقى باب لذلك ابداً ولا خوف من استعمال علاج قوي لاجل اعادة الجسد كلهِ الى الصحة غير ان المعاهدات انفت من الفكر بارجاع الحرية الدينية او الوحدة السياسية بواسطة السلاح ولكي تنجو من الصعوبات التي كانت واقعة

فيها طلبت طريقًا متوسطًا بين الصلح والحرب فقال رسل برن لاشك ان نصرف المقاطعات نظرًا الى كلام الله بحال الالتجاء الى السلاح ولكن الاخطار التي تتهددنا من جهة ايطاليا والامبراطور والخوف من تنبيه الاسد من رقاده والفاقة العمومية والشقاوة التي تعذب شعبنا والحصاد الغني الذي سوف يكسو حقولنا بعد قليل والذي تهلكهُ الحرب لامحالة والعدد الكبير من الرجال الفاضلين بين اهالي والدستات الذين لابد من ان يسفك دمهم الزكي مع دماء المجرمين فجميع هذه الاسباب تسوقنا الى ترك السيف في غمده فالاجدر بنا ان نغلق اسواقنا عن الخمس المقاطعات ونمنع عنهم القمح والملح والخمر والرصاص والحديد فاننا بذلك نعطي صولة لمحبي السلامة بينهم ونعفو عن الدم الزكي فانصرف القوم بنية ايصال هذه القضية الى المقاطعات الانجيلية المختلفة وفي ١٥ ايار صار الاجتماع ثانيةً في زوريخ

واذ كانت زوريخ موقنة بان الوسائط التي هي في ظاهر الامر اشد عنفًا تكون مع ذلك آمن واكثر شفقة قاومت راي برن بكل قوتها فقالت اننا بقبولنا هذا الراي نعدم الفوائد التي هي الآن بيدنا ونعطي فرصة للخمس المقاطعات لكي تتسلح وتهجم علينا اولاً فلنحذر من ان الامبراطور يقاتلنا حينئذٍ من الجانب الواحد حال كون اصحاب عهدنا القدماء يقاتلوننا من الجانب الاخر فالحرب العادلة ليست ضد كلمة الله واما هذا العمل فانهُ ينافيها لاننا ناخذ الخبز من افواه الابرياء والمذنبين على حدٍ سواء ونضايق بالجوع المرضى والشيوخ والحبالى والاولاد وجميع الذين هم تحت ضيقة عظيمة من جرى ظلم اهالي والدستات ويجب علينا ان نحترز من ان نهيج بهذه الواسطة غضب الفقراء ونحمل على معاداتنا كثيرين ممن هم الآن احباؤنا واخوتنا

ويجب ان نسلم بان كلام زوينكل هذا انما هو الصواب واما باقي المقاطعات وعلى الخصوص برن فكانت غير متزعزعة فقالت اننا متى سفكنا دماء اخوتنا مرةً لانقدر ابدًا ان نرجع الى الحياة الذين قُتلوا والحال اننا حالما يعطينا اهالي

والدستات النرضية نجعل نهاية لجميع هذه الاعمال القاسية فنحن عازمون على اننا لا نشرع بالحرب ولم يكن سبيل لمقاومة هذا الجزم فقبل اهالي زوريخ بمنع الطعام عن اهالي والدستات ولكن بقلوب مملوّة كآبة كانهم قد سبقوا فراوا كل ما يكلفهم اياهُ هذا العمل المحزن واطبق الراي على ان العمل القاسي الذي كانوا عتيدين ان ياخذوا فيهِ لا يُترَك الّا باتفاق الجميع وانهُ بما انهُ يحدث غيظًا عظيمًا يجب ان يستعد كل واحد على دفع رشقات العدو ففوضت زوريخ وبرن بان تخبر المقاطعات الخمس بهذا القرار واذ ارادت زوريخ ان تكمل عملها بكل عجلة ارسلت حالًا امرًا لجميع توابعها ان تمتنع عن كل معاطاة مع اهالي والدستات وامرتهم في الوقت نفسهِ ان يمتنعوا عن كل معاملة رديئة وعن كل كلام قبيح وهكذا الاصلاح اذ امتزج بحماقة في اعمال سياسية سار من زلة الى زلة فكان يدعي بانهُ يبشر المساكين بالانجيل وهو حينئذٍ مزمع ان ينكر عليهم الخبز

وفي الاحد التالي الذي هو احد العنصرة اذيع القرار عن المنابر فمشى زوينكل نحو منبرهِ حيث كان ينتظرهُ جمع غفير وعين هذا الرجل الحادة كشفت بسهولةٍ مخاطر هذا الامر باعتبار السياسيات وقلبهُ المسيحي شعر شعورًا عميقًا بكل قساوة الحال فكانت نفسهُ مرتبكة وعيناهُ مطرقتين الى الارض ولو انتبه فيهِ في تلك الدقيقة الروح الحقيقي الذي لخادم الانجيل ولو طالب زوينكل بصوتهِ القوي من الشعب ان يتواضعوا قدام الله وان يغفروا الزلات وان يصلوا لكان الامان قد اشرق ايضًا على سويسرا المنكسرة القلب ولكن الامر لم يكن كذلك فان الروح المسيحي توارى اكثر فاكثر عن المصلح ولم يبقَ فيهِ الّا روح السياسة وحدهُ ولا شك انهُ في هذا الروح فاق الجميع وتدابيرهُ هي لا محالة احكم التدابير فراى واضحًا ان كل مهلة تكون سبب خراب زوريخ وبعد ان جاز في وسط الجمهور واغلق كتاب ملك السلام ولم يتاخر عن نقض القرار الذي اذاعهُ بين الشعب والمناداة بالحرب في نفس عيد الروح القدس فقال بكلامهِ القوي المالوف ان الذي لا يخاف من ان يدعو خصمهُ مجرمًا يجب ان يتبع الكلمة

بالضربة فان لم يَضرِب يُضرَب فيا رجال زوريخ انكم تمنعون القوت عن الخمس المقاطعات كعاملي ردي فنعمًا ذلك ولكن دعوا الضربة تتبع التهديد فذلك احرى من ان تميتوا بالجوع اقوامًا مساكين ابرياء فاذا كنتم لا تريدون ان تبتدئوا تدلون بذلك على انكم تعتقدون بعدم وجود سبب كافٍ لمقاصة اهالي والدستات ومع ذلك تمنعون عنهم المآكل والمشرب وتلزمونهم بهذا العمل الى حمل السلاح ورفع ايديهم وانزال القصاص بكم فهذا هو القضاء الذي يتوقعكم

وكلمات المصلح الفصيح هذه حركت المحفل بجملتهِ وعقل زوينكل السياسي الذي كان قد اثر في جميع الشعب بهذا المقدار وطغاهُ حتى انهُ لم يوجد الاَّ انفس قليلة عندها من روح الديانة المسيحية ما يُشعِرهم بان المناداة بالحرب في عيد تذكار فيضان روح الصلح والمحبة على الكنيسة المسيحية امر غير لائق من فم خادم الله فنظروا الى هذا الخطاب باعتبار كونهِ سياسيًّا فقط فقال قوم انهُ خطاب مفتن وهو تهييج الى الحرب فاجاب اخرون كلاَّ انهُ كلام تقتضيهِ سلامة البلاد فكانت زوريخ باسرها هائجة فقالت برن ان في زوريخ نارًا اكثر مما تقتضيهِ الحال فاجابت زوريخ ان عند برن خباثة مفرطة . ونبوة زوينكل المحزنة كانت قريبة النجاز جدًّا

وحالما بلَّغت المقاطعات المصلحة هذا الحكم العديم الشفقة الى اهالي والدستات بادرت حالاً الى اجرائهِ وكانت زوريخ تظهر اشد الصرامة فيهِ والاماكن التي اغلقت اسواقها عن المقاطعات الخمس لم تكن زوريخ وبرن فقط بل ايضًا سنت غال وتوكنبرج وسرغنس ووادي الرين التي قسم منها تحت ولاية والدستات وسلطة قوية احدقت بغتةً بمؤسسات الحرية الهلفيتية الشريفة بالاقفار والجوع والموت فان اوري وشويتس وانترولدن وزوغ ولوسرن كانت كانها في وسط قفر متسع وكانت تفتكر ان رعاياها اقلما يكون والاصحاب الذين اقسموا لها بالامانة يتحزبون لها وكان الامر بخلاف ذلك فان بريمغرتن ومالنجن ايضًا

انكرنا كل نجدة وكان رجاؤها الوحيد بويسن وغستال ولم يكن لبرن ولالزوريخ عمل هناك وشويتس وغلاريس وحدهما كانتا تحكمان عليها واما قوة اعدائها فانها كانت قد امتدت الى كل مكان وان اكثرية اصوات بلغت ثلاثة عشر صوتًا كانت حكمت لزوريخ في غلاريس وغلاريس اغلقت ابواب ويسن وغستال عن شويتس فباطلاً كانت برن نفسها تصرخ كيف تقدرون ان تلزموا الرعايا بان ينكروا القوت عن ساداتهم وباطلاً كانت شويتس ترفع صوتها بالغضب فان زوريخ ارسلت حالاً الى ويسن بارودًا ورصاصًا ولهذا سقط على زوريخ نفسها كل البغضة الناتجة من عمل قد قاومتهُ تلك المدينة بهذا المقدار في اول الامر ففي ارَو وفي بريمغرتن وفي مالنجن وفي المقاطعات المستبدة كانت عربانات عديدة حاملة زخائر لوالدستات فاوقفت وفرغت وقُلِبت وعمل بها متاريس في الطرقات المودية الى لوسرن وشويتس وزوغ وكانت سنة قحط قد قللت الزخائر في الخمس المقاطعات وكان وباء هائل وهو الحمى المعرقة قد نشر في كل مكان اياسًا وموتًا ثم اقترنت يد الانسان بيد الله فزاد الشر واهالي تلك الجبال المساكين نظروا بلايا لم يُسمَع بها قبل تتقدم بخطوات سريعة فلم يبقَ خبز لاولادهم ولا خمر تنعش قوتهم الضعيفة ولاملح لقطعانهم ومواشيهم ففقدوا كل شيء يحتاجهُ الانسان لاجل قيام حياتهِ ولم يكن احد يقدر ان يرى مثل هذه الاشياء وهو انسان من دون ان يتمزق قلبهُ ففي المدن المعاهدة وخارج سويسرا رُفعت اصوات كثيرة ضد هذا العمل القبيح فاي خير ينتج منهُ الم يكتب مار بولس الى الرومانيين بقولهِ فان جاع عدوك فاطعمهُ وان عطش فاسقهِ لانك ان فعلت هذا تجمع جمر نار على راسهِ (رو ١٢: ٢٠) ولما كان ارباب الديوان يريدون ان يقنعوا بعض العنيدين بموافقة هذا العمل صرخوا اننا لا نرغب في حرب دينية فاذا كان اهل والدستات لا يريدون ان يومنوا بالله فدعوهم يتمسكون بالشيطان

الآن التشكيات القوية كانت تُسمَع في المقاطعات الخمس بنوع خصوصي

فان اهدا الناس حتى انباع الاصلاح المستنزرون عند ماراوا الجوع يتهدد في منازلهم شعروا باشد الغيظ واعداء زوريخ استفادوا بحذاقة من هذا الميل فانهم شجعوهم على هذه التذمرات وفي الحال كانت اصوات الغيظ والضيقة ترن من الجبال قاطبةً فباطلاً كانت برن تبين لاهالي والدسمات ان الانكار على الناس قوت انفسهم اقسى من ان يقطع عنهم قوت الجسد فاجاب هولاء الجبليون وهم في حالة اليأس قائلين ان الله يعطي اثمار الارض مجاناً لجميع الناس فلم يكونوا يكتفون بالانين في منازلهم واظهار غيظهم في الدواوين بل ملاوا سويسرا باسرها من التشكيات والمثالب قائلين انهم يريدون ان يستعملوا الجوع لكي ينزعوا منا ايماننا القديم ويريدون ان يمنعوا الخبز عن نسائنا واولادنا لكي ينزعوا منا الحرية التي اتخذناها من اجدادنا فاي متى حصلت قط مثل هذه الامور في المعاهدة الم نرَ في الحرب الاخيرة المعاهدات والسيف بايديهم والذين كانوا مستعدين لان يسلوا السيف ياكلون معًا من قصعة واحدة فانهم يمزقون اربًا الصداقات القديمة ويدوسون تحت اقدامهم عوائدنا القديمة وينقضون العهود ويخالفون الشروط فاننا نستشهد بكتابات اسلافنا فاعينوا اعينوا وياحكماء قومنا اشيروا علينا وانتم يا جميع الذين تعرفون ان تقبضوا على البلطة والسيف تعالوا واحفظوا معنا الاملاك المقدسة التي لاجلها آباؤنا اذ خلصوا من نير الغرباء قرنوا اسلحتهم وقلوبهم

وفي الوقت نفسهِ ارسلت المقاطعات الخمس الى الساس وبريسغاو وسوابيا لكي ياخذوا الخمر والملح والخبز ولكن اوامر المدن لم يكن ممكنًا مخالفتها فان الاوامر كانت قد اعطيت في كل مكان وحفظت في كل مكان بتدقيق فان زوريخ والمقاطعات الاخرى المتحدة معها منعت كل مخالطة وارجعت الى جرمانيا الزخائر التي ارسلت الى اخوتها والخمس المقاطعات كانت نظير حصن منسع قد حجبت عنهُ كل الايرادات بواسطة حراس ساهرين وان اهالي والدسمات المتضايقين اذ راوا انفسهم وحدهم والجوع بين بحيراتهم وجبالهم التجأوا الى سنن

عبادتهم فجميع الملاعب والرقص وكل نوع من الملاهي مُنعت وأُمر بتقديم الصلوات ومواكب طويلة كانت تسير في طرق انسدلين والمزارات فاخذوا المناطق والعصي والاسلحة التي للاخويات التي كان كل منهم مختصاً بها فكان كل واحد يحمل مسبحة بيديهِ ويتلو الصلاة الربانية مرات متوالية فكانت الوديان والجبال ترتج من اصوات ترانيمهم المحزنة ولكن اهالي والدستنات فعلوا اشياء غير هذه ايضاً فانهم سنوا رؤوس رماحهم ووجهوا اسلحتهم نحو زوريخ وبرن وصرخوا بحنق انهم قد سدوا طرقاتهم ولكننا نحن نفتحها باسلحتنا ولم يكن احد يجاوب على هذا الصراخ المؤيس ولكن يوجد حاكم عادل في السماء تختص بهِ النقمة وهو يجاوب سريعاً بمقاصتهِ اولئك الاشخاص الضالين بطريق هائل الذين اذ ينسون الرحمة المسيحية ويمزجون مزجاً نفاقياً المواد الدينية والزمنية يزعمون انهم يحصلون الظفر للانجيل بواسطة الجوع والقوم المتسلحين

غير انهُ حصل بعض الاجتهادات في اصلاح حالة الامور ولكن تلك الاجتهادات نفسها احدثت ذلاً عظيماً على سويسرا وعلى الاصلاح ولم يكن خدام الانجيل هم الذين طلبوا ارجاع الصلح بل فرانسا التي كانت اكثر من مرة علة اختلاف لسويسرا وكل عمل من شانهِ زيادة سطوتها بين المقاطعات كان مفيداً لغاياتها وفي ١٤ ايار ميغريت ودنغرتن (وكان الاخير منهما قد قبل حق الانجيل وبالتالي لم يجسر على الرجوع الى فرانسا) بعد الاشارة الى الروح الذي اظهرتهُ زوريخ في هذا الامر وكان روحاً لا يتفق الاَّ قليلاً مع الانجيل قالا للدبوان ان الملك مولانا قد ارسل اليكم رجلين لاجل المفاوضة في وسائط حفظ الاتفاق بينكم فاذا كان الحرب والشغب يدخلان سويسرا فان كل جماعة هلفيتيا تهلك والحزب الغالب أياً كان يحصل عليهِ دمار مثل الحزب المغلوب. اجابت زوريخ بانهُ اذا كانت الخمس المقاطعات تسمح بالانذار بكلمة الله بحرية يكون الصلح هيناً فاجتس الفرنسا وبان حالاً اهالي والدستنات الذين كان جوابهم اننا لا نسمح قط بالانذار بكلمة الله كما يفهمها اهالي زوريخ

واذ قصرت اجتهادات الغرباء هذه من قليلة وكثيرة لم يبقَ باب لطمانينة سويسرا الاَّ مجمع عام ومن ثم نودي بمجمع في بريغرتن ففتح بحضور وكلاء من فرنسا ومن دوك ميلان ومن اميرة نيوفشاتل ومن الغريسونات والبس وثورغوفيا ومقاطعة سارغنس واجتمع خمس جلسات مختلفة اي في ١٤ وفي ٢٠ حزيران وفي ٩ تموز وفي ١٠ وفي ٢٠ آب والمورخ بولنجر الذي كان راعي بريغرتن قدم خطابًا في افتتاحهِ حث بهِ بلجاجة المعاهدات على الاتحاد والصلح

وان شعاعًا من النور وقتيًّا ابهج سويسرا فصار الحجز اقل تدقيقًا والصداقة وحسن المجاورة كان قد غلب في اماكن كثيرة على احكام الحكومة وفتحت طريقًا غير اعتيادي في اوعر الجبال لاجل نقل الزخائر الى والدستمات وكانت الزخائر تخبا في صناديق البضاعة واذ كانت لوسرن تحبس وتعذب اهاليها الذين وجدوا معهم كتب اهالي زوريخ كانت برن لا تقاص الاَّ قصاصًا خفيفًا الفلاحين الذين وجدوا ياخذون القوت لانتر والدن ولوسرن وكانت غلاريس تغمض عينيها عن تعديات اوامرها المتوالية وصوت المحبة الذي اختفى وقتيًّا كان يتشفع بنشاط جديد قدام المقاطعات المصلحة باصحاب عهدها

ولكن الخمس المقاطعات كانت لا تتزعزع فقالت اننا لا نقبل شيئًا قبل رفع الحجز فقالت برن وزوريخ اننا لا نرفع قبل ان يوذن للانجيل بان ينادى بهِ بحرية ليس فقط في المقاطعات المشتركة بل ايضًا في المقاطعات الخمس وكان ذلك لامحالة افراطًا حتى حسب الشريعة الطبيعية ومبادي المعاهدة وربما زعم ديوان زوريخ انهُ يجب عليها الالتجاء الى الحرب لاجل الحصول على حرية الضمير في المقاطعات المشتركة ولكن الزام الخمس المقاطعات في امر يتعلق ببلادهم هو ظلم الاَّ انهُ نجح الوسطاء بعد تعب كثير بتدبير طريقة للصلح بان انهُ يوافق مرغوب الفريقين فانحل الاجتماع وسُلّم هذا الامر حالاً للمقاطعات المختلفة لكي تثبتهُ

ثم اجتمع المجمع ثانية بعد ذلك بايام قليلة ولكن الخمس المقاطعات اصرت على طلبها من دون ان تسلم ولا في قضية واحدة فباطلاً كانت زوريخ وبرن

تبينان لها انها بواسطة اضطهادها اتباع الاصلاح نقضت شروط الصلح وباطلاً افرغ الوسطاء جهدهم في الانذارات والتوسلات فكانت الاحزاب تظهر احياناً انها تقرب ثم بغتةً تكون اكثر ابتعاداً وحمقاً من الاول واخيراً نقض اهالي والدستات المجاورة الثالثة بقولهم انهم بعيدون عن مقاومة الحق الانجيلي بل يتمسكون بهِ كما علَّم بهِ الفادي ورسلهُ الاطهار والعلماء الاربعة وامهم المقدسة الكنيسة وهذا القول كان نظير تهكم مر عند الوكلاء الذين من زوريخ وبرن غيران برن التفتت نحو زوريخ عند انفصالها وقالت احذروا من الافراط في التعدي حتى ولو قاتلوكم

وهذا الانذار كان غير ضروري فان قوة زوريخ كانت قد زالت وظهور الاصلاح والمصلحين الاول حُيّي بالفرح لان الشعب كان يئنّ تحت حمل عبودية مضاعفة فظن انهُ راى فجر الحرية ولكن عقولهم المتروكة مدة قرون للخرافات والجهل اذ كانت غير قادرة على تحصيل الآمال التي راتها امتد حالاً فيما بينهم روح عدم الارتضاء والتقلب الذي صار بهِ زوينكل من اصحاب الحكومة بعد ان كان خادم الانجيل فازال من الشعب الغيرة اللازمة لمقاومة الهجمات الهائلة التي كانوا عتيدين ان يكونوا معرضين لها فكان لاعداء الاصلاح فرصة مناسبة لمضادتهِ حالما ترك اصحابهُ الحالة التي قامت بها قوتهم وعدا ذلك لا يقدر المسيحيون ان يلتجئوا الى الجوع والحرب لاجل تحصيل غلبة الانجيل من دون ان تضطرب ضمائرهم فان اهالي زوريخ لم يسعوا حسب الروح بل حسب الجسد واعمال الجسد هي البغضة والانشقاق والمخاصمة والغضب والتقاطع والنزاع (غل ٥: ٩ او ٢٠) فالخطر من خارج ازداد حال كون الرجاء والاتحاد والشجاعة من داخل كانت بمعزل عن النمو فكان الناس يرون بالعكس ان ذلك الاتفاق والايمان الحي اللذين كانا قوة الاصلاح يزولان بالتدريج فان الاصلاح تقلد بالسيف وذلك السيف نفسهُ قد طعن قلبهُ

وكانت بواعث الاختلاف تتزايد في زوريخ فانهُ بسبب نصيحة زوينكل

كان عدد الاشراف قد تناقص في الديوانين من جرى مضادتهم للانجيل وهذا الامر جعل القلق يمتد بين اشراف العيال في المقاطعة فان الطحانين والخبازين وضعوا تحت ترتيبات حصل الاضطرار اليها بسبب المجاعة وجانب عظيم من اهالي البلدة نسبوا ذلك الى خطابات المصلح فحنقوا منهُ وان رودلف محصل كيبرج افيم قائدًا عامًّا واصحاب الوظائف الذين كانوا اقدم منهُ اغتاظوا من ذلك وكثيرون من الذين كانوا سابقًا اكثر شهرة بسبب غيرتهم على الاصلاح صاروا يضادون علانيةً الامر الذي كانوا يعضدونهُ والحرارة التي بها كان خدام السلام يطلبون الحرب احدثت في كل مكان قمقمة شديدة واقوام كثيرون اطلقوا العنان لغضبهم واختلاط الكنيسة والحكومة هذا غير الطبيعي الذي افسد الديانة المسيحية بعد عصر قسطنطين كان يجعل خراب الاصلاح واكثرية الديوان الكبير الذين كانوا دائمًا مستعدين لان يمارسوا اعمالاً مهمة شافية هلكوا والحكام القدماء الذين كانوا لم يزالوا في اوائل الامور اطلقوا العنان لانفسهم لكي يتحركوا بحاسيات الحسد ضد اناس كانت سطوتهم غير الرسمية تتغلب على صولتهم الرسمية وجميع الذين ابغضوا تعاليم الانجيل سواء كان ذلك بسبب محبتهم للعالم او للبابا رفعوا رؤوسهم بجسارة في زوريخ واحزاب الرهبان واحباء الخدمة الاجنبية واصحاب القلاقل من كل رتبة اتفقوا في الاشارة الى زوينكل كانهُ علة جميع اتعاب الشعب

فانكسر قلب زوينكل وراى ان زوريخ والاصلاح كانا مسرعين نحو خرابهما ولم يقدر ان يصدهما فكيف يقدر على ذلك والحال انهُ كان هو العلة الاولى في هذه البلايا وهو لم يشعر بذلك فماذا كان يجب ان يُعمَل فهل يبقى الربان في السفينة التي لا يوذن لهُ ايضًا بانقاذها ولم يكن الاَّ واسطة واحدة للامان لزوريخ وزوينكل فانهُ كان يجب عليهِ ان يترك المكان السياسي ويرجع الى تلك المملكة التي ليست من هذا العالم وكان يجب انهُ يكون قد بقي رافعًا يديهِ وقلبهُ كما فعل موسى نهارًا وليلاً نحو السماء وينادي بحرارة بالتوبة والايمان والسلام ولكن كانت

الامور الدينية والسياسية مرتبطة في عقل هذا الرجل العظيم بربطات قديمة وعزيزة هكذا حتى انهُ لم يكن ممكنًا لهُ ان يميز الخط الفاصل بينهما وهذا الاضطراب كان فكرهُ الغالب فكان المسيحي والمدني عندهُ واحدًا وطبيعة واحدة ومن ثمَّ نتج ان جميع وسائط الحكومة حتى المدافع والحراب كان يجب ان تستعد لخدمة الحق ومتى استولى فكر خصوصي هكذا على انسان نرى ضميرًا كاذبًا يتصور داخلهُ ويقبل امورًا كثيرة ترذلها كلمة الرب

فهذه حالة زوينكل حينئذٍ فكانت الحرب تظهر لديهِ شرعية ومرغوبًا فيها وان لم ينل ذلك لا تبقى لهُ واسطة الَّا الاعتزال عن العيشة المشتهرة واثران يُعمَل ما يُعمَل باقصى الشدة او يُترَك كل الترك ومن ثمَّ مثل في ٢٦ تموز امام الديوان الكبير بعينين ضعيفتين وقلب عديم السلوان وقال انني في مدة احدى عشرة سنة قد ناديت بالانجيل بينكم وانذرتكم بامانة ومحبة ابوية بالبلايا المعلقة فوق رؤوسكم ولكن لم يحصل التفات الى كلماتي فان احباء الخدمة الاجنبية اعداء الانجيل انتخبوا اعضاء الديوان واذ تأبون من ان تتبعوا نصيحتي يجب عليَّ ان اعطي جوابًا عن كل بلية فلا اقدر ان اقبل بهذه الحالة واطلب ان تعفوني من الخدمة فانصرف المصلح مستخمًا بالدموع

وارباب الديوان ارتجفوا عندما سمعوا هذه الكلمات وجميع حاسيات الاعتبار التي كانت عندهم زمانًا طويلاً بهذا المقدار نحو زوينكل انتعشت وخسارتهُ الآن تكون سببًا لخراب زوريخ فامر الديوان الوالي وباقي الحكام باقناعهِ بترك عزمهِ الموذي فحصلت المناوضة في ذلك اليوم بعينهِ وطلب زوينكل فرصة للتبصر فبقي ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ يطلب الطريق التي يسلك فيها واذ راى السحابة المظلمة التي كانت تتجمع من كل جهة كان يفتكر هل يجب ان يترك زوريخ ويطلب ملجأً في جبال التوكنبرج الشامخة حيث تربى وذلك في وقت كانت فيهِ بلادهُ وكنيستهُ تكاد تقع تحت هجمات وضربات اعدائهِ كما يُضرَب القمح بالبرد فتنهد وصرخ الى الرب وكان دفع عنهُ كاس المرارة التي قدمت

لنفسهِ الاَّ انهُ لم يقدران يعتمد على ذلك واخيرًا تمت الضحية ووضعت الذبيحة وهي ترتعد على المذبح وبعد المحاورة الاولى بثلاثة ايام حضر زوينكل امام الديوان وقال اني ابقى معكم واكدُّ لاجل سلامة الجمهور الى الموت

ومن تلك الدقيقة ابدى غيرة جديدة فمن الجهة الواحدة كان يجتهد في احياء الاتحاد والشجاعة في زوريخ ومن الجهة الاخرى اخذ ينهض ويهيج المدن المتعاهدة الى زيادة القوة وتجميع جميع قوات الاصلاح واذ كان امينًا للدعوة السياسية التي ظن انهُ قد قبلها من الله نفسهِ وقانعًا بانهُ يجب عليهِ ان يفتش على اصل كل الشر في شكوك اهالي برن وقلة نشاطهم انطلق الى بريمغرتن مع كولنس وستينار في مدة اجتماع المجمع الرابع مع انهُ قد اوقع نفسهُ تحت خطر عظيم بهذا العمل فوصل في الليل سرًّا ودخل الى بيت بولنجر صديقهِ وتلميذهِ وطلب من وكيلي برن ان يلاقياهُ الى هناك سرًّا وترجاهما بكلام خاشع جدًّا ان يتاملا باهتمام في مخاطر الاصلاح فقال اني اخشى من انهُ بسبب عدم ايماننا لا ينجح هذا العمل فاننا بواسطة انكارنا القوت على المقاطعات الخمس قد ابتدانا بعمل يكون موذيًا لنا فاذا يجب ان يعمل فان رُفِعَ الحجز تكون المقاطعات اشد شراسة وعجرفة جدًّا واذا ثبتّموهُ فانهم يبتدئون بالحرب واذا نجحوا فانكم ترون حقولنا حمراء بدماء المومنين وتعليم الحق يُطرَح وكنيسة المسيح تخرب وجميع الانصاليات المعشرية تنغلب واعداؤنا الاكثر قساوة وغضبًا على الانجيل وجماهير من الرهبان والخوارنة يملاون ايضًا اقاليمنا وازقتنا وهياكلنا . ثم بعد دقائق قليلة من الاضطراب والسكوت استتلى المصلح قائلاً ومع ذلك هذا ايضًا تكون لهُ نهاية . فامتلأ البرنيان اضطرابًا من صوت المصلح الموثر فاجابا اننا نرى كل ما يجب ان نخشى منهُ على عملنا المشترك وسوف نبذل كل همتنا في منع مثل هذه المصائب العظيمة . قال بولنجر اني انا الذي كتبت هذه الامور كنت حاضرًا وسامعًا لها

وكان يخشى من انهُ اذا عرف وكلاء الخمس المقاطعات بوجود زوينكل

في بريغرتن لا يمنعون تعديهم عنهُ وفي مدة هذه المواجهة الليلية كان ثلثة من محافظي البلدة قائمين نظير خفرة قدام بيت بولنجر وقبل طلوع الفجر جاز المصلح وصديقاهُ بصحبة بولنجر والثلاثة الخفرة في الازقة المهجورة المودية الى الباب الذي على طريق زوريخ فودع زوينكل ثلاث مرات مختلفة بولنجر الذي كان عتيدًا ان يكون بعد قليل خليفتهُ وكان عقلهُ مملوًا من الافتكار عن دنو وقت وفاتهِ ولم يقدر ان يتخلص من الصديق الفتى الذي لم يكن عتيدًا ان يرى وجههُ ايضًا فباركهُ بدموع كثيرة وقال يا عزيزي هنري اسال الله ان يصونك كن امينًا لربنا يسوع المسيح ولكنيستهِ . واخيرًا افترقا وقد اخبرنا بولنجر انهُ في نفس تلك الدقيقة ظهر بغتةً شخص سري لابس ثيابًا بيضاء كالثلج وبعد ان اخاف الجنود الذين كانوا يحافظون على الباب غاص بغتةً في الماء وتوارى فبولنجر وزوينكل واصدقاؤُهُ لم يروهُ وكان بولنجر يفتش عليهِ هنا وهناك ولكن من دون فائدة ولكن الخفرة كانوا يثبتون حقانية هذا المنظر المخيف واذ كان بولنجر مملوًا اضطرابًا رجع في الظلام بالسكوت الى بيتهِ وكان عقلهُ بدون قصد يقابل انصراف زوينكل والشبح الابيض وكان يرتجف من العلامة المخيفة التي كان الافتكار بهذا المنظر يطبعها على عقلهِ

وان آلامًا من نوع اخر تبعت زوينكل الى زوريخ. فظن انهُ بواسطة قبولهِ بالبقاء في مقدمة الامور يسترجع كل صولتهِ القديمة غير انهُ كان مغشوشًا فكان الشعب يرغبون في ان يروهُ هناك الَّا انهم لم يكونوا يتبعونهُ فكان اهالي زوريخ يزدادون كل يوم كراهة للحرب التي طلبوها في اول الامر واتحدوا مع اهالي برن في طريقتهم الساكنة فبقي زوينكل زمانًا طويلاً منذهلاً ومن دون حركة امام هذه الجماعة البطيئة التي لم يقدر اقوى اجتهاداتهِ على تحريكها واذ اطّلع بعد قليل في كل جهة على العلامات النبوية التي كانت مبشرة بالعاصف الذي كان قريبًا ان يهيج على السفينة التي كان ديدبانًا لها صرخ صراخ الكآبة واعلن علامات الضيق فنادى ذات يوم نحو الشعب عن المنبر الذي تبواهُ لكي ينطق باحتسابا تهِ

المظلمة وقال اني ارى ان اصدق النصائح لا نقدر ان تخلص فانكم لا تفاصون الذين ياخذون الاجور من الاجانب فان لهم عضدًا قويًا جدًّا بيننا فانهُ قد اعد قيد وها هو كامل وهو يحل حلقة وراء حلقة وسوف يقيدونني بهِ سريعًا ويقيدون معي اكثر من زوريجي واحد صالح فانهم قد حنقوا عليَّ انا واني لمستعد ومسلم لارادة الرب ولكن هولاء القوم لا يكونون ابدًا سادتي واما انتِ يا زوريخ فانهم سوف يعطونكِ جزاكِ ويضربونكِ على راسكِ وانتِ تريدين ذلك فانتِ قد امتنعتِ عن مفاصتهم فهم الآن يقاصونكِ ولكن الله لا يكون بذلك اقل محافظة على كلمتهِ وسوف تتلاشى كبرياؤهم فهكذا كان صراخ زوينكل الكئيب ولكن لم يجبهُ الاَّ عدم حركة كالموت لان قلوب اهالي زوريخ كانت قد قست بهذا المقدار حتى ان احد سهام المصلح لم نقدر ان توثر فيها فكانت تسقط عند رجليهِ كالَّة ومن دون فائدة

فكانت الحوادث تتقدم بسرعة وتصادق على مخاوفهِ فان الخمس المقاطعات كانت قد رفضت كل راي قدم لها فكانت قد اجابت الوسطاء لماذا تتكلمون عن مقاصة زلات قليلة فان السوال عن امر يختلف جدًّا عن ذلك اما تطلبون ان نسترجع الى ما بيننا الاراتقة الذين نفيناهم وان لا نقبل خوريًا اخر غير الذين يعظون حسب كلام الله فاننا نعلم ماذا يعني ذلك كلا كلا اننا لا نترك ديانة ابائنا واذا راينا اولادنا ونساءنا من دون قوت فان سيوفنا تحصل ما قد أُنكر علينا واننا نكرس اجسادنا واموالنا وحياتنا لذلك. فترك الوكلاء مجمع بريغرتن بهذه العبارات المهددة فكانوا قد نقضوا بكبرياء طيات ارديتهم فسقطت منها الحرب

فكان الخوف عموميًا والاهالي الخائفون راوا في كل مكان مناظر مخيفة وعلامات مريعة تدل على افظع الحوادث فلم يكن فقط الشبح الابيض الذي ظهر في بريغرتن بجانب زوينكل بل ايضًا افظع العلامات التي كانت تنتقل من فم الى فم ملأت الشعب باظلم الاحتسابات وتاريخ هذه المناظر مهما ظهر غريبًا يصف

لنا العصر الذي نحن في صدد الكلام عنهُ فاننا لانخلق الازمان بل انما يجب علينا فقط ان نرسمها كما كانت في الحقيقة

ففي ٢٦ تموز اتفق ان ارملة كانت وحدها امام بيتها في قرية كاستلنشلوس رات بغتةً منظرًا مخيفًا اي دمًا يخرج من الارض حولها فدخلت خائفة الى منزلها واذا بالدم ينبع في كل مكان من الاخشاب والحجارة وجرى نظير نهر من طست كان على الرف حتى وسرير الولد كان طافحًا بهِ فافتكرت المراة ان يد قاتل غير منظورة كانت تشتغل وثارت الى خارج الباب برعدة صارخة القتل القتل فاجتمع اهالي القرية والرهبان الذين في جوارها عند ما سمعوا الصوت ونجحوا نوعًا في محو الاثار الدموية ولكن بعد قليل في النهار اذ كان سكان البيت الاخرون جالسين بخوف ياكلون عشاءهم تحت روشن البيت راوا بغتةً دمًا يطفو في مركبة ودمًا يفيض من العلية ودمًا يغطي كل جدران البيت وهكذا حتى كان الدم في كل مكان فوصل محصل القرية وراعي دهليم وفحصا عن الامر وقرراهُ حالاً لسادات برن وازوينكل

وبعد ان ملأ هذا الخطب الهائل (الذي حُفظت تفاصيلهُ بامانة في اللاتيني والجرماني) جميع العقول بفكر مقتلة فظيعة ظهر حالاً في الربع الغربي من السماء نجم مخيف كان ذنبهُ العظيم الاصفر متجهًا نحو الجنوب وعند غيابهِ كان هذا المنظر يلمع في الجو كنار اتون وفي احدى الليالي والظاهر انها كانت ليلة ١٥ آب اذ كان معًا زوينكل وجرجس مولار الذي كان سابقًا رئيس دير وانجن في مقبرة كنيسة الكرسي نظرا كلاهما متفرسين بهذا النجم المريع فقال زوينكل ان هذه الكرة الغالية قد انت لكي تضي الطريق المؤدي الى قبري وهي تكلف حياتي وحياة رجال كثيرين من الافاضل معي ومع ان نظري قصير ارى مصائب كثيرة في المستقبل فالحق والكنيسة سوف ينوحان ولكن المسيح لا يتركنا ابدًا .
وهذا النجم الناري لم يحدث حيرة في زوريخ وحدها فان ڤاديان اذ كان ذات ليلة على رابية في جوار سنت غال محفوفًا باصدقائهِ وتلاميذهِ فبعد ان فسر لهم

اسماء النجوم وعجائب الخالق وقف امام هذا النجم الذي كان يعلن غضب الله وثيوفراستوس الشهير قال انهُ لا يدل على سفك الدماء العظيم فقط بل ايضًا بنوع خصوصي على موت رجال علماء افاضل وهذه العلامة السرية بقيت في زيارتها المخيفة الى ٣ ايلول

وعند ما انتشرت اخبار هذه العلامات لم يعد الناس يقدرون ان يتمالكوا انفسهم فاضطربوا في افكارهم وكانوا يجمعون خوفًا فوق خوف وكان لكل مكان مخاوفهُ فان رايتين تتمايلان في السحاب ظهرتا على جبل برونغ وفي زوغ ظهر في السماء ترس وعلى شطوط ريوس كانت تسمع اصوات متواترة في الليل وعلى شط الاربع المقاطعات كانت مراكب بجنود هوائية تطوف في كل جهة فكان الصراخ العمومي الحرب الحرب الدم الدم

وفي وسط هذه الاضطرابات كان زوينكل وحدهُ هادئًا فانهُ لم يرفض شيئًا من هذه العلامات بل كان يتامل فيها بسكون فقال ان القلب الذي يخاف الله لا يبالي بتهديدات هذا العالم فان شغلهُ ان يتمم مقاصد الله مهما جرى والمسافر الذي يلتزم بان يقطع طريقًا طويلة يجب عليهِ ان يتوقع تقطع مركبتهِ وادواتهِ في مدّة سفرهِ واذا حمل بضاعتهُ الى المكان المعين فان ذلك يكفيهِ فنحن مركبة الله وادواتهُ فانهُ لا توجد اداة لا تبلى او تنطوي او تتكسر ولكن سائقنا العظيم لا يكون بذلك اقل تكميلاً لمقاصدهِ العظيمة بواسطتنا أَوليس الاكاليل الاشرف للذين يسقطون في ميدان القتال فتشجعوا اذًا في وسط جميع هذه المخاطر التي ينبغي لعمل المسيح ان يعبر فيها وثقوا وان كنا لا نرى ابدًا في هذه الدنيا غلباتهِ باعيننا فان قاضي القتال ينظر الينا وهو الذي يعطي الاكاليل فان اخرين يتمتعون على الارض باثمار اتعابنا اذ نكون نحن بعد ان ندخل السماء متمتعين بجزاء ابدي

فهكذا تكلم زوينكل اذ كان يتقدم بهدو نحو عجيج العاصف المتهدد الذي كان بثورانهِ المتواتر وهبوبهِ الفجائي يوعد بالموت

الفصل الخامس

عزم المقاطعات الخمس على الحرب . خطاء زوريخ . افتتاح الحرب . ذهاب زوينكل الى الحرب

ان الخمس المقاطعات اجتمعوا في لوسرن وظهر عزمها شديدًا وقر الراي على الحرب فقالت اننا نطلب من المدن ان تعتبر معاهداتنا واذا ابت فاننا ندخل المقاطعات المشتركة قهرًا لاجل جلب الطعام ونقرن الويتنا في زوغ لاجل محاربة العدو . ولم تكن مقاطعات والدستات وحدها . والقاصد اجابةً لطلب اصدقائهِ من اهالي لوسرن امر ان جيوشًا للمساعدة يدفع البابا اجرتهم تزحف نحو سويسرا وبشّر بقرب قدومهم

وهذا العزم جلب الرعدة الى كل سويسرا والمقاطعات المتوسطة اجتمعت ثانيةً في ارَو وعملوا ترتيبًا بهِ تبقى القضية الدينية كما صار القرار عليها في شروط سنة ١٥٢٩ لحمل معتمدون هذه القضايا الى الدواوين المختلفة فرفضتها لوسرن بكبرياء فكان الجواب قولوا للذين بعثوكم اننا لا نعرفهم نظير معلمين لنا واحب الينا ان نموت من ان نسلم بشيءٍ ضد ايماننا فرجع الوسطاء الى ارَو مرتجفين ضعفاء الهمة وهذا العمل غير النافع زاد الاختلاف بين المصلحين واعطى اهالي والدستات اعظم ثقة وزوريخ التي كانت عازمة بهذا المقدار على قبول الانجيل صارت كل يوم اقل عزمًا واخذ اعضاء الديوان برتابون بعضهم في بعض وزوينكل مع ايمانهِ غير المتزعزع بعدالة دعواهُ لم يكن لهُ رجاء بالقتال الذي كان مزمعًا ان يحدث وكانت برن لا تكف عن الطلب من زوريخ ان تحترز من العجلة فكان القول العمومي في زوريخ لا تدعونا نجعل انفسنا عرضةً للتوبيخ على الافراط بالعجلة كما في سنة ١٥٢٩ فلنا اصدقاء ثابتون في وسط والدستات

فلنصبر حتى يخبرونا كما وعدوا بخطر حقيقي

وظهر في اول الامر ان هولاء الملطفين كانوا مصيبين وفي الواقع بطلت الاخبار المخيفة وخبر الحرب المتواتر الذي كان دائمًا ياتي من والدستات كف فلم يلبث ان تكون مخاوف ولا اهوال ولا ريب ان هذه علامات خادعة وفوق جبال سويسرا ووديانها تعلق ذلك السكوت المظلم الخادع الذي يسبق العاصف

وبينما كان اهالي زوريخ نيامًا كان اهالي والدستات يستعدون لنوال حقوقهم بقوة السلاح والروساء الذين كانوا متحدين بعضهم مع بعض بواسطة مصالح ومخاطر مشتركة بينهم وجدوا عضدًا قويًا في غيظ الشعب وفي مجمع من المقاطعات الخمس انعقد في برونين على شطوط بحيرة لوسرن مقابل غروتلي قرئت شروط المعاهدة وطلب من الوكلاء ان يعلنوا باصواتهم رايهم هل الحرب عادلة وشرعية فرُفعت جميع الايدي بارتجاف فاعد اهالي والدستات قتالهم باعمق سر فصارت المحافظة على جميع المعابر وصار كل اختلاط بين زوريخ والخمس المقاطعات امرًا مستحيلاً والاصدقاء الذين اتكل عليهم اهالي زوريخ على شطوط بحيرتي لوسرن وزوغ والذين كانوا قد وعدوهم بانهم يخبرونهم كانوا نظير اسرى في جبالهم وقطعة الثلج الهائلة كانت عتيدة ان تتزحزح عن قمم الجبل المتجلدة وتتدحرج الى الوديان حتى الى ابواب زوريخ قالبة كل شيء في طريقها من دون ادنى تنبيه بسقوطها فكان الوكلاء قد رجعوا خائبين الى مقاطعاتهم وروح الحماقة والضلال الذي هو سابق محزن لسقوط الجمهوريات والملوك كان قد انتشر على كل مدينة زوريخ فان الديوان كان في اول الامر قد حكم باستحضار الجنود المنتظمة ثم اذ انغش بسكوت اهالي والدستات ابطل ذلك الامر بحماقة ولافاتر قائد الجيش كان قد انصرف وهو مغتاظ الى ريبرج وطرح بغضب بعيدًا عنهُ ذلك السيف الذي امرهُ الديوان ان يبقيهُ في غمدهِ وهكذا الارياح كانت مزمعة ان تحل عن الجبال ومياه الغمر العظيم اذ هاجت بواسطة

زلزلة عظيمة كانت قريبة ان تنفجر ومع ذلك سفينة الحكومة التي تركت بحزن كانت تتمايل صاعدة ونازلة من دون مبالاة فوق خليج هائل حال كون مراسيها محلولة وقلوعها غير منشورة وهي عديمة الحركة من دون حاك ولا نواتي ومن دون ديدبان ولا حارس ولا دفة

ان اهالي والدستنات لم يقدروا مع كل اجتهادهم ان يخفوا صوت الحرب الذي كان يدعو اصحابهم الى السلاح من رابية الى رابية والله سمح بان صوت التفزيع يقرع اذني شعب زوريخ مرة واحدة فانهُ في ٤ تشرين الاول صبي صغير لم يكن يدري بما هو عاملهُ نجح في قطع تخم زوغ ووقف وفي يدهِ رغيفا خبز على باب دير كابل المصلح الذي كان في اقصى تخوم مقاطعة زوريخ فأُخذ الولد الى رئيس الدير فاعطاهُ الرغيفين من دون ان ينطق بكلمة وكان عند الرئيس في ذلك الوقت مشير من زوريخ وهو هنري پاير كان قد أُرسل من قبل حكمهِ فاصفر الرئيس عند ما راى ذلك لان هذين الزوريخيين كانا قد قالا لاحد اصدقائهما في زوغ اذا قصدت المقاطعات الخمس الدخول بقوة السلاح الى المقاطعات الحرة فارسل ابنك الينا برغيف واحد ولكن تعطيهِ رغيفين اذا كانوا عازمين على الهجوم دفعة واحدة على المقاطعات المشتركة وعلى زوريخ فكتب الرئيس والمشير بكل سرعة الى زوريخ فقالا كونوا على حذر احملوا اسلحتكم ولكن لم يصر التفات الى هذا الخبر وكان الديوان مشتغلاً في ذلك الوقت باستعمال وسائط لمنع الزخائر التي وصلت من السيس عن دخول المقاطعات وزوينكل نفسهُ الذي لم يكف عن ان يبشر بالحرب لم يصدّق هذا الخبر فقال المصلح ان هولاء القوم هم ماهرون حقًّا واستعداداتهم ربما لا تكون بعد كل شيء الاّ حيلة فرنساوية فانغش لانها كانت حقيقية وكانت اربعة ايام عتيدة ان تكمل خراب زوريخ فلنراجع على التتابع تاريخ تلك المدة الكثيرة المصائب

ويوم الاحد في ٨ تشرين الاول وصل رسول الى زوريخ وطلب باسم الخمس المقاطعات رسائل معاهدة ابدية والاكثرون لم يروا في ذلك الاّ حيلة ولكن

زوينكل ابتدا يلاحظ الصاعقة في الغمام الاسود الذي كان يقرب فكان على المنبر وكانت المرة الاخيرة التي كان عتيدًا ان يتبوأهُ وكان كانهُ راى خيال رومية القوي يرتفع بطريق هائل فوق جبال الالب ويطلب منهُ ومن شعبهِ ان يتركوا الايمان فصرخ قائلاً لا لا اني لا اترك ابدًا فاديَّ

وفي نفس ذلك الوقت وصل بسرعة رسول من مولينان قائد فرسان مار يوحنا في هتزكلخ فقال لارباب الديوان في زوريخ انهُ يوم الجمعة في ٦ تشرين الاوَّل نصب اهالي لوسرن بيرقهم في الساحة الكبيرة وارسلتُ رجلين الى لوسرن فالقوهما في السجن وفي الغد صباحًا نهار الاثنين الواقع في ٩ تشرين الاول سوف تدخل المقاطعات الخمس المقاطعات المشتركة وان اهالي البلاد قد خافوا وهربوا وهم راكضون الينا اجواقًا. فقال ارباب الديوان انها قصة باطلة الاَّ انهم دعوا ثانيةً القائد الاول لافاتر فارسل رجلاً يوثق بهِ اي ابن اخت يعقوب ونكلار وامرهُ ان ينطلق الى كابل واذا امكن يصل الى زوغ لكي يفحص عن تدابير المقاطعات

وان اهالي والدستات كانوا في الحقيقة يجتمعون حوالي راية لوسرن فاهالي تلك المقاطعة ورجال شويتس واوري وزوغ وانتروالدن والمتجئون من زوريخ وبرن مع ايطاليانيين قليلين هم الجزء الاعظم في العسكر الذي جمع لاجل الهجوم على المقاطعات الحرة فاذيع مكتوبان الاول كتب الى المقاطعات والآخر الى الامراء والشعوب الاجنبية

فذكرت المقاطعات الخمس بحرارة التعديات الحاصلة على العهد والاختلاف الذي زُرع في المعاهدة باسرها واخيرًا امتناعهم عن ان يبيعوهم الطعام وان غايتهم الوحيدة بهذا الامتناع ان يحركوا الشعب ضد الحكام ويثبتوا الاصلاح عنفًا ثم قالوا انهُ ليس بصحيح اننا كما يصرخون دائمًا نمنع التبشير بالحق وقراءة الكتاب المقدس ولكننا نظير اعضاء مطيعين للكنيسة نريد ان نقبل كل ما تقبلهُ امنا المقدسة غير اننا نرفض كتب واختراعات زوينكل واصحابهِ

وحالما انصرف الرسل الذين أُرسلوا بهذين المكتوبين ابتدا القسم الاول بزحف ووصل عند المساء الى المقاطعات الحرة واذ دخل الجنود الكنائس المهجورة وراوا ان ايقونات القديسين قد رُفعت والمذابح قد كُسِرت اضطرم غضبهم فانتشروا نظير طوفان في البلاد باسرها ونهبوا كل ما صادفوهُ وكانوا مغتاظين جدًّا على بيوت الرعاة فكسروا الاثاث الذي فيها بالحافان واللعنات وفي الوقت نفسهِ القسم الذي كان عتيدًا ان يكون الجزء الاعظم من العسكر زحف على زوغ بنية الانتقال من هناك الى زوريخ

وكابل التي هي بمسافة ثلاثة فراسخ عن زوريخ ونحو فرسخ عن زوغ هي المكان الاول الذي يصلون اليهِ من ولاية زوريخ بعد ان قطعوا تخوم الخمس المقاطعات فبالقرب من البيس بين تلتين متساويتين علوًّا احداها وهي غرنجيس الى الشمال والاخرى وهي ايفلسبرج الى الجنوب في وسط مراعٍ بهجة كان موقع دير رهبان مار برنارديكتوس القديم الغني الذي في كنيستهِ مدافن عيال كثيرة شريفة من تلك الاقاليم وان الرئيس والفغنغ بونر الذي كان رجلاً صديقًا فاضلاً ومحبًا عظيمًا مشهورًا كان قد اصلح ديرهُ في سنة ١٥٢٧ واذ كان كثير الشفقة وغنيًّا في الاعمال الصالحة وعلى الخصوص نحو فقراء مقاطعة زوغ والمقاطعات الحرة كان لهُ اعتبار عظيم في البلاد قاطبةً فسبق واخبر ماذا تكون نهاية الحرب ولكنهُ حالما قرب الخطر لم يالُ جهدًا عن خدمة بلادهِ

ووصول الخبر الاكيد الى هذا الرئيس بالتجهيزات الحاصلة في زوغ انما كان يوم الاحد مساءً فكان يصعد وينزل الى مخدعهِ بخطوات سريعة وطار النوم من عينيهِ فتقدم الى قنديلهِ وكتب الى صديقهِ المخلص بطرس سملار الذي خلفهُ وكان حينئذٍ قاطنًا في كلجنبرج وهي قرية على حدود البحيرة تبعد نحو فرسخ عن البلدة وكتب بسرعة هذه الكلمات ان الاضطراب والخوف العظيم اللذين يهيجانني يمنعانني عن الاشتغال بترتيب البيت ويلزمني ان اخبركم بكل ما هو آخذ في الاستعداد فان الوقت قد اتى وصوت الله يظهر وبعد اسفار وسوالات

كثيرة قد فهمنا ان المقاطعات الخمس تقوم اليوم اي الاثنين لكي تاخذ هتزكلخ حال كون الجزء الاكبر من العسكر قد جمع الويتة في بار بين زوغ وكابل فاهالي ودبان ادبجي والايطاليون سوف يصلون اليوم او غداً . وهذا المكتوب لاجل سبب لم يُعرَف لم يصل الى زوريخ حتى المساء

وفي تلك الفترة الرسول الذي بعثهُ لافاتر اي ابن اخت يعقوب وكلار زحف على بطنهِ وجاز الحفرة من دون ان يراهُ احد ونجح في السلوك في معابر لم تسلك وعندما وصل الى القرب من زوغ وجد بخوف ان الراية والجيوش المنتظمة كانت تسرع من كل جانب بصوت البوق ثم قطع ايضاً تلك المعابر غير المعروفة راجعاً الى زوريخ بهذا الخبر

وكان قد اتى الوقت لسقوط العصابة عن اعين اهالي زوريخ غير ان الضلال كان مزمعاً ان يبقى الى النهاية والديوان الذي دعي للاجتماع اجتمع منهُ عدد قليل وقالوا ان الخمس المقاطعات تضج ضجة قليلة لكي تخيفنا وتحملنا على رفع الجزء فقرر راي الديوان على ارسال الكولنال رودلف دوميسين واوارلك فونك الى كابل لكي يريا ماذا كان حادثاً فسكن روع كل واحد منهم بواسطة هذا العمل الذي لا معنى لهُ فانصرفوا لاجل الراحة

فلم يناموا زماناً طويلاً فان كل ساعة كانت تاتي برسل جديدة يلقون الصوت في زوريخ فقالوا ان الويبة اربع مقاطعات هي مجتمعة في زوغ وهم الآن في انتظار اوري واهالي المقاطعات الحرة راكضون الى كابل ويطلبون سلاحاً فالاغاثة الاغاثة

وقبل طلوع النهار اجتمع الديوان ايضاً وامر باجتماع المئتين وان رجلاً شيخاً قد شاب في ميدان القتال وفي مجلس الحكومة الفارس يوحنا شوينتزر رفع راسهُ الذي انهكتهُ الشيخوخة وكانهُ اطلق الشرارة الاخيرة من عينيهِ وصرخ قائلاً الآن في هذه الدقيقة ارسلوا باسم الله محافظين الى كابل ودعوا العسكر يجتمع حالاً حول اللواء ويتبعهم في الحال ولم يقل غير ذلك ولكن الرباط السحري لم

يكن قد انحل بعد فقال قوم اننا نعلم ان فلاحي المقاطعات الحرة هم عجلون ويتحركون بسهولة ويجعلون الامور اعظم مما هي في الحقيقة فالطريق الاكثر حكمةً ان ننتظر تقرير المشيرين فلم يلبث ان يكون في زوريخ ساعد للمحاماة ولا عقل لاعطاء النصائح

وقبل الظهر بخمس ساعات اذ كان المحفل لم يزل جالسًا وصل رودلف غوارب راعي ريغرسخويل بالقرب من كابل وقال ان شعب مقاطعة كنونو هم مجتمعون حول الدير ويطلبون بصوت عالٍ الروساء والنجدة والاعداء يتقدمون ويقولون هل يترك ساداتنا الزور يخبون انفسهم ويتركوننا معهم وهل يريدون ان يدفعونا للقتل والراعي المذكور الذي عاين هذه الامور المحزنة كان يتكلم بحرارة وان المشيرين الذين كان ضلالهم مزمعًا ان يبقى الى الاخير اغتاظوا من هذه الرسالة فاجابوا وهم يتمايلون في كراسيهم الكبار انهم يريدون اننا نتصرف بالجهالة

ولم يكف تقريبًا عن الكلام حتى اتى رسول آخر عليهِ علامات اشد الرعبة وهو شويزر صاحب فندق على جبل البيس وقال ان سيديَّ دونيسين وفونك قد ارسلاني اليكم بكل سرعة لكي اخبر الديوان بان الخمس المقاطعات قد اخذت هتزكلخ وانهم الآن آخذون في تجميع جميع جيوشهم في بار وقد بقي سيداي في المقاطعات الحرة لكي يخبرا الاهالي الخائفين

وفي هذه المرة اصفر لون الذين كانوا الاكثر طمانينة والرعدة التي ضُبطت في كل تلك المدّة جازت كالبرق في كل قلب فان هتزكلخ صارت بيد العدو والحرب ابتدات

فقر الراي ان يرسلوا الى كابل ست مئة رجل بستة مدافع ولكن فوض الامر الى جرجس غودلي الذي كان اخوهُ في عسكر الخمس مقاطعات وامر بالمدافعة فقط من دون ان يتعرض للعدو وحالما ترك غودلي وجيوشهُ المدينة جمع لافاتر القائد الاوّل الى قاعة الديوان الصغير الفارس الشيخ شويتزر وولبم

تونين رئيس الرماحة ويعقوب داتيكون رئيس الطبجية وزوينكل واخرين غيرهم وقال لهم دعونا نتكلم حالاً عن وسائط انفاذ المقاطعة والمدينة ودعوا اصوات الاجراس تدعو جميع الاهالي والقائد الاوّل كان خائفاً ان ارباب الديوان يتقاعدون عن هذا العمل فاراد ان يجمع الشعب بواسطة مجرد راي روساء العساكر وزوينكل فقالوا اننا لا نقدران نعمل ذلك من انفسنا فان الدبوانين لا يزالان جالسين فلنقدم لهما هذا الراي فبادروا الى المجلس ولكن لاجل النعس لم يكن على المقاعد الاّ اعضاء قليلون من الديوان الصغير فقالوا ان قبول المئتين ضروري فحصل ايضاً تاخر جديد وكان العدو آخذاً في التقدم وبعد الظهر بساعتين اجتمع الديوان الكبير ثانيةً وذلك لكي يعمل فقط خطابات طويلة من دون فائدة واخيراً حصل القرار وعندما خيم الليل كنت تسمع مناداة الاجراس في جميع البلاد وكانت الخيانة مقرونة بهذا البطوء وان بعض الاشخاص الذين ادّعوا بانهم قد ارسلوا من قبل زوريخ اوقفوا الشعب المجتمع في اماكن كثيرة كانهُ مضاد لراي الديوان فرجع كثيرون من الاهالي وناموا ايضاً وكانت ليلة رهيبة فان الظلام الكثيف والعاصف الشديد واصوات الاجراس من كل قبة ومبادرة الناس الى السلاح واصوات السيوف والبواريد وصوت الابواق والنفير المقرونة بعجيج العاصف وعدم الاركان والتذمر والخيانة ايضاً التي نشرت الكآبة في كل مكان وعويل النساء والاولاد والبكاء الذي اقترن بوداعات كثيرة تمزق القلب والزلزلة التي حدثت قبل انتصاف الليل بثلاث ساعات كأنَّ الطبيعة نفسها قد ارتجفت من الدم الذي كان مزمعاً ان يراق وحركت بعنف الجبال والوديان فان جميع هذه الامور زادت رعبة تلك الليلة الهائلة التي كان عتيداً ان يتلوها نهار اهول

واذ كانت هذه الحوادث جارية نزل اهالي زوريخ على اعالي كابل وكان عددهم نحو الف رجل ونظروا الى زوغ والبحيرة يلاحظون باحتراز كل حركة فراوا بغتةً قبل الليل بقليل بعض قوارب مملوّة جنوداً آتية من جهة ارث

وتجذف قاطعة البحيرة وذاهبة نحو زوغ وكان عددها يتزايد فكان قارب يتبع قارباً ثم سمعوا سريعاً بوضوح عجيج ثور (قرن) اوري فقامت جنود اوري ورماحة اديجي وقفزت الى الشاطي حيث قبلوا بالفرح ونزلوا هناك تلك الليلة فاخبروا ارباب الديوان بكل سرعة بان الاعداء قد تجمعوا

فكان الاضطراب في زوريخ اعظم ما كان في كابل واضيف الى الارتباك عدم التحقيق واذ كان العدو يقاتلهم من كل جهة لم يكونوا يعلمون الى ابن يرسلون النجدة وبعد انتصاف الليل بساعتين خرج الى مدينة بريغرتن خمس مئة رجل باربعة مدافع وثلاث مئة او اربع مئة رجل بخمسة مدافع الى واد نسخويل فكانوا يميلون الى اليمين والى اليسار حال كون العدو قدامهم

واذ خاف الديوان من ضعفهِ عزم على ان يستغيث من دون ابطاء بدن المعاهدة المسيحية فكتب يقول بما ان هذه العصاوة انما هي مسببة عن كلام الله نترجاكم اولاً وثانياً وثالثاً بصوت عالٍ ونصاحة وثبات وحرارة بمقدار ما يسمح لنا ويامرنا عهدنا القديم وارتباطنا المسيحي ان تقوموا من دون ابطاء بجميع قواتكم فالسرعة السرعة السرعة وتصرفوا بكل عجلة على قدر الامكان فان الخطر عليكم كما هو علينا فهكذا تكلمت زوريخ ولكن كانت الفرصة قد فاتت

وعند الفجر رفعت الراية امام قاعدة البلدة وعوضاً عن انها تنتشر في الهواء بجلال كانت مرتخية على العصا وكان ذلك فالاً محزناً ملا قلوب الجميع خوفاً فوقف لافاتر تحت رايتهِ ولكن مضى زمان طويل قبل ان اجتمع معاً مئات قليلة من الجنود ففي الساحة وفي المدينة باسرها كان التشويش والاضطراب مستحوذاً على الناس والجنود الذين تعبوا بسبب سرعة الزحف او طول الانتظار ضعفت همتهم وجبنوا

وقبل الظهر بساعتين لم يكن الا سبع مئة رجل تحت السلاح فان المحبين لانفسهم والفاترين واصدقاء رومية والاجور الاجنبية بقوا في بيوتهم فان البعض من الشيوخ الذين كانت شجاعتهم اكثر من قوتهم وكثيرون من ارباب الديوان

الذين كانوا قد كرسوا انفسهم للمحاماة عن كلمة الله المقدسة وكثيرون من خدام الكنيسة الذين كانوا يرغبون في ان يعيشوا او يموتوا مع الاصلاح واجسر اهالي البلد وجمهور من الفلاحين ولاسيما الذين كانوا من جوار المدينة فهولاء كانوا المحامين الذين كانوا فاقدين تلك القوة الادبية اللازمة بهذا المقدار للغلبة وكان سلاحهم غير كامل وهم من دون ملابس عسكرية فاجتمعوا بعدم ترتيب حول راية زوريخ

وكان الواجب ان عدد العسكر يكون قد بلغ اقل ما يكون ٤٠٠٠ رجل فكانوا لا يزالون ينتظرون ولم يكونوا قد حلفوا الحلف المعتاد ومع ذلك وصل سعاة بعد سعاة مقطوعي النَفَس ومضطربين لكي يبشروا بالخطر العظيم الذي كان يتهدد زوريخ وكل هذا الجمهور غير المنتظم كان يضطرب بعنف ولم يعودوا ينتظرون اوامر قوادهم وكثيرون كانوا من دون ان يحلفوا يثورون من الابواب وخرج على هذا المنوال نحو ٢٠٠ رجل من دون ترتيب وجميع الذين بقوا كانوا يتهيأون للانصراف

وعند ذلك راوا زوينكل يخرج من بيت قدامهُ حصان مسروج يضرب برجليهِ ضجرًا وكان منظرهُ ثابتًا الّا انهُ كان مكدرًا بالحزن فودع زوجتهُ واولادهُ واصدقاءهُ الكثيرين من دون ان يغش نفسهُ وبقلب منكسر وكان يلاحظ النوء الذي كانت تدفعهُ ريح هائلة فتقدم نظير زوبعة نحوهُ واسفاهُ انهُ هو نفسهُ كان قد جلب هذا العاصف بواسطة تركهِ دائرة الانجيل السلام واقحامهِ نفسهُ الى وسط الآلام السياسية وكان موقنًا انهُ يكون ضحيتهُ الاولى فانهُ قبل هجوم اهالي والدستنات بخمسة عشر يومًا قال عن المنبر اني اعلم معنى كل هذا فانا هو الشخص الذي يشار اليهِ على الخصوص فان ذلك جميعهُ يتم لكي اموت . والديوان حسب عادة قديمة طلب منهُ ان يرافق العسكر نظير واعظ لهُ وهو لم يتقاعد بل اعد نفسهُ من دون اندهال ولا غضب وبهدو مسيحي وضع نفسهُ بثقة بيدي الهِهِ واذا كان عمل الاصلاح مقضيًا عليهِ بالهلاك فانهُ كان مستعدًا لان يهلك معهُ واذ

كانت زوجتهُ الباكية واصدقاؤهُ محدقين بهِ مع اولادهِ الذين تعلقوا بثيابهِ لاجل صدهِ ترك ذلك البيت الذي ذاق فيهِ هذا المقدار من الغبطة وحالما وضع يدهُ على حصانهِ عند ما كان مزمعًا ان يركب اجفل الحيوان بعنف راجعًا الى الوراء مسافة خطوات عديدة وبعدما استوى في صهوة السرج امتنع الحصان الى حين عن التقدم جامحًا او قافزًا الى الوراء كما فعل ذلك الحصان الذي ركبهُ اعظم قواد الازمان الحديثة عند ما كان قريبًا ان يقطع نهر نيمن وان كثيرين في زوريخ ظنوا في ذلك الوقت كما ظن جندي الجيش العظيم عند ما راى نابوليون على الارض ان هذا فال ردي والقائد الروماني القديم كان رجع الى الوراء عند ذلك واذ اخضع زوينكل اخيرًا حصانهُ اطلق العنان واستعمل النخاسات وسار مقدمًا وتوارى عن اصحابهِ

وقبل الظهر بساعة تقدمت الراية وجميع الذين بقوا في الساحة وكانوا نحو خمس مئة رجل اخذوا يتقدمون معها والجانب الاكبر قد خطفوا بصعوبة من بين ايدي عيالهم وكانوا يمشون بالحزن والسكوت كأنهم منطلقون الى الاوتاد عوضًا عن القتال فلم يكن ترتيب ولا تدبير فكان الرجال منفردين متفرقين والبعض يركضون امام البيارق والبعض وراءها وكان تشويشهم المفرط منظرًا مخيفًا حتى ان الذين تركوهم وراءهم من النساء والاولاد والشيوخ امتلأوا احتسابات مظلمة وكانوا يقرعون صدورهم عند ما مرُّوا بهم وبعد ذلك بسنين كثيرة تذكر ذلك اليوم المرعب اضطرابًا وكآبةً اوجب اوسوالد ميكونيوس ان يقول اني كلما تذكرتهُ يكون كأنَّ سيفًا قد طعن قلبي وزوينكل الذي كان متسلحًا حسب عادة واعظي المعاهدة كان راكبًا بحزن وراء الجمهور المضطرب فتوارى زوينكل وبقي اوسوالد للبكاء

وهو لم يذرف الدموع وحدهُ فان النحيب كان يُسمع في كل مكان وتحول كل بيت الى بيت صلوةٍ وفي وسط ذلك الحزن العمومي بقيت امراة واحدة ساكتة فان بكاءها الوحيد كان قلبًا مرًّا وكل كلامها عين الايمان الوديعة المبتهلة وهي

حنة زوجة زوينكل فانها رات زوجها يسافر وابنها واخاها وعددًا كبيرًا من الاصدقاء المخلصين والاقارب الذين كانت تتوقع قرب موتهم ولكن نفسها التي كانت قوية كنفس زوجها قرّبت لله ذبيحة اطهر عواطفها. فاسرع محامو زوريخ بالتدريج في سيرهم حتى تلاشت الضجة في بعد المسافة

الفصل السادس

ساحة الحرب . المشورة عند الشجرة . الكمين

وتلك الليلة التي كانت هائجة بهذا المقدار في زوريخ لم تكن اهدا بين سكان كابل بل بلغهم اخوف الاخبار خبر بعد خبر وقد كان ضروريًا ان يرتب العسكر حول الدير حتى يستطيع مدافعة العدو والى ان تصل النجدة التي كانوا يتوقعونها من المدينة فالقوا ابصارهم على تل صغير كان موقعهُ الى الشمال لجهة زوريخ تخترقهُ السكة وكان سطحهُ مع عدم استوائهِ متسعًا اتساعًا كافيًا وخليج عميق كان محدقًا بهِ من جهاتهِ الثلاث كان يقيهِ من وثبات العدو الا ان جسرًا صغيرًا كان المعبر الوحيد من جانب زوريخ وذلك جعل الرجوع بسرعة امرًا خطرًا جدًّا والى الجنوب الغربي كان حرش والى الجنوب الى جهة زوغ السكة ووادٍ موحل فصرخ جميع الجنود خذونا الى تل الغرانجس فاخذوا الى هناك ووضعت المدافع بالقرب من بعض الخرابات فاصطفت الجيوش الى جانبي الدير وزوغ ووضعت الخفرة عند قاعدة المنحدر

وفي هذه الفترة اعطيت العلامات في زوغ وبار وضرب بالابواق واخذت جنود الخمس المقاطعات اسلحتهم وحاسية الفرح العمومي انعشتهم جميعًا وفتحت الكنائس وقرعت الاجراس وصفوف المقاطعات المنتظمة دخلوا كنيسة مار اوسوالد حيث تلي القداس وقدم القربان عن خطايا الشعب فابتدا الجيش

بالهجوم قبل الظهر بثلاث ساعات برايات منشورة فيوحنا غولدر كان قائدًا لجيش لوسرن ويعقوب تروغوبر قائد جيش اوري وريجموث الذي كان عدوًّا الد للاصلاح قائد جيش شويتس وزلجر قائد جيش انتروالدن واسوالد دوس قائد جيش زوغ فهجم ثمانية الاف رجل بترتيب القتال وجميع مختاري الخمس المقاطعات كانوا هناك وهولاء الوالدستانيون اذ كانوا مرتاحين نشيطين بعد ليلة هادية ولم يبقَ عليهم سوى فرسخ قصير يقطعونهُ للوصول الى العدو تقدموا بخطوة ثابتة قانونية تحت امر روسائهم

وعند وصولهم الى رياض زوغ المشاعة عرجوا لكي يقسموا القسم فرفعت كل يد نحو السماء واقسم الجميع باخذ الثار واذ كانوا عتيد بن ان ياخذوا ايضًا في طريقهم اشار اليهم بعض الشيوخ ان يقفوا وقالوا ايها الاصحاب اننا قد اغظنا الله فان تجاديفنا واحلافنا وحروبنا وحقدنا وكبرياءنا وسكرنا وزناءنا ومال الغرباء الذي مددنا اليهِ ايدينا وجميع التعديات التي مارسناها قد اغاظتهُ جدًّا حتى اذا قاصنا اليوم ننال فقط جزاء ذنوبنا وحركة الروساء امتدت الى الصفوف وجميع الجيش احنوا ركبهم في وسط الصحراء وصار سكوت عظيم وكل جندي براس منحنٍ رسم الصليب على نفسهِ بورع وتلا بصوت منخفض خمس مرات ابانا ومثلها السلام وقانون الايمان وصارت تلك البقعة ساكنة كانها قفر متسع هادىء ثم سمع بغتةً صوت جمهور غفير فنهض الجيش فقال القواد ايها الجنود انتم تعلمون علة هذه الحرب فضعوا نساءكم واولادكم دائمًا امام اعينكم

وحينئذٍ تقدم منادي لوسرن وهو لابس علامة المقاطعة وجاء الى روساء الجيش فوضعوا في يديهِ اشهار الحرب المورخ في ذالك اليوم بعينهِ والمختوم بختم زوغ ثم سار راكبًا يتقدمهُ مبوق لكي ياخذ الورقة الى قائد الزوريخيين

وكان الوقت قبل الظهر بساعة فابصر الزوريخيون سريعًا جيش العدو والقوا نظرًا حزينًا على القوة القليلة التي كانت عندهم لمضادتهِ فكان الخطر يزداد كل دقيقة فاحنى الجميع ركبهم وكانت اعينهم مرفوعة نحو السماء وكل

زوريخي صرخ من صميم قلبهِ مصلياً الى الله طلباً للنجاة وحالما انتهت الصلاة استعدوا للقتال فكان في ذلك الوقت نحو الف ومئتي رجل تحت السلاح

وعند الظهر ضُرب ببوق الخمس المقاطعات ليس بعيداً عن المحلة فجمع غودلي اعضاء الديوانين الذين اتفق وجودهم من العسكر مع اصحاب الوظائف العليا والدنيا وبعد ان رتبهم في دائرة امر الكاتب رينهرد ان يقرا اشهار الحرب الذي اتى بهِ معتمد لوسرن وبعد القراءة فتح غودلي ديوان حرب فقال لندلت محصل مربك اننا قليلو العدد وقوات اخصامنا هي عظيمة ولكنني اتوقع هنا العدو باسم الله فقال رودلس ريغلار قائد الرماحة كيف نتوقع. ذلك مستحيل. دعنا بالحري نتسلم الترعة التي تقطع الطريق لكي نرجع ولنرفع متاريس في كل مكان . وكان ذلك بالحقيقة الواسطة الوحيدة للامان ولكن رودي غالمان اذ حسب كل خطوة الى الوراء جبانةً صرخ ضارباً الارض برجليهِ ضرباً عنيفاً وملقياً نظراً حادّاً نحو الذين حولهُ وقال هنا هنا يكون قبري وقال اخرون من اصحاب الوظائف انهُ قد مضى الوقت للرجوع بشرف فان هذا اليوم هو بيدي الله فلنحتمل كل ما القاهُ علينا فعُرض ذلك على القرعة

وحالما رفع اعضاء الديوان ايديهم علامة للقبول سمعت ضجة عظيمة حولهم فصرخ جندي من الخفرة وصل بسرعة القائد القائد فاجابهُ واحد من المحافظين اسكت اسكت انهم مجتمعون فقال الجندي انهُ لم يبقَ وقت للاجتماع فخذني حالاً الى القائد وعند ما وصل الى امام غودلي صرخ بصوت مضطرب ان خفرتنا ابتداوا يرجعون فان العدو هناك وهم متقدمون في الحرش بكل قوتهم وجلبة عظيمة ولم يكف عن الكلام حتى ركض الخفرة الذين كانوا في الحقيقة يهربون من كل جهة وراوا سريعاً جيش الخمس المقاطعات يصعد على منحدر ايفلسبرج تجاه الغرانجيس ويهيئ بواريدهُ وكان قواد والدسنات يفحصون المكان ويطلبون ان يجدوا طريقاً للوصول الى جيش زوريخ واهل زوريخ يفحصون عن طريق للوصول الى اخصامهم وطبيعة الارض كانت تمنع جيوش

والدستات من الاجنياز من اسفل الدير الا انهم كانوا قادرين على الوصول من طريق اخر واولربرودر الذي كان احد مصلحي هوسن في مقاطعة زوريخ كان يحدق بنظره المضطرب نحو الحرش فصرخ كثيرون بصوت واحد انهُ من هناك يهجم علينا العدو فالفؤوس الفؤوس ولنقطع الاشجار اما غودلي ورئيس الدير واخرون كثيرون قاوموا ذلك فقالوا اذا سددنا الحرش بقطع الاشجار فاننا نحن نكون غير قادرين على استعمال مدافعنا نحو تلك الجهة ولكن دعونا اقل ما يكون نضع بعض الرماحة هناك فاجاب القائد اننا الآن جماعة قليلة جدًا حتى انهُ لا يكون موافقًا ان نقسم العسكر فلم تكن الحكمة ولا الشجاعة عنيدتين ان تخلصا زوريخ فطلبوا ثانيةً عون الله وكانوا في الانتظار

وبعد الظهر بساعة اطلقت الخمس المقاطعات البارودة الاولى فعبرت الرصاصة فوق الدير وسقطت تحت الغرانجيس والرصاصة الثانية جازت فوق صف القتال والثالثة اصابت سياجًا بالقرب من الخرابات واذ راى اهالي زوريخ ان القتال قد ابتدا اجابوا بشجاعة ولكن البطو وعدم التقانة في استعمال المدافع في تلك الايام منعا حدوث خسارة عظيمة لاحد الجانبين وعند ما راى العدو ذلك امروا مقدمة جيشهم بالنزول عن ايفلسبرج والوصول الى الغرانجيس مارين بالروضة وسريعًا تقدم جيش الخمس المقاطعات في تلك الجهة ولكن بصعوبة وعلى طريق شاقة والبعض من رماحة زوريخ اتوا واخبروا بارتباك المقاطعات فصرخ رودي غالمان قائلاً ايها الزوريخيون الشجعان اذا هجمنا عليهم الآن فانها تكون نهايتهم وعند هذه الكلمات استعد البعض من الجنود لدخول الحرش من جهة الشمال والهجوم على اهالي والدستات الخائفين ولكن اذ راى غودلي هذه الحركة صرخ الى اين تذهبون اما تعلمون اننا قد اتفقنا على عدم الافتراق وحينئذٍ امر الجنود بالرجوع لكي يبقى الحرش مفتوحًا بالتمام للعدو فاكتفوا باطلاق بعض طلقات غير مقصودة حينًا بعد حين لكي يمنعوا المقاطعات الخمس من التمكن هناك واطلاق المدافع بقي الى ما بعد الظهر

بثلاث ساعات وكان يشر طولاً وعرضًا حتى الى بريمغرتن وزوريخ بان القتال قد ابتدا

وفي تلك الفترة راية زوريخ العظيمة وجميع الذين كانوا محدقين بها ومن جانبهم زوينكل اتوا من دون ترتيب نحو البيس ومن مضي سنة كان زهو المصلح قد توارى بالكلية فكان رزينًا كئيبًا سهل التاثر اذ كان على قلبهِ حمل يسحقهُ سحقًا وكان مرارًا يطرح نفسهُ على قدمي سيدهِ باكيًا ويطلب بالصلاة القوة التي كان محتاجًا اليها ولم يكن احد قد لاحظ فيهِ قط غيظًا بل بالعكس كان يقبل بحلم المشورات التي كانت تقدم وبقي متعلقًا بمحبة باناس لم تكن اراؤهم كارائهِ وتقدم بنجيب في الطريق المودية الى كابل ويوحنا مالرمن ونترهو الذي كان راكبًا وراءهُ بمسافة خطوات قليلة كان يسمع تنهداتهِ الممزوجة بصلاة حارة واذا كلمهُ احد وجدهُ ثابتًا وقويًا في السلام الصادر من الايمان الَّا انهُ لم يخفِ ايقانهُ بانهُ لا يرى عائلتهُ بعد ولا كنيستهُ فهكذا كانت تتقدم قوات زوريخ ويا لهُ من تقدم تعيس يشبه الجنازة اكثر من جيش ذاهب الى القتال . وبينما هم يتقدمون كانوا يرون رسولاً وراء رسول يستكدون خيلهم على الطريق ويترجون اهالي زوريخ ان يسرعوا الى نجدة اخوتهم

وفي ادلسويل عبروا الجسر الذي تمر تحتهُ مياه نهر سيهل القوية وقطعوا القرية في وسط النساء والاولاد والشيوخ الذين كانوا وقوفًا امام منازلهم وينظرون بحزن الى هذا العسكر العديم الترتيب ابتدأوا يصعدون على البيس وكانوا في نحو نصف الطريق عن كابل عندما سمع اطلاق المدفع الاول فوقفوا واصغوا فتبعهُ ثانٍ وثالث فلم يلبث ان يكون شك فان مجد الجمهورية ونفس وجودها صارا تحت الخطر وهم ليسوا مستعدين للمدافعة فاخذ الدم يجد في عروقهم ثم نهضوا بغتةً وابتدا كل واحد يركض الى نجدة اخوتهِ ولكن الطريق على البيس كانت اصعب كثيرًا مما هي الآن والمدافع التي كانت ردية النظام لم تقدر ان تصعد عليهِ والشيوخ والاهالي والمدن الذين قل ما كانوا متعودين الهجوم وهم

مثقلون با لاسلحة كانوا يتقدمون بصعوبة مع انهم كانوا الجانب الاعظم في العسكر فكنت تراهم يقفون الواحد بعد الاخر برنجعون تعبًا واعياء على جوانب الطريق بالقرب من الغابات والمضيقات التي في البيس ينسندون على الاشجار و ينظرون بعين مويسة الى قمة الجبل المغطاة باحراش الصنوبر . ثم اخذوا في طريقهم فكانت الخيالة واقوى المشاة يتقدمون واذ وصلوا الى الحرش الذي على راس الجبل وقفوا هناك لاجل الاستشارة

فما ابهج المنظر الذي كان ممتدًا امام اعينهم اي زوريخ والبحيرة وشطوطها المبتسمة تلك الحدائق والحقول المخصبة وتلك التلال المغطاة بالكروم وجميع المقاطعة تقريبًا التي كانت واأسفاه عتيدة بعد قليل ان تخرب بايدي جيوش مقاطعات الفورست

وحالما ابتدا هولاء الرجال الشرفاء العقول في المحاورة اتت رسل جديدة من كابل الى امامهم صارخين اسرعوا تقدموا وعند هذه الكلمات كثيرون من الزوريخيين تهياوا للهجوم نحو العدو ولكن تونين قائد الرماحة اوقفهم فقال لهم يا اصحابي ماذا نقدر ان نعمل وحدنا ضد مثل هذه القوات العظيمة فلننتظر هنا حتى يجتمع قومنا وحينئذٍ نهجم على العدو بكل الجيش فاجاب القائد العام الذي كان مويسًا من انقاذ الجمهورية وكان يفتكر فقط ان يموت موتًا مجيدًا نعم لو كان لنا جيش ولكن لنا راية من دون جنود فقال زوينكل كيف يمكننا ان نقف بهدوءٍ على هذه الاعالي ونحن نسمع اصوات الرصاص الذي يرمى بهِ اهالي بلادنا فباسم الله اهجم مع اخوتي الجنود مستعدًا للموت او لانقاذهم فقال الخيال شويتزر الشيخ وانا كذلك ثم التفت بازدراء نحو تونين وقال واما انت فاصبر حتى تستفيق قليلاً فاجاب تونين وقد علت الحمرة وجههُ انني مرتاح مثلك وسوف ترى اذا كنت اقدر على القتال ام لا فاسرع الجميع نحو ميدان القتال

فكان انحدارهم سريعًا فدخلوا في الاحراش وجازوا في قرية هوسن واخيرًا وصلوا الى القرب من الغرانجيس وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر عند ما عبرت

الراية الجسر الضيق المودي الى هناك وكان عدد الجنود حولها قليلاً بهذا المقدار حتى ان كل واحد كان يرتعد عند نظره تلك الراية الموقرة معرضًا هكذا لرشقات اعداء اقوياء بهذا المقدار وجيش المقاطعات الخمس كان في ذلك الوقت يعرض نفسهُ امام اعين الاتين الجدد فتفرس زوينكل بهذا المنظر المهول وقال انظروا ما اعظم جماهير هولاء الجنود فانهُ بعد دقائق قليلة يضيع ربما الى الابد تعب احدى عشرة سنة وان واحدًا من اهالي زوريخ يقال لهُ ليونرد بركهرد كان مبغضًا للمصلح قال لهُ بصوت خشن ماذا تقول يامعلم اولرك عن هذا الامر هل الفجل مملح بالكفاية فمن ياكلها الآن فاجاب زوينكل انا وكثيرون من الابطال الذين هم هنا بيد الله فقال بركهرد خجلاً بالحال من فظاظتهِ وانا كذلك فاني اساعد على اكلها وانا اخاطر بنفسي لاجلها ففعل كذلك واخرون كثيرون معهُ كما يخبرنا الراوي

وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر فكانت الشمس تسير بسرعة والوالدستاتيون لم يتقدموا فابتدا الزوريخيون يفتكرون ان القتال يتاخر الى الغد وفي الواقع اذ راى روساء الخمس المقاطعات راية زوريخ العظيمة تصل والليل قد قرب وعدم امكانهم ان يقطعوا تحت نيران الزوريخيين الوهدة الفاصلة بين المقاتلين كانوا يفتشون على مكان تصرف فيهِ جيوشهم الليل قال بولنجر انهُ لو ظهر في هذه الدقيقة وسطاء بين الفريقين لكانت قبلت وساطتهم

ولما لاحظ الجنود تردد روسائهم ابتداوا يتقمقمون باصوات عالية فقال واحد ان الاكابر يتركوننا وقال اخران القواد يخافون من ان يعضوا ذنب الثعلب وصرخ الجميع ان عدم الهجوم عليهم يكون خرابًا لنا وفي هذا الوقت كان رجل جسور يدبر حيلة حاذقة كانت عتيدة ان تقضي قضاء النهار فان محاربًا من اوري اسمهُ يوحنا يوخ الذي كان سابقًا محصل سرغنس وكان شهيرًا برمي الرصاص وجنديًا خبيرًا اخذ معهُ بعض الرجال وذهب الى يمين جيش الخمس المقاطعات ودخل في وسط الحرش الماد على هيئة نصف دائرة الى

الشرق بوصل تل ايفلسبرج بتل الغرانجيس فوجد الحرش فارغًا ووصل الى محل مسيرة خطوات قليلة عن الزوريخيين واذ اختبا هناك وراء الاشجار راى من دون ان يُرَى قلة عددهم وعدم احتذارهم ثم انصرف برفق وذهب الى القواد في نفس الدقيقة التي كان فيها التمقم عنيدًا ان يتغلب عليهم وصرخ هذا هو الوقت للهجوم على العدو فاجاب تروغوبر قائد اوري الاول ايها الصاحب العزيز هل معناك انهُ يجب ان تاخذ في العمل في هذه الساعة المتاخرة وعدا ذلك ان الرجال يعدّون الآن منازلهم وكل واحد يعلم ماذا اصاب اباءنا في نابلوس وماريىنان عند ما ابتداوا بالحرب قبل الليل بقليل وفضلاً عن ذلك انهُ عيد الاطفال واجدادنا لم يحاربوا قط في ايام الاعياد فاجاب بوخ لانفتكر باطفال بيت لحم ولكن دعنا بالحري نفتكر بالاطفال الذين تركناهم في منازلنا وان غسبرد غودلي الزوريخي اخا قائد الغرانجيس قرن طلباته مع طلبات محارب اوري وقال انهُ يجب علينا ان نضرب الزوريخيين هذه الليلة او نُضرَب منهم في الغد فاختاروا ما شئتم

وكان كل ذلك من دون فائدة فان الروساء لم يكونوا يتزعزعون واخذ الجيش يعد منازلهُ وعند ذلك محارب اوري الذي علم مثل ما علم ابن بلدهِ الشهير وليم تلّ ان الشرور العظيمة تحتاج الى علاجات عظيمة استل سيفهُ ونادى فليتبعني جميع المعاهدين الصادقين ثم وثب بغتةً الى سرجهِ ولكز حصانهُ قاصدًا الحرش وفي الحال ثار الى الحرش وراءهُ قوم من الرماحة وجنود من ادبج ومحاربون كثيرون اخرون من الخمس المقاطعات وعلى الخصوص من انترو الدن وكان عدد الجميع ٣٠٠ رجل وعند ما راى بوخ ذلك لم يعد يرتاب بظفر اهالي والدستات. قال تشودي انهُ حوّل عن حصانهِ وجثا على ركبتيهِ لانهُ كان رجلاً خائف الله وهكذا فعل جميع تابعيهِ فطلبوا معًا مساعدة الله وامهِ الطاهرة وجميع اجناد السماء ثم تقدموا واذ كان محارب اوري لا يريد ان يخاطر باحد غيرهِ اوقف عسكرهُ سريعًا وكان يتسرق من شجرة الى شجرة حتى وصل الى

منقطع الحرش واذ راى ان العدو كان عديم الحذر بالكلية رجع الى رماحتهِ وقادهم برفق متقدماً بهم ووضعهم بسكوت وراء اشجار الحرش وامرهم ان يسددوا بواريدهم حتى لا يخطئوا عن رجالهم وفي هذا الوقت اذ راى روساء الخمس المقاطعات ان هذا الرجل الجسور كان عتيدًا ان يبتدي بالقتال عزموا ضد اراداتهم وجمعوا عساكرهم حول الالوية

الفصل السابع

ساحة الحرب . قتل الرعاة . موت زوينكل . فظاظة المنتصرين .
اليوم بعد الوقعة

ان اهالي زوريخ خافوا من ان العدو يسد عليهم الطريق المودي الى قصبتهم فاخذوا يوجهون جانباً من عساكرهم ومدافعهم نحو تلٍّ يطل عليها وفي نفس الدقيقة التي فيها الرماحة الذين كانوا في الحرش سددوا اسلحتهم على الاعداء جازت هذه القطعة من العسكر بالقرب من الحرش الصغير وصار سكوت عميق جدًّا في هذه الوحدة وكل واحد كان قائماً هناك اختار الرجل الذي اراد ان يرميهُ وصرخ يوخ باسم الثالوث الاقدس الله الآب والابن والروح القدس وام الله الطاهرة وجميع اجناد السماء اطلقوا . وفي الحال خرج الرصاص المميت من الحرش وتبع هذا الاطلاق الهائل مقتلة عظيمة في صفوف الزوريخيين والقتال الذي ابتدا قبل ذلك باربع ساعات ولم يعتبرهُ اهل زوريخ صار مهولاً والسيف لم يكن عتيدًا ان يرجع ايضاً الى غمدهِ حتى يكون قد استحم بمجاري الدم والذين لم يسقطوا من اهالي زوريخ بهذه الرشقة الاولى انطرحوا على الارض حتى مرَّ الرصاص فوق روؤسهم الا انهم نهضوا سريعاً قائلين هل نترك انفسنا للقتل لا ولكن دعونا بالحري نقاتل العدو فتناول لا فاتر رمحاً وثار الى اول الصفوف

وصرخ قائلاً ايها الجنود احفظوا شرف الله وشرف ساداتنا وتصرفوا تصرف شجعان اما زوينكل وهو ساكت وصاح كما تكون الطبيعة قبل هبوب العاصف فكان هناك ايضاً رمحاً في اليد فقال برنرد سبر ونغلي يا معلم اولرك تكلم مع الشعب وشجعهم فقال زوينكل ايها المجاهدون لا تخافوا شيئاً فاننا اذا كنا اليوم ننكسر لا تزال دعوانا صحيحة فسلموا انفسكم بيد الله

فحول الزوريخيون حالاً المدافع الى مكان اخر ووجهوها نحو الحرش ولكن كللها عوضاً عن ان تصيب العدو انما كانت تصيب رؤوس الاشجار وتقطع بعض اوراق كانت تقع على الرماحة

وريخمون متصرف شويتس صعد راكضاً لكي يرجع القوم ولكنهُ لما راى ان القتال قد ابتدا امر جميع الجيش بالتقدم وفي الحال تقدمت الرايات الخمس

ولكن رماحة يوخ كانوا قد ثاروا من بين الاشجار وهجموا هجمة ابطال على الزوريخيين يرمونهم برماحهم الطويلة المسننة فصرخوا قائلين ايها الاراتقة والمنافقون قد قبضنا عليكم اخيراً فاجاب الزوريخيون ايها الذين تبيعون الناس والوثنيون والباباويون المنافقون هل انتم هم بالحقيقة وفي اول الامر سقط سيل حجارة من الجانبين جرح بهِ كثيرون وفي الحال دنوا بعضهم من بعض وكانت مدافعة الزوريخيين هائلة فكان كل واحد يضرب بالسيف او بالرمح واخيراً طرد جنود الخمس المقاطعات الى الوراء بعدم ترتيب فتقدم الزوريخيون وبواسطة تقدمهم اضاعوا فوائد المكان الذي كانوا فيهِ وتعرقلوا في الاوحال والبعض من المورخين الرومانيين الكاثوليكيين يزعمون ان هرب جيوشهم انما كان حيلة لكي يجرُّوا الزوريخيين الى الفخ

وفي هذه الفترة اسرعت عساكر الخمس المقاطعات في الحرش واذ كانوا مضطرمين بالشجاعة والغضب عجلوا خطواتهم ومن وسط اشجار الحرش كنت تسمع ضجة مضطربة بربرية دموية مخيفة فارتجت الارض وكنت تظن ان الحرش كان ينطق بعجيج فظيع او ان الجن كانوا يعملون اعراسهم الليلية في خلوتهِ المظلمة

فباطلاً كان اشجع الزوريخيين يقاومون مقاومة قوية فان اهالي والدستات كانوا يرجون عليهم في كل جهة فصرخ قوم ان رجالنا آخذون في الهرب وان رجلاً من مقاطعة زوغ اختلط بالزوريخيين وزعم انهُ من حزبهم صرخ قائلاً اهربوا اهربوا ايها الزوريخيون الابطال انكم قد اخذتم وهكذا كان كل شيء ضد زوريخ حتى ان يد ذلك الذي بيدهِ امر القتال تحولت ضدها وهكذا كان الحال في الازمان القديمة ان الله كان يقاص مرارًا كثيرة شعبهُ الاسرائيلي بسيف الاشوريين . ورعبة فجائية استولت على الابطال وامتد التشويش في كل مكان بسرعة مخيفة

وفي تلك الفترة كان شويتزر الشيخ قد رفع الراية الكبيرة بيد وطيدة وجميع مختاري رجال زوريخ كانوا مصطفين حولها الأ ان صفوفهم قلت سريعًا فان يوحنا كملي الذي كان عِلة المحاماة عن الراية اذ لاحظ قلة عدد المحاربين الذين بقوا في ميدان القتال قال لحامل الراية دعنا نوطي الراية ياسيدي ونخلصها لان قومنا هاربون بنوع معيب فاجاب حامل البيرق الشيخ الذي لم يخف قط من خطر ابقوا في اماكنكم ايها المقاتلون فزاد الاضطراب وكان عدد الهاربين يزداد كل دقيقة فوقف الرجل الشيخ ثابتًا متحيرًا وغير متزعزع كبلوطة كبيرة قد صادمتها زوبعة فكان يقبل من دون تاخر الضربات الواقعة عليهِ ويدافع وحدهُ العاصف المهول فامسكهُ كملي من ذراعهِ وقال لهُ ايضًا ياسيدي وطي البيرق والأ فاننا نخسرهُ فانهُ لم يبقَ مجد نحصدهُ هنا وان حامل البيرق الذي كان قد جُرِح جرحًا مميتًا قال وا اسفاه هل يجب ان مدينة زوريخ تؤدَّب هكذا ثم اجتذبهُ كملي الذي امسكهُ من ذراعيهِ ورجع حتى وصل الى الترعة وثقل السنين والجراح التي اثخن بها لم تاذن لهُ بقطعها فسقط في الوحلة التي في اسفلها وهو لم يزل ماسكًا البيرق المجيد الذي سقطت شقتهُ على الجانب الاخر

فركض الاعداء بجلبة عظيمة نحو راية زوريخ كما ينجذب الثور بواسطة راية المصارع واذ راى كملي ذلك قفز من دون ابطاء الى اسفل الترعة وقبض على

يدي رئيسهِ اليا بستين المائتين لكي يحفظ العلامة الكريمة التي كانتا قابضتين عليها بعنف ولكن كان ذلك باطلاً لان يدي شوبتزر الشيخ لم ترخيا اللواء فصرخ هذا الخادم الامين ياسيدي حامل الراية انهُ لم تبقَ لك قدرة على وقايتها وان يدي حامل البيرق اللتين كانتا قد يبستا بالموت لم تزالا تتمسكان بالراية وعند ذلك جذب كملي الراية الموقرة جذبًا عنيفًا وقفز بها الى الجانب الاخر وثار بكنزهِ مبتعدًا عن خطوات العدو والمتاخرون من الزوريخيين وصلوا في هذه الدقيقة الى الترعة وكانوا يتساقطون الواحد بعد الاخر على حامل الراية الذي كان في حالة النزاع وبذلك عجلوا موتهُ

واما كملي فاذ كان قد انجرح برصاصة رُمي بها لم يقدر ان يستعجل في مشيهِ فاحدق بهِ حالاً اهالي والدستنات بسيوفهم وهذا الزوريخي اذ كان قابضًا على الراية باليد الواحدة وعلى السيف باليد الاخرى دافع عن نفسهِ بشجاعة فامسك واحدًا من اهالي والدستنات العصا واخر قبض على الراية ومزقها فضرب كملي الاول بسيفهِ فقطعهُ واذ كان يضرب الى هنا وهناك صرخ قائلاً خاطروا ايها الزوريخيون الشجعان وانقذوا شرف وراية اسيادنا فتكاثر عليهِ الاعدا وكاد يسقط واذا ادم نيف من والنويد ثار والسيف بيدهِ فدحرج راس الذي مزق الراية على الارض وتطاير دمهُ على بيرق زوريخ ودوميسين احد اعضاء الدبوان الصغير اعان نيف برمحهِ وضرب الاثنان ضربات عنيفة جدًّا حتى قدرا على تخليص حامل البيرق وهذا مع انهُ كان مجروحًا جرحًا خطرًا وثب متقدمًا حاملاً شقق الراية المضرجة بالدماء بيد واحدة وفرَّ بها بسرعة يجر العصا وراءهُ فجاز هكذا في وسط الاصدقاء والاعدا بنظر معبس وعين نارية والسيف بيدهِ وقطع السهول والوعور والبواليع تاركًا في كل مكان آثارًا من دمهِ الذي كان يجري من جراحات عديدة واثنان من اعدائهِ احدهما من شويتس والاخر من زوغ كانا على الخصوص مجتهدين في مطاردتهِ وهما يصرخان ايها الارانيكي ايها النذل سلم واعطنا الراية فاجاب الزوريخي اسلم حياتي اولاً وان الجند بين العنيد بن اللذين

ارتبكا بدرعيها وقفا دقيقة من الزمان لكي ينزعاها فاغتنم كملي هذه الفرصة للتقدم فركض وكان هوبر ودوميسين ودنتزلر من نابنيكون الى جانبيهِ فوصل الاربعة جميعًا هكذا الى القرب من هوسن في نصف طريق البيس وبقي عليهم ان يصعدوا على اصعب مكان من الجبل فسقط هوبر متخنًا جراحات ودوميسين الذي كان قائدًا عامًا وقد حارب نظير جندي بسيط وصل تقريبًا الى كنيسة هوسن وهناك سقط مائتًا واثنان من بنيهِ في عنفوان الصباء انطرحا سريعًا مصروعين في ميدان القتال الذي تجرع موت ابيهما واما كملي فتقدم خطوات قليلة ايضًا الَّا انهُ مال بعد قليل معييًا الى جدار كان يلزمهُ ان يعبرهُ وراى عدويهِ وغيرهما من اهالي والدستات يركضون من كل جانب نظير الطيور الكواسر نحو راية زوريخ المتمايلة وكانت قوة كملي تنقص بسرعة وضعف بصرهُ واحدق بهِ ظلمة كثيفة ويد ثقيلة ضغطتهُ الى الارض ثم جمع كل ما بقي من قوتهِ والقى الراية الى الجانب الاخر من الجدار وصرخ هل يوجد زوريخي شجاع بالقرب مني فليحفظ الراية وشرف اسيادنا واما انا فاني لست اقدر على شيء بعد ثم نظر نظرة اخيرة نحو السماء وقال اسال الله ان يكون لي عونًا فسقط مغشيًا عليهِ بهذا العمل الاخير وان دنتزلر صعد والقى سيفهُ عنهُ ووثب على الحائط وقبض على الراية وصرخ اني بمعونة الله اخلصها ثم صعد على جبل البيس بسرعة واخيرًا وضع راية زوريخ القديمة في محل الامان فان الله الذي القى هولاء الجنود عليهِ كل آمالهم سمع صلواتهم ولكن اشرف دم الجمهورية كان قد سفك

فكان الاعداء غالبين في جميع الامور وجنود الخمس المقاطعات وعلى الخصوص جنود انتر والدن الذين تقووا بواسطة الحروب المستطيلة في ايطاليا اظهروا انفسهم اقل رحمة نحو ابناء بلادهم مما كانوا قط نحو الاجانب ففي بداءة الحرب هرب غودلي وبعد ذلك بقليل ترك زوريخ الى الابد ولاقاتر القائد الاول فبعد ان حارب بشجاعة سقط في الترعة فانتشلهُ احد الجنود فنجا . واشهر رجال زوريخ سقطوا الواحد بعد الاخر تحت طعنات اهالي والدستات وردي

غالمان وجد القبر المجيد الذي طلبهُ وقُتِل اخواهُ بجانبهِ فتُرِك بيت ابيهما مقفرًا وتونين قائد الرماحة مات لاجل بلادهِ كما تنبا . وكل افتخار شعب زوريخ اي سبعة اعضاء من الديوان الصغير وتسعة عشر عضوًا من المئتين وخمسة وستين رجلاً من المدينة واربع مئة وسبعة عشر رجلاً من المقاطعات المتفرقة الآب في وسط بنيهِ والابن محفوفًا باخوتهِ قد سقطوا في ميدان القتال

وان غيرلد ماير من كنونو ابن حنة زوينكل وهو ابن اثنتين وعشرين سنة وعضو من المئتين وصاحب عائلة ثار في مقدمة الصفوف بكل حمية الصبا فصرخ البعض من محاربي الخمس المقاطعات الذين ارادوا ان يحفظوهُ قائلين سلم تسلم فاجاب ابن حنة احب اليَّ ان اموت بكرامة من ان اسلم بعار فضُرِب في الحال ضربة مميتة وسقط ومات وهو غير بعيد عن قلعة اجدادهِ

وخدام الكلمة هم الذين نظرًا الى عددهم ادوا اعظم جزية في ذلك اليوم الدموي فان السيف الذي كان يشتغل في مرتفعات كابل كان عطشان الى دمائهم وخمسة وعشرون منهم سقطوا تحت ضرباتهِ فكان اهالي والدستات يرتعدون حنقًا حيثما وجدوا واحدًا من هولاء الواعظين الارانقة وكانوا يضحونهُ برغبة شديدة نظير ذبيحة مختارة للعذراء والقديسين وربما لم يكن قتال عض الحضيض فيهِ هذا المقدار من رجال كلمة الله وفي كل مكان تقريبًا كان الرعاة يهجمون في مقدمة رعاياهم فكنت تقول ان كابل هي بالحري مجمع كنائس مسيحية لاجيش من جماعات سويسية ورئيس الدير يونار انجرح جرحًا مميتًا بالقرب من الترعة وتوفي مقابل ديرهِ وشعب زوغ اذ كانوا جادين في طلب العدو كانوا يتاسفون عند مرورهم بجثتهِ متذكرين كل الخير الذي صنعهُ معهم وشمدت من كسنخنت اذ كان قائمًا على ميدان القتال في وسط رعاياهُ سقط محاطًا باربعين جثة من جثثهم وغرولدسك ويوحنا هلّر ورعاة اخرون كثيرون كانوا في مقدمة رعاياهم ولاقوا بغتةً بطريق غير منظور الرب الذي نادوا باسمهِ

وموت شخص واحد فاق كثيرًا موت الاخرين كافة فان زوينكل كان في

باب الخطر والخوذة في راسهِ والسيف على فخذهِ والبلطة في يدهِ (ان قسوس حروب سويسرا لا يزالون يتقلدون السيف واما زوينكل فلم يستعمل سلاحهُ) فحالما انتشب القتال انحنى زوينكل لكي يعزي رجلاً مائتاً كما اخبر يوحنا هونجر واذا بحجر دحرجتهُ يد رجل والدستاني قوية اصاب راسهُ اعدمهُ النطق الاَّ انهُ نهض واذا ضربتان اخريان اصابتا على التوالي ساقهُ فسقط ثانيةً ثم نهض مرتين اخريين ولكن في المرة الرابعة اصابتهُ طعنة رمح فتمايل وغرق تحت جراحات كثيرة فسقط على ركبتيهِ . أَليست الظلمة الدامسة التي سقطت عليهِ تبشر بظلمة اكثف عتيدة ان تغشي الكنيسة فتحول عن مثل هذه الافكار المحزنة ورفع مرة اخرى ذلك الراس الذي كان جسوراً بهذا المقدار واذ تفرس بعين هادية في الدم الذي كان يسيل منهُ صرخ قائلاً لا ابالي بهذه المصائب نعم انها تقتل الجسد الاَّ انها لا تقدر على قتل النفس (حيوة زوينكل لاسوالد ميكونيوس) وهذه هي كلماتهُ الاخيرة. وحالما نطق بها سقط الى الوراء وبقي هناك تحت شجرة (اجاصة زوينكل) في روضةٍ منطرحاً على ظهرهِ يد مشتبكة بيدٍ وعيناهُ متجهتان نحو السماء

واذ كان ابطال الخمس المقاطعات يطاردون المتبددين من اهالي زوريخ كان المقاتلون يحومون نظير غربان جائعة في ميدان القتال واذ كانت المصابيح بايدي هولاء الاشقياء كانوا يطوفون بين القتلى ناظرين شزراً الى ما حولهم ويضيئون على اجساد ضحاياهم المائتين بنور تلك المصابيح الضعيفة فكانوا يقلبون اجسام الجرحى والقتلى وكانوا يعذبونها ويعرونها واذا وجدوا احداً لم يُضع حواسهُ كانوا يصرخون ادعُ القديسين واعترف لخوارنتنا واذا كان الزوريخيون يمتنعون من قبول هذه الدعوات القاسية محافظة على ايمانهم كان هولاء القوم القساة المترفضون يطعنونهم بحرابهم او يكسرون مخهم بفسيهم والمورخ الباباوي صالت من لوسرن يتفاخر بذلك عند قولهِ تُرِكوا لكي يموتوا ككلاب كافرين او قُتِلوا بالسيف او الرمح لكي يذهبوا باوفر سرعة الى الشيطان الذي حاربوا

بمساعدتهِ بهذا المقدار من الجراءة ثم اذا كان احد جنود الخمس المقاطعات يتعرَّف بزوريخي لهُ عليهِ ثاركان بعينين جامدتين وفم مزدرٍ وهيئة متغيرة من الغضب يتقدم نحو ذلك الشخص المنكود الحظ المتقلب في غمرات الموت ويقول لهُ انظر هل خلصك ايمانك الاراتيكي زهِ زهِ انهُ قد بان واضحًا اليوم من لهُ الايمان الحقيقي اليوم قد طرحنا انجيلكم في الوحل وانتم ايضًا نعم انتم قد غطاكم دمكم فان الله والعذراء والقديسين قد قاصوكم. وحالما كان يفرغ من هذا الكلام كان يعمل سيفهُ في قلب عدوهِ وكانت كلمتهم القداس او الموت

وهكذا اعتزاهالي والدستات ولكن الزوريخيين الاتقياء الذين ماتوا في القتال كانوا يتذكرون ان الههم هو الذي قال فان الله انما يصنع بكم كما يصنع بالبنين. فاي ابن لا يودبهُ ابوهُ (عب ١٢: ٧) فان هو قتلني فاياهُ ارجو فقط (اي ١٣: ١٥) ويمحن الذهب الاكرم الخالص في اتون التجربة وهكذا التاديب كان ضروريًّا لارجاع كنيسة زوريخ عن طرق العالم الواسعة الى طريق الروح والحيوة الضيقة ففي التاريخ السياسي يحسب انكسار كانكسار كابل مصيبة عظيمة ولكن في تاريخ كنيسة يسوع المسيح يجب بالحري ان مثل هذه الضربة الحادثة من يد الآب نفسهِ تدعى بركة عظيمة

وبينما كان زوينكل منطرحًا تحت الشجرة بالقرب من الطريق الذي مرَّ اكثر الشعب بجانبها وجلبة الغالبين وتنهدات المائتين وتلك المصابيح الضعيفة المحمولة من جثة الى جثة صرخت زوريخ المذلولة الاصلاح الخاسر نحوهُ بصوت عالٍ ان الله يقاص عبيدهُ عند ما يتكلون على ذراع الانسان ولو قدر المصلح الجرماني ان يدنو من زوينكل في تلك الدقيقة العظيمة وينطق بهذه الكلمات المتكررة مرارًا كثيرة وهي ان المسيحيين لا يقاتلون بالسيف والرمح ولكن بالآلام والصليب لكان زوينكل مد يدهُ المائتة وقال آمين

وجنديان من الذين كانوا يطوفون في ميدان القتال تقدما الى المصلح من دون ان يعرفاهُ فقالا اتريد خوريًا لكي تعترف بخطاياك وزوينكل من دون

ان يتكلم لانهُ لم تكن لهُ قدرة على ذلك اعطى علامات سلبية فقال الجندي ان اذا كنت لا تقدر ان تتكلم فاقلْ ما يكون افتكر بقلبك باسم الله وادعُ القديسين فهز زوينكل راسهُ ثانيةً وبقي شاخصاً بعينيهِ نحو السماء وعند ذلك ابتدا الجندي بان المغتاظان يلعنانهِ وقالا لا شك انك من اراتقة المدينة واذ كان واحد منهما يريد ان يعرف من هو ذلك الشخص المحنى وحول راس زوينكل نحو نار كانت قد اوقدت بالقرب من المكان وفي الحال تركهُ الجندي يسقط الى الارض فقال بحيرة وعجب اني اظنهُ زوينكل وفي تلك الدقيقة القائد فوكنجر من انتر والدن وهو جندي قديم لهُ علوفة من الغرباء تقدم اليهِ فانهُ سمع كلمات الجندي الاخيرة فصرخ انهُ زوينكل ذلك الاراتيكي الردي زوينكل الخبيث الخائن ثم رفع سيفهُ الذي مضت عليهِ كل تلك المدة وهو مبيع للغرباء وضرب المسيحي المائت على عنقهِ صارخاً بغضب شديد مت ايها الاراتيكي العنيد فقضى المصلح نحبهُ واسلم الروح تحت هذه الضربة الاخيرة وحُكم عليهِ بالموت بسيف اجير . كريم في عيني الرب موت قديسيهِ وركض الجنود الى ضحايا اخرى ولم يظهر جميعهم تلك البربرية . وكانت الليلة باردة وصقيع غليظ كان يغطي الحقول واجساد المائتين وبولنجر المورخ البرونستانتي يخبرنا بان البعض من اهالي والدستات كانوا يقيمون برفق الجرحى على اذرعهم ويضمدون جراحاتهم ويحملونهم الى النيران الموقدة في ميدان القتال وكانوا يصرخون آه لماذا قتل اهالي سويسرا بعضهم بعضاً

والجانب الاعظم من الجيش كان باقياً في ميدان القتال حول البيارق وكان الجنود يتسامرون حول النيران اذ كانوا ينقطعون حيناً بعد حين عن الكلام بواسطة صراخ المائتين وفي هذا الوقت اجتمع الروساء في الدبر وارسلوا رسلاً يحملون بشائر غلبتهم العظيمة الى المقاطعات المتعاهدة والى قوات جرمانيا البابا وية

واخيراً تبلج النهار فتفرقت الجنود على ميدان القتال واذ كانوا يركضون

الى هنا وهناك ويخنون ويتاملون كانوا يتعجبون عند نظر اشد اعدائهم المصروعين موتى في الصحراء غير انهم كانوا احيانًا ايضًا يذرفون الدموع عندما تفرسوا في جثث كانت تذكرهم برباطات المحبة القديمة المقدسة واخيرًا وصلوا الى شجرة الاجاص التي كان زوينكل منطرحًا ميتًا تحتها واجتمع حولها جمع غفير فكان وجهه لايزال يلمع كانهُ حيٌّ بعد قال برثولماوس ستوكر من زوغ الذي كان يحبهُ ان لهُ منظر حي لاميت فهكذا كان منظرهُ عندما اضرم الشعب بنار فصاحتهِ . فكانت جميع الاعين تتفرس بالجثة ويوحنا شونبرونر الذي كان سابقًا راهبًا في زوريخ لم يقدر ان يضبط دموعهُ فقال مهما كان ايمانك فاني اعلم يا زوينكل انك كنت امينًا للمعاهدة فلتسترح نفسك بالله

ولكن المستخدمين من الاجانب الذين لم يكن زوينكل يكف قط عن مقاتلتهم طلبوا ان جسد الاراتيكي يقطع وترسل قطعة منهُ الى كل مقاطعة من الخمس المقاطعات فصرخ غولدروثوس من زوغ فليكن السلام للموتى وليكن الله وحدهُ ديانهم فاجيب كلاهما بصراخ الغضب والزما بالانصراف وفي الحال ضربت الابواق للاجتماع وحوكم الجسد الميت وحُكِم بوجوب تقطيعهِ الى اربع قصاصًا على خيانتهِ المعاهدة ثم يحرق لاجل الاراتقة وسياف لوسرن اجرى الحكم وافنى اللهيب اعضاء زوينكل المتقطعة وخلط رمادهُ برماد الخنازير وثار جمهور عديم الشريعة على بقاياهُ واذروها الى اربع ارياح السماء

مات زوينكل وانطفا نور عظيم في كنيسة الله واذ كان مقتدرًا في الكلام نظير باقي المصلحين كان اقدر منهم في العمل ولكن هذه القوة نفسها كانت علة ضعفهِ وسقط تحت ثقل قوتهِ ولم يكن زوينكل ابن ثماني واربعين سنة عند وفاتهِ ولو كانت قوة الله ترافق دائمًا قوة الانسان فكم كان عملهُ للاصلاح في سويسرا وفي المملكة ايضًا ولكنهُ استعمل ساعدًا نهى الله عنها فان الخوذة غطت راسهُ وقبض على الرمح واعظم اصدقائهِ كانوا قد تحيروا وصرخوا قائلين اننا لانعلم ماذا نقول . هل اسقف يتسلح . شقّت الصاعقة الغمام والضربة وصلت الى

المصلح وجسدهُ لم يلبث ان يكون الاّ قبضة رماد في يد جندي

الفصل الثامن

الخوف في زوريخ . هيجان الشعب . انكسار اخر . حيل كارلوس الخامس . نهاية الحرب وشروط الصلح

ان ظلمة مخيفة حلت على زوريخ في الليلة التابعة نهار كابل المحزن وكانت الساعة السابعة بعد الظهر عند ما وصلت اخبار الكسرة الاولى فانتشرت في اول الامر اخبار مضطربة مخيفة بسرعة البرق وعُرِف انهُ قد حصل ضربة هائلة ولكن لم نعرف تفاصيلها ووصول بعض الرجال من المجاريح من المعسكر اوضح السر المخيف قال بولنجر وحينئذٍ حدث بغتةً صوت عالٍ فظيع من الندب والدموع والعويل والتنهدات وكانت المصيبة اعظم لانهُ لم يكن احد ينتظر تلك الكسرة فكان قد قال بعض الناس الدنيويين المتكبرين انهُ لا يوجد ما يكفي لغذائنا وقال اخر اننا بضربة واحدة نستولي على الخمس المقاطعات وقال جندي كبير السن باحتقار ملوم اننا سريعًا نبدد تلك المزابل والقسم المسيحي من الناس الذين كانوا موقنين بكون حرب زوريخ لاجل دعوى صالحة لم يكونوا يشكون بان الغلبة تكون الى جانب الحق وهكذا جمودهم الاول تبعهُ هذا الهياج الشديد والعامة القت اللوم بغضب اعمى على روَّسائهم واوقعوا الاهانات بالذين حاموا عن بلادهم تحت خطر حياتهم وجمع غفير مضطرب مصفر مدهوش ملأَ ازقة المدينة كافةً فاجتمعوا وسالوا وجاوبوا ثم سالوا ايضًا ولم يكن استماع الجواب لان اختلاط اصوات الشعب منع استماع صوت المتكلم واعضاء الديوان الذين بقوا في زوريخ انطلقوا بسرعة الى مجلس البلدة والجموع الذين كانوا قد تقاطروا اجواقًا الى هناك كانوا يتفرسون باعين متهددة وشكاوي

الخيانة كانت تخرج من كل فم فكان الاشراف معرضاً لغضب الشعب الذين طلبوا من يسكبون عليهِ حماقتهم . قالوا اننا قبل ان ننطلق لمحاربة العدو الذي في التخوم يجب ان نقي انفسنا من الذين داخل اسوارنا فكان الحزن والخوف يملآن كل عقل والغريزة البربرية التي تسوق الجمهور في البلايا الكبيرة نظير وحش بري الى العطش للدم هاجت بكل عزم واشارت يد من وسط الجمهور الى المجلس وصوت اجش حاد صرخ فلنقطع رؤُوس البعض من هولاء الرجال الذين يجلسون في المجالس وندع دمهم يصعد الى السماء لكي يطلب رحمة للذين قد قتلوهم

ولكن هذه الفتنة ليست شيئاً بالمقابلة مع الفتنة التي كانت ضد خدام الانجيل وزوينكل وجميع المسيحيين الذين كانوا يقولون انهم علة خراب البلاد ولاجل السعد كان سيف اهالي والدستات قد اخذهم من وسط غيظ اهالي بلادهم على انهُ بقي قوم منهم كانوا قادرين على ان يسدوا مسد الاخرين فان ليون يهودا الذي كانت وفاة زوينكل عتيدة ان ترقيهُ الى اول درجة من المصالح الدينية كان بالكد قد نقه من مرض عضال اصابهُ فثاروا عليهِ وتهددوهُ وطلبوهُ وبعض الافاضل حملوهُ وخبأوهُ في بيوتهم ونيران غيظ هولاء المجانين لم تخمد فبقوا يجلبون ويقولون انهُ لا بد من عمل الكفارة عن مقتلة كابل بمقتلة افظع داخل اسوار المدينة الّا ان الله وضع حكمةً في افواه هولاء الوحوش الهائجين الضارين وذللهم

وبغتةً نبع الغضب حزن والبكاء قطع اصوات الاكثرين شراسةً وجميع الذين ذهب اقاربهم الى كابل ظنوا بانهم في عدد القتلى فالشيوخ والنساء والاولاد خرجوا تحت جناح الظلام بضوء المصابيح الضعيف باعين ضعيفة وخطوات سريعة وحالما وصل بعض المجاريح كانوا يسالونهم بصوت مرتعد عن الذين كانوا يفتشون عليهم فكان البعض يجيبون اننا رايناهم يسقطون بجانبنا وقال اخرون انهم كانوا محاطين باعداء كثيرة بحيث لم يبقَ فرصة للنجاة من

ايديهم وعند هذه الكلمات كانت العائلة المصابة تطرح المصباح من يدها وتملا الجو بالعويل والحسرات

ان حنة زوجة زوينكل كانت قد سمعت من بينها طلقات المدافع المنكررة ونظير زوجة وام صرفت في الانتظار ساعات كثيرة طويلة من الكآبة وهي تقدم صلوات حارة الى الله واخيرًا ثارت عليها على التوالي افظع الاخبار

ومن جملة الذين كان صراخ ياسهم يرن على طريق كابل اوسوالد ميكونيوس الذي كان يسال باجتهاد ماذا اصاب صديقهُ وسريعًا سمع واحدًا من الاشقياء المنكودي الحظ الذين افلتوا من المقتلة يقول للذين حولهُ ان زوينكل قد سقط فازداد الصراخ بان زوينكل لم يعد موجودًا زوينكل قد مات ومد الخبر في زوريخ بسرعة البرق واخيرًا وصل الى الارملة التعيسة فسقطت حنة على ركبتيها ولكن فقد زوجها لم يكن كافيًا فان الله قد انزل بها ضربات اخرى فان رسلاً كان بعضهم يتبعون بعضًا بمسافة قصيرة اخبروها بوفاة ابنها غيرلد من كنونوا واخيها محصل رينهرد وانطوني وبرز زوج ابنتها ويوحنا لتسخي زوج اختها وجميع اصدقائها المقربين وهذه المراة بقيت وحدها . وحدها مع الهها ووحدها مع اطفالها الذين اذ راوا دموعها بكوا هم ايضًا وطرحوا انفسهم بكآبة على ذراعي والدتهم

وبغتةً قُرِع جرس التنبيه واذ دهش الديوان بواسطة الاراء المتباينة جدًا عزم اخيرًا ان يدعوا جميع الاهالي نحو البيس ولكن صوت الجرس الذي كان يتموج في هواء الظلمة واخبار المجاريح المحزنة وتنهدات العيال المثكلة الشديدة كانت تزيد الضجة وجيش غفير عديم الترتيب من الاهالي ثار في طريق كابل وكان من جملتهم الواليسي ثوما بلاتر فكان تارةً يصادف رجلاً بيد واحدة وتارةً اخرين يسندون رووسهم المجروحة المدمية بايديهم واذ تقدم قليلاً صادف جنديًا كانت امعاوْهُ خارجة من جسمهِ وفي مقدمة هولاء القوم التعساء فلاحون يسيرون بمصابيح موقدة لان الليل كان مظلمًا جدًا

وفي الغد اخبار المعاملة المعيبة التي عوملت بها جثة زوينكل هيجت كل غضب زوريخ واصدقاؤُهُ اذ كانوا رافعين اعينهم الغائصة في الدموع كانوا يصرخون ان هولاء لهم استطاعة ان يقتجوا جثتهُ وان يحرقوها وان يفرقوهُ ولكنهُ حيٌّ هذا البطل الصنديد حي في الابدية ويجي وراءهُ ذكر مخلد مجيد لا تقدر النيران على ابادتهِ والله الذي كد زوينكل لاجل مجدهِ حتى يسفك دمهُ يجعل ذكرهُ موبدًا ثم قال ليون يهودا وانا الذي اسبغ عليَّ هذا المقدار من البركات سوف اجتهد بعد كثيرين اخرين في ان احامي عن اسمهِ وامدح فضائلهُ وهكذا زوريخ كرست لزوينكل خطابًا جنازيًّا من الدموع والتحسرات والشكر واصوات الكآبة ولم يكن قط خطاب جنازة افصح من ذلك

ثم جمعت زوريخ قواتها وجمع يوحنا ستينر على البيس بعض الفضلات المتبددة من الجيش لاجل صيانة المضيق فكانوا يحافظون حول نيرانهم على قمة الجبل وكانوا جميعًا من دون ترتيب واذ اوجع البرد بلاتر كما يخبرنا هو نفسهُ نزع جزمتهُ لكي يدفي رجليهِ على نار الحراس وبغتةً اطلق التنبيه واصطف الجيش بسرعةٍ واذ كان بلاتر آخذًا في الاستعداد اذا مبوق قد نجا من القتال اخذ سيفهُ فاسترجعهُ بلاتر ودخل بين الصفوف وكان المبوق واقفًا امامهُ حافيًا مكشوف الراس متسلحًا بعصا طويلة فهكذا كان عسكر زوريخ

والقائد الاول لافاتر رجع الى العسكر عند الفجر وبالتدريج صعد المتعاهدون و ١٥٠٠ من الغريسونات تحت امر القائد فراي من زوريخ و ١٥٠٠ من ثورغوفيا و ٦٠٠ من التوكنبرج ومساعدين اخرين غيرهم تالف منهم جيش بلغ عددهُ ١٢٠٠٠ رجل والجميع حتى الاولاد ايضًا ثاروا الى السلاح فامر الديوان ان هولاء الصبيان يرجعون لكي يشاركوا النساء في واجبات البيوت

وكسرة اخرى زادت بعد قليل خراب الحزب المصلح واذ كانت عساكر برن وزوريخ وباسل وبيانى عددهم ٢٤٠٠٠ الف رجل يتجمعون في بريمغرتن كان عسكر المقاطعات الخمس يتحصن في بار بالقرب من زوغ ولكن كان

نصرة كابل كعلامة ترجيع السلطة البابوية ليس في سويسرا فقط بل ايضًا في جموع عالم المسيحيين فكان اخيرًا هذا الاصلاح الوقح عيندًا ان يقهر وعوضًا عن النجاة العظيمة التي حلم بها زوينكل كان النسر الامبراطوري الذي اطلقته البابوية عيندًا ان يحوم في كل اوروبا ويخنق الاصلاح بمخاليبه والحرية تلاشت على جوانب جبل البيس

ولكن امال البابوية كانت فارغة فان عمل الاصلاح ولئن كان قد ذل في تلك الدقيقة كان مزمعًا ان يفوز اخيرًا بغلبة مجيدة والسحاب غطى الشمس الى حين الاّ ان السحاب زال وظهرت الشمس ايضًا فان يسوع المسيح هو دائمًا هو هو وابواب الجحيم قد تعتز في ميدان القتال ولكنها لا تقتدران تقوى على كنيسته . غير ان كل شيء ترايا كان الامور متجهة مسرعة نحو مصيبة عظيمة فان اهالي التوكنبرج صالحوا وانصرفوا واهالي ثورغوفيا تبعوهم وبعد هولاء اهالي غستر وقساوة الفصل اضيفت الى تلك الفتن والسيول والارياح المتواصلة طردت الجنود الى بيوتهم

وعند ذلك الخمس المقاطعات مع جنود القائد الايطالياني ايسولا غير المرتبة طرحوا انفسهم على شطوط بحيرة زوريخ من جهة الشمال وجرس التنبيه قرع في كل جانب وانصرف الفلاحون اجواقًا اجواقًا الى المدينة مع نسائهم الباكيات واولادهم الخائفين ومواشيهم التي ملأت الهواء باصواتها الموحشة وشاع خبر بان العدو قصد محاصرة زوريخ وان اهالي البلاد جزموا بخوف انه اذا كانت المدينة تمتنع عن عمل الصلح يعملون ذلك هم لانفسهم

ان حزب الصلح تغلب في الديوان واختاروا وكلاء لاجل المراسلة واوصوهم قائلين احفظوا فوق كل شيء الانجيل ثم شرفنا على قدر الامكان وفي ١٦ تشرين الثاني وصل الوكلاء من زوريخ الى روضة بالقرب من التخوم على شطوط سيهل حيث كان وكلاء الخمس المقاطعات ينتظرونهم فاخذوا في المفاوضة وكانت مقدمة الشروط هكذا باسم الثالوث الامجد الاقدس الالهي اننا اولاً نحن اهالي

زوريخ نتعهد ونعد بان نترك اصحاب عهدنا الخمس المقاطعات الموثوق بهم المحبوبين واصحابهم اهالي واليس وجميع تابعيهم من العوام والاكليروس على ايمانهم المسيحي الحقيقي الذي لا يشك فيهِ اذ نرفض كل قصد ردي والغش والحيل ونحن الخمس المقاطعات نتعهد بان نترك اصحاب عهدنا اهالي زوريخ واصحابهم في ايمانهم وفي الوقت نفسهِ رابرشويل وغستر وويسين وبريمغرتن وما للخمس المقاطعات المشتركة تُرِكت للخمس المقاطعات

حفظت زوريخ ايمانها فقط واذ قرئت الشروط وقُبلت حوَّل الوكلاء عن خيلهم وركعوا على ركبهم ودعوا باسم الرب وحينئذٍ قائد الزوريخيين الاول الجديد اسخر الذي كان رجلاً عجولاً فصيحًا نهض وقال ملتفتًا الى الولد ستاتيين الشكر لله اني اقدر ايضًا ان ادعوكم اصحاب عهدي المحبوبين ثم دنا منهم وصافح على التوالي غولدز وهوغ وبروغوبر وريخموث ومركوارت وزلجر وثوس الغالبين الاشداء في كابل فامتلات جميع العيون دموعًا وكل واحد اخذ بيد مرتعدة القنينة المعلقة على جنبهِ وقدم الشرب الى واحد من روساء الجانب الاخر وبعد ذلك بقليل صارت معاهدة كهذه مع برن

الفصل التاسع

اعادة البابا وية في بريمغرتن ورابرشويل . كثرة الخوارنة والرهبان في كل مكان . وفاة ايكولامباذيوس . بولنجر في زوريخ . المثالة العظيمة . الخاتمة

فابتدا حالاً رجوع البابا وية في سويسرا فاظهرت رومية نفسها في كل مكان متكبرة وظالمة وطاعة . وبعد وقعة كابل ارتفعت يد الاكثرية الرومانية في غلاريس وقامت مع شويتس على ويسين ومقاطعة غستر وفي ليلة الهجمة عند انتصاف الليل اتى اثنا عشر وكيلاً وطرحوا انفسهم لدى اقدام روساء شويتس

فارتضوا بابطال رايات هاتين المقاطعتين الجنسية وملاشاة محاكمها ونزع حريتها القديمة والحكم على قوم منها بالنفي وعلى اخرين بدفع غرامة ثقيلة ثم ارجعوا القداس والمذابح والايقونات في كل مكان ولم تزل موجودة الى يومنا هذا فهكذا كان صفح شويتس

وان المقاطعات قصدت بنوع خصوصي ان تنتقم نقمة هائلة من بريمغرتن ومالنجن والمقاطعات الحرة فان برن اذ استرجعت جيشها تبع متسخلي قائد بريمغرتن د يسباخ الى ارو فباطلاً كان الاول يذكر البرنيين بان بريمغرتن انما حاصرت الخمس المقاطعات بامر برن وزوريخ فاجاب القائد اخضع للظروف وعند ذلك تحول متسخلي المسكين عن اهالي برن العادمي الشفقة وقال حسناً قال ارميا النبي ملعون من يلقي اتكاله على الانسان . والجيوش السويسرية والايطالية دخلت بشراسة الى تلك المقاطعات الزاهرة يهزون رماحهم ويطلبون اموالاً جزيلة من جميع الاهالي ويلزمون خدام الانجيل بالهرب ويرجعون في كل مكان على راس السيف القداس والاصوام والمذابح

وعلى شاطي البحيرة الآخر كانت البلية اعظم فانهُ في ٨ تشرين الثاني اذ كان مصلحو رابرشويل نائمين باءمان استناداً على الشروط قطع جيش شويتس بسكوت الجسر الخشبي الذي طولهُ نحو ٢٠٠٠ قدم تقريباً والذي يقطع البحيرة وادخلهم الحزب الروماني الى المدينة فاستيقظ اتباع الاصلاح بغتةً بواسطة طنين الاجراس واصوات البابا ويين الشديدة واكثرهم تركوا المدينة الآ ان واحداً منهم اسمهُ ميخائل والهجيموث حصن بيتهُ ووضع رماحة في كل طاقة وقاوم العدو والعدو الذي غضب من ذلك اتى ببعض قطع من المدافع الكبيرة وحاصر هذا الحصن الارتجالي بطريق قانوني فاخذ والهجيموث سريعاً وقتل بعذابات فظيعة

ولم يكن النضال اشد مما كان في سليوري فان الحزبين اصطفا للقتال على جانبي ارو وضرب البابا ويون مدفعاً على الشاطي الاخر وكان مدفع اخر عنيداً

ان يتبعهُ الفى القائد وانجي نفسهُ في فم المدفع وصرخ بحرارة قائلاً يا ابناء بلادي لا يكوننَّ سفك دم والاَّ فدعوني اكون ذبيحتكم الاول فالقى الجمهور المنذهل سلاحهُ ولكن سبعون عائلة انجيلية التزمت بان تنزح ورجعت سليوري الى تحت النير الباباوي. وادبرة سنت غال وموري وابنسدلين وواتجن وربنا و والقديسة كاثرينا وهرمسخوبل وغوادنثال رجع اليها البنادكتيون والفرنسيسيون والدومينيكيون وجميع الجيش الروماني المظفر والرهبان والخوارنة الذين سكروا بخمرة غلبانهم ملاوا المدن والقرى واستعدوا لغلبات جديدة

فكانت ريح الخصام تهب بكل ثوران والكنائس الانجيلية سقطت الواحدة بعد الاخرى نظير الصنوبر في الحرش الذي سقوطهُ قبل حرب غويل احدث احتسابات محزنة كما تقدم واذ كانت المقاطعات الخمس مملوة شكرًا للعذراء زارت زيارة احتفالية هيكلها في اينسدلين والخوارنة اقاموا ثانيةً اسرارهم في ذلك المقدس المهجور ورئيس الدير الذي لم يكن عندهُ رهبان ارسل زمرة من الشبان الى سوابيا لكي يتربوا تحت قوانين الرهبانية وذلك المعبد الشهير الذي حوَّلهُ صوت زوينكل الى مقدس لكلمة الله صار لسويسرا كما لم يزل الآن مركز سلطة الباباوية وحبلها

ولكن هذا لم يكن كافيًا فانهُ في نفس الوقت الذي كانت فيهِ تلك الكنائس تسقط الى الحضيض راى الاصلاح انطفاء اسطع الاضواء فان ضربة حجر كانت قد قتلت زوينكل النشيط في ميدان القتال ووصل اندفاعهُ الى اكولمباذيوس محب السلامة اذ كان في باسل في وسط حياة كانت بتمامها انجيلية فان موت صديقهِ والاحكام القاسية التي تتبعوا بها ذكرهُ والخوف الذي اخذ بغتةً مكان الآمال التي كانت عندهُ في المستقبل فجميع هذه الاحزان مزقت قلب اكولمباذيوس فمال سريعًا راسهُ وحياتهُ الى القبر بنوع محزن فصرخ قائلاً وا اسفاه ان زوينكل الذي اعتبرتهُ في كل هذا الزمان المستطيل نظير ذراعي اليمنى قد سقط تحت ضربات اعداء قساة. الاَّ انهُ استرجع نشاطًا كافيًا للمحاماة عن ذكر اخيهِ فقال

ان غضب بيلاطس وبرج سلوام لم يسقطا على رووس الاكثر ذنباً فان القضاء قد ابتدا في بيت الله وقصاصاً لكبريائنا فلنلقِ اتكالنا الان على الرب وحدهُ وهذا يكون ربحاً لا يثمن واستعفى اكولمباذيوس من قبول دعوة زوريخ الى اخذ مكان زوينكل بقولهِ وهو ناظر نحو باسل ان مكاني هو هنا

ولم يكن مزمعاً ان يبقى في ذلك المكان زماناً طويلاً فان المرض سقط عليهِ زيادة على احزان كثيرة بهذا المقدار والوبا كان في المدينة وحدث لهُ التهاب شديد ولم يمضِ الاّ قليل حتى صار مشهد هادي عقيب ضجة كابل وان موتاً اميناً سكن قلوب المومنين المضطربة واخذ بحركات حلوة سماوية مكان الرعب والضيق اللذين ملاها بهما مصيبة هائلة

وعند ما شاعت اخبار خطر اكولمباذيوس غاصت المدينة باسرها في النوح فاتت جماعة من الناس من كل سن ورتبة الى بيتهِ فقال المصلح بمنظر وديع افرحوا فاني منطلق الى مكان فرح ابدي ثم صنع تذكار موت ربنا مع زوجتهِ واقاربهِ وخدمهِ الذين سكبوا دموعاً غزيرة فقال الرجل المشرف على الموت ان هذا العشاء هو علامة ايماني الحقيقي بيسوع المسيح فاديَّ

وفي الغد ارسل في طلب اقرانهِ فقال لهم يا اخوتي ان الرب هو هناك وهو يدعوني اه يا اخوتي كم هي سوداء الغيمة الظاهرة في الافق وما اشد العاصف المقبل فاثبتوا فان الله يحفظ خاصتهُ ثم مد يدهُ وجميع هولاء الخدام الامناء صافحوها باحترام

وفي ٢٣ تشرين الثاني جمع اولادهُ حولهُ الذين كان اكبرهم ابن ثلاث سنين فقط وقال لهم ماسكاً بايديهم الصغيرة يا اوسابيوس وايريني واليثيا احبوا الله الذي هو ابوكم واذ تعهدت امهم بالنيابة عنهم انصرفوا ببركة خادم الرب المشرف على الموت والليلة التي تبعت هذا العمل كانت اخر لياليهِ وكان جميع الرعاة حول سريرهِ فسال اكولمباذيوس صديقاً دخل اليهِ ما الخبر فكان الجواب لا شيء فقال تلميذ يسوع الامين حسناً فاني اخبركم بامر جديد فكان

اصدقاؤهُ ينتظرون بحيرة فقال اني بعد قليل اكون مع الرب يسوع واذ سالهُ حينئذٍ احد اصدقائهِ اذا كان الضوء يزعجهُ فقال واضعًا يدهُ على قلبهِ انهُ يوجد هنا ضوءٌ كافي فابتدا النهار في التبلج فتلا بصوت ضعيف المزمور الحادي والخمسين ارحمني يا الله كعظيم رحمتك ثم بعد ان سكت قليلاً كانهُ اراد ان يرتاح قال يارب يسوع اعني فجثا العشرة رعاة على ركبهم حول سريرهِ بايدٍ مرفوعة الى فوق وفي تلك الدقيقة اشرقت الشمس وارسلت ابكر اشعتها على منظر حزن عظيم ومحزن بهذا المقدار قد ضربت بهِ ثانيةً كنيسة الله

ان وفاة خادم الرب هذا كانت نظير حياة مملوءة نورًا وسلامًا فان اكولمباذيوس كان بنوع خصوصي المسيحي الروحي ولاهوتي الكتاب المقدس واللزوم الذي علقهُ على درس اسفار العهد القديم رسم اهم طباعها على لاهوت الاصلاح (راجع شروحهُ على الاصحاح الاول من اشعيا ١٥٢٥ وحزقيال ١٥٢٧ وحجي وزكريا وملاخي ١٥٢٧ ودانيال ١٥٣٠ والشروح التي اشتهرت بعد وفاتهِ مع تفاسير لارميا وحزقيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان والاصحاحين الاول والثاني من ميخا) وباعتبار كونهِ رجلاً مجتهدًا جعلتهُ وداعتهُ واعتدالهُ في الرتبة الثانية ولو امكنهُ ان يسكب من هذا الروح السليم مقدارًا اكثر على زوينكل لربما كان امكن التخلص من مصائب شتى ولكن نظير جميع القوم الوديعين كانت طبيعتهُ السليمة تخضع خضوعًا مفرطًا لارادة خادم زوريخ النشيطة وهكذا رفض رفضًا جزئيًا على الاقل السطوة الشرعية التي كان ممكنًا لهُ ان يمارسها نحو مصلح سويسرا والكنيسة

ان زوينكل واكولمباذيوس سقطا فكان خلاءٌ عظيم وكآبة شديدة في كنيسة المسيح وزالت الافتراقات امام هذين القبرين ولم يكن يرى شيءٌ الا الدموع ولوثيروس نفسهُ تحرك فانهُ عند ما بلغهُ خبر وفاة هذين الرجلين تذكر الايام التي صرفها مع زوينكل واكولمباذيوس في مربرخ والضربة التي وقعت عليهِ بواسطة موتهما الفجائي كانت عظيمة حتى انهُ بعد ذلك بسنين كثيرة قال لبولنجر

ان وفاتها ملأتني كآبة عظيمة حتى كدت انا نفسي اموت

ان الفتى هنري بولنجر اذ تهدد بالحرق اضطرهُ الامر الى الهرب من بريمغرتن وطنهِ مع ابيهِ الشيخ واقرانهِ وستين من وجوه الاهالي الذين تركوا بيوتهم غنيمة لاهالي والدستات وبعد ذلك بثلاثة ايام وعظ في كنيسة زوريخ الاولى فصرخ ميكونيوس كلَّا ان زوينكل لم يمت او نظير السمندل قام من رمادهِ فاختاروا بولنجر بصوت واحد خليفة للمصلح العظيم فتبنى اولاد زوينكل اليتامى وهم وهلمور يغولا واولرك واجتهد في ان يقوم مقام ابيهم وهذا الرجل الشاب الذي بالكد بلغ عمرهُ ٢٨ سنة والذي تراس ٤٠ سنة على تلك الكنيسة بالحكمة والبركة كان في كل مكان يحيا نظير رسول سويسرا

ولكن كما ان البحر يزار زمانًا طويلاً بعد سكون العاصف كان اهالي زوريخ لا يزالون في اضطراب فان كثيرين قد تهيجوا بقوة من العلاء فاستفاقوا على انفسهم واقروا بغلطهم وكان سلاح محاربتهم جسديًّا وكانوا الآن ذوي روح متخشع متواضع فنهضوا وذهبوا الى ابيهم واعترفوا بخطيئتهم ففي تلك الايام كانت مناحة عظيمة في زوريخ الَّا ان البعض اذ وقفوا بكبرياء قاوموا بافواه خدامهم عمل الوكلاء وعابوا بجسارة القتال الملوم فصرخ ليون يهودا في كنيسة زوريخ اذا نام الرعاة ينبغي للكلاب ان تنبح فالواجب عليَّ ان انبه على الشر الذي هم مزمعون ان يعملوهُ ضد بيت سيدي

ولم يكن شيء يوازي حزن تلك المدينة الَّا افتخار اهالي والدستات فان اصوات آلات الطرب واطلاق المدافع وقرع الاجراس بقيت زمانًا طويلاً تسمع على شطوط بحيراتهم حتى وصلت الى اعلى جبالهم ثم قلَّ الصوت ولكن المفعول اشتد فان الخمس المقاطعات بالاتفاق التام مع اهالي فريبرج وسليوري عقدت عهدًا ابديًّا لاجل المحاماة عن الايمان المسيحي القديم مع اسقف سيون وابرشيات واليس واخذت من ثم وصاعدًا تجري مقاصدها في امور الحكومة بجسارة الَّا انهُ تصور اقناع عميق في ذلك الوقت في قلوب مصلحي سويسرا

فقالوا ان الايمان ياتي من قبل الله ونجاحهُ لا يتوقف على حياة او ممات انسان فدعوا اعداءنا يفتخرون بجرابنا واما نحن فانما نفتخر بالصليب فقط وكتبت برن الى زوريخ تقول ان الله يملك وهو لا يسمح للسفينة الصغيرة ان تغرق وهذا الاقناع كان اقوى من نصرة كابل

وهكذا الاصلاح الذي كان قد حاد عن الطريق المستقيم دفعتهُ صرامة الهجمة نفسها الى سبيلهِ الاصلي من دون ان تكون لهُ قوة اخرى غير كلمة الله فان جنونًا غير مدرك كان قد استحوذ على اصدقاء الكتاب المقدس فكانوا قد نسوا ان محاربتنا ليست جسدية والتجاوا الى السلاح والقتال ولكن الله يملك وهو يقاص الكنائس والشعوب الذين يحيدون عن طريقهِ ونحن بتاريخنا هذا اخذنا حجارة قليلة وجمعناها نظير نصب في ميدان القتال في كابل لكي نذكر الكنيسة بالمثالة العظيمة التي تعلم بها هذه المصيبة العظيمة واذ نودع هذا المنظر المحزن نرقم على الجانب الواحد من هذه الحجارة التذكارية هذه الكلمات من كتاب الله . هولاء بالمراكب وهولاء بالخيل ونحن باسم الرب الهنا ندعو. هم عثروا وسقطوا ونحن قمنا واستقمنا . وعلى الجانب الاخر هذه الكلمات الخارجة من فم راس الكنيسة ان مملكتي ليست من هذا العالم . ولو امكن استماع صوت من رماد شهدا كابل لكان هولاء المعترفون الكرماء يخاطبون بعد قرون مسيحيي ايامنا بكلمات الكتاب المقدس هذه بعينها والمثالة التي يجب ان نقرا على الصحيفة المضرجة بالدماء التي دخلت في قصتنا البسيطة الانجيلية هي هذه ان الكنيسة ليس لها راس الاّ يسوع المسيح وانهُ لا يجوز لها ان تتعرض لتدبير هذا العالم او تاخذ منهُ وحيها او تطلب سيوفهُ او حبوسهُ او كنوزهُ وانها تغلب بواسطة القوات الروحية التي وضعها الله في حضنها وفوق كل شيء بواسطة تملك راسها المعبود وانهُ لا يجب ان تتوقع على الارض كراسي ونصرات بشرية وان قيامها يجب ان يكون كقيام معلمها من المذود الى الصليب ومن الصليب الى الاكليل . اذ كانت اجاصة زوبنكل قد هلكت وُضع حجر على الرقعة التي مات فيها هذا المصلح

الشهير وكتب عليهِ عبارات موافقة للمعاني المشار اليها

ان الله اذا علّم شعبهُ مثالات عظيمة يعطيهم ايضًا نجاة عظيمة فان الصاعقة قد سقطت من السماء وبان الاصلاح كانهُ قليلٌ احسن من جسد عديم الحيوة يعانق الحضيض وتكاد اعضاؤُهُ المتقطعة تحول الى رماد الآن الله يقيم الموتى فان احكامًا جديدة المجد كانت تتوقع انجيل يسوع المسيح عند حضيض جبال الالب فانهُ في طرف سويسرا الجنوبي الغربي في وادٍ عظيم يشير اليهِ من بعيد جبار الجبال الابيض وعلى شطوط بحيرة ليمان في الرقعة حيث الرون الرائق الازرق كالجو الذي فوقهُ يقلب مياههُ الجليلة وعلى تل صغير حيث داست مرة رجل قيصر وكانت خطوات غالب آخر غاليّ من بيكردي عتيدة بعد قليل ان تترك اثارها المجيدة التي لا تمحى اي يوحنا كالفينوس من نويو كانت مدينة قديمة مغطاة حينئذٍ بظلال البابا وية الكثيفة غير ان الله كان مزمعًا ان يرفعها لكي تكون ملجأً للكنيسة وحصنًا لعالم المسيحيين ٠

انتهى

